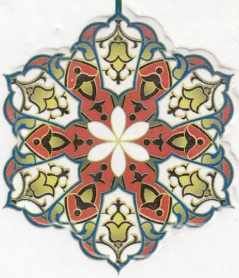
نهاية أحداث التاريخ البشري

موسوعة بقية الله الأعظم



الإمام المهدي [عج]

المصلح الرباني وصانع العالم الجديد

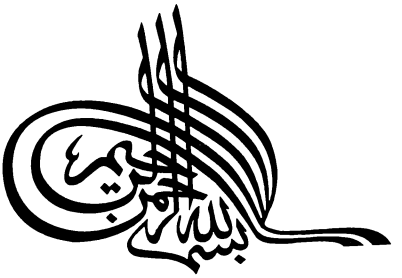
الشيخ جعفر حسن عتريسي

الجزء الأول

دار الهادي

موسوعة

بقية الله الأعظم


بسم الله الرحمن الرحيم

نهاية أحداث التاريخ البشري

موسوعة

بقية الله الأعظم

الإمام المهدي (عج)

المصلح الرباني وصانع العالم الجديد

الجزء الأول

الشيخ جعفر حسن عتريسي

شبكة الفكر
alfeker.net

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
978 - 9953 - 540 - 01 - 6



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

إهداء :

ها أنا ذا عند حقل النور الساري مِن دروب الأبد ،

دموعي غزيرة ، وأنفاسي تتلاطمُ أمواجاً في أعماق السماء ،

وطرفي الممدود على أديم الروح يحملني إليه ، والشوق منّي براقٌ يعرج بي آفاقَ السماء ،

يا ايّها الوجود ، ها أنا ذا أتّكئ على معولي ، وفيَّ أثقالُ الوجع من عناء الحياة ، ورغم الجراح الوجيعة أنهض إليه ،

ها هي مسافة الليل تنقضي ، ها هو النهارُ يلوح في طيف جفني ، وأنفاسي تتقبّض عليه ،

يا أيُّها الفجرُ ، خذني إليه ،

أنا الحائر في عشقِهِ ، المُنتَظِر منذ عالمِ ذرٍّي ، الساكن أهوال ليلي ، السجين بين أطباق ثقلي ، ضاقَ الكونُ عليَّ ، وأنا على قارعة الطريق بعظيمِ الأمل أسير إليه ..

مَن أنا .! مَن أكون .! وأيُّ جبلةٍ .! مِن أيِّ طين حتى أناديه .!

هو القائم مِن الصفوةِ ببيتِ الربّ ، هو ولدُ محمَّدٍ مَن رفعَ الكونُ هامتَهُ نظراً إليه ، هو مَن تنشدهُ معالمُ الدنيا ، وتهتزُّ الأركان عشقاً إليه ،

فيا ربِّي ، ها أنا ذا عبدك الزاحفُ في فجر الزمن ، أحبو نحو الأبد ، أسيرُ في ركب القوافل مِن عمر البشر ، وعلى كلِّ مفترقٍ أردِّد : المهديُّ ولائي ، بأنفاسي أحبو إليه ..

وإذا كنتُ قد كتبتُ في مقدّمة كتابي « ما قبل نهاية التاريخ » : إنّه اعظم كتاب في حياتي ، فهذا الكتاب ذخيرةُ عمري ، ونور قبري ، وزادي ليومِ معادي ..

أقدِّمه هديَّة إلى فخري الأبدي ، إلى ولائي زمنَ الغيبة ، إلى نور العشقِ المحفوظ بقلبي ، إلى روح الله الموسويِّ الخميني .. إلى ذاك الشُّهبِ في محراب الولاية ، إلى فارس الأمل فينا ، إلى مَن رأيتُ في عينيه أمانينا ، إلى القائد الإمام الخامنئي ،

إلى مراجعنا وفقهائنا العظام ، إلى أهل التضحية والوفاء ، إلى فقهاء قم والنجف ، إلى المعذّبين في الأرض ، إلى كلِّ مستضعفٍ ومقهور ، إلى أمِّي وأبي وخالتي الحاجَّة علويّة ، إلى أخي الحاج يوسف ، واخوتي واخواتي جميعاً . إلى صديقي العزيزين : الشيخ محمّد منصور والشيخ حيدر عارف عواضة أهدي كتابي هذا ، الذي هو حصيلة حياتي وأعظم ذخيرة لما بعد مماتي ..

جعفر حسن عتريسي ٣ حزيران ٢٠٠٥

نصيحة لأهل الدنيا :

كثيرة هي مطاوي الحقيقة ،
والإعجازُ ينطوي على الإعجاز ،
مُذ بُعثَ محمَّد ، توهَّج الكون ،
وارتسم مِن المعالم ما خشعت منه العقول ،
هي توراة موسى ، وإنجيل عيسى ،
هي الصحف المحمولة اليوم بيد القوم ،
كلُّها مُثقَلةٌ من الإقرار بما كان ويكون عليه الزمن ،
مِن بعثة محمَّد الخاتم ،
إلى مخلِّص البشريَّة المهدي في آخر الزمن ،
لا يحتاجُ البشر أكثر مِن أن يلتفتوا إلى صحف الوجود ،
إلى أبجديَّة المتون ،
إلى كتاب الكون وأسفار الحياة ،
إلى تاريخ البشر وإقراراتِهم ،
إلى الشهادات الحيَّة ذات التنوُّع المذهل ،
وها نحن في زمن الزحف نحو المقصد المحتوم ،
نبوءةُ محمَّدٍ شمسٌ كاملةٌ وإعجازٌ مذهل ،
أخبار الزمان أدهشت العقول ..
وتزحفُ الحقائقُ نحو محرابِهِ ،

تقرُّ معترفةً أنّها هي الوصف المذكور ،

فتكون هذه وتلك مِن باب شاهد الفعل على نبوءة ما بقي مِن مستقبل أكيد ،

فإذا تبدَّد التاريخُ الأخلاقي ،

وتحوّلت الأمم إلى نزاةٍ على غريزة ، وذئاب على مال ،

ونزا الرجالُ على الرجال ، والنساءُ على النساء ،

وتعاوت المرأةُ تدلُّ على فرجها ، عاريةً مختلعةً بين قومِها ، بلا منكرٍ أو مانع ،

وتغاير الرجالُ على الولدان كما يتغاير الذكر على الأنثى ،

وحُرِّم الحلال ، وحُلِّل الحرام ،

وشاع الزنا ، وكثرت المعازف ،

وعُصِي اللهُ جهرة ، وعمّ الفسادُ البلاد ،

وحكم الظُلاَّم ، وشاعت المنكرات ،

وظهرت أمورٌ عظام ،

وتغرَّب الدِّين ، وتسلطن الفاجر ، وأُبعِد الأمين ،

وعمَّ الظُّلم : جوعاً ووجعاً ، حكماً وحكرةً ، قتلاً وغزواً ،

وتقاتلت الأمم ، ونُهِشَ الضعفاء ،

وعمَّت الفتن ، فتنة المال والسوق والجوع الأغبر والموت الأحمر ،

واستطال الفزع والوجع ، وكثرت الدماء ،

وخرج السفياني ،

وقُتِل الحسني ،

واختلف بنو العباس على المُلك ،

وسالت الدماءُ بمنى ، في ملحمةٍ عظيمة ، وانقسم أهلُ الحجاز ،

وكُسِفَت الشمسُ في النصف من شهر رمضان ، وخُسفَ القمر من آخرهِ على خلاف علم الفلك وقواعده ،

وظهر خسفٌ في البيداء ، وخسفٌ بالمغرب ، وخسفٌ بالمشرق ، وكثرت الزلازل ، والهدّات ،

وركدت الشمسُ مِن عند الزوال إلى أواسط العصر ، وطلعت من المغرب ،

وقُتِلت نفسٌ زكيَّةٌ بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين ،

وعمَّ قتلٌ في العراق ،

وتجهّزت الجيوش ، وانتشر الحرب بالأرض ،

وانقلب الناسُ على دينهم ، فلا تجد أكثر غربة من دين الإسلام ،

وكان للروم الصولات ،

وللترك خرجة ، وفتق ،

وللخراساني مسيرٌ عظيم ، حتى يبلغوا إيلياء ،

وهُدِم حائطُ مسجد الكوفة ،

وأقبلت الرايات السود من قبل خراسان ،

وظهر المغربي بمصر وتملّكه الشامات ،

ونزل الترك الجزيرة ، ونزل الروم الرملة ،

وخرج اليماني ،

وزحفت الراية المغربيَّة ، وظهر السفياني ، وكثر القتل ، وتذابحت الأمم ،

وطلع نجمٌ بالشرق يضيئ كما يضيئ القمر ، ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه ،

وظهرت حمرةٌ في السماء ، تنتشر في آفاقها ،
وشبت نارٌ بالمشرق ، ظهرت طويلاً ، تبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيَّام ،
وخلع العرب أعنّتها ، وهشّ سلطانها واضطرب ،
وبدا المسلمون أذلّة إلا قلّة منهم ، وخلعوا ما هم فيه مِن دينٍ وإيمان ،
وركبتهم الأمم مِن غربٍ وشرق ، وتنابحتهم الروم وأحكمت الرقاب ،
وظهر النجباء في مصر ، والأبدال في لبنان ، والعصائب في العراق ،
وقتل أهل مصر أميرهم أو خلعوه ، وجاءت الروم إلى الأسكندريّة ،
وثارت فتنة الأحزاب ،
وخربت الشام ، واختلفت ثلاث رايات ، وكثر القتل ،
ودخلت رايات قيس والعرب إلى مصر ، ورايات كندة إلى خراسان ،
وورد الجمع من قبل الغرب حتى يربطوا بفناء الحيرة ، وأقبلت راياتٌ سود من المشرق نحوها ،
وفاض الفرات حتى يدخل الماء أزقّة الكوفة ،
وخرج ستّون كذاباً كلّهم يدّعي النبوّة ، وخرج إثني عشر كلّهم يدّعي الإمامة كذباً ،
واحرق رجل عظيم القدر مِن بني العباس بين جلولاء وخانقين ،
وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد ،
وارتفعت ريحٌ سوداء في بغداد أوَّل النهار ، وزلزلة حتى ينخسف كثيرٌ منها ،
وخوفٌ يشمل أهل العراق وبغداد ، وموت ذريعٌ فيه ، ونقصٌ من الأموال ، والأنفس والثمرات ،

وجراد يظهر في أوانه وغير أوانه ، حتى يأتي على الزرع والغلات ، وأجدبت الأرض ، وارتفعت الأسعار ، وقلّة الرزق ، وانتشر الجوع ، وظهرت الأمراض ،

ومسخ قوم من أهل البدع حتى يصبحوا قردةً وخنازير ،

وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم ، وقتلهم مواليهم ، وغلبة العبيد على بلاد السادات ،

وخوف واسع ، وجوعٌ قاطع ، وبلاءٌ عظيم ،

وقتل لم تشهده قرقيسيا مِن قبل ، راياتٌ تقتل بعضها بعض ، من أهل الشرق والغرب ،

وموت ذريع ، وقتلٌ فظيع ،

وبكاء هائل ، وويل صائل ،

ونداء مِن السماء يسمعه أهل الأرض كلّهم ، كلٌّ بلغتِهِ ، يبشِّر الأمم بظهور المهدي المنتظر ، ووجهٌ وصدر يظهران للناس في عين الشمس ، وأموات ينتشرون من القبور حتى يرجعوا على الدنيا فيتعارفون ويتزاورون ، ومطر في غير أوان ، وجفاف في زمن الإمطار ،

وذُبحَ الهاشميٌّ بين الركن والمقام ،

و٣١٣ رجلاً صفتهم خاصّة ، يلتقون بمكّة ، يبايعون المهديَّ الذي يظهر قرب الكعبة ، بين الركن والمقام ،

فإذا ظهر أشعَّ الوجود ، وكبَّر الكون ، وبدأت رحلة الحياة العظيمة ، وبها يكون الكمال .

فإذا بدأ المهديُّ أمره ، قاتله أهل الشرق وأهل الغرب ، كلٌّ بحسبه ، يجمع ما أمكن لقتاله ،

وتقع الملاحم ، وترى الناسُ من بأسهِ الأمر العظيم ، ومن عدلهِ الأعظم ، وكلٌ يرى في السماء دليلاً ،

فإذا أتمَّ أمرهُ وغلب الروم وحطم اليهود وأذلَّ أهـل الفسـاد أقـام دولـة العدل الأكبر في خير عباد ..

فيا أهل الدنيا ،

هي هي مطيَّة الوجود ،

لا تتركوها ،

هو الكون يمدُّ أذيالَ المجد إليه ،

لا تقتلوا الأمل في بطن السماء ،

لا تنتحروا ،

اعقلوا الغريزة برباط العقل والبيّنات المُعجِـزَات ، طيـروا نحـو الأفـق الأعلى ،

إنَّ هناك مَا لا عين رأت ولا أُذُن سمعت ولا خطر على قلب بشر ..

أفلا تعقلون ..!

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد ضروري :

[معالم الأمم في آخر الزمن]

الحديث عن آخر الزمان يُشَكِّل أعمق نقطة في موكب البشر لما يعنيه من نقطة الحسم الحضاري والصِّدم الجبهوي ، والتاريخيّة المختلفة في الزمان والمكان والأطراف ، فضلاً عن الإستحقاق الوجودي الأعظم ..

إنَّها مرحلة ذات اتصالٍ وثيقٍ بآمالِ فطرة البشر وعميق صدورهم وإلحاحاتِهم الصارخة في منابت الأمل على طول مسار التجربة والمعاناة الإنسانيّة .

وهي بظهورها التحقُّقي ستشكِّل اضخم حضور في ملامح الزمن الآتي الذي لا بدّ منه ، إنّها مرحلة ما قبل إكمال مسيرة الوجود والسير نحو الأفق الآخر من وجوديّة البشر ما بعد الدنيا ،

بكلِّ المقاييس هي مرحلة تهتزُّ عند ذكرها قلوبُ الناس وترتعش أبدانهم ..

أهم ما في هذه المرحلة التركيز الوثيق على حضور شمس الله تعالى على نحوٍ تبدأ معه معركة العدل الإلهي حضورها لقمع الجبابرة ، واستئصال الظلمة ، واجتثاث المفسدين .

أما المذهل في معالم تلك الفترة من حياة البشر ، أنّها مقرَّرة في القرآن والإنجيل والتوراة بشكلٍ لا يملك معه القارئ إلا الذهول والإستغراب ..

إنّها مشيئةُ الله تعالى التي حقَّقت مزيداً من الإحتجاج على البشر في ظلِّ عالم يبدو أنّه قد جنح بشكلٍ هائلٍ نحو تسليع القيم واحتكار المنافع وسيطرة الغرائز وسط جشع مخيف وموتٍ مدهش وإبادة تقودها فوضى الإنحراف البشري .

فضلاً عن مواثيق الوحي ، ففي كتب أهل الكتاب تركيزٌ شديدٌ على معالم الكون البشري المستقبلي ، على منظومة الأحداث الإستحقاقيّة الأكيدة ، يصاحبها إقرار بظهوراتٍ مذهلة .

حيث تعرض علينا مشاهد من معسكر الفساد الجشع الذي حقّق أضخم حضور في ساحة الفساد القيمي والأخلاقي والغريزي ، مقابل إعلانها عن ساعة الله ، وشمس الوجود ، وبداية الغضب الإلهي ، وحضور ثورة الربِّ وشبه ذلك على يدِ عمالقة الإستخلاف الذين ينتصرُ بهم على هؤلاءِ الأعداء الطغاة ، الذين أفسدوا بشكلٍ لم تشهدهُ الأرض من قبل . إنّها مرحلة شديدة المحاكمة والجزاء على تلك الحضارة التي تقوم عاصمتها على الخمرة والزنا والطغيان كما في أكثر من تعبير ورد في العهد القديم والجديد ..

تبدو الصورةُ حزينةً على معالم الأرض الذابلة التي تئنُّ من غضب الكون وحزن السماء ..

وكما في النص عن الإمام الصادق (عليه السلام) - في وصف معالم آخر الزمان - :

[.. ورأيتَ الدِّينَ قد انكفأ كما ينكفئُ الماء ،
ورأيتَ أهل الباطل قد استُعمِلُوا على أهل الحق ، ورأيتَ الشرَّ ظاهراً لا يُنتَهَى عنه ..
ورأيتَ الفسقَ قد ظهر . واكتفى الرجالُ بالرجال والنساءُ بالنساء .
ورأيتَ المؤمنَ صامتاً لا يُقبل قولُهُ ، ورأيتَ الفاسقَ يكذبُ ولا يُردُّ عليه كذِبُهُ وفريتُهُ ..
ورأيتَ الارحام قد تقطَّعت ..
ورأيتَ الغلامَ يُعطي ما تُعطي المرأة ،
ورأيتَ النساءَ يتزوَّجنَ النساء ، (..!) ،
ورأيتَ الثناءَ قد كثُر ، ورأيتَ الرجلَ ينفقُ المالَ في غيرِ طاعةِ الله ، فلا يُنهَى ولا يُؤخذ على يديه ،
ورأيتَ الناظر يتعوَّذُ بالله ممَّا يرى المؤمنُ فيه مِن الاجتهاد ، ورأيتَ الجار يُؤذِي جاره ، وليس له مانع ،
ورأيتَ الكافرَ فَرِحَاً لِمَا يرى في المؤمن ، مرحاً لما يرى في الأرض مِن الفساد ،
ورأيتَ الخمورَ تُشرَبُ علانيةً ويجتَمِعُ عليها مَن لا يخاف اللهَ عزوجل ،
ورأيتَ الآمرَ بالمعروفِ ذليلاً ،

ورأيتَ الفاسقَ فيما لا يُحبُّ اللهُ قويَّاً محموداً ،
ورأيتَ أصحابَ الآيات يُحتَقرون ويُحتقر مَن يُحبُّهُم ،
ورأيتَ سبيلَ الخيرِ منقطعاً وسبيل الشر مسلوكاً ..][1] ..

آنذاك تبدو مشاعر الوجود الكوني مذبَّلة بالأحزان على ابن الإنسان الذي حوَّل كرامة الخلق إلى أداة للغريزة العمياء والقمع والطغيان التسليعي ..

ومع تلك « الحضارة الشاذّة » تتحوَّل « القيمة الوجوديّة » إلى عبادة الغريزة والقوَّة والإعتبارات في مالٍ أو جاهٍ أو سلعةٍ أو فرج . ومعها يقول الدجَّال :

.. [.. أنا ربُّ العالمين . وهذه الشمس تجري بإذني ..][2] .

إنّه تعبير هائل عن الإنحراف الأخطر الذي يصفع مركب البشر ويدفعه نحو الإنتحار الوجودي ..!

وما الدجَّال إلا نموذج متصاعد مِن فرقة « الحضارة الفتنة » التي تغزو كون البشر لتدمِّر مسار القيم ونمط السير نحو تكامل الوجود في حقل الكون ودروب الآخرة[3] .

.. وبهذا تكتمل سلسلة « المرض » الذي يلفُّ حياة البشر منذ يوم قتل الرُّسل ، والإنحراف عن الكتب السماويّة ، وطرد التلامذة ، والعصيان لموسى وعيسى ﷺ .. ثم تحويل رسالة النبيِّ محمَّد العظمى إلى أداة غطائيّة لمشاريع الغوغاء والطغيان القيمي والإنهيار المواثيقي على يدِ فريقٍ

من أهل الحكم يقودون دنيا جماعاتِهم على نحوٍ من ربوبيّة الغريزة وصنمية الإشباعات الثقيلة ..!

وتكشفُ تجربة الإنسان - التي أصرَّ فيها أن يعطي نفسه مجد التشريع وقيادة المواثيق وخلق الأفكار - عن العجز الهائل في نتائج المسير ومعاني الشرط الوجودي وضماناتِه ..!

ومعها « يهتف الكون » ، وطبائع الخلق ، وذوات الأرواح ، طلباً للخلاص ..!

.. وتؤكِّد كُتُب أهل الكتاب ما قرَّرَهُ « القرآن الكريم » مِن تعطُّش الكون ، وشوق الأرض وأهلها إلى « مطر العدالة » ، وضرورة الخلاص ، والقبض على جهة القيادة ومركزها ، والسير نحو الكمال الإلهي .

وتروي لنا أحداث الزمن القادم ، تُخبر وصفيّاً عمَّا يجري ، عن معالم الأرض والشعب والحضارة ، والقيم ذات التصادم الشديد ، والخلاف العميق في بُنى العقائد الجشعة .

اليهود يتحدَّثون عن شخصيةٍ « موعودةٍ » ينتظرونها ، يُعبِّرون عنها بـ : أمير السلام (الدجَّال) ،

والمسيحيُّون يتحدَّثون عن « العودة الثانية للمسيح » ،
البوذيّون يتحدَّثون عن « عودة بوذا » .

المسلمون يتحدثون عن أنَّ « المهدي عليه السلام » هو الشخصيّة المقدّسة العملاقة التي تتحدَّث عنها التوراة والإنجيل وكافَّة « كُتُب السماء » .

ويعرضون نصوصاً مذهلة ، تؤكِّد طابع الوضوح المعجِز في هذه الكتب حول المهدي المنتظر عليه السلام ..

.. ويتحدَّثُ العهدان القديم والجديد عن تحوُّل عالمي ، عن ردّة للكنيسة ، عن دجّالٍ خطير ، عن معسكرٍ للشرِّ جبّار .

عن معسكرين : واحد يقود الخير ، وآخر يقود الشرّ ، وانّ الشر يكون على نحوٍ من ظهورٍ عملاق آخر الزمن ، إلى ان ينتهي على يدي أهل الخير الذين يقودون معسكر الرب .

يتحدَّث الكتاب المقدَّس عن أنَّ المسيحيين سيُخطفون إلى السماء ، ويعودون مع المسيح ، بعد جلاء الكوارث والملاحم الهائلة . وأنّ الدجَّال سيخوض في الدماء والإبادة والجشع والطغيان ، وأنَّ الأرض ستشهد مرحلةً واسعةً من الحروب والإبادة لم تشهدها من قبل[٤] .

إنَّها « قصَّة العذابات » بعد « رفع المسيح » ، لكنَّها تحكي لنا « ألم البشرِ » المتقاطع أحزان العالم ، بسبب « الردّة الضخمة » التي تقع في « لاودكيه الكنسيّة » ..

هذه القصّة تشيرُ إلى « عمق الإنحراف في الأمم » ، وتهدُّم البُعد العقائدي في « الحضارة العالميّة » ، وتعاظُم فكرة « التوحُّش والقوّة » كأساس لإدارة الأرض في شتَّى نماذج الحركة والتنظيم ولغاياتٍ غريزيّة تتّسع لنُظم السياسة والإقتصاد والمال والبيئة والإجتماع .. والسؤال الضروري في عمق هذا العرض المشهدي المستقبلي :

من هم أطراف الأرض آنذاك .. ؟

وهل لله خليفة ..؟

أم أنَّ الأرض خرَّت طائعةً بين أنياب الوحش الذي يلتهم القيم ودور العبادة وأمجاد السماء ؟

.. ها هي فقرات الكتاب المقدَّس تحدِّثُنا عن مظهرٍ مختلطٍ في الأرض ، تؤكِّد فيه طابع الإنحراف الكبير ، في نفس الوقت الذي تشيرُ فيهِ إلى بقاء شهود ، يُشكِّلون طائفةً مميَّزةً مِن البشر ، يدعون إلى دين الله ومواثيق السماء ، وينتصرون لها .

هؤلاءِ ينخرطون في معسكر أهل الإيمان بوجه الطغيان والفساد الواسع الذي يحكم اهل الأرض آنذاك . قرَّرَ أهلُ الكتاب في شروحاتِهم الأمرَ التالي : [.. سيكون (آنذاك) على الأرض شهود ، يتمسَّكون بكلمة الله ، ولكنَّ الناس سيقاومونهم ويضطهدونهم ..]° .

إنّه نموذج من « الصِّدام بين جبهتين » ، كلٌّ منهما تنادي بقيمة ومبادئ حول : الوجود وصفاته ومعانيه ، والأطر واجبة الحفظ والإعتماد والإنقياد ..

وهذه كما ترى : ترجمةٌ نظريَّةٌ لمفهوم « الخير والشرِّ » الذي يكون في آخر الزمان . وعليه : لا بدّ أن يكون للخير « شهود » وللشر « شهود » ، ولكلٍّ قادة وسيادة .

في حين النص الوارد أعلاه شديد الصراحة في انَّ شهوداً مرموقين يكونون على أمر الله ، يقودون معسكر الخير آنذاك . وبطبيعة الحال لن تكون هذه الفئة من اليهود ، لأنَّ الكتاب المقدّس والمفسّرين متَّفقون على أنَّ

اليهود آنذاك يكونون مع معسكر الفساد الذي يتعاظم أمرهُ مع حضور « فتنة الدجَّال » الذي يشكِّل رمز الإنحراف والطغيان آنذاك . فيما المسيحيُّون يُخطفون إلى السماء . حسب الفهم اللاهوتي .

وفي رواية منذر الثوري عن محمَّد ابن الحنفيّة - يشيرُ إلى صفةِ العالم آنذاك ، حيث يتثاقل من أنين الأرض وحدّة الفساد - يقول :

[.. فإنه يكون في الناس شرٌّ طويل ..][٦]

وتؤكِّد المتونُ المُقَارِنَة أنَّ معالم الزمان تكون على شرٍّ قيم ، وشرٍّ نُظُم ، وشرٍّ قيادات ، تبدو معها الأرض شديدة العناء من ويلات الإنسان الذي خاض غمرات الغزيرة والتوحُّش والإنتقام دون ان ينظر ولو لمرّةً واحدةٍ نحو السماء ومعاني الخلق ومراميه .

.. وأمام هذا الإنسياق الهائل والفرز الجرّار بين فريقي الخير والشرّ يبدو السؤال ضرورياً :

مَن هي تلك الفئة التي تقوم بأمر الله وتدعو إلى دين السماء في وجه الطغيان البشري والفساد الأخلاقي آنذاك ..؟

يُجيب اللاهوتيّون أنَّ هؤلاءِ قومٌ يتَّبِعُون « الأمين الصادق » الذي يقود أورشاليم الجديد .

إذن هناك نبيٌّ آخر ، يدعو إلى اللهِ ، ويقود معسكر الربِّ من مهدٍ نبويٍّ آخر ، عبَّرت المتون عن هذا المهد بـ « أورشاليم الجديدة » . أي

عاصمة نبويّة جديدة . فقد ورد في النص : [.. أورشاليم الجديدة التي تنزل مِن السماء مِن عند إلهي ، واكتب عليها اسمي الجديد ! ، مَن له اذنان فليسمع ما يقوله الروح للكنائس ، واكتب على ملاك الكنيسة في لاودكية ، إليك ما يقوله الحق ، الشاهد « الأمين الصادق » رئيس خليقة الله ..][٧] .

النص « شديد الصراحة » في دلالتِهِ المطلقة على نبوَّة جديدة بعد المسيح ، وعاصمة نبويّة جديدة ، ومعجزة مقروءة يُبعثُ بها ذلك النبي بعد المسيح (عليه السلام) ، هذه المعجزة تتلى على الناس فيتلقّونها عبر السمع . والوصيّة جاءت لكنيسة تدعى « لاودكيه » ، طُلِبَ منها أن تستمع مِن النبي الذي يُدعى « الأمين الصادق » ! .

فمن هو هذا الأمين الصادق الذي سيُشَكِّل رمزَ « النبوّة العظمى » في الشطر الأخير من حقبة التاريخ البشري ؟

سفر التثنية تحدّثنا عن مناطق ذات أهميّة بالغة للنبوات الأخيرة بقولها :

[.. جاء الربُّ من سيناء ، وأشرق عليهم من سعير ، وتلألأ من جبال فاران ، حيث خرج وسط عشرة آلاف قدّيس ، تشعّ لهم من يمينهِ أنوار الشريعة ..][٨] .

بحيث تخبرنا عن « نبوّة » تكون في « مصر » ، ونبوّة تكون في « فلسطين » ، ونبوّة تكون في « جبال فاران » ، بلاد العرب ، منطقة مكّة . أو أورشاليم الجديدة ..!

في التعبير الوارد أعلاهُ حول « النبوَّة الجديدة » بعد المسيح عليه السلام والتي تكون في أرضٍ « جديدة » وسماءٍ « جديدة » الأمرُ واضحٌ جداً في أنّها تكون بـ « جبال فاران » (مكَّة) ..

وهذا أمرٌ حتميٌّ محسوم بدليلِ قطعيَّة النص .

.. وهكذا تكرَّرت « البشارة » بنماذج مذهلة ، لتزفَّ للبشر واحدةً من معالم الغيب الذي سيتحقَّق في آخر الزمان ، وتركّزت في الإعلان المتتالي بـ : نبوّة عظيمة تكون بعد نبوّة موسى والمسيح ، سيكون لها أثر كبير على حركة البشر نحو « الإستحقاق الوجودي » وما يتلوه من آياتٍ وعلاماتٍ ومواقف أبديّة ..

وفي كلِّ موقع فاصل كانت « الكُتُبُ السماويَّة » تؤكِّد على النبوّة المحمديَّة .

وهكذا بعد بشارة النبي موسى عليه السلام به صلى الله عليه وآله - الواردة أعلاه - أكَّد النبيُّ المسيح عليه السلام هذه البشارة بشيءٍ من التركيز الكثيف ليعلن للعالم ضرورة بعثة النبي محمّد صلى الله عليه وآله قائلاً :

[ومتى جاء ذلك البركليت (أحمد) فإنَّهُ سيبكّت العالم على خطيئةٍ وعلى برٍّ وعلى دينونةٍ ..][1] .

كلُّ ذلك ليؤكِّد النص الوارد في « صاحب الشريعة » التي يُبعثُ فيها نبيُّ جبال فاران ..! (مكَّة) .

ومعلوم أنَّ « المسيح ﷺ » كان صاحب « تعاليم » ، ولم يكن صاحب شريعة ..

وتجدر الإشارة إلى أنَّ كلمة « بركليت » ظلَّت على نفس الصياغة دون ترجمة ، وقد نقلت إلى العربيّة بهذهِ الأحرف ، من دون تعريب في معناها ، وهي تعني « أحمد » .

فأيُّ أحمد هو ذاك الذي بشَّر بهِ يسوع المسيح ﷺ ..؟

ثم لماذا لم تُعرَّب هذهِ الكلمةُ على نحوِ معناها فأبقاها المترجمون والنسّاخ على لفظِها كما وردت في المصادر ..؟

هل لأنَّ الأمر يتّصل بشخصيّةٍ ما ..؟

وهل بينَها وبين نبيٍّ « جبال فاران » من معنىً ..؟

الإنجيل بكلٍّ وضوح يشير إلى أنَّ يسوع المسيح بشّر العالم برسولٍ هو البركليت ، ومعناهُ في العربيّة « أحمد » الذي سيقيم دينَهُ ويكون عظيماً ..

فهل هذهِ البشارة غريبة عن بشارةِ موسى ﷺ بنبيٍّ جبال فاران ..! أم أنّها طبق الأصل عنها ..!

هل هناك معنى أجلى من هذا في دلالتهِ على « الرسول محمَّد ﷺ » الذي كان يُنادى بـ : « أحمد ، ومحمَّد . وبُعِثَ من جبالِ فاران ، من أرض إسماعيل » وهو ممَّا جاء في « متنِ الإنجيل » خاصَّةً إذا أضفنا له ما جاء في « متن التوراة » من نبيٍّ فاران وشريعتهِ . في ظلّ معرفتنا أنَّ موسى « صاحب شريعة » والمسيح « صاحب تعاليم ومبادئ » ، ومحمَّد « صاحب تعاليم وشريعة » ..!

فهل لهذا التوصيف والتفريق معنى كبير ؟

ألا يستحقُّ هذا النّص أن نتوقَّف مليَّاً أمامهُ لنسأل لمن هو ..؟ ولقد نطق القرآن الكريم بآيةٍ هامَّة في سورة الصفّ ، حيث أشار فيها بوضوحٍ جليٍّ في مقامِ الإحتجاجِ على النصارى بما ورد عندهم من البشارة بأحمد ، وأنَّه النبيُّ الرسول ، صاحب الشريعة ، المبعوث إلى الأمم ، الذي يقيم دين الله وشرعه . وأنَّهُ هو وصيةُ موسى ، كما هو أيضاً وصيّةُ عيسى ، قال تعالى :

﴿ .. وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[10]

ثم في سفر « التكوين » من الإصحاحِ التاسعِ والأربعين أنَّ نبيَّ اللهِ يعقوب عليه السلام قال لأبنائِهِ وهو يوصيهم :

[لا يزول صولجان من يهوذا ، ومشترع من صلبِهِ ، حتى يأتي « شيلوه » ، وتطيعهُ الشعوب][11] ..

لقد احتفظت جميع نُسَخ العهدِ القديمِ بكلمة « شيلوه » الأصليّة ، من دون إعطائِها أيَّة ترجمة إلى اللغاتِ الأخرى ، نقلوها كما هي دون تحديد معناها في العربيّة .

وقد تسأل : لماذا ..؟

هل هناك « صعوبة » في تفسيرِ معناها .. ؟

أم هناك « أزمة » في التفسيرِ ..؟

هل تؤثِّر في مبتغى شرَّاح الكتاب ..؟

هل هناك مشكلة في إعطاءِها معناها الحقيقي ..؟

هل هذهِ الصفة لا تنطبق على يسوع المسيح ..؟

لماذا لا تنطبق عليهِ ..؟

على مَن تنطبق ..؟

هل هي إشارة إلى نبيٍّ آخر ، فكان لا بدَّ من حذفِ معناها وسوقِها بحرفِها دون ترجمة لتبقى لُغزاً على أيِّ قارئ ، وليذهب ذهنُهُ إلى ما تعتقد بهِ كنيسة الكتابِ دون غيرِها ..؟

فعلاً ، تمَّ الأمرُ على هذا النحو ، حيث نقلوا الكلمة كما هي بـ « حرفٍ عربيٍّ » ، إلا أنَّ حقيقةَ ما جاء في هذهِ « الوصيَّة » ذات الأهميَّة الخالدة استوقفت الكثير من « الشرَّاح » الذين أعادوا تركيب مجموعة من الأسئلة مثل :

مَن هو شيلوه ..؟

ما هو الرابط بينَهُ وبين ذهاب الصولجان مَن يهوذا ونسلِهِ ..!

أيُّ ربطٍ بين هذا ألـ « شيلوه » وبين نزول مقاليد الصولجان بين يديهِ ..

أيُّ شيلوه ذاك الذي تطيعُهُ شعوب العالم ..

أيُّ شيلوه هذا الذي يُوجِّه دعوتَهُ نحو العالم ، دون تمييز على الإطلاق .. ؟

هل هو صاحب شريعة أم تعاليم ، أم الإثنين معاً .

أيُّ شيلوه هذا الذي لا يكون من نسلِ يهوذا ..!

هل هو نبيٌّ مستقبلي أم مِن الأنبياء الماضين ..؟ وإذا كان مستقبلياً فمن هو ..!

الأمر هنا وفقَ كلِّ تفسيرٍ مُحرِجٌ جداً ومدهش لأهل الكتاب ، لأنَّ النصَّ واضحٌ في شخصٍ عظيمٍ مِن قبلِ اللهِ تعالى هو موضوع « البشارة » ، والأهمُّ فيه أنَّهُ ليس من نسل يهوذا ..

إذاً .. لا بدَّ أن تخرجَ النبوَّة من نسلِ يهوذا ..!

والأمر هنا مُربِك للغايةِ وفق الشرح اليهودي - المسيحي .. لأنَّ هذا نبيٌّ غير يسوع المسيح وغير موسى ..! نبيٌّ تطيعُهُ الشعوب . نبيٌّ يوجِّه دعوتَهُ العالميَّة نحو الأمم . نبيّ ترحَّم عليهِ الأنبياءُ وخاطبوهُ بنوعٍ من خشوعٍ وحنانٍ وتعظيمٍ ..

انّه رجل عظيم ونبيٌّ كبير ، له شرف مقدَّس ، شاء اللهُ أن يُوردَ صفاته - كما هي عادةُ أيِّ بشارةٍ - على نحوٍ من كناياتٍ واستعاراتٍ وتلميحٍ ومجازات لها معانٍ واضحة ، وهذهِ هي العادة في أيِّ بشارة ..

ولأنَّ حجمَ الأسئلةِ ونوعَها يكون على نحوٍ من إثارةٍ ضروريّةٍ كان لا بدَّ من الدخولِ في تفسيرِ حقيقة شيلوه ، وسنرى أنَّ بعضاً من الشرّاح حاول طمس هويَّة الرجل المقصود من هذهِ العبارة ، إلا أنّه دخل في نفقٍ مظلمٍ حائرٍ ، لأنَّ طبيعة النصِّ أكبر وأعمق من أيِّ تزويرٍ أو تحريفٍ على الإطلاق ..

وقد أشارت بعض طبعات الكتابِ المقدَّسِ كما بعض الطبعات العربيَّة إلى أنَّ كلمة شيلوه تعني :

- مَن له الحكم ، أو الذي له عصا أو صولجان الحكم .. وهذه إشارة كبرى في حقِّ رسولِ الله محمّد ﷺ الذي بُعِثَ بالشريعةِ وليس بالتعاليم فقط كما هي الحالُ مع المسيح عليه السلام .. في حين النص وارد في نبيٍّ مستقبَلي ..

- الذي سوف يُرسل أو الرسول ، ويكون له شأنٌ من حكمٍ وسلطنةٍ .. وهذا دليلٌ عميقٌ على تتابع الرسالةِ ، ودليل حتميٌّ على صفة الرسول محمَّد ﷺ ومفتاح قويٌّ على حقيقة البركليت ونبيِّ جبال فاران ، وما جاء في وصيَّة النبي أشعياء ، وما بشَّرَ بهِ النبي يحيا عليه السلام (يوحنّا المعمدان) ، ثمَّ خصوصيَّة النبي محمَّد ﷺ أنّه يكون بعد موسى والمسيح عليهما السلام ويكون صاحب تعاليم وشريعة ..

- الذي يعمل من أجل السلام ، ويعتمد على الصولجان . وهذه صفة لا تنطبقُ على نبيٍّ من الأنبياءِ كما تنطبقُ على رسولِ الله محمَّد ﷺ ، وهي بطبيعة الحال لا تنطبقُ على يسوع المسيح باتفاقِ أربابِ الكنيسةِ ، لأنَّه بُعِثَ بالتعاليم دون الشريعة . مع التذكير بأنَّ النصَّ مستقبلي فلا يفسَّر على ما مضى من أنبياء قبل النبي محمّد ﷺ .

- مُخْمِد الفتَن ، وأنَّه في مقامٍ يسمح له بذلك ، لأنَّ الصولجان ينتقل إليهِ ، وهذا لا يمكن أن ينطبق على يسوع المسيح عليه السلام لأنّه مبعوث بالتعاليم ، في حين الذي بُعث بالشريعةِ هو محمَّد ﷺ (نبي جبال فاران ، مكَّة) ..

وألفتُ إلى أنَّ علماء اليهودِ والنصارى اختلفوا في تفسيرِ شخصيّةِ شيلوه ..؟ مَن هي ..؟ ارتَبَكُوا جداً - وكلٌّ من يقرأ شروحاتِهم يدرك ذلك بشكلٍ واضحٍ ومثير - فالمسيحيّون خرَّجُوا هذا النصَّ « ظاهريَّاً » على أساسِ أنَّ « شيلوه » هو يسوع المسيح حتى ولو لم تنطبق عليهِ الصفات الضروريّة ..!

واليهود قالوا : انّه لم يأتِ بعد ، وما زالوا ينتظرونَ قدومَهُ ، ليتوِّجوه مَلِكَاً على العالمِ ، فيحكم جميع شعوبِ العالمِ وتكون له السلطنة عليهم ..

إلا أنَّ مجموعة من كبار الباحثين توقفوا أمام توصيف يسوع المسيح بهذا الوصف ، واصرُّوا أنّه مِن غير الممكنِ أن يكون وارداً في حقِّهِ ، فلا توجد أي صفةٍ ممكنة فيهِ ، فهو لم يبعث بالصولجان ، وبالتالي هو مبعوث بالتعاليم وليس بالشريعة ،

أكثر من ذلك : النصُّ واضح في أنَّ هذا النبيَّ هو مِن غيرِ نسلِ يهوذا ..! - وهذا الأمر مفصليّ جداً ومدهش - فلا يمكن على الإطلاق القول بأنَّه يسوع الناصري ..

من هنا فإنَّه لا يمكن أن يكون هو ، وهذا الحكم نهائي وكامل ومطلق .. وكلَّ ما تمَّ التفسير بهِ ، لا يمكن أن ينطبق على بعثةِ يسوع المسيح ..

إذاً هناك غيرهُ ممَّن هو نبيٌّ ، يُبعَثُ بالصولجان ، بالشريعة ، ويكون من غيرِ نسلِ يهوذا ..

وعلى كلٍّ حال : لا يمكن أن يلتزم أيٌّ من « أربابِ الكنيسة » أو الباحثين أو الشرّاح بحقيقةِ أنَّ شيلوه هو « يسوع الناصريّ » ، ولا يمكن أن يساعدهُ على ذلك أيُّ شاهدٍ أو شهادة تاريخيّة أو حقيقة نظريَّة ..

في حين النص « صريح جدّاً » في صاحبِ نبوّةِ « جبال فاران » (نبيٌّ يُبعث من مكَّة) ، بل لا يمكنُ تجاوز هذا التفسير إلى غيرِهِ إلى الإطلاق ..

وما دام أنّنا في سياقِ الإشارةِ إلى « البشارةِ » برسولِ اللهِ « محمّد » أحبُّ أن أعرض عليك مطابقة مذهلة بين نصّين ، ورد الأوّل في القرآن ، والثاني في الكتاب المقّدس في خصوص وصيّة يعقوب الواردة أعلاه ، وهي موضوع بحثنا الآن . وكلاهما ينقل إلينا وصيَّة النبيّ يعقوب وبشارته برسولِ اللهِ محمّد ﷺ ..

فقد ورد في آيةٍ قرآنيَّةٍ مجموع لفظ ستجد أنه مطابق بشدّة لوصيّة يعقوب الواردة في الكتابِ المقدّس ، وهذهِ الآية على نحوٍ مذهلٍ في مطابقتِها ودلالتِها لما ورد في لسان يعقوب ، حيث يقول اللهُ تعالى :

﴿ .. أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ، إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ؟ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(١٣٣) ﴾[١٢]

بطبيعة الحال : النبي يعقوب كان في مقام الوصيَّة ، يشرح أبعاد كبرى ذات مشهد استخلافي ، وذلك لما يمثّل من سفارةٍ إلهيَّة ، كنبيٍّ في طولِ مسيرة النبيين من بعدِهِ ..

وحتى ترى النتيجة بشكلٍ دقيق لا بدَّ أولاً مِن تشريح نص الوصيّة لعرضِهِ على المعاني التاريخيّة والحقائق العلميَّة في هذا المجال وإليك الأمور التالية :

- كان النبي يعقوب يشير على أبنائِهِ ومنهم إلى العالمِ أنَّ أمور والحكم والشريعةِ ستظلُّ في بني إسرائيل حتى يأتي « شيلوه » ، وحين يأتي « شيلوه » ستؤول إليهِ الشريعةُ الإلهيّة ، التي ينضوي تحت لوائها شعوبُ العالمِ ، أو على الأقلّ تلك الشريعة التي تكون موجّهة إلى العالمِ ، وبنهاية المطاف تحكم شعوب العالم ..

- بطبيعة الحال ، لا يتمُّ وصفُ « الشريعة » على يسوع الناصري لجهةِ أنّه لم يأتِ بالشريعةِ ، إنّما أبقى على شريعةِ موسى ، وجاء بالتعاليم ، وهذا أمر إتفاقي في لسان أربابِ الكنيسةِ . وعليه : يسوع المسيح لم يكن صاحب صولجان ..

- إنَّ يسوع المسيح من بني إسرائيل ، مِن أحفاد يهوذا من جهةِ أمِّهِ .. وفي النصِّ الوارد أعلاه : الذي سيُبعثُ يكون من غيرِ نسلِ يهوذا ..! وبذلك ينقطع نسلُ يهوذا في مقامِ النبوات .. هذا أمر شديدة الظهور والملاحظة .

- إنَّ سلطنة يسوع الناصري على شعوبِ العالم أمر لم يتمّ ، حتى انَّ أتباعه حاربوهُ ، بل لم يُبعث بالصولجان باتفاق الكنائسِ على اختلافِ مشاربِها . والمثير أنَّ في متنِ الإنجيل إشارة إلى أنَّ المسيح لم يُرسل إلا إلى بني إسرائيل ، ففي إنجيل متّى : [لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل][١٢] . وقد ورد هذا اللفظ بأكثر

من مقامٍ وجهة في الأناجيل . إذاً ، لا شكّ أنَّ وصف يسوع الناصريّ بما جاء في متنِ النص الذي نعالجُهُ واضح المنع ، ولا يمكن أن يسلِّم بهِ أيُّ مدقِّق تاريخي أو باحثٍ علمي ..

وعليهِ :

الأمر والوصيَّة في غير المسيح قطعاً ، خاصَّةً أنَّ النصَّ يشير بشكلٍ حاسمٍ إلى أنَّ الحكم والنبوة ستظلُّ ببني إسرائيل إلى أن يأتي شيلوه فتنقطع عنهم ..

إذن هو مِن غيرِهِم ، وهذا الوصف لا يمكن أن يتمّ وينطبق إلا بما ورد من شخص « البركليت » في الإنجيل ، وما ورد في وصيّة موسى بنبيٍّ جبال فاران (مكّة) ..

كما انَّ تطبيقه على موسى عليه السلام واضح المنع . من هنا حاول اليهود أن يؤوِّلوه على نحو « بشارةٍ » في نبيٍّ ما ، يأتي في آخر الزمان ، فيتوِّجونَهُ ملكاً على شعوبِ العالم ..

كلُّ الفقرات دليلٌ مطلقٌ في رسولِ الله محمَّد ﷺ . فأيُّ دليلٍ هذا وأيُّ عظمةٍ وبرهان ..!

ولقد أثبت التاريخ العام ، بكلِّ مشاربِهِ أنَّ اليهود قبل بعثةِ النبي محمّد ﷺ كانوا يصرخون على الملأ أنَّ موعد بعثةِ ذلك الرسول الموعود قد اقتربَ ، وذلك لما ثبت لديهم من علاماتِ قرب المولد ، وأنَّهم سيقاتلون بهِ العرب وغيرهم ، وأنّهم سيتوِّجونَهُ ملكاً عليهم .. فأيُّ عظمةٍ تكمنُ في هذا النصّ .. وأي دليلٍ بعد كلِّ هذا ..

كلُّ الفقرات تصبُّ بشكلٍ نهائيٍّ في صالحِ نبيٍّ الشريعة ، نبيٍّ الصولجان ، شيلوه ، نبيّ جبال فاران ، نبيّ وصية يعقوب ، نبيّ بشارة ووصيّة أشعياء ، نبيّ بشارة يحيا ، في صالح البركليت ..

أصحاب الأقلام عملوا على نقل هذهِ الأسماء بما هي عليهِ ، دون أن يعرّبوها إلى المعاني العربيّة ، وبعد ذلك حاولوا أن يطمسوا معالمها بنحوٍ من تفسيرٍ عموميٍّ ، وتطبيقٍ مختلفٍ ، بهدف منع تفسير آخر يسمح بإمكان الإقرار برسولٍ آخر من غيرِ نسلِ يهوذا ، نبيّ يكون صاحب شريعة ، نبيّ يكون مصداقاً فعليّاً لوصيّة موسى وبشارتهِ بنبيٍّ جبال فاران ..

إلا أنَّ طبيعة النصِّ - وبمشيئةِ اللهِ تعالى - كانت أكبر من أيِّ محاولة للتشويه ، حتى أنَّ مجموعة كبيرة من الباحثين أصرَّت على أنَّ أيّ تفسيرٍ في يسوع لا يمكن أن يقوم على الإطلاق ، ولا يمكن ان يوجد فيهِ أيّ شاهدٍ أو شهادة تاريخيّة ، بل الأمر يتعدّى « نبوّة يسوع » إلى نبيٍّ آخر مستقبلي ..

هذا بيان شديد الإطلاق والوضوح في تحول « سلطان النبوَّة » إلى نبيٍّ آخر يُبعثُ في جبال فاران (مكَّة) ، بدليل الكتاب المقدَّس نفسه .

إنّه تأكيد كامل على « بعثة نبيٍّ » مستقبليٍّ ، يكون له « الصولجان » في ظلِّ الشريعة ..! وانّه وحدهُ مَن يطيعُهُ العالم في النهاية . وهو بدليل النصِّ وصفاتهِ وشروطهِ وأزمانهِ يكون بعد يسوع ﷺ .

وما يؤكِّد هذا أنّه ﷺ وحدهُ المذكور في وصيَّة موسى ، وفي لسانِ المسيح ، وفي وصيَّة يعقوب ، وفي كتاب أشعياء ، بل هو نفسه

المقصود في الكتاب المقدَّس بـ « الصادق الأمين » . فهل يكون هناك تفسير علميٌّ آخر ، له معنى يقيني على هذا المستوى في غير الرسول محمَّد ﷺ الذي اشتهر على لسان العرب كلِّهم بالصادق الأمين ..!

وفي رواية مالك عن أم سعد بنت سعد عن نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية قالت :

[.. لما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة وليس له بمكة اسم إلا الامين لما تكامل فيه من خصال الخير ..][١٤] .

ثمَّ نصوصُ البشارة برسولِ الله « محمَّد » شديدة التنوُّع في الكتاب المقدّس . فنصُّ الكتابِ يشيرُ إلى علاماتٍ أخرى ، إلى مدينة نبويَّة جديدة ، لا تكون في « أورشاليم » المعهودة (أورشاليم القديمة) ، بل بـ « أورشاليم جديدة » ، أي هناك مكان « نبوي جديد » يتناسب مع « النبيِّ الجديد » الذي سيكون بعد المسيح عليه السلام . النص جاء بالصيغة التالية : [.. أورشاليم الجديدة التي تنزل مِن السماء مِن عند إلهي ، واكتب عليها اسمي الجديد (!) مَن له اذنان فليسمع ما يقوله الروحُ للكنائس ، واكتب على ملاك الكنيسة في لاودكية ، إليك ما يقوله الحق ، الشاهد « الأمين الصادق » رئيس خليقة الله ..][١٥] .

إذن هناك نبوَّة جديدة ، وميثاق سماوي « مقروء مسموع » ، وهذه النبوَّة تتوجَّه إلى « العالم » ، بما فيه الكنيسة « لاودكية » كرمزٍ للمفهوم الكنسي ، لتخاطبها بضرورة « اتِّباع » هذه « النبوَّة » التي أعدَّها الربُّ للبشر كنبوَّةٍ خاتمة .

أهميَّة هذه النبوَّة وتوابعها انَّها تكون « رمز معسكر الربِّ » في آخر الزمان . وانَّ صاحب هذه النبوة يُبعَثُ بـ « الصولجان » ، أي بالحكم والشريعة ، ويكون للعالم جميعاً ، ومهدُ نبوَّتِهِ يكون في منطقة « جبال فاران » (مكّة) ،

وعليه : ما ورد في خصوص « رمز النبوَّة » وبيت الربِّ الموصوف في الكتاب المقدّس يكمن في تلك المنطقة من العالم . حيث يطلُّ جبلٌ على مكّة وبالأخص على الكعبة ، هذا الجبل (غار حراء) كان النبيُّ محمَّد ﷺ يتعبَّدُ بهِ قبل نزول الوحي عليه ، حيث يرى منه بيت الله الحرام ، والكعبة الشريفة ، ففي الإنجيل ورد : [.. وأخذني الروح إلى قمَّة جبلٍ ضخمٍ عالٍ ، وأراني المدينة المقدّسة أورشاليم ..][16] .

أورشليم هنا ، هي تلك التي وصفها بـ « الجديدة » ، أي مهد « النبوَّة الجديدة » ، لنبيٍّ جديدٍ ، سيبعثه اللهُ في منطقة « فاران » ، أخبرنا عنه الكتاب المقدّس بإسم « الأمين الصادق » . هذه المدينة الإلهيّة الجديدة التي تهبط فيها النبوَّة الجديدة يطلُّ عليها جبلٌ ضخم عالٍ ، يشكِّل علامة على المشهد الوصفي للمدينة الجديدة .

.. الحديث هنا يدور عن « منطقةٍ مختلفة » عن مصر وفلسطين . النصُّ يتركَّز على منطقة « جبال فاران » (مكَّة) ، فيبشِّر بنبوَّة جديدة تكونُ متمّمةً للنبوات السابقة في عهد الله تعالى .

لذلك نجد القسَّيسين والرهبان واليهود يُركِّزون على أرض العرب – اعتماداً على الصفات المحدَّدة في كتبهم – فيصرُّون أنَّ النبوّة التي ستُبعثُ من قِبَلِ اللهِ تعالى لا بدَّ أنَّها فيها[17] .

وقد كثرت الشهادات من اليهود وأهل الكتاب التي تؤكِّد انتظارهم للنبيِّ الموعود ، وانَّ زمنه أصبح قريباً . وفي بعضِها تأكيد مباشر بعد رؤية النبيِّ في أوَّل شبابِهِ .

ففي رواية الطبري قال :

[.. إنَّ أبا طالب خرجَ في ركبٍ من قريش إلى الشام تاجراً ، فلما تهيَّأ للرحيل وأجمع السير « تعلّق » به رسول الله ﷺ فرقَّ له أبو طالب ، فقال : والله لأخرجنَّ به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً ،

فخرج به معه ، فلما نزل الركب « بصرى » من أرض الشام ، وبها « راهبٌ » يقال له « بحيرا » في صومعة له ، وكان ذا علم مِن أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة ، وهو راهب إليه يصيرُ علمهم (أي النصارى) عن كتابٍ فيما يزعمون يتوارثونَهُ كابراً عن كابر ، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا صنع لهم طعاماً كثيراً وذلك انه رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعته عليه غمامةٌ تظلّه من بين القوم ،

ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظلِّ شجرةٍ قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلَّت الشجرة وهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ ، حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك « بحيرا » نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم ، فدعاهم جميعاً ، فلما رأى بحيرا رسولَ اللهِ ﷺ جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء مِن جسده قد كان يجدُهَا عنده من صفته ، فلما فرغ القوم من الطعام وتفرَّقُوا سأل (بحيرا) رسولَ اللهِ ﷺ عن أشياء في حاله في يقظته وفي نومه ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره ، فيجدها بحيرا موافقةً لما عنده مِن صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه .

ثم قال بحيرا لعمِّه أبي طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . فقال له بحيرا : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيَّاً ! قال : فإنه ابنُ أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمُّهُ حبلى به . قال (بحيرا) : صدقت ، ارجع به إلى بلدك ، واحذر عليه يهود ، فوالله لَئِن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ليبغنَّه شرَّاً ، فانه كائنٌ له شأنٌ عظيم . فأسرع به إلى بلده . فخرج به عمُّهُ سريعاً حتى أقدمه مكة][18] .

وفي المتون المتعدِّدة الأصول رواياتٌ وشهاداتٌ مذهلة ، تشيرُ إلى الدهشة التي كانت تحيط باليهود والنصارى من شدّة « ظهور علامات النبوّة » في النبيِّ محمّد ﷺ .

وقد اتَّفقت كلمةُ « اليهود والنصارى » آنذاك : أنَّ « النبيَّ الموعود » الذي لا بدَّ منه ، لا محالة سيكون في بلاد « فاران » ، أي في بلاد العرب من مكَّة ..

ويتَّفق أهلُ الرواية والتاريخ مِن كلِّ الملل على أنَّ اليهود والنصارى كانوا يتحدَّثون بإسهابٍ ويقين عن نبيٍّ يبعثه الله ، عن مَهْدٍ جديدٍ للسماء ، عن مهبطٍ للوحي في أرضِ العرب ..

وهذا الأمر مقرَّر بشكلٍ كاملٍ وتام في العهدين القديم والجديد .

ففي رواية عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : كان الزبير بن باطا وكان أعلم اليهود يقول : [.. اني وجدتُ سفراً كان أبي يختمه عليَّ ، فيه ذكرُ « أحمد » ، نبيٌّ يخرج بأرض القرظ ، صفته كذا وكذا ، فتحدَّث به الزبير بعد أبيه ، والنبيُّ ﷺ لم يُبعث ، فما هو إلا أن سمع بالنبيِّ ﷺ قد خرج

بمكة ، حتى عمد إلى ذلك السفر فمحاهُ ، وكتم شأن النبي ﷺ وقال : ليس به][19] .

وفي رواية كريب عن ابن عباس قال :

[.. كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي ﷺ عندهم قبيل أن يُبعث ، وأنَّ دار هجرته بـ « المدينة » ، فلما وُلِدَ رسولُ اللهِ ﷺ قالت أحبار اليهود : وُلِدَ أحمدُ الليلة ، هذا الكوكبُ قد طلع . فلما تنبَّئ قالوا : قد « تنبَّئ أحمد » ، قد طلع الكوكب الذي يطلع . وكانوا يعرفون ذلك ..][20] .

وفي رواية عاصم بن عمر بن قتادة عن نملة بن أبي نملة عن أبيه قال :

[كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكرَ رسولِ اللهِ ﷺ في كتبهم ، ويعلِّمُونَهُ الولدان بصفته واسمه ومهاجره إلينا . فلما ظهر رسولُ اللهِ ﷺ حسدوا وبغوا][21] .

وهكذا في كثيرٍ من النصوص « شهادة مطلقة » بضرورة نبوّة محمَّد ﷺ ، وقد سجَّلها القرآنُ احتجاجاً عليهم . فضلاً عمَّا في متون الكتاب المقدّس التي تؤكِّد هذه الحقائق .

.. وعليه : الكتاب المقدَّس يؤكِّد أنَّ « النبوات السابقة » قد مضت ، وانَّ العالم يتحضَّر لـ « نبوَّةٍ جديدة » ، هذه النبوَّة ذات قداسة خاصّة ، ومواصفاتٍ عالية ، إنّها نبوّة جديدة في أرضٍ جديدةٍ وزمانٍ جديد ونبيٍّ جديد . وكما في الكتاب : [.. سماء جديدة ، وأرض جديدة ، لأنَّ السماء الأولى والأرض الأولى قد مضتا ..][22] .

إنّها « أرضٌ جديدةٌ » ، يُبعَثُ فيها « نبيٌّ جديدٌ » ، يكون منه الذي يخرجُ في « آخر الزمن » فيُقِيمُ الأرضَ بالقوَّة على « القسط والعدل » بعدما امتلأت ظلماً وفساداً . ويكون مهدُ النبوَّة الجديدة « أورشاليم الجديدة » المختلفة عمَّا سبقها . ليست في مصر أو فلسطين ، إنّها في بلاد العرب ، حيث تتلألأ النبوة الجديدة مِن « جبال فاران » ..

إنّه البركليت .. أو شيلوه .. هو نفسه صاحب نبوّة جبال فاران .. وهو المقصود في وصيّة يعقوب .. والمَعنِي بكتاب أشعياء ..

وفوق هذا وذاك :

إنّه من وُلدِ إسماعيل لا إسحاق ، بنص الكتاب المقدَّس ..! وهذا أمر شديد الدقَّة والبرهان والدلالة ..

هو النبيُّ الذي طالما ذكرته اليهود ، وحدَّثت العربَ به ، وطار صيتُهُ في الآفاق . وأقرَّت بهِ النصارى ، واحتوت الكُتُبُ على صفاتِهِ وعلامات مبعثه وظهوره . بل كانت اليهود صريحةً في أنَّهُ من « وُلدِ إسماعيل » لا إسحاق .

وفي رواية عامر بن ربيعة قال : سمعت زيد ابن عمرو بن نفيل يقول :

[أنا أنتَظِرُ نبيَّاً مِن « وُلدِ اسماعيل » ثم مِن بني « عبد المطلب » ، ولا أراني أُدركه ، وأنا أُومِنُ به ، وأصدِّقُهُ ، وأشهد أنه نبيٌّ ، فإنْ طالت بك مدة فرأيته ، فأقرئه منِّي السلام ، وسأخبرك ما نعتُهُ ، حتى لا يخفى عليك . قلت : هلمَّ . قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينيه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ،

وهذا البلد (مكّة) مولِدُهُ ومبعثه ، ثم يُخرِجُهُ قومُهُ منها ، ويكرهون ما جاء به ، حتى يهاجر إلى يثرب (المدينة) ، فيظهر أمرُهُ . فايَّاك أن تُخدَع عنه ، فإنِّى طفتُ البلاد كلَّها لطلبِ دين ابراهيم ، فكلُّ مَن أسأل مِن اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدِّين وراءك ، وينعتونه مثلما نعتُّهُ لك ، ويقولون : لم يبق نبيٌّ غيره][٢٣] .

تفاصيل مذهلة ، وتطابق كامل ، وشهادات يهوديَّة - نصرانيَّة كثيرة في نبوَّة رسول اللهِ محمّد ﷺ ..

بل في الكتاب المقدَّس وردت فقرات غزيرة لبيان نبوَّة المبعوث في بلاد فاران . إلى درجة الذهول .. تفصيل واردة في الأرض والنواحي والشخص والصفات والعاصمة الإلهيّة ، وأركان الدِّين الجديد مِن القيادة التي تكون بعد النبيِّ ..! فالمدينة النبويّة الجديدة لا هيكل فيها : [.. لم أجد في المدينة هيكلاً ..!][٢٤] . يريدُ النصُّ مِن ذلك : التمييز بين بلاد الهيكل ومهد النبوَّة الجديدة التي ستكون في المستقبل . وهذا ما أقرَّ بهِ أهل اللاهوت حيث قالوا في التفسير : [التفسير الصحيح هو أنَّ هذه النبوءة لم تتم بعد وستتم في المستقبل][٢٥] .

إذن هي عبارة عن مدينة إلهيّة مقدَّسة ، ذات نظامٍ خاص ، ومفهوم ينطبق على مواثيق النبوَّة الجديدة التي يُبعَثُ بها « الأمين الصادق » في جبال فاران .

وفي « كُتُب السيرة » أنَّ « سلمان الفارسي » خدم كبار علماء النصارى ، وبقي عمراً على ذلك ، وقد أخبروه بأنَّ عهدَ نبيٍّ لا بدَّ هو مبعوث قد أطلَّ ، وأنّه يكون في بلاد فاران ، وحين دنت الوفاة من آخرهم

أرشدهُ إلى بلاد النبيِّ الموعود فقال له : عليك ببلاد العرب في منطقة يكثر فيها النخيل ، فإنَّ « الأمين الصادق » يخرج من هذه البلدة ، وذهب سلمان فرأى « الأمين الصادق » في بلاد النخيل .

ولأهميَّة هذه القصَّة التي نُقِلت في التاريخ بأصولٍ كثيرة ، ولِمَا يعنيه سلمان العالِم ، وما تعنيه حيطة العلوم وتأكيد أرباب العلم المسيحي آنذاك عليه أن يقصد « بلاد فاران » ، ليكون فيها ، تمهيداً لرؤية بعثة النبيِّ الموعود ، أنقل واحداً من المتون التي حدَّث بها سلمان نفسه عن ذلك .

فقد روى عبد الله بن عباس قال : حدّثني سلمان الفارسى وأنا أسمع من فيه (فمه) قال :

[كنتُ رجلاً فارسيًّاً مِن أهل أصبهان ، من قريةٍ يُقال لها « جي » ، وكان أبي دهقان قريته ، وكنتُ أحَبَّ خلقِ اللهِ إليه ، لم يزل به حبُّهُ إيّاي حتى حبسني في بيته كما تُحبَسُ الجارية ، واجتهدتُ في « المجوسيَّة » حتى كنتُ قطن النار الذي يوقدها ، لا يتركها تخبو ساعة . قال : وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمةٌ ، فشغل في بنيانٍ له يوماً ، فقال لي : يا بُني ، إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي ، فاذهب إليها فاطلعها . وأمرني فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لي : ولا تحتبس عنِّي ، فإنَّك إنْ احتبستَ عنِّي كنتَ أهمَّ إليَّ مِن ضيعتي ، وشغلْتَنِي عن كلِّ شيئٍ مِن أمري .

قال : فخرجتُ أريدُ ضيعتَهُ التي بعثني إليها ، فمررتُ بكنيسة مِن « كنائسِ النصارى » ، فسمعتُ أصواتهم فيها وهم يُصلُّون ، وكنتُ لا أدري ما أمرُ الناس ، وذلك لحبسِ أبي إيَّايَ في بيته ، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم أنظرُ ما يصنعون ، فلما رأيتُهُم أعجبتني صلاتُهُم ، ورغبتُ في

أمرهم ، وقلت : هذا واللهِ خيرٌ مِن الدِّينِ الذي نحنُ عليه ، فـواللهِ مـا بـرحتُهُم حتى غربت الشمس ، وتركتُ ضيعةَ أبي فلم آتِهَا .

ثم قلت لهم : أين أصْلُ هذا الـدِّين ؟ قـالوا : بالشـام . فرجعـتُ إلـى أبي ، وقد بعثَ في طلبي . وشغلتُهُ عن عملهِ كُلِّه . فلمَّا جئتُهُ قال : أي بُنَـيَّ ، أين كنتَ ؟ أوَ لم أكن عهدتَ إليَّ ما عهدت ؟ قلتُ له : يا أبتِ مـررتُ بأنـاسٍ يصلُّون في كنيسةٍ لهم ، فأعجبني ما رأيتُ مِن دينهم ، فواللهِ مازلتُ عنـدهم حتى غربت الشمس .

قال : أيْ بُنَيَّ ، ليس في ذلك الدِّينِ خيرٌ ، دينُكَ ودِيـنُ آبائـك خيـرٌ منه . قلتُ له : كلَّا واللهِ ، إنه لَخيرٌ مِن ديننا . قـال : فخـافني أبـي فجعـل فـي رجلي قيداً ، ثم حبسني في بيته . قال : وبعثتُ إلى النصارى فقلتُ لهـم : إذا قدم عليكم ركبٌ مِن الشام فأخبروني بهم .

قال : فقدمَ عليهم ركبٌ مِن الشامِ ، تُجَّارٌ مِن النصارى ، فـأخبروني بهم ، فقلتُ لهم : إذا قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرجعةَ إلى بلادهم فـآذنوني بهم . قال : فلما أرادوا الرجعةَ إلى بلادهم أخبروني بهم فألقيت من رجليَّ ، ثم خرجتُ معهم حتى قدمتُ الشام .

فلما قدمتها قلت : مَن أفضلُ أهلِ هذا الدِّينِ علمـاً ؟ قـالوا : الأسـقف في الكنيسة . قال : فجئتُهُ ، فقلتُ له : إنّي قد رغبتُ في هذا الـدِّين ، فأحببـتُ أن أكونَ معك ، وأخدمك في كنيستك ، فأتعلَّم منك ، وأصلِّي معك . قـال : ادخل ، فدخلتُ معه . قال : وكان رجلَ سوءٍ ، يأمرهم بالصـدقة ، ويـرغِّبُهُم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنـزهُ لنفسه ، ولم يُعطهِ المساكين ، حتى جمعَ سبعَ قلالٍ مِن ذهب وورق (ذهب وفضّة) .

قال : فأبغضتُهُ بغضاً شديداً لِمَا رأيتُهُ يصنع ، ثم مات فاجتمعَت إليه النصارى ليدفنوه ، فقلتُ لهم : إنَّ هذا كان رجلَ سوءٍ ، يأمركم بالصدقة ويرغِّبُكُم فيها ، فإذا جئتموهُ بها اكتنزها لنفسه ، ولم يُعطِ المساكينَ منها شيئاً . فقالوا لي : وما علمُك بذلك ؟ قلت لهم : أنا أدلُّكُم على كنزه . قالوا : فدلَّنا عليه ، قال : فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا منه سبعَ قلالٍ مملوءةٍ ذهباً وورقاً . فلما رأوها قالوا : واللهِ لا ندفنه أبداً . فصلبوه ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجلٍ آخر فجعلوه مكانه .

قال إبن عبَّاس : يقول سلمان :

« فما رأيتُ رجلاً لا يُصلِّي الخمس ، أرى أنه كان أفضل منه وأزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه . فأحببتهُ حبَّاً لم أحبّه شيئاً قبله . فأقمت معه زمناً طويلاً ، ثم حضرَتْهُ الوفاةُ ، فقلت له : يا فلان ، إنِّي قد كنتُ معك ، وأحببتك حبَّاً لم أحبّه شيئاً قبلك ، وقد حضرك ما ترى مِن أمرِ اللهِ تعالى ، فإلى مَن تُوصي بي ؟ وبِمَ تأمرني ؟

قال : أي بُنَيَّ ، واللهِ لا أعلمُ اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناسُ ، وبدَّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالموصل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه ، فالْحَق به . قال سلمان : فلمَّا مات وغُيِّب ، لحقتُ بـ « صاحبِ الموصل » ، فقلتُ له : يا فلان ، إنَّ فلاناً أوصاني عند موتِهِ أنْ ألحق بِك ، وأخبرني أنَّك على أمره ، فقال لي : أقم عندي ، فأقمتُ عنده ، فوجدتَهُ خيرَ رجلٍ على أمرِ صاحبه ، فلم يلبث أنْ مات . فلما حضرَتهُ الوفاة قلتُ له : يا فلان ، إنَّ فلاناً أوصى بِي إليك ، وأمرني باللحوقِ بِك ، وقد حضرَكَ مِن أمرِ اللهِ ما ترى ، فإلى مَن توصي بي ؟ وبِمَ تأمرني ؟

قال : يا بُنيَّ ، واللهِ ما أعلمُ رجلاً على مثل ما كنَّا عليه ، إلا رجلاً بنصيبين ، وهو فلان ، فالْحَق به . فلما مات وغُيِّبَ لحقتُ بـ « صاحب نصيبين » ، فأخبرته خبري ، وما أمرني به صاحبه ، فقال : أقم عندي ، فأقمت عنده ، فوجدتُه على أمرِ صاحِبَيه ، فأقمتُ مع خيرِ رجلٍ ، فواللهِ ما لبثَ أن نزل به الموت ، فلما حضر قلتُ له : يا فلان ، إنَّ فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ، وإنَّ فلاناً أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلانٌ إليك . فإلى مَن توصي بي ؟ وبمَ تأمرني ؟

قال : يا بُنَيَّ ، واللهِ ما أعلمُ انَّه بقي أحدٌ على أمرنا آمُرُكَ أن تأتيه إلا رجلاً بـ « عمورية » من أرضِ الروم ، فإنَّهُ على مثل ما نحنُ عليه ، فإن أحببتَ فأتِه فإنَّهُ على أمرنا . فلما مات وغُيِّبَ لحقتُ بـ « صاحب عمورية » فأخبرته خبري ، فقال : أقم عندي ، فأقمتُ عندَ خيرِ رجلٍ ، على هدى أصحابه وأمرهِم . قال : واكتسبتُ حتى كانت لي بقراتٌ وغنيمة . ثم نزل به أمرُ اللهِ تعالى ، فلما حضر قلتُ له : يا فلان ، إني كنتُ مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى مَن تُوصى بي ؟ وبِمَ تأمرني ؟

قال : أي بنيَّ ، واللهِ ما أعلمه أصبح اليوم أحدٌ على مثل ما كُنَّا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظلَّ زمانُ نبيٍّ ، وهو مبعوثٌ بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بـ « أرض العرب » ، مهاجره إلى أرضٍ بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفى : يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإنْ استطعتَ أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

قال سلمان : ثم مات وغُيِّب ، ومكثتُ بعمورية ما شاء اللهُ أن أمكث ، ثم مرَّ بي نَفَرٌ من « كلب » تجَّار ، فقلتُ لهم : احملوني إلى أرضِ العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه ، قالوا : نعم ، فأعطيتهموها وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا « وادي القرى » ظلموني فباعوني مِن « رجلٍ يهوديٍّ » عبداً ، فكنتُ عنده ، ورأيتُ النَّخلَ ، فرجوتُ أن يكونَ البلد الذي وصف لي صاحبي ، ولم يحق في نفسي .

فبينا أنا عنده إذا قدم عليه ابن عمٍّ له مِن بني قريظة من المدينة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فواللهِ ما هو إلا أنْ رأيتُهَا فعرفتها بصفةِ صاحبي ، فأقمتُ بها ، وبُعثَ رسولُ الله ﷺ ، فأقام بمكّة ما أقام ، لا أسمع له بذكرٍ ، مع ما أنا فيه مِن شغل الرقِّ ، ثم هاجَرَ إلى المدينة ،

فواللهِ إني لفي رأس عذق (نخلة) لسيِّدي ، أعمل له فيه بعض العمل ، وسيدي جالس تحتي ، إذا أقبل ابنُ عمٍّ له حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان ، قاتل اللهُ بني قيلة ، واللهِ إنَّهم الآنَ لَمجتمعونَ بـ « قباء » على رجلٍ قَدمَ عليهم مِن مكة اليوم ، يزعمون أنه نبيٌّ .

قال سلمان : فلمَّا سمعتها أخذتني العرواء (الرجفة) حتى ظننتُ أنّي سأسقط على سيِّدي ، فنزلتُ عن النخلة ، فجعلتُ أقول لابن عمِّه ذلك : ماذا تقول ؟ فغضب سيِّدي ، فلكمني لكمةً شديدة ، ثم قال : مَا لكَ ولهذا ! أقبِل على عملِك . قلت : لا شيئ ، إنما أردتُ أن أستثبته عمَّا قال .

قال سلمان : وقد كان عندي شيئ قد جمعتُه ، فلما أمسيتُ أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسولِ الله ﷺ وهو بقباء ، فدخلتُ عليه ، فقلت له : إنه قد بلغني أنَّكَ رجلٌ صالح ، ومعك أصحابٌ لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيئ

قد كان عندي للصدقة ، فرأيتُكُم أحقَّ به من غيركم ، قال : فقرّبتُهُ إليه ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابه : كُلُوا . وأمسك يدَهُ ﷺ فلم يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه واحدةٌ . قال : ثم انصرفتُ عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحوَّلَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى المدينة ، ثم جئتُهُ بِهِ فقلتُ له : إنّي قد رأيتُك لا تأكل الصدقة ، وهذه هديَّةٌ أكرمتُكَ بها . قال : فأكل رسولُ اللهِ ﷺ منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه .

قال : فقلت في نفسي : هاتانِ اثنتان ، ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ وهو بـ « بقيع الغرقد » ، قد تبِعَ جنازةَ رجلٍ من أصحابه ، وعليَّ شملتانِ لي ، وهو جالسٌ في أصحابه ، فسلَّمتُ عليه ، ثم استدرتُ أنظر إلى ظهره ، هل أرى « الخاتم » الذي وصف لي « صاحبي » ، فلما رآني رسولُ اللهِ ﷺ استدبرتُهُ عرفَ أنِّي أستثبتُ في شيئ وُصِفَ لي ، فألقى رداءَهُ عن ظهرِهِ ، فنظرتُ إلى الخاتم فعرفته ،

فأكببتُ عليه أقبِّلُه وأبكي ، فقال لي رسولُ الله : تحوَّل ، فتحوَّلتُ فجلستُ بين يديه ، فقصصتُ عليه حديثي كلَّه ، منذ يومي الأوّل الذي رأيتُ فيهِ « كنيسةَ النصارى » إلى يومِ مجيئي إلى هنا . فأعجب رسولَ اللهِ ﷺ أن يسمع ذلك أصحابُه . ثم شغل سلمان « الرقّ » حتى فاتَه مع رسول الله ﷺ بدر وأحد .

قال سلمان : ثم قال لي رسول الله ﷺ : كَاتِب يا سلمان . فكاتبتُ صاحبي على « ثلاث مئة نخلة » أحييها له بالفقير ، وأربعين أوقية . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : أعينوا أخاكم . يقول سلمان : فأعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين وديـة ، والرجل بعشرين وديـة ، والرجل بخمس عشرة

ودية ، والرجل بعشر ، يعين الرجلُ بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلاث مئة ودية ، فقال لي رسولُ الله ﷺ : اذهب يا سلمان ففقر لها ، فإذا فرغت فأتني أكن أنا أضعها بيدي . قال : ففقرت وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته ، فخرج رسولُ الله ﷺ معي إليها ، فجعلنا نقرِّب إليه الودى ، ويضعه رسولُ اللهِ ﷺ بيده ، حتى فرغنا . يحلف سلمان فيقول : فوالذي نفسُ سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة ..][٢٦] .

لاحِظ : كلُّ الشهادات في التاريخ العام ، وفي دواوين أهل اللاهوت ، وفي القرآن ، وفي الوثائق والكُتُب ، تركّز على نبوّة المستقبل ، على نبيٍّ جبال فاران ، على أورشاليم الجديدة ، على ضرورة وحتميّة نبيٍّ أخير يكون بعد المسيح عليه السلام ، على نبوّة تكون من وُلدِ إسماعيل لا إسحاق . على نبيٍّ يُبعثُ بالشريعة لا التعاليم فحسب ، ويكون مبعثُهُ في مكّة ومهاجره إلى المدينة .

يتَّفق الشُرَّاح على أنَّ « أورشاليم الجديدة » هي عاصمة « إلهيّة جديدة » ، تكون مهداً لنبيٍّ جديد . وأنَّ أورشاليم القدس ، ليست هي لأنَّ متون الكتاب المقدّس واضحة في انَّ الذي يبني الهيكل المزيَّف هو النبيُّ الكذاب الذي يسعى في الأرض فساداً ..

وهو أمر قطعي عند أهل الكتاب : أنَّ أورشاليم الجديدة هي مختلفة عن أورشاليم القدس . إنّها منطقة لا بدَّ واقعة في جبال فاران (مكّة) ، ولا يمكن أن تكون في أورشاليم القدس ، لأنَّ الأرض جديدة ، والسماء جديدة ، والنبي جديد والموعود في فقرات الكتاب هو نبيٌّ جبال فاران . ثمَّ هيكل المستقبل سيبنى بواسطة النبي الكذاب في القدس . وانَّ اورشاليم الجديدة

ستكون في مكان آخر لنبيٍّ آخر أطلقت عليه متون الكتاب المقدّس إسم « الأمين الصادق » ، وهناك جبلٌ يطلُّ في أرضه التي يبعثُ فيها على بيت العبادة (بيت الرب) في منقطة « فاران » التي يُبعثُ فيها نبيّاً ، وتلك الأرض لا بحر فيها ، وخصوصيَّة بيت العبادة ذاك أنّه مكعَّب ..!

واضح من النص أنَّ « النبوَّة الأخيرة » ذات العظمة الموصوفة تكون في منطقة « فاران » ، أي في مكَّة ،

وأنَّ هذا النبي يُبعث بـ « الشريعة » ،

ويكون صاحب « الصولجان » ،

وأنّه لا يكون من نسل إسحاق بل من نسل إسماعيل ،

ويكون دينُهُ إلى الأبد ..

وأنَّ صفة تلك المنطقة التي يُبعثُ منها يكون فيها بيت للعبادة له نعتٌ خاص ، وله قداسة خاصّة ، يشكِّل عمق تلك المدينة المقدّسة .

وله مواصفات تجعله مميَّزاً عن بيوت العبادة في كلِّ الدنيا على الإطلاق فقد ورد في الكتاب المقدّس : [.. وكانت أرض المدينة « مربّعة » ، طولها يساوي عرضها ..][٢٧] . قالوا في التفسير : [تكون المدينة هذه مكعَّبة[٢٨] ..!] .

إذن لا بدَّ من نبيٍّ يكون على أثر نبوَّة موسى والمسيح عليهما السلام ، لا يكون في سيناء ولا سعير ، إنّما في منطقة جبال فاران (مكّة) ، حيث بيتُ الربِّ المكعَّب (الكعبة) يطلُّ عليه « جبل » مِن هناك (غار حراء) يرى معه الناظر بيتَ الربِّ ، وأنَّ هذا النبي مبعوث بـ « الشريعة والتعاليم » ، وله الصولجان ، وأنَّه « البركليت » ، وأنَّه شيلوه ، ومِن وُلدِ إسماعيل ، وأنّه النبي الخاتم ودينُهُ العالمي إلى الأبد ..

ثم يلفت الكتاب المقدَّس وتفسيرات اللاهوت إلى أمورٍ خاصَّة جداً موجودة في هذه « المكعَّبة » (بيت الرب) التي تشكِّل بيت العبادة للنبيِّ العالمي الجديد الذي يعتبر من أعظم النبيين على الإطلاق ويبقى دينُهُ إلى الأبد ، فيشير إلى حجر موجود بالمكعَّبة ! : [.. في المنظر شبه حجر اليشبَّ والعقيق ..][٢٩] . وفي مكان الحجر من البناء يقول هملتون في كشف المستقبل : [انّها مكعَّبة الشكل ، واساس سور المدينة مزيَّن بحجرٍ كريم][٣٠] . بربِّك : هل يوجد دقّة بعد أكثر من هذا ..!

إنّه يؤكِّد وجود « حجر خاص » في أساس بيت العبادة الإلهي ذاك ، هذا الحجر له « كرامة فريدة » ، إنّه حجرٌ كريم ..! يستمدُّ كرامته من خصوصيّةٍ فريدةٍ للربِّ دخالةٌ فيها ..! قطعاً هو « الحجر الأسود » الذي نزلت به الملائكة من الجنّة والموجود في اساس الكعبة ، وتراه عيون أهل الدنيا كلّها ..!

والكعبة باتفاق جميع الرواة والمؤرِّخين مبنيَّةٌ بأمرِ الله تعالى منذ يوم آدم عليه السلام ، وقد جدَّدَ إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام بناءها ، ولها تاريخٌ من القداسة . وكانت الأمم تحترمها وتجلّها ..

وفي أكثر من متنٍ منقولٍ بأصولٍ متنوَّعة : انَّ الكعبة وحجرها الأسود كانت مقدَّسة مُعَظَّمة عند الامم المختلفة ، فقد كانت الهنود يعظمونها ويقولون : إنَّ روح « سيفا » وهو الاقنوم الثالث عندهم حلَّت في الحجر الأسود حين زار مع زوجته بلاد الحجاز .

وكانت الصائبة من الفرس والكلدانيين يعدُّونها أحد البيوت السبعة المعظمة ، وربما قيل : إنه بيت زحل لقدم عهده وطول بقائه .

وكانت الفرس يحترمون الكعبة زاعمين أنَّ روح هرمز حلَّت فيها ، وربما حجُّوا إليها زائرين .

وكانت اليهود يعظمونها ويعبدون اللهَ فيها (في وقتٍ ما) على دين إبراهيم ، وكان بها صور وتماثيل ، منها تمثال إبراهيم وإسماعيل ، وبأيديهما الأزلام ، ومنها صورتا العذراء والمسيح ، ويشهد ذلك على تعظيم النصارى لأمرها أيضا كاليهود .

وكانت العرب أيضا تعظِّمها كل التعظيم ، وتعدها بيتاً لله تعالى ، وكانوا يحجُّون إليها مِن كلِّ جهة ، وهم يعدون البيت بناءً لإبراهيم ، والحج من دينه الباقي بينهم بالتوارث .

وعليه : الحجر الأسود منذ الأزمان القديمة مقدَّسٌ ، والنصوص كثيرة وعلى لسان الأنبياء : أنَّ هذا الحجر نزلت به الملائكة من الجنّة مع آدم وحواء ، ووُضِع بأساس البيت .

وفي رواية البيهقي عن خالد بن عرعرة . قال : سألَ رجلٌ عليَّاً عن قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ أهو أول بيت بني في الارض ؟ .. إلى أن قال : فبنى إبراهيم عليه السلام حتى بلغ مكان الحجر ، قال لابنه : ابغني حجراً . فالتمس حجراً حتى أتاهُ به ، فوجد الحجر الاسود قد ركب . فقال لأبيه : مِن أين لك هذا ؟ قال عليه السلام : جاء به جبريل من السماء[٣١] ..

قال : فمرَّ عليه الدهرُ فانهدم ، فبنتهُ العمالقة ، ثم انهدم فبنته جرهم . ثم انهدم فبنته قريش ورسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ رجل شاب . فلما أرادوا أن

يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا : نحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة ، فكان رسول الله ﷺ أوّل من خرج عليهم ، فقضى بينهم أن يجعلوه في مرط[٣٢] ثم ترفعه جميع القبائل كلهم .

وقد اتّفقت الرواية : أنَّ العرب لمَّا رأت رسول الله ﷺ قالوا : هذا الصادق الأمين ، رضينا به . فكان ان تولّى أخذ هذا الحجر المبارك ليضعه في مكانِهِ الشريف . وليس هذا الحجر وحده مقدَّس فحسب ، بل هناك مجموعة من العناوين التي طرأت على هذا البيت بدت على نحوٍ إعجازي ، منها ماء زمزم التي اشتهرت بنحوٍ خاص من القداسة . وفي نص الكتاب المقدّس عن هذه العين : [.. ومن يرد فليأخذ ماءَ الحياة مجاناً ..][٣٣] .

وفي تفسير علي بن ابراهيم ، مسنداً الى الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال :

[.. انَّ ابراهيم عليه السلام كان نازلاً فى بادية الشام ، فلما ولد مِن هاجر اسماعيل اغتمّت سارة مِن ذلك غمَّاً شديداً لانه لم يكن له منها ولد .. فأوحى اللهُ تعالى إليه وامره ان يُخرِج اسماعيل وامَّهُ عنها ، فقال : يا ربِّ الى أي مكان ؟ فقال : الى حرمي . فانزل عليه جبرائيل عليه السلام بالبراق ، فحمل هاجر واسماعيل عليهما السلام ، وكان ابراهيم عليه السلام لا يمرُّ بموضعٍ حَسَنٍ فيه شجر ونخل وزرع إلا وقال : يا جبرائيل الى ها هنا ؟ فقال عليه السلام : لا ، امض . حتى وافى مكة فوضعه موضع البيت ..

فلما نزلوا فى ذلك المكان كان فيه شجر ، فالقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها ، فاستظلّوا تحته ، فلما .. اراد الانصراف الى سارة قالت له هاجر : يا ابراهيم ، تدعنا في موضع ليس فيه انيس ولا ماء ولا

زرع ؟ فقال ابراهيم ﷺ : الذي امرني أن اضعكم في هذا المكان هو يكفيكم . ثم انصرف عنهم ، فالتفتَ إليهم ، فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ، عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ ، فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧/١٤﴾ ، فبقيت هاجر . فلما ارتفع النهار عطش اسماعيل وطلب الماء ، فقامت هاجر في الوادي في موضع المسعى ، فنادت هل في الوادي من انيس ؟ فغاب اسماعيل عنها ، فصعدت على الصفا ، ولمع لها السراب في الوادي وظنَّت انه ماء ، فنزلت في بطن الواد وسعت ، فلما بلغت المسعى غاب عنها اسماعيل ، ثم لمع لها السراب في موضع الصفا ، فهبطت الى الوادي تطلب الماء ، فلما غاب عنها اسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت حتى فعلت ذلك سبع مرات ، فلما كان في الشوط السابع ، وهي على المروة نظرت الى اسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه ، فجمعت حوله رملاً ، فانَّهُ كان سائلاً فزمَّته بما جعلت حوله ، فلذلك سمِّي زمزم .

وكان « جرهم » نازلة بـ « عرفات » ، فلما ظهر الماء بمكة ، وعكفت الطير والوحوش عليه ، اتبعوها حتى نظروا الى امرأة وصبي نازلين في ذلك الموضع قد استظلا بشجرة ، قد ظهر الماء لهما ، قال لهاجر : مَن انت وما شأنك وشأن هذا الصبي ؟ قالت انا ام ولد ابراهيم خليل الرحمان ، و هذا ابنه . فقالوا لها : فتأذنين لنا ان نكون بالقرب منكم ، ثم انها استأذنت ابراهيم ؟ فأذن لهم ، فنزلوا بالقرب منهم ، فأنست هاجر واسماعيل بهم ، فلما رآهم ابراهيم ﷺ في المرة الثالثة نظر الى كثرة الناس حولهم ، فسُرَّ بذلك سروراً شديداً .. فلما بلغ « إسماعيل » مبلغ الرجال ، أمر اللهُ عزَّوجلَّ ابراهيم ﷺ : ان يبني البيت (أي أن يعيد بناءه) ، فقال : يا ربِّ ، في أيَّة

بقعةٍ أنا ؟ قال : في البقعةِ التى انزلت على آدم « القبة » فأضاء لها « الحرم » فلم تزل القبة التى انزلها على آدم قائمة حتى كانت « ايام الطوفان » ، ايام نوح عليه السلام ،

فلما غرقت الدنيا ، رفع اللهُ تلك القبة وغرقت الدنيا ، فسميت « البيت العتيق » ، لانه اعتق من الغرق ، فلما امر اللهُ عزوجل ابراهيم ان يتّخذ البيت . فلم يدرِ في أي مكان ؟ فبعث الله عزَّ وجلَّ جبرائيل عليه السلام ، فخطَّ له موضع البيت .

فأنزل اللهُ عليه القواعد من الجنة ، وكان الحجر الذي انزله الله على آدم اشدَّ بياضاً من الثلج فلمَّا مسَّتهُ ايدي الكفار إسوَدَّ . فبنى ابراهيمُ البيتَ ونقل اسماعيل الحجر (أحجار بناء الكعبة) من ذي طوى ، فرفعه في السماء تسعة اذرع .

ثم دلَّهُ (جبرائيل) على موضع الحجر فاستخرجه ابراهيم عليه السلام ووضعه في موضعه الذي هو فيه الآن ، وجعل له بابين باباً الى المشرق وباباً الى المغرب ، يسمَّى المستجار ، ثم القى عليه الشجر والأذخر ، وعلقت على بابه كساء ، فلما بناه وفرغ منه حج ابراهيم واسماعيل ونزل عليهما جبرائيل عليه السلام يوم التروية ، فقال جبرائيل عليه السلام : قم فارتوا من الماء . لأنه لم يكن بمنى وعرفات ماء ، فسميت التروية لذلك . ثم قال ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [٣٤] . وهناك ذكَّر إبراهيم عليه السلام الأممَ بنعمة الله العظمى ، مبشِّراً بأنّ الله تعالى سيبعث في هذه الأرض الرسولَ الخاتم للنبيين ، وهو الأعظم في المرسلين ، وأنَّ دينه سيكون الأبدي إلى الأبد ، حتى قيام

الساعة .. لذلك ورد في الكتاب المقدَّس حول دِّين أورشاليم الجديدة في أرض فاران : [سأكتب عليه إسم إلهي ، واسم مدينة إلهي .. واكتب عليه اسمي الجديد ..][35] . وقالوا في التفسير : « هذه المدينة التي كان إبراهيم يتطلَّع إليها بشوق[36] ! » ، وعنه يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧/٢﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨/٢﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩/٢﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠/٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١/٢﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢/٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣/٢﴾

إنَّها تختصر لنا بشارةَ إبراهيم عليه السلام بـ « النبيِّ الخاتم الأعظم » التي أوصى بها أبناءَهُ وأهله وأتباعه ، كما وصَّى بها يعقوب بَنِيهِ أيضاً .

ومن يقرأ بشارة موسى ووصيّة يعقوب وبشارة المسيح ، وأخبار أشعياء في الكتاب المقدّس يدرك إعجاز هذه الآيات ، وعميق مدلولها ، وشدة التطابق الهائل ، والبرهان المبين في الدلالة على « سيّد المرسلين »

الذي بُعي رحمةً للعالمين في منطقة فاران (مكّة) ، قرب بيت الكعبة ، التي بُنيت منذ أن وطأت قدمُ الإنسان هذه الأرض ، ونزل حجرها الأسود من الجنّة ، وحين أمر اللهُ إبراهيمَ عليه السلام أن يُسكن ذريته هنا ، إنّما ليمهِّد للنبوّة العظمى التي ستكون من إسماعيل وليس من إسحاق في هذه الأرض المباركة ..

وفي « سفر التكوين » من الإصحاحِ التاسعِ والأربعين أنّ نبيّ اللهِ يعقوب عليه السلام قال لأبنائِه وهو يوصيهم :

[لا يزول صولجان من يهوذا ، ومشترع من « صلبِه » ، حتى يأتي « شيلوه » ، وتطيعهُ الشعوب][37] ..

إذن النبوَّة والشريعة – بإقرار الكتاب المقدَّس – ستنتقل من « نسل إسحاق » إلى « نسل إسماعيل » ، حين يأتي « شيلوه » الذي تطيعه الشعوب ..!

وهو ذلك النبيِّ الذي بشَّر بهِ المسيحُ قائلاً :

[.. ومتى جاء ذلك البركليت (أحمد) فإنَّهُ سيبكّت العالم على خطيئةٍ وعلى برٍّ وعلى دينونةٍ ..][38] .

وهو نفسه الوارد في البشارة المقدَّسة :

[.. جاء الربُّ من سيناء ، وأشرق عليهم من سعير ، وتلألأ من جبال فاران . حيث خرج وسط عشرة آلاف قدّيس ، تشعّ لهم من يمينهِ أنوار الشريعة . إنّه يحبّ أيضاً

جميع الشعوب ، جميع هؤلاءِ القدّيسين هم في يدك ، وهم جالسون عند قدميك يتلقّون أقوالك ..][٣٩] ..

فعلاً شيئ مذهل ..!

.. كلُّ الكتاب المقدَّس دليلٌ مطلق على النبوّة التي ستُبعث في فاران (مكّة) ، نبوّة يبقى دينُها إلى الأبد ، كما في أصرح متون الكتاب المقدّس وأهل اللاهوت ..! نبوّة تكون في فاران ، على أن يكون بيت العبادة في تلك العاصمة الإلهيّة مكعَّب ..! وأنّه عتيق ، ومعمور بإذن الربِّ ..! وقربه أي من بيت الربِّ تجري ماء الحياة ..! وقد قال اللاهوتيّون في التفسير : « عند مدخل البيت مياه تخرج[٤٠] .. ! وهذه النبع ماؤُه ماءُ حياةٍ لامعاً كالبلور[٤١] . فيها شفاء[٤٢] . ومن بيت الربِّ يخرج ينبوع ويسقي ماء السنط[٤٣] .. لا بحر ولا نهر في أورشاليم الجديدة . إلا أنَّ هناك نبع ينبع من بيت الرب (قرب البيت المقدّس الجديد « مهد النبوّة الجديدة ») ، فيه شفاء . لامعة كالبلور »[٤٤] .

حقيقةً شيئٌ مذهل ..! وصفٌ فائق التصوير لمياه زمزم التي تنبع من بيت الرب ، من الكعبة ومهد النبوّة مكّة ، التي خرجت بأمر إلهي ، ولِماءها خصوصيّة وصفة فريدة .. وهي بركة ونعمة وشفاء . فما أعظم وأدق هذه الأوصاف في مياه زمزم . إنها عين ماء لها « خصوصيّة إلهيّة » ، إنّها عين الحياة ، ماء ذات مواصفات وكرامات خاصّة .. إنّها ماء زمزم قرب الكعبة في مكّة التي تفجّرت بمشيئة الله تعالى لما نفّذ النبيُّ إبراهيم عليه السلام أمرَ الله تعالى في إسكانه هاجر وإسماعيل في أرضٍ لا زرع فيها ولا ماء ، نزولاً عند الأمر الإلهي في الأرض التي سيبعثُ الله فيها رسولاً[٤٥] ..

الأهم أنَّ الكتاب المقّدس يؤكّد أنَّ هذه المكعّبة ، التي في أساسها حجرٌ كريم ، وقربها تنبع مياهُ الحياة من بيت الربّ ، أنّ هذا البيت ليس من صنع البشر ..! بل هو من صنع الرب . وبالتالي ليست أبداً أورشاليم أو هيكل سليمان وشبه ذلك ..

إنَّها « بيت قديم » مقدَّس ، بيتٌ صنعه الربُّ منذ أوَّل الدَّهر ..

وفي التاريخ فضلاً عن الروايات الكثيرة : الكعبةُ مبْنِيَّةٌ منذ نزول آدم وحواء على الأرض ، والملائكة أنفسهم هم الذين وضعوا الحجر الأسود الذي نزلوا به من الجنّة ، وضعوه في أساسها ..! وأنّ إبراهيم وإسماعيل ﷺ هما اللذان جدَّدا بناءها بأمرٍ من الربِّ ..!

وقد قال الله تعالى عن الكعبة وقِدَمها :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٣/٩٦﴾ .

بحيث شكَّلت الكعبة أوَّل بيتٍ على الأرض لعبادة الله تعالى . وهي البيت العتيق .. إنّها المكعّبة كما في تسمية أهل الكتاب ، أو الكعبة كما في تسمية أهل الإسلام ، لا بحار فيها ، في جبال فاران (مكّة) ..! في أساسها حجرٌ كريم (الحجر الأسود) ، وقربها تجري مياه الحياة من بيت الربّ (زمزم) ، وعندها تجثو الرُّكَب ، وهي من صنع الرب لا صنع البشر ..! وفوق هذا وذاك ، نبيُّها جاءَ بمعجزٍ « مسموع » ، أي بكتابٍ يشكِّل الإعجاز الأعظم لأهل الأرض ، وإلى الأبد (القرآن الكريم) . وفي الكتاب المقدّس : [.. يرتلونه بترتيلة جديدة ..][٤٦] . وعليه : أتباع هذا الدِّين ، لهم كتابٌ مختلف

عن التوراة والإنجيل ، إنّه كتاب الربِّ الجديد في « أورشاليم الجديدة » ، عند البيت الجديد والأرض والسماء الجديدة .. هكذا وردت المعاني في متونٍ مختلفة من الكتاب المقدّس ..!

وعن القرآن وعظيم ما فيه روى الحارث الهمداني [٤٧] قال : دخلت المسجد ، فإذا أناسٌ يخوضون في أحاديث ، فدخلت على عليٍّ عليه السلام فقلت : ألا ترى أن أناساً يخوضون في الاحاديث في المسجد ؟ فقال عليه السلام : قد فعلوها ؟ قلت : نعم . قال : أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ستكون فتن .. قلت : وما المخرج منها ؟ فقال صلى الله عليه وآله :

كتابُ الله ، كتابُ اللهِ فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، هو الذي مَن تركه مِن جبار قصمه الله ، ومن ابتغى ا لهدى في غيره أضله الله ، فهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجباً ، هو الذي من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به اجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم [٤٨] ..

وقد قال الإمام علي عليه السلام بصفةِ القرآن :

ثم أنزل عليه – على النبي صلى الله عليه وآله – الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه ، وسراجا لا يخبو توقده ، وبحراً لا يدرك قعره ،

ومنهاجا لا يضل نهجه ، وشعاعا لا يظلم ضوءه ، وفرقانا لا يخمد برهانه ، وتبيانا لا تهدم أركانه ، وشفاء لا تخشى أسقامه ، وعزّاً لا تهزم أنصاره ، وحقا لا تخذل أعوانه ، فهو معدن الا يمان وبحبوحته ، وينابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل وغدرانه ، وأثافي الاسلام وبنيانه ، وأودية الحق وغيطانه ، وبحر لا ينزفه المنتزفون ، وعيون لا ينضبها الماتحون ، ومناهل لا يغيضها الواردون ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون ، وأعلام لا يعمى عنها السائرون وآكام لا يجوز عنها القاصدون ، جعله الله ريا لعطش العلماء ، وربيعا لقلوب الفقهاء ، ومحاجاً لطرق الصلحاء ، ودواء ليس بعده داء ، ونورا ليس معه ظلمة ، وحبلا وثيقا عروته ، ومعقلا منيعا ذروته ، وعزا لمن تولاه ، وسلما لمن دخله ، وهدى لمن ائتمّ به ، وعذرا لمن انتحله ، وبرهانا لمن تكلم به ، وشاهدا لمن خاصم به ، وفلجا لمن حاج به ، وحاملا لمن حمله ، ومطية لمن أعمله ، وآية لمن توسم ، وجنة لمن استلهم ، وعلما لمن وعى ، وحديثاً لمن روى ، وحكما لمن قضى ..[٤٩]

إنّه اعظمُ مُعجزٍ على الإطلاق ، بعثه اللهُ مع النبيِّ محمَّد ﷺ الذي أرسلهُ رحمةً للعالمين من أرض فاران (مكّة) ، ليبقى إعجازاً أبديّاً لكافة أهل الأرض ، وقد تعرّضتُ في كتابي « التوراة والإنجيل والقرآن » للإعجاز العلمي المذهل في القرآن وعرضتُ فيهِ ما تندهشُ منه العقول في عالم التكنولوجيا والتقنية شديدة التطوُّر ..!

وقد أوصى نبيُّ فاران بضرورة إتّباع هذا القرآن والنزول عند منازله ، فإنه « سفر الحياة » ، ومطيّة النجاح ، وهويّة المسير ، وضمانة الوجود ..

وكان ﷺ يخشى عليهِ من الحُكَّام الذين يُميتون الحقَّ ويحيون الباطل ، ويسعون في الأرض فساداً .. وقد قال ﷺ : [.. إنَّ رحى الإسلام ستدور ، فحيث ما دار القرآن فدوروا به . يُوشك السلطان والقرآن أن يقتتلا ويتفرقا ، إنه سيكون عليكم ملوكٌ يحكمون لكم بحكم ، ولهم بغيره ، فإنْ أطعتموهم أضلوكم ، وإنْ عصيتموهم قتلوكم . قالوا : يا رسول الله ، فكيف بنا إنْ أدركنا ذلك ؟ قال : تكونون كأصحاب عيسى ، نشروا بالمناشير ورفعوا على الخشب ، موتٌ في طاعة خير من حياة في معصية ..][٥٠] .

أي القرآن هو العمدة والميزان ، والحجّة على الخلق ، والهويّة للوجود ، والصلة بين الأرض والسماء ..

وفي لفظٍ آخر قال ﷺ : [.. إنَّ رحى الإسلام دائرة ، وإنَّ الكتاب والسلطان سيفترقان ، فدوروا مع الكتاب حيث دار ، وستكون عليكم أئمة إنْ أطعتموهم أضلوكم ، وإنْ عصيتموهم قتلوكم . قالوا : فكيف نصنع يا رسول الله ؟ قال : كونوا كأصحاب عيسى ، نصبوا على الخشب ، ونشروا بالمناشير ، موت في طاعة خير من حياة في معصية][٥١] ..

وعن الأئمَّة الذين يهدون إلى القرآن وبه يعملون ، وهم حجّة في كشف باب الحق وبيان معاني القرآن وهويّة وضامنة المسير ، قال ﷺ : [هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي ، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض ،

فاسألوهما ما خلفت فيهما][٥٢] . والنصوص في هذا المجال كثيرة ، وفي الحديث المشهور الصحيح جداً والمتّفق عليهِ بين علماء المسلين جميعاً قال ﷺ : [إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض] . يعني بذلك الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام .

وفي الحديث المتواتر عند كلِّ المسلمين : [لا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة من قريش ، ثم يخرج كذابون بين يدي الساعة ، ثم تخرج « عصابة من المسلمين » فيستخرجون كنز الابيض كسرى وآل كسرى ، وإذا أعطى الله تبارك وتعالى أحدكم خيرا فليبدأ بنفسه وأهله ، وأنا فرطكم على الحوض][٥٣] .

وفي رواية العباس بن عبد المطلب أنَّ النبيَّ ﷺ قال له :
[يا عم ، يملك مِن وُلدي إثنا عشر خليفة ، ثم تكون أمور كريهة ، شديدة عظيمة ، ثم يخرج المهدي عليه السلام مِن وُلدي ، يُصلِحُ اللهُ أمره في ليلة ، فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ويمكث في الارض ما شاء الله ، ثم يخرج الدجال][٥٤] .

وقد قال الإمام علي عليه السلام : قال رسول الله ﷺ :
[الائمة بعدي إثنا عشر ، أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله عزوجل على يديه مشارق الارض ومغاربها][٥٥] .

وقال الإمام الحسن عليه السلام :
[لقد حدثني حبيبي جدِّي رسول الله ﷺ أنَّ الأمر يملكه اثنا عشر إماماً مِن أهل بيته وصفوته ، ما منا إلا مقتول أو مسموم][٥٦] .

وفي طائفة واسعة من النصوص واردة عند الفريقين يعدّد النبيُّ أسماءهم كما نزلوا عليهِ وحياً .. وهم إثنا عشر من أهل بيتهِ ، هم نفسه حرّاس وأركان أورشاليم الجديدة بنصّ الكتاب المقدّس ..!

وعليه :

مِن خصائص النبوّة الجديدة أنها مبعوثة في فاران (مكّة) ، وأنّها نبوّة أخيرة ، يكون دينُ هذا النبيِّ الخاتم أبديّاً ، وله كتاب جديد ، يرتله أصحابه وأتباعُهُ ترتيلاً لم يُرتَّل من قبل ، ويكون بيت العبادة الأعظم في فاران (مكّة) ، هو بيتٌ عتيق ، في أساسهِ حجرٌ كريم ..! ، وهو ليس مِن بناء البشر ، بل بأمر الربِّ وقديماً ، وقرب ذلك البيت مياه تجري سمّاها الكتاب المقدّس مياه الحياة تجري من بيت الرب ، وأنّ مِن خصوصيّة تلك النبوّة أنَّ لها إثني عشر وصيّاً ، مثل أسباط بني إسرائيل وحواريي المسيح ..! وأنّ هؤلاءِ الإثني عشر أركان أورشاليم الجديدة ..!

والمدهش أن تقرأ كلَّ هذهِ الصفات الواردة في الكتاب المقدّس في متون الإسلام الثابتة بالمطلق ..!

ثمَّ أتباعُ هذا النبيِّ وتلك العاصمة الإلهيّة الجديدة ، هم شعبُ الله ، والحجَّة على الخلق ، والنور الذي يدعو إلى الصراط المستقيم . أي هم الأمة الوسط ، وقد قال اللهُ تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣/٢﴾ ..

إنّها الدعوة الكونيّة للعالمين ، والبيت الوسط يعني الحجّة المطلقة على البشر كافّة . وكذا الأمّة الوسط .. وفي سفر الرؤيا ورد هذا الوصف بشكلٍ مدهش فقد جاء فيه : [.. الآن صارَ بيتُ اللهِ وسطَ الناس ، وهم صاروا شعباً له ، والله نفسه يكون معهم ..][٥٧] . أي يكون هذا البيت لشعبٍ عالمي ، لدعوةٍ عالميّة ، لأمّة عالميّة ، لنبيٍّ عالمي ، لدينٍ عالميٍّ أبديٍّ ..! هذا البيت يكون وسطاً ، للعالم أجمعين . كما أنَّ الكعبة تقع في وسط الأرض .. سبحان الله ..! سيكون بيتاً لشعب الله ، وسيكون بيتاً لدعوةٍ سماويّةٍ عالميّة ، لدعوةٍ كتابُها يُرتَّل ترتيلاً ، ونبيّها من جبال فاران (مكّة) يكون مبعوثاً رحمةً ربانيّةً للعالمين ..! هؤلاء الشعب صفتُهم انّهم يصلّون لله تعالى كلَّ يوم ، وأبرز شيئ فيهم على الإطلاق بين صلاة الأمم أنّهم لله يسجدون . وبالسجودِ يُعرَفون ..! السجود هو العلامة الأبرز فيهم من بين الأمم ..! وفي الكتاب المقدّس : [.. قد كتب اسمه على جباههم ..][٥٨] .. أي بجباههم يُعرفون في الطاعة للربِّ ، أي يُؤدُّون الطاعة لله سجوداً ..!

ما أدهش هذا التعبير ..! بل أوَّل محنة أصابت إبليس أنَّهُ أُمر بأن يسجد لآدم بأمرٍ من الله فأبى ، وأطاع الملائكةُ أمر الله تعالى ..! وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام قال : [.. لما أُسرِي برسول الله صلى الله عليه وآله حضَرَت الصلاةُ ، فأذَّنَ وأقام جبرئيل عليه السلام ، فقال : يا محمد تقدَّم ، فقال رسول الله : تقدَّم يا جبرئيل : فقال له : إنَّا لا نتقدم الآدميين منذ أُمرنا بالسجود لآدم عليه السلام][٥٩] .

وقال الإمام علي عليه السلام : جاء رجل إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله فقال : علِّمني عملاً يحبّني اللهُ عليه ، ويحبّني المخلوقون ، ويثري اللهُ مالي ، ويصحّ بدني ، ويطيل عمري ، ويحشرني معك . قال صلى الله عليه وآله : هذه ست خصال تحتاج إلى ست خصال : إذا أردت أن يحبك الله فخفهُ واتَّقِه ، وإذا أردت أن يحبك

المخلوقون فأحسن إليهم وارفض ما في أيديهم ، وإذا أردت أن يثري الله مالك فزكِّه ، وإذا أردت أن يصح اللهُ بدنك فأكثر من الصدقة ، وإذا أردت أن يطيل الله عمرك فصل ذوي أرحامك ، وإذا أردت أن يحشرك الله معي فأطل السجود بين يدي الله الواحد القهار][٦٠] .

وفي رواية ربيعة بن كعب : قال لي ذاتَ يومٍ رسولُ الله ﷺ :

يا ربيعة خدمتني سبع سنين أفلا تسألني حاجة ؟ فقلت : يا رسول الله أمهلني حتى افكر ، فلما أصبحت ودخلت عليه قال لي : يا ربيعة هات حاجتك ، فقلت : تسأل الله أن يدخلني معك الجنة ، فقال لي : من علمك هذا ؟ فقلت : يا رسول الله ما علّمني أحد ، لكني فكرت في نفسي وقلت : إن سألته مالا كان إلى نفاد ، وإن سألته عمرا طويلا وأولادا كان عاقبتهم الموت ، قال ربيعة : فنكس رأسه ساعة ثم قال : أفعل ذلك ، فأعني بكثرة السجود][٦١] .

ومعلوم أنَّ « السجود » أعظم علامة يُعرفُ بها « المسلمون » ، وهي فرضٌ رئيسيٌّ ، وركنٌ من أركان الصلاة اليوميَّة ، تبطل الصلاةُ بتركها ..!

وبهذا السجود يمتاز المسلمون عن سائر الأمم والأديان من أهل الأرض . وبه يُعرفون . يسجدون لله تعالى ، عبادةً مفروضة عليهم في كلّ يوم .

وعليه : هذا الشعب شعبُ هذا البيت الجديد - المعكَّب الذي به يُرتلون كتابهم الإلهي الإعجازي - يُعرفون بالسجود ، وقد قال تعالى في كتابه المجيد : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ

تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴿٢٩/٤٨﴾ ، فما أذهل تلك النبوءة في انطباقها على الإسلام وشعب الإسلام وبيت الإسلام ونبيِّ الإسلام العظيم ..!

على انَّ هذه الأمّة يقودها نبيٌّ عظيم ، ثمَّ يخلفُهُ إثنا عشر إماماً . يقوم عليهم هذا الدِّين بعد هذا النبيِّ الجديد لأورشاليم الجديدة ..! أي بعد نبيِّ الإسلام (نبي فاران) يتحدَّث عن ائمّة إثني عشر ، يُشكِّلون دعامة هذا الإسلام : [.. يحرسها – أي المدينة الإلهيّة الجديدة – اثنا عشر ملاكاً[٦٢] .. ويقوم سور المدينة على اثني عشر دعامة ، كتبت عليها أسماء رُسُل الحمل الإثني عشر][٦٣] . هل نحتاج إلى أدق من هذا البيان الهائل المعجِز ..!

إنّه يتحدَّث عن نبيٍّ عظيم يُبعث في بلاد العرب بعد نبوّة موسى والمسيح ، ثمّ عن عاصمة الدّين الجديدة التي هي المكعّبة (الكعبة) ، وأنّ هذا النبي الجديد يُبعث بإعجاز الكلمة (القرآن) ، وأنّ تلك المكعّبة يكون في أساسها حجرٌ كريم ، وقربها تنبع ماء الحياة من بيت الربّ ، وعند هذه المكعّبة (الكعبة) تجثو كلُّ ركبة ، ثمَّ يتحدّث عن « الأئمّة القادة » بعد النبيّ الذين يشكّلون أركان هذا الدِّين بعد النبيّ ، يؤكِّد أنّ سور المدينة الإلهيّة الجديدة يقوم على اثني عشر دعامة ، كتبت عليها أسماء رُسُل الحمل الإثني عشر . ويصفهم في صدر الفقرة بـ : [اثنا عشر ملاكاً[٦٤]] .. تأكيداً للطهر العظيم الذي يحيط بهم من قبل الله ، تأكيداً على انّ نصبهم في هذا المقام الرباني هو من قبل الرب العظيم ..!

وقد قال ﷺ : [إنَّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة] .. [لا يزال أمر الناس ماضياً ما وُلِّيهم اثنا عشر رجلاً . . كلهم من

قريش] .. [إنَّ عدة الخلفاء بعدي عدة نقباء موسى] .. [لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة][٦٥] .

وقال ﷺ : [.. يا علي الائمة الراشدون المهتدون المعصومون من وُلدِكَ أحد عشر إماماً ، وأنت أوَّلُهم (أي الثاني عشر) ، وآخرهم إسمه إسمي (محمّد المهدي عليه السلام) ، يخرج فيملأ الارض عدلاً كما مُلِئت جوراً وظلماً ..][٦٦] .

وفي رواية الحسن بن أبي الحسن البصري يرفعه ، قال : أتى جبرائيلُ عليه السلام النبيَّ ﷺ فقال : يا محمد ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ ، يأمرك أن تُزوِّجَ فاطمة من عليٍّ أخيك . فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى عليٍّ عليه السلام فقال له :

[يا علي ، إني مُزوِّجك فاطمة ابنتي سيدة نساء العالمين ، وأحبهنَّ إليَّ بعدك ، وكائن منكما سيدا شباب أهل الجنة ، والشهداء المضرَّجون المقهورون في الارض من بعدي ، والنجباء الزهر الذين يطفئ الله بهم الظلم ، ويحيي بهم الحق ، ويميت بهم الباطل ، عدتهم عدة أشهر السنة ، آخرهم (أي المهدي) يُصلِّي عيسى بن مريم عليه السلام خلفَهُ][٦٧] .

والنصوص في هذا المجال كثيرة ، وأكبر من الإحصاء ، وشديدة الحضور في كُتُب الفريقين .. أمَّا الكتاب المقدَّس فهو أيضاً شديد الوضوح بها . وعليه : في مصادر الإسلام عَرْضٌ لـ : « ١٤ شخصيّة » عملاقة ، جليلة ، منصوبة من قبل الله : النبي محمّد ﷺ ، الإمام علي عليه السلام أبو الأئمَّة . فاطمة الزهراء أمُّ الأئمّة ، ثمَّ أحد عشر إماماً آخرهم محمَّد المهدي عليه السلام

الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً . المذهل أنّ هذه الشخصيّات شديدة الحضور والوضوح في الكتاب المقدّس ، وهي نفس العدد ..! وأنَّ الثاني عشر من أركان أورشاليم الجديدة يقود الناس في آخر الزمن بعصاً من حديد ..! قال اللاهوتيّون : [هذه الأسوار قائمة على إثني عشر أساساً ..!][٦٨] .

في حين متن الكتاب المقدّس واضح في الإشارة إلى الشمس والقمر ، بالإضافة إلى أمٍّ « جليلة قدِّيسة » لها سلسلة من أولاد لهم نفس الصفة : كواكب .

إذن الأمر شديد الدهشة والوضوح في الإشارة المطلقة إلى نفس صفات النبي والإمام علي وفاطمة الزهراء والإئمة الإثني عشر ..!

لا يمكنني إلا أن أقول : هذه الفقرة مذهلة ، فهي تشير إلى إثني عشر شخصيّة عملاقة ، منصوبة من الله تكون بعد النبيِّ الذي يأتي بالكتاب الجديد لتلك العاصمة الجديد التي تقع في وسط الأرض . وأنّ هؤلاء الإثني عشر يقوم عليهم الدِّين الجديد بعد النبي ، فهل تجد أعظم دلالة ودقّة من هذا البيان المذهل الذي تقرأه بين يديك ، والذي أبقاه الله حجّة على العالمين إلى قيام يوم الدِّين .. !

وحديث : « الأئمّة إثنا عشر كنقباء بني إسرائيل » متواتر في مضمونِهِ بين كلِّ المسلمين على الإطلاق .

وفي الحديث المشهور : لا يزال هذا الدِّينُ عزيزاً ، ما قام فيه إثنا عشر خليفة . .

ثمَّ « فاطمة » بنت النبي ﷺ تُشكِّل « الأم العظمى » لهذه القيادات باستثناء الإمام علي عليه السلام الذي هو بعلُها . وفي حديث النبيِّ محمَّد ﷺ لفاطمة عليها السلام قال :

« يا فاطمة أما ترضين ان الله عزّ وجلّ اطّلع على أهل الأرض فاختار رجلين : أحدهما ابوك والآخر بعلُك »[٦٩] .

هؤلاء الأئمّة هم حرّاس هذا الدِّين ، وهم مدخله ، وفي الحديث المتواتر قال ﷺ : « إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً ، ولن يفترقا حتى يردا الحوض »[٧٠] .

وأهل البيت عليهم السلام هم الإثنا عشر خليفة إمام منصوب من قبل الله تعالى ..! في سفر الرؤيا يقول : [.. إمرأة متسربلة بالشمس والقمر ، تحت رجليها ، وعلى رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً .. ولدت إبناً ذكراً عتيداً ، أن يرعى جميع الأممِ بعصا من حديد ..][٧١]

إشارة مذهلة إلى إمرأة ذات جلالٍ هائل ، أربعة عشر شخصية ربانيّة عظيمة . منهم إثنا عشر كوكباً ، وهم المعنيُّون في فقرات الكتاب المقدّس بحرّاس وأركان المدينة الإلهيّة الجديدة التي يُبعثُ فيها النبيُّ الجديد في أورشاليم الجديد . ثم يشير إلى منصب شمس وقمر ، أي موقعان ، واحد أعظم من الثاني ، الشمسُ هي النبوَّة باتِّفاق الشُّراح والمفسّرين ، والقمر موقعه موقع الأبوّة ، أي رأس الإمامة بالإتفاق أيضاً ..! وأنَّ هذه المرأة الجليلة تكون في موقعٍ جليلٍ ، فهي أمٌّ كبرى لمنصب الكواكب إلا القمر ، لأنّه بعلُها .. ثمَّ يؤكِّد أنّهم حرّاس المدينة المقدَّسة ، والأخير منهم

يقود الأمم إلى العدل قهراً ، لا يخشى الجبابرة ولا أباطرة الإنحراف . الكتاب المقدّس يؤكّد أنَّ الإمامة والقيادة هي في نسل هذه المرأة الجليلة العظمية ، وأنَّ أولادها يُعذَّبون . الإشارة إلى الإكليل إشارة إلى العظمة لكن مع عذاب ..!

وفي رواية علقمة عن عبد الله قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء فتية من بني هاشم ، فتغيَّرَ لونه ، قلنا : يا رسول الله ، ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه ، فقال : [إنَّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإن أهل بيتي هؤلاء (سيلقون) بعدي بلاءً وتطريداً وتشريداً ، حتى يأتي قومٌ مِن ها هنا ، من نحو المشرق ، أصحاب رايات سود ، يسألون الحق فلا يعطونه ، مرتين أو ثلاثاً ، فيقاتلون فينصرون ، فيعطون ما سألوا فلا يقبلوه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي ، فيملؤها عدلا كما ملؤوها ظلما ، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج ، فإنه المهدي][٧٢] .

وفي مضمون النصوص عن النبي : الإمامةُ في وُلد فاطمة الزهراء بنت محمَّد ﷺ . وأنَّ النبوّة لمحمَّد ﷺ ، ورأس الإمامة لعليٍّ عليه السلام ، أمَّا باقي الأئمّة عليهم السلام فهم من وُلِد هذه المرأة الجليلة العظيمة ، والمهديُّ منها ، وهو آخر الأئمّة .

هذه هي منزلة فاطمة الزهراء عليها السلام في الكتاب المقّدس ومنزلة أبناءِها الكواكب عليهم السلام ، الأركان للدين الجديد الأعظم . فضلاً عن موقع النبوّة الكبرى المتمثِّل بنبينا الأعظم محمّد ﷺ (الشمس) ، ورأس الإمامة الربانيّة علي بن أبي طالب عليه السلام (القمر) ..!

فعلاً شيئٌ مذهل ..! ولله الحجّة البالغة ..

ثم هناك تأكيد على وصفٍ آخر في هذه المرأة الجليلة وأولادها وأبيها وبعلها ، إنّه الطهر .. الطهر الرباني الذي أحاط اللهُ به هذه المرأة الجليلة والأئمّة (عليهم السلام) الذين منهم المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) ، فضلاً عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣/٣٣﴾ .! وباتِّفاق المفسِّرين والرواة أنّها نزلت في محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وأنّها جارية في الأئمّة واحداً تلو الآخر وصولاً للمهدي (عليه السلام) .. فأي ذهول ودهشة وإعجاز ممّا أرى وأسمع ..!

إنَّها النبوَّة الخاتمة التي يبعثها اللهُ رحمةً للعالمين في فاران (مكّة) ، وتقوم على إثني عشر خليفةً ، أوّلهم عليٌّ وآخرهم المهدي (عليه السلام) . إنّهم أركان عاصمة الدِّين الجديد . أورشاليم الجديدة ..!

إنّها النبوَّة العظمى (نبوَّة الإسلام) التي بشَّرَ بها النبي إبراهيم (عليه السلام) رحمةً للعالمين ، بصريحِ إقرار أهل اللاهوت ، وأهل الإسلام . وذلك حين كان في مكَّة يُعيد عمارة « البيت العتيق » بأمرٍ من الله ، ومعاونةٍ من جبرائيل (عليه السلام) ..

هناك وقف إبراهيم (عليه السلام) ليبتهل داعياً الله تعالى أن يبعث فيهم (أي في منطقة فاران) الرسولَ الأعظم الموعود . وينقل القرآن هذا المشهد فيقول :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧/٢﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا ، إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

﴿١٢٨/٢﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴿١٢٩/٢﴾

ومع نبوّة محمَّد ﷺ تحقّقت الدعوة ، وتجسَّدت البشارة ، وقد عرَّفنا الكتابُ المقدَّس هذه الحقيقة بمفرداتٍ مذهلة ذات إعجازٍ بالغ ..! عرَّفنا على الكعبة ، والنبيِّ ، والكتاب ، ومنطقة النبوّة ، والإثني عشر إماماً قائداً . إبراهيم عليه السلام كان يتطلَّع شوقاً إلى هذه الكعبة ، وهذا الدِّين ، وهذا النبي ، وهؤلاءِ القادة ، بإقرار أهل الكتاب .

بل هو الذي سمّانا المسلمين وقد قال تعالى : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ ﴾ . وقد قال النبي ﷺ : « أنا دعوة إبراهيم[٧٣] » .. أهل الكتاب يقولون : إنّها (الكعبة) المدينة التي كان إبراهيم عليه السلام يتطلَّع إليها بشوق . كان يقول – هو يرفع القواعد من البيت الحرام – : ﴿ ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم ﴾ . إنّه يعرف النبوّة القادمة التي يبقى دينها إلى الأبد بوصف الكتاب المقدّس . إنّه الأمين الصادق الذي ورد بشكلٍ واضحٍ ومذهلٍ في متون أهل الكتاب .

قيمة هذا الدِّين الجديد وأهميَّتُهُ أنّه الدين الخاتم على يدِ النبوّة الخاتمة ، الذي سيبقى إلى الأبد ، وأنَّ كتابه المعجز المسموع هو المعجزة الخالدة لكلِّ الأزمان وإلى الأبد .

هكذا يتمُّ المحور الأوَّل الذي يركّز على ضرورة النبوّة الجديدة بعد موسى والمسيح عليهما السلام . على انَّ ما بعد بعثة النبيِّ ﷺ أمرٌ آخر يكمن في

الإثني عشر خليفة ، الذين يكون آخرهم المهدي عليه السلام الذي يقود الأمم بعصاً من حديد ..

وعليه : تُبَيِّنُ النصوصُ المقارنة ارتباطاً ضرورياً بين النبيِّ الأخير وهؤلاءِ الأركان الإثني عشر ، وتؤكِّد أنَّ « الثاني عشر » من هؤلاءِ الكرام يكون الشخصيَّة الرئيسيَّة التي تقود معسكر الرب في الشقِّ الأخير من حقبة البشر .

فماذا عن هذهِ الرابطة بين : النبي محمَّد صلى الله عليه وآله ومحمَّد المهدي عليه السلام ..

المحور الثاني :

(بين النبي محمّد ، والمهدي الموعود في الكتاب المقدّس ومصادر الإسلام) :

.. تُقَرِّر متون الكتاب المقدّس ومصادر الإسلام انّ الثاني عشر (المهدي) من هؤلاء الكواكب حرّاس وأركان الدِّين الجديد في نبوّة فاران (مكّة) هو الذي يقود الأمم بعصا من حديد إلى نور العدالة وإشراق الإيمان الأعظم ..

نص الكتاب المقدّس واضح في التعبير بـ : « على رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً .. ولدت إبناً ذكراً عتيداً ، أن يرعى جميع الأممِ بعصا من حديد .. »[٧٤] .

وحتى نبدأ بالإجابة عن الدور العملاق الذي يقوم به المهدي عليه السلام من متون الكتاب المقدّس ومصادر الإسلام لا بدّ من أن نفرِّق بين معنيين مِن عبارة « الأمين الصادق » وردت في الكتاب المقدّس . واحدة وردت لتشير إلى النبوّة بعد نبوّة موسى وعيسى ، وأنّه كما بُعثت تلك النبوّتان من سيناء وسعير ، فإنّ النبوّة الثالثة ستُبعثُ في أرضٍ جديدة في منطقة جبال فاران (مكّة) ، وأنّ أركان هذا الدِّين إثنا عشر كوكباً ، قادة الدِّين الجديد وبوّابته ..

في حين المعنى الثاني الذي ورد في « الأمين الصادق » أشار إلى الكوكب الثاني عشر من الإثني عشر قائداً . أي الشخص الأخير مِن الأئمّة . ليؤكِّد الكتاب المقدَّس أنَّ إسم الأخير من هؤلاءِ الكواكب مثل إسم النبيِّ الأكبر الذي بعثه اللهُ بالنبوّة في فاران (مكّة) وأنَّ صفته كصفتِهِ .

وعليه :

إسمُ الإمام الأخير أو الكوكب أو الركن الأخير - كما في الكتاب المقدّس - : محمَّد ، مثل النبيِّ محمّد ﷺ (نبي فاران « مكّة » صاحب المكعَّبة ، النبي العالمي بالدِّين العالمي الأبدي بإثني عشر كوكباً خليفة) .. اسمُ الكوكب الأخير كإسم النبي : محمَّد . وصفته كصفته : الأمين الصادق . وقد كثر هذا الوصف فيه .. وأنَّ الثاني عشر من هؤلاءِ الكواكب هو الذي يمثِّل الهدى والنّور والإيمان في آخر الزمان ، ويحارب الجبابرة والفاسدين ويقهرهم ويجتث جبهتهم ، ويقيم العدل المطلق في الأرض . واللافت جداً في الكتاب المقدَّس أنّه يضع هذا الكوكب الثاني عشر من قادة وحرّاس وأركان أورشاليم الجديدة في مواجهة المرتدّين ، ومعسكر الشرّ وجبابرة الظلام ، بما في ذلك اليهود وبقية المسيحيّة والأمم الأخرى التي تكون على خلاف دين فاران (مكّة) الذي يُبعث بهِ نبيٌّ عظيم يكون الكوكب الثاني عشر من نسله ..!

ولكلٍّ مِن هذين الإسمين الجليلين : - النبي والإمام - وظيفة . فالأمين الصادق الأوَّل جاء بالشريعة وثبّتها ، في حين الأمين الصادق الثاني ، أي الإمام أو الركن الثاني عشر (المهدي عليه السلام) سيُقاتل على التأويل ، أي تطبيق أحكام الشريعة في آخر الزمان وسينتصر ..! وفي الكتاب المقدَّس براعةٌ واضحةٌ في عرض وظيفة الإثنين ، فقد ذُكِر إسمُ

« الأمين الصادق » أوّل مرّة - في العهد الجديد - وهو يبلِّغ إلى كنيسة عنوانها « لاودكيه » ، يعرض عليها الدِّين الجديد والبعثة الإلهيّة الجديدة التي قامت من جبال فاران (مكّة) ..

بتعبيرٍ آخر :

يعرض النبيُّ الجديد (محمَّد ﷺ) دينه الإلهي على المسيحيّة وغيرها من أهل الدنيا ، ويدعوها للدخول فيه ، ويأمرهم بذلك طلباً من الله تعالى ربِّ موسى والمسيح ومحمَّد وباقي الأنبياء عليهم السلام .. ويقرِّر شرَّاحُ الكتاب انحراف « لاودكيه » المسيحيّة على الأرض . وانّه بعد هذا الإنحراف جاء « الأمين الصادق » بدعوته ..! يقول علماء أهل الكتاب عن حالة لاودكيه : [.. لاودكيه هي الممثِّلة للكنيسة عامّة آخر الزمان[٧٥] ، وهذا الدور هو آخر أدوار الكنيسة على الأرض[٧٦] ، وسينتهي هذا الدور بالإرتداد[٧٧]] . وفي « سفر الرؤيا » هناك نبي اسمه « الأمين الصادق » سيُبعث ويقول لهذه الكنيسة الرافضة للحق : [.. سألفظك مِن فمي ، تقول انا غنيّة ! ، فقد اغتنيتُ ولا يعوزني شيئ ! ، ولكنّك لا تعلم أنّك شقي ، بائس ، فقير ، أعمى ، عريان . نصيحتي إليك أن تشتري منِّي ذهباً ، نقيّاً ، صفته النار ، فتغتني حقّاً ، وثياباً بيضاء ، ترتديها فتستر عريك المعيب ، وكحلاً لشفاء عينيك ، فيعود إليها البصر ..][٧٨] . هذه الفقرات مذهلة ، وعلى كلِّ واحدٍ أن يتمعَّن بها ..! إنّها إشارة إلى ضياء إلهي جديد هائل ، عبر نبوّة فاران (مكّة) ، وظلمة شديدة تحيط بـ « لاودكيه الكنسيَّة » عبر انحرافٍ خطيرٍ طرأ على تعاليم المسيح عليه السلام ..!

نبيُّ أورشاليم الجديدة يؤكِّد انحراف الكنيسة ، ويدعوها إلى الأصالة الإلهيّة والدِّين الحقيقي المُتَمِّم للرُّسل الإلهيّة . النبيُّ الجديد يدعوها

إلى الهُدى فترفض ، وتعتصم بغناها المادّي ومناعتها بأدوات الصمود والدفاع عن موقعها ..! يعرض عليها ديناً نقيّاً ، فترفض مصرّةً على غناها المادّي ..! المذهل في هذه البشارة أنَّ صفة هذا النبي الجديد تعتمد على شيءٍ مسموع ، أي معجزته الكلام (القرآن) ،

والتاريخ مُشبَع بالوثائق التي أقرَّت اليهودُ فيها بضرورة النبيِّ القادم ، وانَّ موعدهُ قد حان ، وكانت تُحَدِّث بهِ الناسَ وتعلنُهُ جهاراً .

.. وفي رواية « عاصم بن عمر بن قتادة » ، عن رجالٍ مِن قومه ، قالوا :

[.. إنَّ ممَّا دعانا إلى الاسلام – مع رحمة الله تعالى وهداه لنا – أنْ كُنَّا نسمعُ من رجلٍ مِن يهود . وكُنَّا أهلَ شركٍ أصحابَ أوثان ، وكانوا أهلَ كتابٍ ، عندهم علمٌ ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقارب زمانُ نبي يُبعث الآن ، نقتلكم معه قتلَ عاد وإرم . فكُنَّا كثيراً ما نسمع ذلك منهم . لما بَعَثَ اللهُ رسولَ الله ﷺ أجبناهُ حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به . فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به . ففينا وفيهم نزلت هذه الآية . ﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ من قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩/٢﴾][٧٩] .

وفي رواية الازدي قال :

كانت اليهود تقول : اللهمَّ ابعث لنا هذا النبيَّ يحكم بيننا وبين الناس يستفتحون به – أي يستنصرون به[٨٠] .

وعن ابن عباس قال : كانت اليهود بخيبر تقاتل غطفان ، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر ، فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالوا : [اللهم نسألك بحق محمَّد النبيِّ الاميِّ الذي وعدتنا أن تخرجه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم] . قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان . فلمَّا بُعِثَ النبيُّ ﷺ كفروا به . فأنزل الله عزوجل : ﴿ وكَانُواْ من قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ ، فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[٨١] .

.. وفي رواية « سلمة بن سلام بن وقش » - وكان من أهل بدر - قال :

[كان لنا جارٌ من يهود في بنى عبد الاشهل ، قال : فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بنى عبد الاشهل . قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سنَّاً على فروةٍ لي مضطجع فيها بفناء أهلي . فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار .

قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أنَّ بعثاً كائنٌ بعد الموت . فقالوا له : ويحك يا فلان ! أوَ تَرَى هذا كائناً ، انَّ الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دارٍ فيها جنّة ونار ، يُجزَون فيها بأعمالهم ! قال : نعم ، والذى يحلف به ، ولودّ أنَّ له تحطة من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غداً . قالوا له : ويحك يا فلان فما آية ذلك ؟

قال : نبيٌّ مبعوثٌ من نحو هذه البلاد . وأشار بيده إلى نحو مكة واليمن . قالوا : ومتى نراه ؟ قال : فنظر إليَّ وأنا من أحدثهم سنَّاً ، فقال : إنْ يستنفد هذا الغلام عمره يدركه .

قال سلمة :

فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث اللهُ رسوله ﷺ وهو حيٌّ بين أظهرنا ، فآمنَّا به وكفر به بغياً وحسدا ![٨٢] .

وفي رواية محمد ابن سلمة ، قال :

لم يكن في بنى عبد الاشهل إلا يهودي واحد يُقال له « يوشع » ، فسمعته يقول - وإني لغلام في إزار - :

قد أظلّكم خروجُ نبيٍّ يُبعث مِن نحو هذا البيت . ثم أشار بيده إلى بيت الله ، فمَن أدركه فليصدّقه . فبُعِثَ رسولُ اللهِ ﷺ فأسلمنا[٨٣] .

وفي حديث عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال قال لي :

هل تدري عمَّ كان إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد - وهم نفرٌ من بني هدل ، إخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا ساداتهم في الاسلام - ؟ قلت لا .

قال : فإنَّ رجلاً من اليهود مِن أرض الشام يُقال له « ابن الهيبان » قدم علينا قبل الاسلام بسنين . فحلَّ بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه . فأقام عندنا فكنَّا إذا قحط عنَّا المطر قلنا له : اخرج يا ابن الهيبان فاستسقِ لنا . فيقول : لا واللهِ حتى تُقدِّمُوا بين يدي مخرجكم صدقة . فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر ، أو مدَّين من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرَّتنا فيستسقي لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويسقي . قد فعل ذلك غيره مرة ولا مرتين ولا ثلاثاً .

قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يـا معشـر يهود ، ما ترونـه أخرجنـي مِـن أرضِ الخمـر والخميـر إلـى أرض البـؤس والجوع ؟ قلنا أنت أعلم . قال : فإني إنَّما قدمتُ هـذه البلـدة أتوكـف خـروج نبي قد أظلَّ زمانه ، هذه البلدة مهاجرُهُ ، فكنتُ أرجو أن يُبعث فأتبعه ، وقـد أظلكم زمانه فلا تُسبَقَنَّ إليه يا معشر يهود ..

فلما بُعِثَ رسولُ الله ﷺ وحاصر بني قريظة قـال هـؤلاء الفتيـة – وكانوا شباباً أحداثاً – : يا بني قريظة ، واللهِ إنه لَلنبيُّ الذي عهـد إلـيكم فيـه ابن الهيبان . قالوا : ليس بـه . قـالوا : بلـى واللهِ ، إنـه لَهُـو بصـفته . فنزلـوا فأسلموا ..][٨٤] .

.. يُشَار أنَّه في النص الوارد بالكتاب المقـدَّس « ترميـزٌ » إلـى عنـاد « لاودكية الكنسيَّة » . إعلان نهائي عن ردّتها وإصرارها علـى ذلـك ، وأنّهـا لن تستقيم على طريق النبوَّة الخاتمة التي يبقى دينُها الأبـدي ..! إنّـه التمـرّد الأكثر خطورة في عالم الحاجة البشـريّة ..! قـال اللاهوتيّـون : [.. لاودكيـه عنيفة جداً . ومتكبِّرة جداً[٨٥] ، تفتخر بالغنى والقوّة[٨٦]] .

شهادة تشيرُ إلى أزمة عنيفـة ، إلـى تشَـبُّثٍ خطيـر ، إلـى مواجهـة متعارضة مع النبوَّة الجديدة التي بعثها الله في فاران (مكّة) . إلـى إصـرار « لاودكيه » على موقفها رغم أنّ هذا خطير لما فيهِ مـن فشـل فـي الوقـوف على تعاليم نبيّها ..!

ومنذ ذلك الحين بدأ العالم يشهد قياماً منفلشاً لـ « معسكر الظلمة » في مواجهة « نبيِّ النور » .. وبدايـة تـآلف كبيـر بـين « لاودكيـه واليهـود » وغيرهم ..! وكلاهما وُجِّهَ له الإنذار فـي الكتـاب المقـدّس ، مـن أنَّ الطريـق

الوحيد لسلوك طريق الرب ودخول كرمِ الهداية والطاعة يكمن في إعلان الطاعة لنبيٍّ فاران واتّباعه ..!

وبهذا يتّضح انَّ خطَّ الهداية الأكبر تجسَّد في الإسلام ، ونبوّة الرسول محمّد ﷺ ، وانَّ هذه النبوّة هي الخاتمة ، وانّ دينها ابدي ، لكلِّ الأمم ، وانّها ستقود معسكر الربِّ حتى يقود الثاني عشر من الأركان حرباً هائلة في وجه أباطرة الحروب والدمار فيقيم القسط والعدل الأكبر . ليشكِّل بذلك أكبر منعطفات التاريخ قبل نهاية أحداث التاريخ البشري .

المهدي المنتظر ، في الكتاب المقدّس ومصادر الإسلام

.. بعد أن انتهى الكتاب المقدّس من استعراض رسالة النبي محمَّد ﷺ الذي يُبعثُ من جبال فاران (مكّة) يأخذنا إلى المشهد الآخر من آخر الزمان ، فيعرض علينا صورة الركن الثاني عشر من قادة أورشاليم الجديدة حسب تعابير الكتاب المقدّس .. ثم يعطي صفة « الأمين الصادق » للثاني عشر من أركان أورشاليم الجديدة . وبذلك يشير إلى تطابق الإسمين بين « نبيٍّ فاران » ، وبين الثاني عشر مِن « الأئمّة الأركان لدين الإسلام » (محمَّد النبي ومحمَّد المهدي) ..

ثمَّ يحدِّثُنا عن مشهدٍ آخر ، مشهد الصِّدام بين معسكر النور والهدى الذي يتمثَّل بالثاني عشر من الكواكب التي تشكِّل أركان أورشاليم الجديدة أي النبوّة الجديدة ، وبين رومية أي معسكر الكنيسة « لاودكيه » بالإضافة إلى اليهود ، والأمم الأخرى التي تسير في فلكهم .

وعليه :

هو صريح في الإنتقال من معالم البعثة النبويَّة إلى معالم آخر الزمن ، ليتحدَّث عن الثاني عشر من الكواكب حرّاس وأركان أورشاليم الجديدة ، أي عن محمَّد المهدي عليه السلام من نسل نبي جبال فاران محمّد ﷺ عبر إبنتِهِ المتسربلة بالشمس والقمر التي على رأسها إثنا عشر كوكباً .

وبذلك يحدِّثُنا عن الذي يخرج في آخر الزمان ، عن المهدي ، وفي متن الكتاب المقدّس أنَّ الذي يجيئ في آخر الزمان هو الركن الثاني عشر « الأمين الصادق » ، أي اسمُهُ على اسم النبي الي بُعث بالدِّين الجديد إلى أورشاليم الجديدة في بلاد العرب من منطقة جبال فران (مكّة) . وقد تواترت النصوص في معاجم الحديث عن محمَّد المهدي عليه السلام الذي هو الثاني عشر من الأئمّة ، مِن وُلد فاطمة الزهراء وعلي بن بي طالب . أي مِن وُلد رسول الله : محمَّد ، الأمين الصادق صلى الله عليه وآله .

.. والمُحَصَّل أنَّ محمَّد المهدي عليه السلام يكون في آخر الزمان ، يقضي على رموز الإنحراف وأباطرته ، الذين منهم « لاودكيه الكنسية » وتوابعها . إلى أن يقيم العدل الإلهي على الأرض ..

وفي النصوص :

النبي محمَّد صلى الله عليه وآله يقاتل على التنزيل ، ومحمّد المهدي عليه السلام – الذي يكون في آخر الزمن – يقاتل على التأويل . بمعنى آخر : المهدي يقاتل آخر الزمن لتطبيق العدل والمواثيق الإلهيّة في الأرض ..

حين تحدَّث الكتاب المقدَّس عن « الأمين الصادق » أوَّل مرَّة كان يتحدَّث عن نبيٍّ يُبعث في جبال فاران (مكّة) بالرسالة . ومتن الكتاب المقدّس واضح في ذلك . فقد تحدَّث إلى مَن له أذنان ، أي جاء بالرسالة عبر الإعجاز القرآني المقروء . وأنّه يبقى إلى الأبد ..

ولمَّا انتهى من الحديث عن الأمين الصادق المبعوث بالكتاب ، تحدّث عن رجلٍ يُبعث في آخر الزمن يكون مِن نسل إمرأة جليلة متسربلة بالشمس والقمر ، على رأسها إثنا عشر كوكباً ، ولدت ذكراً عتيداً ، يقود

الأمم بعصاً من حديد . يكون إسمه كإسم النبي محمَّد ، ولذا أطلق الكتاب المقدّس عليه صفة « الأمين الصادق » مثل صفة النبي محمَّد (الأمين الصادق) ، وهو (أي محمَّد المهدي) نفسه الركن أو الكوكب الذي تقوم عليه أورشاليم الجديدة ، التي تكون عاصمتُها المكعّبة (الكعبة) ، التي تجثو لها كلُّ ركبة ، وقربها تجري ماء الحياة من بيت الربِّ وفي أساسها حجرٌ كريم مقدَّس ..!

إذن المهدي هو الثاني عشر من أركان الدِّين الجديد الذي يقود العالم قهراً إلى دائرة العدالة المطلقة . وقد ورد في سفر الرؤيا : [إمرأة متسربلة بالشمس والقمر ، تحت رجليها ، وعلى رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً .. ولدت إبناً ذكراً عتيداً ، أن يرعى جميع الأممِ بعصا من حديد ..][٨٧] .

هذا الأخير (محمَّد المهدي عليه السلام) هو الذي يقود الأمم بعصاً من حديد إلى العدل الأعظم ويواجه معسكرات الفساد والطغاة والجبابرة فيهزمهم بإذن الله تعالى . يأتي في آخر الزمن ، راكباً جواداً ، عليه جلباب من الدم – إشارة إلى قيادته أضخم جبهات الحرب لقتل الجبابرة وأهل الفساد – بحيث يسوق الأمم بعصا من حديد ليملأ الأرض عدلاً إلهيَّاً بعد أن مُلِئت فساداً وظلماً . وفي نص الرؤيا : [.. وإذا بحصان أبيض ، يُسمَّى راكبه « الأمين الصادق » ، الذي يقضي ويحارب بالعدل ..][٨٨] .

إذن مهمة المهدي – الذي يكون مِن نسل تلك المرأة الجليلة المتسربلة بالشمس والقمر ، التي تلد ولداً ذكراً عتيداً يقود الأمم بعصاً من حديد – أنّه يحارب من أجل العدل ليبسطه على الأرض . ويقود معسكر الرب ..

وفي طائفة من النصوص النبويّة ما مضمونه : انَّ المهدي عليه السلام يقفوا أثر النبي صلى الله عليه وآله ويقاتل على سنَّته . منها[٨٩] :

- « .. هو رجل من عترتي يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي » .
- « .. يضرب الناس حتى يرجعوا للحق » .
- « يقفوا أثري لا يخطئ » .
- « القائم مِن وُلدي إسمه إسمي .. وسنته سنتي ، يقيم الناس على ملتي وشريعتي ، ويدعوهم إلى كتاب ربي عزَّوجل ، من أطاعه فقد أطاعني ، ومن عصاه فقد عصاني ، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني ، ومن كذَّبه فقد كذبني ، ومن صدقه فقد صدقني ، إلى الله أشكو المكذبين لي في أمره .. »

وعليه : يتَّفِق الكتابُ المقدَّس مع الحديث النبوي بحتميَّة ظهور الثاني عشر من أركان أورشاليم الجديدة – التي يخرج فيها النبي « محمّد » في جبال فاران – على أن يكون الثاني عشر من أحفاده (المهدي) هو الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً .

ثم يركِّز على أنَّ هذا الأمين الصادق (المهدي) الذي يخرج في آخر الزمان ويكون من نسل تلك المرأة الجليلة الطاهرة المتسربلة بالشمس والقمر (بالنبوَّة العظمى والإمامة الكبرى : محمَّد وعلي) يخرج لِيُقيم الحق الإلهي في الأرض ، فتثور في وجهه أممٌ جبَّارةٌ مفسدة ، أهمُّها الروم واليهود ، بالإضافة إلى أُممٍ أخرى .. وفي سفر الرؤيا يقول : [.. ورأيت الوحش وملوك الأرض وجيوشهم ، قد احتشدوا ليحاربوا هذا الفارس (الأمين الصادق) وجيشه ..][٩٠] .

إذن ، أطراف النزاع : ملوك وأباطرة الأرض الجبابرة ، احتشدوا بجيوشهم في وجه الفارس الرباني الذي يقضي ويحارب بالعدل آخر الزمان . وتنتهي تلك المعارك الهائلة بهزيمة « لاودكيه » المرتدّة والنبي الكذّاب (الدجّال) : [.. فقبض على الوحش ، وعلى النبي المسيح الدجّال][91] . [.. وقتل السيفُ الخارجُ مِن فمِ الفارس (المهدي) جميعَ الباقين وشبعت الطيورُ مِن لحومهم ..][92] . النصُّ يشير إلى « سحقِ » المهدي عليه السلام للأمم الجائرة والأباطرة الجبَّارة ، بحيث يحقِّق النصر الأعظم على تلك الأمم الطاغية في أوقاتٍ مختلفة ..

إنّها إشارة إلى معالم الزمن الأخير ، أي ما قبل نهاية التاريخ ، تأكيداً على نموذج الصَّدم الأعنف ، والذي يتجلّى بنهايةٍ أكيدة : قتل الجبابرة ، اجتثاث المفسدين ، ولا يرضى للأمّة البشريّة إلا اللجوء إلى قانون الكمال الذي يضمن الطاعة الكبرى للربِّ العظيم ..

ولأنَّ هذا الخيار هو أمر نهائي على يدِ المهدي ، فإنَّ الأمم وبأوقاتٍ مختلفة ستعمل لاغتيال مشروعِهِ والقضاء عليه . لذلك تقع معارك ضارية ، لا يقوم قلمٌ على وصفِها ، تنتهي بـ « انتصار المهدي » الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً ..

.. وهناك من الفقرات ما يشير إلى انَّ القضيّة شديدة الصلة بالمعسكر الغربي وكيان يهودي خاص ، وتعاون وتحالف وترابط بينهما من أجل نصرة دكتاتور ضخم (الدجّال) يخرج في آخر الزمان ، بهدف القضاء على دولة المهدي عليه السلام . كما يقفون في وجه الخراساني ، أو الفارسي أو الأشوري كما في تسمية الكتاب المقدّس .

وتكون سمة هذا التحالف الكبير قبل ظهور المهدي (عليه السلام) ، وتزداد بعد ظهوره ، فإذا تمَّ القضاء على عاصمة الروم بيد جيش المهدي (عليه السلام) والذي يبدو من نصوص الكتاب المقدَّس وتفسير اللاهوتيين واضحاً أنَّ الأشوري الفارسي يكون مشاركاً فيها بثقلِ جيشهِ الفارسيِّ بقوّة هائلة ..! عندها تتحوَّل بقيّة الروم للوقوف مع الدجَّال اليهودي الذي يخرج بعد هزيمة الروم بسنوات كما في بعض النصوص ..

ويخوض الدجَّال معركةً عنيفةً مع جبهة المهدي (عليه السلام) والتي تحتاجُ إلى تضحياتٍ كبيرة ، في ظل ظروف شديدة الإختلاف ، حيث ينضم الكثير من المسيحيين الذين يخسرون معركة الملحمة مع المهدي (عليه السلام) إلى جيش الدجَّال ، بالإضافة إلى أصنافٍ من الناس .. والمدهش أنَّ الكتاب المقدّس يشيرُ إلى انتصار الفارس (المهدي (عليه السلام)) وأنصاره على الدجّال الكذّاب بسبب « التضحيات الجليلة » والبذل الأعظم للأنفس في سبيل نصرة مواثيق الرب .

أيضاً في المتون الإسلاميّة بيان لخطورة الدجَّال ، بعضُها تصف مجموع أفعالِهِ ومقارعتِهِ بـ « الملحمة » ، منها :

- عبد الله بن عمرو قال : « الملاحم خمس : مضى منها اثنتان وبقي ثلاث ، فأولهنَّ ملحمة الترك بالجزيرة ، وملحمة الاعماق ، وملاحم الدجال ليس بعدها ملحمة »[٩٣] .

- عبد الله بن عمر قال : « ملاحم الناس خمس فتنتان قد مضتا وثلاث في هذه الامة . وملحمة الروم وملحمة الدجال . ليس بعد ملحمة الدجال ملحمة »[٩٤] .

- عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : « تكون أربع فتن : الاولى يستحل فيها الدم ، والثانية يستحل فيها الدم والمال ، والثالثة يستحل فيها الدم والمال والفروج ، والرابعة الدجال »[٩٥] .

- قال امامة الباهلي : « ذكر رسول الله ﷺ الدجَّال ، فقالت أم شريك ، فأين المسلمون يومئذ يا رسول الله ؟ قال ﷺ : ببيت المقدس يخرج حتى يحاصرهم ، وإمام الناس يومئذ رجل صالح ، فيقال صلِّ الصبح ، فإذا كبَّر ودخل فيها نزل عيسى بن مريم ، فإذا رآه ذلك الرجل عرفه فرجع يمشي القهقري ، فيتقدَّم عيسى فيضع يده بين كتفيه ثم يقول : صلِّ فإنما أُقيمَت لك ، فيصلِّي عيسى وراءه ثم يقول افتحوا الباب فيفتحون الباب ، ومع الدجال يومئذ سبعون ألفا يهود ، كلهم ذو ساج وسيف محلا ، فإذا نظر إلى عيسى ذاب كما يذوب الرصاص وكما يذوب الملح في الماء ، ثم يخرج هارباً فيقول عيسى : إنَّ لي فيك ضربة لن تفوتني بها فيدركه فيقتله ، فلا يبقى شيئ مما خلق الله تعالى يتوارى به « يهودي » إلا أنطقه الله ، لا حجر ولا شجر ولا دابة إلا قال : يا عبد الله المسلم ، هذا يهودي فاقتله .. »[٩٦]

وتشيرُ النصوص بوضوحٍ تام إلى انخراط الجيش الخراساني ضدّ الروم والدجَّال ، وبشكلٍ كبيرٍ ومخصوص بين يدي المهدي عليه السلام . بل في بعض المتون تخصيص للخراسانيين واليمانيين . تصفهم بعض النصوص بأنواع من التضحيات والشهامة في القتل بسبيل الله والبذل الهائل وشبه ذلك . واللافت جداً أنَّ الكتاب المقدَّس يُؤكِّد هذه المعاني بشكلٍ مدهش . يقول الكتاب المقدَّس عن أسباب النصر للفارس (المهدي) : [.. وهم

(أنصار المهدي) قد انتصروا عليه (على الدجَّال) بدمِ الحمل (الطهر والصفاء لله ولِوليّه) . وبالكلمة التي شهدوا لها (الإسلام) ..][٩٧] .

وهناك فقرات عديدة في الكتاب المقدَّس تصف أصحاب المهدي ، وما يكون عليه أمرُ المهدي ﷺ . لكنَّ المقام هنا لا يسمح ببيانها بشكلٍ تفصيلي على أن أعرضها في كتابٍ آخر إنْ شاء اللهُ تعالى .

والمحصَّل العام أنَّ حروب آخر الزمان ستكون شديدة الصَّدم والعنف ، والجبابرة من الروم واليهود سيتَّحِدُون يداً واحدةً في وجه المهدي وأتباعه .

والروم واليهود يقرءُون الكتاب المقدّس بوعي ، ويعرفون حقيقة ما هم عليه ، وما يؤول إليه الزمن .. من هنا نقرأ كلمات بعض الشرّاح وهي تحذِّرُ من الإسلام ..! لأنّه على أيدي جُند المهدي المنتظر ﷺ ستنهار عروش جبابرة الباطل وأئمّة الفساد .. يقول لورانس براون : [.. كان قادتُنا يخوّفوننا بشعوب مختلفة ، كانوا يخوّفوننا باليهود واليابان والخطر البلشفي ، لكنه تبيَّن لنا أنَّ اليهود هم أصدقاء ، والبلاشفة الشيوعيّون حلفاء ، أمَّا اليابانيّون فإنَّ هناك دولاً ديمقراطيّة كثيرة تتكفَّل بمقاومتهم ، لكنَّنا وجدنا الخطر الحقيقي علينا موجوداً في الإسلام ..][٩٨] .

.. واليوم يطالعنا بوش وبرلسكوني وطائفة واسعة من زعامات روما بالحديث عن حضارة الإسلام الخطيرة ، وأنّه لا بدَّ من القضاء على الإسلام لإحكام السيطرة على « مفاصل العالم » ولمنع التاريخ المفترض من التحقُّق ..

زعامات معسكر روما اليوم أكثر وضوحاً من أيٍّ يومٍ مضى .. إنّهم يحذّرون حتى من وجود مسلمٍ في أوروبا وأمريكا ويستعملون في حقّهم كلّ وسائل التمييز والإلغاء ..!

وفي الوقت الذي يصرخُ فيهِ فقهاء الإسلام بأنَّ ما يجري اليوم ليس أبداً من أيٍّ فكرٍ صدامي بين المسيحيّة والإسلام يُجيب اليمين المسيحي وغيرهُ بأنَّ هذا الأمر من صلب الإعتقاد اللاهوتي ، وأنّه لا بدَّ من تصفية جميع الأديان لإبقاء المسيحيّة المتحالفة مع اليهود كعنوانٍ مركزي تحقيقاً لعودة المسيح الثانية[٩٩] ..!

يُشار أنَّ بوش (مُعلِن الحروب ، ومدمِّر البلاد ، وصاحب الإبادات الشهيرة) يفتخرُ علناً أنه « متديِّن » متعاطف مع « اليمين المسيحي » ، وانَّه مسيحي حقيقي ، يستوحي أقواله وسياساتِهِ مِن الرب[١٠٠] ..!

وقد أعلن أنّه من أتباع « المذهب الإنجيلي » الذي يدعو إلى العنف لتحقيق الرؤية الكونيّة التي يقرِّرها ..! وبوش أوَّل رئيس يُعلن ذلك بشكلٍ مباشر ..

وقد نال بوش نسبة ٨٥ في المئة من أصوات الإنجيليين في إنتخابات عام ألفين التي جرت بينه وبين آل غور .. وكان للإنجيليين المتطرِّفين بالغ الأثر في فوز الرئيس ريغان في انتخابات ١٩٨٠ عبر دعمهم لحربه على الشيوعيّين ، لأنّهم اعتبروا أنَّ الشيوعيين « أعداء الله » .

في حين ظهر ريغان على أساس أنّه « المسيحي المتديِّن » الذي يؤمن بـ « نبوءة آخر الزمان » وضرورة دعم إسرائيل تمهيداً لعودة

المسيح ، وأنّه لا بدّ من التحالف مع اليهود لدرء خطر الإسلام ، وتحقيق حماية دولة اليهود ..!

وهذا يعني أنَّ أمريكا في ظلِّ الحكم الإنجيلي ستكون على نحوٍ ضخم من التورُّط في شؤون العالم ، لأنَّ مِن ضمن مبادئهم : حكم العالم ، وتكريس سلطان المسيح على النحو المجتزء في فهمهم التدميري للأرض ..! أمّا أوروبا فتاريخُها ما زال غارقاً بدماء مئات الملايين من البشر ..! وهي تعدُّ العدّة الآن للنهوض بدورٍ عالميٍّ يقوم على نفس التراث ..!

ويغزو الطرحُ الإنجيليُّ العالَمَ الغربي بشكلٍ لا سابق له ..

وترتكز أطروحة الإنجيليين المتشعِّبة بصورةٍ عامّة على المبادئ التالية :

١. الإعتقاد بأنَّ العالم أشرف على نهايتِه ، وأنَّ المرحلة الأخيرة باتت وشيكة ، وأنَّ اللهَ قد قسَّمَ تاريخَ البشريّة إلى حقباتٍ عدّة ، وأنَّنا الآن نعيشُ الحقبةَ الأخيرة ، حيث الصراع يدور ما بين الخير والشرّ ، وأنّ الدِّينَ المسيحي يمثّل الخير ، فيما تمثّل العقائد الأخرى الشرّ .

٢. الإيمان بأنَّ الإنجيليين المحافظين سيُرسَلون إلى الجنّة برفقة السيّد المسيح ، الذي سيعود إلى الأرض ثانيةً من أجل هذهِ المهمّة وتكريس المسيحيّة في العالم .

٣. التأييد المطلق لدولة إسرائيل التي يدعمونها إنطلاقاً من « مبادئ دينيّة » أساسيّة ، تعتبر قيام دولة إسرائيل ممهِّدة بشكلٍ رئيسي

للظهور الثاني للمسيح وتحوّل اليهود نحو المسيحيّة ، وبالتالي : هم يعملون لتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين وتثبيت دولتِهم ولو كلَّفَ ذلك إبادة شعوب وأمم ، بهدف تعجيل الظهور الثاني للمسيح . ومن هنا جاء إسمهم « المسيحيّون الصهاينة » .

٤. الحفاظ على القيم العائليّة التي تحارب الإجهاض . بنفس الوقت الذي يرون فيهِ من الضروري إبادة الأمم الأخرى التي لا تؤمن بالمسيحيّة ، أو تلك التي تناوئ اليهود ..!

٥. الحدّ من الطلاق . والعمل على منع القوانين التي تمنح حقوقاً للشاذين جنسيّاً (المثليين) أي منع اعطاءهم الحقوق التي تعطى للزواج التقليدي ..

٦. تكريس الإعتقاد المسيحي كمنطق لحكم الأرض ، ودعم أي تدخّل في أي بقعة لتكريس المسيحية ..

وبسبب هذا الإعتقاد تجدهم يروِّجون لبناء إسرائيل بشكلٍ ضخم ويدعمونها بـ « شتَّى الوسائل » ، كما يروِّجون لهجرة الإسرائيليين إلى فلسطين ، وسحق العرب والمسلمين ، واجتثاث الناس غير المسيحيين ، وحماية إسرائيل وحفظها ، كشرطٍ ضروري لعودة المسيح الثانية .. حتى أنَّ « رالف ريد » كتب في صحيفة « نيويورك تايمز » تحت عنوان (نحن المؤمنين نقفُ بثباتٍ إلى جانب إسرائيل) :

[إنَّهُ ما مِن برهانٍ أقوى على سيادةِ اللهِ في عالم اليوم مثل بقاء اليهود ووجود دولة إسرائيل][١٠١] .

أي هذا الأمر يعني أنَّ العالم هو في الحقبة الأخيرة ، لأنَّ مِن شرط عودة المسيح الثانية عندهم أن تقوم لليهود دولة[١٠٢] .

وها هم يدعمونها بكلِّ ما استطاعوا كشرطٍ كاشفٍ عن العودة ، ومنشِّط لفكرة قيمومة المسيحيِّة على غيرها ، خاصّةً أنّهم يؤمنون بأنَّ اليهود يعتنقون آخر المطاف المسيحيّة مع رجعة المسيح ..

وتكمن الخطورة على العالم لجهة أنَّ الإنجيليين يدمنون ثقافة الحرب والإحتلال والإبادة – خاصةً ضد البلاد الإسلاميّة – ويرونَها أمراً محبَّباً للمسيح[١٠٣] ..

ولا يُخفون دعمهم لبوش الإبن الذي يرون فيهِ الأمل الكبير والترويج لعودة المسيح الثانية ، والشرط السياسي لقيادة أمريكا نحو فتح العالم وإسكان عقيدتهم في ربوعِهِ المختلفة ، دون فرق بين وسيلة سوق وتجويع أو وسيلة دمار وقتال ..

ومعلوم أنَّ العامل الديني بدأ يضرب بقوّة واضحة في مكوّنات الرأي العام الأمريكي . وبحسب إحصاءات ٢٠٠١ : الشريحة الأكبر هي من الناخبين الذين يتأثَّرون بالخطِّ الديني . لذلك نجد بعضاً ممَّن له أثر كبير في تفسير نبوءة آخر الزمان يُروِّج لحرب الأديان وصدام الحضارات الدينيّة . بحيث يصف حروب ما قبل نهاية التاريخ بأنّها : حرب بين الحضارتين الإسلاميّة والمسيحيّة ..! في حين هي بالحقيقة حربٌ بين معسكرين : الأوّل يقوده جبابرة « لادوكيه المرتدَّة » وتوابعهم مثل اليهود الغاصبين وأتباع الدجَّال ، والثاني يقوده المهدي ، الثاني عشر مِن أركان أورشاليم الجديدة (مكّة) ، الذي أعدَّهُ الربُّ لقهر الجبابرة وقطع دابر

المفسدين .. ويصرُّ البعض من الغرب على انَّ تلك الحروب إنّما هي حروب الحضارة الإسلاميّة والمسيحيّة .. يقول أيوجين روستو[١٠٤] : [.. بل هي خلافات بين الحضارة الإسلاميّة والحضارة المسيحيّة ..][١٠٥] . وصل الحدّ إلى أنَّ بعض الزعامات السياسيّة الغربيَّة تصرُّ على ضرورة تجريد الإسلام من وصف الحضارة ..! إمعاناً منها في شنِّ حرب الكراهية وتهيئة الرأي العام لخوض حرب العداء ضدَّ أتباع الإسلام .

والحقيقة شديدةُ الإختلاف عن هذا التصوير الباطل . فقسم من المسيحيين يعلنُ ولاءَهُ للمهدي ، الذي يقرءونه جيّداً في أصل ظهورهِ الإعجازي والآيات التي تظهر على يديه ،

ويكفي في تلك الآيات النداء السماوي بصوت جبرائيل عليه السلام يُخبِرُ أهلَ الأرضِ كلّهم أنّ القائم من آل محمّد المنتظر ، الثاني عشر من الأئمّة ، المهدي من نسل نبي جبال فاران وأورشاليم الجديدة (مكّة) ، الولد الأخير من نسل المرأة الجليلة (فاطمة الزهراء عليها السلام) المتسربلة بالشمس والقمر ، المهدي محمد بن الحسن ، من نسل رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله قد ظهر ..

ومهما يكن من أمر فإنَّ الحرب التي يقودها المهدي عليه السلام هي حرب « معسكر الرب » في وجه معسكر الردّة والإنحراف والجبروت والطغيان والفساد وأشباهه .

يعلنها عليه السلام في وجه جبابرة يقودون أدبَ التعرِّي والغريزة والتسليع والقتل بشكلٍ يعجز الشيطان عن إتيانه ..! كلُّ ذلك في ظلِّ زمنٍ يفسده « الجبابرة الطغاة » ، بحيث يُحوِّلون البشر إلى كتلة مِن غرائز شهوانيّة ، يحتكرون الأموال والسِّلع وأرواح الناس ..!

في ذلك الزمن يكون « الكلب » أهم قيمة من البشر عند الذكور والإناث . حتى أنَّ كلاب الغرب تحصل على فاتورة تربية وترفيه تزيد على واردات ٤٩ دولة أفريقيّة هي الأكثر فقراً في العالم ..!

ولا هَمَّ للجبابرة آنذاك إلا السيطرة على الثروات والموارد والإحتكار والإبادة والغزو والنهب دون أيِّ اعتبار لكتاب كوني أو فطرة أو معالم وجود أو أصالة خلق وتكوين ..

الكتاب المقدَّس - كما مصادر الإسلام - يُحدِّثُنَا عن ردّة روميّة هائلة ، عن انحراف خطير تقودهُ « لاودكيه الكنسيّة » عن حضارة خطيرة وفاسدة تقودها رومية التي تشكِّل مدينة الزناة والخمرة والفساد الأخلاقي السياسي في الأرض غزواً وقتلاً وإبادة ، طمعاً بتجارة الشهوة والنزوة والثروات ، بالإضافة إلى « حضارة الفتنة » والحكرة والدم التي يقودها اليهودي الدجَّال ..

أمَّا اليهود فيتحدَّثون عن حضارة يهوديّة مستقبليّة زاهرة ، تسيطر على العالم وتتوسَّع في الأرجاء ، وتقيم دولة أمير السلام (المسيح الدجَّال) زعيماً كونيّاً يخوض في الدماء لإبادة الأمم طمعاً بالثروة والشهوات .

ويفتخرون بأنَّهم يتوسَّلون القمع والإبادة والدمار مِن أجل السيطرة اليهوديّة على العالم ، وإلغاء جميع الأديان والأتباع الذين لا يكونون على دينهم .. الكتاب المقدَّس شديد الوضوح في انَّ اليهود سيكونون في معسكر الفساد الأعظم - خاصة زمن الدجَّال - ويؤكِّد على أنَّ « لاودكيه الكنسيّة » هي الأخطر على الإطلاق في قيادة ذلك المعسكر المحترف في الطغيان

والإفساد الأخلاقي والسياسي والثقافي والعسكري وغيره ، فهي تشكّل وجه رومية التي تقود الأمم وفق قيم الزنا والخمرة والإثارة والفتنة والدعارة والإضطهاد وقهر الأمم ونهب ثروات العالم في آخر الزمن .

ومعها وصل الأمر إلى حدّ خلْطِ بعض الأصول الوثنيَّة بالتعليم الجديد لـ « لاودكيه » رغم انحرافها ..!

وعليه :

يكون العالم آنذاك خاضعاً لضغطٍ هائلٍ مِن مفاهيم الوثنيّة وانحرافات رومية ..!

فضلاً عن طغيان المفهوم السِّلعي على كلِّ شيئ ، إلى درجة تحويل البشر إلى آلةٍ لخدمة « آلهة السوق والغريزة » وأباطرة الإحتكار القلّة جداً في كثرة الإنسان المسلَّع آنذاك .

ومع ظهور المهدي المنتظر عليه السلام يتموقع العالم بين معسكرين ضخمين : واحد تقوده رومية وهو شديد الطغيان والفساد . الثاني يقوده المهدي ، الذي يقود الأمم نحو العدل الإلهي الأكبر .

الفقرات واضحة في أنَّ « معسكر » الكفر والفساد والإنحراف يكون في روما (الغرب) التي تشكِّل عاصمةً ذات أثر بارز جداً في هرم النظام الدولي الطاغي آنذاك ، بل تخوض « معركة عنيفة » في وجه المهدي عليه السلام الذي يمثِّل القائد الأعظم في معسكر الرب - بدليل نصوص الكتاب المقدس - تصفها النصوص بـ « الملحمة الكبرى » تنتهي بانتصارٍ هائل للمهدي ومعسكر الربِّ على رومية وحلفاءها . على أنَّ جبهة المهدي عليه السلام

تتكون أوّلاً في منطقة الحجاز وفارس (المكوّنة أصلاً بقيادة الخراساني) ، ثمَّ تتوسَّع لتشمل بلاد الشام والعراق كلّها ، والنواحي والآفاق ، ثم الشرق الأوسط كلّه . ومنه تبدأ توسعاتُها الكبرى ..

ومع أوّل لحظات ظهور المهدي ﷺ يُعلن للأمم أنَّ حكومة البشر لا بدَّ أن تقوم على طريق الربِّ ، والإسلام هو طريق الهداية وخلاص الإنسان ..! وفي مصادر أهل الكتاب تقول جين داكسون - عن المهدي المنتظر - : [عندما يبلغ التاسعة والعشرين أو الثلاثين يعلن نفسه للعالم كلّه][١٠٦] . أي يظهر في عمر الثلاثين إلى الأربعين . وفي حديث النبي ﷺ : [يبعث – المهدي – بين الثلاثين والأربعين][١٠٧] . ثم تضيف : [ويقوم هذا الشاب - المهدي - بنشر دعوته وتعاليم دينه ، وإنَّ عقيدته لن تكون هي المسيحيّة ، بل نوع آخر من التوحيد يقوم على قوّة الله العليا ، أو توحيد الله العلي القدير][١٠٨] .

ويكون لـ « خراسان » الإماميَّة دورٌ عظيم . هؤلاءِ الخراسانيّون الذين يقودهم فقيهٌ مِن نسل آل محمّد ، يدعو للمهديِّ ﷺ في آخر الزمان ويوطّئ له سلطانه .

ويتَّفق فقهاءُ الإسلام كلّهم : انّ الخراسانيين يقودهم خراساني فقيه يوالي آل محمّد يوطّئ للمهدي سلطانه ، ويخوض مجموع معارك ضارية حتى يصل إلى القدس وينصب راياته فيها .. وفي قول الله تعالى : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨/٤٧﴾ ﴾ قال ناسٌ مِن أصحاب رسولِ الله ﷺ : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين ذكر الله إن تولّينا استبدلوا بنا ثم لم يكونوا أمثالنا ؟ - وكان سلمان بجنب رسول الله - فضرب

رسولُ الله ﷺ على فخذ سلمان وقال ﷺ : هذا وأصحابه . والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً (معلقاً) بالثريا لتناوله رجالٌ من فارس][١٠٩] . والنصوص في هذا المجال كثيرة جداً ومتَّفق عليها بين فقهاء الإسلام كلّهم ..

كما يكون لـ « خراسان » دور « القوّة الأبرز » التي تنادي بالحق في آخر الزمان ، وتدعو لـ « المهدي عليه السلام » ، وتصرُّ على الإسلام : ديناً وشريعة ..

ولأجل قيامِها على هدي القرآن والعترة النبويّة تلقَى عذاباتٍ ونماذج متنوّعة من الإضطهاد فتثبت ويتعاظم أمرها ، وتشكِّل « عقبةً كؤود » في وجه القوى الكبرى وأتباعها في نواحي خراسان والآفاق من هذا الشرق الأوسط .. وتُمنَع مِن حقٍّ ما ، يبدو أنَّ مجموعةً بارزةً مِن المجتمع الدولي تحولُ دونه وتمنعه عليها ، فتخوض مجموع معارك وتحصل على حقِّها بالقوّة ، ثم لا تردُّ قوّتها حتى ظهور القائم المهدي عليه السلام .

على أنَّ العالم آنذاك - بصورةٍ عامّة - يكون متوتِّراً ، وتجوب الفِتَنُ - بما فيها المعارك - من شمالِه إلى جنوبه ، ومن غربه إلى شرقه ..

إذن : هناك معارك وحروب تقع قبل ظهور المهدي عليه السلام ، وفتن وغزوات في ظلِّ عالم شديد الإضطهاد والإنحراف ..

وتكون رومية وأتباعها من النماذج الأخطر في قيادة العالم بركب المجون والفساد العام .. ويبدو من فقرات الكتاب المقدَّس ومصادر الإسلام أنَّ الطبيعة تعاني من طاقتها ، من خيراتِها ، وأنَّ قوانين الطبيعة على الأرض

تشيخ ، تتعب ، تظهر عليها علامات العجز في الماء والغذاء ، وتبدو بأكثر صعوباتِها قبيل ظهور الدجّال ، تشير بعض المتون أنّه قبيل خروج الدجَّال تكثر الزلازل والبراكين ، وتتعب الأرض ، وينعكس هذا على حزام الأمن الغذائي المائي ، في حين تبدو على الجانب الآخر ظاهرة مخيفة من حكرة روما من جهة ، ثمَّ حكرة الدجّال الدموي حال ظهوره المنكر من جهةٍ أخرى ..

عندها تجول الذئاب البشريّة وهي تمزِّق جسد الضعفاء للسيطرة والنهب والقمع والإحتكار دون فرق بين أدوات الحرب وأدوات الأسواق ، على أنّ الغالب زمن الدجَّال يكون بأدوات الحرب والدمار والنار .

مع التأكيد على أنَّ الدجَّال يخرج بعد « هزيمة رومية » في أعنف المعارك ، رومية التي تشكِّل قوّة الغرب المسيحي الذي يتحالف مع اليهود كما في الكتاب المقدّس .

على أنّه قبل ظهور المهدي ﷺ تشكِّل خراسان وجهَ الحقِّ الإلهي ، ونواة معسكر الرب ، والأداة العليا لمشروع أهل الإيمان .

وسيكون للخراساني قوّة وظهور وحضور بارز في مسرح العالم وقواه .

ويخوض الخراساني أعنف معارك في وجه قوى متنوِّعة في آخر الزمن قبل ظهور المهدي ، وتتواصل معاركهُ – بأوقاتٍ مختلفة – حتى لحظة إعلان السماء عن ظهور قائم آل محمد المهدي ﷺ .. والمذهل أنّ الكتاب المقدّس لحظ هذه القوّة الخراسانيّة وأقرَّ بأنّها تكون في معسكر

الربّ ..! وأنّها تناصر « الأمين الصادق » المهدي (عليه السلام) ، وتهيِّئ له . وأنَّ أكبر معارك هذا الخراساني العظيم تكون من أجل تحرير بيت المقدس من اليهود الطغاة ..! وهذا ما تتّفق عليه المصادر الإسلاميّة بشكلٍ تام ..!

ويكون لهذا الخراساني نفوذٌ ظاهر تخشاهُ الروم . فتعمل الروم بنماذج مختلفة وأحلاف عسكريّة وتحالفيّة متنوِّعة للقضاء على هذا الخراساني فتفشل ..!

وستقع معركةٌ ضارية بين الخراساني واليهود ، كما تقع معارك بين الخراساني والأنظمة التابعة للروم . كما تشارك الروم في الدفاع عن بيت المقدس مع اليهود حتى لا يسقط بيد الخراساني ، وتقع معركة عنيفة إلا انّ الخراساني يقود أعظم معركة من معارك أهل الإيمان آنذاك ويفتح بيت المقدس ..

المذهل أنَّ معركة عنيفة ذُكرت في متون أهل الكتاب تؤكِّد على طابع النفوذ والعظمة للخراساني الذي يقود معسكر أهل الحق في آخر الزمن - ويكون هذا قبل ظهور المهدي - . قال أهل الكتاب في شروحاتهم : [.. ستكون هناك قوّتان متضاربتان متنافستان على مركز السيادة على العالم ، دول غرب أوروبا ، والآشوري][١١٠] . الآشوري هو « الخراساني » أو الفارسي حسب تعابير لاهوتيي أهل الكتاب ، بالإضافة إلى مصادر الإسلام . الأمر شديد الوضوح والدهشة ..! أقول : تخصيص غرب أوروبا من شروحات اللاهوت ، في حين النص أوسع من ذلك . يمكن ان يكون الغرب المسيحي أو طرف منه . الكتابُ المقدَّس واضح في أنَّ الحرب في ذلك الزمن هي حرب هويّة : اليهود المدعُومُون من الروم يُشكِّلون هويَّة

تحالف واعتقاد . والأشوري الفارسي يشكِّل هويّة ذات بُعد عقائدي تنتمي إلى الكوكب الثاني عشر ، أو الركن الثاني عشر من أركان أورشاليم الجديدة (مكّة) ، وينتمي نسله إلى هؤلاءِ الأئمّة ، ويفتخر بأنَّ رؤساءهُ ملوك الأرض ، أي أئمّتها بعد النبي المبعوث في جبال فران (مكّة) ..!

حقيقةً تقرأ المذهل المذهِل فلا تجد معه إلا القول : ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ .. ﴿١٤٩/٦﴾ ..! إذن لهذا الأشوري دور طليعي مركزي ، سيشكِّل معه قوّةً بارزةً في ميزان القوى العالميّة بالمستقبل المحتوم . ومكانُهُ سيكون في إيران . هذا أمر تشهد له المتون المقارنة . في بعض شروحاتهم قالوا : [.. الفرات هو الحد الطبيعي بين اليهود والأشوري[111] . وموطن الأشوري : فارس إيران وتركيا][112] . كما انّ بياناتهم كانت واضحة في أنَّ هذا الأشوري فارسي . « انّه فارسي » ..![113] أي من بلاد فارس ، من خراسان .. وفي أكثر من شرحٍ وفقرةٍ وضوحٌ مُطلقٌ في أنَّ الأشوري الفارسي هو الذي يقودُ أولاً دولة الحقِّ والشرعيّة الإلهيّة ، في وجه معسكر الباطل الذي يتمثّل في « لاودكيه الكنسيّة » المرتدّة واليهود وأتباعهم .. وكذا تركّزت نصوص وبيانات وشروحات حول هذه القضيّة المستقبليّة : [.. الخيل الداهم تخرج مِن فارس ..][114] ..! بيان كامل الوضوح .. إنَّ الأشوري ذاك من بلاد فارس . خراساني ..! والنصوص في مصادر الإسلام أكثر من أن تحصى في بيان خروج أهل فارس في آخر الزمان الذين يوطّئون للمهدي عليه السلام سلطانه ، منها قال صلى الله عليه وآله :

- « لو كان الدِّين عند الثريا لذهب إليه رجل أو قال رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه »[115]

- « لو كان الدين معلَّقاً بالثريَّا لتناوله ناس من أبناء فارس »[١١٦] .

- أبو هريرة قال : « كنَّا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة ، فلما قرأ ﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ﴾ قال رجل : مَن هؤلاء يا رسول الله ؟ فلم يراجعه ﷺ حتى سأله مرَّةً أو مرتين أو ثلاثاً ، وفينا سلمان الفارسي . قال : فوضع النبيُّ ﷺ يده على سلمان وقال : لو كان الايمان عند الثريَّا لناله رجال من هؤلاء »[١١٧] .

وعن أثرهم في « آخر الزمان » نصوصٌ كثيرة دقيقة ، منها :

- « يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق ، لو استقبلته الجبال لهدمها واتخذ فيها طرقا »[١١٨] .

- « تخرج راية سوداء لبني العباس ، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح ، أو صالح بن شعيب ، من تميم ، يهزمون أصحاب السفياني ، حتى تنزل بيت المقدس ، توطئ للمهدي سلطانه ، ويمدّ إليه ثلثمائة من الشام .. »[١١٩]

وكثيراً ما كان النبيُّ ﷺ يشيرُ إلى فارس في أحداث آخر الزمان ويُشدِّد على أنَّهم على ولاء أهلِ بيته عليهم السلام . ويحدِّد أدوارهم ، وهذا ما تعرّضنا له بالتفصيل في دراستنا هذه . . واللافت انَّ الكتاب المقدَّس حشَّدَ جملةً من المفردات حول هذا الموضوع . وكذا الشرَّاح . فعن مهمّة هذا الأشوري ؟ قال قالوا : [.. يدُ اللهِ هي التي ستضرب بواسطة الأشوري[١٢٠] .

وسيكون هو عدوّ إسرائيل آخر الزمان[١٢١] . وسيرسلُهُ الله على أمّة منافقة[١٢٢]] . إذن هو قائد معسكر الربِّ قبل ظهور الفارس (المهدي) الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً ، والذي يكون مِن نسل تلك المرأة الجليلة المتسربلة بالشمس والقمر ، التي على رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً ..!

وعليه :

يكون هذا الأشوري الخراساني قائدَ أمَّة قويَّة ، تدعو إلى الإيمان ومواثيق الربِّ آخر الزمان . وبين يديه شعبٌ قويٌّ مضحٍّ ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، لا يخشى الموت ، يُعرفون بحبّهم للشهادة ، يرون ختامهم الأعظم في إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة . قال أهل اللاهوت عن هذا الأشوري وشعبه : [.. شعبه قوي . لم يكن له نظيرٌ مِن الأزل . ولا يكون بعده . قدّامه نارٌ تأكل ، وخلفه لهيب يحرق ، وأمامه جنّة عدن (أي الشهادة) ، يجرون كالأبطال .. رجال حرب ..][١٢٣] . لهم مواصفات تشير إلى قوّةٍ مميَّزة لما يملكون من أدوات حرب وعقيدة راسخة ، يرون معها أنَّ الجنّة معقودة تحت ظلّ القتال والشهادة ..! يخوضون أعنف المعارك للدفاع عن خيارِهم الذي يعلنونه تاجاً على هرم الكون ، وعنواناً كاملاً في وجه أباطرة الجور والمفسدين . فيصبرون صبراً عظيماً ، ويُمتحَنُون فلا يزيدهم ذلك إلا تماسكاً وثباتاً واعتقاداً وولاءاً وتضحيات .. وإليك جملة من النصوص الواردة فيهم :

- الإمام الكاظم ﷺ : [يخرج رجلٌ من قم يدعو الناس إلى الحق ، يجتمع معه قومٌ ، قلوبهم كزبر الحديد ، لا تزلهم الرياح والعواصف ، لا يملّون من الحرب ولا يجبنون ، وعلى الله يتوكّلون ، والعاقبة للمتّقين][١٢٤] .

- رسول الله ﷺ : [سيأتي قوم من بعدكم ، الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم . قالوا : يا رسول الله نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين ونزل فينا القرآن ؟ فقال ﷺ : إنكم لو تحملوا ما حملوا لم تصبروا صبرهم][١٢٥] .

- عنه ﷺ : [تجيئ الرايات السود من قبل المشرق ، كأنَّ قلوبهم زبر الحديد ، فمن سمع بهم فليأتهم فيبايعهم ولو حبواً على الثلج][١٢٦] .

- عبد الله قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء فتية من بني هاشم ، فتغيَّرَ لونه ، قلنا : يا رسول الله ، ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه ، فقال : [إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإنَّ أهل بيتي هؤلاء سيلقون بعدي بلاء وتطريداً وتشريداً ، حتى يأتي قوم من ها هنا ، من نحو المشرق ، أصحاب رايات سود ، يسألون الحق فلا يعطونه ، مرتين أو ثلاثا ، فيقاتلون فينصرون ، فيعطون ما سألوا فلا يقبلوه حتى يدفعوها إلى رجل « من أهل بيتي » ، فيملؤها عدلا كما ملؤوها ظلما ، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج ، فإنه المهدي][١٢٧] .

- عنه ﷺ : [.. سيكون في آخر هذه الامة قوم لهم مثل أجر أولهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون أهل الفتن][١٢٨] .

- الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - في حديث طويل في وصيَّة النبيِّ ﷺ يذكر فيها أنَّ رسول الله ﷺ قال له - : [يا علي ..

واعلم أنَّ أعجب الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً ، قومٌ يكونون في آخر الزمان ، لم يلحقوا النبي ، وحجبتهم الحجة ، فآمنوا بسواد على بياض][129] .

- عنه ﷺ : [لو كان الدين عند الثريا لذهب إليه رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه][130] .

- عنه ﷺ : « .. يأتي قوم من ها هنا ، من نحو المشرق ، أصحاب رايات سود ، يسألون الحق فلا يعطونه .. فيقاتلون فينصرون ، فيعطون ما سألوا فلا يقبلوه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي ، فيملؤها عدلاً كما ملؤوها ظلماً ، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج .. »[131]

وعليه : يظلُّ أهل فارس – الذين يقودهم فقيهٌ من نسل رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام – يقاتلون على الحقِّ حتى يخرج المهدي عليه السلام فيدفعون الراية إليه ، ثم يتابعون القتال بين يديه ..

.. وسيكون لهم « أبرز المعارك » وأعظمها تضحيات بين يدي المهدي عليه السلام كما في المتون ..

واللافت في متن الكتاب وشروحات اللاهوت التركيز على أنَّ هذا الأشوري الفارسي الخراساني يخوض معارك ضارية من أجل تحرير القدس (إيلياء) ، ويصرُّ على فتحها وتخليصِها من بين يدي اليهود .. وأنّه الخصم العنيد في وجه اليهود المحتلّين ، وحلفاءهم من الروم ..! ويكون هذا الأشوري الخراساني شديد الوضوح في أنّه على دين الإسلام وشريعته ،

وأنّه من أتباع آل محمّد ﷺ ، بل هو مِن نسل آل محمّد ، هو فقيه يقود دولة خراسان في وجه الأباطرة الظالمة زمن الطغيان الرومي في هرم النظام الدولي آنذاك .. اللاهوتيُّون يؤكِّدون أنَّ هذا الأشوري الفارسي لا يكون أبداً من المسيحيَّة ، بل عدوٌّ واضح لليهود ، وخصم كبير للغرب . يفاخر الأمم بأنَّ رؤساءه ملوك الأرض ، أي أئمّتُهُ الإثنا عشر ، أركان أورشاليم الجديدة (مكّة ونبوَّة فاران) ، وأنّه من نسل تلك المرأة الجليلة التي تتكلّل بإثني عشر كوكباً ، الذين يكون الثاني عشر منهم المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً . واللافت أنَّ فارس أو خراسان زمن كتابة العهد القديم كانت لا تعرف الإسلام ولم تسمع به . أصلاً لم يَكن قد بُعِث النبيُّ محمّد ﷺ . بل كان فيها أديان وملل متعدّدة . لذلك سأل بعض اللاهوتيين : هل هذا الأشوري مجوسي عابد نار ، أم من دينٍ آخر أم لا دين هل ..؟ قال أهل اللاهوت : [.. ملك أشور يكون من المسيحيّة ؟ غير ممكن أبداً ..][١٣٢] . أي لا يمكن ان يكون مسيحيّاً . هو مِن غير المسيحيّة ، كما انّه ليس يهوديّاً . بل هو عدوُّ اليهود . قال أهل اللاهوت – عن هذا الأشوري الفارسي – : [.. إنّه قائدُ شرس[١٣٣] . خَلَفٌ جديرٌ بسلاطين الامبراطوريّة العثمانيّة الظالمين الجائرين[١٣٤] . يقول انَّ رؤساءهُ جميعاً ملوكاً][١٣٥] . بهذا الشرح يريد أهلُ اللاهوت لَفْتَ النظر إلى أنَّ هذا الأشوري على دين الإسلام . وكانوا يستعملون عبارة الدولة العثمانيّة ، أو التركيّة لتفسير هويَّة ذلك القائد على أنَّه مسلم ليس أكثر . وقد سَارَ شُرَّاح اللاهوت على هذا النهج مِن الترميز إلى المسلم على أنّه تركي أو عثماني تماماً كما تشير عبارة روما إلى المسيحية . من هنا لا قيمة لهذه التسمية العثمانيَّة ، إنّما القيمة للهويَّة التي يحملها ذلك الأشوري الفارسي . أي يريد اللاهوتيّون التأكيد على أنَّ هويَّة هذا الأشوري هي الإسلام .

لكنَّ اللافت جداً في هذا الأشوري الفارسي انّه يفاخر الأمم بأنَّ رؤساءهُ جميعاً ملوك .. أي قادة ، أي يُؤمن ويعتقد بقادة يراهم ملوك الأرض وسادة الوجود ..!

أمرٌ لافت جداً تركيزُهُم على توصيفه بأنّه يصرُّ أنّ « رؤساءه » جميعاً « ملوك » . أي أنّه مِن نسل أئمَّة ، مِن نسلِ قادة استثنائيين يرتبطون جداً بالإسلام بل هم عظماءُهُ .

أهل اللاهوت : يقولون هذا الأشوري الفارسي يدين بالإسلام . ولقد كانوا واضحين جداً في الكشف عن هويّتِهِ ، مؤكِّدين انّه مسلم يصرُّ أنّ رؤساءهُ ، آباءهُ ، ملوك ، أي هو مِن نسل قائدة يُعلِنُهُم للعالَم أئمّة أجمعين ..! وهذا شديد الإنطباق وبذهول هائل على النصوص الكثيرة الوارد في الخراساني الذي يخرج مِن ارض فارس ، بآخر الزمن ، فيفاخرَ الأمم أنّه من نسل آل محمّد ، وأنّ الأئمّة عليهم السلام هم آباءُه .. فيدعو لقائم آل محمد المهدي عليه السلام ..

وبتعبيرٍ آخر – حسب مصطلحات الكتاب المقدّس – :
يفاخر أنّه من نسل الإثني عشر ملاكاً ، حرّاس وأركان عاصمة أورشاليم ، وأنّه من نسل الأم الجليلة ، والشمس والقمر ، وانّه يناصر الولد الذكر العتيد الثاني عشر الذي يكون مِن الإثني عشر ملاكاً قدّيساً يشكّلون أعمدة واركان أورشاليم الجديدة ، أي الأئمّة عليهم السلام ..

النص يشير إلى أنَّ هذا الأشوري من نسلِ هؤلاءِ ، وأنّه يفتخر بأنَّ رؤساءه أي أئمّته كلّهم ملوك ، أي قادة هذا الإسلام الذي بُعثَ به نبي جبال فاران (النبي المبعوث في مكّة رحمة للعالمين) ، في أورشاليم الجديد ، عند

المكعَّبة (الكعبة) ، بالكتاب المسموع الذي شكَّل إعجازه الأعظم (القرآن) ، والذي يُرتَّل ترتيلاً لم يُرتَّل من قبل على لسان أحد ، وأنَّ أصحابه يُعرفون بالسجود ..! وأنَّ كعبته تجثو لكها كل ركبة ، أي صلاة أتباع هذا النبيِّ الذي بُعِث في جبال فاران (مكّة) فيها سجود وركوع ..! ، وتلك المكعّبة (الكعبة) في أساسِها حجرٌ كريم مقدّس (الحجر الأسود) ، وقرب بيتِ الربّ ذاك تجري ماءُ الحياة (زمزم) ..!

وعليه : هذا الثائر « الأشوري الفارسي » الذي يخشاهُ اليهود ويشكِّل الخصم الأكبر في وجه الغرب هو رجل عظيم من نسل الأئمَّة الإثني عشر عليهم السلام .

وفي النصوص الكثيرة – في مصادر الإسلام التي تشير إلى دولة فارس التي توطِّئ للمهدي عليه السلام سلطانه في آخر الزمن – تأكيد مطلق على أنَّ قائدها السيّد الخراساني (زعيم بلاد فارس) ، وأنّه فقيه ثائر من نسل الأئمّة عليهم السلام ..

ويجب أن تتذكَّر بأنَّ هذا الأشوري الخراساني المنادي بآل محمّد والمهدي المنتظر عليه السلام ميثاقه يكون شديد التعارض مع مواثيق روما واليهود الطاغية .

وأنَّه في فترةٍ ما يشكِّل قوّةً ضخمةً تحُول دون تطبيقات النهب والغزو والإبادة التي تقودها روما واليهود ، عندها يخشيانِه ، فتكون باعثاً لإقامة تحالف بين الروم واليهود .. لذلك : إيران تعني « منطقةَ عدوٍّ » في نظر رومية واليهود ..! وهذه المنطقة التي نسميها منطقة الشرق الأوسط والتي يتعزَّز وصفها بوجود فارس أو بلاد الأشوري تُشَكِّل بنظر رومية

أزمة خطرة جداً .. لهذا تعمد الإدارات المختلفة إلى محاولات إضعاف دولة خراسان وإحكام الطوق عليها بهدف منع ظهور قوّة الأشوري الخراساني الذي ينادي بشرعيّة الإسلام وحقّ آل محمّد ..!

وحتى اليوم تُقيم « واشنطن » أضخم حلف نوعي مع « تل أبيب » لحمايتها من جهة ، وتحقيق مصالح واشنطن مِن جهةٍ ثانية . وهي اليوم أصبحت ذات حلف متقدِّم لِمَا تراه واشنطن من ضرورة وجود لإسرائيل في وجه إيران ..! كما تجد أمريكا وأوروبا في وحدة حال منذ عدوان صدّام حسين على إيران ، ثمَّ بعد إيعاز واشنطن لصدّام باحتلال الكويت ، فضلاً عن محاولتهم الضخمة لتجييش العالم على إيران إبّان المفاعل النووي المدني الإيراني .. تحت عنوان الخطر الإيراني ..!

وفي أكثر من قراءة وتفكير تجدهم يتحدَّثون عن :
الأشوري ، أي عن بلاد فارس ،
عن الإيرانيين ،
عن التاريخ المفترض ،
عن عمليّة إجهاض لحركة الأحداث المستقبليّة ..!
عن « الفعل البشري » ، الذي يُراد منه : « تكوين مستقبل روما الأعظم » بدلاً من نكسات ذات مصدر « شرق أوسطي » ، خاصّةً من ناحية خراسان (إيران) ..!

على أنَّ الأشوري معروف جداً . إنّه يشكِّل هويَّةً عقائديّة ، ذات ارتباط عظيم بتراث الإسلام ، وهو سليل أهل بيت النبي المبعوث في جبال فاران . مصادر أهل الكتاب أشارت إلى موطن الأشوري ، ووصفته بأنه

يتمسَّك بحبل آبائه ، وأنّه يفاخر الأمم بأنَّ رؤساءهُ ملوك ، قادة ، أئمّة ، أركان أورشاليم الجديدة ، وأنّه يدعو إليهم ، إلى الثاني عشر منهم الذي يخرج في آخر الزمان فيقضي بالحق ويحارب العدل ويقود معسكر الرب ويقضي على جبابرة الروم واليهود وقوى الظلام ..

وهي بذلك كانت تسلّط الضوء بشكلٍ نهائي على أنَّ الثائر المحمَّدي - أي مِن نسل الأئمّة عليهم السلام - يكون من الشيعة ، ويقود دولة شيعيّة تتَّبِع الأئمَّة الإثني عشر[١٣٦] .

وهذا أمر شديد الوضوح ، وكلُّ مصادر الإسلام تؤكِّد أنّ الخراساني يدعو إلى « الأئمّة الإثني عشر » مِن آل محمّد ، وينادي بالمهدي المنتظر عليه السلام ، وأنّه يكون مِن نسل آل محمّد ، ويجاهر بأنَّ ملوك الأرض كلّها هم آباءُهُ الإثنا عشر الذين نصبهم اللهُ بعد الرسول محمّد صلى الله عليه وآله . وسيكون هذا الأشوري خصماً عنيداً لليهود المغتصبين والروم ، وسيكون لدولتِهِ الخراسانيّة الإسلاميّة الإيمانيّة قوَّة بارزة في آخر الزمن ، يقود معسكر أهل الحق ويثبت في وجه أباطرة الطغيان رغم الفساد والطغيان الهائل الذي يلفّ العالم .

وأنّه قويٌّ كفايةً إلى حدّ قهر اليهود وإضعاف الروم في منطقته ونواحيها وضعضعة مشروعها الإحتكاري في منطقة الشرق الأوسط . بل في تفسيرات أهل الكتاب وضوح شديد بأنَّ هذا الأشوري المسلم - الموالي لآل محمّد - هو الذي يسلِّطُهُ الرب على اليهود المغتصبين لبيت المقدس فيفتح إيلياء (بيت المقدس) . قال أهلُ اللاهوت : [.. انّه هو - أي الأشوري المسلم - الذي سيستخدمه الربُّ في القضاء على الشعب اليهودي[١٣٧] .

وسيحتل الأشوري نصف إسرائيل في أوّل أيّامه[١٣٨] . وسيستخدم العصا على إسرائيل[١٣٩] . [وسيغزو أورشاليم في حرب النهاية[١٤٠]] . هذا الشرح مذهل ..! لأنَّ النصوص الكثيرة في مصادر الإسلام تؤكِّد بشكلٍ ضخم مدلوله ومعناه ، وكأنَّ أهل اللاهوت قرءوا نصوص الإسلام قبل قراءة الكتاب المقدّس ..!

في مصادرنا : الخراساني يحتلُّ قسماً رئيسيَّاً من فلسطين . وينصب راياتِه في بيت المقدس . نعم يستفاد مِن طائفة روائيَّة أنَّ احتلاله يكون واسعاً . وفي المعركة الثانية زمن ظهور المهدي عليه السلام يتمُّ تحرير فلسطين كلّها . ويكون للقوات الخراسانيّة دور عظيم ، وقدرة فذَّة . ويُشَكِّل حضور الخراساني وجهاً شديد القوَّة والهيبة في عصر الفتوحات تلك ، حتى قبل الظهور ..

وقبل ظهور المهدي عليه السلام تتعاون الروم مع قوى تابعة في منطقة الشرق الأوسط ، لدعم اليهود وتحصينهم ، في نفس الوقت الذي تعلن فيهِ الروم دعمها وتحالفها وحمايتها لليهود في فلسطين ..

النصوص واضحة جدّاً في هذه المعاني ، وهي بتمام الوضوح في الكتاب المقدّس .. وزمن الزحف الخراساني التاريخي تقع معارك ضارية ، وتتمدّد قوّات الخراساني التي تنادي بالمهديِّ عليه السلام إلى الآفاق بدءاً مِن ارضها نحو العراق نحو دمشق ، وصولاً إلى الأراضي المتاخمة لفلسطين .

على أنَّ أكناف بيت المقدس جهة لبنان يكون لها دور بارز جدّاً ، حيث تكون راية الأبدال ، والنصوص واضحة في أنَّ الأبدال يشاركون الخراساني في تلك المعركة ، ويتمُّ واحد مِن التسلُّلات إلى فلسطين مِن

هناك .. والأبدال هم راية إماميَّة تنادي بالولاء للمهديِّ (عليه السلام) ، وتكون نازلةً على طاعة الخراساني ، وتناهض اليهودَ المحتلِّين ، ويكون لها دور بارز في مناهضتِهم .. وزمن الزحف الخراساني تكون جبهتُهم جبهةَ حرب أو عداء مع المحتلّين اليهود . على أنَّ « فلسطين » تشكِّل مادّةً ساخنةً بين الروم والخراسانيين ، تتحوّل إلى ملف متفجّر بعض الأحيان .. لذلك حين تحدَّث أهل اللاهوت عن أسباب النزاع بين الأشوري الخراساني المنادي بآل محمّد ، والغرب الرومي ؟ قالوا في الشروحات : [.. سيكون هناك تحالف غربي وتحالف شرقي ، وتكون فلسطين هي موضوع النزاع ..][141] . فعلاً شيئ مذهل ، وشديد الإنطباق على ما ورد عن النبيِّ (صلى الله عليه وآله) في أحداث آخر الزمان وخروج رايات خراسان الإماميَّة التي تعلن ولاءها لأهل البيت (عليهم السلام) ولا تضع أوزار الحرب حتى تدخل القدس حيث تنصب راياتِها في إيلياء (بيت المقدس) .

إذن القدس عنوان ضخم وكبير في الملف الخراساني ، وستظلّ كذلك ، وستبقى إلى أن يتمّ تحقيق هذه العناوين وتحرير بيت المقدس ..

مع التأكيد على أنَّ راية الخراسانيين ذات ابعاد عقائديَّة ، لا يمكن بسهولة إجهاض فكرها أو إرغامِها على التنازل ، إنها أمّة ذات قوّةٍ وشوكة ، تبني نفسها لتكوِّن الهيكل المُمَهِّد لسلطان الأرض المهدي (عليه السلام) . النصوص الكثيرة واضحة في هذه المعاني ، كما أنَّ متون أهل الكتاب وشروحات اللاهوت شديدة الوضوح بهذه الناحية .. وعليه : عنوان التعارض بين راية الخراسانيين من جهة واليهود والروم من جهةٍ ثانية يكمن في القيم الإفتراسيّة التي يتبنّاها كلٌّ من الروم واليهود ..

القيم عنوان رئيسي في صدامات ذلك العالم ..

هويّة ذلك العالم صِدَاميَّة ، وذلك له اتِّصال شديد بالقيم التي تبدو على نحوٍ من افتراق شديد ..

في ذلك العالم يمكننا الحديث عن تصادم أممي ، عن حروب أمم ذات تحالف شديد (..!)

بين قيم شديدة التعارض ..!

الغرب الرومي واليهود يشكِّلان قوّة افتراس وغزو وظاهرة تسليع لكلّ شيئ ، وقاطرات ظلم وفساد واضطهاد وجشع هائل .

وهذا مرفوض بشدّة في مواثيق الخراساني التي تعلن الإسلام بكلِّ ما أُوتيت من قوّة .

نعم النصوص واضحة في أنَّ الروم تكون ذات حضور ضخم في منظومة الهيكل الدولي آنذاك . وأنّها تشكِّل ضمانة للكيان اليهودي عبر تحالف استراتيجي ..

بالمقابل : سيكون للخراساني بوقتٍ محدَّد قوَّة ذات ردع وصدم مشهود ، على أنّ هذه القوّة ذات قيود وهويّة ترشيديّة توظيفيّة تمنعها من الخلل أو الباطل أو الإنغماس في مشاريع آثمة ..

وأنَّ هذا الأشوريُّ الخراساني - بصريح أهل الكتاب ومصادرهم وشروحاتِهم - يشكِّل قوَّةَ غضبِ اللهِ ، والضارب بسيفه ، ورمز معسكر الربّ قبل ظهور الثاني عشر من الكواكب الذين يشكّلون اركان العاصمة الإلهيّة أورشاليم الجديدة لنبيٍّ جبال فاران (نبي مكّة) . إشارة في الكتاب المقدّس إلى انَّ الخراساني يكون على الحق في مواجهة معسكر الفساد

والإنحراف .. متونُ الكتاب المقدّس شديدة الوضوح في أنَّ الأشوري الخراساني يشكِّل قيمة شرعيّة وصفة رفيعة في لوح السماء . مقابل أطراف ذات ردّة وفساد وطغيان واضطهاد يكون لها حضور بارز في عالم آخر الزمان تمتهن أساليب النهب والغزو والإبادة للإشباع الغريزي والسيطرة على الثروات والموارد وأشباهها[١٤٢] ..

وفي مصادرنا :

الروايات عن الخراساني الأشوري الإمامي كثيرة جداً ، وهي تؤكِّد طابع القداسة الكبرى للسيّد الخراساني الذي يخرج من المشرق طالباً للحقّ ، داعياً لمنهج الشريعة ، مصراً على أن يكون لمعسكر الخير حصَّة رئيسية في مواجهة نظام الطغيان والحكرة والتسليع الغريزي ..

وفي الرواية :

[يخرج من المشرق رايات سود لبني العباس (وهذه قد خرجت) ، ثم يكون ما شاء الله ، ثم يخرج رايات سود صغار تقاتل رجلاً من آل أبي سفيان وأصحابه من المشرق يؤدّون الطاعة لمهدي عليه السلام][١٤٣] .

وفي مجموعةٍ واسعة تأكيد على أنَّ أهل خراسان – بقيادة الخراساني – يقاتلون على الحقِّ أبداً حتى يسلّموا الراية للمهدي عليه السلام ..

وفي نص آخر :

[.. إنَّ الرايات السود تخرج من خراسان ، فإذا هبطت من عقبة خراسان هبطت تبغي الإسلام ، فلا يردّها شيئ إلا رايات الأعاجم من قبل الغرب][١٤٤] .

أي يمنعهم الغربُ الرومي من نشر دعوة الله ودينه وإحقاق الحق وإبطال الباطل في فترةٍ من الفترات ، ويشكِّلون حاجزاً في وجههم . عبر الروم أنفسهم ، وعبر الأنظمة التابعة لهم ..!

والنصوص في الخراساني - الذي يُقيمُ الحقَّ ويقودُ معسكر الربِّ - أكثر من أن تُحصى . وكلّها مدح وتبجيل وتمجيد لهذا الخراساني الذي يقود دولة الحقِّ في زمن الظلمة والظلام والفساد والطغيان ..

على انَّ مهد قائد الثورة الإسلاميّة الموطّئة للمهدي (عليه السلام) تكون في مدينة قم . ونصوص الرجل الفقيه الثائر الذي يخرج من قم مشهورة عند كلِّ المسلمين . ويشكِّل الخراساني في وقتٍ محدَّد قوّةً بارزةً في وجه الطغيان الرومي المتمدّد .

المذهل أنَّ الكتاب المقدّس كان شديد الوضوح في الإشارة إلى وجود جبهتين ، بل تحديد وجوه الجبهتين ، مركِّزاً على ردّة الروم ، على قيادتِها لقيم وأفكار ذات بطش غريزي وانحطاط أخلاقي ، وجبروت يقوم على الظلم والفساد والإضطهاد ، وأنها تناصر اليهود الملعونين ، وتقف في طول معسكرها مع أتباعِها في وجه راية الحق التي يؤكد الكتاب المقدّس أنّها تتمثَّل في آخر الزمان بموطن الأشوري الفارسي ، بواحدٍ من نسلِ رؤساء في الإسلام ، أي أئمَّة إثنا عشر ذكر الكتاب المقدّس عددهم بوضوحٍ مذهل ..!

فيقوم هذا الأشوري مطالباً بالحقّ والعدل الإلهي وفق شريعة الإسلام ، واعتماداً على قيم كتاب نبي جبال فاران (مكّة) ، يفاخر الأمم أنّه من نسل الأركان الإثني عشر الذين تقوم عليهم أورشاليم الجديدة

(الكعبة) ، وأنّه من نسل تلك المرأة الجليلة المقدّسة التي تلد تتكلّل بإثني عشر كوكباً . الأخير منهم « ذكر عتيد » يقود الأمم بعصاً من حديد (المهدي عليه السلام) ..

ثم تتواصل جبهة الحقّ إلى أن يتمّ الإعلان السماوي الضخم عن ظهور فارس آخر الزمان ، الثاني عشر من أركان أورشاليم الجديدة (مكّة) ، الذي يقضي بالحق ويحارب بالعدل ، فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً .. واللافت جداً أنَّ العهد القديم بعدما انهى الحديث عن الأشوري الفارسي بدأ يتحدَّث عن قائدٍ ربانيٍّ عظيم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، يقودُ معسكر الربّ بأعظم صورة ، هذا القائد هو « قديم الأيّام » ، الذي يقضي بالعدل ويضرب بقضيب من حديد[١٤٥] .

وهو نفسه الثاني عشر من الكواكب التي تكلَّلت بها المرأة الجليلة التي تلد ولداً ذكراً عتيداً يقود الناس بعصاً من حديد ، وهو نفسه الثاني عشر من أركان أورشاليم الجديدة (مكّة) .

هذه الشخصيّة الكبرى التي تقود معسكر الرب آخر الزمان هي المعنيّة في سفر الرؤيا حيث جاء فيه :

[إمرأة متسربلة بالشمس والقمر ، تحت رجليها ، وعلى رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً .. ولدت إبناً ذكراً عتيداً ، أن يرعى جميع الأممِ بعصا من حديد ..][١٤٦] .

إنّه الأخير من الإثني عشر كوكباً الذين يخلفون نبي جبال فاران (محمّد صلى الله عليه وآله) وهم المنصوبون من قبل الله ، بل هم أركان هذا الدِّين بشهادة الكتاب المقدّس ..

الكتابُ المقدَّس يتحدَّث عن أركان إثني عشر ، يقوم عليهم هذا الدِّين بعد هذا النبيِّ الجديد لأورشاليم الجديدة (مكّة) ..! ورد في الكتاب المقدّس عن القيادات الكبرى والأركان الخاصّة التي ستحرس هذه العاصمة الإلهيّة - : [.. يحرسها – أي المدينة الإلهيّة الجديدة - اثنا عشر ملاكاً] [١٤٧] . [ويقوم سور المدينة على اثني عشر دعامة ، كُتِبَت عليها أسماء رُسُل الحمل الإثني عشر][١٤٨] . والأخير مِن هؤلاء هو الذي يقود الأمم بعصاً من حديد ليقيم العدل الإلهي في الأرض ..

الكتاب المقدَّس يتحدَّث عن نبيٍّ عظيم يُبعث في بلاد العرب بعد نبوّة موسى والمسيح ، ثمَّ عن عاصمة الدِّين « الجديدة » التي هي المكعّبة (الكعبة) ، وأنَّ هذا « النبي الجديد » يُبعث بإعجاز الكلمة (القرآن) ، وأنّ تلك المكعّبة يكون في أساسها حجرٌ كريم ، وقربها تنبع ماء الحياة من بيت الربّ ، وعند هذه المكعّبة تجثو كلُّ ركبة ، ثمَّ يتحدّث عن الأئمّة القادة بعد النبيِّ الذين يُشَكِّلون أركان هذا الدِّين بعد النبي ، ويؤكِّد أنَّ سور المدينة الإلهيّة الجديدة يقوم على اثني عشر دعامة ، كتبت عليها أسماء رُسُل الحمل الإثني عشر . ويصفهم في صدر الفقرة بـ : [اثنا عشر ملاكاً[١٤٩]] . تأكيداً للطهر العظيم الذي يحيط بهم من قِبَل الله تعالى ، وتحديداً : انَّ نصبهم في هذا المقام الرباني هو مِن قبل الرب العظيم ..! قال اللاهوتيّون في التفسير : [هذه الأسوار قائمة على إثني عشر أساساً ..!][١٥٠] .

الفقرات « شديدة الصراحة » في أنَّ هذا « الدِّين » يتميَّزُ فيه « ١٤ شخصيّة عملاقة » ، ذات تأييد رباني عظيم : هناك ٣ شخصيّات كبرى : الشمس ، والقمر ، والمرأة الجليلة ، وأنَّ هذه المرأة الجليلة مكلَّلة بإثني عشر كوكباً ، أي ١٢ شخصيّة مقدّسة لهم نفس الصفة ، وأنَّ الأخير منهم

يقود الأمم نحو العدل الأكبر في آخر الزمن .. وبدا واضحاً جداً مِن متون وشروحات الكتاب المقدَّس أنَّ الشمس تعني النبيَّ المبعوث بفارانَ ، أي أبو المرأة الجليلة وهو النبي محمّد ﷺ ، وأنَّ القمر زوجها وهو وصيُّ النبيِّ وابو الأئمّة علي بن أبي طالب عليه السلام ، وانَّ الإثني عشر كوكباً الذين لهم صفة واحدة هم الأئمّة بدءاً مِن زوجها عليّ ، وصولاً إلى المهدي من وُلدِها ..

أقول :

هذه الفقرة مذهلة ..! فهي تشير إلى إثني عشر شخصيّة عملاقة ، منصوبة من الله تكون بعد النبيِّ الذي يأتي بالكتاب الجديد لتلك العاصمة الجديد التي تقع في وسط الأرض . وأنّ هؤلاء الإثني عشر يقوم عليهم الدِّين الجديد بعد النبي ، فهل تجد أعظم دلالة ودقّة من هذا الشيئ المدهش الذي تقرأه بين يديك ، والذي أبقاهُ اللهُ حجّة على العالمين إلى قيام يوم الدِّين .. ! وحديث : الأئمّة إثنا عشر كنقباء بني إسرائيل ، متواتر في مضمونهِ بين كلِّ المسلمين على الإطلاق .

وفي الحديث النبوي : لا يزال هذا الدِّينُ عزيزاً ، ما قام فيه إثنا عشر خليفة . .

وفي مصادر الإسلام عدَّدَهُم النبيُّ ﷺ واحداً واحداً ، وصرَّح أنّهم في السماء أشهر منهم في الأرض .

وعليه : هناك ترابط هائل بين نبوَّة فاران وأركانِها الإثني عشر ، والمتن شديد الصراحة في ١٤ شخصيّة عملاقة ، شخصيّة ذات قداسة خالصّة ، منها شمسٌ وقمر ، لكلّ صفة ذات قداسة فريدة (النبوّة : محمّد ، والإمامة : علي) ، وإمرأة جليلة عظمية ، على رأسها ١٢ كوكباً ، أي ١٢

شخصيّة عظيمة مقدَّسة ، لها صفة واحدة (الأئمّة الإثنا عشر) ، وأنّ هؤلاءِ الأئمّة يطالهم واضطهادٌ ظلمٌ كبير . في حين الثاني عشر منهم يقود الأمم بعصا من حديد ، يقود معسكر الرب في آخر الزمان فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً .

.. على انَّه قبل ظهور هذا الثاني عشر من هؤلاءِ « القدِّيسين » الربانيين تكون دولة محمَّديّة ذات قدرات واضحة ، وذات عقيدة ولائيَّة لآلِ محمّد ﷺ ، على رأسها فقيهٌ من نسل آل محمَّد ، يفاخر الدنيا أنَّ آباءهُ « ملوك الأرض » ، أئمّة ، عظماء ربانيّون ، هذه الدولة توطِّئ للمهدي سلطانه .

العهد القديم كان صريحاً جدّاً في أنَّ الأشوري الفارسي يمثِّل قوّة الرب ويوطِّئ لهذه الشخصيّة العملاقة التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، حيث يقضي بالعدل ويضرب بقضيب من حديد[١٥١] .

وعن المهدي ﷺ وطول غيابه أشارت فقرات الكتاب المقدَّسة إليه بإسم « قديم الأيّام » . وهو وصف مذهل ، تقشعرُّ عند قراءته الأبدان ، لأنّه يشير إلى صفةٍ معجزة قرَّرتها أصولُ الإسلام فيه .

مصادر الإسلام تتحدَّث عن « المهدي الغائب » ، عن المهدي الذي وُلِد ثمَّ غَيَّبه الله تعالى ، وأنَّ له غيبةً طويلة ، يخرج على أثرها ، أي له حضورٌ قديم ..!

النصوص في هذا المجال كثيرة ، والمذهل المدهش أنّ الكتاب المقدّس أقرَّ بهذه الحقيقة وأشار إلى تغييب اللهِ له ..!

إنّها واحدة من « معاني الإعجاز » الذي أبقاهُ اللهُ في بطون الكتب لتكون حجّةً على العالمين ..

إنّه المهدي عليه السلام ، قديم الأيّام ، حضوره قديم أي منذ زمنٍ طويل ، لكنّه غائبٌ بإذن الله تعالى ..! وفي شروحات اهل اللاهوت ما يُدهش في تقريرهم الأكيد أنَّ هذه الشخصيّة لها غيبة تظهر على أثرها ..!

فإذا ظهر المهدي عليه السلام قتل الجبابرة ، واجتثَّ الظالمين ، ونادى بالعدل المطلق ، وقادَ الأمم إلى خير الدنيا والآخرة .. وفي الحديث : [يقاتل - المهدي عليه السلام - كلَّ جبارٍ وابن جبّار[١٥٢] . يمدّه الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه مَن خالفهم وأدبارهم][١٥٣] . وقد أشار سفر الرؤيا لهذا المدد له عليه السلام فقال : [وكان الأجناد في السماء يتبعونه راكبين خيولاً بيضاء][١٥٤] ..! أي هذا المهدي منصورٌ بقوّة الله تعالى ، وأنّه صاحب ثورة غضب الله ، وأنَّ السماء أعدّت له جنداً يكونون بين يديه ..! وأنَّ هذا المهدي يكون الخليفة الأعظم للربِّ على الأرض . داعياً إلى الله مبايعاً له ، وفي الحديث : [على راية الإمام - المهدي عليه السلام - مكتوب البيعة لله][١٥٥] . وقد أشار سفر الرؤيا إلى هذا الشعار فقال : [وكان يرتدي ثوباً مغموساً بالدم . أمَّا اسمه (أي الثوب) كلمة الله][١٥٦] . أي شعارهُ البيعة والطاعة لله تعالى ..! فما أعظم هذه المقارنة ، وما أكبر هذه الحجّة ..! ومن يقرأ مصادر الإسلام يدهشهُ ما يقرأ عند أهل الكتاب ..!

وفي رواية أنس بن مالك قال : خرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله ذات يومٍ فرأى عليّاً ، فوضَعَ يدهُ بين كتفيهِ ثم قال : [يا علي ، لو لم يبقَ مِن الدنيا إلا يومٌ واحد لطوَّل الله ذلك اليوم (تأكيداً لظهور المهدي عليه السلام) حتى يملك

رجلٌ مِن عترتك ، يقال له « المهدي » ، يهدي إلى اللهِ عزَّ وجل ويهتدي به العرب ، كما هديتَ أنت الكفّار والمشركين من الضلالة . ثم قال : مكتوب على راحتيه بايعوه ، فإن البيعة للهِ عزوجل][١٥٧] . الله أكبر ما أعظم هذا التعبير ، وما أظهر حجج الله تعالى على عقول الخلق كافّة ..!

ثمَّ نَصُّ الكتابِ المقدَّسِ شديدُ الصراحة في أنَّ هذا القدّيس الأعظم الذي يخرج في آخر الزمان ويكون من نسل المرأة المتسربلة بالشمس والقمر يكون الأخير من الإثني عشر كوكباً ، وأنّه الذي يقود الناس بعصاً من حديد . وعند أهل الكتاب أخبار المهدي عليه السلام كثيرة ومذهلة . ففي سفر الرؤيا بيان أنَّ امرأة مسربلة بالشمس والقمر ، فوق رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً ولدت ذكراً عتياً أن يقود الأمم بعصاً من حديد . قال أهل اللاهوت : هذه المرأة التي تلدُ الولدَ الأخيرَ ، وأنّه ستُحيطُ بها المخاطر ورمز للمخاطر بإسم « التنين » فقال : [التنين وقف أمام المرأة العتيدة حتى تلد يبتلع ولدها متى ولدت][١٥٨] . أي هناك جبَّار أو قيادة ظالمة تريد قتل الولد الأخير من الإثني عشر بعد ولادته ..! لكنّهم يفشلون . النصُّ شديدُ الصراحةِ في أنَّ الثاني عشر من اركان أورشاليم الجديدة (المهدي مِن نسل النبي محمَّد) يتعرَّض لحملةٍ هائلة يُراد من خلالِها قتلُهُ ، وأنّ الجبّار الحاكم آنذاك يعمل ما باستطاعتِهِ لقتلهِ فيفشل في ذلك .. يقول باركلي في تفسيره : [عندما هجمت عليها المخاطر اختطف اللهُ ولدها وحفظه] . والنص : [اختطف اللهُ ولدها][١٥٩] . أي أن الله غيَّب هذا الطفل كما يقول باركلي . أي وُلِدَ وغيَّبَهُ اللهُ خشيةً عليه مِن الجبّارين .

فعلاً شيءٌ مذهل ومذهل ، ولا أملك معه إلا أنْ أقول : « لله الحجّة البالغة » ..! وقد ذكر السفر أنَّ غيبة هذا الغلام ستكون ألفاً ومائتين وستِّين

يوماً . وهي مدَّة مأخوذة على نسق الرموز عند اهل الكتاب . . فيما يُحرِّم الإسلام تقدير مدَّة غيبة المهدي (عليه السلام) . نعم الثابت أنَّ غيبته تكون طويلة .. وهذا ما يوافقنا عليه أهل الكتاب بصريح عباراتِهم ..!

وفي مصادر الإسلام ما يذهل ويدهش العقول . حيث هناك طائفة واسعة سأعرض عليك فقرات قليلة منها ، تشير إلى تواطئ الجبَّارين لقتل المهدي (عليه السلام) بعد ولادته ، وكل مَن يقرأ التاريخ العام آنذاك يدرك حجم المخاطر التي أحاطت بـ « الإمام العسكري (عليه السلام) » للقضاء على ولده المهدي (عليه السلام) .

لقد بذل العبَّاسيّون كلَّ طاقاتِهم لمنع ولادة المهدي ، لما يعلمون بصريحِ نصوص النبيِّ (صلى الله عليه وآله) أنّ هذا المهدي ، الثاني عشر من أهل البيت هو الذي يقوِّض عرش الجبّارين ويجتث اهل الظلم والفساد وأباطرة الخيانة والضلال .. ورغم ذلك فشلوا ..

وقصّة « العباسيين » مع « المهدي (عليه السلام) » مشهورة جداً وجديرة بالملاحظة ..

وتتّفق النصوصُ على أنّ اللهَ « غيَّبه وحفظه » ، وقد اعدَّهُ للحظةٍ كبرى ومفصلٍ أهم ، فإذا أظهرهُ قاد البشر إلى أعظم رتبة في فقه الوجود ومسيرة الحياة ..

هذه نرجس عمَّة الإمام (عليه السلام) التي كانت في لحظات ولادة المهدي تحكي لنا أموراً مذهلة ، فهي بعد أن ترى الإمام العسكري يقبّله ويناجيه ، وبين يديه تظهر آياتُ اللهِ الكبرى ، ومعالم الإعجاز ، ثم يأمرها أن تردّه

إلى أمّه كي تقرَّ عينها ، ثم تذهب إلى منزلها ، ثم تشتاق إليه فتعود كي تراه تقول :

[.. وانصرفتُ إلى منزلي ، فلما كان بعد ثلاثٍ ، اشتقتُ إلى وليِّ اللهِ (المهدي عليه السلام) فصرتُ إليهم ، فبدأت بالحجرة التي كانت (نرجس) فيها فلم أرَ أثراً ولا سمعتُ ذكراً ، فكرهتُ أن أسأل ، فدخلت على أبي محمد (الإمام العسكري عليه السلام) فاستحييت أن أبدأ بالسؤالِ ، فبدأني عليه السلام فقال : هو (أي محمّد المهدي عليه السلام) يا عمَّة في كنفِ اللهِ وحرزه ، وستَرَهُ وغيَّبَهُ حتى يأذن اللهُ له][160] ..

وفي نصٍّ آخر : قالت :

[.. ثم قال (الإمام العسكري عليه السلام) : يا عمَّة ادعي لي نرجس ، فدعوتها وقلت لها : إنَّما يدعوك لتودِّعيه ، فودعته وتركناه مع أبي محمد عليه السلام ، ثم انصرفنا . ثم إنِّي صرتُ إليه مِن الغد فلم أرَهُ عنده فهنّيتُهُ فقال : يا عمَّة هو في ودايعِ اللهِ إنْ يأذن اللهُ في خروجه][161] .

والنصوص التي تشيرُ إلى غيبته كثيرة على الإحصاء . وكلّها تؤكِّد تربُّص الجبابرة بهِ ، وأنّهم يصرُّون على قتله ، فكان أن غيّبه اللهُ تعالى .

وفي مصادر الإسلام ستقرأ أنَّ الإمام العسكري عرضه على الكثيرين الكثيرين من اصحابهِ وأتباعِهِ وهو يؤكِّد عليهم انَّ هذا الثاني عشر من آل محمّد الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً .. والمذهل أنَّ الكتاب المقدّس وشروحات اللاهوت شديدة الوضوح في أنّ الله يغيّب الثاني عشر مِن نسل النبي الذي يُبعث في

جبال فران (مكّة) على أن يخرج بعد غيبةٍ طويلةٍ فيقود معسكر الربّ فيقيم العدل الإلهي على الأرض .. فعلاً شيئ مدهش ..! نصوص أهل الكتاب وشروحاتُهم مذهلة ..! تشير إلى نوايا الجبابرة لقتل الثاني عشر من اركان أورشاليم بعد ولادته .

والتاريخُ صريحٌ في أنَّ نسل تلك المرأة الجليلة فاطمة الزهراء يتعرَّض لعذابٍ هائلٍ : قتلاً وتشريداً وتعذيباً من قبل الجبابرة ، ونصوص النبي ﷺ فيها ما يذهل في الإشارة الغيبيّة إلى ذلك . وهذا ما أشار إليه أهلُ الكتابِ بصراحةٍ مطلقة . يقول باركلي عن نسل تلك المرأة الجليلة : إنَّ التنين سيعمل حرباً شرسة مع نسل المرأة . كما قال السفر : [فغضب التنين على المرأة وذهب ليصنع حرباً مع باقي نسلها الذين يحفظون وصايا الله !][١٦٢] .. انظر ..! : أهلُ الكتاب يؤكِّدون أنَّ النبي المبعوث في جبال فارن رحمةً للعالمين سيكون له نسل من إبنتهِ ، وهذه الإبنة العظيمة الطاهرة سيلاقي نسلُها حرباً شرسة : قتلاً وتشريداً وتطريداً من التنِّين ، أي من الجبابرة ، وأنّهم سيلاقون عذاباً متمادياً إلى أن يبعث اللهُ منهم الإمام الثاني عشر ، الذي يخرج بالحق وينادي بالعدل ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً .

وفي رواية عبد الله قال :

بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء فتيةٌ مِن بني هاشم ، فتغيَّرَ لونه ، قلنا : يا رسول الله ، ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه ، فقال : [إنَّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإن أهل بيتي هؤلاء سيقتلون (وسيلقون) بعدي بلاءاً وتطريداً وتشريداً ، حتى يأتي قوم من ها هنا ، من نحو المشرق ، أصحاب

رايات سود ، يسألون الحق فلا يعطونه ، مرتين أو ثلاثا ، فيقاتلون فينصرون ، فيعطون ما سألوا فلا يقبلوه حتى يدفعوها إلى رجلٍ مِن أهل بيتي (المهدي) ، فيملؤها عدلاً كما ملؤوها ظلماً ، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج ، فإنه المهدي][١٦٣] .

أي تخرج راية خراسانيّة تدعو لآل محمّد ، وتوطّئ للمهدي سلطانه كما في كثيرٍ من النصوص فإذا ظهر المهدي عليه السلام بايعته ونصبت رايتها بين يديه ..

كلُّ شيئٍ مذهل ..! ودليل عملاق على العظمة ، دليل خزَّنَهُ الله ليكون حجّةً على الأمم إلى يوم القيامة .. وفي قول كعب : [إنِّي أجد « المهدي » مكتوباً في اسفار الأنبياء . ما في عمله ظلم ولا عيب][١٦٤] .

نصوصُ الإسلام وأهل الكتاب شديدة التطابق على نبيّ أورشاليم الجديدة ، على المرأة الجلية الطاهرة المتسربة بالشمس والقمر ، التي يكون على رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً ، أي إماماً . وأنَّ الثاني عشر من هؤلاءِ الأئمّة يغيب ، ويحفظه الرب من التنّين (الجبابرة) ، فيغيّبه عنده ، مدّة طويلة إلى أن يأذن له فيخرج بآخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، فيحكم بالحق ويحارب بالعدل ..! شيئٌ مذهل أن تقرأ هذه المعاني عند اهل الكتاب ..!

نصوصُ أهل الكتاب في واحدةٍ من صفات المهدي عليه السلام عبَّرت عن المهدي بـ « قديم الأيام » لتشير إلى صفةِ عمرٍ طويل يكون لهذا الخارج في آخر الزمان ، وهو المهدي عليه السلام . فما أعظم هذا التعبير ..!

إنّه الشمسُ الساطعة في خيمة هذا الكـون ، والبرهـان الأعمـق فـي بطن هذا الوجود ..

وفي كلِّ كتابٍ له دليلٌ عملاقٌ عليه ، وأقلام البشر شـرحاً وتفسـيراً وفطرةً تنادي به وتقرُّ له ..

اللهـم اجعلنـا مـن أنصـاره وأعوانـه والـذابِّين عنـه والمستشهدين بين يديه والمقتولين تحت بيعتِـهِ ولـواءِهِ واسـمه بمحمَّد وآله الطاهرين ..

معارك آخر الزمان

.. معارك آخر الزمان كثيرة ، وتعقيدات ذلك الزمن أكثر خطورة بسبب انحراف القيم والمواثيق وأشبهها .. وهذا ما سنتعرض له بالتفصيل في متون هذا الكتاب بعون الله تعالى .

وهنا أحب أن أشير بشيءٍ من « الإختصار » إلى بعض العناوين الكبيرة ، كبيان توصيفي مستقبلي وارد في متون أهل الكتاب ومصادر الإسلام . اللافت جداً أنَّ الكتاب المقدَّس أولى هذه الأحداث المستقبليّة إهتماماً بالغاً .. وأشار بشيءٍ مِن التفصيل المُدهِش لبعض مفاصل تلك الأحداث ..

تشير المتون أنّه بعد معارك الأشوري المسلم – الإمامي – تقع معركة عنيفة باتفاق كلِّ المصادر . هذه المعركة هي أكبر المعارك في تاريخ الجنس البشري ، معركة ستشكِّل مفصلاً للأحداث لكنَّها لا تنهي عالم الظلم والفساد . لأنّه على أثرها يخرج المسيح الدجَّال . هذه المعركة ستكون ضارية إلى حدّ تظهر معها ملامح الزمن الجديد ولو بعد آنٍ . تُعرف هذه المعركة بـ « الملحمة الكبرى » . وفي الإنجيل بإسم « معصرة غضب الرب

العظمى »[١٦٥] . وعند اليهود في العهد القديم بإسم « الخربة الأبديّة »[١٦٦] . وهي من أحداث المستقبل . ولها طابع عقائدي واضح .

مع التأكيد على أنَّ « مفهوم الحياة » عند الروم آنذاك يشكِّل كارثةً على البشرية لما يعنيه مِن « تسليع » لكلِّ شيئ ، وتحويل القيم إلى خادم غريزي ، يشكِّل سبباً لقاطرات الغزو والقتل والإبادة لما يعنيه ذلك اليوم من تحويل البشر إلى أطباق على مائدة سباع الأرض ووحوشها ..!

من هنا كان مِن الطبيعي أن نقرأ عناوين من التصادم بين معسكري الخير والشرِّ .

الأشوري الخراساني - قبل ظهور المهدي عليه السلام - سيكون على نحوٍ من ضابطة عالية في تقدير وفهم القِيَم وتوصيفِها ، وفق قراءة كونيّة وجوديّة تتّسم بأُطر شديدة الرفعة والصفاء والرقابة ، في حين رومية ستكون على نحوٍ خطيرٍ من الإنزلاق في ضجيج الغريزة وسحق الأسواق وأكل اللحوم البشريّة بنماذج متنوِّعة ..

وبعد خروج الخراساني ، وغبار المعارك الكثيفة ، والوقوف في وجه الروم في منطقة الشرق ، تظلُّ الروم على نحوٍ كبيرٍ من الرفعة والقوّة في هرم النظام العالمي ، وهذا يعني إصرارها على المضي في فتح الأرض ومهد الثروات وتسليع البشر دون الإعتراف بقيم أو مبادئ ذات اصالة وجوديّة .. العهد القديم - الجديد يحدِّثَا بشكلٍ واضح عن ردّة الروم ، عن انحراف « كنيسة لاودكيه » ذات المرجعية العليا ، عن الإنخراط الرومي مع اليهود في عمليّة حصد للبشر والثروات وخلط بين القيم والغريزة ..

فضلاً عن الإعلان الصريح والكامل لرفض النبوّة التي بعثها الله في جبال فاران ، بل إصرار رومية الإعتماد على قوّة الذهب والمعدن والثروة ووسائل الضغط والإكراه للبقاء في موقعها العنادي الظلامي في وجه مواثيق الربّ ..! ولهذا السبب تجتاح رومية بلاداً كثيرة ، وتقيم حلفاً استراتيجيّاً مع اليهود لإتمام مشروع الهيمنة في الأرض ..!

وتنتهي جولة المشهد الأوّل الهائل – في آخر الزمن – عبر مواجهة معسكري الخير والشرّ بإيقاع ضخم للأشوري الخراساني ، ثم التفاف قوى الشرّ عليه في أكثر من موقعةٍ وجهةٍ ونظام ، فتؤدّي إلى خروجه من بيت المقدس (إيلياء) ، في ظل حروب وفتن وأزمات تتّصل بالأمن والغذاء والصحّة والدواء وشبه ذلك .. إنّها معارك آخر الزمن ..!

وبتطوُّر هائلٍ تُعلن السماءُ أضخم إنذار آنذاك ، مفادُهُ أنّ قديم الأيّام (المهدي الغائب) محمّد بن الحسن ، الثاني عشر من نسل النبي الذي بُعِثَ في جبال فاران (مكّة) ، قد ظهر ..

ومعه تبدأ جولة مذهلة من تقديم « قيم السماء » إلى أهل الأرض ، لكنَّ أهل الأرض . بالأحرى : قسم جبّار منهم يعلنون عدائهم ، وحربهم على المهدي عليه السلام ..!

وتبدأ سلسلة من تطوّرات هائلة تنتهي بنصرة المهدي على مجموعة من الجبابرة وأباطرة الفساد والظلام .

لكنَّ رومية تبقى قوّةً ضخمةً تصرُّ على موقعها في هرم النظام الدولي ، وتعمل ما تستطيع لإجهاض معسكر الرب ..!

ورغم انّها تدخل بمعاهدةٍ مع المهدي (عليه السلام) في فترةٍ ما من تاريخ الأحداث الكبرى إلا أنّها تعود وتنقلب عليه ..

ففي فترةٍ محدّدة من « تاريخ الأحداث والظهور العملاق » لدولة المهدي (عليه السلام) تخضع « الروم » للميزان الجديد ، فتوافق على « صلح » مع دولة المهدي (عليه السلام) . ثم تنقض الميثاق المعقود بينها وبين المسلمين فيقتلون جماعةً من المسلمين في مرج ذي تلول (لبنان) .

وعلى أثر هذه « المعركة الإنقلابيَّة » تتجهَّز الروم لخوض أعنف المعارك الفاصلة مع دولة المهدي (عليه السلام) ، وتعلن الروم بشكلٍ مطلق عن عداءها ، وتفاخر بشراهة الإنحراف الذي تمثّله .

ومنذ تلك اللحظة تُجَيِّش الرومُ قوى الغرب وملوك العالم خاصّة قوى الغرب المسيحي للنهوض إلى حرب المهدي (عليه السلام) . وفي مصادر أهل الكتاب وصف مذهل لهذه الحقيقة . قال أهل اللاهوت في التفسير – عن هذه المعركة – : [.. إنَّ الأرواح النجسة أخرجت ملوكَ العالم لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم . يوم الله القادر على كلِّ شيئ[١٦٧] . لقد استخدم الشيطان قوّةَ روما لتحريك ممالك الغرب ، واستخدم بني اليهود والكذاب لتحريك اليهود[١٦٨] . إنّها محكمة حربيّة جماعيّة[١٦٩]] . النص صريح في أنَّ الأرواح النجسة تُخرِجُ مُلُوكَ العالم لقتال ذلك اليوم العظيم ، قتال يستخدم الشيطانُ فيه قوَّة روما وحلفاءها لتحريك ممالك الغرب وقوى العالم الحليفة في وجه دول المهدي (عليه السلام) ، الكوكب الثاني عشر من حرَّاس وأركان أورشاليم الجديدة التي تشكِّل عاصمة النبي الذي بُعث في جبال فاران (مكّة) . إنّها حرب الحقِّ والباطل . وحسب اصطلاح الكتاب المقدّس وشُرَّاح اللاهوت :

إنّها حربُ الخير والشر . الشر تمثّله روما وحلفاءُها ، والخير يمثّله المهدي ودولته .

نصوص الكتاب المقدَّسة « شديدة الصراحة » في ردّة روما (او رومية) ولعنة اليهود . وتمثيلهما الشر العنيف . مقابل الخير الذي يمثّله الأشوري الخراساني ، ثمَّ الخير الأعظم الذي يمثّله المهدي عليه السلام الذي يمثّل عظمة السماء عصر الظهور ..

روما في لحظةٍ ما ، تُقَرِّر ضرورةَ « مواجهة المهدي عليه السلام » فتجمع طاقات حلفاءها الحربيّة بشتَّى أنواعها من الغرب والشرق وتعلن حربها على المهدي عليه السلام . إنّها « حربُ روما وقوى الغرب المتحالفة » في وجه الإسلام الذي يقود دولته المهديُّ المنتظر عجل الله فرجه الذي صرَّحت متونُ أهل الكتاب أنّه يغيب غيبةً طويلةً يحميه فيها الربُّ ويحفظه ، ثم يظهر ويقود معسكر الربّ في وجه قوى الظلام والردّة . في وقت تقرُّ فيه متون أهل الكتاب أنَّ « لاودكيه الكنسيّة » تكون في أعتى معالم انحرافِها ..! وأنَّ روما تُمَثِّل قمَّة الإنحراف الأخلاقي - الكوني ..!

وتبدأ معارك دولة المهدي عليه السلام مع الروم من منطقة « الشرق الأوسط » ، وتستمر المعارك بشكلٍ كبير ، وصولاً إلى عاصمة القرار الرومي الأضخم .. وهناك تقع أضخم المعارك . لقد اتّفقت جميع المصادر على عنف هذه المعركة . في العهد القديم قال عاموس : [.. يوم الرب ! هو ظلامٌ لا نور][170] . وفي العهد الجديد قال : [لم يحدث مثلها منذ بدء العالم إلى الآن ولن يحدث][171] . وفي النصوص النبويّة : [لم يُر مثلها][172] . وقد تعرَّضتُ لهذه المعركة بشيءٍ من التفصيل في هذا الكتاب .

الجميع يتَّفق على أنَّها « المعركة الأعظم » ملحمة ذات أثر ومظهر وتجلٍّ مذهل ، يتأسَّس على نتيجتها « نموذج جديد » لمسير الكون السياسي خاصّةً بعدما يتبعهُ بسنوات هزيمة الدجَّال وتوابع أباطرة الجبروت ..

وعليه :

النصوص تحدِّثُنا عن « قوَّتين بارزتين » في العالم بعد هذه الملحمة الفظيعة ، هما : الدجَّال ، ويأجوج ومأجوج ..

ثم تبدأ رحلة الأرض بحلَّة الوجود الإيماني الذي يقوده المهدي عليه السلام بأعظم صُوَرِهِ . ولا تحدّثنا النصوص عن ملحمةٍ كتلك التي تقع بين جيش المهدي وجيش روما في عاصمة قرار روما (الغرب) ..

إنّها معركة هائلة – آخر الزمان – بين دولة الإسلام بقيادة المهدي المنتظر عليه السلام وجبهة الروم ، بملوك أهل الأرض من الغرب وأتباعهم ..!

الكتاب المقدَّس شديد الوضوح أنَّ قديم الأيَّام (المهدي عليه السلام صاحب الغيبة) يمثِّل شريعة الله ، وأنّه الذي يضرب بغضب قوَّة الرب ، وأنّه المؤتمن على دين السماء . في حين الروم تمثِّل معسكر الشيطان ، وأنَّ الشيطان يضرب بقوَّة الروم ، وأنّها عبارة عن « الأرواح النجسة » التي أخرجت ملوك الغرب لتقاتل مع الشيطان ..! اذن الحرب – وبمصادر أهل الكتاب – حربٌ بين معسكر المهدي الإيماني من جهة ، ومعسكر الروم وملوك الغرب المنحرفين من جهةٍ أخرى ..!

وتقع المعركة ، بحيث تتصادم أكبر قوَّتين آنذاك ، وتُستَعمَل في هذه الحرب أدوات هائلة . كلٌّ يضرب على المعسكر الآخر ، وتلتهب القوى

في ظلٍّ أعنف صِدَام بين القوى .. يقول النبيُّ ﷺ – واصفاً مسرح العمليات الأعنف آنذاك – : [.. فيقتتلون شهراً ، لا يكلُّ لهم سلاحٌ ولا لكم ، ويقذف الطيرُ عليكم وعليهم ، فإذا كان رأس الشهر قال ربُّكم اليوم أسلُّ سيفي فأنتقم من أعدائي وأنصر أوليائي ، فيقتتلون مقتلةً ما رُئي مثلها قط ، حتى ما تسير الخيل إلا على الخيل ، وما يسير الرجل إلا على الرجل ..][١٧٣] .

انَّها « حرب هائلة » ذات أدواتٍ حربيَّةٍ شديدة التطوُّر ، في ظلِّ صِدَامٍ عسكريٍّ عنيف ، وتكاتف مذهل من قبل ملوك الغرب وأتباعهم في وجه المهدي عليه السلام ودولته .

والجميع يصرُّ على الفتك بدولة المهدي الجديدة وإنهاءها بكافّة الوسائل ، وما يمكن أن يحقِّق هذا الهدف ..

ما يعني أنَّ الدمار والنار والقتل والإبادة ستكون واسعة جداً .. العهد الجديد يصف وجهاً مِن آثار تلك المعركة فيقول – عن هذه المقتلة – : [.. فانبثق الدمُ ، وجرى أنهاراً بارتفاع لجام الحصان][١٧٤] .

أي بدأت المعركة ، ومعها بدأ القتلُ والعنف بشكلٍ مذهلٍ ، تاركاً وجهاً ضخماً ، يدلُّ على حجم القتال ونوعه الذي جرى بين المعسكرين ..!

إنَّها المعركة التي جمع « قديم الأيّام » (المهدي) فيها أنصار الله وقادَ معسكرَ الربِّ في وجه معسكر الشيطان الذي يضرب بقوَّة رومية المرتدَّة ومعها ملوك الغرب وأتباعهم كما في أصرح متون وشروحات أهل الكتاب ..! قال اللاهوتيّون في التفسير : [.. يا له مِن وصفٍ مروِّع ، دماء في مجرى عميق ، يبلغ ارتفاعه إلى لحم الخيل ، إنّه غضبُ اللهِ على المرتدِّين ،

بكيفيّةٍ لم يُسمع مثلُها في كلِّ التاريخ البشري][١٧٥] . هذه نفسها مطابقة لمتون الإسلام : حرب المهدي مِن آل محمَّد في وجه رومية ، حرب العدل الإلهي في وجه الطغيان الشيطاني ..! حرب تشتعل فيها الأرض ناراً وتقاذفاً في أنحاء محدَّدة . حتى تتداعى روما بشكلٍ مذهل ..!

حرب يُعبِّر عنها العديدُ من اللاهوتيين بأنَّها معركة الربِّ في مواجهة طغيان الإرتداد والمنحرفين . يقول سفر ركزيّا عن قوّة هذه الضربة : [وهذه الضربة التي يضرب بها الربُّ كلَّ الشعوب الذين يجنّدوا على أورشاليم - أي لحمايتها وتأييدها ودعمها - لحمهم يذوب وهم واقفون على أقدامهم ، وعيونهم تذوب في أوقابها ، ولسانُهم يذوف في فمهم][١٧٦] .. عبارات ربَّما لا نجد لها تفسيراً إلا باصطلاحات الحرب النوويّة وتوابعها .

معركة شديدة ، عنف هائل ، خوف ، فزع ، قتال لا مثيل له من قبل .. روما التي كانت تقود النظام الدولي تقف الآن في حالةٍ من الرعب والهلع أمام القوَّة الخارقة التي يقودها المهدي ..!

ورد عندنا في النصوص إصطلاحات عن « ملاحم عدّة » استعملت فيها عبارات مثل : [فتشبع السباع والطيور من لحومهم ..] . لكنَّها هنا تشيرُ إلى حربٍ هائلة ذات ضخامةٍ محدَّدة ..

وفي وصف طائفة مِن النصوص تأكيدُ على انَّ الروم كانت تتجهّز لمثلِ هذه الحرب ، وأوَّل أساليبِها قَتْلُ المسلمين في « مرج ذي تلول » والإنقلاب على مواثيقِها مع دولة المهدي عليه السلام .

وفي روايـة ذي مخبـر بـن أخـي النجاشـي قـال : سـمعت رسـول الله ﷺ يقول :

[تصالحون الروم عشر سنين صـلحاً آمنـاً ، يفـونَ لكـم سـنتين ، ويغدرون في الثالثة ، أو يفون أربعاً ويغدرون في الخامسة ، فينـزل جـيش منكم في مدينتهم ، فتنفرون أنتم وهم إلى عدوٍّ مِن ورائهم ، فيفتح اللهُ لكـم ، فتنصرون (فتسرون) بما أصبتم من أجر وغنيمة ، فتنزلون فـي مـرج ذي تلول (لبنان) ، فيقول قـائلكم : أللهُ غلـب ، ويقـول قـائلهم : الصـليبُ غلـب . فيتداولونها ساعةً . فيغضب المسلمون ، وصليبهم منهم غير بعيـد ، فيثـور مسلمٌ إلى صليبهم فيدقّه ، فيثورون إلى كاسر صـليبهم فيضـربون عنقـه ، فتثور تلك العصابة من المسلمين إلى أسلحتهم وتثور الروم إلى أسلحتهم ، فيقتتلون ، فيُكرِمُ اللهُ تلك العصابةَ مِن المسلمين فيستشهدون . فيأتون (أي الروم) ملكهم فيقولون : قد كفيناك حـدَّ العـرب وبأسـهم ، فمـاذا تنتظـر ؟ فيجمع لكم حمل امرأة ثم يأتيكم في ثمانين غاية تحت كل غايـة إثنـا عشـر ألفاً ..][١٧٧] ..

يزُجُّون في تلك المعركة – أوَّل الأمر – ما يقرب من مليون مقاتـل ، تغزو بهم روما الشـرق مِـن جديـد ، بهـدف إنهـاء دولـة المهـدي عليه السلام مـن الوجود . ويكونون مجهَّزين بسلاحٍ متطوِّر دلَّت عليهِ طائفة من النصـوص ، يبدو منها الإشارة إلى التقـاذف (الصـواريخ) والطيـران وشـبه ذلـك مـن أدوات عصر تلك الحرب ..

وتقع الحرب مع الروم مرَّتين على الأقل ، علـى نحـوٍ مـن ضـخامةٍ كبيرة . الأولى في الشرق . وينتصر فيها جيش المهـدي عليه السلام . والثـاني فـي

الغرب ، أيضاً ينتصر فيها جيش المهدي (عليه السلام) . لكنَّ وصف تلك الحرب يكون هائلاً .

ومنذ اللحظات الإنقلابيَّة الأولى التي تُعلن فيها روما انقضاضها على المواثيق مع دولة المهدي (عليه السلام) تجمع جيشها وجندها وآلة حربها ووسائل دعمها ، وتقيم تحالفاً عسكريَّاً هائلاً بهدف القضاء على دولة الإسلام .

فتزجُّ بملوك الغرب وأتباعه بكافَّة طاقاتِهم العسكريَّة ، إلا أنّهم يرون غضباً مدهشاً من معسكر الربِّ ، المتمثِّلِ بجيش المهدي ، قوَّة لم يروا مثيلاً لها مِن قبل . فصيبهم خوفٌ هائل ، ورعبٌ لا مثيل له من قبل . إنّها قوّةُ اللهِ تضرب على الأرض ..! تضرب أولئك الذي قطعوا البحار والأمصار لحرب دولة الرب . يصوِّر سفر الرؤيا هذا الذعر الهائل الذي يسيطر على زعامات روما وملوكها وأرباب قاطرتها فيقول : [.. وملوكُ الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكلّ عبدٍ وكلُّ حرٍّ أخفوا أنفسهم في المغاور وفي صخور الجبال وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا ! ، واخْفِينا من وجهِ الجالس على العرش (إشارة إلى المهدي المنتظر (عليه السلام)) ، ومن غضب الحمل[178] (إشارة إلى السيّد الفارسي الأشوري الخراساني) . إنَّ يوم الغضب العظيم قد جاء ، ومَن يقوى على الوقوف أمامه ..!][179] . الله أكبر ..! ها قلبي يهتزُّ خشوعاً من هذا الوصف الذي يتّفق تماماً مع مصادر الإسلام ، ودقّة ما ورد فيها .. إنّها بشارةُ الله والوصف المستقبلي لتلك الملحمة الهائلة ..! الأمراء ، الملوك ، الأباطرة ، الجبابرة الذين يقودون جبهة روما وحلفاءها من ملوك الغرب وحلفاءهم ، لمّا ينظرون إلى واحدةٍ عملاقة من بطش دولة المهدي (عليه السلام) التي تحيل ارض المعركة إلى محرقة ، ويرون فيها التضحيات المذهلة من جند المهدي (عليه السلام) ،

يذهلهم ما يرون .. ويأخذ النصُّ بأبصارنا إلى ضربةٍ عنيفةٍ تحيلُ القوم إلى حطام ..! ضربة لم يرَ أهلُ الأرض مثيلاً لها من قبل .

عندها يسيطر الهلع والخوف الهائل على ملوك روما والغرب بشكلٍ مدهش ، فيلجؤون إلى الحصون النوويّة مثلاً أو الملاجئ العميقة والقلاع الضخمة ..!

لكنَّ ذيل النصِّ يؤكِّد أنَّ حجم ضربة دولة المهدي ﷺ لجبهة رومية وحلفاءها اضخم وأكبر بكثير من أن تحميهم هذه الملاجئ وتلك القلاع مهما وُصِفت .. النص صريح جداً في ذلك . نصُّ سفر الرؤيا ينقل لنا رُعب الأمراء والملوك والقادة وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا ! اخْفِينا من وجهِ الجالس على العرش ..! إنّها أضخم لحظة رعب من عظمة المهدي وليِّ الله الأعظم ..!

لقد شاهدوا أعنف ضربة في كون البشر ، ضربة لا يقي منها شيئ ..! إلى درجة يتمنَّون زلزالاً أو بركاناً أو خسفاً أو أي شيئ آخر يقبض على أنفاسهم ليقتلهم حتى لا يرون الضربة الثانية التي يقودها المهدي ﷺ ..!

والأهمّ : تركيز النصِّ على أنَّ الجيش الخراساني ، جيش الأشوري الفارسيِّ (السيّد الخراساني) الذي يكون مِن نسل آل محمّد ، من سلالة تلك المرأة الجليلة المتسربلة بالشمس والقمر (فاطمة الزهراء) ، والتي على رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً ، هذا الجيش يكون مشاركاً بقوّةٍ جبّارة في تلك المعركة تحت قيادة المهدي ﷺ . نصُّ سفر الرؤيا ينقل لنا قولَ جبابرة رومية وملوك الغرب وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا !

واخْفِنا من وجهِ الجالس على العرش (إشارة إلى المهدي المنتظر عليه السلام) ، ومن غضب الحمل[١٨٠] (إشارة إلى الأشوري السيّد الفارسي الخراساني) . إنَّ يوم الغضب العظيم قد جاء ، ومَن يقوى على الوقوف أمامه ..!][١٨١] . ولقد كان الحمل رمز فارس من قبل[١٨٢] ..! إنّه يوم الغضب العظيم ، وصاحب ثورة غضب الربِّ هو المهديُّ عليه السلام ، بين يديه ذاك الخراساني العملاق في دينه وتقواه وتضحياتِهِ يقود فيلق الجيش طاعةً بين يدي سيِّدِهِ ومولاه المهدي عليه السلام . فما أعظمه من موقف ، وما أرفعه من مقام ..!

هذا ما احتواه الكتاب المقدَّس من نبوءة آخر الزمان ، وفيه المذهل الذي لا يملك العقل معه إلا التسليم والخشوع لإعلان الطاعة الكبرى لله ، والشهادة التامّة لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيتِهِ الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام ..

بل النصوص شديدةُ الوضوح في الأشوري الخراساني الذي يقود دولة آل محمّد عليهم السلام زمن الغيبة ويقدِّم تضحياتٍ مذهلة لنصرة الإسلام وإعلان كلمة الله العليا ..

واللافت جداً أنَّ مصادر الإسلام شديدة التطابق في التركيز على الأشوري الخراساني الذي يكون بين يدي المهدي عليه السلام ، والذي يخوض أعنف المعارك والحروب نصرةً للمهدي عليه السلام ، ولا يردّه شيئ ، حتى لو واجهته الجبال لدكّها ..! وتنتهي تلك المعركة بنصرٍ مذهلٍ لجبهة المهدي .. وتنكشف عن قتلٍ هائلٍ أصاب رومية وملوك الغرب وجيوشها التي قطعت الآفاق للقضاء على دولة الرب التي يقودها المهدي عليه السلام .. يقول الكتاب المقدس - ناظراً إلى الخسائر الهائلة التي تكبّدتها الروم وحلفاءُها في تلك المعركة - : [.. ورأيتُ ملاكاً .. ينادي الطيور بصوتٍ عالٍ قائلاً : هلمّي

اجتمعي معاً إلى وليمة اللهِ الكبرى ! تعالي والتهمي لحوم الملوك والقادة والأبطال والخيول والفرسان][183] . وصف شديد الدلالة على الملحمة التي حلّت ببلاد الروم . وقد علَّق بعضُ اللاهوتيين على هذا النص بقوله : انّه شيئ مذهل ، انهيار هائل ، خسارة مدهشة للروم وحلفاءها ، وانكسار مرعب لقوّة الشيطان ..! [يا لها مِن نهايةٍ مذلّة لكبرياء الإنسان ..! ومجدهِ الباطل ! وقوّتِه الزائفة ! ، سواء أكان ذلك الإنسان من الملوك أو القواد . أولئك الذين كان لهم بلا شكّ اسم رنّان في صفحات التاريخ البشري في وقتهم ..!][184] .

.. وفي النص المروي بالمصادر الإسلاميّة – وهو يصف أحوال تلك « الملحمة الضخمة » – قال :

[.. يملك الروم ملك لا يعصونه أو لا يكاد يعصونه شيئا ، فيسير بهم حتى ينزل بهم أرض كذا وكذا .. فيسيرون فيقتتلون عشراً ، لا تأكلون إلا في إداواتكم ، ولا يحجز بينكم إلا الليل ، لا تكل سيوفهم ولا شبابهم ولا نيازكهم ، وأنتم مثل ذلك . قال : ويجعل الله الدبرة عليهم ، فيقتتلون مقتلة لا يكاد يرى مثلها ولا يرى مثلها ، حتى أنَّ الطير لتمر بجنباتهم فيموت من نتن ريحهم ، للشهيد يومئذ كفلان على من مضى قبله من الشهداء ، وللمؤمنين يومئذ كفلان على من مضى قبلهم من المؤمنين ، وبقيتهم لا تزلزل أبدا ، وبقيتهم تقاتل الدجال][185] .

وفي نصٍّ آخر قال ﷺ :

[.. حتى انَّ الطائر ليمرُّ بجنباتِهم (أي نواحيهم) فما يخلفهم (أي لا يلحق بآخرهم) حتى يخرَّ ميّتاً ..][186] .

إنَّها « أضخم خسارة للروم المرتدّة » ، وأعظم بداية لـ « ثورة غضب الله » ، ومظهر شديد الوضوح والتمام في الكتاب المقدّس ومصادر الإسلام ..

إنّها معركة « متأخِّرة » من معارك الروم في الشرق ، إنّها معركة المواجهة مع دولة المهدي المنتظر عليه السلام روحي فداه ، بعد معاركها في وجه الخراساني ، وبعد معركتها الضخمة في منطقة قرقيسيا التي يكون أطرافها الأساسيين : الروم والترك والسفياني . وتشبع طيور السماء من لحومهم جميعاً .

هكذا يبدو طيف العالم ، ومعه تبدو قواهُ المنتحرة التي تجازف في عناد الرب ، وتتبارى في الطغيان والإنحراف ..

يقف أحدهم هناك ليقول بصوتٍ متفجّع : وا حسرتاه .. كلمة يُرادُ منه إطلاق صرخة حزن مؤلمة على رعيلٍ هائلٍ من البشر أصرُّوا على العناد فأحالهم الفسادُ إلى محرقةٍ من نارٍ تتلوَّى على أجسادهم ..!

يبدو من النصوص أنَّ معركتين شرستين جداً تقع بين الروم وجيش الإسلام بقيادة المهدي عليه السلام :

واحدة في الأعماق ، أي نواحي حلب ، في الشرق .

والثانية في الغرب . عبر عمليَّة فتح ضخمة لعاصمة القرار السياسي للروم .

في رواية حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ :

[.. أفضل شهداءُ أمَّتِي شهداءُ الاعماق وشهداءُ الدجال (أي الذين يسقطون في وجه الروم واليهود) .

ويشتعل الحديد بعضُهُ على بعض ، حتى أنَّ الرجل من المسلمين ليضرب العلج بالسفود من الحديد ، فيشقّه ويقطعه بابين وعليه درع ،

فيقتلونهم مقتلةً حتى تخوض الخيل في الدم ،

فعند ذلك يغضب الله تبارك وتعالى عليهم ، فيطعن بالرمح النافذ ، ويضرب بالسيف القاطع ، ويرمي بالقوس التي لا تخطئ (إشارة رمزية إلى أدوات حرب هائلة تُرمَى بها الروم) ،

فلا رومي يسمع (بعد) ذلك اليوم ،

ويسيرون قدماً قدماً ،

فَلَأنتم يومئذ خيارُ عبادِ اللهِ عزَّوجلَّ ،

ليس منكم يومئذ زانٍ ولا غال ولا سارق ..

لا تمرُّون بحصنٍ في أرض الروم فتكبرون عليه إلا خرَّ حايطه .

فيقتلون مقاتلته ، حتى تدخلوا مدينة الكفر القسطنطينية ، فتكبرون عليها أربع تكبيرات فيسقط حايطها .

قال حذيفة : فقال رسول الله ﷺ :

إن الله عزوجل يهلك قسطنطينية **وروما** ، فتدخلونها فتقتلون بها أربعمائة ألف ، وتستخرجون منها كنوزا كثيرة (كنوز) ذهب وكنوز جوهر ، تقيمون في دار البلاط .

قيل : يا رسول الله وما دار البلاط ؟ قال : دار الملك ، ثم تقيمون بها سنة تبنون المساجد . ثم ترتحلون منها حتى تأتوا مدينة يقال لها

قدد مارية ، فبينما أنتم فيها تقتسمون كنوزها إذ سمعتم مناديا ينادي : ألا إنَّ الدجال قد خلفكم في أهليكم بالشام ؟ فترجعون فإذا الامر باطل ..

فتركبون من مدينة يقال لها : عكا في ألف مركب وخمسمائة مركب من ساحل الاردن بالشام ، وأنتم يومئذ أربعة أجناد أهل المشرق ، وأهل المغرب ، وأهل الشام ، وأهل الحجاز ، كأنَّكُم وُلدُ رجلٍ واحد ، قد أذهب الله عزَّوجلَّ الشحناء والتباغض من قلوبكم ،

فتسيرون من عكا إلى رومية ، تُسخَّر لكم الريح كما سُخِّرَت لسليمان بن داود (إشارة إلى الطائرات أو ما هو شبيه بها) حتى تلحقوا بروما ،

فبينما أنتم تحتها مُعسْكِرين ، إذ خرج إليكم « راهب » من روميا ، عالم من علمائهم صاحِب كُتُب ، حتى يدخل عسكركم فيقول : أين إمامكم ؟ فيقال : هذا . فيقعد إليه ، فيسأله عن صفة الجبار تبارك وتعالى وصفة الملائكة ، وصفة الجنة والنار ، وصفة آدم ، وصفة الانبياء حتى يبلغ إلى موسى وعيسى ،

فيقول : أشهد أنَّ دينَكُم دينُ اللهِ ودينُ أنبياءه ، لم يرضَ ديناً غيره ، ويسأل : هل يأكل أهل الجنة ويشربون ؟ فيقول : نعم . فيخرُّ الراهب ساجداً ساعة . ثم يقول :

ما ديني غيره ، وهذا دين موسى . واللهُ عزَّوجلَّ أنزله على موسى وعيسى ، وإنَّ صفةَ نبيكم عندنا في الانجيل المرقليط (البرقليط) صاحب الجمل الاحمر ، وأنتم أصحابُ هذه المدينة . فدعوني فأدخل إليهم ، فأدعوهم ، فإن العذاب قد أظلَّهُم ،

فيدخل فيتوسَّط المدينة ، فيصيح بأهل رومية : جاءكم وُلدُ إسماعيل بن إبراهيم ، الذين تجدونهم في التوراة والانجيل ، نبيُّهم صاحب الجمل الاحمر ، فأجيبوهم وأطيعون ،

فيثِبُون إليه فيقتلونه ،

فيبعث الله عزوجل إليهم ناراً مِن السماء كأنها عمود ، حتى تتوسط المدينة ، فيقوم إمامُ المسلمين فيقول : يا أيها الناس إنَّ الراهب قد استشهد .

قال حذيفة : فقال رسول الله ﷺ : يبعث ذلك الراهب فئة وحده ، ثم يكبرون عليها أربع تكبيرات فيسقط حايطها ، وإنما سميت رومية لانها كرمانة مكتنزة من الخلق !

فيقتلون بها ستمائة ألف ويستخرجون منها حلي بيت المقدس والتابوت الذي فيه السكينة ومائدة بني إسرائيل ورضراضة الالواح وعصى موسى ومنبر سليمان وقفيزين من المنِّ الذي أنزل على بني إسرائيل أشد بياضا من اللبن ..][187]

النصوص صريحة في أنَّ « حربين هائلتين » تقع بين الروم ودولة المهدي عليه السلام . وكذا في الكتاب المقدّس . على الأقل : حربٌ لم يُرَ مثلُها . .

فيتقدَّم جيش المهدي عليه السلام إلى تلك المدينة التي تشكِّل مركز القرار الضخم للغرب وعلامة الحضارة المتهوِّرة التي قادها جبابرةٌ وباطرة حوَّلُوا البشر إلى محرقةٍ سوداء لإشباع غرائزهم واحتكارهم عبر الغزو والقتل والإبادة والظلم والإضطهاد المواثيقي والسوقي وزجّ آلة الحرب في الدمار والنار . إنّها معركة الفصل الأبديَّة ..! يقول النبي ﷺ : [.. سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر ؟ لا تقوم الساعة حتى

يغزوها سبعون الفاً من بني إسحاق[١٨٨] (أي من الفرس) ، فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم ، قالوا : لا إله إلا الله والله أكبر . فيسقط أحد جانبيها الذي فيها ثم يقولون الثانية : لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر . ثم يقولون الثالثة : لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيغنموا .. فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ : انَّ المسيح الدجَّال قد خرج فيتركون كل شيئ ويرجعون ..][١٨٩] .

.. وبذلك تتمُّ أعظم « المواجهات الأبديَّة » بين جند « لاودكيه الكنسيّة » المرتدّة ، وبين « رجال الكعبة » التي تمثِّل عاصمةَ النبيِّ الذي بُعِث في جبال فاران (مكّة) . الأولى (لاودكيه) تقودها روما . والثانية يقودها المهدي عليه السلام ، الذي يُشكِّل الرقم الثاني عشر من أركان أورشاليم الجديدة ..!

هذه الدولة الأخيرة تنادي بالحق الإلهي وتدعو الأمم إلى التوبة والإيمان بنبي فاران ..!

وتكون المواجهة بين عاصمتين مختلفتين جدّاً : روما تقود أضخم عاصمة فساد أخلاقي - كوني .. فيما العاصمة الثانية تقود أعظم قيادة وجوديَّة آنذاك على رأس معسكر السماء ..

وتبدأ المواجهة : مواجهة عنيفة لم تعهدها روما مِن قبل . وتسقط عاصمة الردّة ، وتثور غبار هائلة ، تدلُّ على انهيار صرح روما الذي كان يقود أخطر معاني الإنجراف الطغياني الغرائزي والتدميري ..! في مصادرنا تسقط روما على ثلاث مراحل . وفي الإنجيل : [.. فانقسمت المدينة العظمى إلى ثلاثة أقسام . وحلَّ الدمار ..][١٩٠] . المضمون واحد ..! إنّها حرب لم

تشهدها روما من قبل . يقودها رجالٌ لا يرون أعظم من التضحية في سبيل الله ، لا يخشون موتاً أو قتلاً . إنهم أمّة لم تعرف روما مثيلاً لهم من قبل ..

يخوض هؤلاء معركة إسقاط روما ومع كلِّ سقوط يصحبه ترتيل خاص بأتباع نبي فاران ، أي برجال الكعبة أتباع الرسول محمّد ﷺ ، بقيادة المهدي عليه السلام وَلَدَ النبي محمّد ﷺ من إبنته فاطمة الزهراء عليها السلام ، وهو الثاني عشر من الأئمّة أركان أورشاليم الجديدة الذي يخرج في آخر الزمان ويقود الأمم بعصاً من حديد .. في مصادر الإسلام : رجال الكعبة وجيش المهدي عليه السلام يُهلِّلون (لا إله إلا الله) ويكبِّرون (الله أكبر) . وفي الإنجيل : [.. كانوا ينشدون ترتيلةً واحدة ..][١٩١] . هكذا هي عادةُ المسلمين الأبديَّة الذين يخوضون الحرب بشعار : لا إله إلا الله .. إطلاقاً لأعظم كلمة ، وإعلاناً لأهم عقيدة في دنيا الإنسان . هذه الترتيلة أشار إليها « سفر الرؤيا » عندما وقف المسلمون على جبل صهيون (القدس) . وهم يطلقون ترتيلهم في كلِّ مكانٍ يذهبون إليه أو يحلّون فيه . إنّهم رجال الكعبة ، جيش المهدي ، أنصارُ الرب . الذين يقفون في وجه روما عاصمة الفساد الأكبر آنذاك فيدكّونها دكّاً لم يشهدهُ بشريٌّ قط من قبل .. قال أهل اللاهوت في التفسير – عن هذا السقوط – : [لقد حدثت بروقٌ ورعودٌ وزلزال عنيف . فالرعود والبروق تدلُّ على قوَّة الله .. وترمز إلى اضطراب عنيف في كل السلطات من أعلاها إلى أدناها .. وتسقط كلُّ مقوّمات الحياة الإجتماعيّة ، وتتداعى وتنهار بشكلٍ جاد وعلى نطاقٍ واسع[١٩٢]] . لقد انتهى كلُّ شيئ ، وتداعت أعمدت روما العملاقة أمام جبروت الله وجيشه العملاق الذي يقودهُ المهدي .. والمذهل أنَّ متون الكتاب المقدّس تصف جوانب من هذا الدمار ، أي تصف زاوية المشاهدة لهذا الإنهيار الأضخم الذي يحلُّ بعاصمة

الطغيان العالمي آنذاك .. يقول سفر الرؤيا - عن وقع تدمير المدينة العظمى على النفوس - : [.. ويقف قادةُ السفن ، وركّابها ، وملاحوها ، وعمّال البحر جميعاً على بُعدٍ منها ينظرون إلى دخان حريقها ، فيصرخون : أيّةُ مدينة مثل المدينة العظمى ؟ ويذرون التراب على رؤوسهم ! وهم يصرخون باكين منتحبين : الويلُ ، الويلُ على المدينة العظمى ، ها هي في ساعةٍ واحدةٍ قد زالت ! اشمتي بها أيّتها السماء ! اشمتوا بها أيُّها القدّيسيّون والرّسل والأنبياء ! فقد أصدر اللهُ حكمه عليها بعد أن اصدرت أحكامها عليكم .. !][193] .

اللافت ما يقرِّرهُ الكتاب المقدس في هذه المدينة .! يصفها بمفردات مدهشة ..! تشيرُ إلى انحرافها الخطير ، إلى قيادتها الرذيلة في كون الإنسان ، ومواجهة الرب ..

لقد انتهى كلُّ شيئ ، واندكَّت عاصمة الجبروت الغربي التي شكَّلت أسوأ مرحلة من تاريخ طغيان البشر وانحرافهم ..

إنّها العاصمة التي قادت الرذيلة والتفسّخ الأخلاقي والإنهيار التكويني ، وحوَّلت البشر إلى أطباق على مائدة السباع والملوك ..!

إنّها العاصمةُ التي كانت تقود قاطرات الزنا والخمرة والمخدرات والإثارة والدعارة ، وتصرُّ على « نهش البشر » لإكمال عظمة الطغيان الشيطاني ..! يقول الرائي - في وصفه لروما - هي : [أم زانيات الأرض ، وأصنامُها المكروهة[194] ، التي زنى معها ملوك الأرض وسكر أهل الأرض من خمر زناها[195] ، كانت تشتري الذهب والفضّة والأحجار الكريمة[196] والأجساد والنفوس ..][197] .. ثم يضيف : كانت تقول : [أنا ملكةٌ على

العرش ، ولن أذوق طعم الحزن . فانقضّت عليها البلايا في يومٍ واحد][198] . مذهلة هذه الفقرات في وصفها ..!

فهي تؤكّد أنّ روما كانت مرجع قِيَم الزنى والدعارة والرذيلة والإنحراف الأخلاقي والخمر والسكر والجبروت والطغيان ، وانّها كانت ذات سيطرة هائلة على المعادن والثروات الجوفيّة والسطحيّة ذات الأثمان الأغلى في العالم ، وهي التي تسيطر على الذهب والفضة والأحجار الكريمة ، إشارة إلى الثروات الأعظم . قال المفسّرون - عن وصف عاصمة الغرب في آخر الزمن - : [إنّها ليست زانية فقط ! ، بل أم الزواني ، وكم لها من بناتٍ زانيات[199] ! إنّها تظهر في أزياء دينيّة ، إلا أنّها دائماً تعتزّ بقوّة جسديّةٍ عالية ، كما تعتزّ زانية مستهترة بقوّة محبّيها ..][200] . إنّها مصدر قيم الفساد والإنحراف الأخلاقي ، والطغيان البشري ، والمرجع الأكبر في سوقيّة البشر وتسليعهم ،

إنّها خطر هائل على قيم الكون والطبيعة والوجود ، جشعة ، محتكرة ، فاسدة ، ذات جبروت ضخم ، تفاخر الأمم انّها الأقوى ، وطغيانها يسجن البشر ويسخّرهم لخدمة زانياتِها وأزياءها وملوكها الجبابرة ..

ومع ضربةِ جيش المهديِّ عليه السلام إنتهت ، تلاشت ، تحوّلت إلى محرقةٍ كئيبة بعدما كانت مدينة الهرج والمرج والإنتحار الوجودي والطغيان الأدبي والإنحراف الأخلاقي .. يقول في « سفر الرؤيا » عن حضارة المدينة العظمى - التي تقود قيم التفسخ - والتي زالت عن موقعها المعهود فيها : [.. لن نسمع فيك عزف موسيقى بعد ، ولا صوت قيثارة ، ولا مزمار ، ولا بوق .. !][201] . ينبغي أن نلاحظ هذا النص جيّداً ..

إنّه يشير إلى مرحلة العلو والجبروت والزهوّ والفخر والكبرياء الذي كان يُميِّز روما من بين عواصم أهل الأرض ، حيث كانت تصرُّ على مواجهة السماء بعصفٍ هائلٍ من الإنحراف عن قيم الوجود وشروطه ..

يقرِّر الكتاب المقدّس أنَّ روما آنذاك كانت مدينة عبادة الغرائز وسيطرة الأباطرة والمفسدين ، وحكرة السباع اللئام والوحوش الكاسرة ، وأنَّ رجالاتِها كانوا بمثابة الآلهة الذين حوَّلوا البشر إلى زناة سكارى شذوذ وسط انحرافٍ واسعٍ وضخم لم تشهدهُ الأرض من قبل ..!

في حين الحضارة التي يقودها المهدي عليه السلام هي أشرف وأعظم وأقدس حضارة ترفع الإنسان إلى مراتب العظمة الوجوديّة المكلّلة برضا السماء ..

الكتاب المقدَّس يحدِّثُنا عن بداية دخول رمز الحضارة الإسلاميّة الجديدة إلى المدينة العظمى ، فيشير إلى واحدةٍ من مفردات ذلك المشهد العظيم عند دخول المهدي عليه السلام حيث يستقبلونه بالسجود له . يقول في سفر الرؤيا : [.. فجثوت عند قدميه لأسجد له ، فقال لي : لا تفعل ! ، إنّي عبدُ الله مثلك ومثل أخوتك المؤمنين ..][٢٠٢] . ها هو مهديُّ الإسلام ..! القائد الأعظم الذي أوصى به النبيُّ محمّد صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام واحداً تلو الآخر .. ها هو القائم من آل محمّد الذي يجسِّد قيمة الإسلام والأئمّة في سلوكهِ وافعاله .. أيُّ عظمةٍ وبرهان أن نقرأ هذه المتون في الكتاب المقدّس ..! هذا المشهد المنقول في الكتاب المقدّس يذكِّرني بالإمام علي عليه السلام حين لقي دهّاقي الأنبار عند مسيره إلى الشام فترجلوا له وأشتدوا بين يديه فقال عليه السلام : ما هذا الذي صنعتموه .. ! فقالوا : خُلُقٌ منَّا نعظِّم به أمراءنا ، فقال عليه السلام :

[واللهِ ما ينتفع بهذا امراؤُكُم ، وإنّكم لتشقُّون على أنفسكم في دنياكم ، وتَشْقُون به في آخرتكم ، وما أخسرَ المشقة وراءها العقاب ، وأربح الدعة معها الأمان من النار][٢٠٢] ..

هذه هي صفة المهدي عليه السلام الذي تطول غيبتُهُ ثم يظهر ، والذي وصفه الكتاب المقدّس بـ « قديم الأيام » ، إشارة إلى غيبتِهِ الطويلة ..!

هذا هو الثاني عشر بين الكواكب التي تحرس وتقوم عليها أورشاليم الجديدة (مكّة) .

هي تماماً كلمةُ النبي والأئمة عليهم السلام . بدليل هذه النصوص الكثيرة التي ما زالت تُقرأ منذ أكثر من ألفي عام ..!

إنّها أكبر مواجهة بين معسكر الرب ومعسكر روما الذي أنتج أسوأ قيم الفساد في العالم ، والذي هو وراء قوّة اليهود الذين سيكون لهم دور خطير بعد انهيار روما ، حيث تجتمع مع اليهود فول روما لتقف مع الدجّال وتزجّ به في أضخم المعارك بوجه دولة الإسلام ..

إنّ روما المرتدّة تشكِّل أسوأ تعبير عن الإنحراف البشري وطغيانه ، وتمثِّل النموذج الخطير من توحُّش البشر ، إنّها الأمّة التي ساقتها شهوتُها إلى المذبح ..! ومع أنَّ « لاودكيه الكنسيّة » كانت مُلزَمَةً في الإنصياع لنداء الربِّ الذي أنذرها بضرورة اتّباع الأمين الصادق الذي ورد في الكتاب المقدّس بهذا الوصف ، وأنّه الذي يقيم أورشاليم الجديدة ، ويكون لديه إثنا عشر ركناً أئمّة ، قادة ، كواكب منصوبين من قبل الرب ..

لكنَّ « لاودكيه » تعصَّمت بالذهب والمال والقدرة في وجه الربّ ..! بل يؤكِّد الكتاب المقدّس تحالفها مع اليهود الملعونين بشهادة الكتاب المقدّس ..

ويظلُّ الإنحراف يتمادى ، وصولاً إلى أن تصبح روما عاصمة الإنحراف الأخطر الذي يجرف البشر في رحله ، ثم تقود زمام العالم في آخر الزمان الذي يقضي وقتاً هائلاً من الطغيان الأخلاقي والوجودي ويمارس أدواراً متوحّشة من الإبادة في شتَّى مجالات السلوك البشري العام والخاص ، لتصل إلى مرحلة قيادة الشذوذ الخطير والمتنوّع المعاند لربِّ السماء ..!

إنّها أمُّ الزواني والخمرة والطغيان والغزو والإحتلال ، ذات القيادة المطلقة للتفسّخ والإنهيار القيمي البشري ..!

وعلى أثر « انهيار روما » أمام جيش المهدي المنتظر ﷺ تبدأ مرحلة أخرى من إبادة تجميع قوى الضلال لِمُكوِّنات قوَّتها بهدف مهاجمة المهدي ﷺ .. ويبدو من بعض المتون رغم ضعف سندها أنَّ بعض المناطق مِن جهة منطقة الإتّحاد السوفياتي السابق ، أو روسيا الحاليَّة وآفاقها تعمل على إعادة توجيه ضربة لقوّة المهدي ﷺ ..

وتشيرُ بعض النصوص إلى فترةٍ من الجدب والقحط تصيب بعض بقاع الأرض ، لأسبابٍ تتعلّق إمّا بخللٍ طبيعي أو بفعل بشري .. ويكون هذا واحد من عناوين الإبتلاء في ذلك الزمن ..

ومن علامات أمير السلام (الدجَّال) الذي ينتظره اليهود : سنوات الجدب والقحط والكوارث المتلاحقة .

وفي الخبر عن أرطأة قال :

« تفتح القسطنطينية ثم يأتيهم الخبر بخروج الدجال فيكون باطلاً ، ثم يقيمون .. فتمسك السماء في تلك السنة ثلث قطرها ، وفي السنة الثانية ثلثيها ، وفي الثالثة تمسك قطرها أجمع ، فلا يبقى ذو ظفر ولا ناب إلا هلك ويقع الجوع .. ويهرب الناس إلى جبال الجوف إلى انطاكية . ومن علامات خروج الدجال ريح شرقية ليست بحارة ولا باردة تهدم صنم اسكندرية ، وتقطع زيتون المغرب والشام عن أصولها ، وتيبس الفرات والعيون والانهار ، وينشأ لها مواقيت الايام والشهور ومواقيت الاهلة »[٢٠٤] .

ورغم أنَّ الحديث غير مسند إلى النبي ﷺ - مع بعض التحفُّظ عليه - فإنَّه يُؤكِّد طابع القحط والأزمة الغذائيَّة آنذاك ، ويشارك أصل جملة من النصوص في ذلك .

نعم يكون القحط على نحوٍ لا يضرُّ بأصل الثبات والإعتقاد ولا يجعل الدجَّال على نحوٍ من محتكرٍ أعظم لهذهِ المادّة . ففي رواية قيس بن أبي حازم عن المغيرة بن شعبة قال :

[ما سأل أحدٌ رسولَ الله ﷺ عن الدجال أكثر ما سألته عنه ، فقال : لِمَ تسأل عنه ؟ فقلت : إنَّ الناس يزعمون أن معه الطعام والشراب ، قال : هو أهون على الله تعالى من ذلك][٢٠٥] .

أي لا يصل إلى حدّ الإحتكار والتحكُّم بهذه المادَّة . وهذا ما يجب أن تفسَّر فيهِ النصوص العديدة التي تُؤكِّد طابع الرفاهية التي يمتاز بها الدجَّال جزئيّاً .

وفي حديث النبيِّ ﷺ حول معالم الأزمة تلك قال ﷺ : [ليست السنة بألَّا تمطروا ، ولكن السنة أن تمطروا وتمطروا ولا تنبت الأرض شيئاً][٢٠٦] .

ثمَّ خروجُ الدجَّال يعني أنَّ قوًّات أخرى ما زالت موجودةً على مسرح الأرض وتمارس وجودها على نحوٍ من قيمها ومعارفها وافكارها الوثنيَّة أو الطغيانيَّة التي تعتنقها ..

كما يبدو من بعض النصوص - غير تامَّة الاسناد - أنَّ الدجَّال يخرج مِن منطقة تقع ضمن دائرة المربَّع السوفياتي . وفي الحديث النبوي : [يخرج المسيح الدجَّال من مرو من يهودينها][٢٠٧] . ومرو تقع داخل الحدود السوفياتيّة ضمن إقليم تركمانستان . ورغم ضعف الحديث ، بل في مثل هذه الروايات خلل ما ، ومع ذلك يمكن نظريَّاً أن يكون خروج الدجَّال من ناحية الإتِّحاد السوفياتي ، حيث يُعيد الدجَّال تشكيل قوَّة جبارة ، اعتماداً على مجموع أحلاف يكون لفلول روما وأحلافها دورٌ رئيسي فيها ، على أنَّ اليهود يُشكِّلون العنوان الأكبر ورمز القيادة مع الدجَّال اليهودي .

الملاحظة الأكيدة : انَّ الدجَّال يزحف من خارج فلسطين ..!

وفي حديث النبيِّ ﷺ عن الدجَّال قال : [إنَّه يهوديٌّ ..][٢٠٨] . هذا اليهودي يكون من أبرز صفاته السحر والشعوذة ..! يتبعه قسم رئيسي من يهود يلبسون السيجان ، أي الثياب الغليظة ، السميكة ، إشارة إلى خروجهم من بلدٍ فيه بردٌ شديد ..! وفي الحديث عن النبي ﷺ : [المسيح الدجَّال أوّل من يتبعه سبعون ألفاً من اليهود عليهم السيجان (الثياب الغليظة) . ويضيف النص : ومعه سحرة اليهود يعملون العجائب ويرونها الناس

فيضلّونهم بها][٢٠٩] . فيكون له ظهور نافذ يعمل من خلالِهِ على خرق أجزاء تكون تحت سلطة الإمام المهدي عليه السلام . في بعض الروايات : الدجَّال يستغل إنتشار الجيش الخراساني في الغرب بسب فتح رومية وتوابعها ، فينهض إلى بعض أجزاء إيران مِن مناطق يبدأ حركته فيها من داخل الإتّحاد السوفياتي السابق ، فيدخل إلى جزءٍ من أراضي إيران ، ويكون له خروج بين الشام والعراق . فيفسد يميناً وشمالاً . في حين تكون القدس بيد دولة المهدي عليه السلام .

كما يبدو من لحن طائفة ضعيفة : تجزأة في فلسطين . أو نواحيها . حسب هذه الطائفة يبدو انَّ هذا التموضع اليهودي يكون مُتجدِّداً مع ظهور الدجَّال . ففي الحديث قال النبي صلى الله عليه وآله : [.. يقاتل بقيّتكم المسيح الدجَّال على نهر الأردن . أنتم شرقيّةٌ وهم غربيّةٌ ..][٢١٠] . وفي رواية ثانية : [.. أنتم غربي النهر وهم شرقيّه ..] . ويقول النبيُّ صلى الله عليه وآله : [معقل المسلمين من الملاحم دمشق ، ومعقلهم من المسيح الدجَّال بين المقدس ، ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور][٢١١] . إشارة إلى تموضع تتَّخذه قيادة الدولة الإسلاميّة في ظل ظروف مختلفة ووقائع هائلة من الحرب والملاحم .. إلا انَّ تماميّة السند في مثل هذه الطائفة ذات « الإشارة التقسيميَّة » غير ملحوظة هنا . وعلى سبيل التسليم : أهميَّة الرواية أنَّها تشيرُ إلى وضعيَّة بسط دولة المهدي عليه السلام سلطتها على فلسطين (وهذا أمر قطعي في النصوص المعتبرة) . ثمَّ تؤكِّد على وصفٍ تموضُعِي لليهود في جزءٍ منها ، يبدو أنه متجدِّد زمن الدجَّال .

ليس لدينا كامل التفاصيل عبر النصوص التي بين أيدينا[٢١٢] .. المشكلة في الرواية التقسيميَّة انّها غير تامَّة سنداً .

وتؤكِّد طائفةٌ مِن النصوص ظهوراً متنامياً للدجَّال ، وفشلاً ذريعاً في دخول مكَّة والمدينة ، ومحاولة فاشلة لاحتلال القدس ..

وتشكِّل هزيمة روما أعنف ضربة لقوى الشرِّ في الشرق والغرب ، فتعمل جاهدةً لإعادة تجميع قوّات ضخمة لمهاجمة المهدي ،

ويقع اختيارها في الخروج من الشرق ، من آسيا أو أوروبا ، على أنَّه يبدو من طائفة – مشكوك في اسنادها – أنَّ خروجه يكون من بعض مناطق الإتّحاد السوفياتي السابق ..

وهل يستفيد الدجَّال من قواعد عسكريَّة روميَّة تكون منتشرة في الأرض ..؟

أم مِن قوات حليفة ..؟

أو من أنظمة يكون لليهود فيها نفوذ ..؟

أم من أنظمة تتقاطع مصالحها مع الروم واليهود وتتعارض مع قيم ومواثيق دولة المهدي ..؟

تبدو هذه الإحتمالات ممكنة جداً ، سواء كانت مستقلّة أم منضمّة بعضها إلى بعض ..

بل في طائفة من النصوص تأكيدٌ على ضميمة فلول روما المهزومة وخلق من الناس تحت قيادة اليهود برئاسة الدجَّال ..

.. في هذه الفترة يكون جيشُ المهدي منتشراً في بقاعٍ واسعة ، منها مناطق روما بالطبع ، أي في الغرب ..

وتقع خطَّة الدجَّال مع قوّاتِه الحليفة أن يخرج من الشرق المقابل للغرب . أي من منطقة تكون في آسيا أو أوروبا ، لكن من ناحية الشرق .. فيخرج - حسب رواية ضعيفة - من منطقةٍ تكون من بطن الإتّحاد السوفياتي ، ويميِّزُهُ أنَّ القادة ونواة جيشِه من اليهود ..!

فهل يعني أنَّ اليهود ارتحل بعضهم من القدس ونواحي فلسطين أو بعض جزءها إلى منطقة الإتِّحاد السوفياتي ..؟

أم هي عملية تجميع لليهود مِن العالم .؟
أم الصورتين معاً بالإضافة إلى غيرهم ..؟
كلّ ذلك أيضاً ممكن ..

على أنَّ فلول رومية والغرب تستأنف حربها بالإنضمام إلى الدجَّال ما يعطيه قوَّة المباغتة ..

وفي بعض المتون : انّه يهجم على بعض أراضي دولة المهدي عليه السلام مِن الشرق - وحسب رواية ضعيفة سنداً - يحتل جزءاً من أراضي إيران . الرواية اشارت إلى كرمان . مستغلاً إنتشار القسم الكبير من جيش الخراساني في رومية والمناطق الأخرى التي بسطت دولةُ المهديِّ سلطتها عليها حديثاً ..

بعض المتون صريحة في انَّ جيش الخراساني يشارك بقوَّة في حرب المهدي عليه السلام ضدَّ رومية . ويكون تحت قيادة المهدي عليه السلام . ما يعني أنَّ الدجّال - حسب تلك الرواية الضعيفة سنداً - يستغلُّ هذا الأمر ويدخل كرمان ، ثمَّ يتوجَّه منها إلى مناطق أخرى نحو الشام والحجاز . وفي حديث

النبي ﷺ : [يكون للمسلمين ثلاثة أمصار : مصر بمصر بملتقى البحرين ، ومصر بالحيرة ، ومصر بالشام][٢١٣] . أي يكون للمسلمين ثلاث مناطق رئيسيّة قريبة من الصراع : مِصْرٌ بملتقى البحرين ، وهو الذي بين خليج فارس والبحر الأحمر ، أي الجزيرة القريبة . ومِصْرُ الحرّة ، وهي كما في عقد الدرر : محلّة نيشابور بإيران وتشمل جزءاً من إيران والعراق . ومِصرٌ بالشام وهو بلاد الأردن وسوريا وفلسطين ، بما فيها لبنان . تدخل هذه في معاركها ضد الدجال .

ثمَّ النصوص صريحة في أنَّ جيش الدجّال مزوّد بسلاح وأدوات حرب متقدّمة . ويكون له سطوة في اوَّل أمره .

ويكون أكبرُ همِّهِ ترويج الفساد والخروج على مواثيق السماء في ظلِّ أزمةٍ تنوء بها نواحي مختلفة من الأرض .

ففي رواية خالد بن خالد اليشكري قال : خرجت زمنَ فتحت تستر حتى قدمت الكوفة فدخلت المسجد ، فإذا أنا بحلقةٍ فيها رجل صدع من الرجال حسن الثغر ، يعرف فيه أنه مِن رجال الحجاز قال فقلت : مَن الرجل ؟ قال القوم : أو ما تعرفه ؟ قال قلت : لا ، قالوا : هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ ، قال فقعدت ، وحدَّث القوم أن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، فأنكر ذلك القوم عليه فقال لهم : إني سأحدثكم ما أنكرتم من ذلك ، جاء الاسلام حين جاء فجاء أمر ليس كأمر الجاهلية ، وكنت قد أعطيت في القرآن فهماً ، فكان رجال يجيئون فيسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وأنا أسأله عن الشر ، فقلت : يا رسول الله : أيكون بعد هذا الخير شرّ كما كان قبله ؟ قال ﷺ : نعم .

قال : قلت فما العصمة يا رسول الله ؟ قال : السيف ، قلت : وهل بعد السيف بقية ؟ قال : نعم . تكون إمارة على أقذاء ، وهدنة على دخن . قال : قلت ثم ماذا ؟ قال : ثم ينشأ دعاة الضلالة .. – إلى أن قال – قلت : ثم ماذا ؟ قال : ثم يخرج الدجال بعد ذلك معه نهر ونار ، من وقع في ناره وجب أجره وحط وزره ، ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره ..][٢١٤] .

ويكون رمزُ قيادة الدجَّال من اليهود . يقول النبي ﷺ : [.. يتبعه – أي الدجَّال – أقوام كأنَّ وجوههم المجان المطرقة][٢١٥] . والمجان يعني التروس الغليظة ، أدوات متقدِّمة تقي مِن مخاطر الحرب . تشير إلى تترُّس قوّات الدجَّال ، ونوعيّة متقدّمة من أدوات الحرب ..

وتؤكِّد طائفةٌ من النصوص إصطحاب الدجَّال للنساء في حربِهِ تلك كطريقة للإفساد : [.. وثلاثة عشر ألف إمرأة ..][٢١٦] . إشارة رقميَّة للتكثير وليس للحصر .. ومعلوم أنّ الدجَّال يفاخر بنشر البغاء والإباحيّة ..!

وهذا أمر بديهي . فالدجَّال يعمد إلى كلِّ ما من شأنِهِ أن يساهم في الفساد والتأثير على الناس في محور جذبهم إلى الباطل .

بل هو علامة من علامات الفساد الطاغي وسمة من سمات الإنحراف والطغيان بشتّى أنواعه . يخرج فيدعو إلى الغوغاء . يدَّعي الخلافة أوّلاً ، ثم يُظهِرُ السحر والشعوذة ، ويُجهِدُ نفسه وقواتِهِ في بذر الفساد العام في كلِّ ناحيةٍ يطؤُها .. في مصادر أهل الكتاب : [سينتحل – الدجال – لنفسه أمام اليهود صفة مسيحهم الموعود به منذ عهد بعيد على ألسنة الأنبياء][٢١٧] . وحسب رواية ضعيفة – كما أشرنا – أنَّ الدجّال يدخل كرمان الإيرانيّة ومنها يعبر مضيق هرمز – ثم منها نحو الخليج – لاحتلال مصر ما

بين البحرين ، ويتقدّم نحو مكّة والمدينة . في حين يبعث جيشاً آخر ينطلق من كرمان إلى شط العراق ومنه إلى نهر الأردن . ويكون هدفه القضاء على قيادة الدولة الإسلاميّة المتواجدة في القدس . وفي رواية – ضعيفة من حيث الإسناد – : [.. لينزل المسيح الدجال بحوران[٢١٨] ، وكرمان في سبعين ألفاً كأنَّ وجوههم المجان المطرقة][٢١٩] . ويهاجم كرمان من منطقة يبدأ منها زحفه مِن جغرافيا الإتّحاد السوفياتي ..

وفي الرواية عن النبي ﷺ :

[يكون للمسلمين ثلاثة أمصار : مصر بملتقى البحرين ، ومصر بالجزيرة ، ومصر بالشام ، فيفزع الناس ثلاث فزعات ، فيخرج الدجال في أعراض جيش ينهزم من قبل المشرق ، فأول مصر يرده المصر الذي يلتقي البحرين (أي الجزيرة العربيّة) ، فيصير أهله ثلاث فرق : فرقة تقيم وتقول نشامه (أي نتعرَّف ما عنده) وننظر ما هو ؟ وفرقة تلحق بالاعراب (أي بالجبال والنواحي) ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ، ومعه سبعون ألفا عليهم السيجان ، فأكثر أتباعه اليهود والنساء ، ثم يأتي المصر الذي يليهم فيصير أهله ثلاثة فرق : فرقة تقيم وتقول نشمه وننظر ما هو ؟ وفرقة تلحق بالاعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم (أي بالمسلمين في المناطق التي لم يحتلّها الدجال) ، ثم يأتي الشام فينحاز (المسلمون) إلى عقبة أفيق يبعثون سرحا لهم فيصاب سرحهم ، ويشتد ذلك عليهم ، وتصيبهم مجاعة شديدة وجهد حتى أن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله ، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من السحر : يا أيها الناس أتاكم الغوث ثلاث مرات ،

فيقول بعضهم لبعض : إن هذا الصوت لرجل شبعان فينزل عيسى بن مريم عن صلاة الفجر فيقول له أمير الناس : تقدَّم يا روح الله فصلِّ بنا فيقول : إنكم معشر الامة أمراء بعضهم على بعض ، تقدم أنت فصل بنا ، فيتقدم الامير فيصلي بهم ، فإذا انصرف أخذ عيسى حربته فيذهب نحو الدجال ، فإذا رآه ذاب كما يذوب الرصاص ، ويضع حربته بين ثندوته فيقتله ، ثم ينهزم أصحابه][220] . وعند شط العراق تدور رحى معارك ضارية . وفي الرواية : [يفترق الناس عند خروج المسيح الدجَّال ثلاث فرق ، فرقة تتبعه ، وفرقة تلحق بأرض بها منبت الشيح (بلد أو جهة) ، وفرقة تأخذ بشط العراق يقاتلهم ويقاتلونه][221] .

وأثناء القتال عند شط العراق تتم تعبئة المسلمين لإرسالهم إلى جبهات القتال ، وفي الرواية : [وفرقةٌ تأخذ بشط العراق يقاتلهم ويقاتلونه ! حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام – وفي رواية – بغرب الشام[222] ، ويبعثون طليعةً فيهم ، فيقتلون فلا يرجع منه بشر][223] .

ما يعني أنَّ للدجَّال أوَّل الأمر سطوةً ونفوذاً . في حين تكون دولة المهدي عليه السلام على انتشارٍ واسع . وهي تكون قد انتهت من حربِها العظمى مع الروم وانتصرت عليها .

بل في بعض النصوص أنَّ جيشاً كبيراً من جند المهدي عليه السلام يكون ما زال منتشراً في الغرب وكأنّه لأسبابٍ تتعلّق بمنع أيِّ فراغ أمني هناك . بل بعض المتون تشيرُ إلى أنّ قسماً كبيراً من الجيش الخراساني يكون هناك .

وعلى كلٍّ حال :

لا توجد بين أيدينا تفاصيل حول كيفيَّة نشوء قوّة الدجَّال . لكنّه يخرج من غير القدس . القدس تكون بيدِ المسلمين .

نعم ينحاز إليهِ قسمٌ من بقيّة الروم الحربيين وغيرهم من الخلق الذين يصرُّون على مقاتلة جبهة المهدي عليه السلام .

ويتقدَّم الدجَّال إلى أن تلتقي قوَّتاهُ الأولى والثانية . وفي شرحِ بعضهم : تتقدَّم نحو الخلة ، منطقة ربَّما يكون لليهود فيها وجود (شعب مثلاً) ، أو طموح احتلالي عند الدجَّال ، وهي إلى الجانب الآخر من فلسطين .

النصوص واضحة في انَّ الدجَّال يفشل في دخول مكّة والمدينة . ويتضعضع في أكثر من منطقة .

والأمر الآخر الأكيد : أنَّ الدجَّال يكون خارج فلسطين . تكون فلسطين تحت حكم المهدي عليه السلام . ويلقى الدجَّال مواجهات عسكريَّة عنيفة من شرق نهر الأردن وتارة من غرب نهر الأردن . ولعلّه يعمد إلى النهر أو بعض نواحيه وشبه ذلك . يقول النبي : [يقاتل بقيّتُكم المسيح الدجال على نهر الأردن ، أنتم على شرقي النهر وهم غربيّه] . ويبدو من طائفة – غير موفورة الاسناد – انَّ الدجَّال يهاجم مرّة من الغرب بالنسبة إلى هذه الناحية من أرض الشام ، ومرّة من الغرب ، ربَّما عبر البرِّ مرّة والبحر مرّة أخرى ، أو ما من شأنِهِ أن يعطيه هذه الصفة . دون ان يحتل « القدس » . القدس والنواحي تكون بيد دولة المهدي عليه السلام . في رواية : [أنتم غربي النهر وهم شرقيّه][٢٢٤] .

إذن الدجَّال يأتي من الخارج . ويكون معه ما تبقَّى من فلول الروم ، بزعامة اليهود ، بالإضافة إلى خلقٍ من الناس ، ويبدو من طائفة من النصوص أنَّ الدجَّال يكون ممتلكاً قوّة متقدّمة تسمح له باستثمار هذه القدرات على نحو من نفوذ أوّل أمره .

في بعض المتون الواردة بمصادر الإسلام أنَّ الدجال يتغلّب على بعض القوات الإسلاميّة في بعض المعارك . ويظهر له سطوة في بعض الأماكن من الأرض . وفي بعض المتون الضعيفة جداً يستولي من النهر أي الفرات إلى أقاصي الأرض . أي المكان البعيد من الأرض . لكنَّ هذا الكلام غير دقيق ولم نجد له مؤيِّداً روائيّاً تامّاً .

نعم من مجموع النصوص نستفيد أنَّ الدجَّال يكون له سطوة وظهور مميَّز ، وحصار يُتِّمُهُ على بعض المسلمين على جبل الدخان ، وأنّه واحد من أئمة الفساد والطغيان لكن في وقت تكون دولة المهدي قد سيطرت على جزءٍ رئيسيٍّ من الأرض . وقضت على روما رمز القوّة والفساد ، كما سيطرت على أجزاءٍ ضخمة من آسيا وغيرها ..

وتكون فلول روما مع الدجال . فيتمنّاه قسمُ من النصارى ويفرحون به فيدعمون موقفه في وجه المهدي عليه السلام ويتمنّون انتصاراتِه . وكما قالت مصادر أهل الكتاب : [ويمسكون بذيل اليهودي قائلين لهم نذهب معكم لأننا سمعنا أن الله معكم ..][٢٢٥] .

وتبدأ مرحلة مجابهة الدجَّال رغم الحشود التي يجمعها ، ويبدو أنَّ لفلول الروم وحلفاءها وقوم آخرين من شرق الأرض وغربها مصلحة في الإنقياد للدجَّال ..

ويطرأ حدث عظيم في تلك « الفترة العظيمة » ، حيث ينزل عيسى المسيح ﷺ . ويصلّي خلف المهدي ﷺ ، ويتجهّز جيش المهدي ﷺ ، ويكون المسيحُ ﷺ وزير دفاع جبهة المهدي ﷺ . وهبوط المسيح ﷺ إلى الأرض واضح المعالم في الإنجيل : [.. فكما أنَّ البرق يومض من الشرق ، فيضيئ في الغرب ، فهكذا يكون رجوع إبن الإنسان][٢٢٦] . أي علامة رجوع المسيح وميض سماوي . يومض مِن الشرق ويضيئ في الغرب .

ما أعظم هذا التعبير ..!

لأنَّ علامة ظهور المهدي ﷺ إشراقُ الشمسِ مِن المغرب ، أي ظهورها هناك . وميضُ المشرقِ يظهرُ في المغرب ..!

إنّه تعبيرٌ مذهل ..!

وهو نفسه يكون علامة على قرب ظهور المسيح ﷺ الذي يتمُّ نزوله في لحظةٍ تاريخيّةٍ هائلة ، زمن خروج الدجَّال .. وفي سفر الرؤيا الذي يتحدّث عن المستقبل يقول السفر : [ثم رأيت ملاكاً قادماً من الشرق يحمل ختم الله الحي][٢٢٧] . وعن هذا الختم قالوا في التفسير : [ختم الله الحي يشير إلى تمييزهم[٢٢٨] وأتْبَاع هذا الختم هم الذين قالوا عنهم في التفسير أنّ الله ميّزهم على الجباه دلالةً على أنّهم ملكٌ لله][٢٢٩] ..

وتبدأ المعركة ، فلا تنتهي إلا بهزيمة الدجّال .. بعض النصوص تشير إلى أنَّ الدجَّال يذوب .. وأنَّ ذلك يكون على يد المسيح .. بعض النصوص تقول انَّ ذلك يكون على يد المهدي ﷺ آنذاك .. ولا فرق لأنَّ المسيح ﷺ يقود جبهة أو وزارة دفاع المهدي ﷺ . وينهزم جيش الدجَّال

بشكلٍ هائل ، حتى أنّه لا يجد مختبئاً من سطوة جيش المهدي (عليه السلام) ، لا يجد ملجأً . النص يشير إلى حالة من الذعر الهائل يسيطر على جيش الدجّال ، حالة من الإنكشاف المذهل ، حتى انّ الحجر يقول للمسلم : يا مسلم هذا يهودي اقتله .. إشارة إلى الهزيمة والإنكشاف الهائل الذي يصيب اليهود وجبهتهم وعلى أثرها يُمزّقون كلَّ ممزَّق ..! ذكرت مصادر أهل الكتاب أنَّ الأمين الصادق (الحفيد) وأتباعه يضربون بفمهم في أيام المسيح الدجال . وتقرُّ روايات الكتاب المقدّس هزيمة الدجّال ، وخسران الوحش بشكلٍ عظيم ..

ومع « نهاية الدجّال » تظهر فيما بعد قوّة « يأجوج ومأجوج » ، وهي آخر قوَّة منحرفة فاسدة في الأرض ..

.. وهذه أيضاً يعترف بها الكتاب المقدّس . يقول سفر الرؤيا : [.. يطلق الشيطان – ليضل الأمم – يأجوج ومأجوج ويجمعهم للقتال ، وعددهم كثير جداً كرمل البحر ، فيصعدون على سهول الأرض العريضة يحاصرون من كلّ جانب معسكر القدّسين والمدينة المحبوبة][٢٣٠] .

الشروحات المقارنة تؤكِّد انَّ دولة القدِّسين (دولة المهدي (عليه السلام)) تكون على مساحةٍ كبيرة من الأرض ، كما انَّ دولة اليأجوجيين تكون على مساحةٍ كبيرةٍ من الأرض .

وفي رواية حذيفة عن النبي (صلى الله عليه وآله) : قال :

[فعند ذلك خروج يأجوج ومأجوج . قال : فيوحي الله عزَّ وجل إلى عيسى (عليه السلام) (وزير جبهة المهدي) أحرِز عبادي بالطور طور سنين . قال حذيفة : قلت يا رسول الله : وما يأجوج ومأجوج ؟

قال : يأجوج أمة ومأجوج أمة ، كلُّ أمة أربع مائة ألف أمَّة ، لا يموت الرجلُ منهم حتى ينظر إلى ألف عين تطرف بين يديه مِن صلبه . (إشارة إلى أمّةٍ ضخمة ، تعدادُها السكني كبير جداً ، لديها من الجند والأتباع الكثير .. يبدو من النصوص الأخرى إشارة أنَّ لديهم مِن وسائل الحرب في البر والبحر والفضاء ما يدفعهم إلى شنِّ حربٍ يتقاتلون فيها مع أمّة ضخمة ويكون إنتصارهم بعد حربٍ تجري في الفضاء فيقولون : غلبنا أهل الأرض ، ثمَّ يتَّجهون لقتال المسلمين) ، قال : قلت يا رسول الله ، صِف لنا يأجوج ومأجوج ؟ قال : هم ثلاثة أصناف ، صنف منهم أمثال الارز الطوال ، وصنف آخر منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في مائة وعشرين ذراعاً ، وهم الذين لا يقوم لهم الحديد ، وصنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحفه بالاخرى . (ممَّا لا شكّ فيهِ التعابير هنا مجازيّة ، استعارة ، كناية ، للإشارة إلى فئاتٍ مختلفةٍ الأوصاف من حيث العدّة والعدة والقدرات ، بعضهم لا يُقوَى عليهم إلا بقوّة إستثنائيّة ، وبعضهم الآخر أقلَّ قدرة من ذلك ، وهم متسلِّحون بأدوات ممانعة .. هذا ما يريد النص أن يشير له ، وهو الذي يضمن لهم ربح معركة تعتبر قياسيّة بالنسبة لهم فيقولون : غلبنا أهل الأرض ثمَّ يتّجهون لقتال المسلمين) ، قال حذيفة : قال رسول الله ﷺ : يكون جمعاً (كذا) منهم بالشام ، وساقتهم بخراسان ، (إشارة إلى عددهم الكبير) ، يشربون أنهار المشرق حتى تيبس (تعبير عن حكرتِهم وسيطرتهم على الماء وعددهم الكبير الذي يهدِّد الموارد المائيّة في تلك النقطة بالخصوص) ، فيحلّون ببيت المقدس (وهذا يعني انَّ خريطة الإنتشار العسكري

لهؤلاء واسعة ، حيث يخوضون حرباً ضخمة مع أمّة غير مسلمة فينتصرون فيها ، ثمَّ يتَّجهون نحو الشرق لقتال المسلمين ، ويدخلون بيت المقدس ، ولا أدري إن كانوا يدخلونَها حرباً أو سلماً أو معاونةً لجبهةٍ تكون هناك) وعيسى والمسلمون بالطور (لا بدَّ من تنقيح النصوص والتركيز على أنَّ عيسى بن مريم ﷺ يكون وزير جبهة الإمام المهدي ﷺ ، في حين يكون المهدي القائد الذي يخوض حروب الإنتصار ، ومن غير البعيد أنَّ الراوي هنا استبدل إسم المهدي ﷺ بإسم عيسى بن مريم ﷺ ، وهذا الأمر غير خفي لمن اطّلع على مجموعةٍ من النصوصِ لا يمكنها طمس معالم المهدي فحاول دسّ بعض العبارات التي تعطي الأدوار لغيرِهِ ..!) ، فيبعث عيسى طليعةً يُشرِفُون على بيت المقدس ، فيرجعون إليه فيخبرونه أنه : ليس تُرَى الارض من كثرتهم ! ، قال : ثم إنَّ عيسى يرفع يديه إلى السماء فيرفع المؤمنونَ معه ، فيدعون اللهَ عزَّ وجلَّ ويؤمِّنُ المؤمنون فيبعث اللهُ عليهم دوداً يقال النغف ، فتدخل في مناخرهم حتى تدخل في الدماغ ، فيصبحون أمواتاً . قال : فيبعث الله عزَّ وجلَّ عليهم مطراً وابلاً أربعين صباحاً ، فيغرقهم في البحر ، فيرجع عيسى إلى بيت المقدس والمؤمنون معه ..][٢٣١] ،

ومع هذه الإبادة التي يبدو وكأنَّها « جرثوميّة » تنتهي جيوش يأجوج ومأجوج بحالةٍ مذهلة .. يُبادون بشكلٍ فظيع ، حيث يُرسلُ الله عليهم النغف (دود) يبيدهم عن بكرة أبيهم ..

وبذلك تبدأ أولى معالم الأرض الجديدة ..

كلُّ شيئ وَرَد مذهل ..!

كلُّ فقرةٍ تؤكِّدُ طابع الدليل الأعمق ..!

كلّ نصٍ يحمل ذات البشر نحو العلامات المقدّسة ..!

وما على الأمم إلا ان تلتفت إلى النور الساري في وجدان الكون ، وبطن السماء ، المُكَلَّل على جبين القمر وكلِّ الكواكب ..

إنّها الحقيقة التي تطوِّق أحداث الزمن المستقبلي ، والتاريخ الحتمي من زمن الإفتراض اللازِم ..

إنَّها مرحلة متقدِّمة من الختام ، على يد الإمام المهديِّ الخاتم ، خليفة النبيِّ محمَّد خاتم النبيين وأعظم المرسلين ، في ظلِّ أضخم حدث وجودي ، وأدق مفصل ، وأهم مرحلة ما قبل نهاية التاريخ ..

إنّها عنوان بارز من نتائج « الحقبة الوجوديَّة » التي ستمرُّ بها البشريّة .

والموضوع يتَّصل بصناعة التاريخ . وها نحن الآن على زحفٍ مستمرٍّ نحو الغايةِ التي لن يتكرَّر معها الزمن ، والقيمة الضروريَّة للبشر تتوقَّف على حسن اختيارِهم للقيم والمبادئ والمسالك وتوابعها .

الإنسان اليوم ، كما بالأمس ، أمام طريقين ، لكنَّ خطورة اليوم تكمن في أنَّنا أمام ذيل الحقبة البشريّة . لا ندري كم هو العدّ والزمن الباقي . قد يطول وقد يقصر . الأمر نسبي . فإذا أطلَّ يومُ المهدي عليه السلام بدأت أحداث تاريخيّة ضخمة بالتفاعل . تكشفُ الكُتُب السماويَّة أنَّها تتمخَّض عن حروب ومعارك ، وأنماط مختلفة ، سيكون هناك مجال للسياسة والحلول

السلميَّة ، لكنَّ طابع الحرب والملاحم الهائلة يبدو ظاهراً جداً . بل ستكون الأمور على نحوٍ مُعَقَّدٍ وصاخب لإجهاض مشاريع الدمار والفساد الأخلاقي الكوني ..

اليوم تتَّفق كلمة الكثيرين من شرقٍ وغرب أنَّ التاريخ الأخلاقي للبشر يُطعنُ حتَّى النهاية على يدِ حضارة الغرب وتوابعها ومرتزقيها من الشرق .

والطبيعة وطيَّات الكون تعلنُ بأكثر من نمطٍ وناحيةٍ انَّ البشر وصلوا إلى مرحلةٍ من الإنزلاق العمدي والإنحراف الإعتباري والإشباعي حوَّلهم إلى أباطرة دمويين تئنُّ منهم كونيَّات الوجودِ بشكلٍ فظيع ..

في حين المشكلة الرئيسيَّة تكمن في القصور البشري . حيث الأدوات والآليّات التي يتَّبعها البشر بقيادة أباطرة الحضارة المنتصرة تؤكِّدُ انّهم انغمسوا في الثقل الغريزي الأعمى ، الذي شحَّطهم بالدماء والقتل والإبادة والعنف الهائل على الثروة والموارد دون ان ينظروا ولو مرّةً واحدة إلى عجائب السماء ..

وهكذا .. لا نقرأ في مواثيق الإنسان شيئاً عن الكونيَّة والوجوديَّة ، ومفاهيم الخلق وغاياته . بل مزيداً من التقسيم والتمزيق للهويَّة البشريَّة التي تحوَّلت إلى اصطلاحاتٍ تختزلُها شهوة البطن وغريزة الفرج وحاجة السلطان ..!

وها نحن على موعدٍ مع الحقيقة التي لا بدَّ منها ، لا بدَّ أنّنا واصلون إليها ، المهمُّ أنَّ جنس البشرِ سيظلُّ مستمرّاً دون أدنى شك حتى يتحقَّق

الظهور الشريف ، وعلى الأثر تقع مجموعة من الحوادث التاريخيّة الكبرى ، ذات السمة الموصوفة ، إلى أن يطول بها الزمن بمقدار حدِّها ومدِّها . ثمَّ تقع في وقتٍ ما ، أولى مراحل نهاية الكون البشري لتبدأ في لحظةٍ كبرى معالم الفجر الأعظم من يوم الآخرة ..

---

[1] الكافي : جـ ٨ صـ ٣٧ حـ ٧ -

[2] [نعيم بن حماد (البرزنجي في أشراط الساعة : ٢٩) .

[4] يقرّر أهل الكتاب : [.. أنَّ النصارى سيُخطفون إلى السماء ، مِن المدارس والحقول والمصانع والطائرات والسُّفن ، حتى يبتعدوا عن المسيح الدجَّال والضيق العظيم الذي يأتي على العالم (مشتهى كلِّ الأمم / القس صايغ : ٥١) . إنّهم سيُخطفون جميعاً في السحاب لملاقاة المسيح في الهواء (تفسير دانيال / هـ ، إيرانسايد : ١٤٩) . وسوف يظلّون معلّقين في الهواء طيلة مدّة الضيق الذي على الأرض ، حتى ينزل المسيح فينزلوا معه] (يوم الدين / هـ ، ستيفسن : ١٠٥) .

[6] ابن حماد : صـ ٥٧

[7] ١٣/٣ . ١٤ ط : الترجمة الفرنسيّة . وكذا ورد في الكتاب المقدّس مجمع الكنائس الشرقيّة . وكذا ورد في غيره من الكتب .

[8] سفر التثنية ٣٣: ٢-٣ هذا النصّ موجودٌ بكاملِهِ وبشكلِهِ هذا من دون أيّ تغيير في نسخة الملك جيمس الإنكليزيّة المعتمدة ..

[9] إنجيل يوحنّا ١٦ : ٨ ..

[10] الصف .

[11] سفر التكوين ٤٩ : ١٠ العهد العتيق ، المطبعة الكاثوليكيّة بيروت ..

[12] (١٥ ك ٢٤)

[14] - الطبقات الكبرى - محمد بن سعد ج ١ ص ١٥٥

[15] ١٣/٣ . ١٤ ط : الترجمة الفرنسيّة . وكذا ورد في الكتاب المقدّس مجمع الكنائس الشرقيّة . وكذا ورد في غيره من الكتب .

[١٦] الرؤيا ١١/٢١

[١٨] طبري : ج : ٢ / ٢٩ وما بعدها ..

[١٩] - الطبقات الكبرى - محمد بن سعد ج ١ ص ١٥٩ :

[٢٠] - الطبقات الكبرى - محمد بن سعد ج ١ ص ١٥٩ :

[٢١] - الطبقات الكبرى - محمد بن سعد ج ١ ص ١٦٠ :

[٢٢] الرؤيا ١/٢١

[٢٣] طبري : ج : ٢/ ٤٤ وما بعدها ..

[٢٤] الرؤيا ٢١/٢٢

[٢٥] / س : ٣٦١

[٢٦] راجع سيرة إبن هشام ، سيرة ابن كثير وغيره ..

[٢٧] الرويا ١٧/٢١ .

[٢٨] تفسير الرؤيا / حنا هامش ص : ٤٥٧ ، تفسير الرؤيا / ويسلي .

[٢٩] الرؤيا ٣/٤

[٣٠] الرؤيا / ويسلي : ١٢٧

[٣١] هذا يعني انّ الحجر الأسود ظلَّ محفوظاً منذ يوم آدم إلى يوم إبراهيم بأمر الله ، فلمّا جدَّد إبراهيم بناءها أعاد اللهُ الحجر الأسود إليه .

[٣٢] المرط : كساء من صوف أو خز .

[٣٣] الرؤيا ١٧/٢٢

[٣٤] نقلاً عن قصص الأنبياء للجزائري : ١٤٣

[٣٥] الرؤيا ١٢/٣

[٣٦] الرؤيا / ويسلي : ٤٦

[٣٧] سفر التكوين ٤٩ : ١٠ العهد العتيق ، المطبعة الكاثوليكيّة بيروت ..

[٣٨] إنجيل يوحنّا ١٦ : ٨

[٣٩] سفر التثنية ٣٣: ٢-٣

[٤٠] حزقيال / فكري ٤٦٣

[٤١] م . س : ٤٦٣

[٤٢] م . س : ٥٩

[٤٣] كشف المستقبل ٥٩ .

[٤٤] استعنت ببعض الشروحات اللاهوتيّة وبعض المتون الإنجيليّة عبر كتاب : عقيدة المسيح الدجال : سعيد أيوب .

[٤٥] وقد ورد في القرآن قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧/١٤﴾

[٤٦] الرؤيا ٩/٥

[٤٧] بحار الانوار ج ١٩ ص ٦ ، صحيح الترمذي بشرح ابن العربي ج ١١ ص ٤٧ ، أبواب فضائل القرآن .

[٤٨] بحار الأنوار ..

[٤٩] بحار الأنوار ..

[٥٠] ميزان الحكمة لآية الله ريشهري : ٧٠

[٥١] م . س : ٧٠

[٥٢] م . س : ٧٨

[٥٣] الترمذي : ج ٤ صـ ٥٠١ بـ ٤٦ حـ ٢٢٢٣

[٥٤] ابن بابويه : على ما في قصص الانبياء . * : الرد على الزيدية : على ما في إعلام الورى . * : إعلام الورى : صـ ٣٦٦ ٣٦٥ فـ ١ عن الرد على الزيدية بسنده

[٥٥] كمال الدين : جـ ١ صـ ٢٨٢ بـ ٢٤ حـ ٣٥

[٥٦] ميزان الحكمة / ريشهري : ٨٣٤

[٥٧] الرؤيا ٢١/٣

[٥٨] الرؤيا ٤/٢٢

[٥٩] ميزان الحكمة / ريشهري : ١٢٩

[٦٠] م . س .

[٦١] م . س .

[٦٢] الرؤيا ١٣/٢٦

[٦٣] الرؤيا ١٤/٢١

[٦٤] الرؤيا ١٣/٢٦

[٦٥] ميزان الحكمة : / ريشهري .

[٦٦] النعماني : صـ ٩٢ بـ ٤ حـ ٢٣

[٦٧] النعماني : صـ ٥٧ بـ ٤ حـ ١

[٦٨] كشف المستقبل : ٣٤ . ٣٥

[٦٩] رواه الحاكم والعديد من اصحاب السنن وصحّحوه .

[٧٠] أخرجه الحاكم وصحّحه الذهبي . وروي عن طرقٍ كثيرةٍ معتبرة . قال فيها جميع علماء المسلمين صحيحة معتبرة .

[٧١] سفر الرؤيا ٥،١/١٢ الكتاب المقدّس ط ٨٣

[٧٢] ابن حماد : صـ ٨٤

[٧٣] ابن سعد كنز ١١\٣٨٤

[٧٤] سفر الرؤيا يقول موضحاً هويّة هذه القيادة بالنص التالي : [.. إمرأة متسربلة بالشمس والقمر ، تحت رجليها ، وعلى رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً .. ولدت إبناً ذكراً عتيداً ، أن يرعى جميع الأممِ بعصا من حديد ..] . [سفر الرؤيا ٥،١/١٢ الكتاب المقدّس ط ٨٣] .

[٧٥] مشتهى كلّ الأمم / صايغ : ٣١

[٧٦] تفسير الرؤيا / حنا : ١٠٦

[٧٧] م . س : ١٠٧

[٧٨] الرؤيا ١٧،١٨/٣

[٧٩] سيرة ابن كثير ج ١ ص : ٢٩٢

[٨٠] رواه البيهقي .

[٨١] سيرة إبن كثير / ج : ١ ص : ٢٩٣ وروى عطية عن ابن عباس نحوه . وروى عن عكرمة من قوله نحو ذلك أيضا .

[٨٢] سيرة إبن كثير ج ١ : ٢٩٤ .. رواه أحمد عن يعقوب عن أبيه عن ابن عباس . ورواه البيهقي عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير .

[٨٣] م . س : ٢٩٤

[٨٤] سيرة إبن كثير ج : ١ ص ٢٩٤ وما بعدها ..

[٨٥] تفسير لارؤيا / حنا : ٢٦

[٨٦] م . س : ٤٨ .

[٨٧] سفر الرؤيا ٥،١/١٢ الكتاب المقدّس ط ٨٣

[٨٨] الرؤيا ١٩/١٢

[٨٩] ابن حماد : صـ ١٠٢

[٩٠] الرؤيا ١٩/١٩

[٩١] الرؤيا ٢٠/١٩

[٩٢] الرؤيا ٢١/١٩

[٩٣] ابن حماد : صـ ١٣٢

[٩٤] ن ، م .

[٩٥] ابن حماد : صـ ٨

[٩٦] ابن حماد : صـ ١٥٩

[٩٧] الرؤيا ١١/١٢

[٩٨] الإسلام في مفترق الطرق / أسد : ٣٩

[٩٩] في خضمّ المعترك الإنتخابي كان الجمهوريُّون يصرُّون على إعطاء أمريكا « الطابع الديني المسيحي » دون ضرورة الإلتزام بقيم الكتاب المقدس في السلوك الشخصي . فالمقصود هو « أُمميَّة أمريكا

ومسيحيّتها » كمفهوم عالمي في مواجهة الديانات والقيم الإعتقاديّة الأخرى ، بما يساعد على إعلان أمريكا عاصمة العالم في القيادة العالميّة ، وتكوين شعوب تابعة لها ، بالإضافة إلى مقولة « قداسة امبراطورية أمريكا » .. وممَّا ساعد الجمهوريين على هذا الأمر جماعة من « اليمين المسيحي » تدَّعي « ثقافة الكَهَنَة » للحفاظ على المسيحية وتدجين العالم لسلطتها . هذه الفرقة عملت على الإنخراط في صفوف الجمهوريين والتحالف معهم .. وكان « اليمين المسيحي » بالأصل مهمَّماً بـ « القضايا الإجتماعية » خاصةً محاربة الإجهاض والمثلية الجنسية (الشذوذ الجنسي) .. في حين استقطب الحزب الديمقراطي جموعاً واسعة من مؤيِّدي الإجهاض في صفوف النساء ، بالإضافة إلى تأييد حقوق الشاذين الجنسيين فجمّعوا حولهم أساطيل من هذه الفئات .. خاصّةً إذا علمنا أنّ إثنتين من كلّ ثلاث فتيات دون العشرين تحمل بسبب العلاقة الجنسيَّة في بلادٍ تمتهنُ الإجهاضَ طريقةً ضروريّةً للتخلُّص من الجنين ..! وقد تحرَّك الجمهوريون من نيكسون إلى بوش الإبن بثبات نحو اليمين ، فأعلنوا عن معتقداتٍ غريبة جداً ومارسوا أفكاراً شديدة الخطورة على الإستقرار العالمي .. وتحوَّل الأمر مع بوش الإبن إلى « أحادية حاقدة » تصرُّ على إلغاء كلّ الآخرين ، حتى لأوروبا المسيحيّة بمختلف إنتماءاتها الكاثوليكيّة والبرتستانتيّة ..

[١٠٠] والمثير أنَّك تجد أكثر الكنائس وأكبرها في الولايات المتّحدة تؤيِّدهُ وتروِّج له ، خاصة الأب روبرتسون ومَن تبعه . بل أصبح اليمين المسيحي مِن مروِّجي ومنظِّمي حملته الإنتخابيّة ، ما دفع جون كيري إلى التفتيش بين الكنائس عمَّن يدعمه ..!

[١٠١] م . س .

[١٠٢] ويشهد المسرح الأمريكي منذ عشرين سنة ظاهرة المبشّرين الأصوليين على شاشات التلفزة في كلّ أنحاء الولايات المتحدة ويحصلون على نجوميّة تضاهي ممثلي السينما المشهورين في هوليوود وقد استطاع رونالد ريغان بالتحالف مع تيّار « اليمين المسيحي » أن يعطي زخماً شديداً ومشروعيّة مهمّة لهؤلاء .. وممّا لا شكّ فيه أنّ تيار اليمين المسيحي شهد نمواً كبيراً خلال هذه الفترة ، وأصبح قوّة سياسيّة لا يستهان بها على المسرح الأمريكي . ويعبِّر هذا التيَّار عن تطلّعات الحزب الجمهوري والمحافظين .

[١٠٣] وهم يشكّلون قوّةً بارزةً جداً في المجتمع الأمريكي ، ولهم شبكة كبيرة من المؤسسات والمدارس الخاصَّة ومحطات الإذاعة والتلفزة التي تُدرِّس الإنجيل وتروِّج أفكارهم وتجمع الأموال وغير ذلك .. كما لديهم دور نشر وتوزيع ومؤسسات مختلفة إعلاميّة وثقافيّة وغيرها ، هدفها دعم نشاطاتهم ونشر أفكارهم وعقيدتهم الخصوصيّة ، وتجنيد الناس من أجلها ، وهناك حوالي ٤ مليون عضو ناشط يؤثِّرون على ٥٠ مليون ناخب . ولقد حقَّق الإنجيليّون في العام ١٩٩٤ إنجازاً مهمَّاً حيث استطاع « انيوت غيفرتش » الذي يُعتبر من أهم « قادة الإنجيليين » السيطرة على الكونغرس الأمريكي بقسميه ، وأصبح فيما بعد رئيساً لمجلس النواب الأمريكي .

[١٠٤] وهو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجيّة الأمريكيّة ومستشار الرئيس الأمريكي جونسن لشؤون الشرق الأوسط حتى العام ١٩٦٧

[١٠٥] [العالم الإسلامي / فتحي يكن : ٦٥] .

[١٠٦] م . س .

[١٠٧] [الحاوي ٢٣٩] .

[١٠٨] [راجع تفسير دانيال أبرنسايد ، ورؤية جين داكسون المنشورة في آخر ساعة : ١٩٨٤/٩/٢٦] .

[١٠٩] رواه الترمذي وغيره . الحديث جاء عن طرق متعدّدة .

[١١٠] [تفسير حزقيال / فكري : ٢٣١ ، تفسير دانيال / حنا : ١٣٩] .

[١١١] تفسير حزقيال / فكري : ٣٣٦] .

[١١٢] تفسير زكريا / فكري : ٢٢٦

[١١٣] هذا الأمر شديد الوضوح في الكتاب المقدّس ، وأمر اتفاقي نهائي عند كلّ علماء الإسلام ..

[١١٤] تفسير زكريا / فكري : ١٠٨ .

[١١٥] عبد الرزاق : جـ ١١ صـ ٦٦ حـ ١٩٩٢٣ ابن أبي شيبة : جـ ١٢ صـ ٢٠٦ حـ ١٢٥٦١

[١١٦] ابن أبي شيبة : جـ ١٢ صـ ٢٠٦ حـ ١٢٥٦١

[١١٧] الترمذي : جـ ٥ صـ ٣٨٤ بـ ٤٨ حـ ٣٢٦١

[١١٨] ابن حماد : صـ ١٠٢ وفي : صـ ١٠٣

[١١٩] ابن حماد : صـ ٨٤

[١٢٠] تفسير أشعيا / حنا : ١٢٣] .

[١٢١] تفسير دانيال / ايرنسايد : ٩٥] .

[١٢٢] تفسير اشعيا / حنا : ١٢٣] .

[١٢٣] رؤيا : ٨ ، ٩ ، ٣ .

[١٢٤] (البحار ٢١٦/٦٠) .

[١٢٥] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : صـ ٢٧٥

[١٢٦] (عقد الدرر ١٢٩ / الحاوي للفتاوي ٦٤/٢) .

[١٢٧] ابن حماد : صـ ٨٤

[١٢٨] دلائل النبوة : جـ ٦ صـ ٥١٣

[١٢٩] كمال الدين : جـ ١ صـ ٢٨٨ بـ ٢٥ حـ ٨ أي آمنوا بما وصل إليهم مكتوبا من القرآن والاحاديث والسيرة الشريفة

[١٣٠] عبد الرزاق : جـ ١١ صـ ٦٦ حـ ١٩٩٢٣ ابن أبي شيبة : جـ ١٢ صـ ٢٠٦ حـ ١٢٥٦١

[١٣١] ابن حماد : صـ ٨٤

[١٣٢] تفسير أشعيا / حنا : ١٢٤ .

[١٣٢] تفسير دانيال / ايرنساید : ٩٤

[١٣٤] م . س : ٩٦

[١٣٥] أشعياء ٥/ ١١

[١٣٧] أشعيا / حنا : ١/١٢٣

[١٣٨] حزقيال / فكري : ٣٤١ ، دانيال / حنا : ١٩١ . بعضهم قال : وكأنه يشير إلى احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة مروراً بصحراء النقب المتاخمة لسيناء ..

[١٣٩] دانيال / حنا : ١٩٤ ، تفسير زكريا : ٢٥٥ . والمعنى أنّ ذراعه العسكرية ستكون أقوى من إسرائيل .

[١٤٠] تفسير زكريا / فكري : ٢٢٦

[١٤١] دانيال / ابرنساید : ١٣٣

[١٤٢] ولأنَّ الأشوري يمثِّل وجهَ الحقِّ والشرعيّة التي تنادي بها السماء بشهادة الكتاب المقدّس مقابل الروم واليهود ، كان لا بدَّ التعتيم على هذا الأمر من خلال بعض الأقلام اللاهوتيّة . من هنا نجد بعضهم حاول جاهداً أن يرمي الأشوري الخراساني بالنار رغم عدم وجود فقرة ولو من كلمة واحدة تشيرُ إلى ذلك . سوى زيادة شخصيَّة مرّروها ليُدينُوا مَن أكَّد الكتاب المقدّس أنّه يضرب بسيف الرب ويدعو إلى هديه ..! ببساطة فعل بعضهم ذلك لأنَّ هذا الأشوري الخراساني مسلم إمامي لا يهودي ولا نصراني ..! فعلوا ذلك لأنَّ وصف التاريخ المستقبلي مخيف بالنسبة لهم ..! فالكتاب المقدَّس صريح جداً في أنّ الإسلام هو معسكر الربّ ، وانّ نبيّه محمّد ﷺ هو مشعل النور الرباني والداعي إليه والقائم بأمره ، وأنّ الأئمّة الإثني عشر هم أركان هذا الدِّين وحرّاس أورشاليم الجديدة . أُؤكِّد : انّه لا يوجد نصٌّ أو فقرة أو كلمة على الإطلاق فيها تضعيف أو توهين أو تفسيق للأشوري في العهدين القديم والجديد . بل فيه تكريس للثناء الإلهي عليه والمدح والمتجيد ، لما هو عليهِ من طاعةٍ وعبوديّة وتفانٍ في سبيل إعلاء كلمة الرب . حتى أنّ ايرنساید قال في تفسيره : [لسنا نقرأ هنا شيئاً بخصوص هلاكه] (دانيال / ايرنساید : ١٣٧) . وهكذا يُحرِّفون الكَلِمَ عن موضعه ..! محاولةً منهم لطمس معالم المواصفات الشرعيّة في آخر الزمن ..! وهذا لا يمكنُ بحالٍ . لأنَّ المتون في الكتاب المقدّس شديدة الوضوح في أنَّ الأشوريَّ الخراساني يمثّل شرعيّة السماء في الأرض آنذاك ، وأيُّ تناقض مع هذه المتون يعني خللاً وتزييفاً . كلُّ عاقلٍ يدركهُ ويفضحه ..!

[١٤٣] رواه نعيم ابن حماد / عقد الدرر : ١٢٦

[١٤٤] [كنز ١١/٢٦١] . وهناك روايات كثيرة منها : [إنا أهل بيتٍ اختار الله الآخرة على الدنيا ، وانّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءاً وتشريداً حتى يأتي قومٌ من المشرق معهم راياتٌ سود ، فيسألون الحق فلا يعطونه ، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلون حتى يدفعوها إلى رجلٍ من أهل بيتي فيملأها قسطاً كما مُلئت جوراً] . هذه الرايات تطالب بشيئ من حقّها فيمنعها المجتمع الدولي منه فيقاتلون حتى يعطونه فلا يضعون وسائل الحرب حتى يسلّموا الراية إلى المهدي ﷺ . [إذا أقبلت ارايات لاسود من

المشرق ، والرايات الصفر من المغرب حتى يلتقوا في سرّة الشام – يعني دمشق – فهنالك البلاء . وفي رواية أخرى – سرة البصرة –] .

[145] الحديث عن الأشوري انتهى في الإصحاح ١٠ ليبدأ بعد ذلك الحديث عن قديم الأيام في الإصحاح ١١ ، في نفس السفر ، وفي نهاية الأشوري أشار بسفر بأن يده تيبس أي تجف من القوّة . والجدير بالذكر أن كتاب الجفر وهو مصدر يُؤخذ به للتأييد فقط ، أشار إلى شخصيّة تقابل الأشوري فقال : [يظهر الإمام الشجاع والهمام المطاع ، وتظهر الأكف اليابسة والوجوه العابسة] . فهنا الأكف اليابسة والوجوه العابسة تعود على أعداءه وليس عليه هو .

[146] سفر الرؤيا ٥،١/١٢ الكتاب المقدّس ط ٨٣

[147] الرؤيا ١٣/٢٦

[148] الرؤيا ١٤/٢١

[149] الرؤيا ١٣/٢٦

[150] كشف المستقبل : ٣٤ . ٣٥

[151] ملاحظة : الحديث عن الأشوري انتهى في الإصحاح ١٠ ليبدأ بعد ذلك الحديث عن قديم الأيام في الإصحاح ١١ ، في نفس السفر ، وفي نهاية الأشوري أشار بسفر بأنّ يده تيبس أي تجف من القوّة . والجدير بالذكر أنّ كتاب الجفر وهو مصدر يُؤخذ به للتأييد فقط ، أشار إلى شخصيّة تقابل الأشوري فقال : [يظهر الإمام الشجاع والهمام المطاع ، وتظهر الأكف اليابسة والوجوه العابسة] . فهنا الأكف اليابسة والوجوه العابسة تعود على أعداءه وليس عليه هو .

[152] [الحاوي ٢/٢١٨] .

[153] [الحاوي ٢/٢٣٢] .

[154] [رؤيا ١٩/١٤] .

[155] [الحاوي ٢/٢٣٥]

[156] [رؤيا : ١٩/١٤] .

[157] دلائل الامامة : صـ ٢٥٠

[158] م . س .

[159] [رويا ٥/١٢] .

[160] غيبة الطوسي : ١٤٠ وهناك نصوص عديدة تشير إلى تلك اللحظة منها : قالت [حكيمة] : وغمرتنا طيور خضر ، فنظر أبو محمد إلى طائر منها فدعاه فقال له : خذه واحفظه حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره . قالت حكيمة : قلت لأبي محمد : ما هذا الطائر وما هذه الطيور ؟ قال : هذا جبرئيل وهذه ملائكة الرحمة ، ثم قال : يا عمة رديه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون . فرددته إلى أمه . قالت [حكيمة] : ولما ولد كان نظيفا مفروغا منه ، وعلى ذراعه الايمن مكتوب (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)] . وفي نصٌ آخر : [فصاح بي أبو محمد ﷺ فقال : يا

عمة تناوليه وهاتيه ، فتناولته وأتيت به نحوه ، فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلم على أبيه فتناوله الحسن عليه السلام منى [والطير ترفرف على رأسه] وناوله لسانه فشرب منه ، ثم قال : امضي به إلى أمه لترضعه ورديه إلي قالت : فتناولته أمه فأرضعته ، فرددته إلى أبي محمد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له : احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوما ، فتناوله الطير وطار به في جو السماء وأتبعه سائر الطير ، فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول : " أستودعك الله الذي أودعته أم موسى موسى " فبكت نرجس فقال لها : اسكتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما رد موسى إلى أمه وذلك قول الله عزوجل فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن . قالت حكيمة فقلت : وما هذا الطير ؟ قال : هذا روح القدس الموكل بالائمة ﷺ يوفقهم ويسددهم ويربيهم بالعلم . قالت حكيمة : فلما كان بعد أربعين يوما رد الغلام ووجه إلي ابن أخي عليه السلام فدعاني ، فدخلت عليه فإذا أنا بالصبي متحرك يمشي بين يديه ، فقلت : يا سيدي هذا ابن سنتين ؟ فتبسم ﷺ ، ثم قال : إن أولاد الانبياء والاوصياء إذا كانوا أئمة ينشؤون بخلاف ما ينشؤ غيرهم ، وإن الصبي منا إذا كان أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة ، وإن الصبي منَّا ليتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربه عزوجل ، [و] عند الرضاع تطيعه الملائكة وتنزل عليه صباحا ومساء] .

[١٦١] دلائل الامامة : صـ ٢٦٨

[١٦٢] [رؤيا ١٣/١٢] .

[١٦٣] ابن حماد : صـ ٨٤

[١٦٤] [السيطوي في الحاوي ، في الفتاوى : ٢٢٧] .

[١٦٥] سفر الرؤيا ١٩/١٤

[١٦٦] أرميا ١٣/٢٥ ،

[١٦٧] تفسير الرؤيا / حنا : ٣٥٩ ، دروس في مجيئ المسيح / صايغ : ٩٠ ، تفسير زكريا / رشاد : ٢١٧ .

[١٦٨] الرؤيا / حنا : ٣٥٨

[١٦٩] م . س .

[١٧٠] [عاموس ١٨/٥] .

[١٧١] [متى ٢٤/٢١] .

[١٧٢] (مسلم ١٨/٢٥) ،

[١٧٣] [ابن عساكر (كنز ٣٩٦٥٢)] .

[١٧٤] [م . س] .

[١٧٥] [تفسير الرؤيا / حنا ٣٣٣] .

[١٧٦] [زكريا ١٤ / ١٢] .

[١٧٧] ابن حماد : صـ ١٣٧ وفي رواية يونس بن سيف الخولاني قال " تصالحون الروم صلحا آمنا حتى تغزوا أنتم وهم الترك وكرمان فيفتح الله لكم فيقول الروم : غلب الصليب ، فيغضب المسلمون فينحازون

وتنحازون فيقتتلون قتالا شديدا عند مرج ذي تلول ، ثم يفتح الله لكم عليهم ، ثم تكون الملاحم بعد ذلك " . وعن ذي مخمر رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول " ستصالحكم الروم صلحا آمنا ثم تغزون وهم عدوا فتنصرون وتسلمون وتغنمون ، ثم (تنصرون) الروم حتى تنزلوا بمرج ذي تلول ، فيرفع رجل من النصرانية صليبا فيقول : غلب الصليب ، فيغضب رجل من المسلمين فيقول إليه فيدقه ، فعند ذلك يغدر الروم ويجمعون للملحمة " . عن جبير بن نفير عن ذي مخمر ، عن النبي ﷺ قال : كما في روايته الاولى بتفاوت ، وفيه " . وتغزون أنتم وهم عدوا من ورائهم فتسلمون وتغنمون ثم تنزلون . فيقوم إليه رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول : ألا غلب الصليب . فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله ، فعند ذلك تغدر الروم وتكون الملاحم ، فيجتمعون إليكم فيأتونكم في ثمانين غاية مع كل غاية عشرة آلاف " .

[١٧٨] كان الحمل رمز فارس من قبل ..

[١٧٩] [الرؤيا ١٧/٦] .

[١٨٠] كان الحمل رمز فارس من قبل ..

[١٨١] [الرؤيا ١٧/٦] .

[١٨٢] قالوا في التفسير : [وفقاً للمراجع ذات الإختصاص ، فإنَّ الحمل كان رمز فارس] . [دانيال / ايرنساید : ٩٠] .

[١٨٣] الرؤيا ١٨/١٩

[١٨٤] تفسير الرؤيا / حنا : ٤١٤

[١٨٥] ابن حماد : ١١٥

[١٨٦] مسلم ١٨/٢١

[١٨٧] الكامل ، ابن عدي : ج ٦ صـ ٢١٧٨ ٢١٧٧ بعضه ، كما في الداني ، بسند آخر عن حذيفة

[١٨٩] [رواه مسلم ١٤/٤٣] .

[١٩٠] الرؤيا ١٩/١٦

[١٩١] الرؤيا ٣/١٤

[١٩٢] تفسير الرؤيا / حنا : ٣٦١

[١٩٣] الرؤيا ١٧/١٨ ، ١٨

[١٩٤] الرؤيا ٧/١٧

[١٩٥] الرؤيا ١/١٧

[١٩٦] الرؤيا ١٢/١٨

[١٩٧] الرؤيا ١٣/١٨

[١٩٨] الرؤيا ٨/١٨

[١٩٩] تفسير الرؤيا / حنا : ٣٧٠

[٢٠٠] يوم الدين / ك ، هـ : ٨٢

[٢٠١] الرؤيا ٢٢/١٨

[٢٠٢] الرؤيا ١٠/١٩ . قال المنتصر : ومثل اخوتك المؤمنين الذين لديهم الشهادة المختصة بيسوع لله أسجد] . أي المؤمنين الذين يشهدون للمسيح بحقيقة العبوديّة ، وأنّه نبي مخلوق من غير أب ، وفي قول الله تعالى عن المسيح ﴿ قال إني عبد الله ﴾ ..

[٢٠٣] نهج البلاغة الجزء الرابع .

[٢٠٤] ابن حماد : صـ ١٤١

[٢٠٥] ابن حماد : صـ ١٥٥ وفي : صـ ٢٤٨ بتفاوت ، بسند آخر ، عن المغيرة بن شعبة : وفيه " . فقال لي : أي بني وما ينصبك منه ؟ إنه لن يضرك . قال قلت : يا رسول الله إنهم يزعمون أن معه جبال الخبز وأنهار الماء " .

[٢٠٦] [مسلم ١٨/٣٠] .

[٢٠٧] (نعيم بن حماد كنز ١٤/٥٩٩) .

[٢٠٨] [مسلم ١٨/٨٦] .

[٢٠٩] [ابن عساكر (كنز العمال)] .

[٢١٠] [رواه الطبراني والبغوي وابن سعد عن نهيك بن خزعم وقال خزعم ولا أدري أين الأردن يومئذ (كنز ١٤/٣٢٧) الزوائد ٧/٣٤٨] ،

[٢١١] [ابن أم شيبة (كنز ٣٨٦٤٦) .

[٢١٢] يرى بعضهم أنَّ وجود اليهود آخر الزمان يكون في منطقة غور الأردن التي ستشهد معركة عنيفة ضد المسيح الدجّال آخر الزمان . وغور الأردن يبدأ من بحيرة طبريّة ثم يمتد إلى بيسان حتى ينتهي إلى زغر وأريما . وقال الجغرافيّون بعض الغور من حد الأردن إذا تجاوز بيسان كان حد فلسطين . مؤكّداً أنَّ هذا الشريط الذي سيتواجد فيه اليهود والذي يبدأ من طبريّة إلى بيسان . وبهذا تكون الخلّة التي أشارت إليها بعض المتون ، حيث يقصدها الدجّال آخر الزمان . لكنَّ المشكلة تكمن في بعض الوهن الذي يصيب متن هذه النصوص فضلاً عن سندها .

[٢١٣] [أحمد وأبو يعلي وابن عساكر (كنز ٣٨٨٢٩) ، الحاكم (٤/٤٧٨) ، الطبراني ، الزوائد ٧/٣٤٢] .

[٢١٤] عبد الرزاق : جـ ١١ صـ ٣٤١ حـ ٢٠٧١١

[٢١٥] [رواه الترمذي ٤/٥٠٩] .

[٢١٦] [أحمد كنز ٣١٧٧٢] .

[٢١٧] [تفسير دانيال / ايرنساید : ١٣٤] .

[٢١٨] (على بعد من مرتفعات الجولان)

[٢١٩] [أحمد ٢٤/٣٣ ، وذكره ابن كثير في الفتن ١/١٦٠] .

[٢٢٠] أحمد : جـ ٤ صـ ٢١٦ كما في ابن أبي شيبة بتفاوت ، بسند آخر ، عن أبي نضرة

[٢٢١] [ابن كثير في الفتن ١/١٥٦] .

[٢٢٢] وفي رواية بغربي الشام يعني : (سوريا ولبنان) .

[٢٢٣] [ابن كثير في الفتن (١/١٥٦) .

[٢٢٤] رواه الطبراني واليعقوبي .

[٢٢٥] [مشتهى كل الأمم / صايغ ٥٧] .

[٢٢٦] [متى ٢٤/٢٧] .

[٢٢٧] [الرؤيا ٧/٢] .

[٢٢٨] (الرؤيا / حنا ١٨١) .

[٢٢٩] [الرؤيا / حنّا : ١٨١] .

[٢٣٠] سفر الرؤيا ٩/٢٠

[٢٣١] جامع البيان ، الطبري : جـ ١٥ صـ ١٧ ابن أبي حاتم : على ما في الدر المنثور . الطبراني ، الاوسط : على ما في مجمع الزوائد . الكامل ، ابن عدي : جـ ٦ صـ ٢١٧٨ ٢١٧٧ بعضه .

الإمام المهدي عليه السلام

الإمام المهدي ، هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام ، يظهر في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً ..

وأمرُ المهدي عليه السلام مِن المتواتر المقطوع به عند جميع المسلمين بلا خلاف ، وقد ذاع أمرهُ عليه السلام وشاع زمنَ النبيِّ صلى الله عليه وآله وزمن الأئمّة عليهم السلام وفي كلّ الطبقات . بل لم يشهد التاريخ إذاعةً لأمر من هذا النوع كما هو الحال مع ذياع أمر المهدي عليه السلام ..

وفي زمن الإمام العسكري عليه السلام أصبح لذكر المهدي حيويّة متنامية ، حيث المولود المأمول بتأييد الله تعالى والقائم بدولة الله تعالى لا بدَّ أن يكون من نسل الإمام العسكري عليه السلام .

وعليه : في هذا الزمن بدأ الخناق يشتدّ على أهل البيت عليهم السلام بطريقةٍ تتوافق مع سعي العباسيين لإبطال أمر الإمام ، خاصّة انَّ العباسيين كانوا على يقينٍ مُطلق بأنَّ الثاني عشر من الأئمّة المسمَّى المهدي هو الذي يبطل حكم الظالمين ، فما كان منهم إلا أن سعوا لإبطال أمر الله في ولادة المهدي .. وأبى الله إلا أن يتمّ نوره . والله بالغُ أمره .. وفي رواية عبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب قال : قال أبو محمد عليه السلام : [قد وضع بنو أمية وبنو

العباس سيوفهم علينا لعلّتين : إحداهما أنهم كانوا يعلمون أنه ليس لهم في الخلافة حقّ فيخافون مِن ادِّعَائنا إيَّاها وتستقر في مركزها .

وثانيهما أنهم قد وقفوا مِن الاخبار المتواترة على أنَّ زوال ملك الجبابرة والظلمة على يدِ القائم منَّا ، وكانوا لا يشكّون أنهم مِن الجبابرة والظلمة ، فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله ﷺ وإبادة نسله ، طمعاً منهم في الوصول إلى منع تولُّد القائم عليه السلام أو قتله ، فأبى اللهُ أن يكشف أمره لواحد منهم ، إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون][1]

النص شهادة تاريخيّة عميقة على الظلم والإضطهاد الذي طال أهل البيت عليهم السلام جرّاء طمع العباسيين والأمويين في حفظ عرشِهم وخشيتِهم من العلويين ، وهم يعلمون انَّ أمر اللهِ فيهم ، وكانوا بذلك يستفيدون من إمهال الله تعالى للظالمين لا إهماله . فطغوا وأفسدوا ، وسفكوا الدماء ، حتى حدّث التاريخ عن أهل البيت مطرَّدين ، ملاحقين ، مُسجَّنين ، مقتولين ..

وقد حدَّثنا التاريخُ في كثيرٍ من مقطوعاتِهِ عن العذاب والتشريد والإبادة المتنوِّعة التي طالت أهل البيت ، كما حدّثنا عن خشية الأمويين والعباسيين وانزعاجهم الشديد من أمر الإمامة ، مع إقرارِهم الصريح بها . التاريخ يتحفنا بإقرارات مذهلة في هذا المجال ، وهي موجودة بوضوحٍ شديد في كتب التاريخ العام والخاص دون منكر . وعليه : سعى الظالمون بما أمكنهم من وسائل وأدوات لمنع إتمام أمر الإمامة ، سعياً منهم لحفظ عروشِهم ، وأبى اللهُ إلا أن يُتمَّ نوره . وفي المُرسل عن الحسن بن علي

---

[1] إثبات الرجعة ، الفضل بن شاذان : على ما في إثبات الهداة . * : إثبات الهداة : ج ٣ صـ ٥٧٠ ب ٣٢ ف ٤٤ ح ٦٨٥ -

العسكري ﷺ قال : [زعمت الظلمة أنهم يقتلونني ليقطعوا هذا النسل ، كيف رأوا قدرة القادر ، وسماه المؤمل][1] ..

تأكيداً منه ﷺ انَّ أمر المهدي ﷺ مِن المحتوم الذي لا بدَّ منه ، بل من المعاد الذي لا بدَّ أن يقع في علم الله وإرادتِهِ . وهذا ما وقع فعلاً ، وتمّ الحمل والولادة بالمهدي في ظلٍّ إعجازٍ مذهل وإرادة ربَّانيّة محيطة . وفي قراءة المتن وما يوحي به أيضاً شهادة عميقة على الظلم والإضطهاد الذي لَاحق أهل البيت من العباسيين والأمويين تحت باعث إبطال الإمامة وحفظ العرش ..

ودليل إضافي على انَّ الأمويين والعباسيين كانوا يعيشون أزمة ذعر من حقيقة أمر الإمامة ويقين سلسلة الأئمّة ﷺ ، خاصَّةً موضوع المهدي المنتظر ﷺ الذي يدكّ قلاع الظالمين ويبطل العروش وينتقم من أهل الفساد والإجرام .

وفي قراءة نواحٍ متعدّدة من مقطوعات التاريخ تأكيد صريحٌ على استراتيجيَّة الإنتقام من مقام الإمامة وأشخاصِها المتمثِّلين بأهل البيت ﷺ . ففي رواية موسى بن جعفر بن وهب البغدادي أنه خرج من أبي محمد ﷺ توقيع : [زعموا أنهم يُريدون قتلي ليقطعوا هذا النسل ، وقد كذَّبَ اللهُ عزوجل قولهم ، والحمد لله][2] .. ففي هذا إشارة عميقة منه ﷺ إلى سياسة التخطيط والفعل الإنتقامي التطبيقي الهائل في حقِّ أهل البيت ﷺ عبر الكيد العباسي ، لما يمثِّل وجودُ أهل البيت من سبب ذعر شديد على

---

[1] تاريخ الائمة : صـ ٢٢ – غيبة الطوسي : صـ ١٣٤

[2] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٠٧ بـ ٣٨ حـ ٣ –

العرش الأموي - العباسي في قرارة نفوس الفريقين من الدولتين . ومع ذلك أبى الله إلا أن يُتِمَّ نوره ..

وفي رواية أحمد بن محمد بن عبد الله قال : خرج عن أبي محمد عليه السلام حين قُتِل الزبيريُّ لعنه الله : [هذا جزاءُ مَن اجترأ على اللهِ في أوليائه . يزعم أنه يقتلني وليس لي عقب (نسل) ، فكيف رأى قدرة الله فيه ؟ ووُلِدَ له ولد سمَّاهُ « محمد » في سنة ست وخمسين ومائتين][1] .

أي أنّ الزبيريّ كان يعمل على قتل الإمام العسكري عليه السلام حتى لا يلد المهدي عليه السلام ، وبذلك تنتفي الإمامة على اعتبار انَّ الإمام المهدي حسب النصوص لا بدَّ أن يكون من نسل الإمام العسكري عليه السلام وبقتل الإمام العسكري عليه السلام ينتفي موضوع ولادة المهدي عليه السلام . لكنَّ الزبيريَّ قُتِل ، وحمى اللهُ الإمام العسكري عليه السلام الذي بعث إلى أصحابِهِ مؤكِّداً انّ أمر ولادة الإمام المهدي عليه السلام حتمٌ ومعادٌ واقع لا بدَّ من ذلك في علم الله تعالى ..

وفي رواية عيسى بن صبيح قال : دخل الحسن العسكري عليه السلام علينا الحبس ، وكنتُ به عارفاً (معتقداً) ، فقال لي : [لك خمس وستون سنة وشهر ويومان ، وكان معي كتاب دعاء عليه تاريخ مولدي ، وإني نظرتُ فيه ، فكان كما قال عليه السلام . ثم قال عليه السلام : هل رُزِقتَ ولداً ؟ قلت : لا . فقال عليه السلام : اللهم ارزقهُ ولداً يكون له عضداً ، فنعم العضد الولد . ثم تمثَّل عليه السلام (قائلاً) : مَن كان ذا عضد يدرك ظلامته * إنَّ الذليل الذي ليست له عضد . فقلتُ له : ألك ولد ؟ قال عليه السلام : إي واللهِ سيكون لي ولدٌ يملأ الارض قسطاً (وعدلاً) ، فأمَّا الآن فلا ، ثم تمثَّل وقال : لعلك يوماً أن تراني كأنما * بني

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٣٢٩ حـ ٥ -

حوالي الاسود اللوابد . فإنَّ تميماً قبل أن يلد الحصى * أقام زماناً وهو في الناس واحد][1] .

إلى هذا الحدّ كان الإمام العسكري عليه السلام يؤكِّد انَّ المهدي عليه السلام لا بدَّ أن يُولد ، وأنّه من المحتوم في علم الله ، ولا يمكن أن يحول دون ذلك جور سلاطين أو فعل أباطرة أو سجن عباسيين أو إقامة جبريّة ، أو تعاهد للنساء ، لا بدَّ أن يُولد المهدي بمشيئة الله تعالى . وهذا ما حصل بمشيئة الله تعالى في ظلِّ إعجازٍ مذهل .

وبعد أن وُلِد المهدي عليه السلام ابتهل الإمام العسكري عليه السلام لله تعالى حامداً شاكراً في مواقع عدّة ، وبين يدي أصحاب كثيرين . ففي رواية أحمد بن إسحاق بن سعد قال : سمعتُ أبا محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول : [الحمد لله الذي لم يُخرجني من الدنيا حتى أراني الخلفَ من بعدي ، أشبهُ الناس برسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله خَلْقاً وخُلُقاً ، يحفظُهُ اللهُ تبارك وتعالى في غيبته ، ثم يُظهِرُهُ اللهُ فيملأ الارضَ عدلاً وقسطاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً][2]

ففي هذا النص تأكيدٌ من الإمام العسكري عليه السلام على تحقُّقِ أمر الله تعالى الذي تجسَّد بولادة المهدي عليه السلام والذي حفظهُ في الحمل والولادة والنشأة والذي يحفظه إلى زمن غيبته . وأنّه أشبه الناس خلقاً وخلقاً بجدّه النبي صلى الله عليه وآله ، وانَّ له غيبةً ، يُظهِرُهُ اللهُ بعدها فيقيم دولةَ الحق والقرآن في أرجاء الأرض بعد فسادٍ وظلمٍ وانحرافٍ يطال الأرض وأهلها . وكان الإمام العسكري عليه السلام قد اخبر أصحابَهُ بأوقاتٍ مختلفة بولادة قائم آل محمّد

---

[1] الخرائج : ج ١ ص ٤٧٨ ب ١٣ ح ١٩ –

[2] الفضل بن شاذان ، إثبات الرجعة : على ما في إثبات الهداة . * : كمال الدين : ج ٢ ص ٤٠٨ ب ٣٨ ح ٧ –

المهدي (عليه السلام) ، وانّه الإمام الثاني عشر الذي بهِ تُختمُ الإمامة ، ويقوم الدِّين ، وهو الذي يُبطل جورَ الجائرين ويهدم قلاعَ الظالمين ويحكم في الأرض بحكم القرآن والعترة .

ففي رواية الحسن بن المنذر ، عن حمزة بن أبي الفتح قال : [جاءني يوماً فقال لي : البشارة . وُلِدَ البارحةَ في الدارِ مولودٌ لأبي محمد (عليه السلام) . وأمر بكتمانه ، قلتُ : وما اسمه ؟ قال : سمِّي بمحمَّد ..][1]

هذا النصُّ شهادة حيّة عن طبيعة تعامل الإمام العسكري مع خواصه وبعض أصحابهِ حول ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ، كما هو شهادة ناضجة حول طبيعة تلقِّي ونشر الأصحاب خبر ولادة الإمام الثاني عشر ، المشهور في لسان النبي والأئمة بإسم المهدي (عليه السلام) ..

وهناك مقطوعات تاريخيَّة شديدة العمق في توزيع ونشر خبر ولادة المهدي (عليه السلام) من قبل الإمام العسكري (عليه السلام) على بعض أصحابهِ في مناطق وبقاع مختلفة ، منها مناطق بعيدة عن مقرِّهِ ، مع التأكيد على ضرورة الكتمان وذلك لِمَا يسعى له ولاة وأمراء وخلفاء بني العباس من قتل المهدي (عليه السلام) . ففي رواية أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي قال : لمَّا وُلِدَ الخلفُ الصالحُ (عليه السلام) وَرَدَ عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي (عليه السلام) إلى جدِّي أحمد بن إسحاق كتاب ، فإذا فيه مكتوب بخط يدهِ (عليه السلام) - الذي كان ترد به التوقيعات عليه - وفيه : [.. وُلِد لنا مولودٌ ، فليكن عندكَ مستوراً ، وعن جميع الناس مكتوماً ، فإنَّا لم نُظهِر عليه إلا الأقرب لقرابته والولي

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٣٢ ب ٤٢ ح ١١ -

لولايته ، أحببنا إعلامك لِيُسرَّكَ اللهُ به مثلما سرَّنَا به ، والسلام][1] . قيمةُ هذا الخبر الهام جداً أنّه يبيِّن لنا نموذجاً من تعامل الإمام العسكري عليه السلام بخصوص ولادة المهدي عليه السلام ، وانّه كيف كان ينشرهُ ، وعند مَن ، وبأيِّ طريقة ، وبما يُوصي لحفظهِ ، والأهم فيه انّه كان يخبرهم بأنَّ مخلِّص البشريَّة المهدي قد وُلِد ، وانّ أمر الله قد تحقَّق ، وانَّ الإمامة بعده عليه السلام تعود إلى المهدي عليه السلام إمام أهل الأرض ، الذي له غيبة يطول أمدها ، ويحتلُّ الفقهاء فيها دور الوسيط الرئيسي في بيان الحكم وتوصيف المواضيع وحلِّ المبهمات وقيادة الأمّة ، حتى يظهر اللهُ المهدي عليه السلام فيقيم دولة القرآن في كافّة أرجاء كون البشر .

وفي طوائف من النصوص أنَّ جملةً من أصحابِ الإمام العسكري عليه السلام كانوا يلتقون بالإمام المهدي زمن ستره من قِبَل أبيه الإمام العسكري . وفي بعضِها انّ الإمام العسكري عليه السلام كان يُحضِرُ المهديَّ عليه السلام بين أيديهم ويقول لهم : هذا المهديُّ حجّةُ اللهِ فأطيعوه .

وكانت بعضُ المقامات لا تخلوا من إعجازٍ عظيم . ففي رواية أبي نعيم محمد بن أحمد الانصاري قال : وجَّهَ قومٌ من المفوّضة والمقصّرة كامل بن إبراهيم المدني المعروف بصناعة ، إلى أبى محمد عليه السلام إلى « سر من رأى » يناجيه في أمرهم ، قال كامل بن إبراهيم :

فقلت في نفسي أسأله ألَا يدخل الجنة إلا مَن عرف معرفتي وقال مقالتي ؟ قال : فلما دخلتُ على سيدي أبي محمد عليه السلام إذ نظرتُ إليه على ثياب بياض ناعمة فقلت في نفسي : وليُّ اللهِ وحجَّتُهُ يلبس الناعم من الثياب

---

[1] كمال الدين : صـ ٤٣٣ بـ ٤٢ حـ ١٦ –

ويأمرنا بمواساة إخواننا ، وينهانا عن لبس مثله ، فقال عليه السلام : [يا كامل - وحسَرَ عن ذراعيه - فإذا مسحٌ أسود خشن ، فقال عليه السلام : هذا لله وهذا لكم . فخجلتُ وجلستُ إلى باب سترٍ مُرخَى ، فجاءت الريحُ فكَشفَ طرفُهُ ، فإذا أنا بفتىً كأنّه فلقةُ قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها ، فقال (المهدي) لي : يا كامل بن إبراهيم ، فاقشعررتُ من ذلك وألهمت أنْ قلت : لبَّيك يا سيدي ، فقال : جئتَ إلى وليِّ الله وحُجَّتِه تريد أن تسأل : لا يدخل الجنة إلا مَن عرف معرفتك وقال مقالتك ؟ فقلت : إي والله ، فقال : إذن والله يقلُّ داخلها ، والله إنه يدخلها خلقٌ كثير ، قوم يُقال لهم الحقيَّة ، قلت : سيدي ومَن هم ؟ قال : قوم من حبِّهم لأمير المؤمنين يحلفون بحقِّه ولا يدرون ما فضله ، ثم سكت عليه السلام ساعة ثم قال : وجئتَ تسأله عن مقالة المفوّضة ؟ كذبوا ، بل قلوبنا أوعية لمشيّة الله ، فإذا شاء اللهُ شيئاً ، والله يقول ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ، قال : ثم رجع السترُ إلى حاله فلم أستطع كشفه ، فنظر إليَّ أبو محمد عليه السلام وتبسَّم وقال : يا كامل بن إبراهيم : ما جلوسُكَ وقد أنبأكَ المهديُّ والحجَّةُ من بعدي بما كان في نفسك وجئتني تسألني عنه . قال : فنهضت وقد أخذتُ الجواب الذي أسررتُهُ في نفسي من الامام المهدي عليه السلام ولم ألْقَهُ بعد ذلك . قال أبو نعيم : فلقيتُ كاملاً فسألته عن هذا الحديث فحدَّثني به عن آخره بلا نقصان ولا زيادة][1]

ففي هذا النص المهديُّ عليه السلام يظهرُ على كامل ، ويُجيبه بما في نفسه إعجازاً ، ويُخبرُهُ بحكمِ الله تعالى وهو إبنُ أربع سنين . وكامل بن إبراهيم لا يعرف هذا الطفل إلا انّه فلقةُ قمر من شدّة جماله وهيبتِه ، فيلتفت إليه الإمام العسكري عليه السلام ويخبرهُ بأنّ هذا هو ولدهُ المهدي عليه السلام ، المهدي

---

[1] الهداية الكبرى : صـ ٨٧ -

المعروف في نصوص النبيِّ والأئمّة عليهم السلام انّه الإمام الثاني عشر الأخير ، الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً .

بل كان الإمام العسكري عليه السلام يدعو بعض أصحابِهِ أو يستغل حضورهم ، أو يبعث إليهم وشبه ذلك ليواجههم بالمهدي عليه السلام عن حضورٍ ومباشرة . ففي رواية يعقوب بن منقوش قال : دخلتُ على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وهو جالسٌ على دكان في الدار ، وعن يمينه بيتٌ عليه سترٌ مسبَّل ، فقلت له : سيدي مَن صاحبُ هذا الامر ؟ فقال : [إرفع الستر ، فرفعتُه فخرج إلينا غلامٌ خماسيٌّ له عشر أو ثمان أو نحو ذلك ، واضح الجبين ، أبيض الوجه ، درّي المقلتين ، شثن الكفين ، معطوف الركبتين ، في خدِّهِ الأيمن خال ، وفي رأسه ذؤابة ، فجلس على فخذ أبي محمد عليه السلام ثم قال لي : هذا صاحبكم ، ثم وثب فقال له : يا بني ادخل إلى الوقت المعلوم ، فدخل البيت وأنا أنظر إليه ، ثم قال لي : يا يعقوب انظر مَن في البيت ، فدخلت فما رأيت أحداً][1] ..

إنّ هذا واحد من معاني حفظ اللهِ للمهدي عليه السلام ، وهذا ما تتفق عليه مصادر الإسلام مع الكتاب المقدَّس وشروحات اللاهوتيين الذين كانوا واضحين في أنَّ قديم الأيّام (المهدي صاحب الغيبة) ، أي الركن الثاني عشر من أركان أورشاليم الجديدة (الكعبة) الذي يقود الناس بعصاً من حديد تكون له غيبةً يحفظه اللهُ بها ..! ثمَّ النص يؤكِّد على حضور للمهدي عليه السلام ومكث يُمكِنُ معه وصفُهُ من قِبَل الراوي ، وأمر مِن الإمام العسكري

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٠٧ بـ ٣٨ حـ ٢ –

باستحضار المهدي من جهة ، ثمّ بإدخاله مكانه ، ثم ذيل النص يشيرُ إلى مقامٍ إعجازي مفادُهُ انَّ الإمام العسكري عليه السلام يسأل يعقوب بن منقوش أن يرفع الستار فلا يرى الإمام المهدي عليه السلام ، ما يعني تدخُّل إرادة الله تعالى في حفظ المهدي عليه السلام ..

وقد تكرّر فعل الإمام العسكري عليه السلام بإظهار المهدي وتعريف البعض عليه والتأكيد على ولادته وإمامته . ففي رواية ضوء بن علي العجلي عن رجلٍ من أهل فارس سمَّاهُ قال : أتيتُ سامرًا ولزمتُ باب أبي محمد عليه السلام فدعاني ، فدخلت عليه وسلَّمتُ فقال : [ما الذي أقدمك ؟ قلت : رغبةً في خدمتك ، فقال لي : فالزم الباب ، قال : فكنتُ في الدار مع الخدم ، ثم صرت أشتري لهم الحوائج من السوق ، وكنت أدخل عليهم من غير إذنٍ إذا كان في الدارِ رجال . قال : فدخلتُ عليه يوماً وهو في دار الرجال ، فسمعتُ حركة في البيت فناداني : مكانَك لا تبرح ، فلم أجسر أن أدخل ولا أخرج ، فخرجت عليَّ جاريةٌ معها شيئ مغطًّى ، ثم ناداني أدخل ، فدخلت ونادى الجارية ، فرجعت إليه ، فقال لها : اكشفي عمَّا معك ، فكشفت عن غلام أبيض حَسَن الوجه ، فقال عليه السلام : هذا صاحبكم (أي المهدي عليه السلام) .. ثم أمرها فحملته ، فما رأيته بعد ذلك حتى مضى أبو محمد عليه السلام][1] .

وفي بعضها كان السائل يسأل الإمام العسكري عليه السلام : هل لك ولد ؟ فكان الإمام عليه السلام يجيب بما تمليه الحقيقةُ والظرف أو الصفة ، فالمهدي مثلاً يخرج أوَّل أمرهُ في المدينة ، ومنها ينتقل سرًّا إلى مكّة ، ويكون إعلان ظهورِهِ العام في مكّة . وعليه : يروي أبو هاشم الجعفري قائلاً : قلت لأبي

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٣٢٩ حـ ٦ -

محمد (عليه السلام) جلالتك تمنعني مِن مسألتك ، فتأذن لي أن أسألك فقال (عليه السلام) : [سَلْ ، قلت : يا سيدي هل لك ولد ؟ فقال : نعم ، فقلت : فإنْ حدث بك حدث فأين أسأل عنه ؟ قال : بالمدينة][1] . أي يكون أمر المهدي (عليه السلام) في المدينة أوّل الأمر ، ومنها يخرج سرّاً إلى مكّة ، وهناك يظهر الظهور العلني العالمي بعد غيبةٍ يطول أمدها .

بل في طائفة من النصوص أنّ الإمام العسكري (عليه السلام) كان يطلع العشرات على ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ويبشِّرهم بذلك . وفي غيرها كان الخبَر يُنقل عن أصحاب الإمام إلى أتباع الإمام (عليه السلام) ، فينتقلون إليه ليطّلعوا على خبر ولادة المهدي (عليه السلام) وهكذا .. ففي رواية عيسى بن مهدي الجوهري قال :

خرجتُ أنا والحسين بن غياث والحسين بن مسعود والحسين بن إبراهيم وأحمد بن حسان وطالب بن إبراهيم بن حاتم والحسين بن محمد بن سعيد ومحجل بن محمد بن أحمد بن الحصيب من حلا إلى « سر من رأى » في سنة سبع وخمسين ومأتين ، فعُدنا مِن المدائن إلى كربلا ، فزرنا أبا عبد الله (عليه السلام) (الحسين) في ليلة النصف من شعبان ،

فتلقَّانَا إخوانُنَا المجاورون لسيِّدِنَا أبي الحسن وأبي محمد (عليهما السلام) بـ « سر مَن رأى » ، وكُنَّا خرجنا للتهنية بمولد المهدي (عليه السلام) فبشَّرَنَا إخواننا بأنَّ المولود كان قبل طلوع الفجر يوم الجمعة لثمان خلون مِن شعبان وهو ذلك الشهر فقضينا زيارتنا ودخلنا بغداد ، فزرنا أبا الحسن موسى وأبا جعفر الجواد محمّد بن علي (عليهما السلام) ، وصعدنا إلى « سر من رأى » ، فلما دخلنا

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٣٢٨ حـ ٢ -

على سيدنا أبي محمد عليه السلام بدأنا بالتهنية قبل أن نبدأه بالسلام ، فجهرنا بالبكاء بين يديه ونحن نيِّف وسبعونَ رجلاً مِن أهل السواد فقال عليه السلام :

[إنَّ البكاء مِن السرور مِن نعمِ اللهِ مثل الشكر لها ، فطيبوا أنفُسَاً ، وقرُّوا أعيناً ، فوالله إنَّكُم لعلى دينِ اللهِ الذي جاءت به الملائكةُ والكُتُب ، وإنكم لَكَمَا قال جدِّي رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : إيَّاكُم أن تزهدوا في فقراء الشيعة ، فإنَّ لِفقيرهم المُحسن المتَّقي عند الله يوم القيامة شفاعةً يدخل فيها مثل ربيعة ومضر ، فإذا كان هذا مِن فضلِ اللهِ عليكم وعلينا فيكم فأي شيئ بقي لكم ، فقلنا بأجمعنا : الحمد لله والشكر لكم يا ساداتنا ، فيكم بلغنا هذه المنزلة ،

فقال عليه السلام : بلغتموها باللهِ وبطاعتكم له واجتهادكم في عبادته وموالاتكم أوليائه ومعاداتكم أعدائه ، فقال عيسى بن مهدي الجوهري فأردنا الكلام والمسألة ، فقال عليه السلام لنا قبل السؤال : فيكم مَن أضمر مسألتي عن وَلَدِي المهدي عليه السلام ، وأين هو ؟ وقد استودعتُهُ اللهَ كما استودعَتْ أمُّ موسى موسى عليه السلام حيث قذفته في التابوت فألقته في اليمِّ أنْ ردَّهُ اللهُ إليها .. - في نصٍّ طويل - قال : فضججنا بين يديه عليه السلام بالشكر والحمد على ما هدانا له ، فقال عليه السلام : زيدوا في الشكر تزدادوا في النعم .

قال الحسين بن حمدان لقيتُ هؤلاءِ النيِّف والسبعين رجل وسألتهم عمَّا حدَّثني به عيسى بن مهدي الجوهري فحدثوني به جميعاً ولقيت بالعسكري مولىً لأبي جعفر التاسع عليه السلام ولقيتُ الريَّان مولى الرضا عليه السلام فكلٌّ يروي ما روته الرجالُ فكان هذا من دلائله عليه السلام][1] .

---

[1] الهداية الكبرى : صـ ٦٨ -

ما يعني انّ خبر الإمام المهدي (عليه السلام) ذاع وشاع خاصّةً بعد فترةٍ من ولادتهِ (عليه السلام)، ولم يقتصر الأمر على شياعهِ، بل وصل إلى حدّ رؤيتهِ، وظهورهِ في مقاماتٍ محدّدةٍ على نحوٍ إعجازي، فكان المهدي (عليه السلام) يُخبر السائل بما في نفسهِ من الأسئلة الشرعيَّة ويجيبُهُ عليها وسط تأييدٍ ربَّاني عظيم ..

وكان موضوع ولادة الإمام المهدي ممَّا شغل ذهن الشيعة والأصحاب، فكانوا مشدودي الأعصاب أمام هذا الموضوع، ينتظرونه بفارغ الصبر في ظل تشدُّد عباسي هائل يصرُّ على قتل أيِّ مولودٍ يولد للإمام العسكري (عليه السلام)، فكان ان أتمَّ اللهُ أمرَ المهدي (عليه السلام) كما أتمَّ أمرَ موسى (عليه السلام) ..

بل في طائفة من النصوص أنّ الإمام العسكري أطلع بعضاً من أصحابهِ بعد وقتٍ قصيرٍ جداً من ولادتهِ (عليه السلام) وعرضه عليهم في اليوم الثالث من ولادته . ففي رواية أبي غانم الخادم قال : وُلِدَ لأبي محمد (عليه السلام) ولد فسمَّاهُ محمداً، فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال : [هذا صاحبكم (إمامكم) مِن بعدي وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتدُّ إليه الاعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الارضُ جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً][1]

وفي رواية عمرو الاهوازي قال : أراني أبو محمد ابنه وقال : [هذا صاحبكم مِن بعدي][2] ..

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٣١ بـ ٤٢ حـ ٨ –

[2] الكافي : ج ١ صـ ٣٢٨ حـ ٣ –

وقال : [روى الفضل بن شاذان في كتاب إثبات الرجعة قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري قال :

لمَّا همَّ الوالي عمرو بن عوف بقتلي غلبَ عليَّ خوفٌ عظيم ، فودَّعت أهلي ، وتوجَّهتُ إلى دار أبي محمد عليه السلام لِأودِّعَهُ ، وكنت أردتُ الهرب ، فلما دخلتُ عليه رأيتُ غلاماً جالساً في جنبه ، وكان وجهه مضيئاً كالقمر ليلة البدر ، فتحيَّرتُ مِن نوره وضيائه ، وكاد يُنسيني ما كنتُ فيه ،

فقال (الغلام) : [يا إبراهيم ، لا تهرب ، فإنَّ اللهَ سيكفِيكَ شرَّهُ ، فازداد تحيُّري ، فقلتُ لأبي محمَّد عليه السلام : يا سيدي ، يا ابن رسول الله ، مَن هذا ؟ وقد أخبرني بما كان في ضميري ! قال عليه السلام : هو ابني وخليفتي مِن بعدي .. - وفي آخر النص - أنَّه لما خرج أخبره عمُّهُ بأنَّ المعتمد قد أرسل أخاهُ وأمره بقتل عمرو بن عوف ، وقد كفاه اللهُ شرهُ - كما قال له المهدي عليه السلام - .][1] .

وفي « كشف الحق »[2] عن الفضل بن شاذان مثله ، وفيه .. قال عليه السلام لإبراهيم النيسابوري : [. . وهو (أي المهدي عليه السلام) الذي يغيبُ غيبةً طويلة ويظهر بعد امتلاء الارض جوراً وظلماً ، فيملؤها عدلاً وقسطاً . فسألته عن اسمه ، قال : هو سميُّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا يحلُّ لأحد أن يسمِّيه باسمه أو يكنِّيه بكنيته ، إلى أن يظهر الله دولته وسلطنته ، فاكتم يا إبراهيم ما رأيت وسمعت منَّا اليوم إلا عن أهله .

---

[1] إثبات الرجعة ، الفضل بن شاذان : على ما في إثبات الهداة . * : إثبات الهداة : ج ٣ صـ ٧٠٠ ب ٣٣ ف ٧ ح ١٣٦ -

[2] : صـ ٤٤ -

يقول : فصلَّيت عليهما وآبائهما وخرجتُ مستظهراً بفضل الله تعالى واثقاً بما سمعتُهُ من الصاحب (عليه السلام) ، فبشَّرني علي بن فارس بأنَّ المعتمد قد أرسل أبا أحمد أخاهُ وأمره بقتل عمرو ، فأخذه أبو أحمد في ذلك اليوم وقطعه عضواً عضواً ، والحمد لله رب العالمين][1] .

ثمّ هذا يعني بعد الإعجاز : تسارع الأحداث وترابط بيان الإمام العسكري (عليه السلام) وتوسيع دائرة مَن يرى ويشاهد ويعلم بولادة مولانا المهدي (عليه السلام) ، بل في بعضها كان الإمام العسكري (عليه السلام) يأذن لبعضِ أصحابِهِ في وقتٍ يكون المهدي (عليه السلام) بين يديه ، بإشارةٍ منه لتعريفهم على ولده المهدي (عليه السلام) بشكلٍ عياني ، أي يشاهدوهُ عن قرب ، ثم يخبرهم بما يؤول إليه أمرُ هذا الإمام العظيم . بالإضافة إلى ما يظهر عنده من إعجازٍ وإخبارٍ وإظهارٍ لعظمة مقام الإمامة بإذن الله تعالى ..

وفي مقطوعاتٍ أخرى : الإمام العسكري (عليه السلام) يجيب سائله أنَّ المهدي حيٌّ موجود ، مولود ، قد حقَّق اللهُ به أمره ، وانّه يُحيطه تعالى من شرِّ الظالمين .. ففي رواية أبي سعيد المراغي قال : حدثنا أحمد بن إسحاق : [أنه سأل أبا محمد (عليه السلام) عن صاحب هذا الامر (أي عن المهدي (عليه السلام)) فأشار بيده ، أي أنه حيٌّ غليظ الرقبة][2] .. أي أنّه آمِنٌ ، حيٌّ ، محفوظٌ بأمر الله تعالى . ومعلوم أنَّ الإخبار بالمهدي مشهور متواتر منذ زمن النبي والأئمة (عليهم السلام) ، وهو حديث المقامات والمجالس والسرِّ والإعلان والقطع واليقين في كل طبقات الإسلام ..

---

[1] م . س .

[2] غيبة الطوسي : صـ ١٥١ -

وزمن الإمام العسكري بدأت تظهر العلامات ، والبشارات القريبة ، ومعها كان الإمام العسكري عليه السلام يخبر الخواص بقرب ولادة المهدي الموعود بإذن الله تعالى . ففي حديث علان الرازي قال : أخبرني بعض أصحابنا أنه لما حملت جارية أبي محمد عليه السلام قال عليه السلام : [ستحملينَ ذكراً ، واسمه محمَّد وهو القائم مِن بعدي][1]

وكانت البشارة في ولادة المهدي عليه السلام قد تكاثر شياعُها على لسان الأصحاب للإمام عليه السلام زمن العسكري عليه السلام . فكان الرجل يسألُ الإمام عليه السلام : عن المهدي ؟ عن القائم بعده ؟ عن بشارة رسولِ الله صلى الله عليه وآله ؟ وهم يرون انّ الوضع حسَّاس والعباسيين يصرُّون على قتل أي ولدٍ يُولد للإمام العسكري عليه السلام ..! ما يعني انَّ الظرف والأوضاع والخناق كان مشدوداً من قبل العباسيين على الإمام العسكري عليه السلام الذي عانى جداً من عيون وفعل العباسيين ، إلا انّ الله يأبى إلا أن يُتمَّ نوره .

بالمقابل كان الإمام العسكري عليه السلام يؤكِّد لأصحابِه أنّه لا بدَّ أن يولد المهدي عليه السلام ، وهو الإمام الثاني عشر الذي أخبر به النبيُّ صلى الله عليه وآله . وفي رواية محمد بن عبد الجبار قال : قلتُ لسيِّدي الحسن بن علي عليه السلام : يا ابن رسول الله ، جعلني اللهُ فداك : أحبُّ أن أعلم مَن الامام وحجة الله على عباده مِن بعدك ؟ فقال عليه السلام :

[إنَّ الامام وحجة الله مِن بعدي ابني ، سَمِيُّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، الذي هو خاتم حجج الله ، وآخر خلفائه . قال : ممَّن هو يا بن رسول الله ؟ قال عليه السلام : مِن ابنة ابن قيصر ملك الروم ، ألا إنَّه سيُولَد ويغيبُ عن الناس

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٠٨ بـ ٣٨ حـ ٤ -

غيبةً طويلة ثم يظهر][1] .. أيضاً عن إثبات الرجعة ، وفيه : [. . ويقتُلُ الدجَّالَ فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً ، فلا يحلُّ لأحد أن يُسمِّيه أو يكنِّيه قبل خروجه صلوات الله عليه][2] .

ففي هذا النص تأكيدٌ على حتميّة ولادةِ المهدي عليه السلام بل بيان لأمّه التي يُولد منها وبعض خوصيّاتها ، ثم يشير إلى بعض الصفات التي منها الغيبة التي تطول والفساد الذي يطال الأرض بأُمَمِهَا ضمن عناوين متنوّعة ومتفاوتة ، والجور الذي يُحكِمُ سيطرته بشكلٍ واسع ، ثم يكون ظهور الإمام المهدي عليه السلام الذي يقتل الدجَّال ، إشارة إلى واحدٍ من رموز تلك الجبهات التي تكون زمن المهدي عليه السلام ، أي إلى رمزٍ فاجرٍ معروفٍ في التراث والنصوص انّه يكون آخر الزمان ويكون من رجالات ورموز أهل الباطل البارزين ، ومع تطهير الأرض من الظالمين يعلن الإمام المهدي دولة القرآن التي تنشر القيم الوجوديّة والمفاهيم الرساليّة وتعمل بالقرآن ونصوص العترة عليهم السلام في كلِّ أرجاء الأرض .. وبهذا يمنُّ اللهُ على الذين استُضعِفوا فيجعلهم الأئمة ويجعلهم الوارثين .

بل نقرأ في بعض المتون إعلان الإمام العسكري عليه السلام عن ولادة الإمام المهدي بشكلٍ عظيمٍ وبعباراتٍ تدلُّ على مقدار العظمة وتجلّياتها . ففي رواية محمد بن حمزة بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبى طالب صلوات الله عليه قال : سمعت أبا محمد عليه السلام يقول : [.. وُلِدَ وليُّ اللهِ وحجَّتُهُ على عبادِهِ وخليفتي مِن بعدي ، مختوناً ، ليلة النصف من

---

[1] إثبات الرجعة : الفضل بن شاذان : على ما في إثبات الهداة ، وأربعين الخاتون آبادي . * : إثبات الهداة : ج ٣ صـ ٥٦٩ ب ٣٢ ف ٤٤ ح ٦٨٠ –

[2] م . س .

شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين عند طلوع الفجر ، وكان أوّل مَن غسّلَهُ رضوان خازن الجنان مع جمع من الملائكة المقربين بماء الكوثر والسلسبيل ، ثم غسلته عمّتي حكيمة بنت محمد بن علي الرضا (عليه السلام)] . قال : (أي محمد بن حمزة) : أمُّهُ مليكة التي يُقال لها بعض الايام سوسن ، وفي بعضها ريحانة ، وكان صقيل ونرجس أيضاً من أسمائها][1] .. أي كان لنرجس رضوان الله عليها أسماء أو ألقاب عدّة ..

ويظهر من النصوص جليّاً انَّ الله تعالى أحاط المهدي (عليه السلام) بمجموع مزايا تشيرُ إلى عظمة مقام الإمامة وما تعنيه .

ومع ولادتِهِ كان الإمام العسكري (عليه السلام) يعرضُه على بعضٍ من الرواة والرُّسل إلى اصحابِهِ ليخبروهم بما منَّ اللهُ على البشريّة من النعمة الكبرى في ولادة المهدي (عليه السلام) المُعدّ لإقامة العدل الكوني . ففي رواية محمد بن الحسن الكرخي قال : سمعت أبا هارون – وهو رجلٌ مِن أصحابنا – يقول : رأيتُ صاحب الزمان (عليه السلام) ووجهُهُ يُضيئ كأنه القمر ليلة البدر ، ورأيتُ على سرته شعراً يجري كالخط ، وكشفت الثوب عنه فوجدته مختوناً ، فسألت أبا محمد (عليه السلام) عن ذلك فقال : [هكذا وُلِدَ ، وهكذا وُلِدنَا ، ولكنَّا سنمر الموسى عليه لإصابة السنة][2] .

ففي هذا المتن شهادة إضافيّة ممتازة على الكثرة الفعليّة التي عرض فيها الإمام العسكري ولده المهدي (عليه السلام) على الأصحاب أو ذكر ولادته أمامهم ، أو بعث بالرُّسُل إلى الأصحاب والخواص في النواحي المختلفة من

---

[1] الفضل بن شاذان : على ما في كشف الحق . * : كشف الحق (أربعون الخاتون آبادي) : صـ ٣٣ حـ ٢ –

[2] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٣٤ بـ ٤٣ حـ ١ –

بقاع العام الإسلامي . وفي بيان خريطة نقل خبر ولادة الإمام المهدي يمكننا القول بأنَّ الإمام المهدي عليه السلام أخبر الكثير من أصحابِهِ وأتباعِهِ ، والنصوص واضحة في هذا المجال ، والأصحاب والأتباع بدورهم نقلوا ولادة الإمام إلى غيرهم ، وقسم مهمٌّ منهم عاينَ الإمام المهدي عليه السلام ورآهُ واستمع منه إلى بالغ القول وعظيم الأثر ، بل كان الإمام العسكري عليه السلام في بعض الحالات يعرض على العشرات في مجلس واحد ولادة المهدي ويؤكِّد عليهم أنَّه المهدي الذي أخبر به النبيُّ والأئمّة عليهم السلام ، وأنّه المعدّ لإقامة دولة العدل ونشر دولة القرآن في كافّة أقطار الأرض وما يكون فيهِ أثر لِسُكنى أو وجود الإنسان .

وقد تنوَّعت النماذج التي أخبر بها الإمام العسكري أصحابه والأتباع بولادة الإمام المهدي عليه السلام . وقد عرضنا لمجموعة راقية من الأساليب والأنماط التي إمّا أخبر بها الإمام أصحابه بالولادة أو عرض المهدي عليه السلام عليهم مباشرةً .

وفي الحقيقة انَّ الأنماط التي اتّبعها الإمام العسكري كثيرة ، منها ما رواه محمد بن إبراهيم الكوفي قال : انَّ أبا محمد عليه السلام بعث إلي بعض مَن سمَّاهُ لي بشاة مذبوحة وقال : [هذه عقيقة ابني محمد (أي المهدي)][1] . تأكيداً منه عليه السلام على نشر خبر ولادة المهدي وتحقُّق أمر اللهِ فيه ، في ظلّ دعاية واسعة من العباسيين وأنصارِهم تعمل على إبطال أمر الإمامة بما يمكنهم من وسائل ، منها عزل الإمام عن الناس ومراقبة من يزوره وتدبير الدعايات والإشاعات ونصرة طائفة من فقهاء السلاطين لمنع الناس عن

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٣٢ ب ٤٢ ح ١٠ .

الإمام وشبه ذلك . وقد حدَّث التاريخ عن فشلٍ ذريعٍ أصاب هذهِ الخطط وغيرها ، ومن تلك الخطط محاولة قتل الإمام العسكري قبل ولادة الإمام المهدي ، وقد مرَّ عليك كيف باءت بالفشل ، وأبى اللهُ إلا أن يتمَّ نوره ، إلى أن تحقّق المحتوم الذي لا بدَّ منه في ولادة المهدي عليه السلام .. فكان أن وسَّع الإمام العسكري من خبر ولادتهِ عليه السلام بأنماط وأساليب ونماذج شديدة التنوّع والنفوذ ..

ويبدو من بعض النصوص وضع ساتر أو ظاهر محدَّد حيطةً من العباسيين وعيونِهم . هذا ما تشير إليه بعض النصوص التي تؤكِّد طابع الخطورة والحيطة الضروريّة ، وتشير بنفس الوقت إلى التدابير الواسعة والجائرة التي كان بنو العباس يتبَعُونَها بالإمام عليه السلام ضمن ظروف وأوقات مختلفة .

ففي رواية البشار بن إبراهيم بن إدريس صاحب ثقة أبي محمد عليه السلام قال : وجَّهَ إليَّ مولاي أبو محمد كبْشَين وقال : [اعقرهما عن أبي الحسن وكُلْ وأطعِم إخوانك ، ففعلتُ ثم لقيتُهُ بعد ذلك فقال : المولودُ الذي وُلِدَ لي مات ، ثم وجَّهَ لي بأربع أكبشة وكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحمن ، اعقر هذه الاربعة أكبشة عن مولاك ، وكُل هنَّأكَ اللهُ ، ففعلت ولقيتُهُ بعد ذلك ، فقال لي : إنما سترَ اللهُ يا بني الحسن (بابني الحسين) وموسى لولادة محمَّد ، مهدي هذه الامة والفرج الاعظم][1] . بحيث يستفاد

---

[1] الهداية الكبرى : صـ ٣٥٨ – وفي لفظ آخر مختصر عن إبراهيم بن إدريس قال : وجَّهَ إليَّ مولاي أبو محمد بكبشين وقال : [عقهما عن ابني فلان وكُلْ وأطعِم إخوانك ، ففعلت ثم لقيتُهُ بعد ذلك فقال : إنَّ المولود الذي وُلِدَ مات ، ثم وجَّهَ إليَّ بكبشين بعد ذلك وكتب إليَّ : بسم الله الرحمن الرحيم ، عقّ هذين

من هذا التعبير انَّ الله تعالى ستر ولادة المهدي (عليه السلام) بولادة مولود قبله كان اسمه الحسين ، حيث مات وبلغ خبره السلطان العباسي فاطمأنَّ أنه لم يبقَ ولدٌ حي للامام الحسن العسكري (عليه السلام) ، في حين أمرُ اللهِ تعالى لا بدَّ من تحقُّقِه ، أي لا بدَّ من ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) وهذا ما حصل ..

المهم في النص الإشارة إلى انَّ الإمام يبعث إلى واحد من الصحابة أن يذبح كبشين أو أربعة ، ثم لا يخبره عبر الرسول بسبب الذبح وبشارته ، إلى أن يراه فيخبرهُ عن حقيقة السبب ، وهو ولادة طفل أوّلاً توفّاهُ الله ، ثم ولادة المهدي (عليه السلام) إمام أهل الأرض . ما يعني حيطة الإمام الشديدة بسبب الظروف التي كان يعيشها وسط عيون العباسيين وتغلغل جواسيسهم وسعيهم لجمع المعلومات عن نسل الحسن العسكري (عليه السلام) تمهيداً للقضاء على المهدي (عليه السلام) .

نعم يُستفاد من طائفةٍ أخرى وردت في متون النصوص بعض الإنفراجات التي كانت تسمح للإمام (عليه السلام) بنشر الخبر أمام العشرات بل إظهار المهدي مباشرةً أمام جمعٍ من الأصحاب وشبه ذلك .. ومعلوم انّ التاريخ السياسي العباسي في هذه الفترة وقبلها كان يعيش مرحلة من الإضطراب سواء في مركز القرار أو على مستوى البنية العسكريّة التي تغلغَلَ فيها الترك وغيرهم ، وسط تداخل عناصر عربيّة وفارسيّة وتركيّة وشبه ذلك ، وترهُّل واضح في مركز القرار العباسي ، ما يسمح بفترة راحة نسبيّة للإمام العسكري (عليه السلام) كان يستغلّها في نشر السنّة فضلاً عن نشر خبر ولادة المهدي وعرضه أمام جمعٍ من الأصحاب بأوقاتٍ مختلفة إعلاناً

الكبشين عن مولاك وكُل هنّأكَ اللهُ وأطعِم إخوانك ، ففعلت ولقيته بعد ذلك ، فما ذكر لي شيئاً] [إثبات الوصية : صـ ٢٢١] .

منه (عليه السلام) عن بدء مرحلة شديدة الدلالة على معالم رحلة البشر في كون هذا الإنسان ..

وقد تعدَّد نموذَجُ بعثِ الإمام إلى خصوصِ أصحابِهِ وبعض أتباعِهِ يأمرهم بعقيقة أو توزيع الخبز والأطعمة وشبه ذلك تيمّناً بولادة المهدي (عليه السلام) ، فقد بعث الإمام (عليه السلام) إلى بقاع ومناطق مختلفة ، وإلى أصحاب كُثُر من مناطق شتّى ، ففي رواية أبي جعفر العمري قال : لمَّا وُلِدَ السيِّدُ (المهدي (عليه السلام)) قال أبو محمد (عليه السلام) : [إبعثوا إلى أبي عمرو ، فبعث إليه فصار إليه ، فقال له : اشتر عشرة آلاف رطل خبز وعشرة آلاف رطل لحم وفرِّقهُ - أحسبه قال على بني هاشم - وعقّ عنه بكذا وكذا شاة][1] ..

وفي النصوص شهادة في بعضِها على انّ هناك مَن أخبرهُ الإمام العسكري (عليه السلام) ساعة ولادة المهدي ، أو بعد يومٍ أو يومين وشبه ذلك ، أي في مدّة قصيرة جداً ، ومنهم من أخبرهُ قبل ولادة المهدي (عليه السلام) ، ومنهم أخبرهُ بعد ولادة المهدي بسنة أو سنتين أو أكثر ، وقد مرَّ عليك نماذج متعدِّدة في هذا المجال ، وفي رواية محمد بن علي بن بلال قال :

[خرج إليَّ مِن أبي محمد (عليه السلام) قبل مضيِّهِ بسنتين ، يُخبرني بالخلَفِ مِن بعده ، ثم خرج إليَّ مِن قبل مضيِّهِ بثلاثة أيَّام يُخبرني بالخلف من بعده][2] . وفي لفظٍ آخر عن أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل الكندي قال : قال لي أبو طاهر البلالي : التوقيع الذي خرج إليَّ مِن أبي محمد (عليه السلام) فعلقوه في الخلف بعده وديعة في بيتك ، فقلت له : أحب أن تنسخ لي من لفظ

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٣٠ بـ ٤٢ حـ ٦ -

[2] الكافي : ج ١ صـ ٣٢٨ حـ ١ - كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٩٩ بـ ٤٥ حـ ٢٤ -

التوقيع ما فيه ، فأخبر أبا طاهر بمقالتي فقال له : جئني به حتى يسقط الاسناد بيني وبينه ، فخرج إليَّ مِن أبي محمَّد (عليه السلام) قبل مضيه بسنتين يخبرني بالخلف مِن بعده ، ثم خرج إليَّ بعد مضيِّهِ بثلاثة أيام يُخبرني بذلك ، فلعن الله من جحد أولياءَ اللهِ حقوقَهُم ، وحمل الناس على أكتافهم ، والحمد الله كثيرا][1] .

وهذا تأكيدٌ على نمط محدّد من المعصوم (عليه السلام) مع فئة من الناس أخبرهم بولادة المهدي (عليه السلام) ضمن مدّة محدّدة بعد ولادة المهدي (عليه السلام) إما بسبب الظروف أو لأهدافٍ محدّدةٍ منعت إشاعة الخبر عندهم بسرعة خاصّة انَّ العباسيين وجدوا أنفسهم فجأة أمام ما يؤكِّد أنَّ الإمام العسكري (عليه السلام) قد وُلِد له ولد ، وسعوا طويلاً للقبض عليهِ فلم يستطيعوا . وقد مرَّ عليك ، ما أشار فيهِ الإمام العسكري (عليه السلام) انّه استودعه الله كما فعلت أمُّ موسى (عليه السلام) ، أي أنَّ الظرف كان قاسياً على الإمام العسكري ، وكان العباسيُّون يطلبون المهدي بأنماط مختلفة ، وقد دسّوا العيون والجواسيس لتجميع المعلومات حول ولادة أي ولد للعسكري (عليه السلام) . وبكلمة : كانت إرادة اللهُ تعالى تحفظ المهدي (عليه السلام) بشكلٍ لا جدال فيه .

نعم كانت هناك فترات ساعدت على نشر خبر المهدي بشكلٍ أوسع وطمأنينة أكبر ، حتى شاع خبر ولادة المهدي في المناطق القريبة والبعيدة ، في ظلِّ أزمات تجتاح العرش العباسي وخلافات في نفس البيت العباسي والهرم الإداري والقضايا المختلفة التي كانت تتناوب على العرش العباسي والسيطرة على الحكم والجند وخلافات القادة وشبه ذلك ..

---

[1] ن ، م .

بل في طوائف من النصوص كان الإمام العسكري (عليه السلام) واضحاً في بيان وإشاعة ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ، ويجيب السائل بأنَّ المهدي (عليه السلام) وُلِد ، وانّ له غيبةً يحارُ فيها بعض الناس ، وتشكِّل عنصر اختبار لفئاتٍ متنوِّعة من الناس إلى أن يأذن اللهُ له بالظهور ، فإذا ظهر أبطل حكم الظالمين وأقام الحق في كافّة ارجاء دنيا الإنسان .

ففي رواية أبي علي بن همام قال : سمعتُ محمد بن عثمان العمري قدَّس الله روحه يقول : سمعت أبي يقول : سئل أبو محمد الحسن بن علي (عليه السلام) وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه (عليهم السلام) : إنَّ الارض لا تخلو من حجة لله على خلقه إلى يوم القيامة ، وأنَّ مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ؟ فقال (عليه السلام) - :

[إنَّ هذا حقٌّ كما أنَّ النهار حق . فقيل له : يا ابن رسول الله ، فمَن الحجَّة والامام بعدك ؟ فقال (عليه السلام) : ابني محمَّد هو الامام والحجة بعدي ، مَن مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية ، أما إنَّ له غيبةً يحارُ فيها الجاهلون ، ويهلك فيها المُبطِلُون ، ويكذب فيها الوقَّاتُون ، ثم يخرج فكأنِّي أنظر إلى الاعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة][1] .

في ذيل النص إشارة حيويّة إلى مرحلة شديدة التألُّق من زحف المهدي (عليه السلام) وانتصار جبهتِه التي تخرج من الحجاز وتخترق الجبهات حتى تصل إلى الكوفة التي تعتبر زمن الظهور عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام) التي يدير منها شؤون دولة الإسلام التي تحكم جميع أرجاء الأرض .. وفيه بيان من إثنين : إمّا يشير إلى مرحلة الإنتصارات الباهرة التي يحقّقها

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٠٩ ب ٣٨ ح ٩ -

المهدي (عليه السلام) حتى يصل إلى نجف الكوفة ، وإما يشير إلى مركز عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام) التي يدير منها مرافق دولتِهِ التي تحكم كلَّ بقاع الأرض . وكلا المعنيين ممكن في نفسه وفي دلالة النص . والروايات تشيرُ إليه .

ثم يؤكِّد الإمام العسكري في العديد من النصوص أنَّ أمر المهدي كأمر النبي والإمام ولا بدَّ من الإعتقاد بهِ والإلتزام بولايته . ففي رواية موسى بن جعفر بن وهب البغدادي قال : سمعت أبا محمد الحسن بن علي (عليه السلام) يقول : [كأنِّي بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف منِّي ، أما إنَّ المُقرَّ بالائمة (عليهم السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) المنكر لولدي كمَن أقرَّ بجميع أنبياء الله ورُسُلِه ثم أنكر نبوَّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والمنكر لرسولِ الله (صلى الله عليه وآله) كمَن أنكر جميع الانبياء ، لأنَّ طاعة آخرنا كطاعة أوَّلنَا والمنكر لآخرنا كالمنكر لأوَّلنَا . أما إنَّ لِوَلدي غيبةً يرتابُ فيها الناسُ إلا من عصمه اللهُ عزَّوجلَّ][1] .

هذا تأكيد شديد الإصرار على انَّ أمر المهدي هو أمر رسولِ الله والأئمّة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ، وانَّ الخطورة البالغة تكمن في إنكار أمرهِ ، فمن أنكرهُ كمن أنكر نبوة النبي محمّد والأئمّة (عليهم السلام) ..

ومعلوم انّ موضوع المهدي بلغ تواتراً ضخماً عن النبيِّ وآله (عليهم السلام) .. وعلى كلِّ حال : المسلمون وعلماءُهم متّفقون جميعاً على أمر المهدي (عليه السلام) ، وانّه من وُلدِ رسول الله ، وانّه يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً . وتشير بعض النصوص إلى خلطٍ يصيب بعض الشيعة بسبب الدعاية العباسيّة والحرب الدعائيّة العنيفة التي تقودها دولة

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٠٩ ب ٣٨ ح ٨ –

بني العباس وأنصارهم في أمر المهدي ، منهم من يقول : ليس للعسكري ولد ، ومنهم من يقول لم نُخبَر بولد ، وشبه ذلك بهدف طمس معالم الإمامة . ففي رواية أبي غانم قال : سمعت أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام يقول : [في سنة مائتين وستين تفترق شيعتي][1] .. إشارة إلى ذلك الخلط الذي يصيب بعض النَّاس ، نعم تبدَّد مستوى الخلط والغوغاء بسبب شهرة خبر المهدي عليه السلام رغم الدعاية الكبيرة التي قادتها حكومة بني العباس وأتباعهم بهدف إجهاض موضوع ولادة المهدي عليه السلام .

وظهر إعجاز الإمامة بنحوٍ من الأنحاء زمن وفاة الإمام العسكري والصلاة عليه ، حيث ظهر المهدي بين الناس كافّة وشدَّ إزار عمِّه جعفر وتقدّم للصلاة على أبيه عليه السلام . ممّا أذهل العباسيين وأدخلهم في غوغاء واضطرابٍ هائل أدّى إلى عقاب قاسٍ لعيونِهم وجواسيسهم الذين لم يستطيعوا أن يحقِّقوا ايّ نجاحٍ في القبض على المهدي أو تجميع معلومات حاسمة عنه .

ومعلوم انَّ أمر المهدي تحيطُه إرادةُ اللهِ تعالى ، ويأبى اللهُ إلا أن يُتمَّ نورهُ ولو كره المشركون ولو كره الكافرون . ثمَّ يؤكِّد عليه السلام أنَّ المهدي له غيبة ، يطول أمدها ، ويكثر منكروها ، وفيها يتنامى حكم الفساد وأهل الطاغوت والجبروت ، فإذا أذن اللهُ له وتمّت الشروط والمواصفات التي حدَّدها اللهُ بالمقادير ظهر عليه السلام فأقام العدل الكوني وسار بالناس في ظلِّ حكومة العترة والقرآن .. ففي رواية الحسن بن محمد بن صالح البزاز قال : سمعتُ الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول : [إنَّ ابني هو القائم مِن بعدي

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٤٠٨ بـ ٣٨ حـ ٦ –

وهو الذي يجري فيه سُنَنُ الانبياء بالتعمير ، والغيبة ، حتى تقسو القلوب لطول الامد ، فلا يثبت على القول به إلا من كتب اللهُ عزوجل في قلبه الايمان وأيَّدَهُ بروحٍ منه][1] .

ففي ذلك الزمن تتكاثر المفاسد والقيم الضالّة ، وتبرز أممٌ منقادة في مجتمعاتِها على نحوٍ معاندٍ للدِّين ومواثيق الشريعة ومبادئ الحكم الكوني والناموس الوجودي . ويقود جبابرةُ العالَم السياسيَّ الإقتصاديَّ الأخلاقيَّ على نحوٍ متهوِّرٍ منحرفٍ بشدّة . بحيث يطال الفساد والظلم الطاغي العالمَ بشكلٍ متفاوتٍ لكنّه يشكِّل سمة رئيسيّة في ذلك العالم ، عالَم غيبة المهدي عليه السلام ..

ولقد كان الإمام العسكري عليه السلام شديد الإصرار على نشر خبر ولادة المهدي عليه السلام على بقاعٍ مختلفة من الأرض لدى أتباعِهِ والخُلَّص من أصحابِهِ . فكان يكتب لهم ويبشِّرهم ويوصيهم بأمر المهدي عليه السلام ، وانّه الإمام الواجب الطاعة ، بل الإمام الذي تتحقّق على يده كونيَّة الدولة الإسلامية ، دولة القرآن والعترة .

ولقد كان عليه السلام يأمر شيعتَهُ بانتظار الفرج ، مُؤكِّداً انّ انتظار الفرج من أعظم العبادة ، والإنتظار يعني الإلتزام بالقرآن والعترة ، الإلتزام بالإسلام ، والعمل على توطئة الأمر وتهيئة الإمكانات لحكم العترة والقرآن عبر فقهاء الغيبة في كلِّ زمانٍ ومكان لإقامة حكم الإسلام ما أمكن . ومما كتب الإمام العسكري عليه السلام إلى أبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي : [اعتصمت بحبل الله ، بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب

---

[1] كمال الدين : ج ٢ صـ ٥٢٤ ب ٤٦ ح ٤ –

العـالمين ، والعاقبـة للمتقـين ، والجنّـة للموحِّـدين ، والنَّـار للملحـدين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، ولا إله إلا الله أحسن الخالقين ، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين .. - ومِمَّا جاء فيها - : عليك بالصبر وانتظار الفرج ، قال النبي ﷺ : أفضل أعمال أمَّتي انتظارُ الفرج . ولا يـزال شـيعتنا في حزنٍ حتى يظهر وَلَدِي الذي بشَّرَ بـه النبـيُّ ﷺ ، يمـلأ الارض قسـطاً وعدلاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً . فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علـي ، وأمُـرْ جميع شيعتي بالصبر ، فإنَّ الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبـة للمتقين ، والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاتـه ، وصـلى الله على محمد وآله][1] .

وفي الإحتجـاج وغيـره .. قـال : [. . أمَّـا بعـد أُوصـيك يـا شـيخي ومعتمدي وفقيهي يا أبا الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي وفَّقَـكَ اللهُ لمرضاته وجعـل مِـن وُلـدِكَ أولاداً صـالحين برحمتـه ، بتقـوى الله وإقـام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، فإنه لا تُقبل الصلاةُ من مـانعي الزكـاة ، وأُوصـيك بمغفرة الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، ومواساة الاخـوان ، والسـعي في حوائجهم في العسر واليسر ، والحلم عند الجهـل ، والتفقّـه فـي الـدِّين ، والتثبُّت في الامور ، والتعهّد للقـرآن ، وحُسـن الخُلُـق ، والأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر ، قال الله عزوجل : ﴿ لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ، واجتناب الفواحش كلهـا ، وعليـك بصلاة الليل ، فإنَّ النبيَّ ﷺ أوصَى عليّاً عليه السلام فقال : يا علي عليـك بصـلاة الليل ، عليك بصلاة الليل ، عليك بصلاة الليل . ومَن استخفَّ بصـلاة الليـل فليس منَّا ، فاعمل بوصيتي وأمُرْ جميع شيعتي بما أمرتُكَ به حتـى يعملـوا

---

[1] مناقب ابن شهر اشوب : ج ٤ صـ ٤٢٥ -

عليه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير][1] . فهذا من الشهادات القيِّمة التي تؤكِّد الأنماط العديدة التي بلَّغ بها الإمام العسكري ولادة المهدي (عليه السلام) قبل ولادتِهِ وبعد ولادتِهِ بمددٍ مختلفة ، بل على الأثر كان يبعث إلى الأصحاب والأتباع بإقامة مراسم وطقوس محدّدة ببشرى ولادة المهدي (عليه السلام) ..

وقد علم العبَّاسيّون أنّهم فشلوا في أمر المهدي (عليه السلام) ، وانّه ولِد ، وانّه أمره شاع وذاع ، فاعتمدوا وسائل كثيفة للنيل من المهدي (عليه السلام) ففشلوا ، وقد أعلنوا ذلك مراراً ، وفي شهادات التاريخ العام والخاص تأكيد على عجز العباسيين ويأسهم من المهدي الذي حقَّق اللهُ ولادتَهُ إلى أن حقَّق اللهُ تعالى غيبته المباركة .. جعلنا اللهُ من انصاره وأعوانه والذابِّين عنه والمستشهدين بين يديه ..

---

[1] البحار : ج ٥٠ صـ ٣١٧ بـ ٤ - ذيل الحديث ١٤ - عن المناقب . منتخب الاثر : صـ ٢٣١ فـ ٢ بـ ٢١ حـ ٢ - عن مستدرك الوسائل ..

بعض ما ورد عن حكيمة عمّة الإمام العسكري عليه السلام في خبر ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه

ميزة مروياّت السيِّدة حكيمة بنت الإمام محمد الجواد عليه السلام أنّها شديدة التطابق بركائزها وعناوينِها ، وذات إخبار حسِّي مباشر ، وفيها ما فيها من الإشارة إلى بعض خصائص الإمامة وعظيم ولادة المعصوم عليه السلام وما يحفّه اللهُ به من إعجازٍ ولطفٍ عظيم . ففي رواية موسى[1] بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : حدثتني حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قالت :

بعثَ إليَّ أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال : يا عمة اجعلي إفطارك [هذه] الليلة عندنا فإنها ليلةُ النِّصف من شعبان ، فإنَّ اللهَ تبارك وتعالى سيُظهر في هذه الليلة الحجَّة ، وهو حجَّتُهُ في أرضه ، قالت : فقلتُ له : ومَن أمُّهُ ؟ قال عليه السلام لي : نرجس . قلت له : جعلني اللهُ فداك ما بها أثر ، فقال عليه السلام : هو ما أقولُهُ لكِ . قالت : فجئت ، فلمَّا سلَّمتُ وجلستُ جاءت تنزعُ خفِّي وقالت لي : يا سيدتي [وسيِّدةَ أهلي] كيف أمسيتِ ؟ فقلت : بل أنتِ

---

[1] حدثنا محمد بن الحسن بن الوليد رضي الله عنه قال : حدثنا محمد بن يحيى العطار قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن رزق الله قال : حدثني

سيِّدتي وسيدة أهلي ، قالت : فأنكرت قولي وقالت : ما هذا يا عمَّة ؟ فقلت لها : يا بنيَّة إنَّ الله تعالى سيهَب لك في ليلتك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة . قالت : فخَجِلَت واستَحيَت .

تقول حكيمة : فلما أنْ فرغتُ مِن صلاة العشاء الآخرة أفطرتُ وأخذتُ مضجعي فرقدتُ ، فلما أنْ كان في جوف الليل قمتُ إلى الصلاة ففرغتُ مِن صلاتي ، وهي نائمة ليس بها حادثٌ ، ثم جلستُ معقِّبةً ، ثم اضطجعتُ ، ثم انتبهتُ فزعةً وهي راقدة ثم قامت فصلَّت ونامت .

قالت حكيمة : وخرجت أتفقَّدُ الفجرَ ، فإذا أنا بالفجر الأوَّل كذنب السرحان ، وهي نائمة ، فدخلني الشكوك ، فصاحَ بي أبو محمد عليه السلام مِن المجلس فقال : لا تعجلي يا عمَّة ، فهاك الأمر قد قَرُبَ . قالت : فجلست وقرأتُ : (سورة) ألم السجدة وياسين . فبينما أنا كذلك إذ انتبَهَتْ فزعةً فوثبتُ إليها فقلتُ : اسمُ اللهِ عليك ، ثم قلتُ لها : أتحسِّينَ شيئاً ؟ قالت : نعم يا عمَّة ، فقلتُ لها : اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلتُ لك ، قالت : فأخذتني فترة وأخذتها فترة فانتبهتُ بحسِّ سيدي ، فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به (بالمهدي عليه السلام) ساجداً يتلقَّى الأرض بمساجده ، فضممتُهُ إليَّ فإذا أنا به نظيفٌ متنظِّف ، فصاح بي أبو محمد عليه السلام : هلمِّي إليَّ ابني يا عمَّة .

فجئتُ به عليه السلام إليه ، فوضَعَ يديه تحت إليتيه وظهره .. ثم أدلى لسانه في فِيه (فمه) ، وأمرَّ يدَهُ على عينيه وسمعه ومفاصله ، ثم قال : تكلَّم يا بُنيَّ . فقال (المهدي عليه السلام) : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ، ثمَّ صلَّى على أمير المؤمنين وعلى الائمة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم (أي صلَّى عليه وسكت) .

ثم قال أبو محمد (عليه السلام) : يا عمَّة ، اذهبي به إلى أمِّه ليُسلِّم عليها ، وائتيني به ، فذهبت به فسلَّم عليها ، ورددتُهُ فوضعته في المجلس ثم قال : يا عمّة إذا كان يوم السابع فأتنا . قالت حكيمة : فلمَّا أصبحت جئتُ لأسلِّم على أبي محمد (عليه السلام) وكشفت الستر لأتفقَّد سيِّدي (عليه السلام) فلم أره ، فقلت : جُعلتُ فداك ما فعل سيِّدي ؟ فقال (عليه السلام) : يا عمة استودعناهُ الذي استودعته أمُّ موسى موسى[1] (عليه السلام) .

قالت حكيمة : فلما كان في اليوم السابع جئت فسلَّمتُ وجلستُ فقال : هلمِّي إليَّ ابني ، فجئت بسيدي (عليه السلام) وهو في الخرقة ، ففعل به كفعلته الاولى ، ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذِّيه لبناً أو عسلاً ، ثم قال : تكلَّم يا بني ، فقال (عليه السلام) : أشهد أن لا إله إلا الله . وثنَّى بالصلاة على محمد ، وعلى أمير المؤمنين وعلى الائمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، حتى وقف على أبيه (عليه السلام) ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم : وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥/٢٨﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦/٢٨﴾ . قال : موسى فسألت عقبة الخادم عن هذه ، فقالت : صدقت

---

[1] وفي قول الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧/٢٨﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨/٢٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩/٢٨﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠/٢٨﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١/٢٨﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢/٢٨﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣/٢٨﴾

حكيمة][1] .. مع الإشارة إلى انّه يستفاد من بعض النصوص وبشكلٍ صريحٍ انّ نرجس أمّ الإمام المهدي (عليه السلام) كان يُقال لها أيضاً سوسن ومليكة . ففي رواية محمد بن حمزة بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قال : سمعت أبا محمد العسكري (عليه السلام) يقول : [وُلِدَ وليُّ اللهِ وحجَّتُهُ على عبادِهِ وخليفتي مِن بعدي ، مختوناً ، ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين عند طلوع الفجر ، وكان أول من غسله رضوان خازن الجنان مع جمع من الملائكة المقربين بماء الكوثر والسلسبيل ، ثم غسلته عمَّتي حكيمة بنت محمد بن علي الرضا (عليه السلام)][2] . قال : (أي محمد بن حمزة) : أمُّهُ مليكة التي يُقال لها بعض الايام سوسن ، وفي بعضها ريحانة ، وكان صقيل ونرجس أيضاً من أسمائها][3] ..

بل في طائفة من النصوص المتعدّدة التي ترويها حكيمة تستعمل مرّةً إسم نرجس ، ومرّة تعمد على استعمال إسم سوسن . فقد ورد عن ابن أبي جيد ، عن محمد بن الحسن بن الوليد ، عن الصفار محمد بن الحسن القمي ، عن أبي عبد الله المطهري ، عن حكيمة بنت محمد بن علي الرضا قالت :

بعثَ إليَّ أبو محمد (عليه السلام) سنة خمس وخمسين ومأتين في النصف من شعبان وقال : يا عمَّة اجعلي الليلة إفطارك عندي ، فإنَّ اللهَ عزَّوجلَّ سيسرّكِ بوليِّهِ وحجَّتِهِ على خلقِهِ ، خليفتي مِن بعدي . قالت حكيمة : فتداخلني لذلك سرورٌ شديدٌ ، وأخذت ثيابي عليَّ وخرجتُ مِن ساعتي حتى

---

[1] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٢٤ بـ ٤٢ حـ ١ -

[2] الفضل بن شاذان : على ما في كشف الحق . * : كشف الحق (أربعون الخاتون آبادي) : صـ ٣٣ حـ ٢ -

[3] الفضل بن شاذان : على ما في كشف الحق . * : كشف الحق (أربعون الخاتون آبادي) : صـ ٣٣ حـ ٢ -

انتهيتُ إلى أبي محمد (عليه السلام) وهو جالس في صحن داره وجواريه حوله فقلت : جُعِلتُ فداك يا سيدي ، الخلفُ ممَّن هو ؟ قال (عليه السلام) : مِن سوسن فأدرتُ طرفي فيهنَّ فلم أرَ جاريةً عليها أثر غير سوسن .

قالت حكيمة : فلما أنْ صليت المغرب والعشاء الآخرة أتيتُ بالمائدة فأفطرت أنا وسوسن وبايَتُّهَا في بيتٍ واحد ، فغفوتُ غفوةً ثم استيقظتُ ، فلم أزل مفكِّرة فيما وعدني أبو محمد (عليه السلام) مِن أمر وليِّ اللهِ (عليه السلام) فقمت قبل الوقت الذي كنت أقوم في كلِّ ليلة للصلاة ، فصلَّيت صلاة الليل حتى بلغت إلى الوتر ، فوثبت سوسن فزعة وخرجت فزعة ، وأسبغت الوضوء ثم عادت فصلت صلاة الليل وبلغت إلى الوتر ، فوقع في قلبي أنَّ الفجر قد قرب فقمت لأنظر فإذا بالفجر الاول قد طلع ، فتداخل قلبي الشك مِن وعد أبي محمد (عليه السلام) فناداني مِن حجرته : لا تشكِّي وكأنَّكِ بالامر الساعة قد رأيتِهِ إن شاء الله تعالى .

قالت حكيمة : فاستحييتُ مِن أبي محمد (عليه السلام) وممَّا وقع في قلبي ، ورجعتُ إلى البيت وأنا خجلةً ، فإذا هي قد قطعت الصلاة وخرجت فزعةً فلقيتها على باب البيت فقلت : بأبي أنتِ وأمي هل تحسِّين شيئاً ؟ قالت : نعم يا عمَّة ، إني لأجد أمراً شديداً . قلت : لا خوف عليك إنْ شاء الله تعالى ، وأخذتُ وسادةً فألقيتها في وسط البيت وأجلستُهَا عليها وجلستُ منها حيث تقعد المرأة مِن المرأة للولادة ، فقبضتُ على كفّي وغمزت غمزة شديدة ثم أنَّت أنة وتشهدت ونظرت تحتها فإذا أنا بولي اللهِ (المهدي) صلوات الله عليه متلقياً الارضَ بمساجده ، فأخذتُ بكتفيه فأجلستُهُ في حجري ، فإذا هو نظيفٌ مفروغٌ منه ، فناداني أبو محمد (عليه السلام) : يا عمة هلمِّي فأتيني بابني ، فأتيتُهُ به فتناوله وأخرج لسانه فمسحه [على] عينيه ففتحها ، ثم أدخله في

فيه فحنكه ثم في أذنيه ، وأجلسه في راحته اليسرى فاستوى وليُّ الله جالساً فمسح يده على رأسه وقال له : يا بني انطق بقدرة الله ، فاستعاذ وليُّ الله عليه السلام من الشيطان الرجيم واستفتح : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ وصلَّى على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أمير المؤمنين والائمة عليهم السلام واحداً وأحداً حتى انتهى إلى أبيه ، فناولنيه أبو محمد عليه السلام وقال : يا عمة ردِّيه إلى أمه حتى ﴿ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، فرددته إلى أمِّه وقد انفجر الفجر الثاني ، فصلَّيت الفريضةَ وعقَّبتُ ، إلى أن طلعت الشمس ، ثم ودَّعت أبا محمد عليه السلام وانصرفتُ إلى منزلي ،

فلما كان بعد ثلاث اشتقتُ إلى وليِّ الله (المهدي عليه السلام) فصرتُ إليهم فبدأت بالحجرة التي كانت سوسن فيها ، فلم أرَ أثراً ولا سمعتُ ذكراً فكرهت أن أسأل ، فدخلت على أبي محمد عليه السلام فاستحييتُ أن أبدأ بالسؤال فبدأني فقال : هو يا عمَّة في كنف الله وحرزه وستره وغيبه حتى يأذن الله له فإذا غيَّبَ اللهُ شخصي وتوفاني ورأيت شيعتي قد اختلفوا فأخبري الثقات منهم ، وليكن عندك وعندهم مكتوماً ، فإنَّ وليَّ الله يُغيِّبُهُ الله عن خلقه ويحجبه عن عباده ، فلا يراه أحدٌ حتى يقدِّم له جبرئيل عليه السلام فرسه ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾[1]][2] .

---

[1] تمام الآية بعد هذه الفقرة قوله تعالى : ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢/٨﴾

[2] م . س .

وفي رواية محمد بن إبراهيم[1] عن حكيمة - بتفاوت قال - : [.. قالت بعث إلي أبو محمد عليه السلام ليلة النصف من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومأتين وقلت له يابن رسول الله مَن أمُّه ؟ قال عليه السلام : نرجس : قالت : فلما كان في اليوم الثالث اشتدَّ شوقي إلى وليِّ اللهِ فأتيتُهُم عائدةً فبدأتُ بالحجرة التي فيها الجارية فإذا أنا بها جالسة في مجلس المرأة النفساء وعليها أثواب صفر ، وهي معصّبة الرأس ، فسلّمت عليها ، والتفتُّ إلى جانب البيت وإذا بمهدٍ عليه أثواب خضر فعدلت إلى المهد ورفعتُ عنه الاثواب . فإذا أنا بوليِّ اللهِ نائم على قفاه غير محزوم ولا مقموط ، ففتح عينيه وجعل يضحك ويناجيني بأصبعه ، فتناولته وأدنيته إلى فمي لأقبِّله فشممت منه رائحة ما شممتُ قط أطيبَ منها ، وناداني أبو محمد عليه السلام يا عمَّتي هلمِّي فتايَ إليَّ ، فتناوله وقال : يا بني انطق (وذكر الحديث) قالت : ثم تناولته منه وهو يقول : يا بني استودعُكَ الذي استودعتهُ أمُّ موسى ، كُن في دعةِ اللهِ وستره وكنفه وجواره . وقال عليه السلام : ردِّيه إلى أمه يا عمة واكتمي خبر هذا المولود علينا ، ولا تخبري به أحداً حتى يبلغ الكتابُ أجله ، فأتيت أمه ، وودعتهم (وذكر الحديث إلى آخره) .

وفيها أيضاً أشار إلى مثله : عن « أحمد بن علي الرازي ، عن محمد بن علي ، عن حنظلة بن زكريا (قال) حدثني الثقة عن محمد بن علي بن بلال عن حكيمة بمثل ذلك][2] .

---

[1] وفي : صـ ١٤٣ - مختصرا عن أحمد بن علي الرازي عن محمد بن علي ، عن علي بن سميع بن بنان ، عن محمد بن علي بن أبي الداري ، عن أحمد بن محمد ، عن أحمد بن عبد الله ، عن أحمد بن روح الاهوازي ، عن محمد بن إبراهيم ، عن حكيمة : - بتفاوت ، قال : ..

[2] غيبة الطوسي : صـ ١٤٠ -

وفي دلائل الامامة[1] قال حدَّثني إسماعيل الحسني عن حكيمة ابنة محمد بن علي الرضا عليه السلام أنها قالت : قال لي الحسن بن علي العسكري ذات ليلة أو ذات يوم : أحبُّ أن تجعلي إفطارك الليلة عندنا ، فإنه يحدث في هذه الليلة أمرٌ ، فقلت ما هو ؟ قال : إنَّ القائم مِن آل محمد يُولد في هذه الليلة . فقلت ممَّن ؟ قال عليه السلام : مِن نرجس .

تقول : فصرتُ إليه ودخلت الجواري فكان أول مَن تلقَّتني نرجس ، فقالت يا عمَّة كيف أنتِ أنا أفديك ، فقلت لها : بل أنا أفديك يا سيِّدةَ نساء هذا العالم ، فخلعت خفي وجاءت لِتصبَّ على رجلي الماءَ فحلّفتها ألَّا تفعل ، وقلتُ لها : إنَّ اللهَ قد أكرمك بمولودٍ تلدينه في هذه الليلة . فرأيتها لمَّا قلتُ لها ذلك قد لَبِسَهَا ثوبٌ مِن الوقار والهيبة ، ولم أرَ بها حملاً ولا أثر حمل . فقالت : أي وقت يكون ذلك ؟ فكرهتُ أن أذكر وقتاً بعينه فأكون قد كذبت ، فقال لي أبو محمد عليه السلام : في الفجر الأول .

فلمَّا أفطرتُ وصلَّيتُ وضعتُ رأسي ونمتُ ، ونامت نرجس معي في المجلس ، ثم انتبهتُ وقتَ صلاتنا فتأهبت ، وانتبهت نرجس وتأهبت ، ثم إنِّي صليت وجلست انتظر الوقت ، ونام الجواري ونامت نرجس فلما ظننتُ أنَّ الوقت قد قرب خرجتُ فنظرتُ إلى السماء وإذا الكواكب قد انحدرت ، وإذا هو قريب من الفجر الاول ثم عدتُ فكأنَّ الشيطان خبث قلبي ، قال أبو محمد : لا تعجلي فكأنَّه قد كان . وقد سجدتُ فسمعته يقول في دعائه شيئاً لم أدرِ ما هو ، ووقع عليَّ الثبات في ذلك الوقت ، فانتبهتُ بحركةِ جاريةٍ فقلت لها : بسم الله عليك ، فسكنت إلى صدري فرمت به عليَّ ، وخرَّت

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٦٨ – حدثنا أبو المفضل محمد بن عبد الله ، قال :

ساجدة فسجد الصبي (أي المهدي عليه السلام) وقال : « لا إله إلا الله محمد رسول الله وعليٌّ حجَّةُ الله » . وذكر إماماً إماماً حتى انتهى إلى أبيه عليه السلام . فقال أبو محمد عليه السلام إليَّ ابني ، فذهبتُ لأصلح منه شيئاً فإذا هو مسوَّى مفروغ منه ، فذهبتُ به إليه ، فقبَّل وجهه ويديه ورجليه ، ووضع لسانه في فمه وزقَّهُ كما يزق الفرخ ، ثم قال اقرأ : فبدأ عليه السلام بالقرآن من بسم الله الرحمن الرحيم إلى آخره ، ثم إنه دعا بعض الجواري ممَّن علم انها تكتم خبره فنظرت ، ثم قال : سلّموا عليه وقبلوه وقولوا استودعناك الله ، وانصرفوا .

ثم قال عليه السلام : يا عمَّة ادعي لي نرجس ، فدعوتها وقلت لها : إنما يدعوك لتودعيه فودعته وتركناهُ مع أبي محمد ، ثم انصرفنا . ثم إني صرتُ إليه من الغد فلم أره عنده فهنّيتُهُ فقال : يا عمة هو في ودايع الله إن يأذن الله في خروجه][1] .

وفي الخرائج عن حكيمة (قالت :) دخلتُ يوماً على أبي محمد عليه السلام فقال : (يا عمة) بِبِتي عندنا الليلة ، فإنَّ الله سيُظهِر الخلفَ عليه السلام فيها . قلت : ومِمَّن ؟ (قال عليه السلام : مِن نرجس ، قلت) : فلستُ أرى بنرجس حملاً . قال عليه السلام : يا عمَّة إنَّ مثلها كمثل أم موسى ، لم يظهر حملها بها إلا وقت ولادتها ، فبتُّ أنا وهي في بيت ، فلما انتصف الليلُ صلَّيتُ أنا وهي صلاةَ الليل ، فقلتُ في نفسي : قد قرب الفجر ولم يظهر ما قال أبو محمد فناداني أبو محمد عليه السلام [من الحجرة] : لا تعجلي . فرجعتُ إلى البيتِ خجلةً ، فاستقبلتني نرجس [وهي] ترتعدُ فضممتُهَا إلى صدري ، وقرأت عليها

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٦٨

﴿ قل هو الله أحد ﴾ و﴿ وإنا أنزلناه ﴾ و﴿ آية الكرسي ﴾ ، فأجابني الخلفُ (المهدي عليه السلام) من بطنها يقرأ كقراءتي . قالت : وأشرق نورٌ في البيت ، فنظرتُ فإذا الخلف (المهدي عليه السلام) تحتها ساجد [لله تعالى] إلى القبلة ، فأخذتُهُ فناداني أبو محمد عليه السلام من الحجرة : هلمِّي بابني إليَّ يا عمة . قالت : فأتيته به فوضع لسانه في فيه وأجلسه على فخذه ، وقال : انطق يا بني بإذن الله . فقال عليه السلام : أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ ، وصلَّى الله على محمد المصطفى ، وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي أبي .. ثم قال : يا عمَّة ردِّيه إلى أمِّه ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، فرددتُه إلى أمه . قالت [حكيمة] : ولما ولد كان نظيفاً مفروغاً منه ، وعلى ذراعه الأيمن مكتوب ﴿ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾][1] ..

وفي طائفة من النصوص نجد أنَّ الراوي يذهب إلى السيّدة حكيمة ، فيسألها عن تلك اللحظة العظيمة في تاريخ البشريّة ، عن ولادة مولانا الأعظم بقية الله في الأرض الإمام المهدي عليه السلام ، وهو يريد أن يقف على جزءٍ من طيف اللطف الرباني الذي شهدت حكيمة جزءاً بسيطاً منه في تلك الساعة العظمى ، وكان ذلك منه في ظل دعاية عباسية عنيفة تعمل على طمس كل الحقيقة ، وتنكِّل بكلِّ مَن يُعلن ولايته للإمام المهدي عليه السلام وتضغط

---

[1] الخرائج : ج ١ صـ ٤٥٥ ب ١٣ ح ١ -

بأشكال شديدة الصرامة والعنف لمنع ذكر المهدي عليه السلام ، وتسرِّب عبر عسسها ما من شأنِه - ضمن ظروف محدّدة - ان يُشيع الشك والشبهة أو ما هو قريب منها .. لكنَّ الله بالغٌ أمره ..

فقد حدَّث[1] محمد بن عبد الله الطهوي قال : قصدتُ حكيمة بنت محمد عليها السلام بعد مضي أبو محمد عليه السلام أسألها عن الحجة ؟ وما قد اختلف فيه الناسُ من الحيرة التي هُم فيها ؟ فقالت لي : اجلس ، فجلست ، ثم قالت : يا محمَّد إنَّ اللهَ تبارك وتعالى لا يخلي الارض مِن حجّة ناطقة أو صامتة ، ولم يجعلها في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام تفضيلاً للحسن والحسين وتنزيهاً لهما أن يكون في الارض عديلهما ، إلا أنَّ الله تبارك وتعالى خصَّ وُلدَ الحسين عليه السلام بالفضل على وُلدِ الحسنِ عليه السلام كما خصَّ وُلدَ هارون على وُلدِ موسى عليه السلام وإن كان موسى حجَّةً على هارون ، والفضل لولده إلى يوم القيامة ، ولا بدَّ للامة مِن حيرةٍ يرتابُ فيها المبطِلُون ويخلصُ فيها المُحقُّون ، كيلا يكون للخلق على اللهِ حجَّة ، وإنَّ الحيرة لا بدَّ واقعةٌ بعد مضي أبي محمد الحسن عليه السلام ،

فقلت : يا مولاتي هل كان للحسن عليه السلام ولد ؟ فتبسَّمت ثم قالت : إذا لم يكن للحسن عليه السلام عقب فمَن الحجَّةُ مِن بعده ! وقد أخبرتُك أنه لا إمامة لأخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام ،

فقلت : يا سيدتي حدِّثيني بولادة مولاي وغيبته عليه السلام ؟ قالت : نعم ، كانت لي جارية يُقال لها : نرجس ، فزارني ابنُ أخي فأقبل يحدِّقُ النظر إليها

---

[1] رأس السند هكذا : الحسين بن أحمد بن إدريس رضي الله عنه قال : حدثنا أبي قال : حدثنا محمد بن إسماعيل قال : حدثني محمد بن إبراهيم الكوفي قال :

فقلت له : يا سيِّدي لعلك هويتَهَا فأرسلها إليك ؟ فقال لها : لا يا عمَّة ولكني أتعجَّب منها ، فقلت : وما أعجبك [منها] ؟ فقال عليه السلام : سيخرج منها ولدٌ كريمٌ على اللهِ عزَّوجل الذي يملأ اللهُ به الارضَ عدلاً وقسطاً كما مُلئَت جوراً وظلماً . فقلت : فأرسلها إليك يا سيدي ؟ فقال : استأذني في ذلك أبي عليه السلام . قالت : فلبستُ ثيابي وأتيتُ منزل أبي الحسن عليه السلام فسلَّمتُ وجلستُ فبدأني عليه السلام وقال : يا حكيمة ابعثي نرجس إلى ابني أبي محمد عليه السلام .

قالت : فقلت : يا سيِّدي على هذا قصدتُك على أن أستأذنك في ذلك . فقال عليه السلام لي : يا مباركة إنَّ الله تبارك وتعالى أحبَّ أن يُشرِكَكِ في الأجر ، ويجعل لك في الخيرَ نصيباً . قالت حكيمة : فلم ألبث أن رجعتُ إلى منزلي وزيَّنتُها ووهبتها لأبي محمد عليه السلام وجمعتُ بينه وبينها في منزلي فأقام عندي أياماً ، ثم مضى إلى والده عليه السلام ، ووجَّهتُ بها معه .

قالت حكيمة : فمضى أبو الحسن عليه السلام وجلس أبو محمد عليه السلام مكان والده ، وكنتُ أزورهُ كما كنتُ أزورُ والده ، فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفِّي فقالت : يا مولاتي ناوليني خفَّكِ ، فقلت : بل أنتِ سيِّدَتي ومولاتي ، والله لا أدفع إليكِ خفِّي لتخلعيه ولا لتخدميني ، بل أنا أخدُمُكِ على بصري ، فسمع أبو محمد عليه السلام ذلك فقال : جزاكِ اللهُ يا عمَّة خيراً ، فجلستُ عنده إلى وقتِ غروب الشمس ، فصحت بالجارية وقلت : ناوليني ثيابي لانصرف فقال عليه السلام : لا يا عمَّتا ، بِيتِي الليلةَ عندنا ، فإنَّهُ سيُولَدُ الليلةَ المولودُ الكريم على اللهِ عزوجل الذي يُحيِي اللهُ عزوجل بِهِ الارضَ بعد موتها .

فقلت : ممَّن يا سيدي ، ولستُ أرى بنرجس شيئاً مِن أثر الحبل ؟ فقال عليه السلام : مِن نرجس لا مِن غيرها . قالت : فوثبتُ إليها فقلّبتُهَا ظهراً لبطنٍ

فلم أرَ بها أثرَ حبل . فعدت إليه عليه السلام فأخبرته بما فعلتُ فتبسَّم ثم قال لي : إذا كان وقتُ الفجر يظهر لك بها الحبلُ لأنَّ مثلها مثل أم موسى عليه السلام لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها ، لأنَّ فرعون كان يشقُّ بطونَ الحبالي في طلب موسى عليه السلام ، وهذا عليه السلام نظيرُ موسى عليه السلام . (إشارة إلى تربُّص العباسيين بالمهدي عليه السلام لقتله) ،

قالت حكيمة : فعدّتُ إليها ، فأخبرتها بما قال ، وسألتُهَا عن حالها ؟ فقالت : يا مولاتي ما أرى بي شيئاً مِن هذا . قالت حكيمة : فلم أزل أرقبها إلى وقت طلوع الفجر وهي نائمة بين يدي لا تقلِّب جنباً إلى جنبٍ حتى إذا كان آخر الليل وقت طلوع الفجر وثَبَت فزعةً فضممتُهَا إلى صدري وسمَّيتُ عليها فصاح [إليَّ] أبو محمد عليه السلام وقال : إقرئي عليها : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ ، فأقبلتُ أقرأ عليها وقلتُ لها : ما حالُك ؟ قالت : ظهر [بي] الامرُ الذي أخبَرَكِ به مولاي ، فأقبلتُ أقرأ عليها كما أمرني ، فأجابني الجنينُ (المهدي عليه السلام) مِن بطنها يقرأ مثلما أقرأ وسلَّم عليَّ .

قالت حكيمة : ففزعتُ لِمَا سمعتُ ، فصاح بي أبو محمد عليه السلام : لا تعجبي مِن أمر الله عزَّوجلَّ ، إنَّ اللهَ تبارك وتعالى يُنطِقُنَا بالحكمة صغاراً ، ويجعلنا حجَّةً في أرضه كباراً . تقول : فلم يستتمّ عليه السلام الكلامَ حتى غُيِّبَت عني نرجُس ، فلم أرها ، كأنه ضُرِبَ بيني وبينها حجابٌ ، فعدوتُ نحو أبي محمد عليه السلام وأنا صارخة ، فقال عليه السلام لي : ارجعي يا عمّة ، فإنَّكِ ستجديها في مكانها . قالت : فرجعتُ فلم ألبث أن كُشفَ الغطاءُ الذي كان بيني وبينها ، وإذا أنا بها وعليها مِن أثر النورِ ما غشَّى بصري ، وإذا أنا بالصبي عليه السلام ساجداً لوجهه ، جاثياً على ركبتيه ، رافعاً سبابتيه ، وهو يقول : « أشهد أن لا إله إلا الله [وحدهُ لا شريك له] وأنَّ جدِّي محمداً رسولُ الله وأن أبي

أمير المؤمنين ، ثم عد إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه . ثم قال عليه السلام : أللهم أنجز لي ما وعدتني ، وأتمم لي أمري ، وثبت وطأتي ، وأملأ الارض بي عدلاً وقسطاً » .

فصاح بي أبو محمد عليه السلام فقال : يا عمَّة تناوليه وهاتيه . فتناولته وأتيتُ به نحوه . فلما مثلتُ بين يدي أبيه وهو على يديَّ سلَّم على أبيه عليه السلام فتناوله الحسن عليه السلام مني [والطير ترفرف على رأسه] ، وناوله لسانَهُ فشرب منه ، ثم قال : امضِي به إلى أمِّهِ لترضعه وردِّيه إليَّ . قالت : فتناولته أمَّه فأرضعته ، فرددتُهُ إلى أبي محمد عليه السلام .. وقال أبو محمّد عليه السلام : « أستودعك اللهَ الذي أودعته أمُّ موسى موسى » . فبكت نرجس فقال لها : .. إنَّ الرضاع محرم عليه إلا مِن ثديك وسيُعادُ إليك كما رُدَّ موسى عليه السلام إلى أمه ، وذلك قول الله عزوجل ﴿ فرددناه إلى أمِّه كي تقرَّ عينُهَا ولا تحزن ﴾ .

قالت حكيمة فقلت : وما هذا الطير ؟ قال : هذا روح القدس المُوكل بالائمة عليهم السلام يوفِّقُهُم ويسدِّدُهُم ويربِّيهم بالعلم[1] .. قالت حكيمة : فلم أزل أرى ذلك الصبي في كلِّ أربعين يوماً إلى أن رأيتُهُ .. قبل مضي أبي محمد عليه السلام بأيام قلائل .. فقال لي : هذا ابن نرجس وهذا خليفتي مِن بعدي ، وعن قليل تفقدوني ، فاسمعي له وأطيعي . قالت حكيمة : فمضى أبو محمد عليه السلام بعد ذلك بأيام قلائل ، وافترق الناسُ كما ترى ، ووالله إنِّي لأراهُ صباحاً ومساءً

---

[1] قالت حكيمة : فلما كان بعد أربعين يوماً رُدَّ الغلامُ ووجَّهَ إليَّ ابنُ أخي عليه السلام فدعاني ، فدخلت عليه فإذا أنا بالصبي متحرك يمشي بين يديه ، فقلت : يا سيدي هذا ابن سنتين ؟ فتبسَّم عليه السلام ، ثم قال : إنَّ أولاد الانبياء والاوصياء إذا كانوا أئمة ينشؤون بخلاف ما ينشؤ غيرهم ، وإن الصبي منَّا إذا كان أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة ، وإن الصبي منَّا ليتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربه عزوجل ، [و] عند الرضاع تطيعه الملائكة وتنزل عليه صباحاً ومساء .

وإنه لَيُنبئني عمَّا تسألون عنه فأخبركم ، ووالله إني لأريد أن أسأله عن الشيئ فيبدأني به ، وإنه لَيَرِد عليَّ الامرُ فيخرج إليَّ منه جوابُهُ من ساعته من غير مسألتي . وقد أخبرني البارحة بمجيئك إليَّ وأمرني أن أُخبرك بالحق .

قال محمد بن عبد الله : فوالله لقد أخبرتني حكيمة بأشياء لم يطَّلِع عليها أحدٌ إلا الله عزوجل ، فعلمتُ أنَّ ذلك صدقٌ وعدلٌ من الله عزوجل ، لأنَّ الله عزوجل قد أطلعه على ما لم يُطلِع عليه أحداً من خلقه .][1]

وأيضاً ورد في غيبة الطوسي قال : [ورُوِي أنَّ بعض أخوات الحسن عليه السلام كانت لها جارية ربَّتها تسمّى نرجس فلما كبرت ، دخل أبو محمد عليه السلام فنظر إليها فقالت له : أراك يا سيدي تنظر إليها ؟ فقال : إني ما نظرت إليها إلا متعجباً ، أما إنَّ المولود الكريم على الله تعالى يكون منها ، ثم أمرها أن تستأذن أبا الحسن عليه السلام في دفعها إليه ففعلت فأمرها بذلك][2] .

وفي دلائل الإمامة حدَّث محمد بن القاسم العلوي قال : دخلنا جماعةً من العلوية على حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى فقالت : جِئتم تسألون عن ميلادِ وليِّ الله عليه السلام ؟ قلنا بلى والله . قالت : كان عندي البارحة وأخبرني بذلك وإنه كانت عندي صبية يُقَالُ لها نرجس[3] - إلى أن قالت - :

---

[1] كمال الدين : ج ٢ ص ٤٢٦ ب ٤٢ ح ٢ -

[2] غيبة الطوسي : ص ١٤٧

[3] وتضيف حكيمة : وكنتُ أربيِّها من بين الجواري ولا يلي تربيتها غيري ، إذ دخل أبو محمد عليَّ ذاتَ يومٍ فبقي يلحُّ النظر إليها فقلت : يا سيدي هل لك فيها من حاجة ؟ فقال عليه السلام : إنا معشر الاوصياء لسنا ننظر نظرَ ريبة ولكنا ننظرُ تعجُّباً . إنَّ المولود الكريم على الله يكون منها . قالت قلت يا سيدي فأروح بها إليك ؟ قال عليه السلام : استأذني أبي في ذلك فصرت إلى أخي فلما دخلت عليه تبسَّمَ ضاحكاً وقال : يا حكيمة

فوَضَعَت صبياً كأنه فلقة قمر ، على ذراعه الأيمن مكتوب : « جاء الحق وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » ، وناغاهُ عليه السلام ساعةً حتى استهلَّ وعطس وذكر الأوصياء عليهم السلام قبله حتى بلغ إلى نفسه ودعا لأوليائه على يده بالفرج ، ثم وقعت ظلمةٌ بيني وبين أبي محمد عليه السلام فلم أره ، فقلت : يا سيدي أين الكريم على الله ؟ قال عليه السلام : أخذهُ مَن هو أحقُّ به منك . فقمتُ وانصرفتُ إلى منزلي فلم أره وبعد أربعين يوماً دخلت دار أبي محمد ، فإذا أنا بصبي يدرج في الدار فلم أرَ وجهاً أحسن مِن وجهه ولا لغةً أفصح مِن لغته ولا نغمة أطيب مِن نغمته ، فقلت يا سيدي مَن هذا الصبي ، ما رأيتُ أصبح وجهاً ولا أفصح لغةً منه ولا أطيب نغمةً منه ؟

قال عليه السلام : هذا المولودُ الكريمُ على اللهِ . قلت : يا سيدي ، له أربعون يوماً وأنا أرى مِن أمره هذا .! قالت : فتبسم ضاحكاً وقال : يا عمَّتاهُ أما علمت أنَّا معشر الاوصياء ننشأ في الشهر ما ينشأ غيرنا في السنة . فقمت فقبَّلتُ رأسه وانصرفت إلى منزلي . ثم عدت فلم أرهُ فقلت يا سيدي يا أبا محمَّد لستُ أرى المولود الكريم على اللهِ . قال عليه السلام : استودعناهُ مَن

جئتِ تستأذنيني في أمر الصبية ، ابعثي بها إلى أبي محمد عليه السلام ، فإنَّ الله عزوجل يحب أن يشركك في هذا الامر ، فزيّنتُها وبعثتُ بها إلى أبي محمد عليه السلام ، فكنت بعد ذلك إذا دخلتُ عليها تقوم فتقبل رأسي وتقبل يدي واقبل رجلها تمد يدها إلى خفي لتنزعه فأمنعها من ذلك فأقبل يدها إجلالا وإكراما للمحل الذي أحله الله فيها فمكثت بعد ذلك إلى أن مضى أخي أبو الحسن فدخلت على أبي محمد ذات يوم فقال يا عمتاه فإن المولود الكريم على الله ورسوله سيولد ليلتنا هذه فقلت يا سيدي في ليلتنا هذه ؟ قال نعم فقمت إلى الجارية فقلبتها ظهرا لبطن فلم أر بها حملا فقلت يا سيدي ليس بها حمل فتبسم ضاحكا وقال يا عمتاه إنا معاشر الاوصياء ليس يحمل لنا في البطون ولكنا نحمل في الجنوب فلما جن الليل صرت إليه فأخذ أبو محمد محرابه فأخذت محرابها فلم يزالا يحييان الليل وعجزت عن ذلك فكنت مرة أنام ومرة أصلي إلى آخر الليل فسمعتها آخر الليل لما انفتلت من الوتر مسلمة صاحت يا جارية الطست فجاءت بالطست فقدمته إليها . إلى أن تنقل لنا التفاصيل التي وردت في الروايات السابقة .

استودعته أمُّ موسى (عليه السلام) ، وانصرفتُ وما كنتُ أراه إلا كل أربعين يوماً][1] .
وورد في « كمال الدِّين » عن محمد بن عثمان العمري – قدس الله روحه – أنه قال : [وُلِدَ السيد (المهدي (عليه السلام)) مختوناً . وسمعتُ حكيمة تقول : لم يُرَ بأمِّه دمٌ مِن نفاسها . وهكذا سبيل أمهات الائمة (عليهم السلام)][2]

وفي « الهداية الكبرى » قال الحسين بن حمدان : حدِّثني مَن أثق به مِن المشايخ ، عن حكيمة بنت محمد بن علي الرضا (عليه السلام) قال : كانت حكيمة تدخل على أبي محمد (عليه السلام) فتدعو له أن يرزقه الله ولداً ، وإنها قالت : دخلتُ عليه فقلتُ له كما كنتُ أقول ، ودعوتُ له كما كنتُ أدعو ، فقال (عليه السلام) : [يا عمَّة ، أما إن ما تدعين اللهَ أن يرزقني يولد في هذه الليلة ، وكانت ليلة الجمعة .. فاجعلي إفطارك عندنا ، فقلت : يا سيدي ممَّن يكون هذا الولد العظيم ؟ فقال (عليه السلام) : مِن نرجس يا عمَّة . فقالت له : يا سيدي ، ما في جواريك أحب إليَّ منها .

وقمتُ فدخلتُ عليها وكنت إذا دخلتُ فعلت بي كما كانت تفعل فانكببتُ على يدها فقبّلتُها ومنعتها ممَّا كانت تفعله ، فخاطبتني بالسيادة فخاطبتها بمثلها ، فقالت لي : فديتك ، فقلت لها : أنا فِداكِ وجميع العالمين ، فانكَرَت ذلك ، فقلت : لا تنكري ما فعلت ، فإنَّ اللهَ سيهب لك في هذه الليلة غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة ، وهو فرجُ المؤمنين . فاستَحيَتْ . فتأملتها

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٦٩ – وأخبرني أبو الحسين محمد بن هارون ، قال : حدثني أبي ، قال حدثنا أبو علي بن همام قال : حدثنا جعفر بن محمد قال : حدثنا محمد بن جعفر عن أبي نعيم عن

[2] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤٣٣ بـ ٤٢ حـ ١٤ – وبهذا الاسناد (حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه ، قال : حدثنا الحسن بن علي بن زكريا بمدينة السلام ، قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن خليلان ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن غياث بن أسيد) عن محمّد بن عثمان العمري :

فلم أرَ فيها أثر حمل[1] .. تقول : فوقع عليَّ سباتٌ لم أتمالك معه أنْ نمتُ ، ووقع على نرجس مثل ذلك ، فقامت فلم أنتبه إلا بحسٍّ صوتِ سيِّدي المهدي عليه السلام وصيحة أبي محمد عليه السلام يقول : يا عمة ، هاتي ابني فقد قبلته فكشفت عن سيدي (المهدي عليه السلام) ، فإذا به ساجداً يبلغ الارض بمساجده وعلى ذراعه الايمن مكتوب « جاء الحق وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً » ، فضممتُه إليَّ فوجدته مفروغاً منه ، ولففته في ثوبٍ وحملته إلى أبي محمد عليه السلام فأخذه وأقعده على راحته اليسرى ، وجعل راحته اليمني على ظهره ثم أدخل لسانه عليه السلام في فمِهِ ، وأمرَّ بيده على ظهره وسمعه ومفاصله ثم قال له : تكلم يا بني ، فقال عليه السلام : أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأن علياً ولي الله ، ثم يعدِّد السادة عليهم السلام إلى أن بلغ إلى نفسه ، ودعا لاوليائه عليهم السلام بالفرج على يده ، ثم أحجم . قال أبو محمد عليه السلام يا عمَّة اذهبي به إلى أمِّه ليسلِّم عليها وأتيني فمضيتُ به إلى أمه فسلَّم عليها ورددتُهُ عليه ، ثم وقع بيني وبين أبي محمد عليه السلام كالحجاب ، فلم أرَ سيدي ، فقلت له : يا سيدي أين مولانا ؟ فقال عليه السلام : أخذه منِّي مَن هو أحقُّ به منك ، فإذا كان اليوم السابع فأتينا فلما كان يوم السابع جئت وسلَّمتُ عليه ثم جلست ، فقال عليه السلام : هلمي ابني فجئتُ لسيدي وهو في ثياب صفر ، ففعل به كفعله الاول ، وجعل

---

[1] وتضيف الرواية : فقلت له يا سيدي لقد أخبرتني أنه يولد في هذه الليلة ففي أي وقت منها فقال لي في طلوع الفجر يُولد الكريمُ على الله إن شاء الله تعالى قالت حكيمة فقمت فأفطرت ونمت بالقرب من نرجس وبات أبو محمد عليه السلام في صفة في تلك الدار التي نحن فيها فلما ورد وقت صلاة الليل قمت ونرجس نائمة ما بها أثر ولادة فأخذت في صلاتي ثم أوترت فأنا في الوتر حتى وقع في نفسي أن الفجر قد طلع ودخل في قلبي شيئ فصاح بي أبو محمد عليه السلام : لا من الصفة الثانية لم يطلع الفجر يا عمة فأسرعت الصلاة وتحركت نرجس فدنوت منها وضممتها إلي وسمَّيت عليها ثم قلت لها هل تحسين شيئا ..

لسانه عليه السلام في فمه ، ثم قال له : تكلَّم يا بني ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وثنى بالصلاة على محمد وأمير المؤمنين والائمة عليهم السلام حتى وقف على أبيه ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[1] .. قال : ثم كان عليه السلام لما سقط من بطن أمه إلى الارض وُجِدَ جاثياً على ركبتيه ، رافعاً سبابتيه ، ثم عطس فقال : الحمد لله رب العالمين ، وصلَّى اللهُ على محمد وآله عبداً ذاكراً لله غير مُستنكف ولا مُستكبر . ثم قال عليه السلام : « زعمت الظلمةُ أنَّ حجَّةَ اللهِ داحضةٌ ، لو أذن اللهُ لي في الكلام لزال الشك »][2] .

ومحصَّل النصوص أنَّ المهدي عليه السلام وُلِد مصوناً محميّاً بأمرِ اللهِ تعالى ، وقد أتمَّ اللهُ له ولادتَهُ وحضورهُ وغيبتَه الصغرى ، ثمَّ بدأت الغيبة الكبرى بوفاة السفير الرابع والتي ما زالت إلى اليوم جعلنا اللهُ من أنصاره وأعوانِه والذابّين عنه والمستشهدين بين يده بحقِّ محمَّدٍ وآل محمّد عليهم السلام .. ومَن يقرأ متون هذه النصوص وغيرها يجد فيها نماذج متنوِّعة من رجوع

---

[1] ثم قال عليه السلام له : اقرأ يا بني ممَّا أنزل الله على أنبيائه ورسله ، فابتدأ بصحف آدم عليه السلام فقرأها بالسريانية ، وكتاب إدريس وكتاب نوح وكتاب هود وكتاب صالح وصحف إبراهيم وتورية موسى وزبور داود وإنجيل عيسى وفرقان جدي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قصَّ قصص النبيين والمرسلين إلى عهده ، فلما كان بعد أربعين يوماً دخلت عليه إلى دار أبي محمد عليه السلام فإذا صاحبنا يمشي في الدار فلم أر وجها أحسن من وجهه عليه السلام ولا لغة أفصح من لغته فقال لي أبو محمد عليه السلام هذا المولود الكريم على الله قلت له يا سيدي له أربعون يوماً وأنا أرى من أمره ما أرى فقال عليه السلام : يا عمة أما علمت أنا معاشر الاوصياء ننشأ في اليوم ما ينشأ غيرنا في الجمعة وننشأ في الجمعة ما ينشأ غيرنا في السنة فقمت وقبلت رأسه وانصرفت وعدت وتفقدته فلم أره فقلت يا سيدي أبا محمد ما فعل مولانا فقال يا عمة استودعناه الذي استودعت أم موسى عليه السلام

[2] م . س .

الشيعة إلى حكيمة لسماع حادثة الولادة وما فيها من أسرار وإعجاز ، على أنَّ رؤية المهدي عليه السلام تحقّقت للكثيرين من أصحاب واتباع الإمام العسكري عليه السلام ، وقد عرضنا إلى طائفة من النصوص التي تشيرُ إلى ذلك . حتى انَّ العباسيين انتقلوا من حالة الشكِّ في الولادة إلى حالة اليقين ، فأخذوا يفتّشون الدور والأمصار عنه ، للقضاء عليه ، وقد اعترفوا بفشلهم .

ويوم صلَّى عليه السلام على جنازة أبيهِ عليه السلام رءاهُ جمعٌ غفير ، وعندها أبطل اللهُ مزاعم جعفر وما كان يطمح له العباسيّون .

مع التأكيد على أنّ الإمام المهدي عليه السلام رءاهُ كثيرون من بغداد والأمصار المختلفة . بل كان القوم يقصدون الإمام العسكري عليه السلام من الأمصار البعيدة فيعرض عليهم ولده المهدي عليه السلام ، ويخبرهم أنّه الإمام الثاني عشر ، وحجّة الله والإمام الموعود الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً .

شياع حكومة الظلم والجور والإنحراف المفاهيمي والسلوكي زمن الغيبة

تؤكِّد طائفة واسعة من النصوص أنَّ المهدي عليه السلام يظهر في آخر الزمان بعد فترةٍ طويلة من حكومة الظلم والإضطهاد الذي تقوده أممٌ سياسيّة ، في ميادين واسعة من الأرض تبدو شديدة العناد في خروجِها على أمر الله تعالى .

وأنَّ حكومات الجور تتعدَّد في انتماءاتها العضويّة والتراثيّة ، لكنّها تتّفق في مضامين الخروج على دين الله ، حتى يبدو الإسلامُ غريباً كما بدأ . وفي رواية حذيفة قال : [سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ويحَ هذه الامة مِن ملوكٍ جبابرة ، كيف يقتُلُون ويُخيفون المطيعين إلا مَن أظهر طاعتهم ، فالمؤمن التقي يصانعهم بلسانه ويفرُّ منهم بقلبه . فإذا أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يُعيد الاسلام عزيزاً قصم كلَّ جبار ، وهو القادر على ما يشاء أن يصلح أمة بعد فسادها . ثم قال صلى الله عليه وآله : يا حذيفة لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يملك رجلٌ مِن أهل بيتي (يعني المهدي عليه السلام) ، تجري الملاحِمُ على يديه ، ويظهر الاسلام ، لا يخلف وعده ، وهو سريع الحساب][1] .

---

[1] صفة المهدي ، لابي نعيم : على ما في عقد الدرر . * : أربعون أبي نعيم على ما في كشف الغمة ، وغاية المرام ، وحلية الابرار . * عقد الدرر : صـ ٦٢ ب ٤ ف ١

تأكيداً للظهور الشريف ، وأنّه يكون بعد وفرةٍ من ظلمٍ وفسادٍ واضطهادٍ وبغيٍ وآثام يبدو معها الإسلام غريباً في مسرح العالم ومواثيق الدول وأعراف الأمم ، ومنظومات الجماعة والإجتماع .

وفي رواية عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي قال : قال رسول الله ﷺ : [سيكون مِن بعدي خلفاء ، ومن بعد الخلفاء أمراء ، ومن بعد الامراء ملوك ، ومن بعد الملوك جبابرة ، ثم يخرج رجلٌ مِن اهل بيتي (يعني المهدي عليه السلام) يملأ الارض عدلاً كما مُلِئَت جوراً ، ثم يؤمر القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه][1] . ومن علامات ذلك العالم أنَّ غربةَ الدِّين تكون فيهِ واضحةً ، بحيث تُنقضُ الأحكام ، ويحكم السلاطين بالجور ، ويعمُّ الظلم والفساد بمعانٍ مختلفة ..

ويؤكّد النصُّ على طابع الإنحراف الذي يصيب الهرم السياسي في الدُّول ، ما يعني قيادة الإنحراف بشكل منظّم ، وعلى مستوى فساد الدُّول ومنظوماتها . وفي رواية ابن عمر أنَّ النبيَّ ﷺ قال : [لا تقوم الساعةُ حتى يبعثَ اللهُ أمراء كذبة ، ووزراء فجرة ، وأمناء خونة ، وقرَّاء فسقة ، سمتهم (هيئتُهم) سمت الرهبان ، وليس لهم رعيَّة ، فَلَيُلبِسُهُم اللهُ فتنةً غبراء مظلمة ، يتهوَّكون (يتهوّرون)[2] فيها تهوّك اليهود في الظلم][3] .

النصُّ واضحٌ في أنّ قيادة المجتمع السياسي ، من رأس الهرم وصولاً إلى الهيكل الإداري ، إلى مفاصل شخصيّة الدولة تقود أمّة بشكلٍ

---

[1] ابن حماد : صـ ٢٨ -

[2] أي يتخبطون مثل اليهود

[3] البزار : على ما في كشف الهيثمي ، ومجمع الزوائد . * : أمالي الشجري : ج ٢ صـ ٢٥٧

متهوِّرٍ بعيدٍ عن أحكام الله تعالى . ورموز هذا النظام يفاخرون بعزل الدِّين عن شؤون الدولة والحكم والإجتماع ، وهم مع ذلك يقودون الجماعة السياسيّة على نحوٍ من منظومةٍ لا قيمة للدين فيها ، بحيث تتناسب مع مفاهيم الفسقة والفجرة والظلمة وأشباههم ، أي تكون منظومة الإجتماع العام واضحة التعارض مع فقه الدِّين وشريعة الإسلام ، بحيث يتمّ عزل الإسلام ومنعه من الظهور في عالم الجماعة والمواثيق القانونيَّة وصِيَغ النِّظام ..

وفي رواية أبي أمامة الباهلي قال ﷺ : [لينقضن عرا الاسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، وأولهنَّ نقضاً الحكم ، وآخرهن الصلاة][1] . المتنُ صريحٌ في أنّ عزل الإسلام يكون شيئاً فشيئاً ، وأنَّ الجماعة تتعلَّق بما بقي من الإسلام ، فيما أهل الحكم ينقضون الدِّين نقضاً ، على أنَّ النص صريحٌ ضمناً بضعف الجماعة ، أو تفريطها في الدِّفاع عن قيم الإسلام ، بحيث يتابع أهلُ الحكم عزل الإسلام عن المواثيق والمنظومة والأعراف وصِيَغ التعامل دون مانعٍ فاعلٍ من جماعة الإجتماع السياسي آنذاك .

وأنَّ من سمات ذلك العالم وهنُ القضاء ، عزل المنظومة الشرعيّة عن حلِّ الخصومات ، ثمَّ يتوسَّع الأمر إلى المناحي الأخرى من مفاصل منظومة تلك الأمم إلى أن يتمَّ عزلُ الدِّين عزلاً واسعاً ، بحيث تُفصَلُ شؤون الحكم والقيادة ومنظومة الجماعة والإجتماع وأعرافها عن فقه الإسلام .. ولقد حدَّدت النصوص الكثيرَ من خصائص ذلك الزمان وشؤون الأقوام

---

[1] أحمد : ج ٥ ص ٢٥١

الذي تكون فيهِ غيبة الإمـام المهـدي (عليه السلام) ، ثـمّ يكـون فيـهِ خروجـه . فمِـن علامات ذلك الزمان العامّة خروج الحكّام على أمـر اللهِ تعـالى ومجـاهرتهم في ذلك ، وإلزامِهم الرعيّة على طاعة الباطـل المـواثيقي . وفـي روايـة أبـي سلالة السلمي أنَّ النبي ﷺ قال : [ستكون عليكم أئمـة (حكّـام) يملكـون أرزاقكم ، يحدثونكم فيكذبونكم ، ويعملـون ويسـيئون العمـل ، لا يرضـون منكم حتى تحسِّنوا قبيحهم ، وتصدِّقوا كذبهم ، فأعطوهم الحق ما رضوا به فإذا تجاوزوا فمَن قتل على ذلك فهو شهيد][1]

النصُّ صريحٌ في وجوب منعهم مِن الباطل ، والنبيُّ ﷺ صريحٌ أنّه في طيات الزمن المستقبلي سيكون عليكم حُكّام جائرون ، يقلبون المعايير ، يُجوِّفون الأحكام ، يعملـون بكـلِّ طـاقتهم لعـزل الإسـلام بمواثيقِـهِ وقيمـهِ ومنظومته .

وفي كثيرٍ من النصوصِ الصادرةِ عن النبـيِّ كـان ﷺ يؤكِّـد علـى حدوث افتراق مستقبلي بين الكتـابِ والسـلطان ، أي أنَّ الحُكّـام يخرجـون على كتاب الله تعالى ويتحوَّلون إلى غيرِهِ . في ظلّ عالمٍ ظالمٍ وقيمٍ فاسـدة . ففي رواية معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال : [خذوا العطاءَ مـا دام عطـاءً ، فإذا صارَ رشوةً على الدِّين فـلا تأخـذوهُ ولسـتم بتاركيـه ، يمـنعكم الفقـرُ والحاجةُ ، ألا إنَّ رحا بني مرح[2] (أي أهل الفـرح والزهـو) قـد دارت ، وقـد قتل بنو مرح . ألَا إنَّ رحا الاسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار . ألَا إنَّ الكتاب والسلطان سيفترقانِ فـلا تفـارقوا الكتـاب . ألَـا إنـه سـيكون أمـراء

---

[1] الطبراني ، الكبير : ج ٢٢ صـ ٣٦٢ حـ ٩١٠

[2] المفردات : بنو مرح أي أهل الفـرح والزهـو ، والظـاهر أنـه كنايـة عـن المشـركين . والمقصـود بـافتراق السلطان والقرآن أن الحكام سيحكمون بغير ما أنزل الله تعالى كما حصل ..

يقضون لكم فإن أطعتموهم أضلّوكم ، وإنْ عصيتموهم قتلوكم . قال : يا رسول الله فكيف نصنع ؟ قال ﷺ : كما صنع أصحاب عيسى بن مريم ، نشروا بالمناشير وحُمِلُوا على الخشب ، موتٌ في طاعةِ اللهِ خيرٌ مِن حياةٍ في معصية الله عزوجل] .[1]

اللافت جداً إخبارُ النبيِّ ﷺ عن تحوُّل أمة الإسلام إلى جماعاتٍ مُرتَزِقة للهو والشهوة والإشباع الغريزي في انحرافٍ واضحٍ عن الإسلام . وأنَّ هذا الأمر يقودهُ الحكّام الذين يُحوِّلون الأمر إلى عزلٍ شديدٍ لفقه الشريعة ويجدون في الناس مَن يقف معهم . وأنّهم بذلك يفترقون عن القرآن ، أي يستبدلون الكتابَ بغيره ، ويُعلنون بوضوحٍ فصلَ الدِّين عن شؤون الحكم ومنظومة الجماعة ، بحيث لا يشكِّل الإسلامُ مصدر التشريع الوحيد ، بل لا يشكِّل أي وجود في مصادر التشريع . والنص صريح في ضرورة الممانعة ، ووجوب التمسك في الإسلام ، ورفض الباطل والآثام سواء كانت مصدره الرعيّة أم الحكّام .

وقد حذَّر النبيُّ ﷺ من الحكام الذين يكونون على رأس الحكم في بلاد الإسلام ، وكثيراً ما ردَّد ذلك ، مؤكِّداً انَّ هؤلاءِ يخرجون على كتاب الله ويعملون بخلافِهِ ، وهم الخطر الأكبر في عمليّة تحويل المسلمين من جماعةٍ ملتزمة إلى جماعة فاسدة .. ففي رواية أبي أمامة عن النبيِّ ﷺ قال : [.. لستُ أخاف على أمتي جوعاً يقتلهم ، ولا عدواً يجتاحهم ، ولكني أخاف على أمتي أئمة مضلِّين ، إنْ أطاعوهم فتنوهم ، وإن عصوهم قتلوهم][2] ..

---

[1] إسحاق بن راهويه : على ما في المطالب العالية . * : أحمد بن منيع : على ما في المطالب العالية . * : عبد بن حميد : على ما في الدر المنثور . * : الطبراني ، الصغير : ج ١ صـ ٢٦٤

[2] م . س .

إذن الضلال أهم عنصر خَطِر على أمّة الإسلام . وهو يتمثَّل بالإفتراق بين القرآن والسلطان ، وانّ السلطانَ يعزلُ القرآنَ والشريعةَ عن شؤون الحكم ومنظومة الجماعة والإجتماع . ويمارسُ هذا العزل وقيادة الأمّة على نحوٍ مغايرٍ لفقه الشريعة جبراً وبوسائل الإكراه التي مِن مصاديقها السجن والتنكيل وإسقاط الحقوق المدنيّة ، وصولاً إلى القتل ..!

ثمَّ من علامات ذلك الزمن ، استغلال الدِّين وتجويفه ، والتقاتل على الدنيا ، ورفع المال والجاه والإعتبار ربَّاً ومرجعاً قِيميَّاً دون غيرِهِ من منظومة الشريعة .. وقد ورد عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : [كيف أنت يا عوف ، إذا افترقت هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وسائرهنَّ في النار ، قلت : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال ﷺ : إذا كثرت الشرط ، وملكت الاماء ، وقعدت الحملان على المنابر[1] ، واتخذ القرآن مزامير ، وزخرفت المساجد ورفعت المنابر ، واتخذ الفيئ دولاً ، والزكاة مغرماً ، والامانة مغنماً ، وتفقّه في الدِّين لغير الله ، وأطاع الرجلُ امرأته وعقَّ أمَّه وأقصى أباه ، ولعن آخر هذه الامة أولها ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيمُ القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل اتقاء شره ، فيومئذ يكون ذلك .. ثم تجئ فتنة غبراء مظلمة ، ثم يتبع الفتن بعضها بعضها ، حتى يخرج رجلٌ مِن أهل بيتي يقال له المهدي ، فإن أدركته فاتبعه وكن من المهتدين][2] . المتنُ شديدُ الوضوح في انقلاب الغالب العام من الأمّة وتحوُّلها إلى مرحلة شديدة التعارض مع فقه الإسلام ومنطقة الواجب

---

[1] وقعدت الحملان : أي حكم المسلمين الاطفال . واتخذ الفئ دولا : احتكرت ثروات المسلمين بين فئة خاصة .

[2] الطبراني : ج ١٨ صـ ٥١ حـ ٩١

والحرام . خاصّة الحكام ، ثم يعرض نماذج تبسيطيّه عن عزل الإسلام واستبداله بغيره ، هذه النماذج ستكون ظاهرةً جداً ، وعلامة من تحوُّلات المسلمين إلى غير الإسلام . كالعلنمة مثلاً التي تُعتبر من أخطر الأسلحة في وجه القرآن والإسلام ، التي تجوِّف الإسلام بشكلٍ مخيف ، وتحيل القرآن إلى مجرّد كتاب مهجور ، لا يُتلى إلا عند الموت ..!

وأنّه مع هذا التحوُّل إلى منطقة التعارض مع الإسلام تتشرذم أمَّةُ الإسلام ، ويلعنُ بعضُهُم بعضاً ، ويخوضون عداءً مثيراً بينهم ، وتبدو القطيعة مخيفة ، وتصبح سمة الإفتراس عنواناً بارزاً وهم يلتهمون عقيدة التعرِّي والتسليع والسقوط المذهل في مرتع الشهوانيّة الذي يحوّل أعراضهم إلى موائد غرائزيّة ، لا قيمة لها إلا بين أنياب الأبالسة و« آلهة المال » ..!

هناك يتمُّ الإفتراق الهائل ، وتعلن الأمّة غضبها على الشَّرع ، وتتحوّل إلى عنصرٍ طاعنٍ للإسلام ، ومفردةٍ ثقيلة على صدر النبيِّ وشريعة الله تعالى . وفي رواية مطر الوراق - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - قال : [لا يخرج المهدي حتى يكفر بالله جهرة][1] .

ومعنى هذا أنَّ علامات الإنحراف والضلال تطغى على السطح وتكبر ، ويكون لها نفوذ وسيطرة بنحوٍ توسّعي في العالم ، في حين يكون الدِّين بغربةٍ إلا من امّة مؤمنةٍ تخرج في طلب المهدي عليه السلام .. وفي رواية النعمان بن بشير قال : صحبنا النبي ﷺ فسمعناه يقول : [إنَّ بين يدي الساعة فتنٌ (كذا) كأنَّها قطعُ الليل المظلم ، يصبحُ الرجلُ مؤمناً ويُمسي

---

[1] ابن حماد : صـ ٩١

كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً . يبيع أقوام (فيها) خلاقهم[1] بعرض من الدنيا قليل] ..[2]

تأكيداً على تأصُّل مواثيق وقيم وأعراف وإغراءات شديدة الضغط في حياة الجماعة هيكَلَت أمرَ الرعيّة على نحوٍ من ضلالٍ بالغ مرتبط بالمهنة والعلاقة الإجتماعيّة والنمط السياسي والسوق الماليّة والمنطقة الإقتصادية وصِيَغ الحياة الخاصَّة والعامّة ، وصولاً إلى التعبير عن قالب الشخصيّة وميزة الجمال والحضور الشخصي ، مثل عولمة شخص المرأة وقالبها على نحوٍ من تعرٍّ وإباحيّة ضاغطة ..!

ومع أنَّ واجب المسلمين الرفض والممانعة ، إلا أنّ النصوص واضحة في تفريطهم - بصورةٍ عامّة - وخذلانِهم الإسلام والإنجراف مع آلهة الحكم والمال والغريزة وموائد الشهوات ..!

ومعنى هذا عودة الجاهليّة من جديد . ويبدو أنّ جاهليّة آخر الزمان أسوأ بكثير من جاهليّة العرب الأولى . حتى ورد الحديث عن موسى بن جعفر ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله : [بُعثتُ بين جاهليتين ، لَأُخراهما شرٌّ مِن أولاهما][3] . تأكيداً على الوقت المخيف الذي يعمّه الفسادُ آخر الزمن .. هذا الزمن الذي لا يُعرف فيهِ من الإسلام إلا اسمهُ ومن القرآن إلا رسمه ..! وفي رواية السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [سيأتي على أمتي زمان ، لا يبقى مِن القرآن إلا

---

[1] الخلاق : النصيب . العرض : المتاع ، والمقصود به بثمن قليل .

[2] الطيالسي : صـ ١٠٨ حـ ٨٠٣

[3] أمالي الشجري : جـ ٢ صـ ٢٧٧

رسمه ، ولا من الاسلام إلا إسمه ، يسمّون به وهم أبعد الناس منه ، مساجدهم عامرة وهي خرابٌ مِن الهدى ، فقهاء ذلك الزمان شرّ فقهاء تحت ظلِّ السماء ، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود] ..[1]

بحيث يُعزَلُ القرآنُ ، ويتمُّ استبدالُهُ بغيرِه ، ويُمنع الإسلامُ من الحضور في حياة الفرد والجماعة والإجتماع . مع أنّ هياكل الأبنية تبقى مثل المساجد لكنّها تتحوَّل في وظيفتِها إلى منابر لفقهاء الظلمة وحكّام الجور ، لدعم مشاريع العلمنة التي تعمل على عزل الإسلام وتجويفِه وإفراغِه من قيمتِه العمليّة ..

ومعنى هذا تحوُّل القيم إلى منافع متوحّشة ، دون ايِّ قيمة للقرآن والكتاب ، بل يتمُّ تعامل أهل الحكم والجماعة على هذا المعنى الخطير . حتى يبدو الإنسان في ذلك الزمن كالأنعام بل أضلّ سبيلا ..

وقد ورد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : [سيجيئ أقوام في آخر الزمن ، وجوههم وجوه الآدميين ، وقلوبهم قلوب الشياطين ، أمثال الذئاب الضواري ، ليس في قلوبهم شيئ من الرحمة ، سفّاكون للدماء ، لا يرعوون عن قبيح[2] ، إنْ بايعتهم واربوك ، وإنْ تواريتَ عنهم اغتابوك ، وإنْ حدَّثُوك كذبوك ، وإنْ أئتمنتهم خانوك ، صبيُّهُم عارم ، وشابُّهم شاطر ، وشيخهم لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر . الاعتزازُ بهم ذلٌّ ، وطلب ما في أيديهم فقر . الحليم فيهم غاوٍ ، والآمرُ فيهم بالمعروف مُتَّهَم ،

---

[1] جامع الاخبار : صـ ١٢٩ فـ ٨٨

[2] لا يرعوون : لا ينزجرون ولا يكفون . واربوك : خدعوك . العارم : الشرير الشرس . الشاطر : الداهية الخبيث . الغاوي : الضال .

والمؤمنُ فيهم مُستضعَف ، والفاسق فيهم مُشرَّف ، ألسنّة فيه بدعة والبدعة فيهم سنة ، فعند ذلك يسلِّط اللهُ عليهم شرارهم ، فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم][1] . إذن التحوُّل يكون على نحوٍ واسع ، والإنحراف يشكِّل ظاهرة شاملة ، بحيث تتبدَّل القيم ، وتنقلب المعايير ، المتعرّية الزانية فخورة بتعرّيها وزناها أو صداقتها الجنسيّة ، ساخرة من العفيفة المحجّبة ، والراشي أو الرابي يرى الأمر شطارةً وبراعةً ، فيما سوق المال والإقتصاد ونماذج الحضور الشخصي وقيم الإجتماع السياسي شديدة التعارض والمنع لقيم الإسلام في واجب شخصي أو نوعي ، مالي أو مدني أو اجتماعي أو سياسي ..! فما أكثر انطباق هذه الأوصاف على عالم التحوُّل الذي ينخر أمّتنا اليوم ، دون حصرٍ بمصداق ..

ثمَّ في هذا الزمن ، من آمن وصبر واتّقى ، وحافظ على دينِهِ ، ولم ينغمس بهوى كان عند اللهِ من الصابرين المحتسبين ، حتى ورد في رواية عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [سيأتي قوم مِن بعدكم ، الرجلُ الواحدُ منهم له أجرُ خمسين منكم . قالوا : يا رسول الله ، نحن كُنَّا معك ببدر وأحد وحنين ونزل فينا القرآن ! فقال صلى الله عليه وآله : إنَّكم لو تحملوا ما حملوا لم تصبروا صبرهم][2] ..

إشارة إلى ذلك الزمن الصعب العسير المهيكل على الحرام والمدعوم بكثافة وسائل الإكراه والحرام وجبابرة النار والدمار ، الذي تصبح فيه قيم الجماعة على نحوٍ من طغيان وانحراف أخلاقي ومالي ونقدي وسياسي واجتماعي يشكِّل أسوأ أنواع العزل لقيم الإسلام .

---

[1] الطبراني ، الصغير : ج ٢ صـ ٣٩

[2] الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : غيبة الطوسي : صـ ٢٧٥

فمن آمن وصبر وعمل وجاهد أهلَ الفتن كان له من الأجر العظيم ، وقد ورد عن الرحمن بن العلاء الحضرمي قال : حدثني مَن سمعَ النبي ﷺ يقول : [إنه سيكون في آخر هذه الامة قومٌ لهم مثل أجر أولهم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون أهل الفتن][1]

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبذل كلّ ما أمكن في هذا السبيل من أعظم الأجر وأكبر الثواب . بحيث تكون هذه الفئة أمينةَ الله على حكمه ، وحارسة الشرع ، وضمانة حضور الدِّين في حياة الجماعة والخندق المانع من تسلُّل الآثام وقيم اللئام .

بل في رواية الامام جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام - في حديث طويل حول وصية النبي ﷺ - قال : [يا علي ، واعلم أنَّ أعجب الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً ، قومٌ يكونون في آخر الزمان ، لم يلحقوا النبيَّ ، وحجبتهم الحجة ، فآمنوا بسواد على بياض[2]][3] .

إنَّهم الفئة الأكثر تعلُّقاً بالدِّين ، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، قلوبهم تحترق بسبب ما يرون من فسادٍ وظلمٍ وباطلٍ وآثام وهم لا يكِلُّون عن القيام بواجب حماية الدِّين في حضرة الجماعة والإجتماع ، لا يكتفون بالإلتزام الفردي ، بل يلتزمون أمرَ الله في حماية قيم الجماعة والإجتماع وضرورة التزام موالثيق الإسلام ومنظومة الشرع . وعليه : في ذلك العالم الذي تتكوَّن فيهِ النُّظُم على الجورِ والباطل والآثام وصِدَام شريعة الإسلام

---

[1] دلائل النبوة : ج ٦ صـ ٥١٣

[2] المفرادت : أي آمنوا بما وصل إليهم مكتوبا من القرآن والاحاديث والسيرة الشريفة .

[3] كمال الدين : ج ١ صـ ٢٨٨ ب ٢٥ حـ ٨

وتغريبِها ، تبقى فئةٌ مؤمنة مُلتزِمَةٌ ، قويّة في دينها ويقينها ، تجاهد من أجل حكم الله وفقه الشريعة ، لا يضرّها مَن خالفها رغم الجهد والعناء الذي يُتعِبُهَا إلا انّها تبقى كذلك حتى خروج القائم مِن آل محمّد ،

وقد ورد عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول : [لا تزال طائفة مِن أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال : فينزل عيسى بن مريم عليه السلام ، فيقول أميرهم : تعالَ صلِّ بنا ، فيقول : لا ، إنَّ بعضكم على بعض أمير ليكرم الله هذه الامة][1]

إذن هناك أمّة مؤمنةٌ مجاهدة تكون قبل ظهور المهدي عليه السلام وتظلُّ حتى ظهوره الشريف ، لا يمنعها الجور العالمي مِن الإلتزام بقيم الإسلام الذي تبذل من أجله كلَّ غالٍ ونفيس . وما عدا هذهِ الأمّة أو العصابة فإنَّ العالم في الغالب الأعظم من منظومته وأعرافِه يكون على نوعٍ واضحٍ من السقوط في مرتع الباطل بما يعنيهِ من قيم أشرّ من الجاهليّة الأولى .

وعليهِ : بهذا العالم المنحرِف يكون الإسلام غريباً كما بدأ . وقد ورد عن إبن لسعد بن أبي وقاص قال : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول : [إن الايمان بدأ غريباً ، وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء إذا فسد الناس . والذي نفسُ أبي القاسم بيده ، ليأرزن الايمان[2] بين هذين المسجدين كما تأرز الحيَّةُ في جحرها][3] . إشارة إلى الإنكماش الشديد الذي يصيب الإسلام لصالح قيم ومفاهيم ومواثيق شديدة التعارض

---

[1] أحمد : ج ٣ صـ ٣٤٥

[2] يأرز : يجتمع وينضم بعضه إلى بعض . هذين المسجدين : تعبير عن مكة والمدينة .

[3] ابن أبي شيبة : على ما في سند أحمد ، وأمالي الشجري . * : ابن حماد : على ما في جمع الجوامع . * : أحمد : ج ١ صـ ١٨٤

مع الإسلام تعزلهُ وتمنعه من الظهور في حياة الجماعة والأفراد في المال والإقتصاد والسياسة والقضاء والإجتماع والأخلاق والآداب والمظاهر الشخصيّة والسلوكيّات المختلفة .

إنَّه الإنحراف الأخطر ، والحرب الهائلة على الإسلام ..! رغم كثرة المسلمين وتزايد مساجدهم ، إلا انّهم على شرٍّ فرقةٍ وشرٍّ مذهبٍ وشرٍّ ضعفٍ وشرٍّ فساد ..!

فمن علامات ذلك الزمن انَّ المسلمين يكونون كُثُراً ، لكنّهم غثاء كغثاء السيل ، لا قيمة لهم ، مهزومون ، مجرّد تُبَّع ضعفاء أذلَّة ، سحقتهم آلهةُ الشهوة والمال والغرائز ..! لا يبالون ما نقص من دينِهم أو ما مات من كتابِهم ..! هم مجرَّد سوق يُباعون فيها ويُشْتَرَون ، أذلاّء قد خانوا دينهم وربّهم ، في حين تكون الروم – صاحبة أكبر قاطرة من الإفساد – أكثر الناس ، ولا تقوم الساعة إلا الروم أكثر الناس ، كما يكون للترك وجود وقيمة وفاعليّة ، وكذلك لليهود ويأجوج ومأجوج في حين يكون المسلمون على شرٍّ هزيمةٍ وذلٍّ وهوان وتفريط بدين الإسلام ..! النص صريح في أنَّ المسلمين يكون لديهم ثروة ثمينة جدّاً على مستوى العالم ، تتقاتل عليها الأمم وتتسابق إليها ، ومع ذلك تراهم في شرٍّ هزيمةٍ بعد أن حولهم أرباب الشهوةِ إلى حطام ..! حتى ورد في الحديث عن ثوبان مولى النبي ﷺ انّه قال ﷺ :

[يوشك أن تَدَاعى عليكم الامم من كلِّ أفق ، كما تَدَاعَى الأَكَلَةُ على قصعتها . قال : قلنا : يا رسول الله ، أمِن قلَّة بِنَا يومئذ ؟ قال : أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل ، ينتزع المهابة مِن قلوب عدوكم ،

ويجعل في قلوبكم الوهنُ . قال قلنا : وما الوهن ؟ قال ﷺ : حب الحياة وكراهية الموت][1] .

في هذا الحديث بيان كامل أنَّ لدى المسلمين ثروة عظيمة تدفع الأمم إلى التسابق إليهم لافتراسهم ، وبالأحرى الأكَلَة ، أي لديهم من المنافع والثروة التي تدفع قوى العالم نحوهم بكلِّ وسائلهم ، في حين يكونون أذلاء غير قادرين على الردِّ عن أنفسهم .. وما فيه العالم الإسلامي اليوم خيرُ دليلٍ على ذلك ..! فعليك السلام يا سيِّدي يا رسولَ الله ..

ثمَّ إضافة إلى الغربة التي يعيشها الإسلام ، فإنَّ الفِتَن تصكُّ المسلمين وتدخل كلَّ بيت دلالةً على الذلِّ الذي أحاط بهم ، والهوان الذي سكن أرضهم ، والعمى الغريزي الذي مزَّق قلوبهم وأتلف عزّتهم .. فقد ورد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : [ستكون بعدي فِتَن : منها « فتنة الاحلاس »[2] ، يكون فيها حربٌ وهرب ، ثم بعدها فتنٌ أشد منها ، ثم تكون فتنة كلَّمَا قيل انقطعت تمادت ، حتى لا يبقى بيتٌ إلا دخلته ولا مسلم إلا صكَّته ، حتى يخرج رجلٌ مِن عترتي][3] .

وفي لفظٍ آخر لأبي سعيد الخدري قال : [ذكر رسولُ الله ﷺ بلاءً يُصيب هذه الامة ، حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه مِن الظلم ، فيبعث اللهُ رجلاً مِن عترتي مِن أهل بيتي فيملأ به الارض قسطاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً ، يرضى عنه ساكنُ السماء وساكنُ الارض ، لا تدع السماءُ مِن

---

[1] الطيالسي : صـ ١٣٣ حـ ٩٩٢

[2] الاحلاس : جمع حلس وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب ، شبهت به للزومها ودوامها . صكته : ضربته مباشرة بشدة .

[3] ابن حماد : صـ ١٠

قطرها شيئاً إلا صبّته مدراراً ، ولا تدع الارض من مائها شيئاً إلا أخرجته ، حتى تتمنى الاحياءُ الاموات][1] .

وكأنَّ الأرض آنذاك تعاني مِن جدبٍ وقحطٍ وخراب في ناموسها ، ووهن في عطاءِها وطبيعة قوانينها ، النص يشيرُ إلى واحدةٍ من حاجات البشر آنذاك ، الماء يعني ارتباط الغذاء والتنمية والري وغير ذلك بهذه المادّة التي تتوقّف عليها مسيرة الحياة .

والمتنُ شديد الصراحة في أنَّ الفتن تكون قبل الظهور ، وتظلُّ منشورةً إلى ان يُتِمَّ اللهُ أمر المهديِّ عليه السلام بالإنتصار على الأمم الجائرة والجبابرة الذين يعيثون في الأرض فساداً واضطهاداً .

ويبدو أنَّ الفتن لن تكون واحدة ، بل متعدِّدة ، وهي تصيب المسلمين بشدّة . ففي حديث أرطاة بن المنذر ، قال بلغنا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : [تكون في أمتي أربع فتن ، يصيب أمتي في آخرها فِتَنٌ مترادفة ، فالاولى تصيبهم فيها بلاءً حتى يقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف . والثانية حتى يقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف . والثالثة كلَّما قيل انقضت تمادت (إشارة إلى وطأتِها وطولها) ، والفتنة الرابعة تصيرون فيها إلى الكفر . إذا كانت الامعة[2] ، مع هذا مرَّة ومع هذا مرة ، بلا إمام ولا جماعة ، ثم المسيح ، ثم طلوع الشمس من مغربها ، ودون الساعة إثنان وسبعون دجالاً ، منهم مَن لا يتبعه إلا رجل واحد][3] . النص واضح في

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٧١ حـ ٢٠٧٧٠

[2] المفردات : الامعة الذي لا رأي له بل يتبع جو الناس . مهلكتي : اسم فاعل ، أو اسم مصدر بفتح الميم .

[3] ابن حماد : صـ ٩

طغيان الفتن ، وطولها ، وتعاقبها ، ووطأتها الشديدة ، وبلوغ الحرام وطغيان الجبابرة مرحلة مخيفة ، وفظاعة هائلة في ظل زمنٍ غالبٍ يكون لأهل الكفر والفسق ، في نفس الوقت الذي يشيرُ إلى ذلٍّ المسلمين ، وغربة الدين ، وحكم الإمعة الذي لا عقل له في إدارة الحكم وأمور الجماعة سوى التسلُّط والإنتهاز وإشباع الشهوة والرغبة .. وأمثلة الأمّعة في عصرنا هذا مخيفة ومرعبة وتدلُّ فيما تدلُّ عليهِ على الزمن الذليل الذي وصل إليهِ المسلمون الذين تتداعى عليهم الأمم من كلِّ ناحيةٍ وصوبٍ دون قدرة على الصدِّ أو الردّ ..

وفي رواية تبيع عن كعب - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - قال : [تكون فتن ثلاث كأمسكم الذاهب[1] : فتنةٌ تكون بالشام . ثم الشرقيَّة هلاكُ الملوك . ثم تتبعها الغربية . وذكر الرايات الصفر . قال : والغربية هي العمياء][2] . تأكيداً على الفتن الصارخة التي تنتشر ، ويكون فيها حدّة وعناء شديد ومذهل ، على أنّ آخر الزمان يكون على نحوٍ من اضطهاد مواثيقي هائل في مذاهب المال والإجتماع والسياسة واحتكار الثروة وأنماط وسلع الغذاء فضلاً عن الفتن الغبراء والحمراء ..

وفي رواية عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : [تكون أربع فتن : الاولى يُستَحَلُّ فيها الدمُ ، والثانية يُستَحلُّ فيها الدمُ والمال ، والثالثة يُستحلُّ فيها الدم والمال والفروج ، والرابعة الدجال][3] . يبدو واضحاً أنَّ أدوات الحرب والقتال والغزو واحدة مشتركة في هذه الفتن . ويكون

---

[1] كأمسكم الذاهب : أي حتمية حدوثها كما حدث أمسكم الذي وقع ومضى .

[2] ابن حماد : صـ ١٠

[3] ابن حماد : صـ ٨

الطاغي في الأولى سفك الدم ، وفي الثانية سفك الدم ونهب المال ..! وفي الثالثة سفكُ الدمِ ونهب المال واغتصاب النساء فضلاً عن ابتذالها وتعرّيها وتحويلها إلى سلعةٍ جنسيّةٍ للإتّجار والإستلذاذ بين انياب غريزة الغزاة وغيرهم . وصولاً إلى الفتنة الرابعة التي يبدو فيها للدجّال طغيان في الدم والمال والأعراض وفورة هائلة للغريزة والشهوات في ظل تجويع واستغلال واحتكار لأسباب الحياة والمعيشة بشيءٍ من الجهد والوطأة ..

كلُّ ذلك في وقتٍ يبدو أنَّ المسلمين يكونون في شرِّ غربةٍ وابتعادٍ مخيفٍ عن قيم الدِّين وصِيغ الشريعة إلى ظهور القائم المهدي عليه السلام إلا من فئةٍ قليلةٍ قياساً على عدد العالم وكيانات الأمم ..

وتعتبر فتنةُ الدجّال من الفتن الصعبة على المسلمين . وهي الفتنة التي حذَّر منها رسولُ اللهِ بنصوصٍ عديدة ، فهو يطغى ويعيثُ فساداً . والدجّال يمثِّل جهة اليهود في آخر الزمن ، تسانده فلول الروم بعد الهزيمة الهائلة التي تصيب الغرب المسيحي على يد دولة المهدي عليه السلام . ويتمّ القضاء على الدجَّال على يدِ الإمام المهدي عليه السلام بعد جولاتٍ وجولاتٍ من الحرب والصِّدام بعد نزول المسيح عليه السلام .

ويبدو أنَّ هذهِ الفِتَن تظلُّ متلاحقة ، حتى ظهور المهدي عليه السلام . وفي رواية الطبراني : [ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب إلا جاشَ منها جانب ، حتى ينادي منادٍ مِن السماء أميركم فلان][1] . تأكيداً على تتابع هذهِ الفتن وصعوبتها الفظيعة ، واختلاف آثارِها وشدّة وطأتِها ، حيث يشهد

---

[1] الطبراني ، الاوسط : على ما في مجمع الزوائد ، ومقدمة ابن خلدون ، وعرف السيوطي ، والاذاعة والعطر الوردي . * : النهاية : ج ١ صـ ٣٢٤ أوله ، مرسلا .

المسلمون منها آثاراً مميتة وشديدة الصعوبة .. وأنَّ ضغط هذه الفتن يظلُّ متمادياً شديداً حتى ظهور الآية السماويّة ، حيث ينادي جبرائيل عليه السلام بظهور المهدي عليه السلام ..

وفي حوارٍ بين المغيرة بن عبد الرحمن ، وأمّه - وكانت قديمة - : قال : قلت لها في فتنة ابن الزبير : إنَّ هذه الفتنة يهلكُ فيها الناس ؟ فقالت : كلَّا يا بني ، ولكن بعدها فتنةٌ يهلك فيها الناس ، لا يستقيم أمرهم حتى ينادي منادٍ من السماء عليكم بفلان][1] . أي حتى ينادي جبرائيل بالمهدي عليه السلام ..

إذن النصوص مُجمِعَةٌ عند كافَّة علماء المسلمين ، عند القدماء والمعاصرين ، ومنذ الزمن الأوَّل على تلاحق الفتن حتى خروج قائم آل محمّد المهدي عليه السلام . وهذا من الضرورات النهائيّة عند المسلمين وعلماءِهِم ..

ويبدو من الفتن المتشعبّة أنَّ كثيراً منها يكون للدنيا وعلى الدنيا ، ومِن تلك الفتن « فتنةُ السبيطة » ، ففي رواية عبد الله بن عمر قال - ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله - : [تكون فتنةٌ يقال لها السبيطة[2] قتلاها في النار ، فقلت : وهما مسلمان ؟ قال : وهما مسلمان . قلت : لِمَ ؟ قال : لانهم تغالبوا على أمر الدنيا ولم يتغالبوا على أمر الله . فقلت : قد كان ذلك ، قال : متى لله أبوك ؟ فقلت فتنةُ عثمان ، قال : كلَّا والذي بعث محمداً بالحقِّ ، حتى يدخل

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٣

[2] السبيطة : أي الطويلة ، ويحتمل أن تكون السباطة أي الكناسة ومرمى الاوساخ ، شبهت به لاجتماع الصفات السيئة فيها ، وقد تكون طاؤها في الاصل تاء من السبت بمعنى السكون .

على العرب كلهم حجرها وحتى يأتي الرجل القبر فيقول : يا ليتني كنت مكانك ، وحتى تملأ الارض ظلماً وجوراً . قلت ثم مه ؟ قال : ثم يبعث اللهُ رجلاً يملؤها قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً][1] .

عباراتُ النصِّ ظاهرةٌ في أعظم الآثار والأخطار التي تدخل على المسلمين فتذلّهم ، إنّها تُتعبُهُم تعباً عظيماً ، تلاحقهم إلى جحورهم ، تطأهم بشكلٍ فظيع ، وهم مع ذلك كُثُر ..! لكنّهم مجرَّدون من دينهم ، قتَلَتْهُم الدنيا فأذلَّتهم قوى الظلم والإستبداد ، فتحوَّلوا إلى قطعان تُبَّع أذلّة منهزمين شاردين يتقاتلون مع بعضهم ، لصالح هذه القوّة وتلك ، وهذا ما سنشير إليه في متون النصوص فيما بعد إن شاء اللهُ تعالى .

وأنّ خلاص العالم من الجبابرة وآلهة الطغيان والجشع المادِّي والجنسي وأرباب الإحتكار والإفتراس يتمُّ بشكلِهِ المطلق مع ظهور المهدي عليه السلام وقيادته دولة العدل الإلهي .

وطالما ارتبط إسم المهديِّ عليه السلام بالخليفة الثاني عشر من آل محمّد صلى الله عليه وآله ، وهذا الأمر كان متواتراً على لسان الصحابة والأتباع ، وظلَّ سمةً رئيسيّةً في كتب الحديثِ إلى يومِنا هذا .. ففي رواية ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال : انَّ النبي قال له : [يا عم ، يملك مِن وُلدي إثنا عشر خليفة ، ثم تكون أمورٌ كريهة ، شديدةٌ عظيمة ، ثم يخرجُ المهدي مِن وُلدِي ، يُصلِحُ اللهُ أمرَهُ في ليلة (إشارة إلى سرعة تمكُّن دولته عليه السلام) ، فيملأ الارض عدلاً كما مُلِئَت جوراً ، ويمكث في الارض ما شاء الله ، ثم

---

[1] فتن السليلي : على ما في ملاحم ابن طاووس . * : ملاحم ابن طاووس : صـ ١٢١ بـ ٣٢

يخرج الدجال][1] . ويبدو مِن النصوصِ انَّه قبل ظهور المهدي عليه السلام تكون كوارث منها بشريّة ، أي يقوم بها البشر مثل الفتن والحروب والتدمير والسفك والقتل والإحتلال واحتكار الثروات والأراضي وغير ذلك ، ومنها ما يكون لأسبابٍ كونيّة أو طبيعيّة ، مثل الزلازل ووهن قوانين الطبيعة وغير ذلك ، ولا يبعد أن تكون الأسباب الكونيّة متعلّقة بالإستنزاف الخطير للبشر ، خاصةً تلك التي تتعلّق بالأمراض والزلازل والجفاف والقحط والتصحُّر ووهن قوانين الطبيعة وقد دلَّت جملة من النصوص على ذلك ..

وبعض المتون صريحة جداً بنكبات الطبيعة كما غيرها صريحٌ بفتن الإنسان بالقتل والسفط والإنحراف . ففي رواية أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [أبشركم بالمهدي ، يُبعث في أُمتي على اختلافٍ مِن الناس وزلازل ، فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً ، يرضى عنه ساكنُ السماء وساكنُ الارض ، يقسم المال صحاحاً (كاملةً غير منقوصة) ، فقال له رجل : ما صحاحاً ؟ قال صلى الله عليه وآله : بالسوية بين الناس . قال صلى الله عليه وآله : ويملأ اللهُ قلوب أمَّة محمد صلى الله عليه وآله غنىً ويسعهم عدله ، حتى يأمر منادياً فينادي فيقول : مَن له مِن مالٍ حاجة ؟ فما يقوم مِن الناس إلا رجل ، فيقول ائتِ السدان - يعني الخازن - فقل له : إنَّ المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً ، فيقول له أحث ، حتى إذا جعله في حجره وأحرزه ندِمَ ، فيقول : كنت أجشع أمَّة محمد نفساً ، أوَ عَجِزَ عني ما وسعهم ؟ قال : فيردّه فلا يُقبَلُ منه ، فيقال له : إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه][2].

---

[1] ابن بابويه : على ما في قصص الانبياء . * : الرد على الزيدية : على ما في إعلام الورى . * : إعلام الورى : صـ ٣٦٦ ٣٦٥ ف ١ عن الرد على الزيدية بسنده

[2] عبد الرزاق : على ما في سند أحمد ، وابن طاووس . * : أحمد : جـ ٣ صـ ٣٧

النص في صدره بوارد الإشارة إلى الظلم الطاغي للبشر ، الذي ينتجُ عنه حروب وفتن وجوع وإنهاك شديد للطبيعة ، وظلم مالي اقتصادي ومواثيقي شديد ، وصولاً إلى قيادة الجبابرة ملفّات اهل الأرض بشيئٍ ظاهرٍ من الغزو والنهب والإبادة ، إلى أن يبعث اللهُ المهدي عليه السلام فيقيم فيهم الحقّ الرباني في الإعتقاد والعدل المالي والنقدي والسياسي والإجتماع وغيره .

ويكون ظهور المهديّ عليه السلام في زمن الفتن وخطورتِها البالغة ، في ظلٍّ ظلمٍ وحيفٍ وفسادٍ هائلٍ يجتاحُ العالم ، فإذا خرج المهديّ شن حملة إعادة الإعتبار للعدل الإلهيٍّ فينجح في ذلك ، ويحكم العالم ويعدل في الحكم والمال وغيرِهِ إلى ما شاء الله ..

وفي رواية أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال : [يخرج رجلٌ من أهل بيتي عند انقطاعٍ مِن الزمان ، وظهور مِن الفتن ، يكون عطاؤهُ حثياً (أي يعطي المال دون عدٍّ وبكثرةٍ)][1] . إشارة إلى الوفرة الكبيرة ، وصلاح الكون ، واستقامة الطبيعة ، وهناك طائفة مِن النصوص صريحة في انّ الطبيعة تعود إلى سابق عهدها من الإستقامة والصحّة في ظل عطاء هائل لم يشهدهُ الإنسان من قبل ..

نعم مِن ميّزات تلك الفتن أنها عاصفة خطيرة . تبدو معها قيمُ المجتمع الدولي على نحوٍ من جرفٍ مُفسِد وطاغٍ ، ذات قيم افتراسيّة غريزيّة ، وتسليع هائل للبشر ، وحكرة في المال والغذاء وسلّة واسع من حاجات البشر . الدِّينُ معها يكون في غربةٍ حادّةٍ وقاسية . وفي رواية أبي

---

[1] ابن حماد : صـ ١٠٠

أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : [ستكون فِتَنٌ يُصبِحُ الرجلُ فيها مؤمناً ويُمسِي كافراً ، إلا مَن أحياهُ اللهُ بالعلم][1] . إشارة إلى الحضور الضخم لمواثيق الفساد والإنحراف المدعومة من الدُّول بالإكراه والجبر القانوني عبر المفهوم التنفيذي تحت طائلة العقاب ..! وما العلمنة إلا الوجه السافر لها ..!

وعليه : مِن مظاهر ذلك العالم النزوح – بصورةٍ عامّة – عن معاني الشريعة وفقه الإسلام ، وتحوُّل قيم الجماعة والأفراد عن فقهِ الدِّين وشريعة سيِّد المرسلين ، حتى في السلوك والتدبير الشخصي ، وتنظيم أمر العائلة ، وصيغة المعاملات المدنيّة ، ومادّة القانون التجاري والنقدي ، فضلاً عن العقيدة السياسيّة الإجتماعيّة العامّة . وبروز سمات الباطل على شكل سلوكي إباحي بين الذكورِ والإناث ، منها ظاهرة التعرّي والسفور والصداقات الجنسية ، والشذوذ ، وصولاً إلى أشكالٍ واسعة وشاملة ذات وصفٍ متّصل بالباطل والإثم والعدوان المختلف الأشكال في المجال الإجتماعي الأخلاقي المالي النقدي وغيرِهِ ..

وفي رواية أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [من أشراط الساعة (أي أشراط ظهور المهدي وما يتبعُهُ) سوءُ الجوار ، وقطيعة الارحام ، وتعطيل السيف مِن الجهاد ، وأنْ تختل الدنيا بالدين][2] . أي تُطلب الدنيا بالحيلة والتظاهر بالدِّين . وهذا معنى خطير من معاني الإنحراف عن فقه الشريعة وقيم الإسلام .. مع التذكير بأنَّ بعض النصوص يتمُّ إيرادُها بلفظ « من أشراط الساعة » ، ويُراد منها ساعة آخر الزمن وظهور

---

[1] ابن ماجة : ج ٢ صـ ١٣٠٥ حـ ٣٩٥٤

[2] ذكر أخبار أصبهان ، أبو نعيم : ج ١ صـ ٢٧٤

المهدي ﷺ ، وقد أوضحت جملة واسعة من النصوص ذلك بشكلٍ صريح جداً لا يحتمل الشكّ أبداً .

ميزةُ هذا النصّ أنّه مؤيِّد لغيرِهِ من النصوصِ التي تشير إلى تلاشي أمر المسلمين وانحرافِهم عن دينهم ، وتلكُّؤِهم وتركهم لواجب الدفاع عن أنفسهم على الأقلّ . ومع غيرِهِ من النصوصِ يشير إلى مرحلة عنيفة من الإستعمار الذي يصيبهم عبر جحافلِ أهل الكفر ، حيث تتداعى الأممُ عليهم مِن الروم والترك وغيرهم كما تتداعى الذئابُ إلى قصعتِها ، دون أن يكون بمقدورهم الدفاع عن أنفسهم أو الممانعة ، حيث يُبطِلُون السيف ، ويخافون الموت ، وينهارون في مستوى القوّة ، فلا تبقى لهم مروءةٌ ولا نخوة ، يلتهمون الذلّ والإستكانة التهاماً ، ويكون على رأس الحكم فيهم جماعة من الحكّام المفسدين الذين يخرجون على حكم الله وفقه شريعتِهِ ، ومع ذلك يخشون القوى ، ويخافون الموت ، فيتآمرون على قيم الدولة والشعب ، فيحلِّلون ما حرَّمَ اللهُ ويحرِّمون ما أحلَّ ..

جملة من النصوص صريحة في انّ حكّاماً مسلمين يشكِّلون أداةً تنفيذيّةً طيّعة للروم (المسيحيّة الغربيّة) ، فيقدمون على القيام بإصلاحاتٍ يُرادُ منها عزلُ الدِّين وقيم الشريعة ، وتحويل المجتمع بذكرهِ وأُنثاه إلى فردٍ متحلِّلٍ ، همُّه الخمرة والزنا والتعرّي واللهو المُسقِط ، وهذه الأمّة أو الشعوب هي المقصودة بـ « رحا بني مرح » التي تعكف على عبادة آلهة الشهوة والنشوة والغريزة والخمرة والسفور بقيادة حكّام مفسدين ..! دون أي ضمانة أو مفهوم وجودي سليم ، سوى المزيد من الذلّ والإنهيار والتفتيت طمعاً ببقاء على سدّة عرش أو بقيّة حُكم ..! وفي رواية عبد الله ، قال أبو داود – أحسبه رفعه وقال – : [إنَّ بين يدي الساعة (أي بين يدي

ظهور المهدي) أيام الهرج ، أيام يزول فيها العِلْمُ ، ويظهر فيها الجهل . – وكان الاشعري إلى جنب ابن مسعود – قال الاشعري : الهرج : القتل ..][1] ، أي تعمُّ الفتن ، ويكثر الطغيان العسكري والسياسي والمواثيقي فتأكل الأمم بعضها ، ويُنكَرُ اللهُ جهرةً ، وتتبدّل القيم ، وينبعث الفساد العام بشكلٍ هائلٍ ، ويكون له النفوذ والحكم وقيمة القانون والأعراف ..

وفي رواية الزهري عن ابن المسيب قال : قال رسول الله ﷺ : [يتقارب الزمان وتظهر الفتن ، ويلقى الشحّ ، ويكثر الهرج ، قالوا : أيّم هو يا رسول الله ؟ قال : القتل][2] . النص صريح في غزو الأمم وحكرة الأموال والأسواق ونهب الموارد وحبس الأرزاق وأشباهها في آخر الزمن .

وقد أجمعت النصوص على انَّ ظهور المهديِّ عليه السلام يكون في ذلك العالم المليئ بالفساد والإضطهاد والفتن والباطل والجور والطغيان المتنوِّع ، فيكون المهديّ المخلِّص للعالم من ذلك الإضطهاد الفظيع الذي أصابه .. وفي رواية أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : [لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الارضُ ظلماً وعدواناً . وقال ﷺ : ثم يخرج رجلٌ (المهدي عليه السلام) مِن عترتي أو مِن أهل بيتي ، يملؤها قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظلماً وعدواناً][3] .

وكلمة « الظلم والعدوان » الواردة في المتون الكثيرة ، تبعها مجموعة واسعة من بيان المصاديق بلسان النصوص ، لتؤكِّد طابع الطغيان

---

[1] الطيالسي : صـ ٣٥ حـ ٢٦٣

[2] جـ ١١ صـ ٣٦٥ ٣٦٤ حـ ٢٠٧٥١

[3] أحمد : جـ ٣ صـ ٣٦

الأخلاقي والسياسي والإنحراف المالي النقدي الإجتماعي وغيره في حياة الأمم . نصوص النبيِّ ﷺ تشير إلى منحنىً خطير في سلوك الإنسان ، حيث يتَّجه الموكبُ الأمميُّ إلى خياراتٍ قاتلة على مستوى القيم والسلوك ، بحيث تنتشر معالم الفتن والإثم والعدوان والظلم والإضطهاد والتهتُّك الأخلاقي وغيره ..

فإذا كان ذلك كذلك ، كان لا بدَّ مِن خروج المهديِّ الموعود مِن آل محمَّد ، الذي يشكِّل الإمام الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام من آل الرسول ﷺ .. وفي رواية عن عبد الله عن النبي ﷺ قال : [لا تقومُ الساعة حتى يلي رجلٌ مِن أهل بيتي ، يُواطِئ اسمه إسمي][1] .

النصوص متواترة عند كلِّ المسلمين في أنَّ المهديَّ عليه السلام يقوم قبل قيام الساعة ، فيقود الأمم ويقيم دولة العدل الإلهي ويقضي على الجبابرة والمفسدين . أي يتولَّى أمر الامة ويحكم العالم وينشر العدل في ربوعِهِ بعد طولِ ظلمٍ وفساد وتهتُّك كما سنرى ذلك بمجموعةٍ واسعةٍ من النصوص ..[2]

وفي رواية أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : [.. لَتُملأنَّ الارضُ ظلماً وعدواناً ، ثم لَيَخرُجنَّ مِن أهل بيتي - أو قال مِن عترتي - مَن يملؤها قسطاً وعدلاً كمَا مُلِئَت ظلماً وعدواناً][3] . ولقد شاع وذاع في وسط المسلمين منذ زمن النبيِّ ﷺ أنَّ اليوم الموعود في نشر العدل بشكلٍ عالميٍّ هو يوم

---

[1] م . س .

[2] البزاز : ج ١ صـ ٢٨١

[3] مسند الحارث بن أبي أسامة : على ما في سند حلية الاولياء ، وعرف السيوطي ، والجامع الصغير ، وكنز العمال . * : حلية الاولياء : ج ٣ صـ ١٠١

المهدي ، المهدي الذي يكون من نسل آل محمّد ، الثاني عشر من الأئمّة عليهم السلام ، باتّفاق علماء المسلمين جميعاً ..

وحين سُئل جابر بن عبد الله الأنصاري عن آخر الزمن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [المهدي يخرجُ في آخر الزمان][1] . أي هو المُعدُّ لإقامة العدل العالمي في الأرض . وفي رواية عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [لا تنقضي الايام ولا يذهب الدهر حتى يملك العربَ رجلٌ مِن أهل بيتي ، إسمه يُواطئ إسمي][2] . وهذا أمرٌ محتوم لا بدَّ منه ، والنصوص في هذا المجال متواترة .

وفي رواية أمِّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله عن النبي صلى الله عليه وآله قال : [المهدي حقٌّ ، وهو مِن وُلدِ فاطمة عليها السلام][3] . لذلك كان الصحابة يقولون : المهديُّ حقٌّ في آخر الزمان ، لا تنقضي الأرض حتى يظهر ، فيملأها عدلاً . شهاداتُ الصحابة والأتباع في هذا المجال أكثر من أن تُحصى .

وقد سُئل حذيفة عن ذلك ؟ فقال : خطبنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله فذكَّرَنَا بما هو كائن ، ثم قال : [لو لم يبقَ مِن الدنيا إلا يومٌ واحد ، لطوَّلَ اللهُ عز وجل ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مِن وُلدِي إسمه إسمي . فقام سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، مِن أيِّ وُلدِكَ ؟ فقال صلى الله عليه وآله : مِن وَلَدِي هذا ، وضرب بيده على الحسين عليه السلام][4] . النصوص في هذه المضامين أكثر من أن تُحصى ..

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ١١١

[2] أحمد : جـ ١ صـ ٣٧٦

[3] تاريخ البخاري : جـ ٣ صـ ٣٤٦

[4] عقد الدرر : صـ ٢٤ بـ ١ عن أبي نعيم في صفة المهدي ،

وطالما ذكر النبيُّ ﷺ المهديَّ عليه السلام والأئمّة الإثنى عشر عليهم السلام كسياقٍ واحدٍ في عمليّة تسمية خلفاء الله تعالى . وحديثُ الائمة من قريش من أهل البيت عليهم السلام تبلغ طرقه وأسانيده نحو مجلد . ولقد كان شائعاً زمن النبيِّ ﷺ وما بعدهُ أحاديث النبيِّ بالأئمّة الإثنى عشر ، وبأسماءِهم التفصيليّة ، وفضل أهل البيت عليهم السلام وتسميتِهم من قبل الله تعالى ..

وفي رواية أبي أيوب الانصاري قال : [إنَّ رسول الله ﷺ مرض مرضةً فدَخَلَت عليه فاطمة صلى الله عليها تعودُهُ ، وهو ناقهٌ من مرضِه ، فلما رأت ما برسول الله من الجُهد والضعف خنقتها العبرة حتى خرجت دمعتها ، فقال لها ﷺ : يا فاطمة ، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إطَّلع إلى الارض إطلاعةً فاختار منها أباكِ فبعثهُ نبيّاً ، ثم اطَّلَعَ إليها ثانية ، فاختار منها بعلَكِ (عليّاً) ، فأوحى إليَّ فأنكحتُهُ واتَّخذتُهُ وصيّاً ، أما علمتِ يا فاطمة إنّ لكرامة الله إيَّاكِ زوَّجَكِ أعظمهم حلماً ، وأقدمهم سلماً ، وأعلمهم علماً . قال : فسُرَّت بذلك فاطمة عليها السلام واستبشرت . ثم قال لها رسولُ الله : يا فاطمة ، لِعليٍّ ثمانية أضراس ثواقب : إيمانٌ بالله وبرسوله ، وحكمته ، وتزويجُهُ فاطمة ، وسبطاهُ الحسن والحسين ، وأمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر ، وقضاؤُهُ بكتاب الله عزوجل . يا فاطمة : إنَّا أهل بيت أُعطينا سبعَ خصالٍ لم يُعطَهَا أحدٌ من الاوَّلين ولا الآخرين قبلنا - أو قال : ولا يدركها أحدٌ من الآخرين غيرنا - : نبيُّنَا أفضلُ الانبياء وهو أبوك ، ووصيُّنَا خيرُ الاوصياء وهو بعلُكِ ، وشهيدنا خير الشهداء وهو عمُّ أبيك ، ومنَّا مَن له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء ، وهو جعفر ابنُ عمِّك ، ومنَّا سبطا هذه الامَّة وهما ابناك ، ومنَّا الذي نفسي بيدِهِ مهديُّ هذه الامة][1] . ولقد كثرت

---

[1] مناقب الخوارزمي : صـ ٦٢ ف ٩ كما في ابن المغازلي

النصوص الكاملة جداً في هذا الأمر ، المتّسقة في بيانِها بسلسلة الأئمّة الإثنا عشر ، وأنَّ المهدي أخيرُهُم ، وهو الذي ينشر الإسلام في الأرض ، ويُقيمُ العدل كلَّه ، ويُحقُّ الحقَّ ويُبطِلُ الباطل ، ولو كره المشركون ولو كره الكافرون .

وفي النصِّ عن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي قال : دخلتُ على سيدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ، فقلت : يا ابن رسول الله ، أخبرني بالذين فرض اللهُ طاعتهم ومودَّتَهُم وأوجبَ على عبادِهِ الاقتداءَ بهم بعد رسولِ الله (صلى الله عليه وآله) ؟ فقال : [يا كابلي ، إنَّ أولي الأمر الذين جعلهم اللهُ عزَّوجلَّ أئمةَ الناس ، وأوجب عليهم طاعتَهُم : (هم) أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ثم الحسنُ عمِّي ، ثم الحسين أبي ، ثم انتهى الأمر إلينا . ثم سكت . فقلت له : يا سيِّدي رُوِي لنا عن أميرِ المؤمنين (عليه السلام) أنَّ الارضَ لا تخلو من حجَّة لله تعالى على عباده ، فمَن الحجَّةُ والامام بعدك ؟ قال (عليه السلام) : ابني محمَّد واسمُهُ في صُحُفِ الأوَّلين باقر ، يبقر العلمَ بقراً ، هو الحجَّةُ والامامُ بعدي ، ومن بعد محمَّد ابنُهُ جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق ، قلتُ : يا سيدي فكيف صارَ اسمُهُ الصادق وكُلُّكُم صادقون ؟ قال (عليه السلام) : حدَّثَني أبي عن أبيه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : إذا وُلِدَ ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسمُّوهُ الصادق ، فإنَّ الخامس من وُلدِهِ الذي اسمُهُ جعفر يدَّعِي الامامة اجتراءً على الله وكذباً عليه ، فهو عندَ الله (جعفر الكذَّاب) المفتري على الله تعالى ، والمدَّعِي لِمَا ليس له بأهل ، المخالف لأبيه والحاسد لأخيه ، وذلك الذي يروم كشفَ سترِ الله عزَّوجلَّ عند غيبةِ وليِّ الله (المهدي (عليه السلام)) . ثم بكى علي بن الحسين (عليه السلام) بكاءً شديداً ، ثم قال : كأنِّي بجعفر الكذاب وقد حملَ

طاغيةَ زمانِهِ على تفتيش أمرِ وليِّ اللهِ (المهدي عليه السلام) ، والمُغَيَّب في حفظِ اللهِ والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه برتبته ، وحرصاً منه على قتله إنْ ظفر بـه ، وطمعاً في ميراثِ أخيه حتى يأخذه بغير حق .

فقال أبو خالد فقلت : يا ابن رسول الله ، وإنَّ ذلك لكائنٌ ، فقال عليه السلام : إي وربِّي ، إنَّ ذلك مكتوبٌ عندنا في الصحيفة التي فيها ذِكرُ المِحَن التي تجري علينا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله . قال أبو خالد فقلت : يا ابن رسول الله ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم تمتدُّ الغيبة بوليِّ اللهِ الثاني عشر مِن أوصياءِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله والائمة بعده ، يا أبا خالد إنَّ أهل زمانِ غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل مِن أهل كلِّ زمان ، فإنَّ الله تبارك وتعالى أعطاهم مِن العقول والافهام والمعرفة ما صارت به الغيبةُ عندهم بمنزلة المشاهدة ، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف ، أولئك المخلصون حقّاً وشيعتنا صدقاً ، والدعاةُ إلى دينِ الله عزَّوجلَّ سرّاً وجهراً . وقال عليه السلام : انتظار الفرج من أعظم الفرج][1] .

فما أعظم هذا التعبير ، وما أصرحه في مستقبل الأحداث وتسمية الأئمّة عليهم السلام ، فقد كان يتحدَّث مع أبي خالد الكابلي ، وهو يعرض عليه سلسلة أهل النور الأئمّة الإثني عشر الذين تقوم عليه أركان أورشاليم الجديدة ، أي دين الإسلام ، كما في وارد الكتاب المقدّس ..! تأكيد على هذا الأمر العظيم ، وعلى هذهِ السلسلة النورانيّة ، المنصوبة بأمر الله ، والمسمّاة من عندهِ ، والقائمة بأمره .. على انَّ المهدي هو الثاني عشر ، صاحب الأمر ، وناشر العدل ، والقائم بعد غيبة طويلة ، والمستور عن أعين الظالمين ،

---

[1] مختصر إثبات الرجعة : ح ٨ –

والمُعدُّ لقطع دابر الكافرين والمنافقين ، الذي لا يعطي أحداً بيعةً ولا في عنقه عهد لأيٍّ من الأمراء الضالين مهما كان إسمهم أو وصفهم أو انتماءُهم . وفي رواية سعيد بن جبير قال : قال علي بن الحسين سيد العابدين عليه السلام : [القائمُ منَّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يُولَد بعد . ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة][1] ..

وبالتالي فإنَّ اللهَ تعالى ، أقام الدِّين ، وجعل النبيَّ صلى الله عليه وآله داعياً إليه ، وهادياً ومبشِّراً ونذيراً ، ونصب بعدهُ بأمرٍ من اللهِ وبنصٍّ القرآنِ وبسنّةٍ متواترة مَن يقيم أمرَ الدِّين ويحفظ الشريعة ، ويدعو إلى الله بحقٍّ لا شكَّ فيه ، وببيانٍ لا لبَسَ فيه فأقام بأمر الله ائمّةً يدعون إلى الله ، عدَّهم النبيُّ صلى الله عليه وآله إثني عشر إماماً ، يكون المهدي آخرهم . وهم في السماء أعرف منهم في الأرض ..

وفي رواية علي بن علي المكي الهلالي عن أبيه قال : [دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله في شكاته التي قُبِضَ فيها ، فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه ، قال : فبَكَت حتى ارتفع صوتها ، فرفعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله طرفه إليها فقال : حبيبتي فاطمة ، مَا الذي يُبكِيكِ ؟ فقالت : أخشى الضيعةَ من بعدك ، فقال : يا حبيبتي أمَا علمتِ أنَّ اللهَ عزّ وجل اطَّلع إلى الارض إطلاعةً فأختار منها أباك فبعثه برسالته ، ثم اطَّلَعَ اطلاعةً فأختار منها بعلك ، وأوحى إليَّ أن أنكحَكِ إياه ، يا فاطمة : ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يعط أحد قبلنا ، ولا يعطى أحد بعدنا[2] .. يا فاطمة : والذي بعثني بالحق إنَّ

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٣٢٢ - ٣٢٣ ب ٣١ ح ٦

[2] قال صلى الله عليه وآله : أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله وأحب المخلوقين إلى الله عزوجل وأنا أبوك ، ووصيي خيرُ الاوصياء وأحبُّهُم إلى اللهِ وهو بعلك ، وشهيدنا خير الشهداء وأحبُّهُم إلى الله وهو عمُّكِ حمزة بن عبد

منهما مهدي هذه الامة ، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً (قتلاً وفوضى) ، وتظاهرت الفتن (توالت وتفاقمت قتلاً وتجويعاً) ، وتقطعت السُّبُل (انهار الأمن) ، وأغار بعضُهُم على بعض (حروباً وغزوات) ، فلا كبير يرحم صغيراً ، ولا صغير يوقر كبيراً (إنهيار الأخلاق) ، فيبعثُ اللهُ عزوجل عند ذلك منهما مَن يفتتحُ حصون الضلالة وقلوباً غلفاً ، يقوم بالدِّين في آخر الزمان كما قمتُ به في أوَّلِ الزمان ، ويملأ الدنيا عدلاً كما مُلِئَت جوراً .

يا فاطمة : لا تحزني ولا تبكي فإن الله عزوجل أرحم بك ، وأرأف عليك مني ، وذلك لمكانك منِّي وموضعك مِن قلبي ، وزوَّجَكِ اللهُ زوجك وهو أشرف أهل بيتك حسباً ، وأكرمهم منصباً ، وأرحمهم بالرعية ، وأعدلهم بالسوية ، وأبصرهم بالقضية ، وقد سألت ربِّي عز وجل أن تكوني أوَّل مَن يلحقني مِن أهل بيتي » . قال علي عليه السلام : فلما قُبِضَ النبيُّ صلى الله عليه وآله لم تبقَ فاطمةُ عليها السلام بعده إلا خمسة وسبعين يوماً حتى ألحقها الله به صلى الله عليه وآله][1] .

النصُّ صريحٌ في أنَّ المهديَّ عليه السلام هو المُعدُّ لذلك الزمن الأعظم ، وهو مِن أئمّة أهل البيت ، مِن وُلدِ فاطمة ، من نسل الحسين عليه السلام . الذي يشكِّل ظهوره أعظم تطوُّر في ساح الكون آنذاك .. وفي رواية قتادة قال : قلت لسعيد بن المسيب : [المهدي حقٌّ هو ؟ قال : حق . قلت : ممَّن هو ؟ قال : مِن قريش ، قلت : مِن أيِّ قريش ؟ قال : مِن بني هاشم . قلت : مِن أيِّ

المطلب ، وهو عمُّ أبيك وعمُّ بعلك ، ومنَّا مَن له جناحان أخضران يطير في الجنة مع الملائكة حيث يشاء وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك ، ومنَّا سبطا هذه الامة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما والذي بعثني بالحق خيرٌ منهما .. [التتمّة في المتن الوارد أعلاه] .

[1] الطبراني ، الكبير : ج ٣ صـ ٥٢ حـ ٢٦٧٥

بني هاشم ؟ قال : مِن بني عبد المطلب . قلت : مِن أيٍّ عبد المطلب ؟ قال : مِن ولد فاطمة][1] . وهذا ما يتّفق عليهِ كلُّ علماء المسلمين جميعاً . حتى الكتاب المقدَّس أقرَّ بأنَّ الذي يخرج بعصاً مِن حديد في آخر الزمن فيملأ الأرض حقّاً وعدلاً إنّما هو الثاني عشر من كواكب واركان أورشاليم الجديدة (الكعبة) ، ومن نسل النبي المبعوث في جبال فران (مكّة) ، من وُلد تلك المرأة الجليلة المقدَّسة المتسربلة بالشمس والقمر ، التي على رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً ، ولدت ذكراً عتيداً أن يقود الأمم بعصاً من حديد ..

وفي رواية أنس بن مالك قال : خرج علينا رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ فرأى عليّاً ، فوضَعَ يدهُ بين كتفيهِ ثم قال : [يا علي ، لو لم يبقَ مِن الدنيا إلا يومٌ واحد لطوَّل الله ذلك اليوم (تأكيداً لظهور المهدي عليه السلام) حتى يملك رجلٌ مِن عترتك ، يقال له « المهدي » ، يهدي إلى الله عزَّ وجل ويهتدي به العرب ، كما هديتَ أنت الكفّار والمشركين من الضلالة . ثم قال : مكتوب على راحتيه بايعوه ، فإن البيعة لله عزوجل][2] .

وفي نصوصٍ تفصيليّةٍ يشيرُ النبيُّ ﷺ إلى أمورٍ خصوصيّة بما يجري على أهلِ بيتِه عليهم السلام من عذابٍ وتنكيلٍ ومنع مِن الخلافةِ بعد موتِه ﷺ .. منها ما رواهُ عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : قال أبي : دفع النبي ﷺ الرايةَ يوم خيبر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، ففتح اللهُ عليه . وأوقفه يومَ غدير خم فأعلم الناسَ أنه مولى كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة - وقال في

---

[1] عبد الرزاق : على ما في سند ابن حماد ، وملاحم ابن طاووس ، وملاحم ابن المنادى . * : ابن حماد : صـ ١٠١

[2] دلائل الامامة : صـ ٢٥٠

حديث طويل جاء فيه - : [ثم بكى النبيُّ ﷺ ، فقيل : مِمَّ بكاؤك يا رسول الله ؟ قال ﷺ :

أخبرني جبرئيل عليه السلام أنهم يظلمونَهُ ويمنعونَهُ حقَّهُ ، ويقاتلونه ويقتلون وُلدَهُ ، ويظلمونهم بعده . وأخبرني جبرئيل عليه السلام عن اللهِ عزَّ وجلَّ أنَّ ذلك الظلم يزول إذا قام قائمهم (المهدي) وعلت كلمتهم ، واجتمعت الامة على محبتهم ، وكان الشانئ لهم قليلاً والكاره لهم ذليلاً ، وكثر المادح لهم . وذلك حين تغيّر البلاد وضعف العباد ، والإياس من الفرج ، وعند ذلك يظهر القائم عليه السلام منهم ،

فقيل له ما اسمه ؟ قال النبي ﷺ : إسمه كإسمي ، هو مِن وُلد إبنتي (فاطمة) ، يُظهِرُ اللهُ الحقَّ بهم ، ويُخمِدُ الباطل بأسيافهم ، ويتبعهم الناس بين راغب إليهم وخائف منهم . قال : وسكن البكاءُ عن رسول الله ﷺ فقال : معاشر المؤمنين أبشروا بالفرج ، فإنَّ وعدَ اللهِ لا يخلف ، وقضاءُهُ لا يُردّ ، وهو الحكيم الخبير ، فإنَّ فَتْحَ اللهِ قريب . أللهم إنَّهم أهلي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، أللهم أكلأهم وارعهم وكُن لهم ، وانصرهم وأعنهم وأعزهم ولا تذلهم ، واخلفني فيهم إنَّك على كل شيئ قدير][1] .

إنّه من أنباء الغيب التي أوحى اللهُ بها إلى نبيّه ﷺ وفيها ما فيها ممَّا يُقرحُ القلوب من انقلاب الأمّة ، وإصرارها على الطغيان وقتل عترة النبيِّ عليهم السلام ، ومن يقرأ التاريخ يذهله ما يقرأ ، ويرى عُظم نبوءة النبيِّ المصطفى ﷺ المُوحاة إليه مِن الله تعالى ..

---

[1] أمالي الطوسي : ج ١ صـ ٣٦١ صـ ٣٦٢

وفي رواية عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : [لما عُـرِجَ بي إلى السماء السابعة ، ومنها إلى سدرة المنتهى ، ومن السدرة إلى حُجُب النُّور ، ناداني ربِّـي جـل جلالـه : يـا محمـد أنـت عبـدي وأنـا ربُّـك ، فلـي فاخضع ، وإيَّاي فاعبد ، وعليَّ فتوكَّل ، وبِي فثِق ، فإني قد رضيتُ بك عبـداً وحبيباً ورسولاً ونبيَّاً ، وبأخيك علي خليفةً وباباً ، فهو حجَّتِي على عبـادي وإمامٌ لخلقي ، بِهِ يُعرفُ أوليائي مِن أعدائي ، وبِهِ يُميَّزُ حزبُ الشـيطان مِـن حزبي ، وبه يُقَامُ دِيني وتُحفَظُ حدُودِي وتُنفَّذُ أحكامي ، وبِكَ وبِهِ وبالائمـة مِن وُلدِهِ أرحم عبادي وإمائي ، وبالقائم (أي المهدي) منكم أعمـر أرضـي بتسبيحي وتهليلي وتقديسي وتكبيري وتمجيـدي ، وبـه أطهِّـرُ الارض مِـن أعدائي وأورثها أوليائي ، وبه أجعل كلمة الذين كفروا بي السـفلى وكلمتـي العليا ، وبـه أُحيـي عبـادي وبـلادي بعلمـي ، ولـه أظهـر الكنـوز والـذخائر بمشيتي ، وإيَّاهُ أظهر على الاسرار والضـمائر بـإرادتي ، وأمـدّه بملائكتـي لتؤيّده على إنفاذ أمري وإعـلان دينـي . ذلـك وليِّـي حقَّـاً ومهـدي عبـادي صدقاً][1] .

هذا النصُّ يحتضن مضمونَ الكثيـر مـن النصـوص التـي صـرَّحت بالأئمّة الإثني عشر ، الذين جعلهم اللهُ باباً إليه ، ودعاةً لهديه ، وأئمّةً قـادة ، وأنواراً مُرشِدين ، بهم يُعـرفُ الـدِّين ، وتُقـامُ الحـدود ، ويُعبـدُ اللهُ تعـالى . ويذهلُك أن تقرأ أيضاً في الكتاب المقدّس وشروحات اللاهوتيين مضـمون هذه المعاني ..! على أنَّ المهدي عليه السلام – الثاني عشر من الأئمّـة – هـو المُعـدُّ لإقامة العدل الإلهي المطلق على أرض البشر وأينما تصل قدراتُهم فـي هـذا العالم ..

---

[1] أمالي الصدوق : صـ ٥٠٤ مجلس ٩٢ حـ ٤

وعليه : إذا خرج المهديُّ عليه السلام أمر بالعدلِ وإقامة الحق الرباني ، فإذا تمَّ ذلك ، كان أمرُ العالم كأمرِهِ الأوّل من حيث الأمن والأمان والعدل والإستقامة وغير ذلك . ففي رواية أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال : [تأوي إليه أمتّه كما تأوي النحلةُ إلى يعسوبها ، يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً ، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الاول ، لا يوقظ نايماً ولا يهرق دماً][1] .

إنَّها الوجوديَّة الكاملة كما أرادها اللهُ تعالى ، والموكب الضروري لمسيرة البشر في آخر الزمان ، وسط أهم مفصل وأكبر تطوُّر في مفاصل الوجود والسير نحو العالم الأعظم وما يتبعه من آثار . ولا بدَّ من قيادة الأرض على هدي الإسلام ، الدِّين الذي يُتمُّ اللهُ أمره ، ويشكِّل وعاء الوجود الميثاقي لأمم الأرض وناس هذا الوجود . وفي قول الإمام الصادق عن أبيه ، عن جده عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [القائم مِن وُلدِي إسمه إسمي ، وشمائله شمائلي ، وسنّتُهُ سُنَّتِي ، يُقيم الناسَ على ملَّتي وشريعتي ، ويدعوهُم إلى كتاب ربي عزَّ وجلَّ ، مَن أطاعه فقد أطاعني ، ومَن عصاهُ فقد عصاني ، ومَن أنكره في غيبتِهِ فقد أنكرني ، ومَن كذَّبَهُ فقد كذَّبَني ، ومن صدَّقَهُ فقد صدَّقَني ، إلى الله أشكو المكذِّبين لي في أمره ، والجاحدين لقولي في شأنه ، والمضلِّين لامتي عن طريقته ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون][2] .

المتنُ صريح في أنَّ الإيمان بالمهدي كالإيمان برسولِ الله ، وتكذيبُهُ كتكذيبِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله ..! وأنّه سفينة الرب ، وموكب النور ، والخليفة

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٩

[2] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٤١١ بـ ٣٩ حـ ٦

الأعظم ، والحجّة الكبرى في ذلك العالم الذي ينوء من آلهة السوق وأصنام الغرائز ، واباطرة الإحتكار والقتل والإبادة ..

وأنّه من وُلدِ رسولِ الله ﷺ ، من نسل النبيِّ المبعوث في جبال فاران (مكّة) ، مِن وُلدِ تلك المرأة الجليلة المقدّسة (فاطمة الزهراء بنت النبي محمّد) ، وهو الثاني عشر الذي يقود الأمم بعصاً من حديد ، أي بالقوّة والقهر لمنعها من أعظم معايير الطغيان الذي يقودهُ أربابُ الجور آنذاك . هو خاتم الأئمّة عليهم السلام ، مِن نسل النبيِّ من وُلدِ الحسينِ عليه السلام .

وفي رواية ثابت بن دينار ، عن سيد العابدين علي بن الحسين ، عن سيد الشهداء الحسين بن علي ، عن سيد الاوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : [الائمة بعدي إثنا عشر ، أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم عليه السلام الذي يفتحُ الله عزوجل على يديه مشارق الارض ومغاربها][1] .

النصوصُ مطبقةٌ على أنَّ الأئمّة الإثني عشر من وُلدِ النبيِّ ﷺ عبر فاطمة الزهراء عليها السلام وعلي بن ابي طالب عليه السلام ، وأنّ الأئمّة عليهم السلام إثنا عشر ، أوَّلُهم علي ، وثانيهما وثالثهما الحسن والحسين عليهما السلام ، والثاني عشر منهم المهدي مِن وُلد النبي عبر الحسين عليه السلام .. والنصوص التي تتحدث عن الأئمّة الإثني عشر ، وأنّ أوّلهم علي وآخرهم المهدي أكثر من أن تُحصى عند السنّة والشيعة . وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : [إنَّ علي بن أبي طالب إمام أمتي ، وخليفتي عليها مِن بعدي ، ومِن وُلدِهِ القائم المنتظر ، الذي يملأ اللهُ به الارض عدلاً وقسطاً كما مُلِئَت

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٢٨٢ بـ ٢٤ حـ ٣٥

جوراً وظلماً . والذي بعثني بالحقِّ بشيراً : إنَّ الثابتين على القولِ به في زمانِ غيبتِهِ لَأعز من الكبريت الاحمر . فقام إليه جابر بن عبد الله الانصاري فقال : يا رسول الله وللقائم مِن وُلدِك غيبة ؟ قال ﷺ : إي وربي ، ولَيُمحِّصَنَّ اللهُ الذين آمنوا ويمحق الكافرين . يا جابر إنَّ هذا أمرٌ مِن أمرِ الله ، وسرٌّ مِن سرِّ الله ، مطويٌّ عن عباد الله ، فإياك والشك فيه ، فإنَّ الشكَّ في أمر اللهِ عزَّ وجل كفر][1] .

إلى هذا المستوى وهذه المرتبة قرَّر اللهُ تعالى أمر المهدي الذي يكون من سل رسول الله ﷺ ، والنصوص شديدة الصراحة في أنّ الأئمّة كلّهم من نسل الإمام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام ، أي يكون مِن نسل فاطمة وعلي إحدى عشر إماماً ، يُضافُ إليهم الإمام علي عليه السلام ، وهو نفسه الوارد في الكتاب المقدّس في سفر الرؤيا حيث ورد فيه :

[إمرأة متسربلة بالشمس والقمر ، تحت رجليها ، وعلى رأسها إكليل من إثني عشر كوكباً .. ولدت إبناً ذكراً عتيداً ، أن يرعى جميع الأممِ بعصا مِن حديد ..][2] .

وفي فقرةٍ أخرى يقول الرائي – في الكتاب المقدّس – عن القيادات الكبرى والأركان الخاصّة التي ستحرس هذه العاصمة الإلهية الجديدة بالعلم الإلهي (أي مكّة ، الكعبة) لخصوص المنصب الإلهي – : [.. يحرسها – أي المدينة الإلهيّة الجديدة – اثنا عشر ملاكاً[3] .. ويقوم سُور المدينة

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٢٨٨ ٢٨٧ بـ ٢٥ حـ ٧

[2] سفر الرؤيا ٥،١/١٢ الكتاب المقدّس ط ٨٣

[3] الرؤيا ١٣/٢٦

(الكعبة ، دين الإسلام) على اثني عشر دعامة ، كتبت عليها أسماء رُسُل الحمل الإثني عشر][1] .

وقد قال اللاهوتيّون في التفسير : [هذه الأسوار قائمة على إثني عشر أساساً ..![2]] .

متنُ الكتاب المقدّس واضح جداً في الإشارة إلى الشمس والقمر ، بالإضافة إلى أم جليلة قدّيسة لها سلسلة من أولاد لهم نفس الصفة : كواكب . إذن الأمر شديد الدهشة والوضوح في الإشارة المطلقة إلى نفس صفات النبي والإمام علي وفاطمة الزهراء والإئمة الإثني عشر ..!

وكذا في غير هذه الفقرات ما يثير ذهول كلِّ عاقل ، ويخشع له كلُّ عقل ، وتجثو أمامه كلُّ ركبة تعظيماً لآيات الله الساطعة ..

ثمَّ نصوصُ النبيِّ وأهل بيتِهِ عليهم السلام صريحة بالمطلق في أنّ انتظار أمر المهدي عليه السلام من أعظم العبادة . وفي رواية عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [أفضل العبادة انتظار الفرج][3] .

وعن آخر الزمن تتشكَّل قيمة وصفيّة عبِّرت النصوص عنها بألفاظ ومعاني ذات تجلٍّ كبير ..

---

[1] الرؤيا ١٤/٢١

[2] كشف المستقبل : ٣٤ . ٣٥

[3] العسكري في الامثال : على ما في هامش مسند الشهاب ، من طريق عمرو بن حميد . * : القناعة والتعفف ، ابن أبي الدنيا : ج ١ ص ١٠٦ ح ١

بعض معالم الظهور

للمهدّي قبل ظهوره علامات مختلفة ، منها ما هو عام ، ومنها ما هو خاص ، ومنها ما هو قريب من ظهورِهِ عليه السلام ومنها ما هو ليس كذلك . ففي رواية كثير بن مرة الحضرمي قال : - ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله - : [آية الحدثان[1] (النائبة الكبيرة) في رمضان ، علامة في السماء ، بعدها اختلافٌ في الناس ، فإنْ أدركتها فأكثر مِن الطعام ما استطعت][2] . يريدُ التأكيد لأهل الزمن عبر هذا الراوي أنَّ هذه النائبة خطيرة جداً ، ويتبعها جوعٌ وأزمة اقتصاديّة وقحط وحكرة وشبه ذلك . وذيل النصِّ وارد من باب : إيّاك أعني واسمعي يا جارة . وهذا البيان وارد عن لسان أهل البيت عليهم السلام بكثرة .

وقد وردت روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام أنّ القرآن نزل بإيَّاك أعني واسمعي يا جارة . وفي حديث إبن أبي عمير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما عاتب اللهُ نبيَّهُ فهو يعني به هذه الآية وأمثالها من باب إيَّاكِ أعني واسمعي يا جارة . خُوطِب به النبيُّ صلى الله عليه وآله لكنَّ المراد بهِ الأمّة »[3]. وعليه ما

---

[1] الحدثان : جمع حدث مثل أحداث وحوادث ، أي الوقائع الكبيرة ، ويطلق أيضا على النوائب خاصة .

[2] ابن حماد : صـ ٦٠ وفي : صـ ٦١

[3] تفسير مجمع البيان ج : ٨ : ٤١٤ الشيخ الطبرسي .

ورد في ذيل النص : « فإنْ أدركتها فأكثر مِن الطعام ما استطعت » ، مخاطبة أهل زمان عصر الغيبة بالحيطة والتنبُّه والإلتفات إلى صفات الزمن المستقبلي زمن الغيبة العظمى ، وهذا من معالم السياق البلاغي عند العرب وعلى لسان المعصوم عليه السلام .

وفي رواية خالد بن معدان قال : [إذا رأيتم عموداً من نار مِن قبل المشرق في شهر رمضان في السماء فأعدوا مِن الطعام ما استطعتم ، فإنها سنة جوع][1] . وفي متون أخرى ورد : « نار في الحجاز » .. وفي ذيل رواية كثير بن مرة الحضرمي قال : [إني لَأنتظر ليلة الحدثان (النائبة الكبرى) في رمضان منذ سبعين سنة][2] .. تأكيداً لشيوع هذا الخبر ، وانتشار هذه العلامة على الألسن ، من أنّها صفة ذات مفهوم وتاريخ مستقبلي . قال عبد الرحمن بن جبير : علامة تكون في السماء ، يكون اختلاف من الناس ، فإن أدركتها فأكثر من الطعام ما استطعت][3] .

وقال ابن قاذويه : آية الحدث في رمضان نارٌ تكون في السماء شبيها بأعناق النجب أو كأعمدة الحديد . فإذا رأيتها فأعد لأهلك طعامَ سنة . إشارة إلى حدثٍ إستثنائي .. ولسانُ كلٍّ هذه العبارات المتنيَّة أو الشرحيّة في مقام الإشارة الضمنية إلى واحدة مِن معالم الفتن التي تقع قبل ظهور المهدي عليه السلام .. ويكون ذلك على أثر فتنة ، وتنتشر هذه الفتنة ، وتظهر النار في الحجاز . وهي غير نار عدن . إيذاناً أو إكمالاً لفتنةٍ قاسية .. على انَّ العالم آنذاك ، خاصّةً بقاع الإسلام تكون مضطربة ، ذات هشاشةٍ بالغة ،

---

[1] ابن حماد : صـ ٦٠ وفي : صـ ٦١

[2] م . س .

[3] م . س .

وذات فرقةٍ واضحة . النصوص في ذلك شديدة الوضوح . وقد وردت الروايات بالنداء في شهر رمضان ، ونار من المشرق ، واختلاف يكون بين الناس خاصة في الحجاز .

وفي بعض الروايات : يطلع نجمٌ بالمشرق يُضيئ كما يُضيئ القمر ، ينعطفُ حتى يلتقي طرفاهُ أو يكاد[1] . وفي رواية كعب : [يطلع نجم مِن المشرق قبل خروج المهدي له ذناب][2] . وفي ملاحم ابن طاووس عن ابن حماد : له ذنب يضيئ لأهل الارض كإضاءة القمر ليلة البدر][3] ..

المثير أنَّ شُرَّاح اللاهوت في تعليقهم على نبوءة آخر الزمان في الكتاب المقدَّس يقرُّون بضرورة ظهور المذنّب ..!

وأنّه قبل ظهوره عليه السلام يقترب المذنَّب ..! ربما يكون مذنَّب هالي أو غيره ، وانَّ هذا المذنب يقترب من الأرض . وقد قال عليه السلام : [.. يخرج نجمٌ له ذنب يضيئ ..][4] . ولفظ القرآن جاء بلفظ ﴿ ارتقب ﴾ ..!

وهذا المذنب يقترب من الأرض كل ٧٦ عام وذيل هالي يبلغ طوله ٣٠ مليون كيلو متر ، ويحتوي على الدخان والأتربة ، وقد ظهر المذنَّب عند ميلاد المسيح عليه السلام ، وعند ميلاد النبيِّ الأعظم محمَّد عليه السلام ، كما ظهر يوم فتح القسطنطينيّة بقيادة محمّد الفاتح ، ومن هذا التاريخ يعتبره الأوروبيّون

---

[1] م . س .

[2] ابن حماد : صـ ٦١

[3] صـ ٤٦ ، ٧١

[4] [نعيم بن حماد / عقد الدرر ١١١] . وقد سمي مذنب هالي نسبةً إلى مكتشفه أدموند هالي ، الذي اكتشفه عام ١٦٨٢ ،

علامة سوء بالنسبة لهم . لأنّه مع ظهوره اندكّت أسوار القسطنطينيّة (عاصمة المنعة الرومية في الشرق) ، ودخلتها جيوش الإسلام . وقد اطلق الباب كالليليكيس عليه إسم : عميل الشيطان .

وسوف يظهر هذا المذنب أو غيره عند ظهور المهدي عليه السلام الذي سيفتح روما ويهزم جبابرة الأرض ويقيم العدل الإلهي بشموله العام . مع التذكير بأنَّ مذنب هالي يحمل الدخان . وذيله يبلغ طوله ٣٠ مليون كيلو متر ، ويحتوي على الدخان والأتربة ..! وقد قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩/٤٤﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠/٤٤﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١/٤٤﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢/٤٤﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣/٤٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤/٤٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥/٤٤﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦/٤٤﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧/٤٤﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨/٤٤﴾ وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩/٤٤﴾

ويكون ظهور هذا المذنَّب (النجم) ليشكِّل علامة موصوفة قبل ظهور المهدي عليه السلام . في بعض الموت ورد : [ينعطفُ حتى يلتقي طرفاهُ أو يكاد][1] . تأكيداً على دلالةٍ وصفيّةٍ خاصّة ..

أيضاً هناك آية الشمس . وقد ورد عن علي بن عبد الله بن عباس قال - ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله - : [لا يخرج المهدي عليه السلام حتى تطلع مع الشمس آية][1] .

---

[1] م . س .

وفي رواية شريك - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - قال : [بلغني أنه قبل خروج المهدي تنكسف الشمس في شهر رمضان مرتين][2] .

وفي القول المختصر قال : [لِمَهدينا عليه السلام آيتانِ لم يكونا منذ خلق الله السماوات والارض ينكسف القمر لأوَّل ليلة مِن رمضان وتنكسف الشمس في النصف منها][3] .

وسنرى عندما نعالج هذه العلامات أنَّ كسوف الشمس وخسوف القمر يكون على نحوٍ غير متوقّع علمياً ، أي يأتي في سياق يدل على حدثٍ عظيمٍ طرأ ، وانَّ شيئاً وقع لا يمكن تفسيرهُ وفق المجرى العلمي والمحصَّل الموجود .

على أنني سأشير إلى العلامات بشكلٍ تفصيلي وهي كثيرة بين خاصّة وعامّة .

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٧٣ حـ ٢٠٧٧٥

[2] ابن حماد : صـ ٦١

[3] القول المختصر : صـ ٢٠ بـ ٣ حـ ٣

بعض الفتن وما يقع على بلاد الإسلام في عصر الغيبة

يبدو واضحاً أنَّ ظهور المهديِّ عليه السلام لا يكون إلا بعد فتنٍ عاصفة تعمُّ خاصَّةً العالم الإسلامي ، وسيكون من أثر تلك الفتن سفك دماء ومجاعات وخوف ووجل وهلع واستعمار واضطهاد وفوضى وتنكيل وغير ذلك .. وقد ورد في رواية جابر الانصاري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان ذات يوم جالساً بين أصحابه إذ هبط عليه جبرائيل عليه السلام فقال : السلامُ يُقرِؤُكَ السلام ، ويخصّك بالتحيَّة والاكرام بالاسلام - في حديث جاء فيه - : [فقال له جبرئيل : أُبشِّرُك يا رسول الله بالقائم عليه السلام من وُلدِكَ لا يظهر حتى يملك الكفار الخمسة الانهر ، فعند ذلك ينصر اللهُ بيتك على أهل الضلال ، ولم يرفع لهم راية أبداً إلى يوم القيامة . فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً لله ، وأخبر المسلمين وقال لهم : بدأ الاسلامُ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأ ، فسُئِلَ عن ذلك ؟ فقال صلى الله عليه وآله : هي الخمسة الانهر التي جعلها اللهُ لنا أهل البيت وهي : سيحون وجيحون والفراتان ونيل مصر . إذا ملكت الكفارُ الخمسة الانهر ملك الاسلام (كذا) شرقاً وغرباً ، وذلك الوقت ينصر اللهُ أهل بيتي على أهل الضلال ، ولم يرفع لهم راية أبداً إلى يوم القيامة][1] .

---

[1] ثواب الاعمال : على ما في ملاحم ابن طاووس . ملاحم ابن طاووس : صـ ١٩٧

ورغم أنَّ هذا الحديث فيه بعض الإضطراب في متنِـه ، إلا انَّ متـون عديدة تؤيِّد مضمونه العام وهـي تفيـد سـيطرة الكفَّـار وشـمول نفـوذهم ، وسعة وطأتهم في العراق وإيران ومصر وبقاع مختلفة من ارض الإسلام .. وقد ظهر للكفار نفوذ كبير وسيطرة مطبقة في هذهِ المناطق مـن العـالم فـي القرون الماضية من الإستعمار الذي شنّه الإنكليز وغيرهم . وها هو العـالم الإسلامي يعاني اليوم من نفوذٍ هائلٍ للـروم الأمـريكيين فـي أنحـاء العـالم الإسلامي . وقد بدت الصورة أكثر ضـبابيّة وقسـوة بعـد غـزو الأمريكـان لبغداد ودخولهم لها في التاسع من نيسان ٢٠٠٣ ..

على أنَّ دولة خراسان (ارض إيران) قبل الظهور يكـون لهـا دولـة قويّة ، ونفوذ إقليمي عظيم ، ودرع حصينة ، وتكون صريحة جداً في تبنّيهـا الإسلام ، ودعوتِها إلى القرآن والعترة النبويّة . عندها تشكِّل أكبر عائق فـي وجه الروم الغربيين المسيحيين وأتباعهم . وفي فترةٍ ما تزحف لفتح القدس وتحريره من أيدي اليهود الغاصبين فتطأ جبَـاهَ الأنظمـة وتهـزم جيوشـهم حتى تنصب رايات أهل الحق في إيلياء (القدس) ..

كما تشير النصوص إلى مجموع عناوين عامَّـة كعلامـات فـي بـلاد العرب إبّان عصـر الظهـور منهـا مـا رواهُ أبـو هريـرة قـال : قـال رسـول الله ﷺ : [لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ، وحتـى يسير الراكبُ بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضـلال الطريـق ، وحتـى يكثـر الهرج . قالوا : وما الهرج يارسول الله ؟ قال ﷺ : القتـل][1] . الـنص صـريح في عمارة أرض العرب ، وتحوُّل الجزيرة إلى مروج مـن أنهـار (أي وفـرة

---

[1] أحمد : ج ٢ صـ ٣٧٠

الماء) وثمار ، إلى أبنية مشيّدة كما في غير هذا المتن . ثمّ يصيب هذه البلاد اضطراب الفتن ، وأزمة الحكم ، وتخلّي عن الدِّين ، وتبعيّة خطيرة تُحكِمُهَا الروم عليهم . وصولاً إلى الجوع الأغبر والموت الأحمر .

وفي بعضِها الآخر إشارة إلى علامات ذات صلة بسلوكٍ واحدٍ مِن الحكّام كما ورد في رواية أبي الحسن الربعي المالكي بسنده إلى رسول الله ﷺ قال - وفيه - [.. فإذا قُتِلَ الخليفة بالعراق ، خرج عليهم رجلٌ مربوع القامة ، كثّ اللحية ، أسود الشعر ، براق الثنايا ، فويل لأهل العراق مِن أتباعه المراق . ثم يخرج المهدي عليه السلام منَّا أهل البيت ، فيملأ الارض عدلاً كما مُلِئت جوراً][1] .

وتعتبر أرضُ العراق مهدَ الأزمات ، ومحنة أتباع أهل البيت عليهم السلام ، وجهة الخطورة ، خاصّةً زمن العباسي الشديد ، ثمَّ يوم السفياني الذي يبيح العراق لجيشه ، وما قبله لما يعنيه الأمر مِن تداعي جيوش الروم والترك وغيرها إلى هذه المنطقة . على أنّ شيعة أهل البيت يُلاقون من الحكّام الظلمة في هذه الأرض بلاءاً عظيماً .

كما تشير بعض الروايات أيضاً إلى علاماتٍ تتّصل بأثر الإستنزاف الذي يلحق ببلاد الإسلام ، منها ما رواه يحيى حيث قال : إنَّ رسولَ الله ﷺ ذكر القفيز والدرهم قبل أن يضعه « عمر » على الارض . وفي الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [.. منعت العراق قفيزها ودرهمها ، ومنعت الشامُ مدَّهَا ودينارها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها ،

---

[1] عقد الدرر : صـ ٤٥ ب ٤ ف ١

وعُدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم][1] . ومعنى هذا الحديث أنه سوف تحدث أزمة خانقة ، ذات أثر بالغ ، يبدو من طائفة النصوص أنّها تكون ذات وصف حربي ، يتبعها أزمة اقتصادية مالية نقديّة عسيرة على المسلمين في العراق والشام ومصر .

مع الإشارة إلى انّ ثلاث ثورات إماميّة تقوم في زمن الغيبة بفترةٍ ما ، وتبقى حتى عصر الظهور : ثورة أبدال الشام الذين يقاومون اليهود ويبدو واضحاً من النصوص أنّهم يكونون في لبنان وأكناف بيت المقدس أي نواحيه . وثورة نجباء مصر الذين يكادون أن يستلموا الحكم في مصر ، وثورة عصائب العراق أو أخيار العراق في أرض العراق .

وهل هذه الأزمة التي تطال العراق والشام ومصر تكون في ذلك الحين ، خاصّةً أنّ الروم (الغرب المسيحي) يتدخَّل عسكريّاً في مصر . كما يتدخَّل بأكثر من شكل في الشام حتى يُتمَّ انقلاب السفياني ويُجلسُهُ على عرش دمشق ، ثم يطلب منه أن يدخل مصر لقمع ثورة النجباء الإماميّة فيفعل ، كما يقوم بمهاجمة الأبدال في الشام لكنّه يفشل ويعجز عن دخول بلادهم . كما أيضاً يهاجم العراق .. فيدعمه الغرب المسيحي بكافّة الوسائل الممكنة ، التي منها الحصار الإقتصادي والضغط النقدي والمالي وغيره ..؟

هذا احتمال وارد ومتون عدّة تشهد له ، على أنّ طائفة من النصوص تشيرُ أيضاً إلى إطباق القوى الكبرى ، بالأخص الروم على بلاد الإسلام ، التي منها الشام والعراق ومصر ، فتعاني هذه البلاد من الجوع

---

[1] القفيز والمد والاردب : مكاييل للغلات في العراق والشام ومصر . المصادر : إسحاق بن راهويه : على ما في سنن البيهقي . * : أحمد : ج ٢ صـ ٢٦٢

والضعف وأزمات المال والإقتصاد وغير ذلك .. أمَّا موضوع الرجوع إلى الحجاز ، فهو يعني تباشير الظهور . أي يظلُّ الأمر مرهوناً بالحدث الرئيسي الذي يجب أن يتمّ في الحجاز من ظهور قائم آل محمّد المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً ..

نعم هذا المتن وغيرهُ واضحة في الإشارة إلى الضِّيق الشديد الذي يضغط على بلاد المسلمين ، في حين تكون أنظمة موالية للروم في هذه الأرض ، تعمل على محاولة إجهاض « مشروع الأسلمة » الذي تنادي به دولة خراسان .

وفي إشارةٍ واضحةٍ إلى بعض العناوين المتّصلة بأثر الأحداث وصراع الأقوام ورد في رواية أبي حرب بن أبي أسود الدؤلي عن أبيه قالا : قال علي بن أبي طالب عليه السلام سمعت حبيبي محمَّداً صلى الله عليه وآله يقول : [سيكون لبني عمِّي مدينة مِن قبل المشرق ، بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة ، يُشيَّد فيها بالخشب والآجر والجص والذهب ، يسكنها شرارُ خلقِ اللهِ وجبابرة أمتي ، أمَا إنَّ هلاكها على يد السفياني ، كأنِّي بها واللهِ قد صارت خاوية على عروشها][1] .

ونصوص النبيِّ وأهل بيتِهِ عليهم السلام واضحة جدّاً في أنّ لبني العباس دولتين : واحدة تكون في صدر تاريخ الإسلام ، والثانية تكون في آخر الزمن . نصوص أهل البيت شديدة الصراحة في ذلك . ومن الثابت أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله حذَّر من بني العباس ، وأورد العديد من النصوص التي تشير إلى ملكِهم وظلمِهم وشبه ذلك ، كما هي الحال مع بني أميّة .. وعليه : تشهد

---

[1] تاريخ بغداد : ج ١ صـ ٣٨

العراق ظهور دولة ثانية للعباسيين في آخر الزمن ، أي لقومٍ من نسل العباسيين . ومعلوم أنّ العباسيين هم الذين بنوا بغداد في العام ١٤٦ للهجرة ، وشكّلت بغداد عاصمة المُلك العباسي .

وفي التراث المنقول أنَّ السفياني يدخل إلى العراق يريد السيطرة على عرش العباسيين بعد موت خليفتهم البطّاش ، فيدخل إلى قسمٍ منها فيسفك دماء الشيعة سفكاً رهيباً ..

كما أنَّ النبيَّ ﷺ أشار إلى عناوين مختلفة من العلامات العامّة والخاصة ، منها « أوّل الملاحكم » التي تطرأ مع الرجل المسلم الذي يطلب الغرب ويعود متنصِّراً . وفي رواية أبي النجم يقول : إنه سمع أبا ذر يقول : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : [سيكون رجلٌ من بني أميَّة بمصر ، يلي سلطاناً ، ثم يُغلب على سلطانه أو يُنزع منه ، ثم يفرّ إلى الروم (الغرب المسيحي) فيأتي بالروم إلى أهل الاسلام ، فذلك أول الملاحم][1] .

ويبدو مِن مجموع النصوص أنَّ هذا الحاكم الأموي في مصر يُجيِّر حكم مصر ومقاليد الدولة وموارد البلد هناك للروم (الغرب المسيحي) بشكلٍ فظيع ، عندها تثور عليه ثائرةُ النجباء ، وهم قادة إماميّون يدعون للمهدي وأهل البيت عليهم السلام . يكاد هؤلاءِ أن يستلموا الحكم ، فيهرب منهم إلى الروم ، ويأتي بجيوشهم ، وتتدخل الروم بكثافة ، وتنشرُ القتل وتخوض غمار المعارك ، النصوص تشير إلى معركة ضارية تقع في الاسكندريّة ، ومع ذلك لا تستطيع أن تعيد حاكم مصر إلى عرشِهِ بسبب مواجهات المصريين ذات التضحيات العالية آنذاك .

---

[1] ابن إسحاق : على ما في ابن عساكر . ملاحم ابن المنادى : صـ ٣٣

وفي رواية إبن عساكر عن حسان قال : سمعت أبا ذر يقول : قال رسول الله ﷺ : [سيكون بمصر رجلٌ من قريش ، أخنس ، يلي سلطاناً ثم يُغلَبُ عليه ، أو يُنزَع منه ، فيفرّ إلى الروم ، فيأتي بهم إلى الاسكندرية ، فيقاتل أهلُ الاسلام بها ، فذلك أول الملاحم][1] .

ومعنى أوّل الملاحم إشارة إلى فتنةٍ دمويّة مصدرها الروم تخوضها في وجه أهل الإسلام ونجباء مصر في عصر الظهور ، أي في زمن الغيبة .. ويبدو من النصوصِ إشارة إلى فسادٍ وانحرافٍ خطيرٍ يصيب العرب ، كإشارة إلى بلاد المسلمين وعلامة عامّة من علامات عصر الظهور .

ففي رواية أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب ، فتناً كقطع الليل المظلم ، يُصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، يبيع قومٌ دينهم بعرض من الدنيا قليل ، المُتمسِّك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر – أو قال على الشوك –][2] .

وفي رواية أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : [يأتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر][3] . إذن الأمر منظور من خلال فِتَن وبلايا وسيطرة ثقافيّة شديدة الإنحراف وذات نفوذ بالغ على بلاد المسلمين . وضعف هائل في جانب جماعة أهل الإسلام إلا من قلّة قليلة ..

---

[1] م . س .

[2] أحمد : جـ ٢ صـ ٣٩٠

[3] الترمذي : جـ ٤ صـ ٥٢٦ بـ ٧٣ حـ ٢٢٦٠

وليس الأمر محصوراً في نفاقٍ وفسقٍ وضلال وفجورٍ ، بل في دمار وانهيارٍ وشرّ وهلع وخوفٍ ورعبٍ يصيب العرب وغيرهم من بلاد المسلمين . ففي رواية أم الحرير قالت سمعت مولاي يقول : قال رسول الله ﷺ : [إن مِن اقتراب الساعة هلاك العرب][1] .

يعني : حروباً ، وغزوات ، وقتل وسيطرة ، ونهب للثروات ، وكسر للعروش ، وتنصيب للعملاء والأتباع ، وتجويف لقيم الإسلام ، وسيطرة ذات بُعد عسكري . النصوص شديدة الصراحة في ذلك ..

وتؤكِّد مجموعة مختلفة من النصوصِ الآثار المميتة التي تقع على عاتق العرب والمسلمين الذين يشكون من انحرافٍ خطير ، فتنهال عليهم الأمم القويّة التي منها الروم (المسيحيّة الغربيّة) فضلاً عن حكّام يحلّلون الحرام ويحرِّمون الحلال .

ويمكنني في هذا المجال أن أستشهد بروايةٍ غير مسندة إلى النبيِّ ﷺ مباشرةً وفيها بعض الإضطراب بالمتن إلا أنَّ لسانَها غير بعيد من حيث المضمون الكلّي عن روايات آخر الزمان . فقد روى منذر الثوري – ولم يسنده إلى النبي ﷺ – فقال : [ويلٌ للعربِ من شرٍّ قد اقترب ، الاجنحة وما الاجنحة ؟ ألويلُ الطويلُ في الاجنحة ، (ريح فيها هبوبها ، وريحٌ تهيج هبوبها ، وريح تواحى تراخى هبوبها) ، ويلٌ للعرب بعد الخمس والعشرين والمئة ، من قتلٍ ذريعٍ وموتٍ سريعٍ ، وجوعٍ فظيعٍ ، يصبُّ عليها البلاء صبّاً ، فتكفر صدورها ، وتغيّر سرورها ، وتُهتك سُتُورها ، ألَا وبذنوبها (يظهر مراقها) ، وتُنزَعُ أوتادها ، وتُقطع أطنابها ، ويلٌ لقريش مِن

---

[1] تاريخ البخاري : ج ٤ صـ ٣٤٥ ٣٤٤ حـ ٣٠٧٢

زنديقها يحدث أحداثاً (يكذب بدينها) وينـزع منهـا هيبتهـا ، ويهـدم عليهـا جدرها (وتغلب عليها جنودها) ، وعند ذلك تقوم النائحات الباكيات ، فباكية تبكي على دينها ، (وباكية تبكي على دنياها) وباكيـة تبكـي مـن ذُلِّهـا بعـد عزِّها ، وباكية تبكي مِن جوع أولادها ، (وباكية تبكي مِن قتلِ ولـدانها فـي بطونها ، وباكيةٌ تبكى مِن استذلال رقابهـا) ، وباكيـة تبكـي مـن اسـتحلال فروجها ، (وباكيـة تبكـى مِـن سـفك دمائهـا) ، وباكيـة تبكـي خوفـاً مِـن جنودها ، وباكية تبكي شوقاً إلى قبورها][1] ..

النص صريح في حالة من الفتنـة الدمويّـة الضـخمة ، تجتـاح بـلاد العرب ، وتخصُّ منها مناطق بالـذات بقتـلٍ ودمـارٍ وسـفكٍ ونـار وإبـادة لا يقوى القلمُ على وصفها .. إنّها صفة ذات عمق شديد في التركيز على الإبادة والعدوان الهائل .

ويلحظ النصُّ وغيرهُ فعلة السفياني في مصر ، وفعلته في دمشـق ، وفعلته في العراق ومناطق أخرى .

كما تلحظ نصوصٌ أخرى فعلة الـروم فـي القتـل والإبـادة وتجييـر بعض الأنظمة للقتل والدمار والنار .. وفي قراءة ألفاظ الـنص مـا يهتـزُّ منـه القلب ، رحمةً لما يقع على بلاد العرب ومسلميها وناسها مـن سـفك الـدماء واغتصاب النساء واستحلال الفروج ، ونهب الثروات ، وذبح أطفال ، وهـدم العمارة ، حتى يتمنّى الأحياء أن يكونـوا بـدل الأمـوات فـي القبـور ..! وفـي رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : [ويلٌ للعـرب مِـن شـرٍّ قـد اقتـرب ،

---

[1] عبد الرزاق : جـ ١١ صـ ٣٥٢ حـ ٢٠٧٣٠

ينقص العلم ويكثر الهرج . قلت : يا رسول الله وما الهرج ؟ قال القتل][1] . يشيرُ النصُّ إلى نقصان العلم ، أي فقدان الفقهاء الملتزمين وعزلهم وإضعاف أمرهم لصالح آلهة الثقافة الغريزية وأرباب حكرة الأموال وحكّام أهل الجور والفساد المنحرفين الذين يعملون وكلاء للروم المتهتّكة صاحبة أخطر ثقافات الإبادة والتعرّي والخمرة وسفك الدماء والمقامرة بالأرواح ..!

وعليه : تشير النصوص إلى نوعين من الهرج والإضطراب : نوع يتّصل بقيم الحكّام الذين يحرّمون ما أحلَّ الله ويحلّلون ما حرّم ، ويخرجون بشدّة على الشريعة وفقه الإسلام وينهالون على الدنيا ، ويقيمون الشهوة والنزوة حدّاً ضرورياً في قيم مواثيقِهم ، ويُلزمون الجماعة على اتّباع مواثيقهم الجديدة تحت طائلة العقاب . وفي هذا المجال تشير رواية إبن أبي شيبة إلى ذلك - بسند آخر عن أبي هريرة - قال : [ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب : إمارة الصبيان ، إنْ أطاعوهم أدخلوهم النار ، وإنْ عصوهم ضربوا أعناقهم][2]. إشارةً وصفيّة إخباريّة عن مظهر الحكّام الصبيان الذين لا يفقهون شيئاً من ضرورات الحكم ومنطق السير بالجماعة نحو تكاملها الوجودي .

أمّا النوع الثاني فيتّصل بما يصير إليهِ أمرُ العرب وغيرهم من المسلمين من ذُلٍ وانهيارٍ وضعفٍ وهوانٍ مثير ، ثم فوضى وقتل وافتراس منتشر .. وإلى هذا تشير الروايات الواردة في معنى الذلِّ الذي يلاقيه العرب من الروم والترك وغيرهم من الأمم الأخرى ، فضلاً عن قتالهم بعضهم البعض ..

---

[1] أحمد : ج ٣ صـ ٥٣٦

[2] ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ٥٠ ٤٩ ح ١٩٠٨٣

إلا مِن أمّة مؤمنة ، أمّة ذات إعلان والتزام ظاهر وحقيقي بالإسلام والعترة النبويّة . أعني بذلك دولة خراسان ، التي تجاهر بانتماءها وولاءها وعملها بالإسلام . حتى أنّها تخوض مجموع معارك من أجل حماية خيارها الشريف هذا .

بين اليهود والمسلمين

ما يجدرُ الإلتفات له – في هذه العجالة – أنَّ النصوص الواردة في جبهة اليهود المفسدين زمن الغيبة ، وما يتَّصل بها حتى عصر الظهور ، في بعضِها تأكيد نهائي بنصرة فئة من المسلمين على اليهود . وبتعبيرٍ أوضح كما سنرى فيما بعد : يدخل الجيش الخراساني إيلياء أي القدس ، ثمّ يخرج منها بعد أحداثٍ جسام وتطوّرات هائلة ، وحروب تجوب منطقة الشرق الأوسط .

وتكون هزيمة اليهود الأخيرة على يدِ الإمام المهدي عليه السلام الذي يقتل الدجال إما مباشرةً أو عبر وزيرِ جبهة آل محمّد المسيح عليه السلام . وفي رواية ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : [يقاتلكم اليهود ، فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي ورائي فأقتله][1] .

وفي رواية عبد الله بن عمرو قال : [ينزل عيسى بن مريم عليه السلام ، فإذا رآهُ الدجال ذابَ كما تذوب الشحمة ، فيقتل الدجال ويتفرَّق عنه اليهود ، حتى أنَّ الحجر ليقول : يا عبد الله المسلم هذا عندي يهودي فتعال فاقتله][2] .

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٩٩ حـ ٢٠٨٣٧

[2] صـ ١٦٣

وفي رواية أبي هريرة انّ رسول الله ﷺ قال : [لا تقوم الساعة حتى يقتل المسلمونَ اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر أو الشجرة فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود][1] .

وهذا الحديث كما ترى ، مِن دلائل صدقِ رسولِ اللهِ وإعجازِهِ ﷺ . فقد أصبح لليهود كيان ومنطقة وأثر بدعمٍ من الروم الغربيين الذين يكيدون للعرب والمسلمين بشدّة ، في حين تجد المسلمين مهزومين أشدّ هزيمة أمام منطق اليهود وأسيادِهم .. وهذا من أخطر الأمور ، سوى دولة خراسان التي تبدو اليوم على نحوٍ من قوّةٍ ومجدٍ ربانيٍّ عظيمٍ ، رغم الضغوط والتهويل والحصار والجهد الذي يُصيب دولة خراسان بسبب الحصار التقني والعلمي والسياسي بل والإقتصادي .. والثابت في نصوص الفريقين أنَّ الذي يدخل إيلياء هو الخراساني الذي ينادي بالمهديّ ويتمسّك بدين الإسلام ويصرُّ عليهِ رغم الفساد العالمي الهائل ..

وكما في النص : فإنَّ لليهود شوكةً وقوّة تنهار أمام بطش الخراساني ، ثمَّ بعد دخول الخراسانيين إلى إيلياء (القدس) تبدو الأمور مختلفة ، وذلك من خلال بعض العرب بالإضافة إلى مهاجمة الروم ونزولهم الرملة في فلسطين ، ومهاجمة الترك من خلف إيران ودخولهم إلى بعض مناطق خراسان ، عندها يخرج الجيش الخراساني مِن إيلياء ويعود إلى بلادِهِ ويصمد ويقاتل الترك في ظل حرب ضارية . وكلمة الترك تُطلق على شعوب شرق آسيا بالإضافة إلى شعوب روسيا الإتِّحاديّة أو الإتِّحاد

---

[1] صـ ١٤٩ عن عبد الرزاق . وفي : صـ ٤١٧ أيضاً ..

السوفياتي السابق . وهي عبارة يُراد منها الترك غير المسلمين كما يبدو ، رغم أنّه يمكن ان تكون أوسع من ذلك فلاحِظ ..

ورغم المجهود الذي تبذله أكثر من دولةٍ وكيانٍ غربي وشرقي لهزيمة الخراسانيين فإنَّ الخراسانيين يثبتون في أرضِهم ثم يخوضون أكثر من معركة شديدة ويزحفون من أرضهم نحو العراق . ويخرجون في طلب المهدي عليه السلام .. وثمة رواية ضعيفة – لكن لها مؤيِّدات من متون غيرها – تقول : [وتشبُّ نارٌ بالحطب الجزل من غربي الارض ، رافعة ذيلها ، تدعو يا ويلها لرحلة ومثلها ؟ فإذا استدار الفلك ، قلتم مات أو هلك بأي وادٍ سلك ، فيومئذ تأويل هذه الآية : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦/١٧﴾ . فهذه الرواية تشير إلى أنَّ المرة الثانية وهي علو الاسرائيليين وكرتهم ، ولسوف تكون بمعونة غربية ، تمدهم بالمال والجيوش حتى يصبحوا اكثر نفيراً وجنداً . ولسوفِ تكون حرباً ضروسا ، كما يُفهم من لحن الرواية المشار إليها لو صحت . انّنا نشهد حروباً طويلةً صعبة .

مع التأكيد على أنَّ آخر ظهور نافذ لليهود يكون زمن الدجَّال الذي يقود فتنةً واسعة ، وينضمُّ إليه فول الروم بعد الهزيمة الهائلة التي تأكل منها طيور السماء ، والتي عبرها يقضي المهدي عليه السلام على مركز القرار للغرب المسيحي وقدراته في أعنف ملحمة ، وُصفت بأنّها من أعظم الملاحم .

ومن النصوص تبدو فتنةُ الدجال مثيرة ، حيث يكون على رأس جبهة اليهود . وفي بعضِها تُعتبر فتنة الدجَّال من أخطر الفتن . وفي رواية

أبي أمامة الباهلي قال : [ذكر رسول الله ﷺ الدجال ، فقالت أم شريك : فأين المسلمون يومئذ يا رسول الله ؟ قال : ببيتِ المقدس يخرج حتى يحاصرهم ، وإمام الناس يومئذ رجلٌ صالح (الإمام المهدي عليه السلام) فيُقَال : صلِّ الصبح ، فإذا كبَّر ودخل فيها نزل عيسى بن مريم عليه السلام ، فإذا رآهُ ذلك الرجل عرفه فرجع يمشي القهقري ، فيتقدَّم عيسى عليه السلام فيضع يده بين كتفيه ثم يقول : صلِّ ، فإنما أُقيمت لك ، فيُصلِّي عيسى وراءه ثم يقول : إفتحوا الباب فيفتحون الباب ، ومع الدجَّال يومئذ سبعونَ ألفاً يهود ، كلهم ذو ساج (ألبسة شتويّة) وسيف محلاً ، فإذا نظر إلى عيسى عليه السلام ذاب كما يذوبُ الرصاص وكما يذوب الملح في الماء ، ثم يخرج هارباً فيقول عيسى عليه السلام : إنَّ لي فيكَ ضربةً لن تفوتني بها ، فيدركه فيقتله ، فلا يبقى شيئ ممَّا خلق اللهُ تعالى يتوارى به يهودي إلا أنطقه اللهُ ، لا حجر ولا شجر ولا دابة إلا قال : يا عبد الله المسلم هذا يهودي فاقتله .. وتلقى الوليدة الاسد فلا يضرّها ، ويكون في الابل كأنه كلبها ، والذئب في الغنم كأنه كلبها . وتملأ الارض من الاسلام ، ويُسلب الكفار ملكهم ، فلا يكون ملك إلا الاسلام ، وتكون الارض كفاتورة الفضة (السبيكة الخالصة) فتنبت نباتها كما كانت على عهد آدم عليه السلام ، يجتمع النفرُ على القطف فيشبعهم ، ويجتمع النفر على الرمانة ، ويكون الثور بكذا وكذا من المال وتكون الفرس بالدريهمات][1] .

إذن آخر فتنة لليهود ، وآخر سطوة لهم تكون زمن الدجَّال . النص الوارد أعلاه قدَّم لنا نتيجة مختصرة عن الدجَّال وعن صلاة المهدي عليه السلام في القدس وخلفه عيسى بن مريم الذي ينزل من السماء ، وعن انهيار جبهة

---

[1] ابن حماد : صـ ١٥٩

الدجَّال وصولاً إلى قتله وتلاشي دولته . واللافت في النصّ أنّ المهدي وقيادته يكونون في القدس ، أي أنّ اليهود يكونون خارجه .

فيما تكون جيوش المهدي (عليه السلام) منتشرةً في بقاعٍ واسعةٍ من الشرق والغرب ، خاصّةً في ارض الروم التي اسقطتها في تلك الملحمة الموصوفة .

بعض النصوصِ تشير أنَّ المهدي (عليه السلام) هو الذي يقتل الدجّال ، وهي مرويّات كثيرة ، في حين تشير بعضُها انَّ المسيح (عليه السلام) هو الذي يقتل الدجال ، ولا خلاف أو تعارض بين النصوص ما دام انَّ المهدي هو وزير جبهة آل محمّد (عليهم السلام) .. نعم تكون فتنة الدجال خطيرةً ، خاصّةً انّها تأتي ضمن سلسلة من التطوّرات المختلفة ، وفي خفّةٍ من الدِّين وفسادٍ وانحرافٍ خطيرٍ وشبه ذلك .

وقد روى جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انَّهُ قال : [يخرج الدجال في خفقة مِن الدِّين ، وإدبار مِن العلم ، فله أربعون ليلة يسيحها في الارض ، أليوم منها كالسنة ، واليوم منها كالشهر ، واليوم منها كالجمعة (إشارة إلى سطوتِهِ ونفوذِ أيّامِهِ تلك) ، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه . وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً (إشارة مجازيّة إلى أدواتٍ متطوِّرة تكون بين يديه) ، فيقول للناس أنا ربكم ، وهو أعور وإنَّ ربكم ليس بأعور ، مكتوبٌ بين عينيه كافر « ك ا ف ر » مهجّاة يقرؤهُ كل مؤمن كاتب وغير كاتب . يرد كلَّ ماءٍ ومنهل ، إلا المدينة ومكة حرَّمَهُمَا اللهُ عليه ، وقامت الملائكة بأبوابها . ومعه جبالٌ من خبز والناس في جُهدٍ إلا مَن تبعه ، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه ، نهر يقول الجنة ونهر يقول النار ،

فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة ، قال : ويبعث اللهُ معه شياطين تكلِّم الناس ، ومعه فتنة عظيمة ، يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس (أي يسحر أعين الناس ، ويستغلُّ بعض الأنظمة الفاعلة) ، لا يسلط على غيرها من الناس ، ويقول : يا أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب عزوجل ؟ قال ، فيفرُّ المسلمون إلى جبل الدخان بالشام ، فيأتيهم فيحاصرهم ، فيشتد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً . ثم ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فينادي من السحر فيقول : يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث ، فيقولون : هذا رجل جنِّي ، فينطلقون ، فإذا هو بعيسى بن مريم عليه السلام ، فتقام الصلاة ، فيُقَال له : تقدَّم يا روح الله ، فيقول : لِيَتقدَّم إمامكم فلْيُصلِّ بكم ، فإذا صلَّى صلاة الصبح خرجوا إليه ، قال : فحين يرى الكذاب (الدجَّال) ينماث (يذوب) كما ينماث الملحُ في الماء ، فيمشي إليه فيقتله ، حتى أنَّ الشجرة والحجر ينادي يا روحَ اللهِ هذا يهودي ، فلا يترك ممَّن كان يتبعه أحداً إلا قتله][1] .

ومعلوم أنّ انتصار المهدي عليه السلام على الروم لا يعني إنهاء قوى الأرض ، فالدجَّال يشكِّل قوّةً بارزة بعد الروم . كما أنَّ معسكر يأجوج ومأجوج يعتبر هائل الضخامة . بل انّ الدجَّال يستفيد من بقايا قوى الروم وحلفاءها وتوابعها بالإضافة إلى اليهود - القادة لتلك الراية - فيخرج كما في بعض الروايات من بعض مناطق الإتّحاد السوفياتي . وعلى جسم قادته اليهود (سيحان) ألبسة شتويّة تدلُّ أنَّهم خارجون من أرضٍ شديدة البرودة . فيجتاح مناطق من بلاد الإسلام ، ويضرب بقوّتِهِ في أكثر من

---

[1] أحمد : ج ٣ ص ٣٦٧

منطقة ، ويكون له ظهور ودولة ونفوذ في ظلِّ أزمة تضربُ العديد من مناطق الإسلام عبر ندرة الماء وقلّة الناتج الغذائي وتوابع المعيشة ..

ويحاولُ الدجّال دخولَ المدينة ، لكنّه لا يستطيع ، وهو يريد من ذلك احتلال الأقطار الإسلاميّة والسيطرة على جبهة الإمام المهدي عليه السلام بل على مركز شكّل في وقتٍ ما مهدَ الظهور الخاص للمهدي عليه السلام . وقد ورد في رواية عمرو بن أبي سفيان الثقفي ، عن رجلٍ من الأنصارِ عن بعض أصحاب محمّد قال : ذكر رسولُ الله صلى الله عليه وآله الدجال ، فقال : [يأتي سباخ المدينة[1] ، وهو محرم عليه أن يدخل نقابها ، فتنتفض المدينة بأهلها نفضةً أو نقضتين ، وهي الزلزلة ، فيخرج إليه منها كل منافق ومنافقة ، ثم يولّي الدجال قِبَل الشام حتى يأتي بعضَ جبال الشام فيحاصرهم ، وبقية المسلمين يومئذ معتصمونَ بذروة جبلٍ من جبال الشام ، فيحاصرهم الدجال نازلاً بأصله ، حتى إذا طال عليهم البلاء قال رجل من المسلمين : يا معشر المسلمين ، حتى متى أنتم هكذا ؟ وعدوُّ اللهِ نازلٌ بأرضكم هكذا ، هل أنتم إلا بين إحدى الحسنيين ، بين أن يستشهدكم اللهُ أو يظهركم ؟ فيبايعون على الموت بيعةً يعلمُ اللهُ أنها الصدق من أنفسهم ، ثم تأخذهم ظلمةٌ لا يبصر إمرؤ فيها كفَّه ، قال : فينزل ابن مريم عليه السلام فيحسر عن أبصارهم ، وبين أظهرهم رجلٌ عليه لامته يقولون : مَن أنت يا عبد الله ؟ فيقول : أنا عبد الله ورسوله وروحه وكلمته عيسى بن مريم ، إختاروا بين إحدى ثلاث : بين أن يبعث اللهُ على الدجال وجنوده عذاباً من السماء ، أو يخسف بهم الارض ، أو يسلِّط عليهم سلاحكم ويكفّ سلاحهم عنكم ؟ فيقولون : هذه يا رسول اللهِ أشفى لصدورنا ولأنفسنا ، فيومئذ ترى

---

[1] (الارض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر)

اليهودي العظيم الطويل الاكول الشروب لا تقل يده سيفه من الرعدة ، فيقومون إليهم فيسلطون عليهم ، ويذوب الدجال حين يرى ابن مريم عليه السلام كما يذوب الرصاص ، حتى يأتيه أو يدركه عيسى فيقتله][1] .

سبق أن أشرنا إلى معاني هذه المتون وهي واضحة تماماً . يبقى أن نشير إلى : ماذا يُقصد من تعبير الشياطين .. ؟ هل يُراد من ذلك المعنى الحقيقي لتعبير شيطان ..؟ أم يُراد حِيَل وتقنيّة وسحر وزعامات لجبهاتٍ كبرى لديها من الوسائل في الدعاية والبطش والتدليس والإغواء ما يساعد الدجَّال ؟ الإحتمال وارد في كلا المعنيين ، إلا انّه غير بعيد أن يكون المراد هو الثاني وهذا ما سنراه بشكلٍ أوضح في النصوص الآتية ..

فقد ورد عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [بينما الشياطين مع الدجال يزاولون بعض بني آدم على متابعة الدجال ، فيأبى عليه مَن يأبى ، ويقول له بعضهم : إنكم شياطين ، وإن الله تعالى سيسوق إليه عيسى بن مريم عليه السلام بإيليا فيقتله ، فبينما أنتم على ذلك حتى ينزل عيسى بن مريم بإيليا (اسم للقدس) ، وفيها جماعة من المسلمين وخليفتهم (المهدي) بعدما يؤذِّن المؤذن لصلاة الصبح ، فيسمع المؤذن للناس عصعصة ، فإذا هو عيسى بن مريم عليه السلام ، فيهبط عيسى فيرحب به الناس ، ويفرحون بنزوله ، لتصديق حديث رسول الله صلى الله عليه وآله . ثم يقول للمؤذن : أقم الصلاة ، ثم يقول له الناس صلِّ لنا ، فيقول : انطلقوا إلى إمامكم فيصلي لكم ، فإنه نِعْمَ الامام ، فيصلِّي بهم إمامهم (المهدي) ، ويصلي عيسى معهم ..

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ ص ٣٩٧ ح ٢٠٨٣٤

فيسير بالناس حتى إذا رآه الدجال ماعَ كما يميع (. .) ويمشي إليه عيسى عليه السلام فيقتله بإذن الله تعالى ، ويقتل معه مَن شاء . ثم يفترقون ويختبؤن تحت كل شجر وحجر حتى يقول الحجر : يا عبد الله يا مسلم تعال هذا يهودي ورائي فاقتله ، ويدعو الحجر مثل ذلك ، غير شجرة الغرقدة (نوع من شجر الصحراء) شجرة اليهود لا تدعو إليهم أحداً يكون عندها ،

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفهموه وتَعُوهُ ، واعملوا عليه وحدِّثوا به مَن خلفكم . وليحدث الآخر الآخر ، وإنَّ فتنته أشد الفتن ، ثم تعيشوا (كذا) بعد ذلك ما شاء الله مع عيسى بن مريم][1] . أي في ظلِّ حكومة المهدي عليه السلام ، والنصوص كثيرة – لا تُحصى – التي تؤكِّد أنَّ سلطنة إدارة وقيادة الأرض تكون للمهدي عليه السلام . ويكون المسيحُ وزيرَ جبهته عليه السلام . وقد حذَّر النبيُّ صلى الله عليه وآله بشدّة من فتنة الدجّال ، ويبدو انّها من الفتن التي تطغى ، وتأتي ضمن سلسلة ما يواجهه المهدي عليه السلام .

ومعلوم انَّ عدّة جبهات تحاول القضاء على جبهة المهدي عليه السلام منها جبهة السفياني الذي يسطو ويقوى ، ويسيطر على الكُوَر الخمس وهي : الأردن ودمشق والشام وحلب وفلسطين . نعم لبنان من برِّ الشام . لكنّ السفياني لا يدخله بدلالة الروايات التي تؤكِّد صمود الأبدال في وجه جحافل السفياني .. وبتعبيرٍ أفضل : يسيطر السفياني على قسمٍ وفيرٍ من بلاد الشام وبرِّها بالمعنى التاريخي ، لكن يعصى عليهِ فئةٌ مؤمنة في هذهِ المنطقة تنادي بالمهديِّ وتعلن الطاعة له ، وهي ذات ولاء مُعلن

---

[1] ابن حماد : صـ ١٦٠

للخراساني .. ولا يدوم ملك السفياني أكثر من حمل إمرأة أي من تسعة أشهر . في حين يعمل طيلة هذهِ الفترة بشكلٍ هائلٍ في القتل والسفك والعنف الشديد فيذبح الأطفال والنساء والشيوخ وكل مَن يُعلن الولاء لآل محمّد في المناطق التي يسيطر عليها .

بل يطلب العراق – في جزءٍ من مشروعه – من أجل ذلك ، ويبدو من النصوص أنَّ العراق أو ناحية الكوفة بما تعنيهِ من إشارة إلى العراق تكون على نحوٍ من إعلان الولاية لآلِ محمّد والمناداة بالمهدي (عليه السلام) ، فما يكون من السفياني إلا أن يُرسل جيشاً جرّاراً يأمرهُ بقتل وذبح من يعلن الولاية لآل محمّد ..

ويتمّ القضاء على السفياني في عصر المهدي (عليه السلام) ، خاصّةً على يدِ الخراسانيين . في قوتٍ لم يظهر الدجَّال فيه بعد .

ويكون ظهور الدجَّال – حسب بعض النصوص بسنوات – بعد الملحمة التي تقع بين المهدي (عليه السلام) والروم .

وتتكوَّن جبهة الدجّال في الأصل مِن نخبة اليهود ، ومعهم من اصناف الناس ، وتشكِّل الروم سنداً لهذهِ الجبهة التي يصل الحدُّ مع الروم إلى نجدتِها والنزول في فلسطين حين يدخلها الجيش الخراساني ، بل يكون دخول الجيش الخراساني إلى إيلياء سبباً لهجوم الترك على أرض خراسان ، واضطراب منطقة ما يعرف اليوم بالشرق الأوسط ، خاصَّة في سوريا ومصر والأردن ولبنان والعراق والحجاز وتوابعها .. ويكون للدجال في أوَّل الأمر قوَّة ونفوذ هائل ، وسيطرة واسعة ، كما يكون بين يديه وسائل قتال ودعاية وقدرة شعوذة وسحر وتدليس ما يثير زوبعة واسعة .

ففي رواية أبي وائل قال - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - : [يخرج الدجال عدوُّ الله ومعه جنود من اليهود وأصناف الناس ، معه جنَّة ونار ورجال يقتلهم ثم يُحييهم (فيما يرى الناس) ، ومعه جبلٌ مِن ثريد ونهر من ماء . وإني سأنعت لكم نعته ، إنه يخرج ممسوح العين في جبهته مكتوب « كافر » يقرأه كلُّ مَن يُحسِن الكتاب ومن لا يحسن ، فجنّتُهُ نارٌ ونارُهُ جنَّة ، وهو المسيح الكذاب ، ويتبعه مِن نساء اليهود ثلاثة عشر آلاف إمرأة (إشارة إلى العدد التمثيلي ، بهدف الإغواء وإشاعة الفساد الأخلاقي) ، فرحم اللهُ رجلاً منع سفيهَهُ أن يتبعه ، والقوة عليه يومئذ القرآن ، فإنَّ شأنه بلاء شديد ، يبعث الله الشياطين مِن مشارق الارض ومغاربها فيقولون له إستعن بنا على ما شئت][1] .

ففي هذا النص إشارة توضيحيّة أفضل لتعبير شياطين ، ويبدو من الإستعمال هنا انَّ المقصود فيها دعم من الشرق والغرب مِن زعامات لجبهاتٍ قادرة وأدوات نافذة في الشعوذة والعنف والسحر والدعاية والإضطهاد والإحتلال (وسائل متنوِّعة) ، لديها من التقنيّة ما يساعد الدجّال في عمليّة الشعوذة والسطو والنفوذ .

كما انّنا نجد ضميمة هذا المعنى في تحرّك الشرق والغرب لنصرة جبهة اليهود حين يدخل الجيش الخراساني إلى إيلياء . من هنا يبدو واضحاً تفسير معنى شياطين في زعامات وأساطيل وأدوات الجبهات في الشرق والغرب الطاغية سواء كانوا كثراً أم غير ذلك ، لكنَّهم كما يظهر يكونون على نوعٍ واضحٍ من القوّة العالميّة .

---

[1] ابن حماد : صـ ١٥٤

بالإضافة إلى أنَّ الروايات سمحت ببيان أسماء مثل الروم والترك وبعض أنظمة عربيّة مثل الراية المغربيّة والسفياني وغيره الذين يساعدون اليهود ويضغطون حربيًّاً على جيش الخراساني للخروج من إيلياء (القدس) ، إلى درجة الإنزلات العسكريّة من قبل الروم في فلسطين وخوض الحرب ، ومهاجمة الترك لأرض خراسان ..!

ثمَّ هناك جبهة الترك الذين يكون لهم أثر واضح ونفوذ إقليمي واسع أو عالمي لكن دون الروم .. ورغم انّهم لا يكوّنون جبهةً واحدةً مع الروم إلا انّهم يتحالفون معهم في أكثر من قضيّة . منها قضيّة تحرير الخراسانيين للقدس ، في حين يختلفون معهم في قضايا أخرى ..

وسيكون للترك أثر واضح ، وتدخُّل في أكثر من قضيّة حساسة .. ويُراد من الترك بالأغلب الترك غير المسلمين ، وهذا التعبير يُطلق على شعوب شرق آسيا كما يطلق على شعوب الإتّحاد السوفياتي السابق وشعوب روسيا الإتِّحاديّة الآن .. وفي رواية عمار بن ياسر قال - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - : [علامة المهدي إذا انساب عليكم الترك ، ومات خليفتكم الذي يجمع الاموال ، ويستخلف بعده ضعيفٌ فيُخلع بعد سنتين مِن بيعته ، ويُخسف بغربي مسجد دمشق . وخروج ثلاثة نفر بالشام ، وخروج أهل المغرب إلى مصر ، وتلك أمارة السفياني][1] .

النص صريح في خرجة الترك ، ويكون مبدأها في اجتياح قسم من أراضي الخراسانيين ، ثمّ تسابقهم نحو العراق للسيطرة على كنزٍ جوفي (مال) ينكشف عنه الفرات ، وتقع هناك معركة من أعنف المعارك حيث

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٢

تختلف ثلاث رايات رئيسيّة : الترك والروم والسفياني ، فيقتل من كلٍّ مائة تسعة وتسعون ..! ولا يصل أحدٌ منهم إلى الكنز الجوفي ..!

ويشيرُ النص إلى أمرٍ آخر وهو موت العباسي البطّاش في العراق ، فإذا آل الأمر إلى آخر كان ضعيفاً ، ويتقاتل العباسيُّون على العرش . وهذا من علامات قرب ظهور المهدي عليه السلام .

أيضاً من علامات قرب الظهور تقاتل ثلاث رايات في الشام ، يكون منها السفياني الذي ينتصر على الباقين ويسيطر على عرش دمشق ، ويكون قبل ذلك خرجةٌ لراية المغربيين تدخل مصر لمواجهة النجباء المصريين الذين يخوضون أعنف المعارك مع الروم بعد هزيمة حاكم مصر الذي يفرُّ إلى الروم ويأتي بجيوشها .

نعم علامةُ انسياب الترك تكون قبل خروج السفياني في دمشق وهلاك العباسي في العراق . وفي ملاحم إبن المنادي : [علامة خروج المهدي انسياب الترك عليكم ، وأن يموت خليفتكم . رجلٌ ضعيف مِن بعده . وتلك إشارة خروج السفياني][1] .

ويكون خروج السفياني بدعم من الروم ، ثمَّ يوجِّه عنان جندهِ نحو العراق أثناء تقاتل العباسيين على العرش على أثر موت خليفتهم البطَّاش ..

على أنَّ وضع المنطقة يكون مضطرباً ، والفتن متنقِّلة ، والفوضى عارمة . وفي روايةٍ أخرى لإبن حماد جاء فيها : [إذا انسابت عليكم الترك ، وجُهِّزت الجيوشُ إليكم . مِن بعده رجل من بيعته ، وتخالف الروم والترك ،

---

[1] ملاحم إبن المنادي صـ ٤٤ كما في رواية ابن حماد الاولى بتفاوت يسير ، عنه ،

ويظهر الحروب في الارض ، وينادي منادٍ على سور دمشق : ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب . مسجدها حتى يخرُّ حائطها ، ويخرجُ رجلٌ أبقع ، ورجلٌ أصهب ، ورجلٌ مِن أهل بيت أبي سفيان[1] ، يخرج بكلب ويحصر الناس بدمشق . ويخرج أهل المغرب ينحدرون إلى مصر ، فإذا دخلوا فتلك أمارة السفياني . ويخرج قبل ذلك مَن يدعو لآل محمد ، وينزل الترك الجزيرة (العراق) وينزل الروم فلسطين ، ويقتل صاحب المغرب ، فيقتل الرجال ويسبي النساء ، ثم يرجع حتى ينزل الحيرة إلى السفياني].[2]

وفي رواية الداني : [يخرج ومعه كلب . ويقبل صاحب المغرب . ثم يسير حتى ينزل الجزيرة إلى السفياني][3] .

إذن الروايات تتحدّث عن وقائع تحصل في العراق وسوريا ومصر وكذا إيران ، وأطراف كُثُر منهم الترك والروم ، وفوضى عارمة ، وذلك يكون بعد تحرير القدس على يدِ الخراسانيين ثم انسحابهم منها بعد عمليات معقّدة ورايات مختلفة ..

وفي رواية غيبة الطوسي عن عمار بن ياسر قال : [دعوة أهل البيت نبيكم في آخر الزمان ، فالزموا الارض ، وكفّوا حتى تروا قادتها ، فإذا خالف الترك الرومَ ، وكثرت الحروب في الارض ، ينادي منادٍ على سور دمشق : ويلٌ لازم من شرٍّ قد اقترب ، ويخرب حائط مسجدها][4] .

---

[1] - كلّهم يطلب المُلك -

[2] عقد الدرر : صـ٤٦ بـ ٤ فـ ١

[3] م . س .

[4] : صـ٢٦٨

ففي هذا الحديث إشارة إلى الأمور التالية :

- إنسياب الترك على بعض بلاد الإسلام ، منها منطقة الجزيرة ، أي العراق ، بعد انسيابهم إلى قسمٍ من اراضي إيران على أثر دخول الجيش الخراساني إلى إيلياء (القدس) .
- موت خليفة : (موت العباسي البطَّاش في العراق) .
- تعيين رجل ضعيف خلفه ، يُخلع بعد سنتين .. وهو لا يقوى على الحكم ولا على جباية الأموال كإشارة إلى ضعف سلطانه ، ثم يكون اختلاف بين العباسيين أنفسهم على المُلك وبذلك يبدأ أعظم الوهن في دولتهم ..
- تجهيز الجيوش لغزو هذهِ المنطقة ، بل ربَّما للأشمل منها ، كما قد يستفاد من غيرِهِ من النصوص ..
- مخالفة الروم والترك ، الإختلاف حول ثروة قرقيسيا التي تقع في أرضٍ مشتركة عراقيّة – سوريّة .
- نشوب الحروب في الأرض ، أي في أكثر من منطقة ، ومنها منطقة الجزيرة ، أي في العراق ، ونواحيها قطعاً خاصّة سوريا ..
- أزمة محدّدة في دمشق . وربّما الأزمة أوسع من دمشق ، بل يستفاد من النصوصِ شمولها للأقطار الأوسع ، لكنّ هناك ارتباط بين دخول الترك للجزيرة أي للعراق ، والمنادي الذي ينادي « ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب » فتنة كبيرة ، وشرّ داهم ، وحروب لا بدّ منها ، وغزو تسفك الدماءُ على أثرِهِ .. وآثار أوسع من احتلال الحزيرة (العراق) ..
- تعبير يخرُّ حائط مسجدها (مسجد دمشق) إشارة إلى أثرٍ مدمِّرٍ ، والثابت في الروايات أنّ خللاً يصيب الملك هناك . وفي الرواية

يخرج أكثر من شخص في فتنةٍ كلهو الصبيان - كلّهم يطلب المُلك - : رجل أبقع ، ورجل أصهب ، ورجل من أهل بيت أبي سفيان ، يخرج بكلب ، ويحصر الناس بدمشق (ظهور السفياني) .. وتتطور الأمور على نحوٍ ينذر بأزمةٍ خطيرةٍ جداً في ظلّ انجرافٍ هائلٍ وجيوشٍ مُجهَّزةٍ للغزو والحرب ما يدفع منادي لينادي على سور دمشق ويل للعرب من شرّ قد اقترب ..! يحذِّر العرب من النار والدمار ..!

- قبل الإختلاف على المُلك في دمشق يخرج أهل المغرب ، وفي بعض الروايات إشارة إلى راياتهم الصفراء ، فينحدرون إلى مصر ..! لمناصرة حاكم مصر الذي عُزِل عن مُلكهِ فقصد الروم وجاء بجيشها لمقاتلة نجباء مصر الإماميين . وهذهِ لا بدَّ من الإشارة لها ، لأنَّ الأمر يتعلّق بجيوشٍ غازيةٍ تحيل المنطقة من مصر إلى الجزيرة بكلِّ أبعادِها إلى منطقة اضطراب وحرب ..! فإذا دخلوا أي أهل المغرب فتلك أمارة السفياني ..

- الملفت انّه يخرج في مصر قبل ذلك مَن يدعو لآل محمد ، أي ثورة النجباء التي تكاد أن تستلم الحكم ، لكنّ الجيوش المناصرة للسفياني تقضي على تلك الراية المنادية بآل محمّد ..

- في ظلِّ هذهِ الأجواء ينزل التركُ الجزيرة (العراق) وينزل الروم (الغرب المسيحي) فلسطين ..! ويقتل صاحب المغرب ، فيقتل الرجال ويسبي النساء ، ثم يرجع حتى ينزل الحيرة إلى السفياني .. أي يشكِّل عمليّة دعم للسفياني الذي يعود متنصِّراً ، فيعدو على الملك بدعم الروم فيحكم الكور الخمس مدّة ٩ أشهر إلا منطقة أبدال الشام . والمثير أنَّ هذهِ الجبهات من مصر وصولاً إلى

الجزيرة يشكّلون خط جبهات . ففي رواية رواية الداني جاء : يخرج ومعه كلب . ويقبل صاحب المغرب . ثم يسير حتى ينزل الجزيرة إلى السفياني . إشارة إلى مسرح الأحداث المثير في دمشق والجزيرة ومصر والنواحي تلك ..

ويبدو أنَّ تغيُّراتٍ جبَّارة متسارعة تطرأ ، يكون على أثرها خروج المهدي عليه السلام ، ومعلوم أنَّ زمن المهدي والسفياني في عامٍ واحدٍ ، يخرجان كفرسي رهان ، هذا ينتصر على ما عندهُ من جبهة ، وهذا ينتصر على ما عندهُ من جبهة ، لكن ضمن خصوصيّات سنشير إليها فيما بعد إن شاء الله تعالى .. على أن تتذكَّر أنَّ للمهدي ظهورين : خاص ويدوم لأشهر ، وعام . الأوَّل يكون في المدينة ، والثاني يكون في مكَّة .

ويظهر واضحاً أنَّ من علامات إمارة السفياني وخروج المهدي عليه السلام هذهِ الصورة المعقّدة من الأحداث التي تتداخل فيها جبهة الروم مع الترك مع الراية المغربيّة مع اختلاف الأصهب والأبقع والسفياني وخروج راية تنادي بآل محمّد في مصر ، بل خروج اليماني في صنعاء الذي ينادي بحكم آل محمّد والنصرة للمهدي عليه السلام ، وصولاً إلى غزو الجزيرة ودخول مصر ، وانسياب الراية المغربيّة إلى مصر ، ومن ثم إلى الجزيرة ..

لا شكّ انّها أحداث تدلُّ على الإضطراب الأضخم الذي يحصل ، والذي يخرج على أثرِهِ الإمام المهدي عليه السلام ..

وفي رواية عمار بن ياسر قال : [إنَّ دولة أهل بيت نبيكم في آخر الزمان ، ولها أمارات ، فالزموا الارض وكفّوا حتى تجيئ أمارتها ، فإذا استثارت عليكم الروم والترك ، وجُهِّزَت الجيوش ، ومات خليفتكم الذي

يجمع الاموال ، واستُخلِفَ بعده رجل صحيح (ضعيف) ، فيُخلَع بعد سنين مِن بيعته ، ويأتي هلاك ملكهم مِن حيث بدأ ، ويتخالف الترك والروم ، وتكثرُ الحروب في الارض ، وينادي منادٍ من سور دمشق : ويلٌ لأهل الارض من شر قد اقترب ، ويُخسَفُ بغربي مسجدها حتى يخرّ حائطها ، ويظهر ثلاثة نفر بالشام كلُّهم يطلب المُلك : رجل أبقع ، ورجل أصهب ، ورجل من أهل بيت أبي سفيان ، يخرج في كلبٍ ويحصر الناس بدمشق ، ويخرج أهل الغرب إلى مصر ، فإذا دخلوا فتلك أمارة السفياني ، ويخرج قبل ذلك من يدعو لآل محمد ﷺ ، وتنزل التركُ الحيرة ، وتنزل الرومُ فلسطين ، ويسبق عبدُ الله عبدَ الله حتى يلتقي جنودهما بقرقيسا (منطقة في المثلَّث التركي العراقي السوري) على النهر ، ويكون قتالٌ عظيم . ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ، ثم يرجع في قيس حتى ينزل الجزيرة السفياني ، فيسبق اليماني ، ويحوز السفياني ما جمعوا ، ثم يسير إلى الكوفة ، فيقتل أعوان آل محمد ﷺ ، ويقتل رجلاً مِن مسميهم . ثم يخرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح ، وإذا رأى أهلُ الشام قد اجتمع أمرها على ابن سفيان فالحقوا بمكة (إشارة إلى المهدي عليه السلام) ، فعند ذلك تُقتل النفس الزكية وأخوه بمكة ضيعةً ، فينادي منادٍ من السماء : أيها الناس إنَّ أميركم فلان (محمَّد ابن الحسن) وذلك هو المهدي الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً][1] .

وعليه : ما أشار إليه هذا النص هو الأمور التالية :

١. ظرف عالمي معقّد جداً يثير الروم والترك .

---

[1] وفي : صـ ٢٧٨ قرقارة ، عن نصر بن الليث المروزي ، عن ابن طلحة الجحدري قال : حدثنا عبد الله بن لهيعة ، عن أبي زرعة ، عن عبد الله بن زرين ،

٢. يتخالف الروم والترك حول قضيّة محدّدة تكون ضمن ما نطلق عليه اليوم منطقة الشرق الأوسط ، بدءاً مِن العراق وصولاً إلى مصر وإيلياء (القدس) ..

٣. يتمّ اكتشاف ثروة جوفيّة لها قيمة ضخمة في منطقة قرقيسيا (في المثلّث العراقي السوري التركي) .

٤. على الأثر تتجهَّز الجيوش ، وتتوسَّع نواة الجيوش إلى الحلفاء ، ويبدو العالم على نحوٍ من حربٍ واسعة ، ويعمّ الإضطراب مناطق مختلفة من العالم ، وتقع أعنف ملحمة في منطقة قرقيسيا تكون فيها رايات كثيرة ، أهمّها ثلاث : الروم والترك والسفياني .

٥. موت خليفة مفاجئ (العباسي في العراق) ، يكون لموتِهِ أثر في تسريع وتيرة الأحداث هناك ، خاصّة أنّ الذي يخلفه ضعيف فيُعزَل بعد سنتين وتقع معارك خلافيّة على الملك .

٦. مع تخالف الروم والترك تكثُر الحروب في الأرض ، ومنها أزمة عنيفة تجتاح دمشق ، التي يختلف فيها ثلاثة رجالٍ على المُلك ، الأصهب والأبقع والسفياني ، فينتصر السفياني بقبيلة كلب ويحصر الناس في دمشق بدعمٍ من الروم .. وبسبب تطوُّر الأحداث وتوسُّع رقعة الإضطراب ودخول الجيوش الحرب من أقطارٍ وبقاعٍ عالميّة مختلفة ينادي منادٍ عند سور دمشق ويلٌ لأهل الأرض ، وقد ورد هذا اللفظ هكذا في هذه الرواية . أي أنَّ شرَّ تلك الفتنة الدمويّة يهدّد بالإضافة إلى العرب العالم وناس الأرض ، ربما لفداحة تلك الحرب ، والأسلحة التي تستعمل فيها ..

٧. وتتوسَّع الأزمة من خلال جيشٍ يحمل الراية المغربيّة فيدخل مصر ليقاتل راية تخرج في مصر تنادي بنصرة وولاية آل محمّد لا

تستطيع الروم القضاء عليها ، وتظل هذه الراية ثابتة حتى دخول السفياني إلى مصر بإيعازٍ من الروم أيضاً .

٨. وعلى أثر الحروب والأحداث المتطوّرة والمتوسّعة تنزل التركُ الحيرة ، وتنزل الرومُ فلسطين .. وهذا إشارة إلى رقعة العنف والإضطراب الواسع الذي يجتاح هذهِ المنطقة في العالم خاصّةً إذا أضفنا إلى ذلك دخول الخراسانيين إلى منطقة الأحداث لفتح إيلياء أي بيت المقدس ..

٩. تكون وقعة قرقيسيا مفصلاً رئيسيّاً ، حيث تختلف ثلاث رايات رئيسيّة ورايات فرعيّة ، كلٌّ قتلاهم في النار ، ويسبق عبدُ الله عبدَ الله حتى يلتقي جنودهما بقرقيسا على النهر ، ويكون قتال عظيم . ويسير صاحب المغرب فيقتل الرجال ويسبي النساء ، ثم يرجع في قيس ، حتى ينزل السفياني الجزيرة بحيث يتابع فيها قتال سلفِهِ بعد إحكام سيطرته على عرش دمشق .. وتكون وقعة قرقسيا حدّاً فاصلاً وحدثاً تاريخيّاً تختلفُ فيهِ راية السفياني مع راية الترك والروم ، فينتصر عليهما في تلك الوقعة الضخمة .. ويكون الخلاف على مالٍ جوفي ينكشفُ عنه الفرات ، وتتقاتل عليهِ أهل الشرق والغرب ، وفي بعض الروايات ورد بلفط مال وفي بعضِها الآخر ورد بلفط جبل من ذهب ، أي مال مهمّ جدّاً يدفع هذهِ الرايات إلى التنافس الهائل عليه وفق منظار الصراع الشديد على النظام العالمي وظروفِهِ المختلفة ..

١٠. مع تطوّر الأحداث يخرج من أرض اليمن اليماني الذي ينادي بولاية آل محمّد ، ما يعني تغيّراً هائلاً في خريطة الأحداث ، ويسابق الراية المغربيّة لدخول الجزيرة أي العراق ، فيسبقه إلى ذلك

صاحب المغرب إلى جانب السفياني الذي يدخل الكوفة ، فيقتل أعوان آل محمد ويعمل بهم ذبحاً وتقتيلاً ويصيِّر عليهم العذاب .. ثم يقع حدث قتل النفس الزكيّة وأخوه في مكّة .. وأمام هذا المفصل الرئيسيِّ تأتي الصيحة من السماء : أميركم فلان ، المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً .. وتُقتل النفس الزكيّة وأخوه في مكّة .. وبوقتٍ قريب جدّاً تتغيَّر الخريطة في موازين القوى ، وتتحوَّل مجموعة من العناوين ، في ظل عالم فوضوي يعاني من الإضطراب والفتن وسفك الدماء ..

وفي رواية أرطأة قال - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - : [إذا اجتمع الترك والروم ، وخسف بقرية بدمشق ، وسقط طايفة من غربي مسجدها رفع بالشام ثلاث رايات : الابقع (الذي في وجهه بقع) والاصهب (الاصفر الوجه) والسفياني ، ويحصر بدمشق رجل فيقتل ومن معه ، ويخرج رجلان من بني أبي سفيان فيكون الظفر للثاني ، فإذا أقبلت مادَّة الابقع (أنصارُهُ) من مصر ظهر السفياني بجيشه عليهم ، فيقتل الترك والروم بقرقيسيا حتى تشبع سباع الارض من لحومهم][1] .

أهميّة هذه النصوص أنّها تؤكِّد انفراط التحالف بين قوى بارزة ، مثل المعركة التي تقع بين الروم والترك ، والإنقلاب السفياني على الروم الذين يدعمون انقلابه لإحكام سيطرته على عرش دمشق . وذلك بسبب الخلاف على مال قرقيسيا ..! ويجب الإلتفات إلى انَّ الروم والترك تزجُّ بجيوش الحلفاء أيضاً في هذهِ الحرب ، ويكون العالم على نحوٍ فوضويٍّ

---

[1] ابن حماد : صـ ٧٦

خطير .. وقد ورد في رواية أبي قبيل ، عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ : [تخرج الروم في الملحمة العظمى ، ومعهم الترك وبرجان (قوم ورد ذكرهم في حروب المسلمين مع البزنطيين) والصقالبة أهل جزيرة صقلية (الجزيرة الايطالية المعروفة وكانت مملكة ذات دور في الحملات الصليبية وقبلها ، ولكنه يطلق في صدر الاسلام على سكان بعض مناطق آسيا التركية)][1] .

كما ورد في أكثر من متن إشارة إلى مشاركة راية المغربي وراية المرواني وراية العباسي وغيرها في تلك الحرب ، ما يعني صِدَاماً عالميّاً أوسع من تلك المنطقة ، لكنّه يتجلّى بأسوأ ملحمة في منطقة قرقيسيا . في تلك المعركة « الملحمة » يموت من كلِّ مائة تسعةٌ وتسعون ..!

ألفاظ النصوص تشير إلى حدّة الحرب وتوسُّعِها ، واختلاف الجيوش فيها ، بل انخراط العالم السياسي في إدارتِها ودخول التقنية هذهِ الحرب بشكلٍ عنيف لإحكام الغزو والإحتلال .

ففي رواية ابن مسعود قال : [كأني بالترك قد أتتكم على براذين مجذمة الآذان[2] ، حتى تربطها بشط الفرات][3] - إشارة شديدة الدقّة إلى أدوات الحرب البحريّة التقنيّة ، أي إلى الزوارق والمعدّات الحربيّة البرمائيّة . فضلاً عن النصوص التي تتحدَّث عن الأجنحة ، وأنَّ الويل فيها ، وفي طائفة ثالثة أنَّ الطائر يرمي عليكم وعليهم إشارة إلى أدوات حرب جويّة ..

---

[1] ابن حماد : صـ ١٩٢

[2] براذين مجذمة الآذان : بغال قطعت أطراف آذانها

[3] عبد الرزاق : جـ ١١ صـ ٣٨٠ حـ ٢٠٧٩٨

ويبدو واضحاً من النصوص أنَّ الحرب تكون على نحوٍ توسّعيٍّ ، تجتاح أكثر من منطقةٍ في العالم خاصّة بلاد العرب ومنطقة المسلمين ، وتعبير المنادي على سور دمشق : ويلٌ للعرب مِن شرٍّ قد اقترب ، إشارة إلى الخطر الهائل الذي ينتظرهم مِن الروم والترك وحلفاءهما ،

ويبدو أنَّ النداء عبارة عن صوتٍ يبثُّ عبر الأثير بحيث يسمعه العربُ والعالم . خاصَّةً انَّ الشرَّ الذي يحدق بهم يكون منصبّاً أيضاً على سوريا والعراق ومصر وفلسطين وغيرها من تلك البلاد .

ففي الرواية عن إبن مسعود قال : [إذا ظهر الترك والخزر بالجزيرة (العراق) وآذربيجان ، والروم (المسيحيَّة الغربيّة) بالعمق وأطرافها (اسم مكان في منطقة حلب وقد يُجمع ويُطلق على أعماق بلاد الشام وفلسطين بمعنى داخلها مقابل ساحلها) ، قاتل الرومَ رجلٌ مِن قيس مِن أهل قنسرين . والسفياني بالعراق يقاتلُ أهل المشرق ، وقد اشتغل كلّ ناحية حذو (كذا) ، فإذ قاتلهم أربعين يوماً ولم يأتيه (كذا) مدد ، صالح الروم على أن لا يؤدي أحد الفريقين إلى صاحبه شيئا][1] .

واضح أنَّ الرواية تشيرُ إلى معالم جديدة ، إضافيّة أو تتمّة ، لكنها جديدة في كشف جزء مِن خريطة الصراع آنذاك . وتفيدنا هذه الرواية بالأمور التالية : تدخُّل رومي عسكري مباشر في سوريا والأطراف ، تدخُّل تركي عسكري مباشر في الجزيرة ، في حين يكون السفياني قد دخل الجزيرة وعاونه بذلك صاحبُ المغرب ، وبعدما ينتهي من انتصارِه ذاك يتوجَّه لحرب الخراسانيين أهل المشرق ، وبضميمة غيرها من النصوص

---

[1] ابن حماد : صـ ٥٩

تبدو الصورة قاتمةً ومثيرة ، وكلُّ الأجواء تشير إلى عناء يعانيه أهل المشرق آنذاك إلا أنّهم لا يُهزمون ، وتكون لهم أكثر من وقعةٍ تدلُّ على صلابتِهم وثباتِهم بل على قدرتِهم الهائلة في هذا المجال ، بل امتلاكهم وسائل قتاليّة تشير إلى قدرتِهم على اختراق الحصار ومجموعة من الكيانات بل واحتلال بيت المقدس قبل ذلك ..

وفي النهاية تكون بينهم وبين السفياني أمُّ المعارك ، ينتصرون فيها نصراً مذهلاً على جيش السفياني في منطقة اصطخر الإيرانيّة ..

وعن زحف الخراسانيين ؟ وهو أولى معالم التمدُّد الخراساني ؟ فإنّه يبدأ بحقٍّ هو لأهل المشرق يطلبونه فلا يُعطونه مِن قبل قوى بارزة في المجتمع الدولي ، فيطلبونه فلا يعطونه ، فيضعون سيوفهم على عواتقِهم وينتزعون حقّهم بالقوّة ، عند ذلك يُعطَون هذا الحق فلا يضعون سيوفهم حتى يسلِّموا الراية إلى المهدي عليه السلام وتقع تلك الأحداث التي سنشير إليها بالتفصيل إن شاء الله ..

وقد أشار العديد من العلماء أنَّ روايات الترك تحقّقت فيما مضى ، وأنَّ النصوص واضحة الانطباق على غزو الترك المغول لبلاد المسلمين ، وقد كانت معروفة عند المسلمين قبل حملة التتار في القرن السابع الهجري ، وهي مِن معجزات النبي صلى الله عليه وآله في كشف الحائق بالزمن البعيد . وهي وغيرها تدل على أنَّ إسم الترك يطلق على كل شعوب شرق آسيا بمن فيهم الروس الفعليين . أما الترك المسلمين مثل أتراك تركيا وإيران فلا تعنيهم الاحاديث الواردة عن تحرك الترك ضد المسلمين وضد الامام المهدي عليه السلام لانها تنص على أن أولئك كفار أعداء للمسلمين ..

أقول : هذا التوجيه ممكن لكنّه ليس نهائيّاً . وبقراءةٍ أدقّ ، فإنّ انسياب الترك يُلحَظ بأمرين : الأوّل انسيابهم نحو قسمٍ من الأراضي الإيرانيّة ، والثاني انسيابهم نحو العراق ، ثم وقوع معاركهم مع الروم والسفياني ، وهذا كما ترى من علامات الظهور ، والسفياني لا يفصله عن ظهور المهدي عليه السلام العام إلا أشهر ، ما يعني أنّ الحدث لم يقع بعد .

أمّا الروم ، فإنّهم فئةٌ أخرى ، لهم من الشأن والقدرة العالميّة النفوذ الواضح ، هذا ما تشير إليه النصوص ، بل تقوم الساعة ، أي ظهور المهدي عليه السلام والروم أكثر الناس .. والروم تعبير يُراد منه الإشارة إلى جبهةٍ غربيّةٍ مسيحيّةٍ نافذة جدّاً في المجال العالمي ، هذه الروم تتعرّض بشكلٍ شديدٍ للمسلمين وثرواتِهم ونُظُمِهم وتعمل على دحض قوتِّهم واستعمار أرضهم وبشرهم والسيطرة على أنظمتِهم السياسيّة . النصوص واضحة في ذلك .

ففي رواية عبد الرحمن ابن جبير أنّ المستورد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : [أشد الناس عليكم الروم ، وإنما هلكتهم مع الساعة][1] .

يبدو لي أنّ الروم تكون على رأس النظام الدولي ، وصاحبة الرقم الأوّل في هرم النظام العالمي آنذاك . وفي رواية أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : [لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ الامم والقرون قبلها (تسلك مسلكها) شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ . قالوا : يا رسول الله ، كما فعلت فارس والروم ! قال صلى الله عليه وآله : وهل الناس إلا أولئك][2] . وكذا وردت في

---

[1] أحمد : ج ٤ صـ ٢٣٠

[2] أحمد : ج ٢ صـ ٣٢٥

لسان أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ انّه قال : [لَتتّبِعُنَّ سُنَنَ مَن كان قبلكم شبراً شبراً ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا حجر ضبٍّ تبعتموهم . قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال ﷺ : فمن !][1] . تأكيداً لذلك .

وبسند آخر عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ قال : [.. لتركَبُنَّ سُنَن مَن كان قبلكم شبراً . حتى لو أنَّ أحدهم دخل حجر ضبٍّ دخلتم ، وحتى لو أنَّ أحدهم ضاجع أمه بالطريق لفعلتم !][2] .

وفي لفظٍ آخر : [.. حتى لو أنَّ أحدهم جامع إمرأته بالطريق لفعلتموه][3] .

وألفتُ هنا إلى انَّ النبي ﷺ حدَّثنا عن أنَّه في آخر الزمن تشيعُ ظاهرة تربية الكلاب وتفضيلها على الأطفال ..! كما تشيع فاحشة الزنى ، وأنّها تحصل في أماكن مكشوفة ، ومطارح ظاهرة ..! دون خجلٍ أو ذعر ، بل تشكِّل قيمةً شديدةَ الظهور والشياع والإحترام القانوني ..!

وبضميمة الفعل والأحوال يكفي أن نتأمَّل هذهِ النصوص والنموذج الذي عليه المسلمون الآن حتى نجد صورةً متطابقةً مخيفة . حتى أنَّ العفاف الذي كان من اشهر ميّزات الفتاة المسلمة أصبح أثراً بعد عين ، وها هي فتيات المسلمين يفتخرنَ بالزنا والسفور والتعرّي والصداقة الجنسيّة فضلاً عن الخيانات الزوجيّة والإتِّجار الجنسي وغيره . حتى أصبح التعرّي والسفور والإغواء الجنسي والإباحيّة صفة المرأة أينما حلّت ..!

---

[1] . الكنى والاسماء : ج ٢ صـ ٣٠

[2] م . س .

[3] م . س .

أمَّا من جهة ما عليه أحوالُ المسلمين ؟ يكفي أنَّ ما أشار إليهِ النبيُّ ﷺ من تداعي الأمم عليهم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتِها ، ينطبق على أحوال المسلمين بشكلٍ هائلٍ وشديد ، حتى أنَّ ثروات أرضهم الجوفيّة التي تُعتبر من أعظم وأهم ثروات الدنيا أضحت مُلكَ بورصة المستعمر بجحافل الحرب وطغيان الإقتصاد وقاطرات المال والأسواق ..

وللروم أثر شديد على المسلمين كما يبدو من النصوص ، ويخرج المهديُّ عليه السلام ولهم الأثر الكبير في العالم ، بل لا تقوم الساعة أي ساعة خروج المهدي إلا والروم أكثر النَّاس ..

وفي رواية عوف بن مالك الاشجعي قال : قال رسول الله ﷺ : [أعدد يا عوف ستَّاً بين يدي الساعة : أوَّلُهُنَّ موتي – قال : فاستبكَيتُ حتى جعلَ رسولُ الله ﷺ يُسكتُني – ثم قال : والثانية : فتحُ بيتِ المقدس ، والثالثة : موتَان يكون في أُمتي كقعاص الغنم ، والرابعة : فتنةٌ تكون في أُمتي ، قال[1] : وعظَّمَهَا . والخامسة : يفيض المالُ فيكم حتى يُعطى الرجل المايةَ الدينار فيتسخّطها ، والسادسة : هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر (الروم) ثم يسيرون إليكم فيقاتلونكم والمسلمون يومئذ في أرض يُقال لها « الغوطة » في مدينة يقال لها دمشق][2] .

وفي لفظٍ تفصيلي بنفس المصدر عن عوف بن مالك قال : قال لي رسول الله ﷺ وفيه : [.. ستٌّ بين يدي الساعة : أوَّلُهُنَّ موتُ نبيكم ﷺ .. والثالثة موتٌ يقع فيكم . والرابعة فتنة بينكم لا يبقى بيتٌ من العرب إلا

---

[1] أي : عوف بن مالك الاشجعي

[2] الحميدي : على ما في سند البخاري ، ودلائل النبوة . * ابن حماد : صـ٧

دخلته ، والخامسة هدنةٌ بينكم وبين بني الاصفر ، فيجتمعون لكم عدد حمل المرأة تسعة أشهر][1] .

تمامُ النصِّ يُشيرُ إلى جوعٍ وخوفٍ وفتنٍ وموت ، وكثرة هرج ومرج ، وظروف معيشة قاسية ، وغلبة تكون على المسلمين ، ورعب يدخل بيوتهم ، وأهوال متمادية ، إلا من أمّة خراسان التي تصمد وتصبر رغم الجهد الذي ينالها ، وتكون هذه الأمّة شديدة البأس ، عظيمة التمسُّك بدينها ، لديها مِن وسائل الحرب ردعاً وصدماً ما يكفي لإعلانها دولة إقليميّة ذات نفوذ كبير ..

ويؤكِّد أكثر من نص على فتنة عسيرة ، ذات أثرٍ بالغٍ على العرب والمسلمين ، على أنَّ الفتن متعاقبة ، لكن واحدة منها تقع ثم يعقبها صلحٌ مع الروم . ففي لفظ عوف قال : قال لي رسول الله ﷺ : وفيه : .. ثم فتنةٌ تقع فيكم لا يبقى بيتٌ عربيّ إلا دخلته ثم تصالحكم الروم . قال حذيفة : فتح لرسولِ الله ، فتحٌ لم يفتح له مثله منذ بعثه الله تعالى ، فقلت له ، يهنيك الفتح يا رسول الله ، قد وضعت الحرب أوزارها . فقال ﷺ : هيهات هيهات ، والذي نفسي بيده إنَّ دونها يا حذيفة لخصالاً ستاً : أوَّلُهُنَّ موتي . ثم ساق قصة طويلة .. السادسة فيها : معركة كبرى للمسلمين مع الروم ، قال في آخرها : [فعند ذلك يا حذيفة تضع الحرب أوزارها ، فيعيشون في ذلك ما شاء الله ، ثم يأتيهم من قبل المشرق خبر الدجال أنه قد خرج][2] .. يبدو من مجموع نصوص أنَّ الصلح الأخير يكون بين الروم والمهدي عليه السلام ، وأنّه بعد الملحمة العظمى - هكذا وصفتها النصوص - بين جيش المهدي والروم

---

[1] م . س .

[2] م . س .

بسنوات يخرج الدجَّال . نعم يأتي خبر للمسلمين وهم في ساحة المعركة مع الروم بعد الإنتهاء من فتح رومية أنَّ الدجَّال قد خلفكم في ذراريكم فيكون خبراً كاذباً . لكنّه يشيرُ إلى معالم الدجَّال وحرب نفسيّة إعلاميّة ربّما تضغط لتفويت إنتصار المسلمين على الروم أو زعزعة الأمر عليهم لإعادة تحصين ما بقي من فلول الروم .

مع الإشارة إلى أنَّ الهدنة تتكرَّر بين المسلمين والروم قبل ظهور المهدي عليه السلام ، وفي الهدنة الأخيرة يكون الصلح بين المهدي والروم وحين تتمرَّد الروم تكون الغلبة للمهدي عليه السلام .

ويُفهم من مجموع روايات الحديث أنَّ الهدنة الاخيرة التي تكون بين المسلمين والروم ، تكون بعد فتنة طويلةٍ يدخل شرُّها كلَّ بيت ، ويكون أثرها على المسلمين ظاهراً . وتنصُّ رواياتٍ أخرى على أن هذه الهدنة تكون على يد المهدي عليه السلام .

أما بعض التفاصيل الواردة في بعض متون الحديث فقد تكون متأثرة بأجواء الصراع الطويل بين المسلمين والروم في القرون الاولى ، ويؤيِّد ذلك أن أكثر النصوص الاصلية للحديث خالية من ذكر دمشق ، وكذا الدور الخاص لعرب الشمال أو الجنوب في المعركة مع الروم . نعم هناك إمكانية لتحقُّق ذلك ، خاصّةً ضمن ظروف ميدانيّة ، ونحن فصلنا بين عاصمة المهدي عليه السلام التي تكون في الكوفة ، وبين وجود القيادة الميدانيّة لأسبابٍ حربيّة التي ربما تتواجد في الغوطة لإدارة غرفة عمليات من هناك وشبه ذلك .. وعلى كل حال أصل النص وجوهرهُ ومعناه الأساسي وارد في مجموعةٍ متعددة من النصوص ، وهو يركِّز على حقبة ما قبل نهاية

التاريخ ، أي فترة ما قبل الظهور ثمَّ فترة الظهور .. وفي رواية سليمان بن حبيب قال : سمعت أبا أمامة يقول : قال رسول الله ﷺ : [سيكون بينكم وبين الروم أربع هدن ، يوم الرابعة على يد رجلٍ من أهل هرقل ، يدوم سبع سنين . فقال له رجل من عبد القيس يُقال له المستورد بن خيلان : يا رسول الله ، مَن إمامُ الناسِ يومئذ ؟ قال : المهدي مِن وُلدِي ، إبنٌ مِن وُلد أربعين سنة ، (أي بعمر أربعيني) كأنَّ وجهه كوكبٌ دريٌّ ، في خدِّه الأيمن خال أسود ، عليه عباءتان .. يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك][1] .

النص واضح في أنَّ الأخيرة تقع على يد المهدي عليه السلام وذلك بعد فتنة واسعة وشديدة الوطأة .. ويبدو من الروايات صريحاً أنَّ الروم تحاول مع الهدنة أن تغدر بالمسلمين وأن تختال قوَّتهم لتنتصر عليهم وتستولي على الوضعيّة العالميّة التي كانت لها من قبل في النفوذ والسيطرة وإدارة ملف العالم ..

ففي رواية ذي مخبر بن أخي النجاشي ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : [تصالحون الروم عشر سنين صلحاً آمناً ، يَفُون لكم سنتين ويغدرون في الثالثة ، أو يفون أربعاً ويغدرون في الخامسة ، فينزل جيشٌ منكم في مدينتهم ، فتنفرون أنتم وهم إلى عدوٍّ مِن ورائهم فيفتحُ اللهُ لكم ، فتنصرون فتُسرُّون بما أصبتم من أجرٍ وغنيمة ، فتنزلون في مرج « ذي تلول » فيقول قائلكم : أللهُ غلب ، ويقول قائلهم : الصليب غلب ، فيتداولونها ساعة ، فيغضب المسلمون ، وصليبهم منهم غير بعيد ، فيثور مسلمٌ إلى صليبهم فيدقّه ، فيثورون إلى كاسر صليبهم فيضربون عنقه ،

---

[1] الطبراني : الكبير : ج ٨ صـ ١٢٠ حـ ٧٤٩٥

فتثور تلك العصابة من المسلمين إلى أسلحتهم ، وتثور الروم إلى أسلحتهم فيقتتلون فيُكرِمُ اللهُ تلك العصابة مِن المسلمين فيستشهدون ، فيأتون ملكهم فيقولون : قد كفيناك حدَّ العرب وبأسهم فماذا تنتظر ؟ فيجمع لكم (أي ملكُ الروم) حملَ امرأةٍ ثم يأتيكم في ثمانين غاية تحت كل غاية إثنا عشر ألفا][1] .

النص صريح جداً في انقلاب رومي مقصود ، يُرادُ منه النيل من المسلمين والقضاء على جبهة المهدي عليه السلام ، لذلك ملكُهُم مباشرةً يهيِّئ جحافل جيشِهِ ويبدأ غزوهُ العسكري نحو بلاد الإسلام . وتكون تلك الهدنة الهدنة الأخيرة ، وعلى أثرها يخوض المسلمون حرباً فاصلة مع الروم ينتصرون فيها ويدخلون مدينتهم .

ثمَّ بعد ذلك يخرج الدجال ، وتكون فتنة الدجال خطيرةً جداً ، تكون له سطوةٌ وقوّة ونفوذ وتدليس هائل وشعوذة نافذة أوَّل أمرِه .. مع التذكير بأنَّ الروم لا يشكّلون الجبهة الأخيرة المناوئة لجبهة الإمام المهدي .. نعم يكون الإمام المهدي عليه السلام قد قطع شوطاً واسعاً في تأسيس وتوسيع جبهته على نحوٍ ضخمٍ من الأرض ..

بعض النصوص واضحة في أنَّ معركة الروم الإنقلابيّة على جند المهدي عليه السلام تكون في لبنان . حيث يقتتلون هناك قتالاً شديداً عند « مرج ذي تلول » . لبنان هو المقصود في الحديث المشار إليه بإسم « مرج ذي تلول » . قال البرزنجي : وعند أهل الكتاب جاء في زكريا : [.. افتح أبوابك يا

---

[1] ابن حماد : صـ ١٣٧

لبنان فتأكل النار أرزك][1] . وقال متى هنري في تفسيره : المقصود بالخراب الذي يأكل النار أرزه هي أورشاليم وفتح لبنان لبوابته ذلك ، لأنه هو مدخلها من الشمال . أي أن ضرب أورشاليم سيأتي مدخله من لبنان !!

لا نملك تفاصيل عن ذلك .. لكن كأنَّ النص يشير إلى خلافٍ يكون مصدرهُ اليهود ، فيورِّط اليهود الروم بانقلابِهم على المسلمين ، ومنذ تلك اللحظة تبدأ مرحلة شديدة التطوُّر .. ففي رواية يونس بن سيف الخولاني قال : [.. تصالحون الروم صلحاً آمناً حتى تغزوا أنتم وهم الترك وكرمان ، فيفتح اللهُ لكم ، فيقول الروم : غلب الصليب ، فيغضب المسلمون فينحازون وتنحازون فيقتتلون قتالاً شديداً عند « مرج ذي تلول » ، ثم يفتح اللهُ لكم عليهم ، ثم تكون الملاحم بعد ذلك][2] ..

النص صريح في أنَّ العدو المشترك هو الترك . وإضافة كرمان لها لا أدري ما سببه ؟ مع معرفتنا بأنَّ أرض الخراساني كلّها تكون تحت يده وبإمرة المهدي عليه السلام أيضاً . إلا أنْ يُقال بأنَّ حدود كرمان التاريخيّة أوسع من حدود إيران السياسيّة ..

ومهما يكن مِن أمر فإنَّه يظهر من هذهِ الرواية الأمور التالية :

- في هذهِ الفترة التاريخيّة يكون للروم وجود نافذ .
- تعقد جبهة المسلمين والروم هدنة ..
- يتطوَّر الأمر إلى حدّ غزو الترك من قبل المسلمين والروم ..

---

[1] ١١/٢

[2] م . س .

- على أثر الإنتصار هذا يبدأ انقلاب رومي على المسلمين ، وهي تريد من وراء ذلك إستثمار هذا الإنتصار لتحقيق مكاسب على حساب الهدنة بين الروم والمسلمين ، وتعبير : الصليب انتصر ، يشير إلى انَّ الروم تريد تعديل موازين العلاقة مع المسلمين والإنقضاض عليهم وهذا ما يقع فعلاً .
- تقع ملحمة بين الروم وجيش المهدي عليه السلام تنتهي بانتصار جيش المهدي عليه السلام انتصاراً يهزُّ العالم . النصوص صريحة في أوصاف مدهشة ..!
- يتطوَّر الأمر إلى حدّ خروج الدجَّال اليهودي مدعوماً من قوى وفلول الروم وحلفاءها .. ومعه تبدأ فتنة جديدة ذات وطأ شديد .

ويبدو من بعض الروايات بوضوح أنَّ حرب الإنقلاب الرومي تقع في لبنان (مرج ذي تلول) ، وعلى أثر ذلك تتعاقب حرب الملحمة التي تعتبر الأعنف على الإطلاق .

ففي رواية ذي مخمر عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : [ستصالحكم الروم صلحاً آمناً ، ثم تغزون وهم عدواً فتنصرون ، وتسلمون وتغنمون ، ثم تنصرون الروم حتى تنزلوا بـ « مرج ذي تلول » ، فيرفع رجل من النصرانية صليباً فيقول : غلب الصليب ، فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدقه ، فعند ذلك يغدر الروم ويجمعون للملحمة][1] ..

---

[1] م . س .

يبدو من الروايات أنَّ الجولة الأولى تكون لصالح الروم ، حيث يُكرِمُ اللهُ الفئةَ المسلمةَ تلك بالشهادة[1] . لكنَّها حرب فجأة ، أي حرب على فئة مِن المسلمين لم تكن مستعدَّة لحرب الروم بعد أن غزت معها عدوّاً مشتركاً ..

أمّا من ناحية الزمن ، فإنَّ اختلاف جبهتي المهدي والروم يكون بعد قتل السفياني وعقد صلح مع الروم وفتح العلاقات التجاريَّة بين الجبهتين وغير ذلك ، وبذلك يبسط المهدي نفوذ جبهتِه على الكور الخمس بالإضافة إلى الحجاز والعراق ومصر وغيرها من المناطق التي يدخلها عنوةً أو سلماً في آسيا وأفريقيا وحتى في أجزاء مِن أوروبا ..

وفي رواية أرطأة قال : [يكون بين المهدي وبين طاغية الروم صلحٌ بعد قتله السفياني ونهب كلب ، حتى يختلف تجَّارُكم إليهم وتجَّارُهُم إليكم ، ويأخذون في صنعة سفنهم ثلاث سنين .. حتى ترسي الروم فيما بين صور إلى عكا فهي الملاحم][2] .

أوَّلُ شيءٍ احبُّ أن أشير إليه أنَّ في هذا النص بعض الإضطراب ، ولا أدري هل حصل هذا الإضطراب من الراوي أو الوسائط الأخرى لكنَّ

---

[1] وفي ذيل نصّ جبير بن نفير عن ذي مخمر عن النبي ﷺ أضاف : فعند ذلك تغدر الروم وتكون الملاحم ، فيجتمعون إليكم فيأتونكم في ثمانين غاية مع كل غاية عشرة آلاف " .. وفي : ج ٥ صـ ٣٧٢ ٣٧١ و ٤٠٩ روايتان كما في روايته الاولى بتفاوت يسير ، وبسندها : وزاد في آخر الثانية " وقال روح : مرة وتسلمون وتغنمون ، وتقيمون ثم تنصرفون " . وفي : صـ ١١٠ ح ٤٢٩٣ بسند آخر ، وزاد فيه " ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فتقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة " .. وفي : صـ ٢٥٠ ح ٦٦٧٤ كما في روايته الاولى بتفاوت يسير ، بسند آخر عن ذي مخمر ابن أخي النجاشي : وفيه " كفيناك جزيرة العرب " .

[2] ابن حماد : صـ ١٤٢

أصل النصِّ يُؤيّد مرويّات الهدنة بين الروم والمسلمين .. وإلا فالثابت عندنا انَّ المهديَّ عليه السلام هو الذي يقود حرب فتح بلاد الروم ودخول عاصمتهم ونشر العدل في العالم ثمَّ إعلان دولة العدالة الإلهيّة ، من هنا جاء اختصاري في متن هذا الحديث .. كما مِن الثابتِ أنَّ المهدي هو الذي يُبعث بقتال الروم ويحكم وتتهاوى أمام جبهتِهِ حصونُ الروم بعد هدنةٍ يغدر بها الروم .

ففي رواية كعب قال : [المهدي يُبعث بقتال الروم ، يُعطى فقه عشرة ، يستخرج تابوت السكينة من غار بأنطاكية فيه التوراة التي أنزل اللهُ تعالى على موسى عليه السلام ، والانجيل الذي أنزل الله عزَّ وجلّ على عيسى عليه السلام ، يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الانجيل بإنجيلهم][1] .

وفي بعض النصوص أنَّ المهدي يُرسِلُ مَن يستخرج التوراة والانجيل الأصليين من غارٍ في أنطاكية فتكون آيةً للروم ، فيكفُّون عن قتاله أوّل الامر .. وفي رواية كعب : [إنَّما سُمِّي المهديُّ لأنّه يهدي لأمر قد خفي . قال : ويستخرج التوراة والانجيل من أرض يُقال لها أنطاكية][2] .

وبلفظ كعب أيضاً قال : [المهديُّ يُخرِجُ التوراة غضَّةً يعني طريَّةً مِن أنطاكية][3] . [.. وإنَّما سمي المهدي لأنه يهدي إلى أسفار مِن أسفار التوراة ، يستخرجها من جبال الشام ، يدعو إليها اليهود ، فيُسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة ثم ذكر نحواً من ثلاثين ألفا][4] .

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٨

[2] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٧٢ حـ ٢٠٧٧٢

[3] ابن حماد : صـ ٩٨ عن عبد الرزاق

[4] م . س .

وفي الداني - ذكر بسند ابن شوذب - أنَّ المهدي يهدي إلى جبلٍ مِن « جبال الشام » يستخرج منه أسفاراً من أسفار التوراة ، فيحاجّ بها اليهود فيُسلم على يديه جماعة من اليهود][1] .

وبتعبيرٍ أكثر تفصيلاً قال تميم الداري : قلت يا رسول الله ، مررتُ بمدينة صفتها كيت وكيت ، قريبة من ساحل البحر ؟ فقال ﷺ : [تلك أنطاكية ، أما إنَّ في غارٍ مِن غيرانها رضاضاً مِن ألواحِ موسى[2] ، وما مِن سحابة شرقيَّة ولا غربيَّة تمرُّ بها إلا ألقت عليها مِن بركاتها ، ولن تذهب الايام والليالي حتى يسكنها رجلٌ مِن أهل بيتي يملؤها عدلاً وقسطاً ، كما مُلِئَت جوراً وظلماً][3] .

أقول : ذيل الحديث يُرادُ منه كشف المهدي عليه السلام عمّا فيها من ألواح موسى عليه السلام . أمَّا سكنه وعاصمتُهُ فالنصوص صريحة أنّها تكون في الكوفة ، في العراق .

ويكون لذلك الإكتشاف الأثر الكبير أقلّه أنَّ الروم تكفُّ عن قتال المهدي عليه السلام وتدخل معه في هدنة . يبدو أنَّ ذلك يحصل بضغطٍ من قبل بعض الفئات المسيحيّة التي يُذهلها ما ترى من إعجازٍ وبيان ..

لكن حين يغزو المسلمون والروم الترك وينتصرون عليهم تغدر الروم وتحاول أن تعيد إمساك ملف النظام العالمي من جديد فتقع بينهم وبين جبهة المهدي معركة أولى يستشهد فيها فئة من المسلمين ثمّ تكون

---

[1] صـ ١٠١

[2] (القطع الصغيرة)

[3] العرائس ، الثعلبي : صـ ١١٨

المعركة الأعنف على الإطلاق التي ينتصر على أثرها المهدي عليه السلام ويدخل عاصمة الغرب المسيحي فاتحاً .. ولقد ورد تفصيل أكثر لما يعرضه المهديُّ عليه السلام من بقايا الأنبياء . فقد ورد في رواية تميم الداري انّه قال : يا رسولَ الله ، ما رأيت للروم مدينة مثل مدينة يُقَال لها أنطاكية ، وما رأيت أكثر مطراً منها ! فقال النبي صلى الله عليه وآله : نعم ، وذلك أنَّ فيها التوراة ، وعصا موسى ، ورضراض الألواح ، ومائدة سليمان بن داود ، في غارٍ مِن غيرانها ، ما مِن سحابةٍ تُشرف عليها مِن وجهٍ مِن الوجوه إلا فرَّغت ما فيها مِن البركة في ذلك الوادي ، ولا تذهب الايام ولا الليالي حتى يسكنها (أي يقصدها) رجلٌ مِن عترتي (محمَّد ، المهدي عليه السلام) إسمه إسمي .. يشبه خلْقه خلْقي وخُلُقه خلُقي ، يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظلما وجوراً][1] .

وما تجدرُ الإشارةُ له هو أنَّ نزول عيسى بن مريم عليه السلام لا يكون زمن الإقتتال مع الروم ، بل بعد ذلك ، أي زمن فتنة الدجَّال وخروجِهِ .. وهذا أمر لافت ، المسيح ينزل زمن الحصار الذي يضربه الدجَّال .

وقبل نزول المسيح ينشر المهديُّ عليه السلام من الحجج البالغة ما يذهل الأمم ، خاصّة المسيحيين واليهود ، ينشر لهم التوراة والإنجيل الأصليين ..! ومع ذلك تظلُّ الأمم السياسيّة على غيِّها إلا من جماعة تعلنُ اعتقادها بالمهدي عليه السلام .

وتجمع الروم إمكاناتِها وإمكانات حلفاءها الحربيّة وتزحف نحو الشرق لقتال المهدي عليه السلام ..!

---

[1] م . س . وكذلك ورد في فتن السليلي بإسنادِهِ عن الشعبي وصولاً إلى تميم الداري ..

وتقع معركة ضارية بين الروم وجيش المهدي عليه السلام في الشرق . ففي رواية محمد بن الحنفية قال : [ينزل خليفةٌ مِن بني هاشم (المهدي) بيتَ المقدس ، يملأ الارض عدلاً ، يبني بيت المقدس بناءً لم يُبْنَ مثله ، يملك أربعين سنة ، تكون هدنة الروم على يديه في سبع سنين .. ثم يغدرون به ، ثم يجتمعون له بالعمق (منطقة في سوريا ناحية حلب ونواحيها) .. ثم تكون هزيمتهم وفتح القسطنطينية على يديه ، ثم يسير إلى رومية فيفتحها ويستخرج كنوزها ومائدة سليمان بن داود عليه السلام ، ثم يرجع إلى بيت المقدس فينزلها . ويخرج الدجال في زمانه ، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيصلِّي خلفه][1] .

أقول : ورد في متن النص بعضُ الخللِ وهو قطعاً خلل جزئي من الراوي ، لأنّ النصوص مجمعة على أنّ الذي يفتح بلاد الروم هو المهدي عليه السلام وهو ذاته الذي يصلِّي خلفه عيسى بن مريم عليه السلام ، وهذا الأمر مِن الأمور القطعيّة النهائيّة التي لا يشوبها شكٌّ أو شبهة ..

وما يهمّني أنَّ الروم بصريح النصِّ تزحف نحو الشرق لمقاتلة المهدي عليه السلام والإنقضاض عليه في مهد بلاد الإسلام ، وتقع في سوريا معركة ضارية يكون فيها النصر لجيش المهدي عليه السلام . هنا يمكن جداً أن تكون القيادة الإسلاميّة في سوريا لأسبابٍ ميدانيّة .. وفي رواية كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [يخرج المهديُّ

---

[1] ابن حماد : صـ ١١٠ وفي رواية جعفر بن محمد الفزاري معنعناً عن أبي جعفر عليه السلام قال : (.. يا خيثمة سيأتي على الناس زمان لا يعرفون الله ما هو التوحيد ، حتى يكون خروج الدجال ، وحتى ينزل عيسى بن مريم من السماء ويقتل الله الدجال على يده ، ويصلي بهم رجل منا أهل البيت ، ألا ترى أن عيسى يصلي خلفنا وهو نبي إلا ونحن أفضل منه)] * ٨٥٧ - المصادر : * : تفسير فرات : صـ ٤٤

إلى بلاد الروم ، وجيشه مائة ألف ، فيدعو ملك الروم إلى الإيمان فيأبى ، فيقتتلان شهرين ، فينصر اللهُ تعالى المهدي عليه السلام . ويقتل مِن أصحابه خلقاً كثيراً وينهزم (ملك الروم) ويدخل إلى القسطنطينية ، فينزل المهدي عليه السلام على بابها ، ولها يومئذ سبعة أسوار ، فيكبِّر المهدي عليه السلام سبع تكبيرات ، فيخرُّ كلُّ سورٍ منها ، فعند ذلك يأخذها المهدي ، ويقتل من الروم خلقاً كثيراً ، ويُسلِم على يديه خلق كثير][1] .

أوّلاً أحبُّ أن أشير إلى انّ النصوص استعملت مرّة تعبير القسطنطينيّة ، ومرّةً استعملت رومية ، وكلاهما لفظ رمزيٌّ يُراد منه الإشارة إلى عاصمة القرار المسيحي الغربي . ببعد النظر عن موقعي رومية والقسطنطينيّة . في التراث الإستعمالي والقانون المجازي تستعمل هاتان العباراتان للإشارة إلى الروم والمسيحيّة وبالأخص الغرب المسيحي . النصوص واضحة جدّاً في هذا الإستعمالات ..

نعم تقع معارك يخوضها جيش المهدي عليه السلام ضد روما وقوّاتِها في الشرق والغرب . فهل لهذا إشارة في طبيعة الإستعمالين ؟ ممكن ذلك .

أما ماذا تعني التكبيرات ؟ فالمحصَّل مِن مجموع الروايات أنَّها تعابير استعارة تشير إلى جولاتٍ يكون مبدؤُها التكبير .. وفي كلِّ جولةٍ يتمُّ انتصار المسلمين على الروم ، فيدخلون إلى سورٍ آخر (موقعٍ آخر) .. إلى أن يدخلوا إلى عمق المدينة فيفتحونَها .. النصُّ واضحٌ في وقوع جولات حرب عنيفة ، كما الكتاب المقدَّس واضح في وقوع هذه الحرب بين المهدي

---

[1] قصص الانبياء ، للكسائي : على ما في عقد الدرر . * : العلل المتناهية : ج ٢ صـ ٨٥٥ حـ ١٤٣٠

عليه السلام وروما ، وأنّها تكون حرب ملحمة هائلة ، نفس المعاني وردت في الكتاب المقدَّس ومصادر الإسلام ..!

في هذهِ اللحظات لا يكون الدجَّال - صاحب الفتنة الكبيرة - قد خرج . ويخرج بعد ذلك .. نعم يكون المسلمون والروم قد هزمَوا الترك في جولةٍ مشتركةٍ قبل الخلاف بينهم ، كما يكون الإمام المهدي عليه السلام قد قتل السفياني وحلفاءه وفتح الكور التي يسيطر عليها ..

وأُحبُّ ان أشير هنا إلى أنَّ بعض النصوص الواردة في بيان معالم آخر الزمان تشيرُ إلى القسطنطينيّة ورومية . وهي قطعاً تشيرُ إلى جبهة الروم المسيحيّة . لكن هل تلحظ ذلك في إشارة إلى انتشارها الشرقي فضلاً عن ثقلها الغربي ؟ لأنّ النصوص صريحة في انَّ عاصمة القرار المسيحي تكون في الغرب ؟ أقول : أنَّ هذا شديد الإحتمال لأنَّ الروم زمن الظهور يكون لها انتشار كبير في الشرق .

وفي رواية كثير بن عبد الله المزني ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [لا تقوم الساعة حتى يفتح الله على المسلمين قسطنطنية ورومينية بالتسبيح والتكبير][1] .

أي هناك جولات حرب ، ومعلوم انَّ قسطنطينيّة كانت في الشرق ، فيما رومية تكون في الغرب ، ثم النصوص صريحة في انّ عاصمة القرار المسيحي زمن الظهور تكون في الغرب ، ما يعني أنَّ المعارك ضدَّ الروم تقع في الشرق والغرب ، وبعض المتون صريحة في وقوع حرب ضد الروم

---

[1] القول المختصر : صـ ١٤ حـ ٦١

في الشرق ، ثمَّ تقع حرب النهاية العظمى في الغرب لفتح عاصمة جبهة روما (الغرب المسيحي) . فإذا فتحها عليه السلام استخرج منها حلي بيت المقدس ، والتابوت الذي فيه السكينة ، ومائدة بني إسرائيل ، ورضاضة الالواح ، وحلة آدم وعصى موسى ، ومنبر سليمان ، وقفيزين من المن الذي أنزل الله عزوجل على بني إسرائيل أشدّ بياضاً من اللبن ، ثم يأتي بالمدينة (كذا) ، يقال لها القاطع طولها ألف ميل وعرضها خمسمائة ميل ولها ستون وثلاث مائة باب يخرج من كل باب مائة ألف مقاتل ، فيكبرون عليها أربع تكبيرات ، فيسقط حائطها فيغنمون ما فيها ، ثم يقيمون فيها سبع سنين ثم ينتقلون منها إلى « بيت المقدس » ، فيبلغهم أنَّ الدجال قد خرج في يهود أصبهان][1] .

النص - رغم ضعف سنده - صريح مع مجموع نصوص أخرى في أنّ حرب روما تقع قبل ظهور الدجَّال ، ثمّ سنوات سبع يخرج على أثرها الدجَّال . وأشرنا إلى انّ رواية ضعيفة تضمّنت أنَّ خروجه يكون من منطقة الإتّحاد السوفياتي ، وهذا ممكن جداً . لأنّ القدس تكون تحت سلطة المهدي عليه السلام .

وفتح بلاد الروم أمر حتمي . وفي الرواية عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [لو لم يبق من الدنيا إلا يوم ، لطوله الله عزَّ وجل حتى يملك رجلٌ مِن أهل بيتي (المهدي) يملك جبل الديلم والقسطنطينية][2] . النصوص الصريحة في ذلك كثيرة ..

---

[1] الهدية الندية : على ما في العطر الوردي .

[2] مسند يحيى بن عبد الحميد الحماني على ما في المنار المنيف * ابن ماجة : ج ٢ صـ ٩٢٩ ٩٢٨ ب ١١ ح ٢٧٧٩

ثمَّ القتال بين المهدي والروم هو ملحمة من الملاحم الضخمة التي أشارت لها النصوص . وفي رواية عبد الله بن عمرو قال : [الملاحم خمس : مضى منها ثنتان ، وبقي ثلاث ، فأوَّلُهُنَّ ملحمة التُرك بالجزيرة (في العراق) وملحمة الاعماق (العمق يعني حلب في سوريا والأعماق يعني نواحيها والمناطق التي تحيط بها) وملاحم الدجَّال ليس بعدها ملحمة] .[1]

يريد النص الإشارة إلى « ملحمة الأعماق » التي تقع بين جيش المهدي عليه السلام والروم في سوريا ، ثم تظلّ متتابعة وصولاً إلى عقر الجبهة المسيحيّة في الغرب حيث تقع أعنف المعارك غير المسبوقة .

وفي تفصيل رواية عبد الله بن عمر قال : [ملاحم الناس خمس ، فتنتان قد مضتا ، وثلاثٌ في هذه الامة . وملحمة الروم وملحمة الدجال . ليس بعد ملحمة الدجال ملحمة][2] .

وفي غيرها يشيرُ إلى « ملحمة الترك » كملحمةٍ ثالثة من اصل خمس ملاحم .. وفي رواية وهب بن منبه قال : [الرُّوم أوَّلُ الآيات ، ثم الدجَّال ، والثالثة يأجوج ومأجوج ، ثم عيسى عليه السلام][3] . يشير بذلك إلى الآيات ببعد النظر عن الحصر المراد من معاني الفتن التي أشار لها النبيُّ صلى الله عليه وآله . وفيه : يشير إلى ملحمة الترك بالجزيرة ، أي في العراق . وقد قال كعب : [إذا رأيت همدان المشرق وقد نزلت بين الرستن وحمص ، فهو حضور الملحمة وخروج الدجَّال ، قلت : وما ينزلهم الرستن ؟ قال عدوٌّ من

---

[1] ابن حماد : صـ ١٣٢ وفي : صـ ١٤١

[2] م . س .

[3] م . س .

ورائهم][1] . وكنت قد اشرت إلى انَّ الدجَّال يخرجُ على المسلمين مِن خلفهم ، وهناك رواية تحدِّد خروجهُ بوضوح من أرض الإتِّحاد السوفياتي .

ولا تجتمع فتنةُ الدجَّال مع فتنة الروم . الدجَّال يكون على اثر هزيمة الروم بسنوات . وفي رواية شريح بن عبيد عن كعب عن النبي ﷺ قال : [لن يجمع اللهُ على هذه الامة سيف الدجال وسيف الملحمة][2] . إشارة ملحمة الروم وفتنة الدجَّال . فضلاً عن توالي الفتن وتسلسل الأحداث ..

وفي تهذيب ابن عساكر برواية محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة الزهراء عليها السلام قال : سمعت أبي ، عن جدي ، أنه سمع جده رسول الله ﷺ يقول : [للناس ثلاث معاقل : فمعقلهم مِن الملحمة الكبرى التي تكون بعمق أنطاكية دمشق . ومعقلهم من الدجال بيت المقدس . ومعقلهم من يأجوج ومأجوج طور سيناء][3] ..

النصُّ يشيرُ إلى ثلاث معاقل ذات مفهوم ميداني للقيادة العسكريّة . فالملحمة الكبرى هي التي تقع بين جيش المهدي عليه السلام والروم ، وتبدأ في الأعماق من سوريا ، وتنتهي في أعنف واضرى المعارك عند رومية (عاصمة القرار الرومي) ، وطبيعي أن تكون غرفة العمليات والقيادة الميدانيّة في دمشق أو الغوطة كما ورد في بعض الروايات . ثمَّ بعد الملحمة الكبرى تقع فتنة الدجَّال ، وهي ذات أثر بالغ ، وقتها تكون القيادة في بيت المقدس ، ولا ندري الأسباب التفصيليّة لذلك ، المهم أنَّ القيادة تكون في

---

[1] م . س .

[2] م . س .

[3] : ج ١ صـ ٥٢ عن أبي نعيم

بيت المقدس ، مع التذكير بأنَّ رواية أو أكثر تشير إلى أنَّ خروج الدجَّال يكون من منطقة الإتّحاد السوفياتي ، وأنَّه يزحف ناحية قسم من الأراضي الإيرانيّة ونواحي العراق ، وينشر جيشين واحد يتّجه نحو الحجاز والثاني نحو منطقة الشام وصولاً إلى القدس . أمَّا الثالثة فهي وقعة يأجوج ومأجوج التي تنتهي بموتهم عبر دود يقتلهم جميعاً ، ولا نعرف تفاصيل عن ذلك .

وفي هذه العجالة أحبُّ أن أُؤكِّد على أنَّ النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تثبت أنَّ دولة المهدي عليه السلام يتعاظم أمرها ، رغم وجود الدجَّال ، ورغم كثرة يأجوج ومأجوج . ويبدو أنّ دولة المهدي عليه السلام تشكِّل جبهة تخشاها القوى الكبرى لذلك تعمل بكلِّ طاقتها للقضاء عليها ، لاحظ : الروم تنقلب عليها ، الدجَّال يخرج عليها ، يأجوج ومأجوج تخوض حرباً ضخمة مع عدوٍّ ما ، النصوص لا تشير له ، ثمّ تُعلن حربها على جبهة المهدي عليه السلام وتؤكد النصوص نتيجة انتصار المهدي عليه السلام في كل تلك الحروب ..

نعم حرب المهدي عليه السلام مع الروم تكون على نحوٍ متوسِّع ، في أكثر من جبهة ، وهذا يؤكِّد انتشاراً واسعاً للروم في أكثر من بقعةٍ . ففي رواية بكر بن سوادة عن شيخ من حمير قال : [لَيَكُونَنَّ لكم مِن عدوكم بهذه الرملة رملة إفريقية يوم ، تُقبل الروم في ثمان ماية سفينة فيقاتلونكم على هذه الرملة ، ثم يهزِمُهُم اللهُ فتأخذون سفنهم فتركبوا بها إلى رومية ، فإذا أتيتموها كبَّرتم ثلاث تكبيرات ، ويرتجُّ الحصن مِن تكبيركم فينهار في الثالثة قدر ميل ، فتدخلونها فيُرسِلُ اللهُ عليهم غمامة تغشاهم فلا تنهنهكم حتى تدخلوها ، فلا تنجلي تلك الغبرة حتى تكونوا على فرشهم][1] . المعنى

---

[1] ابن حماد : صـ ١٣٢

المحصَّل من هذهِ المروية وغيرها أنَّ الروم يكون لها انتشار واسع ، وهي التي تقوم بغزو مناطق مختلفة في آسيا وغيرها ، وهي التي تنزل في فلسطين ، ويكون لها حضور بارز في الشرق الأوسط ، وهي التي تقود حرباً في العمق أي في حلب والنواحي من سوريا ، فينادي المنادي هناك : ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب .. وهي التي تقودُ حرباً في قرقيسيا (المثلَّث التركي العراقي السوري) على مالٍ جوفي في غاية الأهميّة فتتصادم مع الترك والسفياني وجملة من الرايات الأخرى ، وينتصر السفياني عليهم في تلك الوقعة لكنّه لا يحصل على ذلك المال . ويبدو أنَّ انتصار السفياني عليهم في وقعة قرقيسيا يكون بمثابة ضربة قاضية أو على الأقل عنيفة للروم في هذهِ المنطقة ..

وتعتبر وقعة الروم من الفتن المشهورة وهي أعظم من فتنة الترك وأكثر صِدَاماً من فتنة الدجّال . على أنَّ العالم يكون آنذاك مفتوحاً على أكثر من جهةٍ واضطرابٍ وفوضى وحرب .. وفي رواية عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : [إذا ملك العتيقان : عتيق العرب وعتيق الروم كانت على أيديهما الملاحم][1] .

وفي لفظٍ آخر - فيه نوعٌ من تفصيلٍ - يقول أبو قبيل : [تكون الملاحم على يدي طبارس بن اطيطنان ابن الاحرم بن قسطنطين ابن هرقل][2] .

---

[1] ابن حماد : صـ ١٣١

[2] في : صـ ١٤١ أمَّا لجهة الأسماء ، فهي من باب الإستعارة والترميز ، أي من جهة بيان الإسم التاريخي لوقعةٍ متّصلة بجبهةٍ مستقبليّة تمثّل هذهِ القيمة من الإسم التاريخي .. وهذا هو الأسلوب في الإشارة إلى المستقبل .. وهذا ما سنراه في أكثر من إشارة وتفصيل .. فمثلاً على ذلك ، حينما كان النبيُّ يشيرُ إلى

وكما ترى : النصوص فيها إشارة واضحة إلى صراعٍ عنيف ينشبُ بين المسلمين والروم ، يكون على أثرِهِ اجتياح الحرب لأكثر من جبهةٍ . الروايات تصف المعركة بين الروم والمسلمين بالملحمة .

وتكون ملحمة الروم بعد هزيمة الترك في غزوٍ مشتركٍ بين الروم والمسلمين ، فإذا انتصرت الروم والمسلمون غدرت الروم بالمسلمين وفتكت بطائفةٍ منهم فتقتلهم في معركةٍ شديدة يبدو أنّها تقع في لبنان ، ومنذ تلك اللحظة تبدأ جبهة الروم وجبهة المسلمين بصراعٍ عسكريٍّ واسع في أكثر من بقعةٍ ومنطقةٍ في العالم ..

على أنَّ الأحداث الأخيرة ، أي الحرب على الروم وخروج الدجَّال وهو الفتنة الكبرى ، هذهِ الأحداث تكون متقاربة ومتسارعة ، وبصراحة يوجد طائفتان : واحدة تقول بأنَّ هذا الأمر يتمُّ في سبعة أشهر ، وطائفة ثانية تشير إلى ٦ أو ٧ سنوات بعد ملحمة الرم يخرج على أثرها الدجَّال .

ففي رواية كعب قال : [الملحمة العظمى ، وخراب القسطنطينية ، وخروج الدجال في سبعة أشهر ، أو ما شاء الله من ذلك][1] . مع التذكير بأنَّ إيراد القسطنطينيّة هنا من بابِ الإشارة إلى الروم ، أي ترميز مستقبلي . وهذا أمر شديد الوضوح في النصوص الكثيرة ..

قد يُقال أنَّ ذيل هذا النصِّ مفتوح على زمنٍ غير معروف ..؟ أقول : يبدو مِن النصوص عدم الإشارة النهائيّة إلى مثل هذهِ المعاني ، على الرغم

انتصار المسلمين على الروم ، واحتلال مركز القرار لديهم كان يشير إلى عاصمتِهم الشهيرة القسطنطينيّة .. كمِعبرٍ تاريخيٍّ لإسمٍ مستقبليٍّ في جبهة الروم زمن الإمام المهدي ﷺ ..

[1] ابن حماد : صـ ١٣٩

من التركيز على بعض الإشارات الزمنيَّة في مثل هذهِ المعاني ، نعم بعضُها مفتوح على نوعٍ من تحديدٍ زمني مثل رواية عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ قال : قال النبي ﷺ : [بين الملحمةُ وفتح القسطنطينية ست سنين ثم يخرج الدجال في السنة السابعة][1] .

وما يبدو فيهِ الأمر من تعارضٍ بين النصوص التي تشير إلى سبعة أشهر والنصوص التي تشير إلى عدّة سنوات ، يرفعه ما ورد في ذيل رواية كعب التي قال فيها سبعة اشهر أو ما شاء الله من ذلك ، أي فتحها متوقِّف على زمنٍ غير معهود نهائيّاً في الرواية ، أو أنَّ الرواية تصرُّ على عدم بيانهِ ، أو هو من الأمور التي تتوقّف على تمام عناصرها ببعد النظر عن أصل الوقعة الذي هو من المحتوم .

نعم يمكن أن تستفيد من طائفة أنَّ السبعة أشهر ، هي أشهر الأحداث وأسبابِها ببعد النظر عن النتائج لبعض الوقعات الأخرى التي تتمادى لفترةٍ من الزمن . ففي رواية معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : [الملحمة العظمى ، وفتح القسطنطينية ، وخروج الدجال في سبعة أشهر][2] . إلا أن يُراد من سياق الزمن التقريب أو التوقيت النسبي أو فتحه على المستقبل بلفظ : أو ما شاء الله .. وهذا منطق مستعمل في لسان النصوص كثيراً ، يُراد منه الإشارة إلى وقتٍ قصيرٍ أو طويلٍ حسب استعمالات النص وغايات البيان المُراد توصيله .. وما يؤكِّد لنا هذا وُرُود نصوص مختلفة تشير إلى فترة زمنيّةٍ قليلةٍ بألفاظ مثل : سبعة أشهر ، أو حمل إمرأة ، أي تسعة أشهر ، فيُراد مِن هذا المعنى التوقيت القصير ، أي

---

[1] م . س .

[2] م . س .

المدّة اليسيرة . ففي رواية ابن محريز قال : [الملحمة العظمى ، وخراب القسطنطينية ، وخروج الدجال حمل امرأة][1] .

كما لا يبعد ورود خطأ في لسان الراوي في تبديل سبعة اشهر بسبع سنين ، كما في رواية عبد الله بن بسر صاحب رسول الله ﷺ حيث قال : [بين فتح القسطنطينية ، وبين خروج الدجال سبع سنين][2] . في حين رواية عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن مكحول قال : [ما بين الملحمة وفتح القسطنطينية وخروج الدجال إلا سبعة أشهر ، وما ذاك إلا كهيئة العقد ينقطع فيتبع بعضه بعضا][3] . أو أن يُقال بانَّ الزمن الوارد في النصوص ، إنّما هو تقريبي ودليلهُ فتح رواية كعب على قولِهِ : أو ما شاء الله ، وهذا ممكن جداً في لسان الإستعمال والبيان والمقاصد ..

وفي تفصيلٍ أكثر برواية عبد الله بن بسر للمدّة بين الملحمة العظمى (الحرب مع الروم) وفتح القسطنطينيّة ، وخروج الدجال . يقول : ست سنين ، وفي السابعة يخرج الدجال . وقد أورد هذهِ الرواية أحمد بسندٍ آخر عن عبد الله بن بسر وفيها : انَّ رسول الله ﷺ قال : [بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ، ويخرج مسيح الدجال في السابعة][4] . وفي البدء والتاريخ قال : [.. قالوا : بين فتح القسطنطينية وخروج الدجال سبع سنين ، فبيناهم كذلك إذ جاء الصريخ أنَّ الدجَّال في داركم فيرفضون ما في أيديهم

---

[1] م . س .

[2] م . س .

[3] م . س .

[4] أحمد : ج ٤ صـ ١٨٩

وينفرون إليه][1] . ما يؤكّد لنا إمكانيّة الجمع بين النصوصِ على نحوٍ متّصل بذيل ما ورد في رواية كعب من قولِه سبعة اشهر أو ما شاء الله . وبتعبيرٍ آخر : يريد النصُّ التأكيد على سلسلة من الأحداث معروفة ، وأخرى غير معروفة ، تكون بمثابة الأداة الإنتاجيّة لعالم الصراع في أزمانٍ مختلفة قد تقلُّ أو تكثر[2] ..

وسأورد هنا نصّاً أعتقد انَّه مجموع من نصوص مختلفة ، فهو أشبه بمحاولة جمع للنصوص لبيان صورة محدّدة ، على أنَّ فيه بعض الإضطراب الذي لا تقبله نصوص الطرفين مِن السنّة والشيعة ، أي يتعارض بشدّة مع نصوص الدرجة الأولى الثابتة بشكلٍ يقينيٍّ ، وهذه المواضيع الإضطرابيّة لا قيمة لها حال حذفِها ، وقد فعلت ذلك ، وتركت فيها ما له أثر في بيان الذهن التاريخي آنذاك ونظرتِه إلى مرحلةٍ مستقبليّة هي في غاية الأهميّة على أنَّ بعض ما ورد فيهِ تؤيِّدُهُ نصوصٌ مختلفة ، من هنا اعتمدنا نقله لبيان النص التاريخي والمستقبلي .

وعليه : هذا النص يشير بصورةٍ مختصرةٍ إلى سمة عامَّة للملحمة وحرب الروم وخروج الدجال ، وبتعبيرٍ آخر : أرويه على اعتبار أنَّه شهادة تاريخيَّة تختزن قيمة محدّدة اتّجاه زمن محدّد .. وفيه : عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : [.. تكون وقعة بالزوراء ، قالوا : يا رسول الله ، وما الزوراء ؟ قال ﷺ : مدينة بالمشرق بين أنهار يسكنها

---

[1] : ج ٢ صـ ١٨٥

[2] مع تحفّظي على بعض المتون الواردة بأسانيد ضعيفة أو على الأحرى برجالٍ لا نطمئنُّ إليهم ..

شرار خلق الله[1] وجبابرة من أمتي ، تُقذف بأربعة أصناف من العذاب : بالسيف ، وخسف ، قذف ، ومسخ .

وقال ﷺ : إذا خرجت السودانُ طلبت العرب ينكشفونَ حتى يلحقوا ببطنِ الارض ، أو قال : ببطن الاردن . فبينما هم كذلك ، إذ خرج السفياني في ستين وثلاثمائة راكب ، حتى يأتي دمشق ، فلا يأتي عليه شهر حتى يبايعه من « كلب » ثلاثون ألفاً ، فيبعث جيشاً إلى العراق ، فيقتل بالزوراء مائة ألف ، وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها ، فعند ذلك تخرج راية من المشرق ، يقودها رجلٌ يُقَال له « شعيب بن صالح » ، فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم ، ويخرجُ جيشٌ آخر من جيوشِ السفياني إلى المدينة ، فينهبونها ثلاثة أيام ثمَّ يسيرون إلى مكة ، حتى إذا كانوا بالبيداء بعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ جبرئيل ﷺ فيقول يا جبرئيل : عذِّبهم ، فيضربهم برجله ضربةً فيخسف اللهُ عزَّ وجلَّ بهم ، فلا يبقى منهم إلا رجلانِ ، فيقدمان على السفياني فيخبرانِه خسف الجيش فلا يهوله .

ثم إنَّ رجالاً من قريش يهربون إلى قسطنطينية (أي إلى بلاد الروم) ، فيبعث السفياني إلى عظيم الروم أنْ أبعث إليَّ بهم في المجامع ، قال : فيبعث بهم إليه فيضرب أعناقهم على باب المدينة بدمشق .

قال حذيفة : حتى انَّه يُطَافُ بالمرأة في مسجد دمشق في الثوب على مجلس مجلس ، حتى تأتي فخذ السفياني فتجلس عليه ، وهو في

---

[1] (وهو يشير إلى فئةٍ محدّدة فئة ظلمة ، حكّام جور وأتباعهم لا الشعب والناس الذين يكونون على خلافِ معتقد الجبابرة ، ما يعني عدم استيعاب كلّ من يسكنها ، والدليل على ذلك ما اشار إليهِ في ذيل النصِّ من جبابرة أهل الحكم ، أي يسكنها قومٌ من أهل حكومة الجبابرة ، يحكمون الناس بالباطل) .

المحراب قاعد ، فيقوم رجلٌ مِن المسلمين فيقول : ويحكم أكفرتم باللهِ بعد إيمانكم ؟ إنَّ هذا لا يحلُّ ، فيقوم فيضرب عنقه في مسجد دمشق ، ويقتل كلَّ مَن شايعه على ذلك . فعند ذلك ينادي مِن السماءِ منادٍ : أيها الناس إنَّ الله عزَّ وجل قد قطع عنكم مدَّة الجبارين والمنافقين وأشياعهم وأتباعهم . وولَّاكم خيرَ أمَّة محمد ﷺ ، فالحقوا به بمكة ، فإنَّهُ المهدي .. (وفي النصوص الكثيرة جداً يقول هو ولدي من نسل إبنتي فاطمة عليها السلام وولدي الحسين عليه السلام ..) ،

قال حذيفة : فقام عمران بن الحصين الخزاعي فقال : يا رسول الله كيف لنا بهذا حتى نعرفه ؟ فقال ﷺ : هو رجلٌ عليه عباءتان قطوانيتان ، كأنَّ وجهه الكوكب الدري في اللون ، في خدِّهِ الأيمن خال أسود ، ابن أربعين سنة (وفي النصوص الكثيرة التي لا تحصى يقول : هو المهدي ، إسمه إسمي مِن وُلدِ فاطمة من نسل الحسين عليه السلام) ، فيخرج الابدالُ من الشام وأشباههم ، ويخرج إليه النجباءُ من مصر ، وعصائبُ أهل المشرق وأشباههم ، حتى يأتوا مكَّة فيُبَايَع له بين زمزم والمقام .

ثم يخرج (أي المهدي) متوجِّهاً إلى الشام ، وجبرائيل عليه السلام على مقدِّمته ، ومكائيل على ساقته ، يفرحُ به أهلُ السماء وأهلُ الارض ، والطير والوحش والحيتان في البحر ، وتزيد المياهُ في دولته وتمدّ الانهار ، وتُضعِفُ الارضُ أكلها ، ويستخرج الكنوز ، فيقدم الشام فيذبح السفياني تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية ، ويقتل كلباً (أي أنصاره من قبيلة كلب) ، قال حذيفة : قال رسول الله ﷺ : فالخايبُ مَن خاب يوم كلب ، ولو بعقال . قال حذيفة : يا رسول الله ، وكيف يحلُّ قتالهم وهم مُوحِّدُون ؟ فقال ﷺ : يا حذيفة هم يومئذ على ردَّة يزعمون أنَّ الخمر حلال ، لا

يصلون .. ويسير المهديُّ حتى يأتي دمشق ومن معه مِن المسلمين ، فيبعث اللهُ عزَّ وجل عليه الروم ، وهو الخامس من آل هرقل (تعبير يُراد منه الإشارة والإستعارة لبيان مرحلة مستقبليّة في زمن الظهور) يُقال له : « طبارة » وهو صاحب الملاحم ، فتصالحوهم سبَع سنين ، حتى تغزوا أنتم وهم عدوّاً خلفهم (الترك) وتغنمون وتسلمون أنتم وهم جميعاً ، فتنزلون بمرج « ذي تلول » (لبنان) ، فبينما الناسُ كذلك انبعث رجل من الروم فقال : غلب الصليب ، فيقوم رجلٌ مِن المسلمين إلى الصليب فيكسره ويقول : اللهُ الغالب . فعند ذلك يغدرون وهم أولى بالغدر ، وتستشهد تلك العصابة فلا يفلت منهم أحد .

فعند ذلك يجمعون (أي الروم) لكم للملحمة ، كحمل امرأة (تسعة أشهر) ، فيخرجون عليكم في ثمانين غاية ، تحت كل غاية إثنا عشر ألفاً ، حتى يحلوا بعمق أنطاكية ، فلا يبقى بالحيرة ولا بالشام نصراني إلا رفع الصليب وقال : ألا مَن كان بأرض نصرانية فلينصرها اليوم ، فيسير إمامكم (المهدي عليه السلام) ومن معه مِن المسلمين من دمشق حتى يحل بعمق أنطاكية ، فيبعث إمامكم إلى الشام أعينوني ، ويبعث إلى أهل المشرق (أي أهل خراسان)[1] أنه قد جاءنا عدوٌّ على ساحل الفرات ، ، فيقاتلون ذلك العدو أربعين صباحاً قتالاً شديداً .

ثم إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُنزِلُ النصر على أهل المشرق ، فيقتل منهم تسعمائة ألف وتسع وتسعون ألفاً ، وتنكشف بقيتهم من قبورهم تلك

---

[1] أهل المشرق الخراسانيّون هم الأمّة الأهم التي تبقى على ولاية المهدي عليه السلام رغم كلِّ الأزمات المخيفة والفتن العاصفة والفساد الذي يصيب العالم ورغم الجهد الهائل الذي يصيبهم بسبب اعتقادهم وولايتِهم هذهِ قبل ظهور المهدي ولا يسلّمون الراية إلا له عليه السلام ويضحّون بين يديه التضحيات الهائلة .

(إشارة إلى شدّة المعركة ، والرقم تقريبي لبيان حجم الخسائر وعنف المعركة) فيقوم منادٍ من المشرق : يا أيها الناس أدخلوا الشام ، فإنها معقل المسلمين وإمامكم بها . (أي المهدي بها ، يبدو من النص أنَّ المهدي عليه السلام يقود المعركة في أضخم ملحمة مع الروم تقع في العمق ، أي جهة حلب والنواحي[1]) ..

قال حذيفة : فخيرُ مالِ المسلمين يومئذ رواحل يُرحل عليها إلى الشام (لنصرة المهدي في تلك المعركة مع الروم) .. ويبعث إمامهم (المهدي عليه السلام) إلى اليمن أعينوني (إشارة إلى اليماني) ، فيُقبل سبعونَ ألفاً مِن اليمن على قلائص عدن[2] ، حمائل سيوفهم المسد ، ويقولون : نحن عبادُ اللهِ حقّاً حقّاً ، لا نريد عطاءً ولا رزقاً حتى يأتوا المهدي عليه السلام بعمق أنطاكية ، فيقتَتِل الروم والمسلمون قتالاً شديداً ، فيستشهد مِن المسلمين ثلاثون ألفاً ، ويُقتل سبعون أميراً نُورهم يبلغ إلى السماء . (إشارة إلى معركة هي الأعنف ، تُستعمل فيها وسائل قتال عنيفة جدّاً .. فضلاً عن الإشارة إلى وجود الروم في هذه المنطقة العربيّة الإسلاميّة) ،

قال حذيفة : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أفضل الشهداء شهداءُ أمتي ، شهداء الاعماق (أي شهداء يقعون في سوريا بتلك الحرب التي تكون بين جبهة المهدي وجبهة الروم) وشهداء الدجال (ايضاً التي تقع بين جبهة المهدي واليهود) ، ويشتعل الحديد بعضه على بعض ، (إشارة إلى عنف المعركة وتداخلها ونوع الأدوات الحربيّة التي تستعمل فيها) ، حتى أنَّ الرجل مِن المسلمين ليضرب العلج بالسفود مِن الحديد فيشقّه ويقطعه

---

[1] يكون هذا بعد سيطرة دولة المهدي عليه السلام على منطقة الشرق الأوسط وقسم وافر من آسيا وأفريقيا ..

[2] (في النصوص عند الفريقين أنَّ اليماني الذي ينادي بولاية آل محمَّد يخرج من صنعاء) .

بابين وعليه درع ، فيقتلونهم مقتلةً حتى تخوض الخيلُ في الدم (وصفتها النصوص بالملحمة ..!) فعند ذلك يغضبُ الله تبارك وتعالى عليهم .. فلا رومي يسمع بعد ذلك اليوم ، ويسيرون قدماً قدماً ، فلَأنتم يومئذ خيارُ عباد الله عزَّ وجلَّ ، ليس منكم يومئذ زانٍ ولا غالٍ ولا سارق .

قال حذيفة : فقال : لا تمرُّون بحصنٍ في أرض الروم فتكبِّرونَ عليه إلا خرَّ حايطُهُ . فيقتلون مقاتلته حتى تدخلوا مدينة الكفر القسطنطينية (بعض النصوص تقول : روميّة[1]) فتُكبِّرون عليها أربع تكبيرات فيسقط حايطها .

قال حذيفة : فقال رسول الله ﷺ : إنَّ الله عزَّ وجل يُهلِكُ قسطنطينية وروما (..! النص شديد الوضوح في أنَّ المقصود عاصمة الغرب المسيحي) ، فتدخلونها فتقتلون بها أربعمائة ألف ، وتستخرجون منها كنوزاً كثيرة (كنوز) ذهب وكنوز جوهر ، تقيمون في دار البلاط . قيل يا رسول الله وما دار البلاط ؟ قال : دار الملك ، ثم تقيمون بها سنة تبنون المساجد . ثم ترتحلون منها حتى تأتوا مدينة يقال لها « قدد مارية » ، فبينما أنتم فيها تقتسمون كنوزها إذ سمعتم مناديا ينادي : ألا إنَّ الدجال قد خلفكم في أهليكم بالشام ؟ فترجعون فإذا الأمر باطل ،

فعند ذلك تأخذون في إنشاء سفن .. فتركبون من مدينة يقال لها : عكا في ألف مركب وخمسمائة مركب من ساحل الاردن بالشام ، وأنتم يومئذ أربعة أجناد : أهل المشرق ، وأهل المغرب ، وأهل الشام ، وأهل

---

[1] إشارة إلى عاصمة القرار الغربي المسيحي . ثم استعمال لفظ القسطنطينيّة يُراد منه الإشارة إلى عاصمة الروم ومركز القرار ، أي إشارة إلى لفظ تاريخي لبيان معنىً مستقبلي .

الحجاز ، كأنَّكُم وُلدُ رجلٍ واحد ، قد أذهب اللهُ عزَّ وجلَّ الشحناء والتباغض من قلوبكم ، فتسيرون مِن عكا إلى رومية ، تُسخَّر لكم الريحُ (..!) كما سُخِّرَت لسليمان بن داود حتى تلحقوا برومة .. (إشارة إلى تطورٍ كبير في أدوات الحرب والجو ، عبَّر عنها بألفاظ تاريخيّة ضمنيّة ، واستعمال هذه الألفاظ بالقالب التاريخي إنّما للإشارةِ بالكناية والإستعارة لعالم عصر الظهور الشريف) ،

يضيف : فبينما أنتم تحتها مُعسكِرين إذ خرج إليكم راهبٌ مِن رومية عالم مِن علمائهم صاحب كتب ، حتى يدخل عسكركم فيقول : أين إمامكم ؟ فيُقال : هذا ، فيقعد إليه فيسأله عن صفة الجبَّار تبارك وتعالى وصفة الملائكة ، وصفة الجنة والنار ، وصفة آدم ، وصفة الانبياء حتى يبلغ إلى موسى وعيسى عليهما السلام فيقول : أشهد أن دينكم دينُ الله ودينُ أنبياءه ، لم يرضَ ديناً غيره . ويسأل : هل يأكل أهل الجنة ويشربون ؟ فيقول : نعم ، فيخرُّ الراهب ساجداً ساعة ، ثم يقول : ما ديني غيره وهذا دينُ موسى عليه السلام والله عزَّ وجلَّ أنزله على موسى وعيسى عليهما السلام ، وإنَّ صفة نبيكم عندنا في الانجيل المرقليط (البرقليط) صاحب الجمل الاحمر ، وأنتم أصحاب هذه المدينة ، فدعوني فأدخل إليهم فأدعوهم فإن العذاب قد أظلَّهُم ، فيدخل فيتوسَّط المدينة فيصيح بأهل رومية : جاءكم وُلدُ إسماعيل بن إبراهيم الذين تجدونهم في التوراة والانجيل ، نبيُّهم صاحب الجمل الاحمر فأجيبوهم وأطيعون ، فيثبون إليه فيقتلونه . فيبعث الله عزّ وجلَّ إليهم ناراً مِن السماء كأنها عمود حتى تتوسط المدينة ، فيقوم إمام المسلمين فيقول : يا أيها الناس إنَّ الراهب قد استشهد . قال حذيفة : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يُبعَثُ ذلك الراهبُ فئةً وحده ، ثم يُكبِّرون عليها أربع تكبيرات فيسقط

حايطها ، وإنما سُمِّيت رومية لأنها كرمانة مكتنزة من الخلق ، فيقتلون بها ستمائة ألف ويستخرجون منها حلي بيت المقدس والتابوت الذي فيه السكينة ومائدة بني إسرائيل ورضراضة الالواح وعصى موسى ومنبر سليمان وقفيزين مِن المنِّ الذي أنزل على بني إسرائيل أشد بياضاً مِن اللبن .

قال حذيفة : قال رسول الله ﷺ في وصف تلك المدينة : لها ستُّون وثلاثمائة باب ، يخرج من كل باب منها مائة ألف مقاتل ، فتكبرون عليها أربع تكبيرات فيسقط حايطها فتغنمون ما فيها ، ثم تُقيمون فيها سبع سنين ، ثم تقفلون منها إلى بيت المقدس ، فيبلغكم أنَّ الدجال قد خرج من يهودية أصبهان ، إحدى عينيه ممزوجة بالدم ، والاخرى كأنها لم تخلق ، يتناول الطير مِن الهواء ، له ثلاث صيحات يسمعهنَّ أهلُ المشرق وأهل المغرب ، يركب حماراً أبتر بين أذنيه أربعون ذراعاً (إشارة إلى أدوات عصريّة ضخمة ، مثل حاملات السفن وغيرها) ، يستظل تحت أذنيه سبعون ألفاً (إشارة واضحة إلى أدوات عصريّة ، أدوات حرب وقتال برية او بحريّة او جوية) ، يتبعه سبعونَ ألفاً مِن اليهود عليهم التيجان (إشارة إلى قيادة اليهود على هذه الجبهة التي يتزعَّمها الدجال[1]) ، فإذا كان يوم الجمعة مِن صلاة الغداة وقد أُقيمت الصلاة فالتفت المهديُّ عليه السلام فإذا هو بعيسى بن مريم قد نزل مِن السماء في ثوبين ، كأنما يقطر من رأسه الماء .. فيقول له الامام : تقدَّم فصلِّ بالناس ، فيقول له عيسى عليه السلام : إنَّما أُقيمت الصلاة لك ، فيُصلِّي عيسى عليه السلام خلفه ﷺ . (الثابت عندنا أنَّ

---

[1] وفي نصوص ورد لفظ : سيجان ، أي ثياب غليظة ، ثياب شتوية ، تشير أنّهم يخرجون من بلاد شديدة البرودة .

عيسى عليه السلام يُعظِّم المهدي عليه السلام ويقول له : إنّما بعضكم أميرٌ على بعض) . قال حذيفة : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : قد أفلحت أمة أنا أوّلُهَا وعيسى آخرها .

قال : ويُقبل الدجال معه أنهار ونار ، يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الارض أن تنبت فتنبت (إشارة إلى تقنيّة يمتلكها يستعملها في تدعيمِ جبهتِهِ) ، معه جبل من ثريد فيه ينابيع السمن (إشارة إلى سيطرة جبهتِهِ على موارد واسعة من أسباب العيش) ، ومِن فتنته أن يمر بأعرابي قد هلك أبوه وأمه ، فيقول : أرأيت إنْ بعثت أباك وأمك فتشهد أني ربُّك قال : فيقول بلى ، فيقول لشيطانين فيتحوّلان واحداً أبوه وآخر أمه (إشارة إلى حيلةٍ ما ، تدليس ، شعوذة ، وقد ثبت في النصوصِ أنَّ الدجال لا يحيي الموتى ، وإنّما يفعل ذلك فيما يرى الناس ..! أي على قاعدة سحروا أعين الناس) .. فيقولان : يا بني إتبعه فإنَّهُ ربُّك (ثبت في نصوص الفريقين أنَّ الناس يعلمون أنّه ليس ربّاً ، لكنّهم يتبعونه لما بين يديهِ من نعمة ومال ، ومكتوبٌ بين عينيهِ كافر ، أي معروف بالكفر ، يقرأها مَن يعرف القراءة ومَن لا يعرفها إشارة إلى شياع أمرهِ بالكفرِ والخروج على أمرِ الله تعالى) يطأ الارض جميعاً إلا مكة والمدينة وبيت المقدس فيقتله عيسى بن مريم عليه السلام بمدينة يُقال لها لدّ ، بأرض فلسطين . (الثابت عندنا انّ الذي يقتله هو المهدي عليه السلام ولا خلاف في ذلك ما دام أنَّ عيسى عليه السلام هو وزير جبهة المهدي عليه السلام)[1] ،

---

[1] أحبّ أن أشير إلى أنَّ بعض النصوص المختلقة والتي لا قيمة علميّة لها حاولت أن تعطي بعض الأدوار التي هي لمولانا وحجّة الله على الأرض الإمام المهدي إلى نبيّ الله عيسى بن مريم لأسبابٍ تتعلّق بضغينة على آل رسول الله ، إلى درجة دفعت بعض الرواة إلى دسّ عبارات تشير إلى أنَّ المهدي يُقتل فيقوم مكانه عيسى بن مريم إلى أن ينشر دين الله في الأرض . في حين أطبقت النصوص المتواترة على أنَّ الله أعدّ

قال : فعند ذلك خروج يأجوج ومأجوج . قال : فيوحي الله عزَّ وجل إلى عيسى عليه السلام (وزير جبهة المهدي) أحرِز عبادي بالطور طور سنين . قال حذيفة : قلت يا رسول الله : وما يأجوج ومأجوج ؟ قال : يأجوج أمة ومأجوج أمة ، كلُّ أمة أربع مائة ألف أمَّة ، لا يموت الرجلُ منهم حتى ينظر إلى ألف عين تطرف بين يديه مِن صلبه . (إشارة إلى أمّةٍ ضخمة ، تعدادُها السكني كبير جداً ، لديها من الجند والأتباع الكثير .. يبدو من النصوص الأخرى إشارة أنَّ لديهم مِن وسائل الحرب في البر والبحر والفضاء ما يدفعهم إلى شنِّ حربٍ يتقاتلون فيها مع أمّة ضخمة ويكون إنتصارهم بعد حربٍ تجري في الفضاء فيقولون : غلبنا أهل الأرض ، ثمَّ يتَّجهون لقتال المسلمين) ،

قال : قلت يا رسول الله ، صِف لنا يأجوج ومأجوج ؟ قال : هم ثلاثة أصناف ، صنف منهم أمثال الارز الطوال ، وصنف آخر منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في مائة وعشرين ذراعاً ، وهم الذين لا يقوم لهم الحديد ، وصنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحفه بالاخرى . (ممَّا لا شكّ فيهِ التعابير هنا مجازيّة ، استعارة ، كناية ، للإشارة إلى فئاتٍ مختلفةٍ الأوصاف من حيث العدّة والعدة والقدرات ، بعضهم لا يُقوَى عليهم إلا بقوّة إستثنائيّة ، وبعضهم الآخر أقلَّ قدرة من ذلك ، وهم متسلِّحون بأدوات

الإمام المهدي عليه السلام لنشر القسط والعدل في العالم بعد أن مُلِئ جوراً وفساداً . النصوص في هذا المجال متواترة . لكنّ بعض الرواة حاول دفع هذهِ الأمور لما في قلبِهِ على آلِ رسول الله صلى الله عليه وآله من هنا فلا بدَّ من الحذر ، ولا بدَّ من الإنتباه .. مع انّ الثابت عند كلّ المسلمين انّ المهديّ هو الإمام الحجّة الثاني عشر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويبسط نعمة الله على الكون ، ويقيم دولة الإسلام ، ويهزم دول الكفر والشرك والضلالة والباطل بما في ذلك السفياني والروم والترك واليهود ويأجوج ومأجوج .. كلّ ذلك في فترة فاصلة وشديدة الوقع وهائلة الآثار ..

ممانعة .. هذا ما يريد النص أن يشير له ، وهو الذي يضمن لهم ربح معركة تعتبر قياسيّة بالنسبة لهم فيقولون : غلبنا أهـل الأرض ثـمَّ يتّجهـون لقتـال المسلمين) ،

قال حذيفة : قال رسول الله ﷺ : يكون جمعاً (كذا) منهم بالشام ، وساقتهم بخراسان ، (إشارة إلى عددهم الكبير) ، يشربون أنهار المشـرق حتى تيبس (تعبير عن حكرتِهم وسيطرتهم على الماء وعددهم الكبير الـذي يهدِّد الموارد المائيّة في تلك النقطة بالخصوص) ، فيحلّون ببيـت المقـدس (وهذا يعني انَّ خريطة الإنتشار العسكري لهؤلاء واسعة ، حيث يخوضون حرباً ضخمة مع أمّةٍ غير مسلمة فينتصرون فيها ، ثمَّ يتَّجهون نحو الشرق لقتال المسلمين ، ويـدخلون بيـت المقـدس ، ولا أدري إن كـانوا يـدخلونَها حرباً أو سلماً أو معاونةً لجبهةٍ تكون هناك) وعيسى والمسـلمون بـالطور (لا بدَّ من تنقيح النصوص والتركيز على أنَّ عيسـى بـن مـريم عليه السلام يكـون وزير جبهة الإمام المهدي عليه السلام ، في حين يكون المهدي القائد الذي يخـوض حروب الإنتصار ، ومن غير البعيد أنَّ الراوي هنا استبدل إسم المهدي عليه السلام بإسم عيسى بن مريم عليه السلام ، وهذا الأمر غير خفي لمن اطّلع علـى مجموعـةٍ من النصوصِ لا يمكنها طمس معالم المهدي فحـاول دسّ بعـض العبـارات التي تعطي الأدوار لغيرِهِ ..!) ، فيبعـث عيسـى طليعـةً يُشـرِفُون علـى بيـت المقدس ، فيرجعون إليه فيخبرونه أنه : ليس تُرَى الارض من كثرتهم ! ،

قال : ثم إنَّ عيسى يرفع يديه إلى السـماء فيرفـع المؤمنـونَ معـه ، فيدعون اللهَ عزَّ وجلَّ ويؤمِّنُ المؤمنون فيبعث اللهُ عليهم دوداً يقـال النغـف ، فتدخل في مناخرهم حتى تدخل في الدماغ ، فيصبحون أمواتاً . قال : فيبعث الله عزَّ وجلَّ عليهم مطراً وابلاً أربعين صباحاً ، فيغرقهم في البحر ، فيرجـع

عيسى إلى بيت المقدس والمؤمنون معه فعند ذلك يظهر الدجال . (هنا مشكلة ، لأنّ النصوص الكثيرة تشير أنَّ الدجَّال يكون قبل خروج يأجوج ومأجوج ، إذن هناك مشكلة في في خطأ الرواي فتنبّه) ،

قال : قلت يا رسول الله : وما آيةُ الدجال ؟ قال : يُسمع له ثلاث صيحات ودخان يملأ ما بين المشرق والمغرب (الثابت أنَّ للدجَّال فتنة عظيمة) ، فأمَّا المؤمن فيصيبه زكمة ، وأما الكافر فيصير مثل السكران يدخل في منخريه وأذنيه وفيه ودبره .

ثمَّ يشيرُ حذيفة إلى أمورٍ أخرى تحصل فيقول ناقلاً عن الرسولِ ﷺ : وخسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب وخروج الدابة .. ليس يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، تسمُ الناس مؤمناً وكافراً ، فأما المؤمن فتترك في وجهه كالكوكب الدري وتكتب بين عينيه مؤمن ، وأما الكافر فتنكث بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر . ونار مِن بحر عدن تسوقُ الناس إلى المحشر . وطلوع الشمس مِن مغربها ، ويكون طول تلك الليلة ثلاث ليالٍ لا يعرفها إلا الموحِّدون أهل القرآن ، يقوم أحدهم فيقرأ جزءه فيقول قد عجلت الليلة ، فيضع رأسه فيرقد رقدة ثم يهبّ من نومه فيسير بعضهم إلى بعض فيقولون : هل أذكرتم ما أنكرنا ؟ فيقول : بعضهم ببعض عنه : غداً تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت مِن مغربها فعند ذلك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً][1] .

---

[1] جامع البيان ، الطبري : جـ ١٥ صـ ١٧ ابن أبي حاتم : على ما في الدر المنثور . * : الطبراني ، الاوسط : على ما في مجمع الزوائد . * : الكامل ، ابن عدي : جـ ٦ صـ ٢١٧٨ ٢١٧٧ بعضه ، كما في الداني .

تعليق أخير ، بالنسبة إلى طلوع الشمس من مغربها ؟ هذا الأمر يحصل كعلامة يقينيّة قبل ظهور المهدي (عليه السلام) وكإعلان كوني إعجازي على قرب الظهور الشريف . ما يعني أنَّ الراوي اضطرب في بيان تعاقب الأحداث ، وقد بدا الأمر واضحاً في أكثر من فقرة . وعليه : ما أحبُّ أن أشير إليهِ هنا هو التأكيد بأنَّ هذا النص هو عبارة عن مجموعةٍ مدموجة ، حاول عبرها الراوي سرد ما أمكن عن تلك المحطّة ، مع تأكيدي على أنّ بعض الوهم والإضطراب أصاب النصَّ فكان لا بدَّ من حذف ما أصابه مِن اضطراب ، على أنّني نقلته من بابِ تاريخيّتِهِ أكثر مِن أيِّ اعتمادٍ آخر على صفةٍ أخرى ..

ويجب الإلتفات إلى أنَّ الذيل الأخير مِن النص الوارد في الخسف بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب وطلوع الشمس من المغرب غير محدَّد المدّة . والثابت في النصوص التي لا تقبل الجدل أنَّ طلوع الشمسِ من المغرب علامة على ظهور المهدي (عليه السلام) وليس نهايةً أو حدثاً قبل نار عدن ، فاقتضى التوضيح . بل أكّد لي أن هذا النص هو عبارة عن مجموعة من نصوصٍ حاول عبرها الراوي أو الناقل تركيب صورة مختصرة عن ذلك العالم فأصاب في بعضِهِ وقصَّر في بعضٍ آخر ، وبدا واضحاً بعض الخطأ في تعاقب الأحداث ..

وما أحبُّ أن أشير له أنَّ هناك أموراً ثابتة بشكلٍ نهائي وموثّقة منها :

- الأمّة التي تبقى على ولاية آل محمّدٍ وتنادي بالمهدي قبل ظهورِهِ وبعده هي أهل المشرق أهل خراسان باتّفاق الرواة والعلماء من المسلمين سنّةً وشيعة .

- إنَّ الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، الأرض كلَّ الأرض وأينما يصل أثرُ الإنسان ، هو الإمام المهدي ، مِن ولدِ فاطمة الزهراء من نسلِ الإمام الحسين وهو الثاني عشر من أئمّة آل ممحمّد عليهم السلام ..
- عيسى بن مريم عليه السلام ينزل وينصر آل محمَّد ، ويقود في جبهة الإمام المهدي عليه السلام ويكون له موقع وزير جبهة المهدي عليه السلام ويصلِّي خلفه رضي الله عنه .. دون خلافٍ بين علماء المسلمين في ذلك ..
- يكون للخراسانيين أو أهل المشرق جهد جبّار قبل وبعد ظهور الإمام المهدي ، وهم الفئة التي ينتصر اللهُ فيهم قبل ظهور الإمام عليه السلام وهم الذين يدخلون بيت المقدس فتجتمع على قتالهم الروم والترك ، وهم الذين لا يسلِّمون الراية إلا للمهدي ، وهم الذين يقاتلون جنباً إلى جنبٍ في جبهة الإمام المهدي بعد ظهورِهِ ..
- اليماني هو الذي يخرج من صنعاء ، وينادي بولاية آل محمد عليهم السلام ويعلن المهديَّ حجّة الله ، ويخرج للقتال بين يديه ، ويبدو أنّه يكون على اتصال بالمهدي عليه السلام في الظهور الخاص ..
- ثمّ تكون وقعات مختلفة لجبهة المهدي عليه السلام ، منها وقعة مع السفياني ، ووقعة مع الترك ، ووقعة مع الروم ، وقعته مع الروم تكون شديدة وذات ملحمة هائلة ، ووقعة مع الدجال ، ووقعة مع يأجوج ومأجوج .. بالإضافة إلى الجيوش والجبهات التي تنصرُ هذهِ الأمم التي تخرج على المهدي عليه السلام ..
- لا يستشهد أو يموت الإمام المهدي عليه السلام أبداً قبل أن ينشر العدل في العالم ويقيم حكم الإسلام ، وهو الذي ينادي بالإسلام ديناً للعالم كلِّه ، وتنزل الرحمة على الناس ، وتكثر النعم ، ويستتبّ الأمن ، وتتجلّى رحمةُ اللهِ ونعمه على الناس والكون .. بل يعيش

المهدي عليه السلام العمرَ المديد ، وتعمر دولتُهُ المباركة عمراً مديداً حسب المرويَّات الواردة عندنا ..

وما يلفت نظري هو وجود نصوص أخرى كثيرة متّفقة مع هذا المعنى ، لكنَّ بعضها تأثّر بالأجواء التي كانت مشحونةً بين المسلمين والبيزنطيين ، فنقل النصَّ المروي عن النبيِّ ، ووقع بعضُهم في وهمٍ تاريخيٍّ لبعض الحشو ، وهذا الحشو واضح على أهل الخبرة فيردّونه . والمعنى العام يؤكِّد عظمة النبيِّ صلى الله عليه وآله في بيان ما يصيب العالم وما يصير إليه الكون السياسي . انّه الإعجاز الدال على عظمة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي فاق بيانُهُ الزمان والمكان[1] ..

وفي حديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انّه قال : [.. يكون بين المسلمين وبين الروم هدنة وصلح ، حتى يقاتلوا معهم عدواً لهم ، فيقاسمونهم غنائمهم (يقاتلون الترك كما في الروايات الواضحة في هذا المجال) ، ثم إنَّ الروم يغزون مع المسلمين فارس فيقتلون مقاتلتهم (ومنطقة فارس واسعة جدّاً تاريخيّاً ، وهي أي فارس تجمع أقواماً مختلفين ودولاً مختلفة في حين تكون في المشرق ، أي في خراسان دولةُ لآلِ محمّد عليهم السلام شيعيَّة ، تظلُّ على الدِّين وتتمسَّك بهِ بشكلٍ هائلٍ رغم الباطل الذي يحكم العالم ويشيع فيه زمن الغيبة) فتقول الروم : قاسمونا الغنائم كما قاسمناكم ، فيقاسمونهم الاموال وذراري الشرك ، فيقول الروم :

---

[1] من هنا فإنَّ النصَّ الذي أجد فيه بعض الخللِ – وهو شديد الوضوح عند أهل الخبرة – أشير إليه وأبيِّنُ انّني أنقله على نحوٍ من عنصر تاريخيٍّ – لا روائي – لما لقيمتِهِ التاريخيّة من أثر في بيان الفكر الذهني عن العالم المستقبلي زمن المهدي عليه السلام . وهذا ما تعاملت فيهِ مع بعض الفقرات في النص السابق .

قاسمونا ما أصبتم من ذراريكم ، فيقولون لا نقاسمكم ذراري المسلمين أبداً .

فيقولون : غدرتُم بنا ، فترجِعُ الروم إلى صاحبهم بالقسطنطينية[1] فيقولون : إنَّ العرب غدرت بنا ، ونحن أكثر منهم عدداً ، وأتمّ منهم عدة ، وأشدّ منهم قوة ، فأمدّنا نقاتلهم ، فيقول : ما كنتُ لأغدر بهم ، قد كانت لهم الغلبة في طولِ الدَّهرِ علينا ، فيأتون صاحبَ رومية فيخبرونه بذلك ، فيوجه ثمانين غاية تحت كلِّ غاية ، إثنا عشر ألفاً في البحر ، ويقول لهم صاحبهم : إذا رسيتم بسواحل الشام فأحرقوا المراكب ، لتقاتلوا عن أنفسكم ، فيفعلون ذلك ويأخذون أرضَ الشام كلِّها برّها وبحرها ما خلا مدينة دمشق والمعتق ، ويخرِّبُون بيت المقدس .

فقال ابن مسعود : وكم تَسَع دمشقُ مِن المسلمين ؟ فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيدِهِ لَتتّسِعنَّ على من يأتيها مِن المسلمين ، كما يتّسِع الرحمُ على الولد . قلت : وما المعتق يا نبيَّ الله ؟ قال ﷺ : جبلٌ بأرض الشام مِن حمص على نهر يُقال له الارنط ، فيكون ذراري المسلمين في أعلا المعتق ، والمسلمون على نهر الارنط ، والمشركون خلف نهر الارنط ، يقاتلونهم صباحاً ومساءً ، فإذا أبصر ذلك صاحبُ القسطنطينية وجَّه في البر إلى قنسرين ستمائة ألف ، حتى تجيئهم مادَّةُ اليمن سبعين

---

[1] وكأنَّ النص هنا – لخصوصيّة الإقتران – يشير إلى دولة أو عاصمة أو جبهة مسيحيّة لها قيمة نافذة في الشرق ، وهي تشكّل حلفاً مع روم الغرب ، من هنا يطلب الروم الموجودون في الشرق مساعدته لكنّه يرفض عند ذلك فيحوّلون وجههم نحو مركزهم الأكبر أي العاصمة الأضخم وهي روما الغرب فتلبّي طلبهم .. لا بدَّ من ملاحظة هذا التفريق في النصوص ..! على أنّ روم الشرق المشار إليهم بقسطنطينيّة ينحازون بعد ذلك إلى نصرة روم الغرب ..!

ألفاً ، ألَّفَ اللهُ قلوبهم بالايمان ، معهم أربعونَ ألفاً مِن حمير ، حتى يأتوا بيت المقدس ، فيقاتلون الروم ، فيهزمونهم ويخرجونهم مِن جندٍ إلى جندٍ حتى يأتوا قنسرين ، وتحتهم مادَّةُ الموالي ، قلت : وما مادَّةُ الموالي يا رسول الله ؟ قال ﷺ : هم عتاقتكم ، وهم منكم قومٌ يجيئون ظاهراً من قِبَل فارس (دولة أهل المشرق الشيعيّة الموالية لآل محمّد) ، فيقولون تعصبتم يا معشر العرب .. فيخرجون الروم إلى العمق ، وينزل المسلمون على نهر يقال له « كذا وكذا » هذا والمشركون على نهر يُقال له الرقنة ، وهو النهر الاسود ، فيقاتلونهم ، فيرفع اللهُ تعالى نصره عن العسكرين ، وينزل صبره عليهما حتى يقتل من المسلمين الثلث ، ويفرّ ثلث ، ويبقى الثلث .

فأما الثلثُ الذين يُقتلون ، فشهيدهم كشهيد عشرة من شهداء بدر ، يشفع الواحد من شهداء بدر لسبعين وشهيد الملاحم يشفع لسبعمائة ، وأما الثلث الذين يفرُّون فإنَّهم يفترقون ثلاثة أثلاث ، ثلثٌ يلحقون بالروم ويقولون : لو كان لله بهذا الدِّين مِن حاجة لنصرهم ، وهم مسلمةُ العرب بهذا وتنوح وطي وسليح ، وثلثٌ يقولون : منازل آبائنا وأجدادنا خيرٌ لا تنالنا الروم أبداً ، مرُّوا بنا إلى البدو وهم الأعراب ، وثلثٌ يقولون : إنَّ كلَّ شيئ كإسمه وأرض الشام كإسمها الشوم ، فسيروا بنا إلى العراق واليمن والحجاز حيث لا نخاف الروم ، وأما الثلث الباقي فيمشي بعضهم إلى بعض ، يقولون : الله الله ، دعوا عنكم العصبية ولتجتمع كلمتُكُم (الله أكبر ..! هذهِ حسب متن الرواية واضحة في أنَّها كلمةُ أهل المشرق الخراسانيين الذين لا يسلِّمون الراية إلا للمهدي عليه السلام) ، وقاتلوا عدوَّكُم ، فإنَّكُم لن تُنصَرُوا ما تعصَّبتُم ، فيجتمعونَ جميعاً ، وتبايعون على أن يقاتلوا ، حتى يلحقوا بإخوانهم الذين قبلوا .

فإذا أبصر الروم إلى مَن قد تحوَّل إليهم ومَن قبل ورأوا قلة المسلمين قام روميٌّ بين الصفَّين معه بندٌ في أعلاه صليب ، فينادي : غلبَ الصليب غلب الصليب ، فيقوم رجلٌ مِن المسلمين بين الصفين ومعه بندٌ فينادي : بل غلب أنصارُ اللهِ ، بل غلب أنصارُ اللهِ وأولياؤه ، فيغضب اللهُ تعالى على الذين كفروا مِن قولهم : غلب الصليب ، فيقول : يا جبريل أغِث عبادي ، فينزل جبريل عليه السلام في مائة ألف مِن الملائكة ويقول : يا ميكائيل أغِث عبادي ، فينحدر ميكائيل في مائتي ألف مِن الملائكة ، ويقول : يا إسرافيل أغِث عبادي ، فينحدر إسرافيل في ثلثمائة ألف مِن الملائكة ، ويُنزِلُ اللهُ نصره على المؤمنين ، ويُنزِلُ بأسه على الكفَّار ، فيقتلون ويهزمون ، وتسير المسلمون في أرض الروم حتى يأتوا عمورية وعلى سورها خلقٌ كثير يقولون : ما رأينا شيئا أكثر من الروم ، كم قتلنا وهزمنا ! وما أكثرهم في هذه المدينة وعلى سورها ! فيقولون : آمنونا على أن نودِّي إليكم الجزية .

فيأخذون الامانَ لهم ولجميع الروم على أداء الجزية ، ويجتمع إليهم أطرافُهُم فيقولون : يا معشر العرب ، إنَّ الدجال قد خالفكم إلى دياركم . والخبرُ باطلٌ ، فمَن كان منهم منكم فلا يُلقِينَّ شيئاً ممَّا معه ، فإنه قوَّة لكم على ما بقي ، فيخرجون فيجدون الخبر باطلاً ، وتبث الروم على ما بقي في بلادهم مِن العرب ، فيقتلونهم حتى لا يبقى بأرضِ الروم عربيٌّ ولا عربية ولا ولد عربي إلا قُتِلَ ، فيبلغ ذلك المسلمين فيرجعون غضباً لله عزَّ وجلَّ فيقتلون مقاتلتهم .. ولا ينزلون على مدينة ولا حصن فوق ثلاثة أيام حتى تُفتح لهم ، وينزلون على الخليج ويمد الخليج حتى يفيض ، فيصبح أهل القسطنطينية يقولون : الصليب مدَّ لنا بحرنا والمسيحُ ناصرنا ، فيصبحون

والخليج يابس ، فتضرب فيه الاخبية ويحسر البحر عن القسطنطينية . ويحيط المسلمون بـ « مدينة الكفر » ليلة الجمعة بالتحميد والتكبير والتهليل إلى الصباح ، ليس فيهم نائم ولا جالس ، فإذا طلع الفجر كبَّرَ المسلمون تكبيرةً واحدةً ، فيسقط ما بين البرجين ، فيقول الروم : إنَّما كُنَّا نقاتل العرب ، فالآن نقاتل ربَّنا ، وقد هدم لهم مدينتنا وخرَّبَهَا لهم ، فيمكثون بأيديهم (كذا) .. ويتمتَّعوا بها في أيديهم ما شاء الله .

ثم يخرج الدجال حقّاً ، ويفتح اللهُ القسطنطينية على يدي أقوام هم أولياء الله ، يرفع اللهُ عنهم الموت والمرض والسقم حتى ينزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام فيقاتلون معه الدجال][1] .

النصُّ صريح في التفريق بين رايات ذات انتماء مسيحي ، لكنَّها متعدِّدةً تكون مجتمعةً لنصرة المسيحيّة السياسيّة على انّ مركز القرار الأعظم للروم يكون في الغرب ..! واللافت فيه انّه يُؤيِّد مسألة الترابط بين فتح عاصمة الروم الأكبر وبين خروج الدجَّال على أثره ولو بعد زمن .. بل أمثال هذه النصوص تشتم منها رائحة محاولة اليهود ما أمكن لنصرة الروم لكنّهم يفشلون ، حيث يمكثون رعباً من الضربات التي أوضح النصُّ أنّ الروم من شدّة الأهوال التي تقع عليها تقول : كنّا نقاتل العرب ، والآن نقاتِل ربّنا ..!

والآن إقرأ ما يقوله « سفر الرؤيا » أمام أهوال الدمار الهائل الذي يقع على المدينة العظمى روما : [.. ويقف قادةُ السفن ، وركّابها ، وملاحوها ، وعمَّال البحر جميعاً على بُعدٍ منها ينظرون إلى دخان حريقها ،

---

[1] ابن حماد : صـ١١٦

فيصرخون : أيّةُ مدينة مثل المدينة العظمى ؟ ويذرون التراب على رؤوسهم ! وهم يصرخون باكين منتحبين : الويلُ ، الويلُ على المدينة العظمى ، ها هي في ساعةٍ واحدةٍ قد زالت ! اشمتي بها أيّتها السماء ! اشمتوا بها أيُّها القدّيسيّون والرّسل والأنبياء ! فقد أصدر اللهُ حكمه عليها بعد أن اصدرت أحكامها عليكم .. !][1] .

نفس المعنى وبدقّةٍ هائلة ..! إنّها حربُ الربِّ وعقابه للروم وحلفاءها ، إنّها معركةٌ ربانيّة لم يشهد التاريخ البشري مثيلاً لها ..!

قال المفسِّرون : إنَّ هذه المعارك تأتي في المستقبل ..[2] إنّها تبدأ من حرب روما في الشرق وتنتهي في الغرب .. وكما في كلمات اللاهوتيين : لقد جاءوا إلى الشام لاحتلالها[3] .

وكأنَّ لليهود دوراً بارزاً في معركة الروم مع المهدي ﷺ ..! حرب الإنقلاب الرومي تقع أوَّل مرّة في لبنان ..! وفي كلمات اللاهوتيين عن هذه الضربة التي تقودها جبهة المهدي ﷺ ورد : [.. وهذه الضربة التي يضربُ بها الربُّ كلَّ الشعوب الذين يجنّدوا على أورشاليم - أي لحمايتها وتأييدها

---

[1] الرؤيا ١٧/١٨ ، ١٨

[2] زكريا / فكري : ٢٥١ ، الرؤيا / ويسلي : ٧٢

[3] يقول النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، واني لأرجو أن تكونوا هم يا اهل الشام] . [رواه أحمد وقال الهيمثمي رواه البزار والطبراني ورجال ثقات (الزوائد ٧/٢٨٧) . وفي نص آخر : [لا تزال طائفة من امّتي على الدِّين ظاهرين ، لعدوّهم قاهرين ، لا يضرّهم من جابههم ، إلا ما أصابهم من لاواء (شدّة) ، حتى يأتيهم أمرُ الله (أي المهدي ﷺ أو عيسى بن مريم) ، وهم كذلك ، قالوا يا رسول الله ، وأين هم ؟ قال ﷺ : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس] . [رواه الطبراني . قال الهيثمي رجاله ثقات (الزوائد ٢٨٨ / ٣) . وفي حديث آخر : [لا يزال هذا الدِّين قائماً تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة] [رواه أحمد وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح (الزوائد ٣/٢٨٨) .

ودعمها - لحمهم يذوب وهم واقفون على أقدامهم ، وعيونهم تذوب في أوقابها ، ولسانُهم يذوف في فمهم][1] . عبارات ربّما لا نجد لها تفسيراً إلا ما قاله اللاهوتيّون من أنّها : [كالضربة الهيدروجينيّة][2] .

وقد قال أهل اللاهوت في التفسير - عن هذا السقوط - :

[لقد حدثت بروقٌ ورعودٌ وزلزال عنيف . فالرعود والبروق تدلُّ على قوّة الله .. وترمز إلى اضطراب عنيف في كل السلطات من أعلاها إلى أدناها .. وتسقط كلُّ مقوّمات الحياة الإجتماعيّة ، وتتداعى وتنهار بشكلٍ جاد وعلى نطاقٍ واسع[3]] .

[لقد جاءوا من هناك إلى هنا ! يحملون شعار « الله محبّة » ! ليعيشوا مساءهم الذي تغرب شمسهُ إلى الأبد][4] .

وبعد هذه الضربة الهائلة التي لم يشهد التاريخ البشري مثيلاً لها يصوِّر لنا سفر الرؤيا هذا الذعر الهائل الذي يسيطر على زعامات روما واباطرتها وملوكها وارباب قاطرتها فيقول :

[.. وملوكُ الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكلّ عبدٍ وكلُّ حرٍّ أخفوا أنفسهم في المغاور وفي صخور الجبال وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا ! ، واخْفِينا من وجهِ الجالس على العرش

---

[1] [زكريا ١٤ / ١٢] .

[2] [مشتهى كلّ الأمم ، صايغ : ٩٥] .

[3] تفسير الرؤيا / حنا : ٣٦١

[4] زكريا / فكري : ٢٥١ ، الرؤيا / ويسلي : ٧٢

(إشارة إلى المهدي المنتظر عليه السلام) ، ومن غضب الحمل[1] (إشارة إلى السيّد الفارسي الأشوري الخراساني) . إنَّ يوم الغضب العظيم قد جاء ، ومَن يقوى على الوقوف أمامه ..!][2] .

الله أكبر ..! شديدة التطابق مع مصادر الإسلام ..!

نصُّ سفر الرؤيا ينقل لنا رُعب الأمراء والملوك والقادة وهم يقولون للجبال والصخور اسقطي علينا ! ، اخْفِينا من وجهِ الجالس على العرش ..! إنّها أضخم لحظة رعب من عظمة المهدي وليِّ الله الأعظم ..! ثمَّ يقول الكتاب المقدس – ناظراً إلى الخسائر الهائلة التي تكبّدتها الروم وحلفاءُها في تلك المعركة – :

[.. ورأيتُ ملاكاً .. ينادي الطيور بصوتٍ عالٍ قائلاً : هلمّي اجتمعي معاً إلى وليمة اللهِ الكبرى ! تعالي والتهمي لحوم الملوك والقادة والأبطال والخيول والفرسان][3] .

إشارة إلى حجم القتل والعنف الذي سطّرته أعنف معركة في تاريخ الحروب ..!

يقول عليه السلام – واصفاً تلك الحرب بقوله – : [.. فيقتتلون شهراً ، لا يكلُّ لهم سلاحٌ ولا لكم ، ويقذف الطيرُ عليكم وعليهم ، فإذا كان رأس الشهر قال ربُّكُم اليوم أسلُّ سيفي فأنتقم من أعدائي وأنصر أوليائي ، فيقتتلون

---

[1] كان الحمل رمز فارس من قبل ..

[2] [الرؤيا ١٧/٦] .

[3] الرؤيا ١٨/١٩

مقتلةً ما رُئي مثلها قط ، حتى ما تسير الخيل إلا على الخيل ، وما يسير الرجل إلا على الرجل][1] .

إنّها حربُ الفصل النهائي بين وجود روما الجبّارة التي كانت تقود دنيا النظام العالمي ونهايتها ..!

النص في مصادر الإسلام شديد البيان وبشكلٍ خاص على نصرة أهل المشرق الخراسانيين للمهدي عليه السلام ، تماماً كالبيان المطلق الذي أورده الكتاب المقدّس في نصرة أهل فارس للمهدي عليه السلام في تلك الحرب ..! فعلاً شيئ مذهل وحجّة تقشرُّ منها الأبدان ..! ﴿ ولله الحجّة البالغة ﴾ .. اشهد يا ربِّ : إنّا على هدى أهل خراسان المنادين بدولة آل محمّد ومواثيق المهدي عليه السلام وشرع الإسلام وعظمة القرآن ..

ولا بدَّ من التذكير بأنَّ الملاحم تكون في عصر المهدي عليه السلام وليس بعده ..!

ويبدو مِن النصوصِ انَّه يكون للروم قوّة وبطش وانتشار في أكثر من بعقة ، وبتعبيرِنا الحاضر : يكون لها سطوة كبيرة في النظام العالمي القائم آنذاك .. وبرواية عبد الله بن عمرو قال : [.. يملك الروم مَلكٌ لا يعصونه ، أو لا يكاد يعصونَهُ شيئاً ، فيسيرُ بهم حتى ينزل بهم أرض كذا وكذا أياماً .. قال : فإنه مكتوب في الباب أنَّ المؤمنين ليمدّهم من عدن أبين على قلائصهم (إشارة إلى مدد اليمن للمهدي عليه السلام في تلك الحرب) ، فيسيرون فيقتتلون عشراً ، لا تأكلون إلا في إداواتكم ، ولا يحجز بينكم إلا

---

[1] [ابن عساكر (كنز ٣٩٦٥٢)] .

الليل ، لا تكلُّ سيوفهم (حرب عنيفة ذات استمرار فظيع) ، ولا شبابهم ، ولا نيازكهم (حرب القذائف والصواريخ والطائرات) ، وأنتم مثل ذلك ،

قال : ويجعل اللهُ الدبرة عليهم ، فيقتتلون مقتلةً لا يكاد يرى مثلها ولا يرى مثلها (..! ملحمة لا مثيل لها في التاريخ) ، حتى أنَّ الطير لَتمُرُّ بجنباتهم فيموت مِن نتن ريحهم (وكأنَّ مادة القتل وآثارها من نوعٍ قاتل حتى للطير ..!) ، للشهيد يومئذ كفلان على مَن مضى قبله مِن الشهداء ، وللمؤمنين يومئذ كفلان على مَن مضى قبلهم من المؤمنين وبقيتهم لا تزلزل أبداً ، وبقيتهم تقاتل الدجال][1] .

إنّها أعنف حرب ، وأضخم معركة ، وأثقل ملحمة ..! معها تصبح دولة المهديِّ عليه السلام ذات تمدُّد وحضور هائل ، إلا انّ قوىً ذات وزن عالمي تبقى موجودة وذات حضور فاعل في العالم ..

وعليه : النصُّ هنا يشير إلى الحقبة الأخيرة في رفعة الروم ، الروم التي يكون لها انتشار عالمي حتى منطقة بلاد الإسلام بل بلاد العرب بل عمق الأعماق فيها ، ونواحي الأوسط .. هذه الروم تخوض حرباً في هذهِ المنطقة ، تحاول عبرها إعادة السيطرة والقضاء على دولة المهدي عليه السلام ، خاصّةً إذا أخذنا بعين الإعتبار أنَّ الروم تحاول ذلك بعد الإنتصار على الترك ..!

كلُّ ذلك يأتي وسط سلسلةٍ من الأحداثِ السريعة والعنيفة ، أعني بذلك مرحلة بروز السفياني وما يصاحبه من تجهيز الجيوش المختلفة ،

---

[1] ابن حماد : ١١٥

وصِدَام الروم والترك ، والراية المغربيّة التي تحطُّ إلى جانب السفياني في قرقيسيا ، وظهور الأصهب والأبقع والسفياني قبل ذلك للسيطرة على عرش دمشق ، وتعاظم أمر راية إماميّة في مصر تنادي لآل محمَّد ، ومنعة دولة الخراسانيين من أهل المشرق التي تفتح بيت المقدس ثم تنسحب منه بعد أحداثٍ هائلة ، واحتداد العنف العسكري الضخم في منطقة قرقيسيا (المثلّث السوري التركي العراقي) ..

النصوص صريحة في أنَّ السفياني الذي ينتصر في معركة قرقيسيا الموصوفة على الترك والروم ، ثمَّ يُهزم على يدِ المهدي عليه السلام يكون مِن قبل حليفاً رئيسيّاً للروم ، يأتي متنصِّراً من أرضها ومدعوماً من قبلِها .

كما يبدو من النصو أنّ الروم تقاتل في العمق أي في سوريا ، ومعنى قتالها في سوريا لجبهة المهدي عليه السلام أنَّ لها انتشاراً هناك رغم انتصار السفياني عليها في قرقيسيا . لكن هل هذا الإنتشار طارئ أم جديد ، يبدو أنّه يكون جديداً ، لكن له آثار من القدم . وقد مرَّ عليك أنّ الروم تقاتل في العمق أي في منطقة حلب .

ومع مجموعة الأحداث المختلفة والهائلة ينادي المنادي عند سور دمشق : ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب ..

ولمزيدٍ من البيان يمكنني أن أستشهد برواية يحيى بن أبي عمر الشيباني ، عن كعب – ولم يسندهُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله – قال : [يلي الرومَ إمرأةٌ ، فتقول : اعملوا لي ألف سفينة أفضل ألواح عملت على وجه الارض (سباق تسلُّح ضخم يتناسب وأداة ذلك العصر) ، ثم اخرُجُوا إلى هؤلاءِ الذين قتلوا

رجالنا ..! فإذا فرغوا منها قالت : إركبوا إنْ شاء الله وإنْ لم يشأ (إشارة إلى تمرُّدٍ عنيف على الله وإصراراً منها على قمع دولة المهدي (عليه السلام)) ، فيبعث اللهُ عليهم ريحاً فيقصمها بقولها : وإنْ لم يشأ (لا أدري ما المقصود هنا : هل المقصود عمل كوني تطويعي للأنظمة والناموس لصالح المهدي (عليه السلام) أم معونة تكون على قاعدة « وما رميت إذ رميت ولكنَّ الله رمى » كلا المعنيين ظاهر وممكن) ، ثم يُعمل لها ألف أخرى (إشارة إلى قدرات تسلُّح كبيرة جداً) ، قال : فيخرجون فيسيرون حتى ينتهوا إلى تل عكا فيقولون : هذه بلادنا وبلاد آبائنا ، يُرسلون النار في سفنهم فيحرقونها ، والمسلمون يومئذ ببيت المقدس (تعبير المسلمون يومئذٍ في القدس له معنى يشير إلى بقاع الإنتشار التي حقّقتها جبهة المهدي ، وهذا الأمر ورد في أكثر من رواية) ، فكتب الوالي إلى أهل العراق وأهل مصر وأهل اليمن ، فيجئ رُسُلُه فيقولون : نتخوف أن ينزل بنا مثل ما نزل بكم ، وتمرُّ رسله على حمص وقد أغلق أهلها على مَن فيها من المسلمين ويقتلون فيها إمرأة ويلقونها مما يلي الحايط خارج .

قال : فيكتم الوالي أمر حمص ثم يقول للمسلمين : أخرجوا إلى عدوكم فموتوا وأميتوا ، فيقتتلون قتالاً شديداً ، فيقتل من المسلمين ثلث وينهزم ثلث ، فيقعون في مهيل من الارض ، ويقتل الثلث حتى ينتهوا إلى بيت المقدس ، ثم يخرجون منها إلى الموجب أرض البلقاء ، والموجب أرض فيها عيون ، ويخرج فيه حشيش من نبت الارض ، فينزل المسلمون عليه ، ويقبل أعداء الله حتى ينتهوا إلى بيت المقدس ، ثم تقول : إذهبوا فقاتلوا بقية عبيدي الذين بقوا ، فيقول والي المسلمين لِمَن معه : أخرجوا إلى عدوكم . قال : فيبكون ويتضرَّعُون إلى الله عزَّ وجل ، فيومئذ يغضبُ الله لدينه ،

فيطعن برمحه ويضرب بسيفه ويسلِّط اللهُ الحديد بعضه على بعض (إشارة إلى نصرٍ من اللهِ تعالى عبّر عنه النصّ بعباراتٍ مجازيّة) ، حتى لا يبالي الرجل صمصامة كانت معه أو غيرها .

قال : فيقتلون في الفور ، فيقتتلون قتالاً شديداً ، فيُقتَل العدو يومئذ ، فلا يبقى منهم إلا شرذمة يسيرة يلحقون بجبل لبنان ، والمسلمون خلفهم يطردونهم حتى ينتهوا إلى القسطنطينية .. حتى ينتهوا إلى حايط القسطنطينية ، ثم يُكبِّرون تكبيرةَ رجلٍ واحد ، فيسقط منها إثنا عشر برجاً ، فيومئذ يُقتَلُ رجالها وتؤخذ أموالها ، فبيناهم على ذلك إذ أتاهم آت فقال : إنَّ الدجال قد خرج بالشام ، فيخرج القوم ، فمَن كان أخذ ندمَ ألَّا يكون استزاد ، لسنين يكون أمام الدجال فيجدونه لم يخرج ، فَقَلَّ ما يلبث حتى يخرج][1] .

ما يمكن أن أقوله في هذا المتن أنّه يكرِّر أموراً وردت في أكثر من نصٍّ وهي : قتال الروم والمسلمين ، بل غزو الروم للمسلمين ، وشدّة شوكة الروم ، ووضع المسلمين الحرج نسبيّاً ، ثمَّ انتصار المسلمين عليهم .. والأهمّ فيهِ هو ربطُهُ هذهِ المعركة الضخمة مع المسلمين بانتصار المسلمين وفتح عاصمة القرار عند الروم ، وهذا أمر ثابت بشكلٍ نهائيٍّ أنَّ المهديّ عليه السلام يفتح عاصمة الروم ويدكُّ حصونَها ، ويخوض معركة ضخمة جدّاً ضدَّ مركز الروم وينتصر عليهم ..

وما يلفت في المتون هو جمع ذيل هذا النص بالنص السابق الذي يشيرُ إلى انَّ المسلمين الذين يقصدون رومية ، حين يسمعون بخروج قوَّة

---

[1] ملاحم ابن المنادى : على ما في عقد الدرر .

عبَّر عنها النصُّ بالدجَّال ، وأنّه خلفهم في ذراريهم ، أي احتلَّ بلادهم ، يتركون ما في أيديهم ويعودون ، فإذا بهم يتفاجئون بكذب الخبر ، إلا أنَّ ما بقي مِن المسلمين في رومية يُقتل على يدِ الروم ، عندها يخوضون أعنف ملحمة في وجه الروم تنتهي بانهزامٍ هائلٍ لم تَر روما عذاباً قبله قطّ ..!

أمَّا تعبير القسطنطينيّة هنا ؟ فهو عبارة عن استعارة لفظيّة للإشارة إلى عاصمة القرار الرومي آنذاك . وهذا قانون في عالم الألفاظ واستعمالاتها لبيان حدث له صلة بأهل اللفظ في المستقبل[1] ..

ولا يغيب عن ذهننا أنّ بعض النصوص وردت في الإشارة الضمنيّة على ما جرى بين المسلمين والروم من قبل ، في حين القسم الآخر ورد فيما يحصل بين الروم والمسلمين عصر الغيبة وظهور الإمام المهدي عليه السلام .. إذاً لا بدَّ من الإلتفات والإنتباه ..

ومن هنا أكرِّر : لا يجوز على الإطلاق ردّ مثل هذهِ النصوص أو شواهدها التاريخيّة على اعتبار أنّها متأثّرة بصراع الروم والمسلمين من قبل ، خاصّةً إذا أخذنا بعين الإعتبار ورود جملة من متون هذهِ النصوص المرسلة أو غير المسندة في نصوصٍ موثوقة وصادرة عن النبيِّ والأئمّة عليهم السلام وهي دقيقة ومؤيّدة لجملة من معانيها ..

ولقد كان في العصر الأول معلوماً بشدّة أنَّ الساعة لا تقوم إلا بعد تحقّق عصر الظهور ، وبروز الأحداث التي تحدّثت عنها رواياتٌ كثيرة ،

---

[1] نصوص الدرجة الأولى القائمة على الوثاقة والتي تضمّنت الكثير من الأمور اليقينيّة لم تتعرّض إلى تفاصيل من مثل نوع حمص وجبل لبنان ووالي حمص وشبه ذلك من هنا اقتضى التوضيح ..

منها ما يحصل فيما نسمّيه اليوم منطقة الشرق الأوسط .. والأمثلة في هذا المجال كثيرة ، منها ما رواهُ يسير بن جابر قال : كُنَّا جلوساً عند عبد الله بن مسعود إذ هبت ريحٌ حمراء ، فأقبل رجلٌ ماله هجيري ، قال : يا عبد الله ، جاءت الساعة ، يا أبا عبد الرحمن جاءت ، جاءت الساعة ، واستوى جالساً (ابن مسعود) يُعرَفُ الغضبُ في وجهه ، وكان مُتَّكِئاً على سرير له ، فقال : [إنَّ الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة . ثم قال : عدوٌ للمسلمين يجمع لهم وأومئ بيده . قلت لأبي : الشام يعني ؟ قال نعم . قال : ويكون عند ذلك القتال ردّة شديدة ، قال : ويستحر المسلمون بعضهم بعضاً (الصحيح : يستمدُّ المؤمنون بعضهم بعضاً[1]) ، فيلتقون ويقتتلون - الروم والمسلمين - قتالاً شديداً .

ثم قال : تشترط شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة ، فيلتقون ويقتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفي هؤلاء وهؤلاء ، وكلٌّ غير غالب ، وتفنى الشرطة ، وإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقيَّةُ المسلمين ، فيفتح اللهُ عزَّ وجل عليهم ، فينظر بنو الاب كانوا يتعادون على مائة لم يبق منهم إلا رجل ، فأيُّ ميراثٍ يُقسم أو بأيِّ غنيمةٍ يُفرَح ؟

قال : فبيناهم كذلك إذا سمعوا أمراً أكبر منه : الدجَّال قد خلفهم على ذراريهم وأهاليهم ! قال : وقال رسول الله ﷺ : فيبعث أميرهم طليعة عشرة فوارس][2] . النصُّ يُؤكِّدُ حرب الروم والمهدي عليه السلام الهائلة ، وردَّة البعض ، وخوف آخرين ، وفي هذه المعركة يبذل أهل خراسان واليمنيين تضحياتٍ مذهلة ..! وتنتهي الحرب بانتصار المهدي عليه السلام ، ثمّ يشير إلى خبر

---

[1] هكذا وردت في نصوص عديدة .

[2] الطيالسي : صـ ٥١ حـ ٣٩٢

الدجَّال دون التفاصيل الباقية .. النص في ذيلِـهِ مقطـوع عـن هـذهِ الإشـارة الإضافيّة من بطلانِ خروجِهِ ثمَّ خروجه لاحقاً فاقتضى التوضيح ..

وفي رواية حميد بن هلال العدوي تمَّ البيان بشكلٍ أفضل عـن إبـن مسعود قال فيه : [إنَّا لجلوس عنده بالكوفة ، إذ هاجت ريح حمـراء فجعـل الناسُ يقولون : قامت الساعة ، حتى جاءَ رجلٌ فقال : .. فقال إبـن مسـعود : واللهِ لا تقوم الساعة حتى لا يُقسَم ميراث ، ولا يفـرح بغنيمـة . وقـال : إنَّهـا ستكون بينكم وبين هؤلاء رِدَّة .

قال حميد : فقلتُ للرجل الروم تعني ؟ قال : نعم ، ويستمد المؤمنون بعضهم بعضاً ، فيقتلون ، فتشترط شرطة للموت ألَّا يرجعـون إلا غـالبين ، فيقتتلون حتى يحول بينهم الليـل ، فيفيـئ هـؤلاء ويفيـئ هـؤلاء وكـلٌّ غيـر غالب ، وتفنى الشرطة ، ثم اليوم الثاني كذلك ، ثم اليوم الثالـث كـذلك ، ثـم اليوم الرابع ينهد إليهم بقيَّةُ المسلمين ، فيقتلون مقتلةً لم يُرَ مثلها ، حتـى أنَّ بني الاب كانوا يتعادون على مئة لا يبقى منهم إلا الرجل . قال ابن مسعود : أفيُقسَمُ ها هنا ميراث !

قال معمر : وكان قتادة يصـل إلـى الحـديث ، قـال فينطلقـون حتـى يدخلوا قسطنطينية][1] .. أهم ما في هذه المتون تركيزها على الحجـم الهائـل من القتلى والفناء جرَّاء تلك الملحمة العنيفة . فيمـا يؤكِّـد بِمَتنَيـه أنَّ بعـض المسلمين تصيبهم ردّة وخوف وهلع يتركون على أثرها المعركة ، وتكـون النجدة لجيش الإسلام آنـذاك بالخراسـانيين واليمنيـين ..! فـي الـنص ورد تعبير : وتحتهم مادَّةُ المـوالي . قلـت : ومـا مـادَّةُ المـوالي يـا رسـول الله ؟

---

[1] م .س .

قال ﷺ : هم عتاقَتكُم ، وهم منكم قومٌ يجيئون ظاهراً من قِبَل فارس (دولة أهل المشرق الموالية لآل محمَّد) ، فيقولون : تعصبتم يا معشر العرب ..! فيُخرِجُون الروم إلى العمق .. وفي ذيل آخر من نفس النص يقول : وأما الثلث الباقي (الذين لا يهربون ، بل يثبتون بشدّة هائلة وهم أهل خراسان) فيمشي بعضهم إلى بعض ، يقولون : الله الله ، دعوا عنكم العصبيَّة ، ولْتَجتَمِع كلمتُكُم ، وقاتِلُوا عدوَّكُم ، فإنَّكُم لن تُنصَرُوا ما تعصَّبتُم ، فيجتمعونَ جميعاً ، وتبايعون على أن يقاتلوا ، حتى يلحقوا بإخوانهم الذين قبلوا .

وتكون هذه المعركة مِن أُمّهات المعارك التي تستمرُّ وصولاً إلى مركز القرار الرومي في الغرب المسيحي ، عندها تقع أعنف الحروب وتنتهي بانتصار جبهة المهدي عليه السلام ، ويكون المهدي عليه السلام القائد العام الذي يقود هذه المعركة حتى يدخل روما ..

أهل المشرق :

مِن ضمن الجبهات الرئيسيَّة التي لها الأثر البالغ في خريطة إنتشار القوى وتشكيل موازينها أهلُ المشرق المناصرين للإمام المهدي عليه السلام قبل ظهورِه الشريف وبعد ظهورِه .. وقد خصَّتهم النصوص بالكثير من متونِها التي تُظهِر عظيمَ قدرهم وقدرتِهم في البقاء على دين الله وولاية أهل البيت عليهم السلام والدفاع عن هذا الخيار الضخم رغم الفساد والإنحراف والطغيان العالمي الهائل ، ورغم الجهد الذي يُصيبهم جرَّاء تمسّكهم بهذا الخيار الذي يُعبِّر عنه التزامُهم بالشريعة ..

وقد وردت في هذهِ الجبهة نصوصٌ كثيرة تمدحُهم ، وأكثر ما ورد اسمهم بأهل المشرق أو أهل خراسان ، وأصحاب الرايات السود وأصحاب الخراساني .. بالإضافة إلى نصوصٍ متفرّقة وردت بتعبير الفرس .. موضوع هذه الفئة رئيسيٌّ جداً في عصر الغيبة وما بعد الظهور .. ولهويَّة هذه الراية الإعتقاديَّة حُجَّةٌ كبرى على العالمين .!

وفي بعض النصوص أنَّهم الأمَّةُ التي أخبر النبيُّ صلى الله عليه وآله بنصرتِها للشريعة والولاء لأهلِ البيت عليهم السلام المُؤتَمَنين على الدِّين إلى قيام يوم الدِّين ، وأنّها الأمّة التي تُعلن الحقَّ وتستقيم عليه ، وبها يُعرفُ أهلُ الإيمان ويُنشرُ الإسلامُ في آخر الزمان .

ففي رواية علقمة عن عبد الله قال : بينما نحنُ عند رسول الله ﷺ إذ جاء فتيةٌ مِن بني هاشم ، فتغيَّر لونُهُ ﷺ ، قلنا : يا رسول الله ، ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه ، فقال ﷺ : [إنَّا أهلُ بيتٍ اختارَ اللهُ لنا الآخرةَ على الدنيا ، وإنَّ أهل بيتي هؤلاءِ سيُقتَلون وسيلقون بعدي بلاءً وتطريداً وتشريداً ، حتى يأتي قومٌ مِن ها هنا ، مِن نحو المشرق ، أصحاب رايات سود ، يسألون الحقَّ فلا يُعطَونَهُ ، مرَّتَين أو ثلاثاً ، فيُقَاتِلُون فيُنصرون ، فيُعطون ما سألوا فلا يقبلوه حتى يدفعوها إلى رجلٍ مِن أهل بيتي (أي المهدي عليه السلام) فيملؤها عدلاً كما ملؤُوها ظلماً ، فمَن أدرك ذلك منكم فليأتِهم ولو حبواً على الثلج ، فإنَّهُ المهدي][1] . أي يظلُّون على الحق والدعوة إلى الإسلام الشريف إلى أن يدفعوا الراية إلى المهدي عليه السلام .

وفي هذه الرواية تأكيد على الأمور التالية :

- ظلم يطال أهل البيت النبيِّ بعد وفاة النبيِّ ﷺ ، وهذا ما حصل واهتزَّت له السماء ، بدءاً مِن منع الإمام علي من خلافة النبيِّ والإنقلاب على وصيّة النبيِّ ﷺ بشكلٍ دمويٍّ مخيف ، وصولاً إلى قتل أهل البيت عليهم السلام وذريتهم وشيعتِهم . ونموذج وقعة كربلاء وذبح الإمام الحسين عليه السلام والطواف برأسه وسبي نساءِهِ واهل بيتِهِ خيرُ مثالٍ في هذا المجال ..
- تأكيد صريح على أنَّ الظُّلم الذي يطال أهل البيت عليهم السلام استمراري تعاقبي ..! مع تصريح واضح على أنَّ أهل المشرق (الخراسانيين) أصحاب الرايات السود ، مأخوذٌ فيهم عصر الغيبة المتّصل بعصر الظهور الشريف للمهدي عليه السلام . هم الذين يسلِّمون الراية له ويعلنون

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٤

البيعة . ثمَّ ألفاظ واضحة تؤكِّد انّ أصحاب المشرق يكونون على قوّةٍ تخوّلهم دخول الحرب والإنتصار ، أخذ الحقّ بالقوّة ، بل متابعة الحرب رغم حصولِهم على الحقِّ ولأهدافٍ حقّة ، فلا يضعون سلاحهم حتى يدفعوا الراية إلى المهدي عليه السلام .

- التأكيد على أمرٍ دقيق بغاية الأهميَّة وهو أنَّ أهل المشرق جماعةٌ موالون لأهل البيت عليهم السلام ، شيعة إماميّة إثنا عشريّة ، دلَّت النصوص المختلفة أنَّهم الأمّة المؤمنة التي تظلُّ على دينِها وولايتها رغم الإنحراف والفساد والطغيان العالمي ورغم الجهد والإضطهاد الذي يُصيبهم مِن حوليهم ومِن العالم ..! النصوص شديدة الصراحة في ذلك وكثيرة .

- أمرُ النبيِّ صلى الله عليه وآله على وجوب نصرة أهل المشرق الذين ينادون بالمهدي عليه السلام في عصر الغيبة ، وينصرونه فيها ، ويُمهِّدُون لقدومِه ، ويظلُّون على ما هم عليهِ مِن الحقِّ إلى زمن الظهور المبارك وبعده ، فيقفون بين يدي المهدي عليه السلام ويقدِّمون تضحيات مدهشة . النصوص صريحة جداً في ذلك .

اللافت في النصوص الكثيرة تأكيدُ النبيِّ صلى الله عليه وآله على وجوب نصرة هذه الراية وحفظها ودعمها[1] . وفي رواية العلاء بن عتبة عن الحسن أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله : [ذكر بلاءً يلقاهُ أهلُ بيتِه حتى يبعثَ اللهُ رايةً مِن المشرق سوداء ، مَن نصرها نصرَهُ الله ، ومَن خذَلَهَا خذلَهُ الله ، حتى يأتوا رجلاً

---

[1] كذلك ورد مثل هذا النص في رواية إبن أبي شيبة [ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ٢٣٥ حـ ١٩٥٧٣] عن عن عبد الله بن مسعود . وفيه تأكيد على نصرة الراية المشرقيّة التي تنتصر لآل محمّدٍ عليهم السلام ..

اســـمُه كإســـمي (محمَّـــد ، المهـــدي) فيُولُّونَـــهُ أمـــرهم ، فيؤيِّـــدُهُ اللهُ وينصرُه][1] .

وكما ترى : في هذهِ النصوص وغيرها تأكيدٌ مقطوع النظير على نصرة هذهِ الراية الإماميّة التي تثبت على دينِها وولايتها لأهل البيت عليهم السلام ، ويكونون على نحوٍ مِن قوّةٍ ومنعة رغم الجُهد الذي يلاقونَهُ . كما فيها تأكيد نهائي على انّهم يخرجون من المشرق ، وينتصرون للمهدي ، قبل وبعد ظهورِهِ عليه السلام ..

كما في النصوص تأكيد كبير لموضوع المظلوميّة والقتل والتشريد الذي يقع على أهل البيت عليهم السلام من أمّة رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، وهذا ما حصل بصورةٍ مذهلة ، تدلُّ على الدقّة الوافية التي أخبر بها النبيُّ صلى الله عليه وآله . وهذه النصوص مرويَّة في كتب الفريقين من السنّة والشيعة . ففي رواية رواية أنس بن مالك قال : [إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتى ذاتَ يومٍ ويده في يد علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولقيه رجل إذ قال له : يا فلان ، لا تسبُّوا عليَّاً ، فإنه مَن سبَّهُ فقد سبَّني ، ومَن سبَّني فقد سبَّ اللهَ (إشارة إلى ما سيصير إليهِ بنو أميَّة مِن فرض شتمِ الإمام علي عليه السلام على المنابر في كلِّ أرجاء الدولة الأمويّة طيلة ٨٣ عام ..!) .

وأضاف صلى الله عليه وآله : إنَّهُ واللهِ يا فلان ، لا يؤمن بما يكون من عليٍّ عليه السلام في آخر الزمان إلا ملكٌ مقرَّب أو عبد قد امتحنَ اللهُ قلبه للايمان ، (إشارة إلى وَلَدِهِ المهدي عليه السلام الذي يملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً) ، يا فلان ، إنَّه سيُصيبُ وُلدَ عبدِ المطَّلب بلاءٌ شديد ، وإثرةٌ وقتلٌ

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٥

وتشريد ، فاللهَ اللهَ يـا فـلان فـي أصـحابي وذريَّتـي وذمَّتـي ، فـإنَّ لله يومـاً ينتصف فيه للمظلومِ مِن الظالم][1] .

ذيل الحديثِ يشيرُ إلى ظهور المهدي عليه السلام وانتقامِـهِ مـن الظـالمين ، ونشر دولة العدل الإلهي في أقطار الدنيا كلِّها ..

الأهمُّ فيه أنّه شديدُ الصراحة في أمرين : الأوَّل المظلوميّـة الكبيـرة التي تقع على أهل البيت عليهم السلام . الثـاني الإخبـار عـن خصـوص سـبِّ الإمـام علي عليه السلام ، إشارة إلى ما يصيرُ إليهِ زمن الأمويين من إعـلان شـتم الإمـام علي عليه السلام كفرضٍ لازِمٍ على منبر المساجد طيلة حكمهم ..!

وهنا أكرِّر ما قاله الإمام زين العابدين لزيد بن معاوية بعد أن شتم خطيبُ يزيد عليّاً عليه السلام في دمشق :

أعَلَى المنابر تُعلنون بسبِّهِ . وبسيفِهِ رُفِعت لكم أعوادُها ..!

يا للكارثة مِن الإنحراف الهائل الذي أصـاب سـدّة العـرش وقيـادة دولة الإسلام ..! لقد كان النبيُّ صلى الله عليه وآله صريحاً في الكارثة التي يقع المسـلمون فيها . يقول عمارة بن يحيى بن خالد بن عرفطة : كُنَّا عند خالد بـن عرفطـة يومَ قُتِلَ الحسينُ بن علي عليه السلام ، فقال لنا خالد : هذا ما سـمعتُ مِـن رسـول الله صلى الله عليه وآله ، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول : [إنَّكُم ستُبتَلَون في أهل بيتـي مِـن بعدي !][2] .

---

[1] تفسير فرات : ١٦٥/ ١٦٤

[2] البزار : على ما كشف الهيثمي . * : الطبراني ، الكبير : جـ ٤ صـ ٢٢٩ حـ ٤١١١ - كشف الهيثمـي : جـ ٣ صـ ٢٣٣ حـ ٢٦٤٥

لقد كان خالد في مقام الإشارة إلى ما أخبر بهِ النبيُّ قبل موته ﷺ . ويومُ الحسينِ عليه السلام أقرح الجفون وهزّ الدنيا وحيَّر المسلمين بعدما فعل الأمويّونَ ما فعلوا ..! ومع ذلك لم يترك الأمويّون أهلَ البيت عليهم السلام وشيعتَهُم مِن العذاب والتنكيل والسجن والقتل والتشريد رغم الإضطراب الهائل والقتل الفادح الذي نشب بين الأمويين على أثر موت يزيد بن معاوية اللعين ، واعتزال معاوية بن يزيد الحكم احتجاجاً على جدِّهِ معاوية وظلمِهِ للإمام علي عليه السلام ، وما قام به أبوه يزيد من ظلمٍ مذهل بحقِّ الإمام الحسين عليه السلام ..!

بل إنَّ عبد الله بن الزبير في مكَّة والحجاز وأخاه مصعب في البصرة والعراق شنُّوا أعنف الحملات اتّجاه أهل البيت عليهم السلام قتلاً وتشريداً وتعذيباً وسفكاً للدماء كما فعل بنو أميّة ، وكما فعل بنو العباس مِن بعدهم . حتى انّ عبد الله بن الزبير ترك الصلاة على محمَّدٍ أربعينَ جمعةً ، حتى لا يُصلِّ على آل محمَّد ..!

والنتيجة : أنَّ النبيَّ ﷺ أخبر أمّتَهُ أنَّ أهل بيتِه عليهم السلام وشيعتهم سيُشرَّدون ويُقتَلون بعدهُ في ظروفٍ وأوقاتٍ مختلفة . وأنّ اللهَ مُمتَحِنٌ أمّتَهُ بأهلِ بيتِه عليهم السلام ، وأنَّ البلاء يتواصل عليهم زمناً طويلاً ، وانَّ اللهَ يبعث أمَّةً خراسانيّةً من المشرق ، هي على ولاية أهل البيت عليهم السلام ، يكابدون ما يكابدون ، ورغم ذلك ينصرون آل محمَّد ، ويشكِّلون دولةً يبدو من النصوص أنّها قادرة على حماية نفسها وما تعتقد به ، بل لديها مِن القدرة ما تُحصِّل معهُ حقَّها الذي تطلبه بشكلٍ سلمي أوَّلاً مرَّةً واثنتين ، وفي بعضِها الآخر : ثلاث مرّات ، فلا تُعطاه ، إشارة رمزيّة إلى الطلب وخيار الحلول السلميّة . في حين قسم من المجتمع الدولي يصرُّ في رفض حقِّها ،

عند ذلك يضعون سيوفهم على عواتقهم ، إشارة إلى الحرب ، فيستعيدون حقّهم ، ولا يتركوا السيف حتى يسلِّموا الراية للمهدي عليه السلام . إشارة إلى تعاقب الحروب وبيئة الصراع ..

وتنقلنا النصوصُ إلى وظيفيةٍ رئيسيّةٍ لأهل هذه الراية ، تعبِّر عنها بالتوطئة للمهدي عليه السلام ، وهذا من أعظم وأشرف الوظائف . ففي رواية عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : [يخرجُ ناسٌ مِن المشرق ، فيُوطِّئُون للمهدي][1] .

وفي ألفاظٍ أخرى : يوطّئون للمهدي عليه السلام سلطانه .. ما يعني أنّهم يُجهِّزون بُنى دولة وقيادة وجيش وقدرات ردع وصدم ذات حضور مميَّز في آخر الزمن[2] . وفي رواية ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [تجئ الرايات السود مِن قبل المشرق ، كأنَّ قلوبهم زبر الحديد (قطعة صلبة) ، فمَن سمع بهم فليأتهم فيبايعهم ولو حبوا على الثلج][3] .

---

[1] ابن ماجة : ج ٢ صـ ١٣٦٨ بـ ٣٤ حـ ٤٠٨٨

[2] هذا تأكيد إضافي على هذهِ الجبهة في عصر الغيبة أي قبل ظهور المهدي ، ويبدو انّ دورهم التجهيزيّ يكون رئيسيّاً ومهمّاً . وكيف لا يكون كذلك وهم الذين يجتازون أكثر من دولة ويصلون إلى قنطرةٍ في مصر ، وأكناف بيت المقدس ، ويفتحون بيت المقدس .. ويتكاتف العالم عليهم لإخراجِهم من تلك المنطقة التي تعتبر في غاية الحساسيّة للروم ، بل ويعاونُهم الترك في ذلك من خلال شنّ هجوم على بلاد خراسان التي يدخلون إلى جزءٍ منها ، بالإضافة إلى أكثر من رايةٍ في هذهِ المنطقة تساعد الروم في عمليّة إخراج الجيش الخراساني من بيت المقدس ، منها الراية المغربيّة ، وغير ذلك .. عندها يخرج الجيش الخراساني ويخوض معركة قاسية جداً في الجزء المحتلّ من خراسان من قبل الترك .. ثمّ انّ السفياني بعد ذلك يطلبهم ، ويحاول احتلال بلادِهم ، في ظرفٍ يبدو فيهِ على الخراسانيين معاناة واضحة ، إلا انّهم أصلب من الجبال في التضحية والجهاد كما تشير إلى ذلك النصوص . انّهم يمزّقون جيش السفياني في منطقة اصطخر تمزيقاً ثم بعد ذلك يفتحون العراق ويتّجهون نحو الشام ..

[3] مسند الحسن بن سفيان : على ما في عرف السيوطي . * : صفة المهدي ، أبو نعيم : على ما في عقد الدرر . * : عقد الدرر : صـ ١٢٩ بـ ٥

وفي بيان الشافعي - كما ورد في هذا النص وإضافة فيها - : [.. حتى يأتوا مدينة دمشق فيهدمونها حجراً حجراً ويقتلون بها أبناء الملوك][1] .

تركيز صريح على قوّة هذه الراية وقدراتها في الزحف والفتح ضمن ظروف ومعايير ذات خصوصيّة شديدة ، أهمُّها التوصيف الديني والإعتقادي قبل كلِّ شيئ .. إنّها أمّة لا تخوض حرباً إلا ضمن معايير الشرع ..

ولقد كانت أحاديث الرايات السود مشهورةً جداً ، إلى درجة أنَّ العباسيين حالوا أن يُطبِّقوها على أنفسهم ، بل لبسوا السواد الذي لبسهُ أهلُ البيتِ عليهم السلام قبل ذلك حزناً على الحسين عليه السلام لإيهام الناس أنَّ بني العباس هم الخراسانيّون الموالون أو مِن أنصارِهِم ..

لكنَّ نصوص راية أهل المشرق الخراسانيّة الإماميّة ناظرة إلى زمن الغيبة الذي يتَّصل بالظهور ويسلِّم الراية للمهدي عليه السلام ، وأنَّ نصوص النبيِّ صلى الله عليه وآله كانت صريحةً في بيان ظهور رايتين سود : واحدة للعباسيين الظلمة ..! والثانية إماميّة توطِّئ للمهدي سلطانه ..! لذلك حاول العباسيُّون إبطال مفاعيل مثل هذه النصوص بهدف ترسيخ دولتهم العباسيّة التي قامت بإسم الرضا من آل محمّد ! ثمّ عملت على اجتثاث أهل البيتِ عليهم السلام وأتباعهم بشكلٍ مذهل ..! وعليه : النصوص كانت صريحةً في دعم راية الخراسانيين التي توطِّئ للمهدي عليه السلام . فقد حثّت على تأييدها ونصرتِها . ففي رواية ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [إذا رأيتم الرايات السود خرجت مِن

---

[1] : صـ ٤٩٠ بـ ٤ كما في عقد الدرر بتفاوت يسير

قِبَل خراسان ، فأتوها ولو حبواً على الثلج ، فإنَّ فيها خليفةَ اللهَ المهدي عليه السلام][1] .

أي يدعون للمهدي عليه السلام ثمَّ يكونون بين يديه بعد الظهور . هذا ما أراد ذيلُ النصِّ الإشارة له . أي أنَّ القائد على هذهِ الراية هو مَن وطَّئ وبايع للمهدي .. وعليه : إنَّ فيها خليفة اللهِ المهدي ، أي خليفة المهدي عليه السلام الذي يبايعه وينزل تحت أمرهِ وطاعتِهِ ويكون مِن الرموز الكبار في جبهتِهِ عليه السلام ..

وكذا في غيرِهِ من النصوصِ كما في راوية أحمد عن ثوبان عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله [2] .

وفي روايتِهِ الأخرى في البدء والتاريخ عن النبي صلى الله عليه وآله قال : [إذا رأيتم الرايات السود مِن قبل خراسان ، فاستقبلوها مشياً على أقدامكم ..][3] . وكذلك الحال في دلائل النبوة عن ثوبان : [.. إذا أقبلوا برايات السود من عقب خراسان ، فأتوها ولو حبواً ..] [4] .

كُلُّها شديدة الصراحة في عظمة هذه الراية وإخلاصِها وثباتِها على الدِّين واليقين والإيمان . انّها تأكيد إضافي على هذهِ الراية التي تخرج وتوطِّئ للمهدي سلطانه ، وتنادي بهِ قبل ظهورِهِ وبعد ظهورِهِ عليه السلام .. وفي رواية عبد الله بن عمر قال : [يخرج رجلٌ من وُلدِ الحسين عليه السلام مِن قِبَل

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٤

[2] أحمد : جـ ٥ صـ ٢٧٧

[3] : جـ ٢ صـ ١٧٤ بسند آخر ، عن ثوبان

[4] دلائل النبوة : جـ ٦ صـ ٥١٦

المشرق ، لو استقبلته الجبال لهدَمَهَا واتَّخَذَ فيها طرقا][1] . أي أنَّ قائد هذه الراية الخراسانيّة سيِّدٌ من نسل رسولِ الله ﷺ ، ومن مجموع النصوص نستفيد أنّه فقيه سيِّد عالمٌ ، لا تأخذه في اللهِ لومة لائم ..

وفي مضمون النصِّ إشارة إلى صفة الإنتشار لهذه الراية في وقتٍ ما ، وانّه لديها من الصلابة والإيمان والقوّة والقدرات ما يجعلها قوّةً منتشرةً فيما نُسمِّيه اليوم منطقة الشرق الأوسط ، وبطبيعة الحال هذا الإنتشار يُعطيها مزيداً من نسبة مشاركتها وثقلِها في النظام العالمي ، وبالأخص في ميزان القوى الإقليمي . وهذا ما سنشير إليه فيما بعد إن شاء اللهُ تعالى .

وبجملة من النصوص نجد تأكيداً على قدرة هذهِ الأمّة ، وتصميمها على الخروج من كيانِها والإنتصار لحقٍّ ما تطالب به ، وإنجازِها ما تريدهُ ، وتعبير لو استقبلته الجبال لهدمها ، يُرادُ منه الإخبار الوصفي عن قدرتِها على تفتيت الصعاب واختراق الكيانات والوصول إلى ما تبتغيهِ . وهذا يعني ببساطة تغيير موازين القوى في المنطقة مع هذا الإختراق الذي تحقّقه راية أهل المشرق الذين يجتازون مجموعة من كياناتٍ وصولاً إلى قنطرةِ مصر وأكناف بيت المقدس ونصب رايات الفتح هناك ..

وفي نفس المصدر عن أبي قبيل روى هذهِ الرواية وأضاف : [.. لو استقبلته الجبالُ الرواسي لهدَّهَا][2] .

---

[1] ابن حماد : صـ ١٠٢

[2] إبن حماد : صـ ١٠٣ كذلك مرويّة بسندٍ عن عبد الله بن عمرو بن العاص [تلخيص المتشابه : جـ ١ صـ ٤٠٧]

كلُّ هذهِ الروايات ذات وصف إخباري لما ستكون عليهِ هذهِ الجبهة بظرفٍ محدَّدٍ من انتصاراتِها ونفوذِها وعقيدتها في مشروع التوطئة للإمـام المهدي عليه السلام ..

ولا نخفي أنَّ بعضاً حاول استغلال هذهِ النصوص لتأييد ثورتـهِ أو خروجِهِ على السلطة أو تدعيم سلطتِهِ كما فعل بنو العباس والبعض الآخـر مِن غيرِهِم ، بل كما فعل معاوية بن أبي سـفيان وغيـرهُ مِـن الأمـويين فـي تفسير بعض النصوصِ فيهم ، لكنَّ النصَّ شيئ والتفسـير شـيئ آخـر ، بـل النص الصادر عن النبيِّ صلى الله عليه وآله شيئ ، وما حـاول الـبعضُ فيـهِ دسَّ إسـمٍ أو تغيير إسم أو زيادة وصف شيئ آخر ..! ولا يخفى ذلك على رواة الحـديث الذين أعملوا كلَّ طاقتِهم فـي توثيـق النصـوص فوضـعوا حـدّاً لأيِّ دسٍّ أو تسريبٍ أو إدخال .. ففي رواية هلال بن عمرو قال : سمعت عليّاً عليه السلام يقول : قال النبي صلى الله عليه وآله :[.. يخرج رجلٌ مِن وراء النهر يُقال لـه الحـارث بـن حـراث على مقدِّمَتـهِ رجـلٌ يُقـال لـه المنصـور ، يُـوطِّن أو يمكِّـن لآل محمـد كمـا مكَّنت قـريش لرسـول الله صلى الله عليه وآله ، وجـب علـى كـلِّ مـؤمنٍ نصـره ، أو قـال إجابته][1] .

أقول : أصل النصوص في راية أهلِ المشرقِ الذين يوطِّئون للمهدي موثّقة في كتب الفريقين .. أمّا هذهِ الزيادة لم نعثر عليها في تلك النصوص . وعلى كلّ حال يمكن الإستشهاد بهذا النص من جهةِ الشقّ التـاريخي بهـذهِ الإضافة ، فضلاً عن الإعتماد على الأصل الذي يُؤيِّدُهُ ما سـبق مِـن خـروج راية أهل المشرق التي توطِّئ للمهدي .. إلا ان يُراد مِن الحـارث بـن حـراث

---

[1] أبو داود : ج ٤ صـ ١٠٨ حـ ٤٢٩٠

- وفي رواية : الحارث حراث - معنى اسمه بالعربية ، أي المعنى والمقصود من نفوذِهِ وقدرتِهِ ، أو خبرته بعمله كخبرة الحراث بحرثه . أمَّا ما وراء النهر فهو يُطلق على ما وراء نهر جيحون من سمرقند وبخاري وغيرهما ، وقد يُراد به ما وراء نهر دجلة والفرات .

وفي رواية التاج الجامع[1] عن أبي داود ورد أيضاً وفي هامشه : [ففي آخر الزمان سيخرج رجلٌ صالح مِن وراء النهر اسمه الحارث ، معه جيش عظيم يقوده رجل عظيم اسمه منصور ، يهيِّئ ذلك الرجل لذريَّة محمد ، أي يعدُّ الجيشَ والذخائر والأموال لنصر خليفةٍ يظهر أنه المهدي كما هيَّأ الاصحابُ للنبيِّ ﷺ ، ويجب على كل مؤمنٍ أن ينصر ذلك الجيش وهذا الخليفة ، فإنهما على الحق .

ولا بدَّ من التأكيد على أمورٍ نهائيّة في كتب الفرقين بخصوص راية أهل المشرق الخراسانيين :

- هم أمّة مؤمنة شيعيّة إثنا عشريّة ، موالية لآل محمَّد عليهم السلام يقودها الفقهاء ، وعلى رأسهم فقيهٌ مِن نسل أهل البيت عليهم السلام .
- هم فئة تكون في عصر الغيبة ، دون تحديد زمن ، لكن من القطعي أنّها تكون في عصر الظهور الشريف ، وتقوم بمدِّ جبهة الإمام عليه السلام وتعطيه الطاعة المطلقة ، وتقاتل بين يديه وتفديه بالمال والأنفس والنسل وتقدّم تضحيات يبدو من النصوص أنّها مذهلة .
- هي الفئة الوحيدة في العالم التي تبقى على دين الله على شكل كيانٍ ودولة لها نفوذها ، وانّها تُصرُّ على قيادة القرآن والإسلام لمشروع

---

[1] التاج الجامع : ج ٥ صـ ٣٤٤

الدولة ، وتخرج تحت هذا العنوان في مطالبتها بحقٍّ تُمنع منه ، وحين يفشل الخيار السلمي تعلن الحرب فتأخذ حقَّها وتضع السيف على عاتقها فلا تضعه حتى تسلِّم الراية إلى الإمام المهدي عليه السلام ..

وعليه : راية أهل المشرق الإماميّة زمن الغيبة مختلفة تماماً عن راية بني العباس الظالمة بحقّ آل محمّد ، والتي لم تصل إلى ما وصلت إليهِ من الحكم إلا بإسم آل محمَّد وذريّة الأئمَّة مِن العلويين الهاشميين . النصوص واضحة جداً في التفريق بين الرايتين . ففي رواية سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [تخرجُ مِن المشرق راياتٌ سُود لبني العباس ، ثم يمكثُون ما شاء الله ، ثم تُخرج راياتٌ سودٌ صغار تُقَاتِل رجلاً مِن وُلدِ أبي سفيان (السفياني) وأصحابه مِن قِبَل المشرق ، يُؤدُّون الطاعةَ إلى المهدي][1].

وفي نفس المصدر ذكر رايات بني العباس ثمَّ رايات أهل المشرق التي تخرج وتوطِّئ للمهدي عليه السلام فذكر : [.. ثم تمكثُ ما شاءَ اللهُ ، ثم تخرج رايات سودٌ صغار على رجلٍ مِن وُلد أبي سفيان وأصحابه مِن قِبَل المشرق][2] .

وكذا في غيرِهِ من النصوص ، وذلك للتفريق بين رايتي المستقبل القريب والبعيد : راية بني العباس الظالمة الجائرة ، وراية أهل المشرق الإماميّة التي تُوطِّئ للمهدي عليه السلام . وهذا متَّفق عليهِ وفق كتب الفريقين .. ثم

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٥

[2] صـ ٥٢

أهميّة هذه الطائفة من النصوص أنّها تؤكّد تاريخيّة التفريق بين رايتي بني العباس وراية أهل المشرق الخراسانيّة التي توطِّئ للمهدي ، ومنذ زمنٍ بعيد ..

وفي رواية عبد الكريم عن محمد بن الحنفية قال : [.. تخرج راية سوداء لبني العباس ، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء ، قلانسهم سود ، وثيابهم بيض ، على مقدّمتهم رجلٌ يُقال له « شعيب بن صالح » ، أو صالح بن شعيب ، مِن تميم ، يهزِمُون أصحابَ السفياني ، حتى تنزل بيت المقدس ، تُوطِّئ للمهدي سلطانه ، ويُمدُّ إليه (إلى شعيب بن صالح) ثلثمائة مِن الشام[1] (مدد) ، يكون بين خروجه وبين أن يسلِّم الامر للمهدي إثنان وسبعون شهراً][2] . وفي نفس المصدر : [.. بين خروج الراية السوداء من خراسان وشعيب بن صالح وخروج المهدي ، وبين أن يسلم الامر للمهدي إثنان وسبعون شهرا][3] .

ما يهمُّني من النص أصله المؤكّد على راية أهل المشرق زمن الغيبة ذات المنهج الحق والشرعيّة المُلزِمة لأهل الإيمان والإسلام . وعليه : معنى هذا المتن أنَّ راية أهل المشرق الخراسانيّة السوداء الموالية لآل محمَّد هي الراية التي توطِّئ للمهدي (عليه السلام) سلطانه ، وهي التي تُعلن الطاعة له ساعة خروجِهِ وتقاتل بين يديه ، وهي الراية التي تخرج في طلب فتح بيت المقدس وتفعل ذلك ، وهي النهج المشروع ، الواجب الإلتزام به والدعم له . وأنّها

---

[1] أبدال أهل الشام الإماميّون يمدّون الجيش الخراساني بالجند ، وذلك زمن زحف الجيش الخراساني نحو بيت المقدس ..

[2] ابن حماد : صـ ٨٤

[3] صـ ٧٤

شديدة الإختلاف عن راية بني العباس السوداء التي خرجت أواخر دولة الأمويين . النصوص تؤكّد جور وظلم راية العباسيين ، في حين نفس النصوص تُؤكِّد طابع القداسة لراية أهل المشرق الإمامية التي تكون في عصر الظهور ..

وفي لفظ آخر ، في رواية الداني عن عبد الكريم ، عن محمد بن الحنفية قال : [.. تخرج راية من خراسان (أي راية بني العباس الجائرة كما أسلفنا وبيَّنَ النص ذلك) ثم تخرجُ أخرى (راية الخراسانيين الموالين لآل محمَّد الموطِّئين للمهدي) ثيابُهم بيض ، على مقدمتهم رجل من بني تميم ، يوطِّئ للمهدي سلطانه ، يكون بين خروجه وبين أن يسلم للمهدي سلطانه إثنان وسبعون شهرا][1] . وكذا في عقد الدرر وغيرِهِ[2] .

تأكيداً على صفة هذه الراية ، وأنّها ركنٌ أساسي قبل الظهور ، وهي التي توطِّئ للمهدي عليه السلام سلطانه . وأنّها تدعو له ، وترفع الإسلام شعاراً وشريعة .

كيفما نقرأ نجد هذا المعنى مِن التوطئة للمهدي عليه السلام في وظيفة أهل المشرق . لا بل نقرأ في المتون أنَّ شعيب بن صالح وهو القائد العسكري للجيش الخراساني زمن الغيبة خاصَّةً بعد الأزمة الإيرانيّة الداخليّة التي يُناصِرُ الخراسانيَّ فيها ويمنع الشرَّ وأهل الضلال عن أرض خراسان ، هو ذاتُهُ يقود جيش المهدي عليه السلام بعد ظهورِهِ الشريف ..! وفي حديث عبد الله بن إسماعيل البصري عن أبيه عن الحسن قال : [يخرج بالري رجلٌ ربعة

---

[1] الداني : صـ ٩٩/ ٩٨

[2] عقد الدرر : صـ ١٢٦ بـ ٥ وأيضا في : القول المختصر : صـ ٦ بـ ١ حـ ١٨

(مربوع القامة) أسمر ، مولىً لبني تميم ، كوسج (أكوس اللحية) يُقَال له شُعيب بن صالح ، في أربعة آلاف ثيابهم بيض ، ورايـاتهم سـود ، يكـون على مقدِّمة المهدي (بعـد الظهـور) ، لا يلقـاه أحـدٌ إلا فلَّـهُ][1] (أي ضـربه وهزمه) . وفي ملاحم إبن طاووس[2] : [.. يكون مقدمة للمهدي لا يلقاه أحدا إلا قتله] ..

وكما ترى : النصوص التي تتحدَّث عـن رايـة أهـل خراسـان زمـن الغيبة تتحدَّث عن عقيدة ، عن قوّة وإمكانات ، عن زحف وخوض حـروب ، عن صمود مـذهل ، عـن منـاداة بالإسـلام ، عـن إصـرار فـي الثبـات علـى الشريعة ، عن تحرير بيت المقدس ، عن قائد لو واجهته الجبالُ لهدَّها واتّخذ منها طُرُقاً توطئةً للمهدي عليه السلام ..!

وهذا يعنـي أنَّ جبهـةَ المهـديِّ عليه السلام تكـون مرتبطـة بمجموعـة مـن العناوين والجهات ، منها راية الخراسانيين الذين يشـكِّلون كيـان دولـةٍ لهـا قدرة ممانعة بل ومطالبة بالحقّ والخروج من كيانِها لفتح بيت المقدس . ففي رواية عن سفيان الكعبي قال : [يخرج على لواء المهدي غلام حديث السن ، خفيف اللحية ، أصفر ، لو قاتل الجبـال (وفـي بعـض النصـوص لـو قابـل الجبال) لهزَّها (أو هدَّها) حتى ينزل إيليا][3] . أي حتى يفتح بيت المقدس ..

ولا بدَّ مـن الإلتفـات إلـى أنَّ فـتح بيـت المقـدس يـتمّ أوَّلاً علـى يـدِ الخراسانيين الذين يسـتطيعون اجتيـاز أكثـر مـن دولـة ثـمَّ يفتحـون بيـت

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٤

[2] ملاحم ابن طاووس : صـ ٥٣ ـ ٩٥

[3] ابن حماد : صـ ٨٥

المقدس ، ثمَّ تتحالف عليهم أكثر من رايةٍ منها الروم والترك والراية المغربيّة وبعض جيوش الجوار والسفياني ويخوضون حرباً معهم في فلسطين ، فيخرج الجيش الخراساني على أثر معارك ضارية تجري هناك ..

فإذا خرج الإمام المهدي عليه السلام فتح المدن والكيانات ، كما يفتح بيت المقدس ، ويكون هذا الفتح نهائيّاً ، حتى الدجَّال اليهودي لا يستطيع الدخول إلى القدس .. وهذا لا بدَّ من الإلتفات إليه في متون الروايات لعدم الخلط بين مدلولي فتح بيت المقدس ..

واللافت جدَّاً ميزةُ أهل خراسان في جيش المهدي عليه السلام ، فهم الذين يقدّمون تضحياتٍ هائلة زمن الملحمة الكبرى مع الروم وغيرها .. النصوص صريحة في ذلك ، وفي ثباتِهم رغم خوف البعض وردَّة بعض آخر ..

بل إنَّ شعيب بن صالح يكون على رأس جيش الإمام المهدي عليه السلام . ففي رواية عمار بن ياسر : [.. إذا بلغ السفياني الكوفة ، وقتل أعوان آل محمد ، خرج المهدي عليه السلام على لوائِهِ شعيب بن صالح][1] . وفي القول المختصر قال في تفسير النص الروائي : [صاحب رايته الفتى التميمي الذي يقبل من المشرق][2] ..

واضح جدَّاً من النصوص أنَّ الخراسانيين يحظون بميزةٍ وصفةٍ استثنائيَّةٍ في جيش المهدي عليه السلام وصفٌ القيادة ..! ويكون لهذا الجيش الخراساني حضور بارز في خريطة جبهة الإنتصارات وتشكيل جبهة

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٥ - القول المختصر : صـ ٧ بـ ١ حـ ٢٨

[2] م . س .

المهدي الكبرى . وسأورد - في معنى من معاني الجبهة - نصّاً تاريخيّاً أكثر منه نصّاً روائيّاً . وأؤكّد مسبقاً أنّ في هذا المتن فوضى وعدم دقّة في بيان تعاقب الأحداث ، لكنّه بالنهاية لسان تاريخي فحسب وشهادة حيّة عن فترةٍ ما تعبِّر عن النظر الروائي - التاريخي إلى مستقبل الحوادث آخر الزمن . وفيه روى أرطأة - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - قال :

[يدخل السفياني الكوفة فيسبيها ثلاثة أيام ، ويقتل مِن أهلها ستِّين ألفاً ، ثم يمكث فيها ثمانية عشر ليلة ، يقسم أموالها . ودخوله مكّة بعدما يُقاتِل الترك والروم بقرقيسيا (..![1]) ، ثم ينفتق عليهم خلفهم فتقٌ فيرجع طائفة منهم إلى خراسان[2] ، فتُقبِلُ خيل السفياني وتهدم الحصون حتى تدخل الكوفة ، وتطلب أهلَ خراسان ، ويظهر بخراسان قومٌ يدعون إلى المهدي[3] ، ثم يبعث السفياني إلى المدينة فيأخذ قوماً مِن آل محمد ، حتى يرد بهم الكوفة .. وينزل جيش السفياني البيداء فيُخسَفُ بهم[4] ، ثم يخرج

---

[1] أقول هذه الفقرة فيها خلط واضح من الراوي ، لأنّ السفياني أبداً - وباتفاق النصوص عند الفريقين - لا يدخل مكّة .

[2] مشكلة هذا النص أنّه مضطرب ، مشكلتُهُ أنّه خرج عن السياق الضروري في تعاقب الأحداث ، ففتق الترك على قسم من أراضي إيران يكون بعد فتح الخراسانيين الإيرانيين بيت المقدس ، عندها يعود قسم من الجيش الخراساني إلى أرض إيران للدفاع عنها .. فتنبّه ..

[3] واضح من المتن ان الراوي مضطرب ، فهو لا يجيد بيان تعاقب الأحداث ، بحيث ترى وكأنّ الدعوة للمهدي تنشأ حديثاً وهذا أمر غريب جدّاً ، لأنّ النصوص عند كلّ علماء المسلمين متّفقة على انّ راية الخراساني تكون قبل السفياني ويكون لها وجود تاريخي بارز .. نعم الرواية غير مسندة إلى النبي .. لا أدري إن كان الخلط من الراوي أو لسبب وهم أو لدس وتشويه وشبه ذلك .

[4] يكون ذلك بعد دخول جيش السفياني إلى المدينة وتنكيله وقتله لمن يوجد من نسل آل محمّد وشيعة أهل البيت عليهم السلام ، ثم يأمر جيشهُ بفتح مكة طلباً للمهدي الذي يخرج من المدينة إلى مكّة ، فإذا وصل الجيش إلى البيداء خسف اللهُ به البيداء فهلك عن آخره ، وهذا يعتبر من أكبر التحوّلات المؤثّرة في ميزان منطقة الحجاز والشام والعراق وخراسان ..

المهديُّ (عليه السلام) حتى يمر بالمدينة فيستنقذ مَن كان فيها مِن بني هاشم . وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء ، فيبلغ مَن بالكوفة مِن أصحاب السفياني نزولهم فيهربون ، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ مَن فيها مِن بني هاشم . ويخرج قومٌ مِن سوادِ الكوفة يُقَالُ لهم العُصُب[1] ليس معهم سلاح إلا قليل ، وفيهم نَفَرٌ مِن أهل البصرة ، فيُدرِكُون أصحابَ السفياني ، فيستنقذون ما في أيديهم مِن سبي الكوفة . وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي (عليه السلام)][2] .

ولأنَّ النصَّ فيهِ نوع من اضطرابٍ ووهم في بعض فقراتِه ، خاصّةً أنَّه نصٌّ غير مسند إلى النبيِّ أو أحد الأئمة (عليهم السلام) ، فضلاً عن بعض الإضطراب في بيان تعاقب الأحداث ، من هنا أشرت إلى تاريخيّتِه أكثر من روائيّتِه وبيَّنتُ مواقع الإضطراب في الحاشية . ومع ذلك فإنَّ فيه ممَّا هو مُؤَيَّد بروايات معتبرة . وبالمجمل العام هو يشير إلى نموذج مِن محاور الصراع الجبهوي المتعدِّد بالأطراف والقوى . ويخصُّ بالإشارة أهلَ خراسان الذين يُناصرون المهديَّ (عليه السلام) ويُوطِّؤُون له ، ويتشركون معه ، الذين سرعان ما يبعثون له بالبيعة ..

وهذا يعني حسب موازين القوى وبيان الروايات : وجود أمّة مؤمنة ، موالية لآل محمّد (عليهم السلام) ، لها مِن القدرة من الصَّدم والردع ما تحمي

---

[1] عصائب أهل العراق ، راية تدعو إلى آل محمّد ، تكون على صلةٍ وثيقة بأهل خراسان . تكون هذه العصائب في العراق ، ولها قيمة ومدح في النصوص ، وكذلك الحال مع نجباء مصر الإماميين أيضاً وأبدال الشام الذين يناهضون اليهود في نواحي بعض الشام (لبنان) .. هذه الرايات الثلاث بشكلٍ واضحٍ تكون موالية لخراسان ، وكلّها تنادي بالمهدي (عليه السلام) ..

[2] ابن حماد : صـ ٨٤ ٨٣ الحاوي : جـ ٢ صـ ٦٧ عن ابن حماد

بهِ نفسها مِن الروم والترك وباقي الأمم الأخرى ذات الإمتداد الإقليمي والعالمي ، ضمن معايير وأوقات محدَّدة حتى عالم الظهور الشريف رغم الجهد والبلاء الذي تلاقيه . بل لها مِن القدرة ما تجتاح معه أكثر من دولة ، وتصل إلى قنطرةٍ في مصر (قناة السويس) حتى تفتح بيت المقدس ..!

وبهذا المعنى : تكون الراية الخراسانيّة رايةَ آلِ محمَّدٍ المشهورة زمن الغيبة ، وبها يتحقَّق مظهرُ الأمّة المؤمنة التي تُقهَر للخروج على دين اللهِ ورسالة رسول الله ﷺ فتأبى ، وتصرُّ على شريعة الإسلام وملّة الإيمان ، بل تشكِّل في عصر الظهور رايةَ المبايعة للمهدي والجبهة المناصرة والقادرة .. النصوص في هذا المجال دقيقة ووافية الإشارة . ففي رواية معاذ بن جبل قال : بينما أنا وأبو عبيدة الجراح وسلمان جلوس ننتظر رسول الله ﷺ إذ خرج علينا في الهجير مرعوباً مُتغيِّرَ اللون ، فقال : مَن ذا ؟ أبو عبيدة ، معاذ ، سلمان ؟ قلنا : نعم يا رسولَ الله ، فذكر ﷺ الفتنَ ثم قال :

[.. تدخل مدينة الزوراء[1] (بغداد) ، فكم مِن قتيلٍ وقتيلة ، ومالٍ مُنتهب ، وفرجٍ مُستحلٍّ ، رحمَ اللهُ مَن آوى نساءَ بني هاشم يَومئذ وهُنَّ حرمتي . ثم ينتهي إلى ذكر السلطان بذي الغريين ، فيخرج إليهم فتيان مِن مجالهم ، عليهم رجلٌ يقال له صالح[2] ، فتكون الدائرة على أهل الكوفة[1] ، ثم

---

[1] ملاحظة : حديث النبي ﷺ كان في المدينة ، أي في العشر سنوات التي قضاها في المدينة من الهجرة . فيما بُنيت الزوراء (بغداد) على يدِ العباسيين سنة ١٤٦ للهجرة . وعليه : هذا من أخبار الغيب على لسان النبيِّ ﷺ ..

[2] الإختصار من الرواي : وفي الأصل شعيب بن صالح . إشارة إلى راية أهل المشرق الإماميّة التي تنصر آل محمّد وتوطّئ للمهدي عليه السلام وتكون أوّل من يبعث إليه بالبيعة .

تنتهي إلى المدينة[2] فتقتل الرجال وتبقر بطونَ النساء مِن بني هاشم ، فإذا حضر ذلك فعليكم بالشواهق وخلف الدروب[3] ، وإنما ذلك حمل امرأة[4] (تسعة أشهر) ، ثم يُقبل الرجل التميمي « شعيب بن صالح »[5] - سقى اللهُ بلادَ شعيب - بالراية السوداء المهديَّة بنصر اللهِ وكلمته حتى يبايع المهديَّ عليه السلام بين الركن والمقام][6] .. وفي رواياتٍ أخرى : قال مِن المشرق ..

إذن : أهل المشرق يُشكِّلون جبهةً ولائيّةً قادرة ، ونافذة ، ومؤثِّرة في موازين القوى ، بل مُعَدِّلة ومحوِّلة ، ولهم بشهادة النصوص ميزةٌ خاصّةٌ في صفِّ القيادة والجند في عصر المهدي عليه السلام ..

حتى أنَّ بعض المتون المتلقّاة تشيرُ إلى أمورٍ مدهشة من شدَّة بيان النبيِّ صلى الله عليه وآله في حقِّ هذه الراية . ففي رواية ابن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً في نفرٍ مِن المهاجرين والانصار ، وعلي بن أبي طالب عن يساره ، والعباس عن يمينه ، إذ تلاحى العباس ورجل مِن الانصار فأغلظ الانصاري للعباسي ، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد العباس ويدِ علي عليه السلام فقال :

[سيخرج مِن صلب هذا (العباس) فتىً يملأ الارضَ جوراً وظلماً (راية العباسيين الظالمة) . وسيخرج مِن هذا (الإمام علي) فتىً يملأ

---

[1] يشير إلى جيش السفياني الذي يدخل الكوفة ويأمر بقتل أتباع آل محمّد ..

[2] أيضاً يشير إلى جيش السفياني الذي يدخل إلى المدينة المنوّرة ويعيث فيها فساداً وقتلاً لأتباع آل محمّد ..

[3] أي الهرب والإختباء . لأنّ الشيعة ونسل أهل البيت يكونون مغلوبين على أمرهم . وأصل دخول جيش السفياني إنّما هو لقتلهم ، وفي الروايات أنّه لا يبقى أحد من أتباع آل محمّد إلا قُتِل هناك إلا مَن اختبأ ..

[4] أي سلطنة دولة السفياني تسعة أشهر ثم تزول على يدِ المهدي وجيش خراسان .

[5] إشارة إلى راية الخراسانيين وميزتهم ..!

[6] السليلي : على ما في ملاحم ابن طاووس . * : ملاحم ابن طاووس : صـ ١٣٧ بـ ٦٠ فتن السليلي

الارض قسطاً وعدلاً (يعني المهدي عليه السلام) ، فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي (قائد جيش خراسان) ، فإنَّهُ يُقبِلُ مِن قِبَل المشرق ، وهو صاحبُ راية المهدي][1] .

إلى هذا الحدّ اصطفّت النصوص لتؤكِّد على عظمة هذه الراية وترابطها الهائل بأمر المهدي عليه السلام ..! وكأنَّ هَمّ النبيِّ صلى الله عليه وآله في هذا الحديث التفريق بين رايتي بني العباس التي قامت بعد دولة الأمويين ، وراية أهل المشرق الذين يُوطِّؤُون للمهدي عليه السلام سلطانه . بل النصُّ وارد هذا المورد ..

وحسب خريطة إنتشار القوى فإنَّ السفياني لا يكتفي ببلاد الشام وبرِّها أو ما أمكنه مِن برِّها ، ولا بالعراق ، لذلك يُجهِّز جيشاً لغزو الخراسانيين أهل المشرق ، وتقع بينهم وقعات .. ويبدو انّ هذا التوقيت يكون بعد خروج الجيش الخراساني من بيت المقدس ..

نعم تقع معارك ضارية بين الخراسانيين والسفياني والراية المغربيَّة وقوى أخرى تنزل فلسطين مثل الروم ، كما تدخل الترك على خطِّ التحالف مع الروم وبعض الأنظمة العربيَّة التابعة للروم فتجتاح قسماً من الأراضي الإيرانيّة .. لكنَّ معارك عنيفة تقع بين السفياني والخراسانيين في العراق وبعض المناطق الإيرانيّة . وفي رواية شريح بن عبيد وراشد بن سعد وضمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا : [يبعث السفياني خيله وجنوده ،

---

[1] الطبراني ، الاوسط : على ما في مجمع الزوائد ، والاذاعة ، ومقدمة ابن خلدون ، والفتاوى الحديثية . * : مجمع الزوائد : ج ٧ صـ ٣١٧

فيبلغ عامة الشرق مِن أرض خراسان وأرض فارس ، فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم ، ويكون بينهم وقعات في غير موضع ، فإذا طال عليهم قتالهم إيَّاهُ بايعوا رجلاً مِن بني هاشم ، وهم يومئذ في آخر الشرق ، فيخرج بأهل خراسان على مقدِّمته رجلٌ مِن بني تميم . مولىً لهم ، أصفر ، قليل اللحية ، يخرج إليه في خمسة آلاف إذا بلغه خروجه فيبايعه فيصيره على مقدمته ، لو استقبله الجبالُ الرواسي لهدَّهَا ، فيلتقي هو وخيل السفياني فيهزمهم ويقتل منهم مقتلةً عظيمة ، ثم تكون الغلبة للسفياني .. ويخرج شعيب بن صالح مختفياً إلى بيت المقدس يُوطِّئ للمهدي منزله ، إذا بلغه خروجه إلى الشام][1] . وفي لفظٍ آخر بنفس المصدر يصف فعل التميمي قائلاً : [.. لو استقبله الجبال الرواسي لهدمها . فلا يزال يخرجهم من بلدة إلى بلدة (أي أصحاب السفياني) حتى يهزمهم إلى العراق][2] ..

أوَّل إيضاح انّ المتن الأوَّل فيه شيئ واضح من الإضطراب . والأهم فيهِ أنَّه غير مروي عن النبيِّ ﷺ أو أي إمام .. وهو واضح في جملة قليلة منه في مخالفة الثابت في جملة واسعة من النصوص .

تعليقي على هذا النص انَّه ينفرد بذكر هزيمة الخراساني وشعيب خاصّةً في معركة الخراساني مع السفياني في الأراضي الإيرانيّة ..! وهذا أمر مخالف جدًّاً للنصوص الكثيرة التي تُؤكِّد أنَّ شعيب بن صالح يُوقِعُ فيهِ قتلاً عظيماً . إلى درجة تنقل النصوص فجيعة السفياني الذي ينذهل ممَّا اصاب جيشه في منطقة اصطخر الإيرانيّة . لذلك يبعث جيشه إلى المدينة

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٨ عقد الدرر : صـ ١٢٨ بـ ٥ وقال " أخرجه الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن "

[2] ن . م .

المنوَّرة للإنتقام من شيعة وأتباع آل محمّد ، وبمحاولةٍ واضحةٍ منه لقتل المهدي ﷺ الذي ظهر الظهور الخاص في المدينة .

بل نجد في متن نفس النص تأكيدهُ انَّ التميمي لو استقبلته الجبالُ لهدَّها في معرض إشارتِهِ إلى تلك المعركة التي تقع بين السفياني والخراساني في الأراضي الإيرانيّة ..! وفي ذيل النص الثاني وغيره يقول : فلا يزال يخرجهم من بلدة إلى بلدة (أي أصحاب السفياني) حتى يهزمهم إلى العراق .. نعم هذا لا يمنع من تأييد ما أشارت إليه النصوص مِن حرجٍ يُصيب الجيش الخراساني بعد مهاجمة الترك لبلادِهم وخروجِهم من بيت المقدس وإعلان السفياني الحرب عليهم . لكنَّ أصل هذه المعركة المتأخِّرة التي تقع في منطقة اصطخر الإيرانيّة تكون فيها الغلبة للخراسانيين وبشكلٍ ضخم ومرحلة من مراحل التحوُّل الكبير في وجه قوّة الخراساني ..

ومعلوم أنَّ الخراسانيين يتابعون زحفهم أيضاً نحو العراق في فترةٍ محدّدة ، ويفتحونَهُ ويلتقون هناك بالمهدي ﷺ الذي ينزل في سبع قباب من نور لا يُدرى المهديُّ في أيٍّ منها . ويكون الجيش الخراساني أوَّل مَن يفتح العراق ..

وببعد النظر عن تقطيع النصِّ الواضح ، أي يبدو أنَّ هذا النص جرى تقطيعُ بعض فقراتِه - والذي يؤكِّد لنا هذا ما قرأناه من رواياتٍ معتبرة من قبل وما سيأتي ذكرهُ في هذا المجال - لكنّه بالإجمال يشير إلى أنَّ جبهة السفياني والخراساني تتلاقى وتتصادم بشدّة في أكثر من موقعةٍ ومعركة . ويبدو من النصوص أنَّ جبهة الخراسانيين تعيش مرحلةً حرجةً نسبيّاً بعد خروجِهم من بيت المقدس ، أي بعد تكاتف الروم والترك والسفياني

والراية المغربيّة وبعض الأنظمة الإقليميّة عليهم .. لكنَّهم مع كلٍّ هذا يخوضون معركةً ضارية ضدَّ الترك ، ويبدو انَّ الترك يزحفون من بعض الأراضي الإيرانيّة إلى منطقة قرقيسيا التي يخوضون فيها حرباً هائلة على مالٍ جوفيٍّ ينكشف عنه الفرات أو جهته .

ومع ملحمة قرقيسيا التي يختلف فيها الروم والترك والسفياني والعباسي والمرواني قبل السفياني والراية المغربيّة وغير ذلك على مال جوفي كبير تبدأ لحمة التحالف بالإنهيار ، ما يعني تغيُّراً في موازين القوى ، ووضعاً أفضل للخراسانين الذين يستعيدون زمام المبادرة ..

ولقد كثرت الأحاديث المادحة لراية خراسان الإماميّة في عصر الظهور ، حتى انَّ بعض المتون كانت تشيرُ إلى المهدي عليه السلام تأكيداً على مهدويَّة راية خراسان . ففي حديث الإمام الرضا عن آبائِهِ عليهم السلام قال قال النبي صلى الله عليه وآله : [لا تقوم الساعة حتى يقومَ قائمٌ للحقِّ منَّا ، وذلك حين يأذنَ اللهُ عزَّ وجلَّ له . ومَن تبعه نجا ومَن تخلَّف عنه هلك . الله الله عبادَ اللهِ ، فأتوه ولو حبواً على الثلج ، فإنَّهُ خليفةُ اللهِ عزوجل][1] .

وما أريد الإشارة له هنا أنَّ تعبير : [اتوه ولو حبواً على الثلج] ورد في نصوص أهل خراسان ورايتِهِم ، وهو لفظ يتناسب مع بلاد الخراسانيين الثلجيّة .. وعليه : النصُّ يشير إلى ضرورة نصرة الراية التي تُوطِّئ للمهدي عليه السلام قبل ظهورِهِ ، وهي حسب النصوص مشرقيّة ، من بلاد خراسان ، دولة على مذهب أهلِ البيتِ عليهم السلام ، يكون صاحبها فقيه إمامي من نسل آل محمّد ، رجل مِن قم ، يدعو الناس إلى الحق ، معه قومٌ كزبر

---

[1] عيون أخبار الرضا : ج ٢ صـ ٦٠ ٥٩ ب ٣١ ح ٢٣٠ كفاية الاثر : صـ ١٠٦

الحديد .. كما في النص الوارد عن الإمام الكاظم عليه السلام .. وقد وردت نصوص تفصيليّة في تلك الفئة المقدّسة ، ذكرت أهل قم وغيرها مِن تلك المنقطة ، منها ما رُوِي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [.. لمّا أُسري بي إلى السماء الرابعة نظرتُ إلى قبّةٍ مِن لؤلؤ لها أربعةُ أركان وأربعةُ أبواب ، كلّها مِن إستبرق أخضر ، قلت : يا جبرئيل ، ما هذه القبة التي لم أرَ في السماء الرابعة أحسنَ منها ؟ فقال عليه السلام : حبيبي محمَّد ، هذه صورة مدينة يُقال لها « قم » ، يجتمع فيها عبادُ الله المؤمنون ، ينتظرونَ محمَّداً وشفاعته للقيامة والحساب ، يجري عليهم الغمُّ والهمُّ والاحزانُ والمكاره .

قال الراوي : فسألتُ علي بن محمد العسكري عليه السلام متى ينتظرونَ الفرج ؟ قال عليه السلام : إذا ظهر الماء على وجه الارض][1] . وقد ورد أيضاً عن الإمام العسكري نصٌّ بهذا اللفظ ..

وفي نصٍّ آخر عن النبيِّ صلى الله عليه وآله بنفس المصدر أورده الشيخ الطوسي قال : [يخرجُ بقزوين رجلٌ ، إسمه إسمُ نبيٍّ ، يسرع الناس إلى طاعته المشرك ، والمؤمن ، يملأ الجبالَ خوفاً][2] . وهو تعبير يتوافق والنصوص التي قالت : « لو استقبلته الجبال لهدّها » ..

وفي رواية أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله كما في العيون ، وفيه : [.. إيتوه ولو على الثلج . قلنا يا رسولَ الله ، متى يقوم قائمكم ؟ قال صلى الله عليه وآله : إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً ، وهو التاسع مِن صُلب

---

[1] الاختصاص : صـ ١٠٢ / ١٠١ غيبة الطوسي : صـ ٢٧٠

[2] م . س .

الحسين][1] . وبهذا ربْطٌ واضحٌ بين روايات أهل المشرقِ الذين يخرجون مِن الشرق ويوطِّؤون للمهدي ، وبين النصوص الكثيرة التي تؤكِّد على ضرورة نصرة هذهِ الراية لأنّها تدعو للمهدي عليه السلام ، أو لأنَّ فيها المهدي عليه السلام ، أي إمامُها المهدي حيث تنزل على طاعتِه منذ أولى ساعات ظهوره الشريف .. وقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام أنَّ زنديقاً يخرج مِن قزوين ، فيهتك الحرمات ، ويرتكب المحرَّمات ، وقد خرج مِن صدر الاسلام إلى الآن عشرات مِن الاخيار والفجَّار مِن قزوين ، وكان رضا شاه يقول : أليس يروي العلماء أنه يخرج زنديق من قزوين ، فأنا هو .

إلا انَّ الذي يخرج مِن عظماء الأخيار إنّما هو معطوف على عصر الغيبة وما يتّصل بزمن التوطئة لخروج المهدي وما بعده فاقتضى التنبيه .. ولقد ورد في خصوص أهل خراسان أو فارس أو قم نصوص خاصَّةٌ تشير إليهم وما هم عليهِ من دقّةٍ في دينٍ ، وقوّة في اعتقاد ، ونفوذٍ في أمرٍ ، منها ما رواهُ أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [لو كان الدِّين عند الثريا لذهب إليه رجلٌ - أو قال رجالٌ مِن أبناء فارس - حتى يتناولوه][2] .

وفي رواية قيس بن سعد قال : [لو كان الدين معلَّقاً بالثريَّا لتناوله ناسٌ من أبناء فارس][3] . وفي رواية شهر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله - وذكر الحديث وأضاف - : [.. لو كان معلَّقاً بالثريَّا لتناوله ناسٌ مِن أبناء فارس][4] .

---

[1] م . س .

[2] عبد الرزاق : ج ١١ ص ٦٦ ح ١٩٩٢٣

[3] ابن أبي شيبة : ج ١٢ ص ٢٠٦ ح ١٢٥٦١

[4] ص ٢٠٧ ح ١٢٥٦٢

وكذا في رواية أحمد[1] . وفي لفظٍ تفصيليٍّ أكثر عن أبي هريرة قال : « كُنَّا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة ، فلما قرأ : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا .. ﴾ قال رجلٌ : مَن هؤلاءِ يا رسولَ اللهِ ؟ فلم يراجعهُ ﷺ حتى سأله مرَّةً أو مرَّتين أو ثلاثاً - وفينا سلمان الفارسي - قال : فوضع النبيُّ ﷺ يدَهُ على سلمان وقال : [لو كان الايمان عند الثريَّا لناله رجالٌ مِن هؤلاءِ][2] . أي مِن فارس ..!

وهكذا تقرأ في الروايات : تركيز شديد على خراسان ، على فارس ، على أهل القبلة الإماميين ، على أهل قم ، على المنادين بإمامة أهل البيت عليهم السلام آخر الزمن ، على الفقيه القُمِّي السيِّد الذي يثور منادياً بالإسلام والعترة النبويّة ..!

وفي رواية الترمذي بسنده عن أبي هريرة - لما نزل قوله تعالى : ﴿ .. وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ قال ناسٌ من أصحاب رسولِ الله ﷺ : يا رسول الله مَن هؤلاء الذين ذكَرَ اللهُ : إنْ تولَّينا استُبدِلُوا بنا ، ثم لم يكونوا أمثالنا » ؟ قال : وكان سلمان بجنب رسول الله ﷺ ، فضرب رسولُ الله ﷺ فخذَ سلمان وقال : هذا وأصحابه . والذي نفسي بيده ، لو كان الايمان منوطا بالثريَّا لتناوله رجالٌ مِن فارس][3] . وقد أخرج البخاري ومسلم نحو هذا الحديث .. وفي كشف الهيثمي برواية قيس بن سعد بن عبادة قال : قال رسول الله ﷺ - وذكر الحديث - وأضاف

---

[1] أحمد : جـ ٢ صـ ٢٩٧ ٢٩٦ بسند آخر

[2] صـ ٤١٧

[3] الترمذي : جـ ٥ صـ ٣٨٤ بـ ٤٨ حـ ٣٢٦١

فيه : [.. لو أنَّ الايمان معلَّق بالثريا لتناوله ناسٌ من أبناء فارس . وربما قال : مِن بني الحمراء بني الموالي][1] .

المتنُ شديدُ التأكيد على أنَّ الإستبدال يكون بقومٍ مِن أهل فارس ، يكونون على الإسلام والإيمان ، يدعون إلى الهدى ، جاءت النصوص صريحة لتقول بأنّهم هم من يضرب العربَ على التأويل بعدما ضربهم العربُ على التنزيل ..! وأنّ هؤلاءِ - من أهل خراسان - هم الذين يُوطِّؤون للمهدي عليه السلام سلطانه ..

واللافت جداً انَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله كان يشيرُ إليهم في بعض الأوقات بعد نزول آيات قرآنيّة خاصَّة تشيرُ إلى ذلك . وفي البعض الآخر يشيرُ إليهم في مواقع هي نفسها تؤكِّد طابع الضرورة والقداسة في هذه الأمّة التي تكون آخر الزمن .

ففي رواية العباس بن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه قال : كنت مع النبيِّ صلى الله عليه وآله بالخندق ، فأخذ الكرزين فحفرَ به ، فصادف حجراً فضحك ، قيل : ما يُضحِكُكَ يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وآله : [ضحكتُ مِن ناسٍ يُؤتى بهم مِن قِبَل المشرق في النكول (القيود) يُساقون إلى الجنة][2] .

كان هذا الحديث عبارة عن بشارة مستقبليَّة للمسلمين بفتح فارس وهزيمة كسرى ودخول الاسرى الفرس في الاسلام ، ثم أضاف إليه صلى الله عليه وآله إخباره عن ضرب الفرس للعرب على التأويل كما ضربهم العربُ سابقاً على

---

[1] : ج ٣ صـ ٣١٦ حـ ٢٨٣٥

[2] أحمد : ج ٥ صـ ٣٣٨ . - وكذلك ورد في الروياني : صـ ٢٠٢ حـ ١١٢٣

التنزيل ..! بتعبير آخر : إنّهم الأمّة التي توطِّئ للمهدي (عليه السلام) سلطانه ، وتقوم بالإسلام في آخر الزمن بعدما تتخلّى زعامات دول الإسلام عن الإسلام ..! ففي رواية علقمة عن عبد الله قال : بينما نحن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ جاء فتية من بني هاشم ، فتغير لونه ، قلنا : يا رسول الله ، ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه ، فقال : [إنَّا أهل بيتٍ اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإنَّ أهل بيتي هؤلاء سيلقون بعدي بلاءً وتطريداً وتشريداً ، حتى يأتي قومٌ مِن ها هنا ، مِن نحو المشرق ، أصحاب رايات سود (أهل خراسان) يسألون الحقَّ فلا يُعطَونَهُ - مرتين أو ثلاثا - فيقاتلون فينصرون ، فيُعطَون ما سألوا ، فلا يقبلوه حتى يدفعوها إلى رجلٍ مِن أهل بيتي (المهدي) فيملؤها عدلاً كما ملؤوها ظلماً ، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج][1] .

إنّهم الأمّة المؤتمنة على الدِّين في آخر الزمن . هذا مضمون جملة واسعة من النصوص الواردة في كُتب الفريقين ..

ومن المتَّفق عليه بين الفريقين أنَّ لأهل المشرق الخراسانيين شأناً عظيماً ، هم أُمّة موالية لآلِ محمّد (صلى الله عليه وآله) ، يؤسِّسُون دولتهم قبل ظهور المهدي (عليه السلام) ، ويرفعون الإسلام ديناً لها ، رغم الجهد والحرج الشديد الذي يُصابون بهِ في عالمٍ فاسدٍ طاغٍ ، وأمّة بشريّة مقُودة بشهوتِها وباطلها ، في ظلٍّ فوضى وجبروت يتنقّل من مكانٍ إلى مكان ، وفتنةٍ صماء عمياء تعصف بالعالم في عصر الغيبة .

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٤

فتنة بلاد الشام :

من ضمن العناوين الرئيسيّة في عصر الغيبة مَـوْجُ العـالَمِ بـالفِتَن ، الفتن المختلفة التي تحلُّ في مكانٍ وتنتقلُ إلى آخر . مِن تلك الفتن فتنةُ بلاد الشام التي نساهم عبر شرحها ببيان جزء من العالَم المستقبلي آخر الزمن . على أنَّ بلاد الشام تُشكِّل مهداً خصباً لصداماتٍ وفوضـى وأزمـاتٍ طويلـة وتبعيَّة وحروب وهشاشة مخيفة . وفي هذا العنـوان سـأحاول أن أعـرض فتنة الشام على ان أشرح باقي الصورة في معرض التفاصيل الآتية إن شاء اللهُ تعالى .

ففي رواية ابن المسيب قال : [تكون فتنةٌ بالشام ، كأنَّ أوَّلهـا لعـبُ الصبيان ، تطفو مِن جانب وتسكن مِن جانب ، فلا تتناهى حتى ينادي منادٍ : إنَّ الامير فلان . وقال : فيقبِّل ابن المسيب يديه ، حتى أنهما لتنتفضان ، ثـم يقول : ذاكم الامير حقّاً ، ذاكم الامير حقاً][1] .

لا يشير النصّ إلى تفاصيل تلك الفتنة الخطيرة ، لكنّه يؤكّد على أنَّها لا تتناهى حتى يصدرُ النـداءُ مـن السـماء بالمهـدي عليه السلام . كمـا فيهـا دلالـة إضافيّة على انَّ عالم الموت الأحمر والجوع الأغبر الذي يضرب بعنـفٍ فـي

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٦١ حـ ٢٠٧٤٦

هذه المنطقة ومناطق واسعة من العالم يظلُّ متعاقباً حتى النداء بإسم المهدي ﷺ وإعلان ظهوره الشريف . وفي لفظٍ آخر عن سعيد بن المسيب قال : [تكون بالشام فتنة ، كلَّما سكنت مِن جانبٍ طمت من جانب (أي ظهرت من جانب آخر) ، حتى ينادي منادي من السماء : إن أميركم فلان][1] .

وفي لفظٍ أكثر تفصيلاً عنه قال : [.. تكون فتنة بالشام كأنها لعب الصبيان ، ثم لا يستقيم أمرُ الناس على شيئ ، ولا تكون لهم جماعة ، حتى ينادي منادٍ مِن السماء عليكم بفلان ، وتطلع كفٌّ تشير][2] .

تجدرُ الإشارة إلى انّ بلاد الشام تاريخيّاً تشمل حمص ، حلب ، دمشق ، الأردن ، فلسطين ، أمَّا لبنان فهو تاريخيَّاً جزء من دمشق وهو أرض الأبدال التي تصمد وتمتنع في وجه السفياني .

وفي طائفة من النصوص تركيزٌ على دمشق وعرشها . أي أنَّ مجموعة من الأحداث التاريخيّة ستدور ضمن ذلك المحور . فالسفياني مثلاً الذي يقاتل الرايات بشكلٍ دموي ، يُقاتل الأصهب والأبقع وينقلب على المرواني كلُّ ذلك بهدف السيطرة على عرش دمشق ..

ثمَّ أوَّل شيئ لافت في النص انّه يشيرُ إلى فتنةٍ تبدو أوَّل أمرها وكأنَّها لعب الصبيان ..! أي لا قيمة لها ولا يمكن أن تتفاقم حسب ظاهر الأحداث . لكنَّها بخلاف كلّ التوقعات تتطوَّر وتتفاقم بشكلٍ مذهل .. النص

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٦١ حـ ٢٠٧٤٦

[2] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٦١ حـ ٢٠٧٤٦

هنا يشيرُ إلى فتنة السفياني الهائلة التي سيرد ذكرها في سياق الفتن العديدة التي تضرب بعنف .. ومن المعلوم أنَّ الفتن ستتكرَّر ، وتكون مختلفةً وشديدة الوطأة ، وفي أكثر من مكان في العالم ، لكن بعض النصوص أشارت إلى فِتَنٍ خاصَّة تكون في مناطق بلاد المسلمين .

ففي رواية عبد الله بن مسعود قال : قال لنا رسول الله ﷺ : [أحذركم سبع فتن تكون بعدي : فتنة تُقبل من المدينة ، وفتنة بمكة ، وفتنة تقبل مِن اليمن ، وفتنة تُقبل من الشام . وفتنة تُقبل مِن المشرق ، وفتنة مِن قِبَل المغرب ، وفتنة مِن بطن الشام وهي فتنة السفياني][1] . وقال : [فقال ابن مسعود : منكم مَن يُدرك أوَّلَهَا ، ومِن هذه الأمة مَن يُدرِك آخرها][2] .

قال الوليد بن عياش : [فكانت فتنة المدينة من قبل طلحة والزبير ، وفتنة مكة ، فتنة ابن الزبير ، وفتنة اليمن من قبل نجده ، وفتنة الشام مِن قبل بني أمية ، وفتنة المشرق مِن قبل هؤلاء أي العباسيين][3] ..

أقول : قيمةُ هذا النصِّ الرئيسيّة أنَّ إبن مسعود المُعايش لزمن الصدور كان على اطِّلاعٍ واضحٍ من أنَّ أوَّل الفِتَن يُدركُها قومٌ يعيشون زمنه . إشارة إلى فتنةٍ تجرُّ على الأمّة الويلات ، وليس مِن الويلات التي أصابت المسلمين أعظم من تنحية الإمام علي عليه السلام عن الخلافة التي نصبتها السماءُ بإسمه . حيث جرَّت على الإسلام وعلى أهل البيت عليهم السلام ما أشار إليه النبيُّ من أنَّ أهل بيتِهِ يلقون بعدهُ تطريداً وتشريداً وغير ذلك ، حتى أنَّ

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٩ الحاكم : جـ ٤ صـ ٤٦٨

[2] ابن حماد : صـ ٨٩ الحاكم : جـ ٤ صـ ٤٦٨

[3] ابن حماد : صـ ٨٩ الحاكم : جـ ٤ صـ ٤٦٨

رأس الإمام الحسين عليه السلام رُفع على رأس الرمحِ وكان يزيد بن معاوية يفاخرُ في ذبحه ..! وكما بدأت فتنةُ أوَّلِ صدر الإسلام ، فإنَّ الشام ستشهد فتنة دعم الروم للسفيانيِّ (من نسل أبي سفيان) ، حتى يخوض في الرايات قتلاً ويسيطر على عرش دمشق ، ثم يُعلن عداءَهُ الدمويَّ لآل محمَّد واتباعِهم في الشرق أينما كانوا ..

ففي رواية إبن حماد الأخرى بسنده عن ابن مسعود قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله - وذكر الحديث وجاء في ذيله - : [.. وفتنة تُقبل مِن المغرب . وهي السفياني][1] ..

وفي النصوص بيانين : الأوَّل انّ السفياني يُدعم من الروم (الغرب المسيحي) حتى يسيطر على عرش دمشق ، وفي طائفةٍ ثانية أنّه إذا دخلت راية المغرب مصر فتلك راية السفياني . وذيل النص الوارد هنا يشيرُ إلى حدث الراية المغربيَّة .

ومعلوم أنَّ الراية المغربيَّة تستهدف نجباء مصر الإماميين الذي يعزلون حاكم مصر الذي يحوِّل أرض مصر ومواردها إلى قطعةٍ مستنزفة أمام الروم .

على انّ راية السفياني التي تبطش بشدّة وتسيطر على الكور الخمس ما عدا منطقة الأبدال ، تضعف سريعاً ، ولا تدوم مدَّة سلطانها القمعي إلا حمل إمرأة . وفي رواية إبن حماد عن الإمام علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [.. يرسل اللهُ على أهل الشام مَن يفرِّق جماعتهم ، حتى لو

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٨ الحاكم : جـ ٤ صـ ٤٦٨

قاتلتهم الثعالب غلبتهم ، وعند ذلك يخرج رجلٌ مِن أهل بيتي في ثلاث رايات .. ويرد الله على المسلمين إلفتهم وقاصتهم وبزارتهم (قاصيتِهم ودانيتِهم) - (أي يجمع شملهم ويوحد كلمتهم)][1] .

النص مختصر ، فهو يشيرُ إلى مرحلة ما بعد سطوة السفياني ، وإلا فإنَّ الفتنة التي تقع في الشام تتنامى إلى ذروتِها وتتوسَّع في بقاعِها ، فيخرج الأبقع والأصهب والسفياني فضلاً عن المرواني ، وتتجهَّز الجيوش ، وتتخالف الترك والروم ، وتنضم الراية المغربيّة ، وتقع معركة هائلة في المثلَّث السوري العراقي التركي (ملحمة قرقيسيا) ، ينتصر على أثرها السفياني دون أن تنتهي فتنة الشام . إلى أن تقع المعركة الأعنف بين جيش الخراسانيين من جهة والسفياني من جهةٍ أخرى ، فضلاً عن زحف المهدي من جانبٍ آخر ، ثم تقع المعكرة الأعنف وتنتهي بزوال دولة السفياني ..

نعم يُفهم من هذهِ الرواية الواردة في جمع « كلمة المسلمين » أنَّ الأمن السياسي والصف القيادي للمسلمين يتحقَّق على يدِ الإمام المهدي عليه السلام الذي يدكُّ حصون الإنحراف والشرك ويبطلها ، ويقيم دولة الإسلام ..

وفي رواية إبن حماد في وصف حملة الإمام المهدي عليه السلام لفتح الشام ، روى عن ابن زرير الغافقي انَّه سمع عليّاً عليه السلام يقول : [.. يخرج في أثني عشر ألفاً إنْ قلُّوا ، أو خمسة عشر ألفاً إنْ كثروا ، يسير الرعب بين يديه ، لا يلقاهُ عدوٌّ إلا هزمهم بإذن الله ، شعارهم أمت أمت ، لا يبالون في

---

[1] ابن حماد : صـ٩٦

الله لومةَ لائم ، فيخرج إليهم سبع رايات مِن الشام فيهزمهم ويملك ، فترجِعُ إلى الناس محبّتُهُم ونعمتهم وقاصتهم وبزارتهم (أي وحدتهم وحريّتهم) ، فلا يكون بعدهم إلا الدجال . قلنا وما القاصَّة والبزارة قال : يقبض الامر حتى يتكلم الرجل بما شاء لا يخشى شيئا][1] ..

وفي نفس المصدر روى القتباني عمَّن حدَّثَهُ عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : [يسير بهم في اثني عشر ألفاً إنْ قلوا أو خمسة عشر ألفاً إنْ كثروا ، شعارهم أمت أمت ، حتى يلقاهُ السفياني فيقول : أخرجوا إليَّ ابن عمي حتى أكلمه . فيخرج إليه فيكلّمُهُ ، فيسلم له الامر ويبايعه ، فإذا رجع السفياني إلى أصحابه ندَّمته كلب (عتبت قبيلته عليهِ وأصرَّت على القتال) ، فيرجع ليستقيله فيقيله ، فيقتتل هو وجيش السفياني على سبع رايات ، كلُّ صاحب راية منهم يرجو الامر لنفسه فيهزمهم المهدي][2] .

هذهِ الطائفة تشير إلى معركة فصل نهائي ، عبَّر عنها إبن حماد بقول أبي هريرة : المحروم من حرم نهب كلب . وعلى أثرها تزول دولة السفياني .

وما أحبُّ أن أعلِّق عليه هو ما ورد في ذيل الحديث الذي فيه : « ولا يكون بعدهم إلا الدجَّال » . يقيناً النص مُختَصَر ، وإلا فإنَّ النصوص الكثيرة والتامّة تشيرُ إلى معارك ضارية مع الترك والروم ، المعركة مع الروم توصف بأنّها من أكبر الملاحم التي لم يُرَ مثلها . ثم بعد الروم تكون فتنة الدجَّال . وهي حسب النصوص فتنة صعبة وقاسية وشديدة الأثر . ويمكن

---

[1] صـ ٩٧ – كذلك أيضاً في : الطبراني ، الاوسط : جـ ١ صـ ٢٠٣ حـ ٢٩٣

[2] صـ ٩٧ – كذلك أيضاً في : الطبراني ، الاوسط : جـ ١ صـ ٢٠٣ حـ ٢٩٣

ان يكون تخصيصُها من باب خطورتها .. نعم ، على ما يبدو فإنَّ فتنة الشام موصوفة ، وذات أثر بالغ على خريطة المنطقة وميزان القوى فيها ، وفضلاً عن ذلك تشكِّل أداة سفك وقتال وإبادة واجتياح ..

ففي رواية جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : [.. يا جابر ، لا يظهر القائم عليه السلام حتى يشمل الناسَ بالشامِ فتنةٌ ، يطلبونَ المخرجَ منها فلا يجدونه ، ويكون قتلٌ بين الكوفة والحيرة ، قتلاهم على سواء ، وينادي منادٍ من السماء][1] .

تأكيداً منه عليه السلام للفتنة الهائلة ذات الإنفلاش الواسع في الآفاق ، يظهر من معالم النصوص أنَّها ذات قسوةٍ وأثر ، وصلابة وسطو . على أنّها لا تكون وحيدة ، حيث القتل والفوضى تكون متعدّدة ، وقد أشار النصُّ في ذيلِهِ إلى قتلٍ يكون بين الحيرة والكوفة ..

الأهم في تلك الفتنة أنَّها تكون متوسّعةً . السفياني لا يترك العراق ولا الحجاز وحتى أرض خراسان إلا ويزجُّ بإمكاناتِهِ الحربيّة العنيفة في اتّجاهها ، فضلاً عن سيطرتِهِ على الكور الخمس .. وعلى أثر تلك الأحداث في وقتٍ ووصفٍ محدَّد يقع النداءُ السماوي بإسم المهدي عليه السلام ، ويكون النداء في الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك .

على أنَّ وصف العالم آنذاك يكون خطيراً جدّاً لجهة سطوة نُظم وأعراف متهوِّرة وطاغية وشاذّة في السياسة والأخلاق والإجتماع والسوق وغيرها ..

---

[1] النعماني : ص ٢٧٩ ب ١٤ ح ٦٥

ففي رواية الحكم بن عتيبة عن محمد بن علي قال : قلت له : سمعنا أنه سيخرج منكم رجلٌ يعدل في هذه الأمة ؟ فقال (عليه السلام) : [إنَّا نرجو ما يرجو الناس ، وإنا نرجو لو لم يبقَ مِن الدنيا إلا يوم واحد سيطوِّل ذلك اليوم ، حتى يكون ما ترجو هذه الامة . وقبل ذلك فتنةٌ شرّ فتنة ، يُمسي الرجلُ مؤمناً ويُصبح كافراً ، ويصبحُ مؤمناً ويمسي كافراً . فمن أدرك ذلك منكم فليتَّقِ اللهَ وَلْيُحرِز دينه ، وليكن مِن أحلاس بيته][1] . إشارةً منه (عليه السلام) إلى شدّة الزمان ، وتراكم الحدثان ، وتعرُّض العالم إلى نحوٍ هائلٍ من تغيُّراتٍ سريعةٍ ونافذة ، يكون منها ضغطٌ شديدٌ على المؤمنين خاصّةً .

ووصيَّةُ الإمام بالمكث في البيوت ناظرة إلى الفتن التي تقع بين أهل الباطل ، فقد ورد عنهم (عليهم السلام) عدم الدخول فيها ، فيما دعت طائفة أخرى إلى وجوب نصرة راية الخراساني وأهل الحقّ وبذل المُهج أمامها .

وتؤكِّد طائفة من النصوص قرب ظهور المهدي (عليه السلام) على أثر موت خليفة عباسي بطّاش ، قويٍّ في مُلكِه ، يكون في العراق ، وهو شديد العداء اتّجاه أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم . العراقُ في عهده يكون ذا منعة مِن السفياني ، فإذا مات واختلف العباسيُّون نهض إليهم السفياني للسيطرة على العراق . كما تزحف راية أهل المشرق لمنع سيطرة السفياني الطاغي على العراق ، وهناك تقع اعنف المعارك .

ثم تختلط الراياتُ في أكثر مِن منطقةٍ وبقعةٍ مِن هذا العالم ، ويتقاتل أهلُ الشرق والغرب . وفي الوقت الذي يخوضُ فيه الجيش الخراساني حربَ اصطخر الضخمة في وجه السيفاني في المنطقة الإيرانيّة والتي يتغلَّب فيها

---

[1] الداني : صـ ١٦١ – ١٦٢

الخراساني على جيش السفياني ويمزّقه ، تكون البشرى بظهور المهدي عليه السلام ، ويكون الظهور الخاص قد تحقّق . وفي رواية أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال :

[.. يقوم القائم عليه السلام في وترٍ من السنين : تسع ، واحدة ، ثلاث ، خمس . وقال : إذا اختلفت بنو أمية وذهب ملكهم ، ثم يملك بنو العباس ، فلا يزالون في عنفوانٍ من الملك وغضارةٍ من العيش حتى يختلفوا فيما بينهم (في آخر الزمن دولتهم الثانية) ، فإذا اختلفوا ذهبَ ملكهم ، واختلف أهلُ المشرقِ وأهل المغرب ، نعم وأهل القبلة . ويلقى الناسَ جهدٌ شديدٌ ممَّا يمرُّ بهم من الخوف ، فلا يزالون بتلك الحال حتى ينادي منادٍ من السماء ، فإذا نادى فالنفير النفير (فالنفر النفر) فوالله لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناسَ بأمر جديد ، وكتابٍ جديد ، وسلطان جديدٍ من السماء . أما إنه لا يرد له راية أبداً حتى يموت][1] .

على اختصارهِ ، النصُّ واضح في الإشارة إلى مواضيع ذات إشارة إلى معالم الزمن وبعض محطّاتهِ رغم وضوح التقطيع بالنص وحذف بعض فقراتهِ من قبل الراوي أو غيره .

وعلى إجمالهِ فهو شديد الوضوح بما يجري في منقطة الشام والحجاز وخراسان والعراق ، بالإضافة إلى الأمور الأخرى ، على انّ مجموعة من الأحداث الواردة لها ارتباط واضحة بفتنة الشام .. كما فيه إشارة إلى حروبٍ تقع بين أهلِ المشرق والمغرب ، نوعها وشكلها وطبيعتُها مختلفة باختلاف أدواتِها وأزمانِها وأطرافها .. وقد ورد أنَّ أهل الشرق

---

[1] النعماني : صـ ٢٦٢ بـ ١٤ حـ ٢٢ –

والغرب يتقاتلون على كنزٍ أو على جبلٍ من ذهب أو على مالٍ جوفي ينكشف عنه نهر الفرات أو ناحيته . إشارة إلى حربٍ على ثروة لها أهميّة خاصّة .

وفي تاج المواليد قال : [.. جاءت الاخبار عنهم ﷺ أنَّ صاحب الزمان ﷺ يخرج في وترٍ من السنين ، تسع أو سبع أو خمس أو ثلاث أو إحدى][1] . وأضافوا في التفسير : انَّ ذلك يكون على أثر فِتَنٍ مختلفة أهمُّها فتنة الشام وما يتبعها ..

ويبدو أنَّ أهل الشام يتعرَّضون لقوى تشلُّ قوّتهم ، النصوص واضحة في توهين قوَّتِهم ، حتى لو قاتلتهم الثعالب - على ضعفِها - لغلبتهم .

ومن بعض المتون يبدو أنَّ حُكَّام دمشق يتعرَّضون لضغطٍ شديدٍ من قوى العالم الدوليّة والإقليميّة في تلك الفترة ، حتى انَّ راياتٍ ثلاث - ويبدو من بعض النصوص أنّها تكون أكثر من ثلاثٍ - تخرج في طلب عرش دمشق ، منها راية الأصهب والأبقع والسفياني ، فينتصر عليهم ويملك عرش دمشق .

فإذا ملك السفياني - وهو المدعوم بكثافةٍ من الروم - اشتدَّ عرشُ دمشق وقوي ، وحكم الكور الخمس باستثناء منطقة أبدال الشام ، وأثار جيشهُ في كلِّ الإتِّجاهات ، نحو فلسطين لمقاتلة الخراسانيين الذين نصبوا راياتِهم في بيت المقدس . ونحو مصر للقضاء على ثورة النجباء الإماميَّة

---

[1] : صـ ١٥٠ -

التي كادت أن تستلم الحكم هناك ، كما يبعث بجيشٍ نحو منطقة قرقيسيا ، التي تختلفُ فيها رايات الشرق والغرب على مالٍ جوفيٍّ عظيم ينكشف عنه الفرات أو ناحيته ، فتقع هناك « ملحمة هائلة » بين جيوشٍ كثيرة ، أهمُّها الروم والترك والسفياني ، وهناك تختلُّ موازين قوى المنطقة ، حيث ينفرط عقد التحالف بين هذه القوى ، ويكون باعثَ راحةٍ للخراسانيين الذين عانوا مِن تحالف الروم والترك والسفياني وبعض الأنظمة العربيَّة التي منها الراية المغربيَّة لإخراج جيش الخراساني من بيت المقدس . كما يبعث السفياني بجندهُ نحو الداخل العراقي بعد موت العباسي البطَّاش ، ثم نحو الأراضي الإيرانيّة (منطقة اصطخر) ، ثمَّ نحو الحجاز (المدينة) ..

حقَّاً إنَّها مِن الفتنة الهائلة التي تتعمَّد بالدم والجوع والإبادة ..!

فإذا كانت وقعة اصطخر مع الإيرانيين انهزم جيش السفياني في هذه المعركة بشكلٍ مدهش ، بحيث يمزِّق شعيب بن صالح جيش السفياني في تلك المنطقة تمزيقاً . فيردّ السفياني على ذلك ببعث جيش نحو المدينة المنوَّرة لقتل المهدي عليه السلام ، وآنذاك يكون المهدي عليه السلام قد ظهر الظهور الخاص ، فيخرج المهدي عليه السلام ومعه قلَّة من أصحابِهِ نحو مكَّة ، فإذا أراد جيش السفياني عبور البيداء نحو مكَّة خسف اللهُ بهم البيداء ، وبذلك يبدأ أعظم تحوُّل اتِّجاه قوَّة السفياني .

فيتَّجِه نحوه جيشُ المهدي عليه السلام ، وكذا جيش اليماني ، وتزحف إليه قوّةُ خراسان من الناحية الأخرى ، وتقع بينه وبين قوّة خراسان معركة عنيفة ، كما تقع بينه وبين جيش المهدي عليه السلام معركة ضارية ، تنتهي بذبح السفياني ، فإذا كان كذلك انهار جيشهُ وتبعثر . وفي رواية الحاكم عن عبد

الله بن زرير الغافقي قال سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : [.. ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن .. وسيُرسِلُ اللهُ إليهم سيباً مِن السماء فيفرّقهم ، حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم ، ثم يبعث اللهُ عند ذلك رجلاً مِن عترة الرسول صلى الله عليه وآله في اثني عشر ألفاً ، يقاتلهم أهل سبع رايات ليس مِن صاحب راية إلا وهو يطمع بالمُلك فيقتتلون ويهزمون ، ثم يظهر الهاشمي ، فيردُّ اللهُ إلى الناس إلفتهم ونعمتهم ، فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال][1] .

وبذلك تتمُّ وحدتُهم بالمهدي عليه السلام ، وتتَّسع دولة المهديِّ عليه السلام مع زوال مُلك السفياني وبعض القوى الأخرى إلى حدود الحجاز والعراق والشام ومصر واليمن والنواحي ..

المعنى المُحَصَّل من هذهِ الطائفة يعني أنَّ ما يحصل قبلاً من زحف الراية المغربيّة ، وخروج الأصهب والأبقع والسفياني وسيطرة السفياني على الكور الخمس وانتصارهِ في معركة قرقسيا على الترك والروم ، لا يدوم - كما تشير النصوص - أكثر من تسعة أشهر ، وتكرُّ عليهِ بعدها الهزائم ، وتبدو جبهتُهُ على نحوٍ مثيرٍ من الإنهيار ..

ويبدو أنَّ اضطراباً سياسيّاً وخلافاً على الحكم بالشام يُصيب العرش السياسي هناك ، فتختلف الرايات وتتفرَّق ، ويخرج كلٌّ واحدٍ وهو يريد الملك ، وقد أشارت الروايات إلى هذهِ المعاني بأكثر من صيغةٍ وتعبير . وفي رواية الحاكم عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله - ذكر مثل هذا

---

[1] الحاكم : ج ٤ صـ ٥٥٣ بسند آخر عن عبد الله بن زرير الغافقي - تهذيب ابن عساكر : ج ١ صـ ٧٢ كما في الحاكم .

الحديث وجاء في بعضِهِ - : [.. يكون آخر الزمان فتنة . فعند ذلك يخرج خارجٌ مِن أهل بيتي .. فيلقون سبع رايات تحت كلِّ رايةٍ منها رجلٌ يطلب الملك (دلالة على الإختلاف السياسي على العرش بين هؤلاءِ وفرقتِهم) فيقتلهم اللهُ جميعاً ، ويرد الله إلى المسلمين إلفتهم ونعمتهم وقاصيهم ودانيتهم ..][1] ..

صحيح أنَّ النص شديد الإختصار ، وفي ذيلِهِ تقرير نتيجة مُلك المهدي عليه السلام دون تفاصيل إلَّا انّه متن واحد مع تلك الطائفة من النصوص .

نعم هو صريح في خروج سبع رايات ، إذن حرب الرايات في هذه المنطقة اكثر مِن ثلاث ، إنّها حرب استنزاف تكون الروم ركن أساسي فيها عبر السفياني الذي يملك عرش دمشق ..

ولا شكَّ أنَّ السفياني يعاني مِن أزمة حكم ووهن بعد صداماتِهِ الكثيرة ، في حين هناك نصٌّ يشير إلى سببٍ مِن السماء يُضعِفُ قوته .. فيما تكتفي طائفة واسعة من النصوص بالإشارةِ إلى أنَّ قوَّة المهدي عليه السلام تصطدم به وتُسقِطُهُ .

وتأتي سلسلة هذهِ الأحداث على النحو التالي : ثورة النجباء في مصر وفرار حاكم مصر إلى الروم والإتيان بجيوش الروم وإعلان الحرب على مصر ، لكنّهم يفشلون في استلام الحكم ، عندها يبدو أنَّهم يستنجدون

---

[1] الحاكم : ج ٤ صـ ٥٥٣ بسند آخر عن عبد الله بن زرير الغافقي - تهذيب ابن عساكر : ج ١ صـ ٧٢ كما في الحاكم ،

بدولة المغاربة ، فتزحف نحو مصر ، ومع دخولها مصر تقع حرب الرايات في دمشق ، السفياني يأتي من الروم متنصِّراً ..! يأتي من الوادي اليابس (الأردن) إلى دمشق ، تدعمه الروم إلى أن يهزم الرايات ويسيطر على عرش دمشق ، ثم يجهِّز جيشاً نحو بيت المقدس ليحارب الإيرانيين هناك ، وكذا تدعمه دولة المغاربة وبعض الأنظمة العربيّة ، بالإضافة إلى الروم ، أما الترك فيزحفون نحو الأراضي الإيرانيَّة ويحتلُّون قسماً منها ، كلُّ ذلك بهدف الضغط على الخراساني للخروج من بيت المقدس وأرض فلسطين ..!

هناك في الأراضي الإيرانيّة تقع معركة ضارية بين الإيرانيين والترك ، ويكون الترك مدعومين مِن قوىً عالميّة وإقليميّة مثل الروم والترك ..!

وفجأةً يتمُّ الإعلان عن اكتشاف ثروة جوفيّة هائلة في الفرات أو ناحية الفرات – يبدو مِن طائفة أنَّ ذلك يحصل قبل انتصار السفياني على المرواني – في ظل فوضى ومعارك ونماذج صراع شديدة التنوُّع تجتاح المنطقة ، بما يلازِمها من أزماتٍ اقتصاديّة وغذائيّة وفوضى نقديّة وإجهاضات سياسيّة وانعدام عنيف للمعايير في ظل سواد الحروب ، ومعها يبدأ التحوُّل الكبير ، حيث تتجهّز الجيوش لنهب تلك الثروة . فتتقاتل رايات الروم والترك والمرواني ثم السفياني ، والعباسي في العراق ، وراية المغاربة وغيرها للحصول على هذا المال الذي يستدعي كلَّ هذا القتال ، وذلك في منطقة قرقيسيا ، فتنهزم الروم والترك وينتصر السفياني لكنّه لا يحصل على هذا المال .

التطوُّر الآخر يحصل عندما يموت العباسيُّ البطَّاش في العراق . يبدو مِن النصوص أنَّ هذا العباسي يكون على نحوٍ قويٍّ في العراق ، فإذا مات ضعفت دولة العراق العباسيّة بسبب الوهن الذي يُصيب العائلة الحاكمة التي تتقاتل على مُلك العراق ، ويبدو حاكم العراق البديل هزيلاً ضعيفاً . فيجتاح السفياني منطقة العراق للسيطرة على ثرواتِهِ وقتل الشيعة فيه ، ثمَّ منها ليهاجم أراضي خراسان . عندها تزحف قوّة خراسان نحو العراق ، وذلك يتمُّ في وقتٍ يكون الخراساني قد أنهى حربهُ مع الحركة الإنقلابيّة الداخليّة التي تكاد تزعزع الحكم هناك لولا لطفُ اللهِ تعالى وكنوز طالقان بقيادة الحسني والقائد العسكري شعيب بن صالح .

وفي العراق تقع معركة شديدة بين الخراساني وجيش السفياني ، يتراجع على أثرها الخراساني إلى الأراضي الإيرانيّة فيتبعه جيش السفياني ، وفي منطقة اصطخر الإيرانيّة تقع المعركة الأعنف بين الخراساني وجيش السفياني ، تنتهي بتمزيق جيش السفياني الذي يذهله وقع الخبر . في هذا الوقت تبدأ تباشير نقل خبر ظهور المهدي عليه السلام في المدينة (الظهور الخاص) ، فيبعث السفياني بجيشٍ إلى المدينة للقضاء على المهدي عليه السلام في أوّل أمره ، فيخرج المهديُّ عليه السلام إلى مكّة ، فيتبعه بجيشهِ نحو مكّة ، فما إنْ يخرج في البيداء حتى يخسف اللهُ به الأرض ..

ومعلوم أنَّ السفياني يملك ويحكم ويسيطر على الكور الخمس – إلا منطقة الأبدال – قبل مجيئ جيش المهدي عليه السلام . وفي رواية يحيى بن سلمة عن أبيه عن أبي صادق قال : [لا يخرج المهدي عليه السلام حتى يقوم السفياني

على أعوادها][1] . وفي نفس المصدر قال الوليد : بلغني عن كعب أنه قال : [مهدي الخير يخرج بعد السفياني][2] .

ثم واضح - من النصوص - أنَّ المهدي عليه السلام والسفياني يخرجانِ كفرسي رهان ، هذا ينتصر على ما يليه وهذا ينتصر على ما يليه . نعم يكون للمهديِّ عليه السلام ظهوران : الأوَّل خاص ولبضع اشهر أو سنة . والثاني عام .

في هذه الفترة التي تدوم ١٥ شهراً (كل فترة السفياني) يقاتل : المرواني . الأصهب . الأبقع . الراية الحسنيّة في بلاد الشام . الراية المغربيّة . الراية العباسيّة . الراية المصريّة . الراية الروميّة التي ينقلب عليها فيما بعد . الراية التركيّة التي ينقلب عليها ايضاً . راية الأبدال في بلاد الشام . شيعة الحجاز . الراية الخراسانيّة . الراية اليمانيّة . وتكون هزيمتُه الأضخم على يد الإمام المهدي عليه السلام وأهل خراسان .

يبقى أن نسأل : هل ظهور المهدي عليه السلام الخاص يكون في نفس شهر ظهور السفياني ؟ يبدو من طائفة : نعم . لكن ربّما كان في هذا الجواب كلام . كما انَّ اليماني يظهر في نفس سنة السفياني ، بل يبدو مِن طائفة انه يسبق ظهور السفياني .

وعلى كلٍّ حال ، إذا كان الظهور الخاص للمهدي عليه السلام في نفس شهر ظهور السفياني ، فإنَّ معنى ذلك انَّ راية الخراسانيين تكون في بيت

---

[1] ابن حماد : صـ ٩١

[2] صـ ٩٩

المقدس ، أو في أواخر وجودها هناك ، لأنَّ السفياني ينقلب على عرش دمشق ويقاتل الرايات في وقت تكون راية الخراساني منصوبة في إيلياء . وهذا يعني أنَّ اليماني يكون قد ظهر أو بدأت تباشيرُهُ تتكوَّن بشكلٍ كبير ، لأنَّ ظهوره يكون قبل السفياني أو معه على الأقل .

مع الإشارة إلى أنَّ السفياني يزحف نحو مصر قبل زحفِهِ نحو فلسطين .. وهذا يعني التساريع الشديد بالأحداث . لأنَّ كل فترة السفياني من أوَّلها إلى آخرها ١٥ شهراً منها ٩ أشهر حين يحكم بسلطانٍ جبَّار .

وفي رواية محمد بن الحنفية قال : [.. يدخل أوائلُ أهل المغرب مسجد دمشق ، فبينا هم ينظرون في أعاجيبه ، إذ رجفت الارضُ فانقعر غربي مسجدها ، ويُخسَفُ بقريةٍ يُقال لها « حرستا » ، ثم يخرج عند ذلك السفياني فيقتُلُهُم حتى يُدخِلُهُم مصر ، ثم يرجع فيقاتل أهل المشرق حتى يردّهم إلى العراق][1] .

وفي رواية بعض التابعين : [لا يخرج المهدي حتى يخسف بقرية بالغوطة تسمى حرستا][2] .. إذن السفياني يخوض معركة قاسية ضد الرايات بدعمٍ من الروم أوّلاً ، ثم يقاتل قسم من المغاربة ، وفي الرواية أنَّ الأبقع رجلٌ مِن مصر ، أيضاً ينتصر عليه السفياني ، ثم يزحف نحو مصر ويفتحها بفعلٍ دمويٍّ هائل . ثـمَّ بعد ذلك يندفع نحو أهل المشرق في القدس وفلسطين يقاتلهم ..

---

[1] ابن حماد : صـ ٧١

[2] العطر الوردي : صـ ٦١ عن القول المختصر والهدية الندية

ومع هذهِ الروايات تبدو خريطة الصراع متشابكة جداً ، ومضطربة ، وغير مستقرّة ، خاصّةً إذا أخذنا بعين الإعتبار أنَّ الرايات فيها تكثر ، من الروم والترك والراية المغربيّة والأصهب والأبقع والسفياني وأهل المشرق وغير ذلك .. وفضلاً عن وقعة قرقيسيا تنزل الروم في منطقة في العمق أي في حلب وأطرافِها .. بنفس الوقت الذي تنزل الترك في الجزيرة .. وصولاً إلى قرقيسيا وغيرها ..

أمَّا علامة هذهِ الفتنة التي تحصل في الشام تكمن في خروج ألوية تقبل مِن المغرب ، وهذهِ العلامة هي نفسها لموعد خروج المهدي ، ولا يعني ذلك نفس الوقت ، بل إشارة إلى مفصلٍ من علامةٍ قريبة . ففي رواية كعب قال : [علامة خروج المهدي ألويةٌ تُقبِلُ مِن المغرب ، عليها رجل أعرج من كندة][1] . كما ورد في النصوص أنَّ علامة السفياني أيضاً خروج ألوية تقبل من المغرب . كما أشارت النصوص إلى انَّ السفياني والمهدي يخرجان في وقتٍ واحدٍ كفرسي رهان . (مع ضرورة عدم الخلط بين ظهوري المهدي : الخاص والعام) ..

ويبدو انَّ الفتنة تبدأ مع زحف الراية المغربيّة . وفي رواية كعب قال : [.. مِن قِبَل المغرب ، رجلٌ من كندة أعرج ، فإذا ظهر أهلُ المغرب على مصر فبطنُ الارض يومئذ خير لأهل الشام][2] . إشارة إلى حرب الرايات التي تقع في دمشق ويكون من بينها السفياني الذي يخوض في الدماء حتى يسيطر على عرش دمشق .

---

[1] م . س .

[2] ابن حماد : صـ ٩١ الداني : صـ ٧٣

والمتون شديدة الوضوح في إجرام السفياني ، من انّه يسبي ويذبح ويبقر البطون ، ويكفي ما ورد عليك سابقاً من نصوص دخوله مصر ، وفي معنى إجرامه العام ما ورد عن أرطأة قال :

[.. السفياني الذي يموت ، الذي يقاتِلُ أوَّلَ شيئ الرايات السود ، والرايات الصفر (المغاربة) في سرَّة الشام ، مخرجُه (أي السفياني) من المندرون شرقي بيسان ، على جمل أحمر (إشارة إلى مركبٍ بعباراتٍ تاريخيّةٍ تتناسب ومناسبة الإلقاء في حين هي ناظرة إلى مركبٍ يناسب عصر الظهور) ، عليه تاج ، يهزم الجماعة مرتين ثم يهلك ، وهو يقبل الجزية ، ويسبي الذرية ، ويبقر بطون الحبالى][1] .

أقول : إذا كان المقصود انَّ همَّه مقاتلة الرايات السود فالنص دقيق . وإلا فهو يقاتل أوَّلاً رايات الأبقع والأصهب والمغاربة كما يقاتل المرواني .. أو أن يكون قصدهُ أنّه يقاتل فيما يقاتل أولاً : راية الحسني التي ورد في النصوص أنَّه يسحقها ، وهي غير راية الأبدال التي تمتنع عليه وتصمد في وجهه . ومن صفات راية الأبدال أنّهم مناهضون لليهود .

وفي نفس المصدر قال :

[يخرج المشوَّهُ الملعون (السفياني) مِن عند المندرون شرقي بيسان على جمل أحمر ، وعليه تاج . ويبقر بطون النساء][2] ..

---

[1] ابن حماد : صـ ٧٤

[2] صـ ٧٩

ومن « شواذ » ما رواه ابن حماد ونقله عن إبن طاوس في أمر السفياني الروايات الثلاثة التالية غير المسندة[1] :

- عمَّن حدثه عن تبيع قال - ولم يسنده إلى النبيِّ ﷺ - : [إذا كانت هدَّة بالشام قبل البيداء ، فلا بيداء ولا سفياني . قال الليث : كانت الهدة بطبرية فاستيقظت لها بالفسطاط ، وتخلع لها أجنحة ، فإذا هي ليلة طبرية] .
- عن أرطأة قال - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - : [في زمان السفياني الثاني تكون الهدة حتى يظن كل قوم أنه قد خرب ما يليهم] .
- عن يزيد بن أبي حبيب قال - ولم يسنده إلى النبيِّ ﷺ - : [خروج السفياني بعد تسع وثلاثين . قال : قال ابن لهيعة : وأخبرني عبد العزيز بن صالح ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : إذا كان خروج السفياني في سبع وثلاثين كان ملكه ثمانية وعشرين شهراً ، وإن خرج في تسع وثلاثين كان ملكه تسعة أشهر][2] .

[.. والذي يظهر للمتتبِّع في تاريخ الثورات على العباسيين والصراع بينهم وبين الخط الاموي - الذي بقي له وجود بعد انهيار حكم بني أمية المركزي ، حيث بقيت لهم دولة في الأندلس على يد عبد الرحمن الأموي الذي أسَّس دولة الأمويين هناك - أنَّ حديث السفياني الموعود كان معروفاً عند المسلمين ومشهوراً بينهم ، وأنَّ عدة أشخاص ثاروا على العباسيين بهذا الاسم ، ولعل الدافع الاساسي لدعواهم هذه أن السفياني الموعود رغم مساوئه هو يغلب مَن يعدو عليهِ في اوَّل أمرِهِ . وعليهِ : كان قسم من

---

[1] صـ ٦٧ ونقله عنه ابن طاووس صـ ٤٩ و ٥٠

[2] صـ ٦٧ ونقله عنه ابن طاووس صـ ٤٩ و ٥٠

الأمويين يدّعون هذا الإسم في الخروج على العباسيين تحت دعوى انّ من يخرج بهذا الإسم ينتصر أوّلَ أمرِهِ ، ويعيد مجد بني أمية .

وقد ذكر صاحب كتاب خطط الشام عدة ثورات باسم السفياني منها[1] : ثورة علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي خرج في الشام سنة ١٩٥ هجريّة في خلافة الامين وكان يعرف بأبي العميطر .

ومنها ثورة سعيد بن خالد الاموي بعد أبي العميطر .

ومنها ما ذكره[2] من ثورة المبرقع بالشام أيضاً سنة ٢٢٧ في خلافة المعتصم .

وثورة عثمان بن ثقالة الذي ثار في عجلون بالاردن سنة ٨١٦ وادَّعى أنه السفياني الموعود[3] .

كما ذكر[4] قول المأمون العباسي : [وأمَّا قضاعة فسَادَتُهَا تنتظر السفياني وخروجه ، فتكون من أشياعه] إلى غير ذلك من أحداث ظاهرة ادعاء السفيانية .

وقد أخطأ بعضهم كصاحب خطط الشام عندما فسَّر ذلك بأنَّ ملحمة السفياني وظهوره من الوادي اليابس من موضوعات أنصار الامويين ، فإن أحاديث السفياني يرويها أعداء الامويين قبل أصدقائهم . نعم لا يبعد أن تكون الروايات التي تمدح السفياني الموعود أو تقول بتعدّده مِن وضع أنصارهم . كما أنَّ الروايات التي تنفي وجود السفياني كالرواية

---

[1] ج ١ صـ ١٥٤

[2] صـ ١٦٤

[3] في ج ٢ صـ ١٨٥

[4] في ج ١ صـ ١٦١

الاولى في هذه المجموعة يحتمل أن تكون مِن مقولات الامويين للتبرء من السفياني المذموم ، كما يحتمل أن تكون من مقولات العباسيين لنفي أصل رواية السفياني والتخلّص من الثورات الاموية باسمه . ونظراً لهذه الظروف التي أحاطت بمسألة السفياني من طرفي الصراع الاموي والعباسي تكون الروايات الواردة عنه من طرق الائمة من أهل البيت عليهم السلام أبعد عن الشك ، وهي صريحة قاطعة في حتميَّة أمره ، وأسانيدها فيها الصحيح ، وهي تؤيد الاحاديث التي أوردناها هنا عن النبي صلى الله عليه وآله والتي حكم علماء الحديث بصحة عدد منها أيضا][1] .

وفي هذا المجال أحبُّ أن أشير إلى رواية أوردها إبن حماد ، وهي واضحة الوهن في كثيرٍ من فقراتِها ، لكنّها تنفعنا في فهم الطبقة التاريخيّة من جهة ، وأصالة وشهرة خروج السفياني في آخر الزمان ، وأنه مِن المحتوم .. فقد أورد كعب في روايةٍ غير مسندة فقال : [يجتمع للسفاح ظلمة أهل ذلك الزمان ، حتى إذا كانوا حيث ينظرون إلى عدوهم ، وظنوا أنهم مواقعوا بلادهم ، أقبل رأس طاغيتهم لم يُعرَف قبل ذلك ، وهو رجل ربعة ، جعد الشعر ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، مصفار ، حتى إذا نظر إلى المنصور في آخر تلك السنة التي يجتمع فيها ظلمة أهل ذلك الزمان للسفاح بموت المنصور ، وهم مفترقون في غير بلدة واحدة ، فإذا انتهى إليهم الخبر ضربوا حيث كانوا ، فيبايعون لعبد الله ، ويرجع السفياني ، فيدعو إلى نفسه بجماعة أهل المغرب فيجتمعون ما لم يجتمعوا لأحد قط ، لما سبق في علم الله تعالى ، ثم يقطع بعثاً مِن الكوفة ، فإن يكن البعثُ مِن البصرة فعند ذلك يهلك عامتهم من الحرق والغرق ، ويكون حينئذ بالكوفة خسف ، وإن يكن

---

[1] معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام . للشيخ العلامة علي كوراني حفظه الله تعالى ..

البعث مِن قبل المغرب كانت الوقعة الصغرى ، فويل عند ذلك لعبد الله من عبدِ الله ، يثور بحمص ، ويوقد بدمشق . ويخرج بفسلطين رجلٌ يظهر على مَن ناواه ، على يديه هلاكُ أهل المشرق ، يملك حمل امرأة ، يخرج له ثلاثة جيوش إلى كوفان ، يُصيبون بها أثبات (كذا) من قريش ، يستنقذون من يومهم][1] .

أول أمرٍ واضحٍ في هذا الحديث انَّه اعتمد مجموعة من الفقرات المعتبرة في النصوص ليضعها بين يديهِ ويعيد بناءها في صراع الأمويين مع العباسيين ، للقول بزوال ملكهِم ، وهذا مِن الأمور الواضحة في صراع التعبئة التي تمَّت بين الأمويين والعباسيين . لكنّه بالمقابل يقرُّ بشخصيّة السفياني صاحب فتنة الشام ، كما يقرُّ بصفاتِهِ الإجراميَّة مِن بقر البطون وسفك الدماء والبطش ، ويشير إلى الراية المغربيَّة التي تنصر السفياني ، فيما نص مضى اشار إلى معركة تقع بين السفياني وجماعة المغاربة ، إما لعنوانين مختلفين أو لخلل في البيان . أعتقد انَّ النص جرى منه تقطيع فقرات كما ترشدنا إلى ذلك مجموع طائفة النصوص الواردة في هذا المجال ..

وتشير بعض المتون - التي يبدو منها بعض القصور - أنَّ السفياني يكون الثاني في الحكم بعد موت سفياني أوَّل . ففي رواية أبي وهب الكلاعي - غير المسندة إلى النبيِّ أو الإمام - قال : [تفترق الناس والعرب في بربر على أربع رايات ، فتكون الغلبة لقضاعة وعليهم رجلٌ مِن وُلدِ أبي سفيان . قال الوليد : ثم يستقبل السفياني فيقاتل بني هاشم وكل

---

[1] ابن حماد : صـ ٧٧

مَن نازعه من الرايات الثلاث وغيرها ، فيظهر عليهم جميعاً ، ثم يسير إلى الكوفة ويخرج بني هاشم إلى العراق ، ثم يرجع مِن الكوفة فيموت في أدنى الشام ، ويستخلف رجلاً آخر من وُلدِ أبي سفيان ، تكون الغلبة له ويظهر على الناس وهو السفياني][1] .

علَّق بعضهم بالقول : ذكر المؤرِّخون انَّ قبيلة قضاعة بقيت موالية للأمويين مخالفةً للعباسيين ، وقد مرَّ قول المأمون العباسي : إنهم ينتظرون ظهور السفياني ليكونوا معه ، ولعلَّ الكلاعي الراوي منهم أو يميل إليهم .

وفي متن آخر يساهم في تنمية معالجتنا للنصوص رواه الوليد بن مسلم قال : - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - : [إذا غلبت قضاعة ، وظهرت على المغرب ، فأتى صاحبُهُم بني العباس ، فيدخل ابن أختهم الكوفة مع مَن معه فيخرّبها ، ثم تصيبه بها قرحة ، ويخرج منها يريد الشام ، فيهلك بين العراق والشام ، ثم يُوَلُّون عليهم رجلاً مِن أهل بيته ، فهو الذي يفعل بالناس الأفاعيل ويظهر أمرُهُ ، وهو السفياني ثم تجتمع العرب عليه بأرض الشام فيكون بينهم قتال حتى يتحول القتال إلى المدينة ، فتكون الملحمة ببقيع الغرقد][2] .

وفي رواية كعب قال : [إذا ملك رجلٌ الشامَ ، وآخرُ مصرَ ، فاقتتل الشامي والمصري ، وسبا أهلُ الشام قبائلَ من مصر ، وأقبل رجلٌ من المشرق برايات سود صغار قِبَل صاحب الشام ، فهو الذي يؤدي الطاعة

---

[1] ابن حماد : صـ ٧٨

[2] ابن حماد : صـ ٧٩

إلى المهدي ..][1] . مـؤدّاه إلـى هنـا انَّ الخراسـاني والسـفياني يتصـادمان ، ويقرِّر النص انَّ الخراساني هو الذي يؤدّي الطاعـة للمهـدي (عليه السلام) . ومـع أنَّ هذا النص تعرَّض في ذيله الذي حذفته إلى وضعٍ واضحٍ أضافَهُ أبو قبيل أو أُضيف بإسمِه ، وفيه ما فيه مِن وهنٍ لا يقول به أهل الحديثِ حيث جعل أبو قبيل الإمامَ المهديَّ (عليه السلام) من أفريقيا ..! ما يعني بطلان ذيلِـه بمـا لا يقبـل أيَّ شكٍّ عند الفريقين ، لكنَّ الفقرة الأولى منه التي رواها كعب لها شاهد كامـل من غيرها من المرويات التي تشير إلى الفتنـة التـي تطيـر مـن الشـام إلـى مصر . ولعلَّ هذا أصل الحديث بالإضافة إلى الرايات السود ..

وعليـه : يبـدو مـن النصـوص أنَّ فتنـة السـفياني متَّصـلة بتحـرُّكٍ واسع ، يكون مبدأه الراية المغربيّة واضطراب واسع في المنقطة التي يطلق عليها اليوم إسم الشرق الأوسط ، وخلاف على عرش ، ثم موت حاكم قوي وخلافة ضعيفة ، وتُجَهَّز الجيوش لغزو هذه المنطقة ، ويحتدم الصراع بـين أكثر من كيانٍ في هذهِ المنطقـة فضـلاً عـن إعـلان الـروم والتـرك الحـرب والإصطدام على ثروة الفرات .

وفي بعض النصوص إشارة إلى أسماءٍ تاريخيّة مثل بني العبـاس ، والإشارة هنـا تُسـاق علـى نحـو الإسـتعمال التـاريخي للدلالـة علـى زمـنٍ مستقبليٍّ له ارتباط بالإرث السياسي لهذا الإسم ، فضلاً عـن الإشـارة إلـى أحداث تاريخيّة ولو على نحوٍ من عدم التعاقـب السـببي أو الترتيبـي . فقـد ورد في رواية كعب قال : [إذا رأيت رحـا بنـي العبـاس ، وربـط أصـحاب الرايات السود خيـولهم بزيتـون الشـام ، ويهلـك اللهُ لهـم الاصـهب ويقتلـه

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٥

وعامة أهل بيته على أيديهم حتى لا يبقى أموي منهم إلا هارب أو مختفي ، ويسقط السعفتان بنو جعفر وبنو العباس ، ويجلس ابنُ آكلة الاكباد على منبر دمشق ، ويخرج البربر إلى سرة الشام ، فهو علامة خروج المهدي][1] .

قلت : أصلُ وقوع الأحداث شيئ ، وتعاقبها شيئٌ آخر ، وقد أشرنا إلى التعاقب الصحيح فيما سبق . المهم انَّ النص يشيرُ إلى أصل الأحداث .

والظاهر من النصوص مجتمعةً أنَّ هذهِ المنطقة تكون منقسمةً على نفسها ، وبين كياناتِها خلاف حاد في تلك اللحظة التاريخيّة ، كما أنَّ التطوُّر المتلهب فيها يكون متَّصلاً بتطوُّراتٍ حربيّةٍ عالميَّة ، يكون الروم والترك شريكين أساسيين فيها ولهم مطامع في أكثر من منطقة ، بل يجهِّزون الجيوش من أجل الغزو ، ولا تنتهي الأوضاع إلا بحربٍ واسعة على أكثر من جهة ، يبدو معها اضطراب هائل يصيب هذهِ المنطقة فينكشف عنه زحف الراية المغربيّة وخلاف بين الشامي والمصري وتنكيل بالهاشميين وصولاً إلى الكوفة ومعركة قاسية جداً في قرقيسيا ، وصولاً إلى ملحمة الروم ثمّ ظهور الدجَّال .

وفي رواية كعب قال : [إذا خُلِعَ من بني العباس رجلان ، وهما الفرعان ، وقع بينهما الاختلاف الأوَّل ، ثم يتبعه الاختلاف الآخر الذي فيه الفناء ، وخروج السفياني عند اختلافهم الثاني][2] .

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٥ ملاحم ابن طاووس : صـ ٥٦ بـ ١٠٥

[2] ابن حماد : صـ ٥٧

النص يلحظ الخلاف العسكري الذي يقع بين العائلة الحاكمة في العراق ، عائلة عباسيّة ، يموت رأس الحكم فيها ، وهو العباسي البطّاش ، فإذا وقع السيف بين العباسيين على المُلك زحف السفياني على العراق ..

وتكون أوضاع المنطقة مختلطة بأجواء الصراع المشحون . النص يشير إلى غزو دمشق لبغداد زمن الظهور . في حين العائلة المالكة تكون على خلافٍ عسكري حول « عرش العراق » . ويكون طرف الصراع : عباسي - سفياني . وهذِه الألفاظ يُراد منها الإشارة إلى البطن الرحمي السياسي ..

وبتعبيرٍ آخر : منطقة الشرق ، مقابل الغرب ، تكون مضطربة ، في ظلِّ خلافات سياسيّة وفوضى حرب ، وصراع على المُلك في أكثر من ناحية ، واضطراب بين الكيانات التي تكوِّن دول هذهِ المنطقة أو رموزها ..

وفي رواية إبن عباس قال : [.. يخرج رجلٌ مِن المشرق فيفرُّ منه ملكهم ، فيقتل بين الرقة وحران ، يقتله رجلٌ مِن قريش ، ويخرج مِن البرية مِن آل أبي سفيان رجلٌ من المغرب ، ويقتل ملك الكوفة بحران (بلدان في شمال سوريا)][1] . ومعلوم أنَّ السفياني يخرج من الشام ويأتيهِ المدد من الراية المغربيّة كما في نص . وفي متون أخرى أنّه يقاتلها . ربّما النصوص ناظرة إلى جهاتٍ لا جهة واحدة .

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٠

وفي النصوص السابقة بيان أنَّ السفياني الأول غير السفياني الثاني الذي يقود الراية ويحتلُّ الكيانات بعد موت الأوَّل ، وكلاهما سفياني من رحم ودمٍ واحد ومدرسة سياسيّة واحدة ، وهو الذي يفعل الأفاعيل ويسيطر على الكور الخمس ويدوم ملكه حمل إمرأة أي تسعة اشهر ثم يُقضى عليه ..

طبيعة فتنة بلاد الشام وصفة خروج السفياني

من المفيد أن نُذَكِّر بأنَّ فتنة الشام المُحقَّقة بفتنة السفياني هي حدٌّ فاصل للتاريخ الجديد ، بل للعالم الجديد الذي ستشهدهُ البشريّة . فمنذ لحظة الفتنة الشاميَّة السفيانيّة ترتسم معالم ظهور قائم آل محمَّد المهدي ﷺ .. إذاً ماذا عن صفة خروج السفياني ؟

ففي رواية أبي أمية الكلبي قال :] بدو السفياني خروجه من قرية من غرب الشام ، يُقال لها أندرا ، في سبعة نفر][1] . إشارة إلى أولى معالم تحرُّكه .. وفي رواية أبي بكر بن أبي مريم عن أشياخه قال : [.. فيخرج فيهم ، ويتبعه ناسٌ مِن قريات وادي اليابس ، فيخرج إليه صاحب دمشق ليلقاهُ ويقاتله ، فإذا نظر إلى رايته انهزم ، ووالي دمشق يومئذ والٍ لبني العباس][2] . أقول ذيل النص بحاجةٍ إلى عناية وتوجيه ، لأنَّ حاكم دمشق يكون آنذاك مروانيّاً مستقّلاً وفق المعاير السياسيّة . ويمكن أن يكون ضعيفاً اتِّجاه العباسي البطّاش الحاكم في العراق . من هنا تمَّ استعمال الذيل في هذا الإتِّجاه . أو هناك نكتة لا نعلمُها . نعم هذا المتن يضعنا أمام خريطة أسماء على النحو التالي : سلطنة عباسيّة ، إرث متَّصل بهذا المعنى ، أي

---

[1] ابن حماد : صـ ٧٤

[2] ابن حماد : صـ ٧٥

بطن من هذهِ البطون الرحميَّة السياسيّة ومعنى من معاني هذا الشعار . ثـمَّ سفياني ، نسبةً إلى أبي سفيان ، أبي معاوية وجدّ يزيد بـن معاويـة ، وفـي هذا إشارة إلى معلمِ دولتين كان لهما في السابق جذور وهويّـة سياسـيّة ، وهما دولة بني أميّة وبني العباس الظالمتين بشكلٍ هائلٍ في غابر الزمن ..

والمجموع من المعنى أنَّ السفياني يطرأ على الحياة السياسيّة عبـر انقلاب دموي يقوده فيملـك عـرش دمشـق مـدعوماً مـن الـروم . علـى أنَّ السفياني لا يقوم أمره أوَّل الأمـر . وفـي روايـة برهـان التقـي : [إذا خـرج السفياني من الوادي اليابس[1] يخرج إليه صاحب دمشق ليقاتلـه ، فـإذا نظـر إلى رايته انهزم][2] .

وكذا في رواية إبن حماد عن أبـي بكـر عـن الاشـياخ[3] . وقـال عبـد القدوس : [والي دمشق والي لبني العبـاس يومئـذ ..][4] . أكـرِّر بـأنَّ حـاكم دمشق لا يكون والياً لبني العبـاس آنـذاك فاقتصـى التوضـيح . النصـوص العديدة واضحة في ذلك . فإذا تمكَّن السفياني أعلن حربه فـي وجـه حـاكم دمشق ، وإذا ملك بقر البطون وسفك الدماء وغير ذلـك . وفـي روايـة ابـن عباس قال : [يخرج السفياني فيقاتل حتى يبقر بطون النساء ويغلي الاطفال في المراجل (القدر الكبير)][5] .

---

[1] فسرته بعض الروايات غير التامة سنداً بأنه قرب دمشق . وبعضها بأنه في منطقة حوران ودرعـا قـرب الاردن . وفي تحقيق يبدو هو الأرجح أنّه يكون بالأردن كمحطّة من مخطّط الروم .

[2] برهان المتقي : صـ ١١٥ بـ ٤ فـ ٢ حـ ١٤ عن عقد الدرر

[3] صـ ٧٥

[4] صـ ٧٥

[5] ابن حماد : صـ ٨٣

وفي نفس المصدر قال أبو قبيل : [السفياني شرّ من مَلَك ، يقتل العلماء ، وأهل الفضل ، ويفتنهم يستعين بهم ، فمن أبى عليه قتله][1] . وفي ملاحم ابن طاووس : [يخرج السفياني والفلاني فيقتلان ، حتى يبقر بطون النساء ، ويغلي الاطفال في المراجل][2] .

النصوص العديدة شديدة الصراحة في الجرائم التي يرتكبها السفياني ويشتهر فيها ، ويتّبعها طيلة حكمه . وفي رواية كعب : [.. يملك حمل امرأة ، إسمه عبد الله بن يزيد ، وهو الازهر بن الكلبية أو الزهري بن الكلبية المشوه ، السفياني][3] .

أقول : موضوع الإسم (إسم السفياني) هل هو كذلك ، أو من نوع الإشارة أو الإستعارة أو الكناية ، غير معلوم ، خاصّة أنّ النصّ هنا غير مسند حتى يحوز على الموثقيّة لقبول الأخبار ، نعم لا بأس بالإشارةِ إليهِ من بابِ النصِّ التاريخي .. ومهما يكن مِن أمر فإنّ النصوص تورد إسم السفياني للإشارة إلى ذلك الرجل الذي تحمله الروم على انقلاب دموي في دمشق ويحكم الكور الخمس . ويكون معروفاً بهذا الإسم .

وفي رواية أخرى لكعب - في نفس المصدر - حول صفة السفياني قال : [.. مشوّه الخلق ، مصفح الرأس ، حمش الساعدين ، غاير العينين ، في زمانه تكون هدّة][4] . وهو أيضاً مروي عن كعبٍ .

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٣

[2] صـ ٥١ بـ ٩٠ عن ابن حماد

[3] ابن حماد : صـ ٧٤

[4] ابن حماد : صـ ٨٢

وفي رواية الحرث بن عبد الله قال : [يخرج رجل من ولد أبي سفيان في الوادي اليابس في رايات حمر ، دقيق الساعدين والساقين ، طويل العنق ، شديد الصفرة ، به أثر العبادة][1] .

والمحصَّل من طائفة النصوص أنَّ السفياني أوَّل الأمر يُحاول أن يستغلَّ إسم الدِّين ، فإذا استتمَّ له الأمر نكَّلَ بأهل الدِّين والإيمان ، وتمرَّد على مواثيق الإسلام . وجاهَرَ في إشاعة الزنى والآثام حتى في أعظم الأماكن قداسةً ، فيأتي بالمرأة إلى المسجد فيضعها بين الرجال حتى يفعلوا بها في المسجد فعلة الزنا ، فيعترض قوم فيأمر بقتلهم ، ويُظهِرُ الكفرَ بشكلٍ علنيٍّ وواسع ..

وفي رواية الداني عن كعب قال : [لا يعبر السفياني الفراتَ إلا وهو كافر][2] .

وتتّفق النصوص على انّ فعلة السفياني عظيمة ، وآثامه كبيرة ، ويُعرفُ بالجرائم البشعة . ففي رواية أرطاة قال : [يقتل السفياني كلَّ مَن عصاه ، وينشرهم بالمناشير .. ويلتقي المشرقين والمغربين][3] .

الذيل يشير إلى الرايات التي يقاتلها : راية الأصهب والأبقع والمرواني والحسيني والمغاربة ، والروم والترك والعباسي وأهل خراسان ، وأهل مصر ، وكذا جيش المهدي عليه السلام .. وكما ترى هذه الرايات من الشرق والغرب ..

---

[1] ابن حماد : صـ ٧٥

[2] الداني : صـ ٩٢

[3] ابن حماد : صـ ٢٠ و ٨٠

وفي الروايات أنَّ السفياني لا يتعدى حكمه سوريا والاردن وقسم من فلسطين ، وأنه يحتل العراق ، ويكون له وجود عسكري في الحجاز . وبتعبيرٍ آخر : لا يملك إلا الكور الخمس مع بعض الإضافات ، في حين يعصى عليهِ بعضٌ من أطراف بلاد الشام (منطقة الأبدال الإماميّة) .

وفي ذِكرِ ما جاء في خراب البلدان في كتاب أبي حذيفة عن مقاتل قال : [قرأتُ في كُتُب الضحاك بعد موته - وهي الكتب المخزونة عنده - في قوله عزَّ وجل : ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ - في حديث طويل غير مسند - قال : [.. وأما الكوفان فيخرِّبُها رجلٌ مِن آل عنبسة بن أبي سفيان يعني السفياني ..] [1] .

ومعلوم أنَّ السفياني من المحتوم ، ولا بدَّ أن يظهر ، وهو رجل مجرم ، يثير الرعب ، لا يمنعه مانع من دينٍ أو إيمان ، يسفك الدماء ، يسبي النساء ، يبقر البطون ، يذبح الأطفال ، يضرب أتباع آل محمّد في المناطق التي سيطر عليها ، يمنع مِن ذكر النبيِّ صلى الله عليه وآله ، يجتاح الكور الخمس ويحكمها إلا منطقة الأبدال ، لكنَّ ملكه لا يدوم أكثر من تسعة أشهر .. ما يعني أنَّ أعنف الأحداث تجري في وقتٍ قياسي ، والفوضى العارمة بالحرب والصدَّم بين مجموعة واسعة مِن قوى الحرب والقتال تقع في فتراتٍ شديدة التداخل والتفاعل ..

---

[1] البدء والتاريخ : ج ٤ صـ ١٠٣ /١٠٢

دخول جيش السفياني الحجاز

السفياني الذي يخرج ويملك يعمل بسرعةٍ متتابعة لإجتياح أكثر من منطقة ، منها الحجاز التي يخرج فيها الإمام المهدي (عليه السلام) . وللتذكير : فإنَّ السفياني والإمام المهدي (عليه السلام) يخرجان كفرسي رهان . هذا ينتصر على ما يليه وهذا ينتصر على ما يليه . (مع الأخذ بعين الإعتبار ظهوري المهدي (عليه السلام) : الخاص والعام : الخاص يكون في المدينة أوّلاً ، والعام يُعلَن عنه في مكَّة) ..

ويبدو انّ جبهة السفياني تستفيد من الضغط العالمي والوضع المعقَّد ، خاصَّةً من دعم الروم أوَّل الأمر فتكون له انتصارات متتالية ، تدفعه إلى أن يُجهِّز جيشاً ليدير الحكم في الحجاز ، في وقت يبدو معه الحجاز ضعيفاً وهشَّاً .. على أنَّ السفياني يُوجِّه هذه الحملة العسكريّة على الحجاز بعد المعركة الضارية التي يخسرها في وجه الخراسانيين في منطقة اصطخر الإيرانيّة والتي تذهله خسارتُها من شدّة الفظاعة التي يلقاها على يدِ أهل المشرق . ففي رواية أبي قبيل قال : [.. يبعث السفياني جيشاً إلى المدينة ، فيأمر بقتلِ كلِّ مَن كان فيها مِن بني هاشم حتى الحبالى ، وذلك لِمَا يصنعُ الهاشميُّ (الخراساني[1]) الذي يخرج على أصحابه مِن المشرق ، يقول : ما هذا البلاء كلُّه وقتل أصحابي إلا مِن قِبَلِهِم ، فيأمر بقتلهم ،

---

[1] أقصد براية الخراساني هنا أيضاً راية الحسني الطالقاني وشعيب بن صالح الطالقاني أيضاً .

فيُقتَلُون حتى لا يُعرَف منهم بالمدينة أحد ، ويتفرَّقُوا منها هاربين إلى البوادي والجبال وإلى مكة ، حتى نساؤهم . يضع جيشُهُ فيهم السيفَ أياماً ثم يكُفَّ عنهم فلا يظهر منهم إلا خائف ، حتى يظهر أمرُ المهديِّ عليه السلام بمكة اجتمع كلُّ مَن شذَّ منهم إليه بمكة][1] .

حاصل الحديث هو التالي :

- يخرج السفياني فينتصر في الشام ، ويتوسَّع إلى العراق ، ويبعث جيشاً له إلى الكوفة وغيرها فيقتل فيها ما أوردنا عليك من قبل من نساءٍ وشيوخٍ وعلماء من أتباع أهل البيت عليهم السلام بشكلٍ هائل .
- فما يكون من الهاشميِّ الخراساني إلا أن يخوض معركةً فاصلةً مع السفياني في منطقة اصطخر الإيرانيَّة فيُوقع هزيمة هائلة في جيش السفياني .
- عندها يجهِّز السفياني جيشاً إلى الحجاز ، فإذا وصل جيشُ السفياني إلى الحجاز دخل مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله فيقتل فيها أتباع آل محمّد والهاشميين شيخاً ونساءً وأطفالاً بشكلٍ شديد فلا يبقى منهم مَن يقول أنا من أتباع آل محمّد ، ومن يبق منهم يتشرَّد في البوادي والجبال ، ومنهم من يقصد مكّة ، ويجتمعون على الإمام المهدي عليه السلام الذي يخرج في مكّة بعد إعلان ظهوره الشريف ..

وفي رواية إبن حماد عن أبي هريرة قال : [.. تكون بالمدينة وقعةٌ ، تغرق فيها أحجار الزيت ، ما الحرّة عندها إلا كضربة سوط ، فيتنحَّى عن المدينة قدر بريدين ، ثم يُبايَعُ المهديُّ عليه السلام][2] .

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٩

[2] ابن حماد : صـ ٨٩

واضح انَّ المتن إخباري تاريخي أكثر منه روائيَّاً .

وعلى كلٍّ حال : هو يشيرُ إلى المذبحة الهائلة التي يقوم بها السفياني في المدينة زمن ظهور المهدي (عليه السلام) ، وقد أشار في المتن إلى وقعة الحرَّة التي تعتبر من المذابح المخيفة في تاريخ المدينة التي أمر بها يزيد بن معاوية والتي حصلت في منطقة الحرة بضاحية المدينة المنوَّرة .

وفي المتن أيضاً إشارة إلى وقعة أحجار الزيت قرب المدينة بين الحسنيين والعباسيين ، وكأنَّ الراوي يخبر عن وقعة أحجار الزيت قبل حدوثها وبعد حدوث وقعة الحرة . وهذا مؤشِّر على أنَّ النص ليس حديثاً شريفاً .. نعم رَبَطَهُ بظهور المهديِّ (عليه السلام) ، وكأنَّه في مقام الإشارة إلى الوقعة التي يقوم بها السفياني زمن المهدي من باب المقارنة ، وهذهِ هي مناسبة ربط الذيل بظهور المهدي (عليه السلام) ، ما يعني أنّ وقعة المدينة زمن الظهور كانت على نحوٍ مشهورٍ في تلك الأزمان ..

وكأنَّ الرواة كانوا يستحضرون وقعة الحرّة ووقعة أحجاز الزيت للإشارة إلى مذبحةٍ أعظم زمن ظهور المهدي (عليه السلام) يقوم بها السفياني ، ويكفي أن نعرف ماذا حصلَ في وقعة الحرَّة حتى نعرف مدى المذبحة الهائلة التي يقوم بها السفياني في المستقبل الآتي . فبعد مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) تضعضع العالم الإسلامي بشكلٍ مثيرٍ ، حتى أنَّ وفداً مِن علماء المدينة المنوَّرة ذهبوا إلى الشام للإحتجاج على يزيد بن معاوية فوجدوهُ سكراناً ، وقربه القرد يلاعبه ..! فوقف يسخر منهم ..! فخرجوا من عنده وهم يخشون أن تُمطِرَهُم السماءُ عذاباً .. عندها تنادوا لمصاب الحسين (عليه السلام) وندموا لسكوتِهم على مقتلِهِ وعدم الخروج معه ..! إلى أن خرج

أهلُ المدينة على حكم يزيد ، بعد نقاشٍ طويلٍ بين علماءِها الذين رأوا فيهِ الحاكِمَ الظالِمَ الفاسد المُفسد السكِّير الذي لا يهمُّه مِن حكم الإسلام سوى نزواتِهِ وشهوتهِ وقردهِ وخمرِهِ ..!

وقد حاول يزيد بن معاوية أن يتدارك الأمر فعزل والي المدينة الفاسق الفاجر « الوليد بن عتبة » وولَّى مكانه أمويَّاً آخر هو عثمان بن محمّد بن أبي سفيان ، وأمرهُ بمحاولة استقطاب أهل المدينة وعلماءِها ريثما يهدء الأمر ..

ورغم انَّ وفداً مِن أهل المدينة ذهب مرَّةً ثانية إلى يزيد لمحاولة العودة إلى كتاب الله ، فما إنْ عادوا إلى المدينة حتى خلعوا الطاعة ، والمفاجِئ أنَّ عبد الله بن عمر حذَّرهم مِن الخروج على طاعة الحاكم وإن كانَ فاسقاً فاجراً مثل يزيد ..! لكنَّهم خرجوا على طاعتِهِ وطالبوا بشرعيَّة حكم الكتاب وندموا على عدم الخروج مع الحسين عليه السلام وذمُّوا أنفسهم ..

فواجههم عثمان بن محمَّد بعنفٍ لمحاولة صدِّهم عن الطعن ببني أميّة .. فانتهى الأمر بخلع يزيد بن معاوية ومبايعة عبد الله بن حنظلة الأنصاري لتنظيم أمرهم ، واختبئ الأمويُّون في دار مروان ابن الحكم الذي عادَ هو ليحتمي بدار الإمام زين العابدين عليه السلام ويعصم دماء النساء والأطفال والشيوخ وغير ذلك عنده عليه السلام ، وقد استجاب أهلُ المدينةِ للإمام زين العابدين ونزلوا تحت طاعتِهِ فيما أمر ..

فما كان من يزيد إلا أن أرسل النعمان بن بشير الأنصاري إلى المدينة ليُعيدَ النَّاسَ إلى حُكم بني أميّة فامتنعوا ، فجهَّزَ جيشاً كبيراً بقيادة

« مسلم بن عقبة المُرّي » يرافقه الحصين بن نمير السكوني ، وأمر قائدة بالفتك بأهل المدينة وقتلهم إنْ هم امتنعوا ..

وقد وصل مسلم بن عقبة إلى المدينة في ٢٧ من شهر ذي الحجّة عام ٦٣ هجريّة . فضرب عليها حصاراً من جهة الحرّة ثمَّ هاجمهم بشكلٍ ضارٍ ، فقاموه بشدّة ، فما كان من مروان ابن الحكم إلا أن احتال فدخلها بشكلٍ تسلُّليٍّ مع الجُندِ من ناحية الطورين ، واقتحموا المدينة وقتلوا اهلها شرَّ قتلة ..! ولم يفرّقوا بين شيخٍ أو طفلٍ أو امرأة ولم يرعوا حرمةً قطّ ،

وقد اسرف مسلم بن عقبة في ضرب الأعناق وهتك النساء في وقعة الحرّة التي اعتُبِرت مفصلاً إضافيّاً في تاريخ الفسق والفجور والطغيان الأمويِّ الهائل الذي ركّزت معالمه سقيفة بني ساعدة وساقته إلى حيث هو من الذبح والقتل والنهب والفسق والفجور والبغي والآثام ..

وحين انتصر مسلم بن عقبة بعد مجازر رهيبة بحقِّ أهلِ المدينة ، جلس على عرشِهِ مبايعاً ليزيد مَن بقي من أهل المدينة الذين ولغَ في دمائهم ، ودخل البيوت فضرب اعناقهم ، وسبى نساءهم وافتضَّ فتياتِهم ، وحملت الآلاف مِن فتيات المدينة في ذلك العام مِن الزنا والإغتصاب ..! لقد غزا القومُ نساء المسلمين واغتصبوها بطريقةٍ تدلُّ على الفسق والفجور والعناد الهائل ضدَّ اللهِ ورسولِهِ ﷺ ..!

وقد بايع مسلم بن عقبة ما بقي مِن المدينة على انّهم عبيد ليزيد بن معاوية ..! ومن أبى مِن المسلمين – هذا الشكل من البيعة – ضرب عنقه .. إلا الإمام زين العابدين عليه السلام الذي خشي يزيد أن يتكرِّر الإضطراب

الضخم إذا تمَّ التعرُّض له ، كما حصل بعد مقتل أبيه الإمام الحسين عليه السلام .. وكان « مسلم بن عقبة » يمدُّ قدمه ليبايعه أهل المدينة على انَّهم عبيدٌ ليزيد ، يصنع بهم ما يشاء ..! فكان عام ٦٣ متمِّماً لما جرى في العام ٦١ في وقعة كربلاء التي سترى أنَّها وراء الإنهيار الأضخم الذي طال الحكم الأموي ..

فما هي إلا فترة وجيزة حتى أعلن عبد الله ابن الزبير الخروج على يزيد في مكَّة ، فاجتمع عليهِ الناسُ للخروج على طاعة يزيد خاصةً بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام ، باعتراف كلِّ المؤرِّخين أنَّ دم الحسين حرَّك داني المسلمين وقاصيهم لخلع يزيد .

وحين خرج ابن الزبير على يزيد التفَّ النَّاسُ حوله رغم أنَّهم لم يكونوا يرغبون فيه ، سوى انّهم يريدون التخلُّص من الحكم الأمويِّ . بل حين كان الحسين عليه السلام في مكَّة قبل خروجِهِ نحو الكوفة لم يكن حتى واحد من أهل الحجاز وأمصار المسلمين ينظر إلى إبن الزبير ..! حتى كتب المؤرِّخون انَّ إبن الزبير لم يكن يجد أثقل على قلبِهِ من وجود الحسين في الحجاز . لأنّه إنْ بقي الحسين فيه لم يلتفت إليهِ أحد .. وكان ابن الزبير يدخل على الحسين في مكّة مثل كلِّ الداخلين ..

لكن بعد وقعة كربلاء المذهلة ، ثمَّ ما جرى في المدينة مِن فظائع ، تهيَّأت مكَّة للخروج على طاعة يزيد ، فاستغلَّ الأمر عبد الله ابن الزبير الذي طالما حاول أن يعلن مظلوميّة أهل البيت وما جرى في كربلاء ، وحاول تكراراً أن يستغلَّ دمَ الحسين فلم يأخذه الناسُ على محمل الجدّ إلى أن جرى ما جرى في مدينة رسولِ الله صلى الله عليه وآله . وعلى الفور دعا إبن الزبير أعيان

تهامة والحجاز إلى بيعتِه ، فبايعوه على عهدِه من الإنتصار لآل رسولِ الله ، وللحسين وأهل البيت عليهم السلام وأن يتبع الإسلام كما نزل ، فبايعه الكثير من الحجازيين إلا عبد الله ابن عبّاس ومحمّد بن الحنفيّة الذي كان يدرك جداً مغزا إبن الزبير ، وفعلاً حين قبَضَ على الحكم هناك أنكر أهل البيت عليهم السلام ، إلى درجة إمتنع فيها ٤٠ جمعة من الصلاة على رسولِ الله صلى الله عليه وآله قرب الكعبة ، لأنَّه مضطرٌّ إلى الصلاة على آلِه بأمرِ النبيِّ بالصلاة على آله ..! وهذا أمر مشهور ..! وبدت عليه شدّة العداء لأهل البيت عليهم السلام إلى درجة طرد معها إبن عباس إلى الطائف حتى توفِّي هناك ..!

وعلى كلٍّ حال : أكثر من نص حاول الإشارة إلى وقعة الحرّة ، لينتقل منها إلى الوقعة المستقبليّة التي يقوم بها جيش السفياني في المدينة زمن الظهور الشريف ..

ثمَّ إنَّ خريطة الصراع أوَّل الأمر تشير إلى توسُّع كبير للسفياني ، في حين تكون جبهة المهدي عليه السلام في مهد الإعلان عنها في مكَّة بعد الخسف بجيش السفياني في البيداء . في حين تكون جبهة أهل المشرق متوقِّدة ومباشرةً تبعث بالطاعة للمهدي ، وهم الذين يؤثّرون بشكلٍ كبير في خريطة هذهِ المنطقة قبل وبعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام ..

وبعد الإعلان عن جبهة المهدي - وبعد الخسف الذي يصيب جيش السفياني - يبدأ التوسُّع الكبير لجيش المهدي عليه السلام ، وهذا معنى ما رواه أبو هريرة : [.. يخرج السفياني والمهدي كفرسي رهان ، فيغلب السفياني على ما يليه ، والمهدي على ما يليه][1] .

---

[1] ابن حماد : صـ ٩١

ومعنى ذلك أنَّ المهدي (عليه السلام) والسفياني يتسابقانِ في السيطرة على المنطقة كلٌّ مِن جهته وبجنده – بما في ذلك جند الخراسانيين واليمانيين – كما يتسابق فرسا السباق .

ومن يقرأ طبيعة الأحداث وخريطة التوسُّع لكلا الجبهتين يجد أنَّ الجبهتين تتوسَّعانِ وصولاً إلى الإصطدام العسكري بينهما ، فإذا وقع الإصطدام الفاصل انهزم السفياني وقُتِل ..

أيضاً ورد هذا المضمون مِن التسابق الجبهوي بتعبير فرسي رهان : بين السفياني والخراساني ، وليس المهدي (عليه السلام) ..

أقول : هذا التعبير أيضاً له مؤدَّاهُ في حركة الجبهات والصراع ، فجبهة الخراساني تكون قبل ظهور السفياني من الجبهات المؤثِّرة جداً في المنطقة ، وهي التي تحتلُّ بيت المقدس في زحفٍ جبَّار من المشرق إلى إيلياء (بيت المقدس) ، ورغم تكاتف مجموعة مِن القوى العالميَّة عليها مثل الروم والترك والعديد من كيانات المنطقة إقليميَّاً فإنَّها تخترق الحواجز والكيانات وتنصب رايت التحرير في إيلياء .

حديث الكنز والمعركة عليه

الذي يبدو واضحاً للمتتبِّع أنَّ المال يكون شريكاً أساسيَّاً في دوافع الإضطراب الأخير فِيما نسمِّيه اليوم منطقة الشرق الأوسط خاصَّةً منطقة الجزيرة ، أي العراق . وقد ورد أكثر من نصٍّ يشير إلى المال بأكثر من صيغةٍ وعنوان .. وما يهمّني هنا الإشارة إلى أمورٍ هي التالية :

- في هذهِ الفترة يكون هناك اضطراب سياسي شامل للمنطقة (خلاف محتدم بين الدول) .
- تنامي كبير في الإصطدام العسكري بين الدُّول .
- يبرز فجأةً خلاف هائل على كنزٍ ضخم في العراق ينكشف عنه الفرات (مال جوفي عظيم) ، يدفع رايات عديدة أهمّها ثلاث للقتال والتذابح بهدف السيطرة عليه[1] ..
- تكون المنطقة بحالة تجهيز للجيوش ومدد عسكري وبناء تحالفات إضافيّة مقابل انفراط تحالف رئيسي كان بين الترك والروم والسفياني في وقتٍ ما ..

---

[1] تعبير كلمة « كنز » المقصود منها مال له قيمة ضخمة في عصر الظهور .. وهو أكثر دلالة على المال الذي يكون في الأرض أو جوفها .. ويكون من القيمة إلى درجة تتذابح عليها الرايات ، منها ثلاث رايات كبرى رئيسيّة .

- إرتباط ووصف عالمي وإقليمي للألوية المتقاتلة عند الكنز الذي تتذابح عليهِ ثلاث رايات رئيسيّة إضافة إلى راياتٍ تابعة أخرى .. وهذا ما سنراه فيما بعد ..

- بروز دور ضخم وفاعل بل معدّل لموازين القوى هناك لأهل المشرق الخراسانيين بعد هذهَ المعركة بين الألوية الثلاثة التي تكون على نحوٍ فظيع ..

ففي رواية ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : [يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلُّهم ابنُ خليفة ، ثم لا يصير إلى واحد منهم ! ثم تطلع الراياتُ السود مِن قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم - ثم ذكر شيئاً لا أحفظه - فقال : فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج ، فإنه خليفة الله المهدي][1] .

أي أنَّ هذهِ الراية راية تدعو للمهدي عليه السلام . ومعلوم انَّ المهديَّ عليه السلام باتّفاق الفريقين يخرج في مكَّة وأوَّل من يبايعه أهل المشرق . وما ورد بالذيل هو بالغ الإشارة ، لأنَّ الراية الوحيدة التي تبقى قبل الظهور الشريف تردِّد إسم المهدي عليه السلام وتدعو إليه هي راية أهل المشرق ..

والذي يؤكِّد انَّ الذيل وارد في هذا المعنى انَّ عدّة نصوص وردت بمعنى أهل المشرق ، الذين يوطّؤون للمهدي وفي ذيل النص دعوة إلى نصرتِهم ولو زحفاً على الثلج . من هنا يكون ما ورد هنا في مقام الإشارة

---

[1] وفي هامشه " وفي الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين " . عبد الرزاق : على ما في سند ابن ماجة ، والطبراني ، والروياني ، ابن ماجة : ج ٢ صـ ١٣٦٧ بـ ٣٤ حـ ٤٠٨٤ أيضاً في الروياني : صـ ١٢٣ -

الساطعة إلى ذلك ، وهذا الأمر لا خلاف عليه .. وفي ملاحم ابن المنادي عن يونان مولى رسول الله قال : [.. ليقتلنَّ عند بيت مالكم هذا ثلاثة أبناء ملوك ، لا ينال أحدهم ما طلب ، ثم يقتتلون حتى تكون بينهم الدماء ، ثم يأتي الرايات السود من قبل المشرق ، فمن أدركهم فليَأتهم ولو حبواً على ركبته ، ولو أن يخوض الثلج ، فإنَّ المهدي والنصر معهم][1] .

أقول : هذا التعبير وافٍ جداً في الإشارة إلى انّ هذهِ الراية رايةُ أنصار المهدي الموطّين له سلطانه كما ورد في النصوص . وتعبير : معهم ، يُراد بهِ أي مؤيِّد لهم ، فهم رايتُهُ وجيشُهُ وجنده الذين يبعثون البيعة إليهِ وينزلون تحت طاعتهِ ويأتمرون بأمره . وانّهم الأمة التي تبقى على نصرتهِ وموالاة أهل بيتهِ في عالمٍ تتذابح فيه الأمم على الفجور والجور والباطل والفرعونيّة والآثام ، في حين تتآكل العربُ غالباً بحكمِ الضلالةِ وجور السلاطين ..

ومعلوم أنَّ هذا المال يتقاتل عليه العباسي والمرواني والسفياني الذي يحلُّ محلَّ المرواني ، والراية المغربيَّة ، ثمَّ بسبب التوازنات وخلافِها تهبط الروم والترك إلى هذه الأرض بُجندٍ هائل للحصول على هذا المال الجوفي ، وتقع أعنف المعارك هناك . والمفاجئ أنّها تنتهي بهزيمة الروم والترك أمام السفياني ..! على انّ هذا المال يكون في النهاية من حصَّة أهل المشرق الذي يهزمون السفياني ويفتحون العراق في وجه العباسيين والسفيانيين أيضاً . نعم مبدأ الحرب هذهِ خلافٌ بين أبناء ملوك ، أي كلُّهم يدَّعي الخلافة وشرعيَّة الحكم .

---

[1] : صـ ٤٤ بسند آخر

وقد ورد في رواية الداني : [.. نفرٌ ثلاثة . ثم لا يصير الملك إلى أحد منهم ، ثم تُقبل الرايات السود مِن قبل خراسان ، فأتوها ولو حبوا على الرِّكَب ..][1] .

وكذا ورد في دلائل النبوة : وفيه : [.. كلهم ولد خليفة ثم لا تصير (أي لا يحصل عليه أيٌّ منهم) ، ثم تُقبل مِن خراسان (راية) فيقتلونكم مقتلةً لم تروا مثلها ، - ثم ذكر شيئا - فإذا كان ذلك فأتوه ولو حبواً على الثلج فإنَّه خليفةُ الله][2] . أي يدعو لخليفة اللهِ المهدي عليه السلام الذي يخرج في مكَّة ويبدأ مِن هناك فتح جبهات الضلال .. وفي رواية ابن عبدان : [.. ثم تجيئ الرايات السود (رايات أهل المشرق الموالية) فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قومٌ ، ثم يجيئ خليفةُ اللهِ المهدي ، فإذا سمعتم به فأتوه فبايعوه ..][3] .

هذا النص يشير في ذيلِه إلى انَّ الذي يفعل ذلك هم أهل المشرق الموالون لآل محمَّد ، تماماً كما مضى من النصوص ، ثمَّ يجيئ بعد ذلك المهديُّ عليه السلام . ومن بديهيٍّ الحال انَّ جيش أهل المشرق هو جيشُهُ قبل ظهورِهِ عليه السلام ، لأنّه يقوم على دينِهِ وولايتِهِ ، وسلطانُهُ مستمدٌّ من ولاية آلِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، وهم الذين يبعثون بالطاعة مباشرة للمهدي ويفدون

---

[1] : صـ ٩٣ بسند آخر ، عن ثوبان

[2] جـ ٦ ص - ٥١٥ بسندين آخرين ، أولهما إلى الطبراني ، ثم بسنده إلى عبد الرزاق ، والآخر عن الحاكم ثم بسنده إلى عبد الرزاق ، وهو غير سنده المذكور في مستدركه إلى سفيان الثوري - بيان الشافعي : صـ ٤٨٩ بـ ٤ كما في ابن ماجة بتفاوت يسير ، بسنده إليه ، وقال " هذا حديث حسن صحيح أخرجه الحافظ ابن ماجة القزويني في سننه كما سقناه " ..

[3] جـ ٦ ص - ٥١٥ بسندين آخرين ، أولهما إلى الطبراني ، ثم بسنده إلى عبد الرزاق ، والآخر عن الحاكم ثم بسنده إلى عبد الرزاق ، وهو غير سنده المذكور في مستدركه إلى سفيان الثوري - بيان الشافعي : صـ ٤٨٩ بـ ٤ كما في ابن ماجة بتفاوت يسير ، بسنده إليه ، وقال " هذا حديث حسن صحيح أخرجه الحافظ ابن ماجة القزويني في سننه كما سقناه " ..

أنفسهم بين يديه .. وفي رواية عبد العزيز بن المختار عن خالد الحذاء ورد نحوه وقال فيه : [.. تجيئ رايات سود من قبل المشرق ، كأن قلوبهم زبر الحديد ، فمَن سمع بهم فليأتهم ولو حبواً على الثلج ، حتى يأتوا مدينة دمشق فيهدمونها حجراً حجراً ويقتلون بها أبناء الملوك][1] .

واضح من النص أنّه يشير إلى معركة الفصل مع السفياني . وهذه تكون بعد دخولهم إلى العراق . نعم يكون للخراسانيين زحفٌ إلى دمشق ، ومنها نحو باقي الجغرافيا التي تمنحهم قدرة فتح بيت المقدس .

وعن تفسير الكنز ؟ ذهب إبن كثير إلى أنَّ المراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة ، يقتتل عنده ليأخذه ثلاثةٌ من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي عليه السلام . وقد ادَّعَى أنَّ المهديَّ عليه السلام يخرج من بلاد المشرق ..! لا من سرداب سامراء كما يزعمه جهلة الرافضة .. وهذا كلام كما ترى يدلُّ على جهلهِ ووهنهِ وكرههِ الشديد لأتباع آل البيت عليهم السلام ،

---

[1] وقال : " رواه أبو نعيم في مناقب المهدي عليه السلام ، عن الطبراني ، رزقناه عاليا بحمد الله " . وفي : صـ ٥٢٠ بـ ٢٤ بسنده إلى أبي نعيم ، ثم عن الطبراني ، ثم بسنده : وفيه " . ثم يجئ خليفة الله المهدي ، فإذا سمعتم به فأتوه فبايعوه .. وقال : قلت : هذا حديث حسن المتن ، وقع إلينا عاليا من هذا الوجه بحمد الله وحسن توفيقه ، وفيه دليل على شرف المهدي عليه السلام بكونه خليفة الله في الارض على لسان أصدق ولد آدم ، وقال الله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، فإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) . عقد الدرر : صـ ٥٧ بـ ٤ فـ ١ كما في الحاكم ، وقال " أخرجه الامام الحافظ أبو عبد الله الحاكم في مستدركه ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه . وأخرجه الحافظ أبو نعيم بمعناه . وفي : صـ ٥٨ وقال " أخرجه الحافظ أبو نعيم في صفة المهدي هكذا ، وأخرجه الامامان أبو عبد الله بن ماجة ، وأبو عمرو الداني في سننهما ، بمعناه " وفيه " . ثم تجئ الرايات . فيقتلونهم . ثم يجئ خليفة الله المهدي فإذا (سمعتم به فأتوه فبايعوه) فإنه خليفة الله المهدي " . تذكرة القرطبي : صـ ٦٩٩ عن ابن ماجة ، وقال " إسناده صحيح " . فتن ابن كثير : جـ ١ صـ ٤٢ عن ابن ماجة ، وقال : وهذا إسناد قوي صحيح .. ولا بدَّ من الإشارة إلى أنّ إبن ماجة لم يتفرّد به كما ترى ..

في حين يجمع الشيعةُ على انَّ ظهور المهدي (عليه السلام) يكون من مكَّة ، أيضاً نصوص أهل السنّة شديدة الوضوح والكمال والتمام والموثّقيّة في ذلك ، لا مِن المشرق ولا من سرداب سامراء ولا من أفريقيا ..! وما اشار إليهِ هو مجرَّد افتراء ووهن وعدم إنصاف علمي .. وأنا من جهتي مستغرب رغم النصوص الهائلة في خروج المهدي من مكَّة في كتب الفريقين وهي صحيحة جداً ، كيف تصل بهِ النوبة إلى إعلان خروج المهدي مِن المشرق ..! إلا أن يرى في أهل المشرق الذين يوالون آل محمّد مشكلة ، فيضم إليهم المهدي (عليه السلام) ..! وهذا من أعجب العجاب ، خاصَّةً إذا قرأنا تاريخ المشرق ودويلاتِه التي نادت أكثر من مرّة بولاية آل محمّد ، وخلافة الإمام علي (عليه السلام) الشرعيّة ، فإنَّ هذا بطبيعة الحال سيثيره ويدفعه إلى تأويل الأحاديث بشكلٍ غريب ..!

والأعجب من ذلك انّ النصوص لم ترد في ظهور الإمام المهديِّ مِن المشرق ، بل ظهور أنصارِهِ المُمهِّدين الموطِّئين له (عليه السلام) . والمتواتر برواية الفريقين أنَّ المهدي يظهر مِن مكة . فما مال إليه غريب مثير ..!

ثمَّ انَّ الكنز المذكور هو الكنز الذي ينحسر عنه الفرات كما وردت فيه الأحاديث الكثيرة ، ويكون سبباً في ملحمة قرقيسيا الهائلة . وفي رواية أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : [.. يحسر الفرات (الفرات أو ناحيته) عن جبلٍ مِن ذهب (مال باطني جوفي ثمين جداً حسب عصر الظهور يدفع إلى شنٍّ حرب) ، فيقتتل الناسُ عليه ، فيُقتَلُ مِن كلِّ مئة تسعون أو قال : تسعة وتسعون ، كُلُّهم يرى أنه ينجو][1] .

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ ص ٣٨٢ ح ٢٠٨٠٤

وفي رواية ابن حماد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : - وفيه - [.. مِن ذهب وفضة ، فيقتل عليه من كلِّ تسعة سبعة ، فإنْ أدركتموه فلا تقربوه][1] .. وفي نصٍّ آخر - لأبي هريرة من غير أن يُسندهُ إلى النبي ﷺ - قال : [.. تدوم الفتنةُ الرابعة اثني عشر عاماً ، تنجلي حين تنجلي ، وقد أحسرت الفراتُ عن جبل مِن ذهب ، فيُقتَلُ عليه مِن كلِّ تسعة سبعة][2] ..

ويبدو أنَّ في المتن اضطراباً ما لجهة المدلول مع وحدة دلالة المطلب ، ففي رواية إسحق بن أبي فروة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ [.. ألفتنة الرابعة ثمانية عشر عاماً (بدل أربعة عشر عاماً) ثم تنجلي حين تنجلي ، وقد انحسر الفرات عن جبلٍ من ذهب .. تكب عليه الامة فيقتل من كل تسعة سبعة][3] .

أصلُ المطلب سليم وثابت ، أي الخلاف العسكري الهائل على هذا الكنز الذي ينكشف عنه الفرات . وعليه : هو عنصر مشترك بين كلِّ هذه النصوص وهذا يعزِّزُ صدوره ..

وفي تعبيرٍ آخر - بنفس المصدر - قال : [.. لا تذهب الايام حتى تحسر . فيكثر عنده القتل حتى يُقتل من المائة كذا وكذا ، فإن أدركت ذلك فلا تقربنهم][4] . وفي متنٍ أوضح ورد : [.. إنَّ الفرات ستحسر عن كنزٍ ، فإن أدركته فلا تأخذ منه شيئاً . فيقتل مِن كل مائة تسعة وتسعون ويبقى

---

[1] : صـ ٩٢

[2] : صـ ٩٢

[3] : صـ ٩٢

[4] صـ ١٧٣ ١٧٢ بسند آخر

واحداً][1] . إشارة إلى هول المعركة التي تتعدَّد فيها الرايات ، وإلى كثرة القتلى على هذا المال الذي ينكشف عنه جوف الفرات أو جهته . وعليه : هو مال باطني له قيمة كبرى تدفع الرايات إلى تجهيز الجيوش إلى تلك المنطقة وخوض حرب هائلة للسيطرة عليه ..

هذا المال عُبِّر عنه بكنز ، وفي بعض النصوص بذهبٍ وفضَّة .. وهو تعبير يُراد منه الإشارة إلى مالٍ مُهِمٍّ جداً عصر الظهور ، سواء كان نفطيَّاً أو معدنيّاً أو غير ذلك .. فتكون تلك المعارك من ضمن الهويَّة المضطربة للحظات أولى خصائص العالم الجديد الذي يتكشَّف عن فتنٍ هالة وحروبٍ مستعرة وكوارث كبيرة ، إلى أن يُتِمَّ اللهُ أمره بانتصار المهدي عليه السلام الذي ينشر دولة الإسلام في كافة أقطار الدنيا ..

أكرِّر : انَّ النصوص التي تشيرُ إليه عديدة ، وهو سببُ معركة قرقيسيا التي وصفتها النصوص بأوصاف مخيفة من شدّة القتل والموت والفناء الذي يصيب الناس . فعبد الله بن الحرث يقول : وقفت أنا وأُبي بن كعب في ظلِّ أجم حسان ، فقال لي أُبي : ألَا ترى النَّاسَ مختلفةً أعناقُهُم في طلب الدنيا ؟ قلت : بلى . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : [يُوشك الفراتُ أن يحسر عن جبلٍ من ذهب ، فإذا سمع به الناسُ ساروا إليه ، فيقول مَن عنده : واللهِ لَئن تركنا الناس يأخذون فيه لَيذهبنَّ ، فيقتتلُ الناسُ حتى يُقتل مِن كلِّ مائة تسعة وتسعون][2] . وكما ترى : النصوص مُجمِعَةٌ

---

[1] : صـ ٩٢

[2] جـ ٥ صـ ١٣٩ – الطبراني ، الكبير : جـ ١ صـ ١٦٨ حـ ٥٣٧ بسند آخر ، عن أبي بن كعب الانصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال " لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل عليه الناس ،

على أمرين : الأوّل انكشاف الفرات عن مالٍ جوفيٍّ له قيمة هائلة تدفع الأمم لخوض حرب فناء من أجله ، والثاني : كثرة القتلى . لسان النصوص يشيرُ إلى نسبة ٩ من أصل ١٠ . و٧ من أصل ١٠ . و٩٩ من أصل ١٠٠ ، و٧ من أصل ٩ ..!

لسان النصوص يُكرِّر هذهِ النسب ..! إشارة إلى الموت والإبادة والفناء الذي يقع بين تلك الأمم المتحاربة التي لا تكون منها راية أهل المشرق ..! وبعض النصوص تعطينا تفاصيل أفضل حول بعض الأسماء وموقع الأحداث . ففي رواية كعب قال : [.. يكون ناحية الفرات في ناحية الشام أو بعدها بقليل مجتمعٌ عظيم ، فيقتَتِلون على الاموال ، فيُقتل مِن كلِّ تسعةٍ سبعة ، وذاك بعد الهدَّة والواهية في شهر رمضان ، وبعد افتراق ثلاث رايات ، يطلب كل واحد منهم المُلكَ لنفسه ، فيهم رجل اسمه عبد الله][1] . وفي لفظٍ آخر لرواية إبن حماد قال : « .. يكون بناحية الفرات في فتنة الشام » وهو التعبير السليم للإشارة السليمة إلى كنز الفرات ..

وقد ذكر إبن طاووس نصّاً مفصّلاً مفادُهُ : روى عمار بن يسار قال : [.. فيتبع عبدُ اللهِ عبدَ اللهِ ، فتلتقي جنودهما بقرقيسيا (منطقة عند المثلَّث العراقي السوري التركي) على النهر (نهر الفرات) ، فيكون قتال عظيم ، ويسير صاحبُ المغرب (الراية المغربيّة) فيقتل الرجالَ ويسبي النساء ، ثم يرجع في قيس حتى ينزل الجزيرة (العراق) إلى السفياني ،

فيقتل تسعة أعشارهم " . عن أبي هريرة " لا تذهب الدنيا حتى ينجلي عراقكم (كذا) عن جزيرة من ذهب فيقتتلون عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعين .

[1] ابن حماد : صـ ٩٢ * . عقد الدرر : صـ ٥٨ بـ ٤ فـ ١ عن ابن حماد وفيه " يكون بناحية الفرات في فتنة الشام . من شهر رمضان .

فيتبع اليماني فيقتل قيساً بأريحا ، ويحوز السفياني ما جمعوا ، ثم يسير إلى الكوفة فيقتل أعوان آل محمد ، ثم يظهر السفياني بالشام على الرايات الثلاث ، ثم يكون لهم وقعة بعد قرقيسيا عظيمة ، ثم ينفتق عليهم فتقٌ من خلفهم ، فيقبل طائفة منهم حتى يدخلوا أرض خراسان ، وتُقبل خيلُ السفياني كالليل والسيل ، فلا تمر بشيئ إلا أهلكته وهدمته ، حتى يدخلون الكوفة ، فيقتلون شيعةَ آل محمد ، ثم يطلبون أهل خراسان في كلِّ وجه ، ويخرج أهلُ خراسان في طلب المهدي فيدعون له وينصرونه][1] .

إذن النص يتحدَّث عن وقعاتٍ لا وقعة واحدة ، عن حرب شديدة التوسُّع ، عن تشابك في الرايات ، السفياني ، اليماني ، الراية المغربيَّة ، عبد الله العباسي ، وعبد الله المغربي ، الراية المغربيّة تزحف نحو مصر ، ثم نحو دمشق ، وتنزل قرقيسيا إلى السفياني ، بالإضافة إلى معركة في أريحا وفلسطين ، وجرائم السفياني في الكوفة والنواحي ، ثمَّ توسُّع السفياني نحو أهل المشرق ، بحيث تبدو منطقة مصر ، فلسطين ، سوريا ، العراق ، خراسان ، والنواحي في دوَّامة حرب ، فضلاً عن حروب الروم والترك ..

وفي لفظٍ آخر قال : [.. إذا ملك رجلٌ مِن بني العباس يُقال له « عبدُ الله » وهو ذو العين ، بها افتتحوا وبها يختمون ، وهو مفتاحُ البلاء ، وسيفُ الفناء ، فإذا قُرئ له كتابٌ بالشام من « عبد الله عبد الله » أمير المؤمنين ، لم تلبثوا أن يبلغكم أنَّ كتاباً قُرئ على منبر مصر من « عبد الله عبد الرحمن » أمير المؤمنين (وهو المغربي)][2] ..

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٢ غيبة الطوسي : صـ ٢٦٩

[2] ابن حماد : صـ ٨٢ غيبة الطوسي : صـ ٢٦٩

ما يهمُّني هنا التأكيد على أنَّ بعض المتون يبدو منها أنَّ العباسي يُصبح له نفوذ ما في سوريا ، بعض النصوص تتحدَّث عن أنّ والي دمشق يكون لبني العباس ، لكن في قطع هذا الكلام كلام . بل يبدو من النصوص نوع من تعارض . في حين بعض النصوص صريحة حول نفوذ العباسي في دمشق .

وأشرنا فيما سبق إلى أنَّ المرواني والمغربي والعباسي يخوضون حرباً عنيفةً على مال قرقيسيا ، ثمَّ تتبعهم الألوية والقوى الكبرى ، مثل الروم والترك ، ومع انقلاب السفياني وسيطرته على عرش دمشق يتابع حربه في وجه تلك القوى للحصول على مال قرقيسيا .

النصوص تتحدَّث عن السبب والنتائج في وقعة قرقيسيا العنيفة دون أن تحدّثنا عن تفاصيل وأحداث ومجريات الحرب ، وطبيعة الإنقلابات الهائلة التي تصيب الحلف الدولي الإقليمي السابق : متى ، ولماذا ، وأين ..؟

المهمّ أنَّ زحف الراية المغربيَّة وتصادم عبد الله المغربي مع عبد الله العباسي يعني مرحلةً متقدّمة ، وعلامة قريبة من علامات الظهور .. وفي متنٍ ثالثٍ قال : [.. الملك لبني العباس ، حتى يبلغكم كتابٌ قُرِئ بمصر مِن عبد الله بن عبد الرحمن أمير المؤمنين (المغربي) ، وإذا كان ذلك ، فهو زوال ملكهم ، وانقطاع مدَّتهم ، فإذا قُرِئ عليكم أوَّل النهار لبني العباس مِن « عبد الله عبد الله » أمير المؤمنين ، فانتظروا كتاباً يُقرأ عليكم من عبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين . وويلٌ لعبد اللهِ من عبد الرحمن][1] . وكما أشرنا : عبد الله المغربي الذي يزحف نحو مصر يقصد منطقة قرقيسيا في العراق

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٢ غيبة الطوسي : صـ ٢٦٩

ويخوض معركةً هائلة في وجه عبد الله العباسي . والمحصَّل من هذهِ المتون انّه إذا ملك رجلٌ من بني العباس إسمه « عبد الله » ، يكون مفتاحَ البلاءِ وسيف الفناء ، فإذا قُرِأ له كتاب بالشام من « عبد الله عبد الله » – ربَّما أميراً أو تابعاً سياسيَّاً – سيتبعه كتابٌ آخر في مصر بإسم « عبد الله عبد الرحمن » يُقرأ كتابُهُ في مصر أميراً أيضاً . ثم يتبعه بينهما صِدام في منطقة قرقيسيا . وبذلك يشكِّلانِ نزاعاً جبهويَّاً ..

وفي تعبيرٍ آخر : الملك لبني العباس حتى يقرأ كتابٌ في مصر بإسم عبد الله عبد الرحمن ، فإذا كان ذلك كذلك فهو بداية زوال ملكِهم وانقطاع مدّتهم .. ويضيف ذيل أحد النصين : ويلٌ لعبد الله من عبد الرحمن ، ما يعني غلبة يسجِّلها المغربي على العباسي وضمن حدود واضحة . حيث يكون لهم وقعة في قرقيسيا يصفها عمار بن ياسر بـ « العظيمة » .

ثم ينفتق عليهم زحف الترك ، وتنزل الروم ، وتتعدَّد الرايات ويملك السفياني عرش دمشق ، فيزحف نحو مصر ، ثمَّ نحو فلسطين ، كما يشارك بقوّة في العراق للحصول على ذلك المال .

وأنَّ السفياني – في تطوُّرٍ طارئ بعد موت عبد الله العباسي وخلاف أهل الملك على العرش – يزحف جيشه نحو الكوفة فيدخلها ، وفي الحديث الذي يصف قوة ذلك الجيش يقول : « كالليل والسيل لا تمر بشيئ إلا أهلكته وهدمته » ، حتى يدخلون الكوفة ، فيعلن ذبح أتباع آل محمَّد ويسبي النساء ويهدم الدور . ويطلبهم طلباً حثيثاً . ثم يأمر جيشهُ بمهاجمة أراضي أهل المشرق ، وهناك تقع أمُّ المعارك بين المشرقيين وجيش السفياني والتي تنتهي بانتصار الجيش الإيراني .

.. في هذا الوقت ينتشر خبرُ ظهورِ المهدي (عليه السلام) . يبدو أنَّه الظهور الخاص . وفي الرواية : ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي (عليه السلام) فيدعون له وينصرونه .

ويقف الخراسانيّون موقفاً تاريخيّاً في وجه السفياني في منطقة اصطخر رغم الظروف التي تمرُّ عليهم في تلك الأثناء ، من خروجِهم من بيت المقدس بعد معارك ضارية هناك ، ودفاعهم عن جزءٍ من أرضهم التي احتلَّها الترك أثناء وجودهم في بيت المقدس ، وهي ظروف مُتعِبة خرجوا فيها من حروبٍ هائلة ومستمرَّة ، بكلِّ ما تعنيهِ هذهِ الخريطة من فوضى الحرب وعنفها وتحالف القوى الكبرى والإقليميّة عليها . إلا أنّ تحالف الروم والترك والسفياني والراية المغربيّة ينهار بعد وقعة قرقيسيا .. وعلى أثر هذهِ الصدامات ، يعود أهل المشرق فيهاجمون من جديد ، وفي هذهِ الأثناء يكون لليماني دور مهمّ ..

وبهذهِ الخريطة مِن الصراع والعنف تنفتح الجبهة في طول هذهِ المنطقة على صدامٍ مرير .. خاصّة انّ الأوراق تعود إلى الخلط من جديد ، فالسفياني ينقلب على الروم ، وتشتدُّ شوكتُهُ ، فيقاتل الروم كما يقاتل الترك وينتصر عليهما في تلك الوقعة ، كما انَّ الترك يختلفون عسكريَّاً مع الروم أيضاً ..! ما يُعيد توزيع القوى والجبهات على نحوٍ مُشَتَّت ، وهذا ما يستفيد منه أهل المشرق ..

وحتى تكون الأمور على نحوٍ واضحٍ لا بدَّ من الإشارة إلى الطرف الآخر من الجبهة ، أعني بذلك علامات ظهور المهدي ، وما يؤول إليه الظهور الشريف ..

النداء من السماء باسم المهدي

من الحوادث الإستثنائيّة جدًّا في ذلك العالم الجديد النداءُ مِن السماءِ ، وهذا الحدثُ سماويٌّ إعجازيٌّ يلفتُ أعناقَ أهل الأرض كلِّهم نحو السماء ليسألوا : ما الخبر ..! ومنذ تلك اللحظة يدخل العالم زمن المهدي عليه السلام ..

وفي رواية أبي أمامة قال : [.. لَيُنادَيَنَّ باسم رجلٍ مِن السماء (المهدي) ، لا ينكره الذليل ، ولا يمتنع منه العزيز][1] . إشارة إلى نداء جبرائيل عليه السلام في السماء بظهور المهدي عليه السلام نداءاً يسمعهُ أهلُ الدنيا كُلُّهم : النائم والمستيقظ ، في مشرق الأرض ومغربها .

ولقد تكاثرت النصوص التي تتضمَّن النداء من السماء ، وفي بعضِها نحوٌ مِن تنوُّعٍ وإشارة - وهذا ما سنتوقَّف عنده - لكنَّها كلّها منصبّة على فكرة النداء بالمهدي من السماء ، للإشارة إلى اليوم الموعود والساعة الفصل التي أعدَّهُ اللهُ من أجلها ..

النصوص كلُّها مطبقة على أنَّ صوتاً في السماء ينادي بظهور المهدي عليه السلام ، وإنْ اختلف بعضُها القليل في التوقيت ، هل في شهر محرَّم أم

---

[1] ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ٢٤٦ حـ ١٩٦٠١ المغربي : صـ ٥٧٧ حـ ٧٨ عن ابن أبي شيبة ، بتفاوت يسير .

في شهر رمضان أم غيره . أصل النصوص كلّها متّفق على النداء السماوي الإعجازي بالمهدي ﷺ . ففي رواية شهر بن حوشب قال : قال رسول الله ﷺ : [.. في المحرم ينادي منادٍ مِن السماء : ألَا إنَّ صفوةَ الله مِن خلقه فلاناً (المهدي) فاسمعوا له وأطيعوا ، في سنة الصوت والمعمعة][1] .

ويأتي النداءُ على أثر الفوضى والصِّدم الحربي العنيف ومخاطر الجوع والإنهيار المالي - الأمني ، والأهوال المتواصلة التي يبدو أنَّ منشأها يكون في منطقة الأوسط ، بالأخص منطقة العراق والشام وصولاً إلى خراسان والحجاز ومصر وفلسطين والنواحي ، وتكون قوى عالميّة وإقليميّة شريكة فيها ..

وفي رواية إبن حماد عن أبي هريرة إشارة إلى الظروف المضطربة لتلك الساعة التاريخيَّة ، يقول : قال النبيُّ ﷺ : [.. تكون آيةٌ في شهر رمضان ، ثم تظهر عصابةٌ في شوال ، ثم تكون معمعةٌ في ذي القعدة ، ثم يُسلب الحاج في ذي الحجة ، ثم تُنتهك المحارمُ في المحرَّم ، ثم يكون صوت في صفر ، ثم تنازع القبائل في شهري ربيع ، ثم العجب كلّ العجب بين جمادي ورجب ، ثم ناقة مقتبة خير من دسكرة (مزرعة) تغل مائة ألف][2] .

النص يشير إلى الفوضى ، وأزمات سياسيّة ، وانهيار أمني ، واضطراب كبير في السِّلع والأمن الغذائي . بل لسان النص يشيرُ إلى صدْمِ القوى وتوابع ذلك . ثم بعد رجب ، يُفقد الامن بقوّة وتقع حروب عنيفة ،

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٣ وفيه " يخرج في المحرم . فلان يعنى المهدي " .

[2] ابن حماد : صـ ٥٩

حتى يكون امتلاك ما يفرُّ بهِ الإنسان خيراً مِن الأرض والأملاك الثابتة وشبه ذلك ..

الحديث في مقام الإشارة إلى اضطرابٍ وفوضى وخللٍ أمنيٍّ كبير وصدام عسكري يتفاقم بشكلٍ سريع ، يبدأ ضمن سلسلة من الحوادثِ تكون بدايتُها في رمضان عبر آيةٍ تظهرُ فيهِ ، فإذا كان شهر شوال ظهرت عصابة أي فرقة وجماعة ، ثمَّ معمعة في ذي العقدة : خلاف وانقسام يتطوَّر في ذي الحجّة إلى سلب للحجَّاج ، وهذا يعني اضطراباً واسعاً في منطقة الحجِّ .

ولا تقف الأمور عند هذا الحد ، حيث تتفاقم الحوادث حتى تصل إلى انتهاك للمحارم في محرَّم ، وهذا يعني اصطداماً يصل إلى حدِّ الإعتداء على البيوت والأحياء والمساكن الآمنة ، ثمَّ يكون صوتٌ في صفر ، ثمّ تنازع بين القبائل في ذي القعدة ، وسمة هذا التنازع على مُلك ، في ظلِّ انقسامٍ بين جماعة كلٌّ يدّعي المُلك لنفسهِ ، والقوم معسكرين ، متهيَّئين للحرب في ظلِّ مناوشات عسكريّةٍ تصل في ربيع إلى تنازعٍ واصطدامٍ أوسع ، ثمَّ تكون ملحة تسيل فيها الدماء ..

وتكون المرحلة الأخطر بين جمادي ورجب حتى يكون الهرب خيراً من المقامِ في تلك البلاد .. وقد أورد إبن حماد مجموعة من النصوص تختزن هذا المعنى منها :

- عن ابن مسعود قال : [تكون علامة في صفر ويبتدأ نجم له ذناب][1] .

---

[1] المصدر بهذه الطائفة من النصوص : ابن حماد .

- عن مكحول قال : قال رسول الله ﷺ : [.. في السماء آية لليلتين خلت أو تبقيان في شوال ، المهمهة ، وفي ذي القعدة المعمعة ، وفي ذي الحجة التزايل وفي المحرم وما المحرم ..!] . قال عبد الوهاب بن بخت : بلغني أنَّ رسول الله ﷺ قال : في رمضان آية في السماء كعمود ساطع ، وفي شوال البلاء ، وفي ذي القعدة الفناء ، وفي ذي الحجة ينتهب الحاج ، والمحرم وما المحرم] ..

- سعيد بن المسيب قال : [يأتي على المسلمين زمانٌ يكون فيه صوت في رمضان ، وفي شوال تكون مهمهة ، وفي ذي القعدة تنحاز فيها القبائل إلى قبائلها ، وذو الحجة ينتهب فيه الحاج والمحرم وما المحرم .!] ..

- شهر بن حوشب قال : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : [يكون في رمضان صوت ، وفي شوال مهمهة ، وفي ذي القعدة تحارب القبائل ، وفي ذي الحجة ينتهب الحاج ، وفي المحرم ينادي منادٍ من السماء : ألَا إنَّ صفوة الله من خلقه فلاناً (المهدي) فاسمعوا له وأطيعوا] ..

- عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : [يكون صوت في رمضان ، ومعمعة في شوال ، وفي ذي القعدة تحارب القبائل ، وعامئذٍ يُنتَهَب الحاج ، وتكون ملحمةٌ عظيمة بمنى ، تكثر فيها القتلى وتسيل فيها الدماء ، وهم على عقبة الجمرة] ..

- ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : [إذا كانت صيحةٌ في رمضان ، فإنه بكون معمعة في شوال ، وتمييز القبائل في ذي القعدة ، وتُسفَكُ

الدماء في ذي الحجة ، والمحرم وما المحرم - يقولها ثلاثا - هيهات هيهات ، يُقتل الناسُ فيها هرجاً مرجاً . قلنا : وما الصيحة يا رسول الله ؟ قال : هدّة في النصف مِن رمضان ليلة الجمعة ، فتكون هدة تُوقِظُ النائم ، وتُقعِدُ القائم ، وتُخرِجُ العواتق مِن خدورهنَّ ، في ليلة جمعة ، في سنةٍ كثيرة الزلازل ، فإذا صلَّيتم الفجر مِن يوم الجمعة ، فادخلوا بيوتكم وأغلقوا أبوابكم وسدُّوا كواكم ودثِّروا أنفسكم وسدُّوا آذانكم ، فإذا أحسستم بالصيحة فخرُّوا لله سجداً وقولوا : سبحان القدوس سبحان القدوس ربنا القدوس ، فإنه مَن فعل ذلك نجا ، من لم يفعل ذلك هلك][1] ..

- فيروز الديلمي عن النبي ﷺ قال : [يكون هدة في رمضان ، توقظ النائم وتفزع اليقظان] . - هذا في رواية قتادة - وفي رواية الاوزاعي : [يكون صوتٌ في رمضان في نصف من الشهر .. قال : ثم يتبعه صوت آخر ، فالاول صوت جبرئيل عليه السلام ، والثاني صوت إبليس لعنه الله . قال : الصوت في رمضان ، والمعمعة في شوال ، وتميز القبائل في ذي القعدة ، ويُغار على الحاج في ذي الحجة ، والمحرم أوَّلُهُ بلاء وآخره فرج . قالوا : يا رسول الله ، مَن يسلم منه ؟ قال : مَن يلزم بيته ويتعوَّذ بالسجود][2]

- أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : [في شهر رمضان الصوت ، وفي ذي القعدة تميز القبائل ، وفي ذي الحجة يسيب الحاج][3] .

---

[1] المصدر بهذه الطائفة من النصوص : ابن حماد .

[2] البدء والتاريخ : ج ٢ صـ ١٧٢

[3] الطبراني ، الاوسط : ج ١ صـ ٣١٣ حـ ٥١٦

- في رواية الحاكم[1] : [.. تكون هدة توقظ النائم وتفزع اليقظان ، ثم تظهر ، ثم معمعة في ذي الحجة ، ثم تنتهك ، ثم يكون موت في صفر ، ثم تتنازع القبائل في الربيع][2] .

- أيضاً عبد الله بن مسعود - وفيه - : [.. تكون صيحة في رمضان ، وتكون معمعة في شوال ، وتميز القبائل في ذي القعدة ، وتسفك الدماء في ذي الحجة ، وخروج أهل المغرب في المحرم - يقولها ثلاثا -][3] ..

---

[1] بسنده إلى نعيم بن حماد كما في روايته الاولى بتفاوت يسير وفيه :

[2] الحاكم : جـ ٤ صـ ٥١٧ - أمالي الشجري : جـ ٢ صـ ١٥ بسند آخر عن عبد الله بن مسعود : وفيه " تكون صيحة في رمضان ، وتكون معمعة في شوال ، وتميز القبائل في ذي القعدة ، وتسفك الدماء في ذي الحجة ، وخروج أهل المغرب في المحرم . يقولها ثلاثا " . عقد الدرر : صـ ١٠١ بـ ٤ فـ ٣ كما في الداني : وقال " أخرجه الامام أبو عمرو عثمان بن سعيد المقري في سننه هكذا ، وأخرجه الامام أبو الحسين أحمد بن جعفر ابن المنادى ، من حديث ابن الديلمي ، وزاد فيه بعد قوله " يصعق له سبعون ألفا قال : ويعمى سبعون ألفا ويتيه سبعون ألفا ، ثم ذكر الباقي بمعناه " . وفي : صـ ١٠٢ بـ ٤ فـ ٣ عن رواية ابن حماد السادسة . وفي : صـ ١٠٣ ١٠٢ عن رواية الداني الثانية " أخرجه الامام أبو الحسين أحمد بن جعفر المنادي في كتاب الملاحم " . وفي : صـ ١٠٥ عن شهر بن حوشب قال " كان يقال : في شهر رمضان صوت ، وفي شوال همهمة ، وفي ذي القعدة تميز القبائل ، وفي ذي الحجة تسفك الدماء ، وينهب الحاج في المحرم . قيل له : وما الصوت ؟ قال : " هاد من السماء يوقظ النائم ، ويفزع اليقظان ، ويخرج الفتاة من خدرها ويسمع الناس كلهم ، فلا يجئ رجل من أفق من الآفاق إلا حدث أنه سمعه " . وفي : صـ ١٤٠ بـ ٦٧ عن فتن السليلي ، بسنده : حدثنا محمد بن جرير قال : حدثني محمد بن عثمان الاسدي قال : أخبرنا عبد الله بن موسى قال : أخبرنا عنبسة بن سعيد ، عن سمير قال " يظهر في رمضان صوت ، وفي شوال همهمة ، أو مهمهة ، وفي ذي القعدة تحارب القبائل ، وفي ذي الحجة يسلب الحاج ، وفي المحرم لو أخبرتكم بما في المحرم ، قلنا له : وما بالمحرم ؟ قال : ينادي مناد من السماء إلا إن فلان (كذا) خيرة الله من خلقه ، ألا فاسمعوا له وأطيعوا " .

[3] أمالي الشجري : جـ ٢ صـ ١٥

وعليهِ : في الأشهر القليلة قبل ظهور المهدي (عليه السلام) تتسارع الأحداث جداً ، وتتفاقم الفتن ، وتنقسم الجماعة السياسيّة . والعلامات التي تظهر تكون على نحوين : طبيعيّة ، وفتنة بشريّة . فإذا جاء رمضان كان فيه الصوت أو الهدّة ، وقد ورد ذلك كما في العديد من الروايات كما ورد ذلك في شهر محرَّم صوت ينادي بالمهدي وقد جمع بعضهم النصوص على الشكل التالي : هدّة في رمضان (في النصف منه ليلة الجمعة) يذهل لها سامعها ، وفي محرَّم الصوت بطاعة المهدي (عليه السلام) ، وهذا الصوت يأتي من السماء يُعلن للناس خبر المهدي (عليه السلام) ووجوب طاعتِهِ ويأتي ذلك بعد سلسلة من الأحداث والفتن والملاحم المخيفة التي يقتل الناس فيها هرجاً ومرجاً ..

وقد ورد في الروايات انّه يكون في ذي القعدة انقسام القبائل وتكوين جماعات الحرب . وفي ذي الحجّة يُسفك الدم ويظهر القتل ويشيع نهب الحاج . وكما في الرواية : ملحمة عظيمة بمنى تكثر فيها القتلى وتسيل فيها الدماء وهم على عقبة الجمرة . فإذا حلَّ المحرَّم كانت النكبة الكبرى ، حيث يُقتل الناس هرجاً ومرجاً كما في رواية إبن مسعود ..

وفي بعض الروايات : صوتانِ في رمضان ، الأوّل صوت جبرائيل (عليه السلام) والثاني صوت إبليس لعنه الله . وفي غيرها إشارة إلى أكثر من صوت ، كما هي الحال في الروايات الواردة في ثلاثة أصوات برجب ، ما يعني أنَّ الأصوات تتعدَّد والروايات دالة على هذا التعدّد اعتماداً على المتون .. لكنَّ القدر المتيقَّن الذي يُجمع عليه علماء المسلمين أنَّ أصل الصوت السماوي لا بدَّ منه ، صوت جبرائيل ينادي بظهور المهدي (عليه السلام) . وأغلب الروايات وأوثقها أنَّه في شهر رمضان .

أهم شيئ أنَّ الروايات واضحة في هرج ومرج واضطراب يُصيب الحجاز . الروايات شديدة الوضوح في ذلك . في ضعف دولة الحجاز ، في اختلاف الحجازيين . مع تأكيدنا على أنَّ المنطقة كلِّها تكون تحت عبئ تدخُّل دولي خاصَّة غربي رومي ، وأنَّ دول المنطقة - في الغالب - تكون مشرذمة ، مختلفة ، قسم منها واضح في إعلانِها الولاء للروم ..!

يبقى أن اركِّز على موضوع اختلف الشرَّاح والمفسِرون فيه ، وهو موت خليفة . موت الخليفة الوارد في نصوص كثيرة هل هو حجازي أم عراقي أم في المنطقتين معاً . بعضهم قال حجازي ، وبعض الآخر قال عراقي وهو العباسي عبد الله . كلُّ الطائفتين مِن المفسِّرين لديه دليلٌ ترجيحي في التفسير ، وإنْ كان غالبيّة النصوص الواردة في موت فلان يَرْجُح منها أنّها واردة في العباسي . لكنَّ ذلك لا يمنع مِن موت خليفة حجازي يكون وارداً في مضمون حديث أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [بينا الناس وقوف بعرفات إذ أتاهم راكبٌ على ناقة ذعلبة (سريعة) يُخبرهم بموت خليفة ، يكون عند موته فرج آل محمد صلى الله عليه وآله ، وفرج الناس جميعاً ..][1] . أُكرِّر: يُمكِنُ الجمعُ بين هذا المتن وغيره بحمله على العباسي رغم كِلفَة التبادر وضرورة التكلُّف ، وهو أمر علمي أيضاً ، لكنَّني قلت : « كلفة » ، لأنَّ لحن طائفة من النصوص ربّما يُستفاد منه موت خليفة أيضاً في الحجاز ..

ومهما يكن مِن أمر فإنَّ أحداث الحجاز آنذاك غير منفصلة عن أحداث المنطقة والعالم ، وفي تفصيلٍ أوردهُ إبن مسعود اشار انَّه في محرَّم

---

[1] النعماني : صـ ٢٦٧ ب ١٤ حـ ٣٧ -

خروج أهل المغرب (إلى مصر) قالها ثلاث مرات . وفي المحرم تقع المذابح والقتل بشكلٍ هائلٍ .. ومعلوم انَّ خروج اهل المغرب علامة على خروج السفياني الذي سيتغلّب على الرايات ،

معنى هذا أنَّ منطقة الحجاز ، الشام ، العراق ، مصر ، الخليج ، اليمن ، وصولاً إلى فلسطين ، وانتقالاً إلى منطقة الشرق ، والجوار الحيوي لهذه المنطقة سيكون مهد أضخم الحروب .. النصوص واضحة في تجهُّز الجيوش إلى المنطقة ، خاصَّة الروم والترك ، الترك إسم أعم من منطقة الإتِّحاد السوفياتي ، المقصود فيهِ ما ينطبق عليه بالمعنى الأعم .

فإذا عمَّ هذا البلاء العالمي نادى منادي على سور دمشق : ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب ..

وتقع في تلك الفترة حرب الترك في الجزيرة والروم في العمق أي في حلب والنواحي وغيرها من منطقتِنا هذهِ . كل هذه تدلُّ على منحى الحرب والتصعيد الذي تشيرُ إليه العلامات .

على أنَّ شريط الأحداث في النصوص هو عبارة عن خلاصة ، أي إشارة إلى الأحداث الرئيسيّة ببعد النظر عن التفاصيل .. وإلا فالتفاصيل مذهلة وهائلة ..

واضح أنَّ أحداث المنطقة وخروج أهل المغرب وتطوُّرات حرب الجزيرة ودمشق وغيرها نتاج صراعٍ عالميٍّ . الروم تنزل في فلسطين لتدافع عن اليهود ، وتشن هجوماً هائلاً على مصر لتعيد إليها حاكمها المخلوع بثورة الإماميين النجباء ، وتدعم السفياني ليسيطر على عرش

دمشق . ما يعني حضور الروم في المنطقة بشكلٍ كبير .. النصوص تشيرُ إلى باكورة مذبحة تقع في منى ، ثمَّ خروج أصحاب المغرب .. إذن الإضطراب من جهة يبدأ في الحجاز ويتوسَّع بشكلٍ هائل ..

يُذكَرُ أنّه قبل النداء تقع فتن وحروب وجوع وبلايا متنقِّلة في البلاد ، النصوص شديدة الصراحة في ذلك . فإذا نُودي بالمهدي عليه السلام بدأت مرحلة ملامح الظهور وما يقع فيها من أحداث وملاحم .

وفي رواية محمد بن الحنفية قال أمير المؤمنين عليه السلام : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول[1] : [.. سيكون بعدي فتنةٌ صمّاء صيلم ، يسقط فيها كلُّ وليجة وبطانة ، وذلك عند فقدان شيعتك الخامس مِن السابع مِن وُلدِك ، يحزن لفقده أهل الارض والسماء ، فكم مؤمنٍ ومؤمنةٍ متأسِّف متلهِّف حيران عند فقده .

ثم أطرق مليّاً ثم رفع رأسه وقال صلى الله عليه وآله : بأبي (هو) وأمي ، سميِّي وشبيهي ، وشبيه موسى بن عمران عليه السلام ، عليه جيوب النور - أو قال - : جلابيب النور تتوقَّد من شعاع القدس ، كأنِّي بهم آيس مَن كانوا ، ثم نُودِيَ بنداءٍ يُسمع مِن البُعد كما يُسمع مِن القرب ، يكون رحمةً على المؤمنين ، وعذاباً على المنافقين .

قلت : وما ذلك النداء ؟ قال صلى الله عليه وآله : ثلاثة أصوات في رجب ، أوّلها : ألا لعنة الله على الظالمين . والثاني : أزفت الآزفة . والثالث : ترون بدريّاً بارزاً مع قرن الشمس ينادي : ألا إنَّ اللهَ قد بعث فلان بن فلان (المهدي)

---

[1] - في حديث طويل في فضل أهل البيت عليهم السلام ـ

حتى ينسبه إلى عليٍّ وفاطمة ﷺ ، فيه هلاك الظالمين ، فعند ذلك يأتي الفرج ويشفي اللهُ صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم . قلت : يا رسول الله فكم يكون بعدي من الائمة ؟ قال : بعد الحسين تسعة والتاسع قائمهم][1] .

ويكون ذلك على أثر أحداث هائلة ، متَّصلة الأثر ، وذات افاعيل عالميّة وإقليميّة . من تلك الأحداث موت ملك الحجاز على قول بعض ، أو ملك العراق العباسي على قول الآخرين ، - ولكلٍّ شاهد – وضعف الحجاز ووهنها وهذا أمر أكيد . وسفك الدماء في منى ..

---

[1] كفاية الاثر : صـ١٥٦

بيعة المهدي ﷺ على أثر موت خليفة

وردت في هذا المضمون نصوص مختلفة ، منها :

- قتادة عن النبيِّ ﷺ قال : [يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجلٌ (المهدي) من المدينة فيأتي مكة ، فيستخرجه الناسُ من بيته وهو كارهٌ ، فيبايعونه بين الركن والمقام (تعبير « كاره » إشارة إلى وضعٍ أمني واضطرابٍ شديد وضرورة تفرض هذا الوصف) ، فيُبعث إليه جيشٌ من الشام (جيش السفياني) ، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسِفَ بهم ، فيأتيه عليه السلام عصائبُ العراق ، وأبدال الشام ، فيبايعونه ، فيستخرج الكنوز ويُقسِمُ المال ، ويُلقي الاسلام بجرانه (يتمكّن) إلى الارض][1] . (النص ناظر إلى بعض الأحداث . يشير إلى النتائج ، يُركّز على موضوع موت خليفة . ثم عالم الظهور ..)[2] .

---

[1] عبد الرزاق : جـ ١١ صـ ٣٧١ حـ ٢٠٧٦٩ – وكذا في رواية إبن حماد وإبن أبي شيبة .. ابن حماد : صـ ٩٩ حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : قال رسول الله ﷺ " إنه يستخرج الكنوز ، ويقسم المال ، ويلقي الاسلام بجرانه " .

[2] يبقى النقاش بين الشراح حول مَن هو الخليفة : خليفة حجازي أم عراقي . يبدو من طائفة واضحة كما في هذه الطائفة أنّه عبد الله العباسي في العراق . ومِن لحن طائفة ثانية ومضامينها يستفاد موت خليفة في الحجاز ، الإثنان ممكنان . الأوّل له نصوص صريحة . الثاني بعض مضامينه تُساق بالتبادر إلى موت الحجازي أو ما هو بحكمه في صراع على ملك ووهن في اهل الحجاز . أنا أُثبتُ موت العراقي واحتمل موت خليفة حجازي أو ما هو بحكمه . ومهما يكن من أمر فإنّ دولة الحجاز في تلك اللحظات تكون شديدة الضعف والوهن والإنقسام . هذا أمر أكيد . ربما هناك خلل في سدّة الحكم أو فراغ فيه ..

- عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : [يُبَايَع لِرَجلٍ (للمهدي كما في غيرها مِن الرويات) بين الركن والمقام كعدة أهل بدر ، فتأتيه عصائب العراق وأبدال الشام ، فيغزوهم جيشٌ من أهل الشام ، حتى إذا كانوا بالبيداء يُخسف بهم ، ثم يغزوهم رجلٌ من قريش أخواله كلب فيلتقون فيهزمهم الله ، فكان يقال : الخائب من خاب من غنيمة كلب][1] . وفي رواية أحمد - بسندٍ آخر عن أم سلمة قالت - قال ﷺ : [.. من المدينة هارب إلى مكة ، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه . فيبعث إليهم جيش من الشام فيخسف بهم بالبيداء ، فإذا رأى الناس ذلك أتته أبدالُ الشام وعصائب العراق فيبايعونه . ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليه المكي بعثاً فيظهرون عليهم ذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب . فيقسم المال ويعمل في الناس سنة نبيهم ﷺ][2] .

- في القول المختصر قال : [.. يقع اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج المهدي عليه السلام مِن المدينة وهو من أهلها ، هارباً إلى مكة ، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام][3] ..

---

[1] ابن أبي شيبة : جـ ١٥ صـ ٤٥ حـ ١٩٠٧٠

[2] أحمد : جـ ٦ صـ ٣١٦ بسند آخر عن ام سلمة ، الحاكم : جـ ٤ صـ ٤٣١ كما في ابن أبي شيبة بتفاوت يسير ، بسند آخر عن أم سلمة . - الداني : صـ ١٠٣ كما في عبد الرزاق ، بتفاوت يسير بسند آخر ، عن أم سلمة : وفيه " . فيخرج رجل من بني هاشم .

[3] صـ ٥ بـ ١ حـ ١٣

وعليه : تكون الصورة التالية : موت خليفة ، إنقسام بين أهل الحكم أو الأعم منهم (أهل الحجاز) ، تنازع ، إحتدام ، وهن ، سفك دماء في منى بموسم الحجّ ، ثمَّ زحف أصحاب الراية المغربيّة اتّجاه مصر ، تجهّز الجيوش لغزو منطقة العراق - سوريا وما يتّصل بها من قبل الروم والترك والحلفاء ، فإذا كان جمادي ورجب كان العجب ، ثمَّ القتل هرجاً مرجاً في المحرَّم ثمَّ صوت من السماء يدعو الناس إلى طاعة المهدي عليه السلام الذي يخرج في مكّة فيبايع ..

وفي رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [.. في ذي القعدة تحازب القبائل ، وعامئذ يُنهب الحاج ، فتكون ملحمة بمنى ، فيكثر فيها القتلى ، وتسفك فيها الدماء ، حتى تسيل دماؤهم على عقبة الجمرة ، حتى يهرب صاحبهم (المهدي) فيُؤتى بين الركن والمقام فيُبايع وهو كاره .. فيبايعه مثل عدة أهل بدر ، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض][1] ..

وفي لفظ أرطاة قال - ولم يسنده - : [.. إذا كان الناس بمنى وعرفات ، نادى منادٍ بعد أن تحارب القبائل : ألَا إنّ أميركم فلان ، ويتبعه صوتٌ آخر الا إنه قد كذب ، ويتبعه صوت آخر ألَا إنه قد صدق ، فيقتتلون قتالاً شديداً ، فجلّ سلاحكم البراذع وهو جيش البراذع ، وعند ذلك ترون كفّاً معلقة في السماء ، ويشتدُّ القتال حتى لا يبقى من أنصار الحق إلا عدة أهل بدر ، فيذهبون حتى يبايعون صاحبهم][2] .

---

[1] ابن حماد : صـ ٣٩

[2] م . س .

النصوص واضحة في الإقتتال الحجازي العنيف ، والذي يكشف عن الوهن الشديد الذي أصاب دولة الحجاز . على أنَّ بعض النصوص تشيرُ إلى قتلِ كلِّ جبَّار . إشارة إلى مقتلة قرقيسيا كما يبدو كسياق للإنفلاش الحربي الذي تشترك فيها دول ذات نفوذ عالمي كبير ودول ذات نفوذ إقليمي . فقد روى إبن المنادي عن شهر بن حوشب قال : يكون في شعبان صوت ، وفي رمضان هادة ، وفي شوال معمعة ، وفي ذي القعدة تحارب القبائل ، وفي ذي الحجة يُسلب الحاج ، وفي المحرم - يقولها ثلاثاً - ، وفي صفر الأصفار يُقتل كلُّ جبَّار ، عند مجتمع الأنهار . وقال : العجب كل العجب ، قالها ثلاث مرات ، بين جمادى ورجب][1] .

فيهِ إشارة إلى موت ملوك .. النصوص تشير إلى مشاركة مجموعة من الرايات في ملحمة قرقيسيا . بعضها من غرب وشرق العالم ، وبعضها الآخر من بطن هذه المنطقة الواسعة .

على أنَّ اللافت في الأحداث قتلٌ ومذابح تبدأ في منى بالحج ، ويتَّسع نطاق العنف مع المغربيين الذين يزحفون نحو مصر ، ثمّ ينزلون العراق إلى السفياني الذي ينتصر بمعركة قرقسيا ، مع ما يجتمع مع ذلك من حروبٍ وأحداث صعاب ..

نعم يظهر أنَّ الوضع الأمني الحجازي يكون في الظاهر هادئاً - رغم الأزمات والإنقسام بعد موت أو قتل خليفة - الأزمات تبدو طافية على المسرح الحجازي . لحن النصوص واضح في ذلك . حتى أنَّ الناس يحجُّون معاً ، دلالة إلى ارتياحهم للوضع الأمني ، وعدم نشوب أيِّ صراعٍ

---

[1] ملاحم ابن المنادي : صـ ٣٩

أو عنف عسكريٌّ يمنع من حجِّ الناس ، فإذا كانوا في منى بدأ الصراع العسكريُّ بعنفٍ ، وهناك تقع ملحة يكثر فيها القتل وسفك الدماء ..

وفي رواية عبد الله بن عمرو قال : [يحج الناس معاً ، ويعرفون معاً (أي يقفون على عرفات) على غير إمام .! (إشارة واضحة إلى موت الملك) ، فبيناهم نزول بمنى إذ أخذهم كالكلب (إشارة إلى العنف والتذابح) ، فثارت القبائلُ بعضها إلى بعض ، واقتتلوا حتى تسيل العقبةُ دماءً ، فيفزعون إلى خيرهم (إشارة إلى خير أهل الأرض المهدي عليه السلام) ، فيأتونه وهو ملصق وجهه إلى الكعبة يبكي ، كأني أنظر إلى دموعه ، فيقولون هلمّ فلنبايعك ، فيقول : ويحكم ، كم عهدٍ قد نقضتموه ، وكم دمٍ قد سفكتموه ، فيبايع كرهاً ، فإذا أدركتموه فبايعوه ، فإنه المهدي في الارض والمهدي في السماء][1] .

تعبير : « يعرفون معاً على غير إمام » تأكيد لفراغ في سدَّة الحكم بالحجاز . فسِّره مهما شئت ، فإنّه الفراغ لقتلِ الحاكم أو موتِهِ وشبه ذلك ..

في وصفِنا لمحيط وظرف بيعة الإمام المهدي عليه السلام نجد النصوص متزاحمة للإشارة إلى الفعل البشري والكوني معاً في الدلالة على نظمٍ متعاقب . شهر بن حوشب قال : [كان يُقال في شهر رمضان صوت ، وفي شوال همهمة ، وفي ذي القعدة تميز القبائل ، وفي ذي الحجة يسفك الدماء ، وينتهب الحاج في المحرم ، أما لو حدثتكم ، فقيل له : ما الصوت ؟ قال : هدّة

---

[1] ابن حماد : على ما في الحاكم ، الحاكم : ج ٤ صـ ٥٠٣ حـ ٥٠٤

من السماء توقظ النائم ، وتفزع اليقظان ، وتخرج الفتاة من خدرها ، ويسمعه الناس كلهم ، فلا يجئ رجل من أفق من الآفاق إلا حدّث أنه قد سمعه][1] .

وفي نفس المصدر عن أبي هريرة قال : [يسمع في شهر رمضان صوتٌ من السماء ، وفي شوال همهمة ، وفي ذي القعدة تحزب فيه القبائل ، وفي ذي الحجة يسلب الحاج ، وفي المحرم الفرج] . إشارة إلى الفرج بالمهدي عليه السلام الذي يخرج في المحرَّم ..

وفي القول المختصر قال : [يقع قبل مبايعته بين الركن والمقام تجاذبٌ للقبائل في ذي القعدة ، ونهب الحاج بمنى][2] .

وعليه : تأتي مبايعة المهدي عليه السلام على أثر هذا الإضطراب والفراغ في السلطة فضلاً عن الإنقسام والتقاتل ، و يبايع في الكعبة دون أيِّ دمٍ يُهرق على الإطلاق ..

وهل يعني الصراع تبديد قوّة الفريقين المتصارعين إلى درجة أنَّهم لا يقوون على ممانعة بيعة الإمام المهدي عليه السلام ؟ يبدو أنَّ لازم هذهِ النصوص هو ذلك ، أو على الأقل وجود مانع ، منه إقبال الناس على المهدي عليه السلام وامتناعهم عن جماعات أهل القتال الحجازيين ، وهذا ما أشارت إليه بعض النصوص ، وأنّ ذلك يحصل من الناس بعد ذبح النفس الزكيّة .

---

[1] صـ٦٦

[2] القول المختصر : صـ٩ بـ١ حـ٤٦

وما يلفت الإنتباه أنَّ الأجواء الأمنيّة الضاغطة يكون أوّل أمرهِ مانعاً من استقرار الإمام أو إعلان ظهورهِ ، وهذا يشير إلى تنقُّل المهدي عليه السلام من المدينة إلى مكّة سرّاً . وهذا ما نعبِّر عنه بالظهور الخاص .

فإذا مضى عليه وقت وهو متستِّر بظهوره الخاص إلا عن أصحابهِ ، حانَ وقت إعلان الظهور العام . فقد أخرج أبو نعيم عن النبيِّ صلى الله عليه وآله انّه قال : [يخرج المهدي من المدينة إلى مكة ، فيستخرجه الناس من بينهم ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، وهو كاره][1] .

ذيل النص يؤكِّد وجود ظروف ضاغطة وشديدة . وفي رواية قتادة قال : [يُجاء إلى المهدي وهو في بيته ، والناس في فتنةٍ تهراق فيها الدماء فيقال له : قم علينا فيأبى ، حتى يخوف القتل ، فإذا خوف بالقتل قام عليهم فلا يهراق في سببه محجمة دم][2] .. النص يشير إلى الوضع الأمني والاضطراب المتفاقم ، وأنّه لا بدَّ من حاكمٍ ، خاصة أن السفياني يكون قد ظهر وسيطر في منطقة الشام بشكلٍ واسع ، وهو مصمِّم على اجتياح الحجاز ، وعليه : يكون التخويف بانكشاف أمرهِ ومجيئ جيش السفياني إلى مكة كما فسرته أحاديث أخرى ، لا أنَّ الذين يريدونه للبيعة يخوِّفونه بالقتل ، وبضميمةِ ما ورد في غيرها من الروايات يحتجُّ المهدي عليه السلام عليهم بجملةٍ من الإحتجاجات ثمَّ يقبل بيعتَهم ويخرج ..

وتكون البيعة قرب الكعبة بين الركن والمقام ، دون أيِّ سفكٍ للدماءِ . ففي رواية حذيفة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله - وذكر المهدي -

---

[1] ابن حماد : على ما في عرف السيوطي ، عرف السيوطي ، الحاوي : ج ٢ صـ ٧٦ عن فتن ابن حماد

[2] الداني : صـ ٩٥

فقال : [يُبايع المهدي بين الركن والمقام ، لا يوقظ نائماً ولا يهريق دماً][1] . إشارة إلى الهدوء الذي تتَّسم بهِ بيعة المهدي ﷺ دون خلافٍ أو صدامٍ أو اعتراضٍ وتهجُّم ، وذلك في البيت الحرام قرب الكعبة ..

فإذا بُويع أقام اللهُ به الدِّين وحفظ بهِ الشريعة وفتح له الجبهات ، وفي رواية حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ - في المهدي ﷺ - : [.. يبايع له الناس بين الركن والمقام ، يرد الله به الدين ، ويفتح له فتوح ، فلا يبقى على وجه الارض ، إلا من يقول : لا إله إلا الله][2] . وذلك بعد جولة واسعة من تحرير الأرض من الظلم والفساد والباطل والآثام والحرام ..

فإذا أُشيع ظهور المهدي ﷺ عمل أعداءُه على استحلال البيت ، فيستحلِّون حرمته ، وقد ورد في رواية أبي هريرة قال سمعتُ أبا قتادة وهو يطوف بالبيت فقال : قال رسول الله ﷺ : [يُبايَعُ لرجلٍ بين الركن والمقام ، وأول مَن يستحلُّ هذا البيت أهلُهُ ، فإذا استحلُّوه فلا تسأل عن هلكة العرب][3] .

هذا يعني أنَّ الجماعة القرشيّة تريد قتل المهدي ﷺ ، لكنَّها تفشل . ولا تفاصيل لدينا حول أجواء مكّة وظروفها ونوع أطرافها وعددهم وشبه ذلك ، لكنَّ الثابت أنَّ مكة تُطيع المهدي ﷺ ، ولا تكون فيها شوكة أو نفوذ

---

[1] ابن حماد : صـ ١٤

[2] فرائد فوائد الفكر : صـ ٩ بـ ٤ كما في عقد الدرر بتفاوت يسير ، عن ابن المنادي ، مرسلا عن حذيفة : وفيه * فقال سلمان : من أي ولدك هو ، قال : من ولد ابني هذا وضرب على الحسين * - ابن المنادي : على ما في فرائد فوائد الفكر . * : عقد الدرر : صـ ٢٢٢ بـ ٩ فـ ٣

[3] الطيالسي : صـ ٣١٣ ٣١٢ حـ ٢٣٧٣ هذا الجزء مؤيّد من طائفة من النصوص الأخرى .

لأعداء الله تعالى . يُضافُ إلى ذلك الطائفة الواسعة من النصوص التي تقول بأنَّ اللهَ تعالى يُهيِّئ أمر المهديِّ عليه السلام في ليلةٍ ، أي يثبِّت أمرهُ وينصره ويعزُّه . بل تكون مجموعة من الأحداث لصالحه .

وفي رواية كمال الدين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [المهدي منا أهل البيت ، يُصلِحُ اللهُ له أمره في ليلة] . وفي لفظ آخر : [يصلحه اللهُ في ليلة][1] . دلالةً على المدّة القصيرة جداً التي تتعزَّز فيها دولة المهدي عليه السلام .

وفي رواية الصادق عليه السلام قال لبعض أصحابه : كُن لِمَا لا ترجو أرجى منك لِمَا ترجو ، فإنَّ موسى ابن عمران عليه السلام خرج ليقتبس لأهله ناراً ، فرجع إليهم وهو رسول نبيٍّ ، فأصلح اللهُ تبارك وتعالى أمر عبده ونبيه موسى عليه السلام في ليلة ، وهكذا يفعل اللهُ تبارك وتعالى بالقائم الثاني عشر من أئمّة آل محمّد عليهم السلام يصلح أمره في ليلة كما أصلح أمر نبيه موسى عليه السلام ، ويخرجه من الحيرة والغيبة إلى نور الفرج والظهور[2] .. وهذا يعني سرعة تهيئة أسباب ظهورِهِ وتثبيته بوقتٍ قصيرٍ جداً .

وفي النصِّ عن علي بن الحسين عليه السلام قال : قال الحسين بن علي عليه السلام : [في التاسع مِن وُلدي سُنَّة من يوسف وسُنَّةٌ من موسى بن عمران عليهما السلام ، وهو قائمنا أهل البيت ، يُصلِحُ اللهُ تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة][3] .

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ١٥٢ ب ٦ ح ١٥ - ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ١٩٧ ح ١٩٤٩٠

[2] كمال الدين : ج ١ صـ ١٥٢ ب ٦ ح ١٥

[3] كمال الدين : ج ١ صـ ٣١٧ ب ٣ ح ١

وهناك طائفة من النصوص شديدة الوضوح في أنَّ الناس تشرب حبَّ المهدي (عليه السلام) . ثم هناك ما يشيرُ إلى أنَّ مدَّة حروب المهدي (عليه السلام) ثمانية أشهر . إلا أنّها ليست مطلقة ، كما أنّها ليست ناظرة لجميع حروبه . ففي رواية عيسى الخشاب قال قلت للحسين بن علي (عليه السلام) : أنت صاحبُ هذا الامر ؟ قال : [لا ، ولكن صاحبُ الأمر الطريد الشريد الموتور بأبيه ، المكنى بعمه ، يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر][1] . نؤكِّد انّ هذه الرواية ليست ناظرة إلى جميع الجهات ، وبالتالي ليست مستوعبةً لجميع مراحل ظهورهِ الشريف . إلا أن يثبت أنَّ جميع الجبهات بدءاً مِن السفياني وصولاً إلى يأجوج ومأجوج تكون في فترة ثمانية أشهر ، وهذا لا يبدو كذلك حسب النصوص التي بين أيدينا . فحكومة السفياني تبقى مدّة حمل ، يخرج بعدها أمم وجبهات مختلفة . مِن هنا يكون نص الثمانية اشهر ناظراً إلى أصل قيام أمرهِ (عليه السلام) ونهوض دولتهِ وشبه ذلك أو أولى حروبه (عليه السلام) . وليس ناظراً إلى نشر دولتهِ في جميع أنحاء المعمورة ..

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٣١٨ بـ ٣٠ حـ ٥

الرجال الأوائل الذين يحفُّون الخطى لبيعة المهدي عليه السلام

اتّفق الشُرَّاح على أنَّ ظهور المهدي عليه السلام يكون بعد يأسٍ قاتلٍ وفسادٍ جائر ، وتشكيك مشهور بالمهدي عليه السلام ، حتى يقول الناس هلك وفي أيّ وادٍ سلك ..

فإذا ظهرت الآيات في السماء ، ولحقت بها بيِّناتٌ في الأرض ، لَوَت الناسُ أعناقها نحو حقيقة المهدي عليه السلام . ولم يكن لهم حديث إلا فيه .. وعند ظهوره الشريف يكون أصحابه الخواص أوَّل مَن يبايعه ، وهم ٣١٣ رجلاً ، تكون بيعتهم له بين الركن والمقام .

وفي رواية عبد الله بن عباس قال : [يبعث الله المهدي عليه السلام بعد أياس ، وحتى يقول الناس لا مهدي . وأنصاره من أهل الشام .. عدة أصحاب بدر ، يسيرون إليه من الشام (بعض أصحابِهِ من الشام ، والإشارة هنا للتغليب ليس أكثر) حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا ، فيبايعونه كرهاً (ثمَّ تكون البيعة العامّة بين الركن والمقام) ، فيصلي بهم ركعتين ، صلاة المسافر عند المقام ، ثم يصعد المنبر][1] ..

---

[1] ابن حماد : ٩٤ على ما في عقد الدرر . * : عقد الدرر : صـ ١٢٣ بـ ٥ ملاحم ابن طاووس : صـ ٦٣ بـ ١٢٦ عن فتن ابن حماد ،

ومع أنَّ الحديث فيه بعض الإضطراب بمتنه ، إلا انّه وافٍ في الإشارةِ إلى أصل الحقيقة ، من الأنصار والمبايعة ، والخروج بعد يئسٍ وانحرافٍ في العالم .

ولأصحابِ المهديِّ عليه السلام خصوصيّةٌ لافتة ، فمنهم أهلُ الكهف ، ومنهم الياس والخضر عليهما السلام ، ومنهم الأبدال والنجباء والعصائب . وفي رواية ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [أصحاب الكهف أعوانُ المهدي][1] . وكذا وردت النصوص في الخضر والياس عليهما السلام والعصائب والأبدال والنجباء وهي كثيرة .

وفي رواية تشير إلى طبيعة الظرف والمناخ المضطرب والفتن التي تجوب تلك المنطقة من العالم وكيف يطلب أنصار المهدي عليه السلام البيعة من المهدي عليه السلام يقول عبد الله بن مسعود : [.. إذا انقطعت التجارات والطرق ، وكثرت الفتن ، خرج سبعة رجال علماء مِن أفقٍ شتَّى على غير ميعاد ، يبايع لكلِّ رجلٍ منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، حتى يجتمعوا بمكة ، فيلتقي السبعةُ فيقول بعضهم لبعض : ما جاءَ بكم ؟ فيقولون : جئنا في طلب هذا الرجل (المهدي) الذي ينبغي أن تهدأ على يديه هذه الفِتَن (إشارة إلى علاماتٍ برزت في الأرض والسماء تدلُّ على تحقّق ظهوره الخاص) ، وتُفتَحُ له القسطنطينية (إشارة إلى عاصمة قرار روميَّة) قد عرفناهُ باسمه واسم أبيه وأمه وحليته ، فيتفق السبعة على ذلك . فيطلبونه فيصيبونه بمكة : فيقولون له : أنت فلان بن فلان ، فيقول لا ، بل أنا رجل من الانصار ، حتى يفلت منهم . فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به (إشارة إلى شياع مبدأ

---

[1] ابن مردويه ، في تفسيره : على ما في الدر المنثور . * : ابن الجوزي ، في تاريخه : على ما في العطر الوردي . * : الدر المنثور : ج ٤ صـ ٢١٥

ظهورِهِ (عليه السلام) ودلالة العلامات على ذلك) فيُقال : هو صاحبكم الذي تطلبونه ، وقد لحق بالمدينة (معرفة هؤلاءِ بهِ انّه ترك مكّة إلى المدينة دليل على معرفتِهم بظهورِهِ ولو من خلال العلامات والتشخيص) فيطلبونه بالمدينة ، فيخالفهم إلى مكة ، فيطلبونه بمكة فيصيبونه فيقولون : أنت فلان بن فلان وأمك فلانة بنت فلان وفيك آية كذا وكذا ، وقد أفلت منَّا مرة فمدَّ يدك نبايعك ، فيقول : لست بصاحبكم ، أنا فلان بن فلان الانصاري (هذا يدل على أزمةٍ تمنع عليه التصريح ، لذلك كان يتنقَّل سرّاً بين المدينة ومكّة لحفظ أمره) ثم يقول لهم : مرُّوا بنا أدلّكم على صاحبكم حتى يفلت منهم ، فيطلبونه بالمدينة ، فيخالفهم إلى مكة فيصيبونه بمكة عند الركن فيقولون : إثمنا عليك ، ودماؤنا في عنقك إنْ لم تمد يدك نبايعك (إشارة إلى الخطر الداهم من قبل السفياني) ، هذا عسكر السفياني قد توجَّهَ في طلبنا ، عليهم رجل مِن جرم . فيجلس (عليه السلام) بين الركن والمقام فيمد يده فيبايع له ، ويلقي اللهُ محبَّتَهُ في صدور الناس ، فيسير مع قومٍ أسد بالنهار ، رهبان بالليل][1] .

يهمُّني جدّاً ما ورد في ذيل النص مِن أنَّ الله يُلقي محبَّته في صدور الناس .. إنّه إشارة إلى ظاهرة إقبال الناس عليه . من هنا ورد أنَّ بيعته في مكَّة تقع بسلام وهدوء لا توقظ نائماً ولا تهرق دماً .

وفي نفس المصدر عن عبد الله بن مسعود قال : [..[2] ويقذف اللهُ محبَّتَهُ في صدور الناس ، فيسير بهم وقد توجه إلى الذين بايعوا خيل

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٥

[2] يبايع المهديُّ (عليه السلام) سبعةُ رجالٍ علماء توجَّهوا إلى مكة من أفق شتى على غير ميعاد ، قد بايع لكل رجل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فيجتمعون بمكة فيبايعونه ..

السفياني ، عليهم رجل من جرم ، فإذا خرج من مكة خلف أصحابه ومشى في إزار ورداء ، حتى يأتي الجرمي ، فيبايع له فيندمه كلب على بيعته فيأتيه فيستقيله البيعة .. (أي يبعث إليه بالردة عليه والإنقلاب) ، ثم يعبِّئ جيوشه لقتاله فيهزمه ويهزم اللهُ على يديه الروم ، ويُذهِبُ اللهُ على يديه الفتن ، وينزل الشام][1] ..

وظيفة النص تأكيد طابع قيام دولة المهدي عليه السلام بسرعة ، ثم يشير إلى بعض الأحداث التي تقع ، والتي منها قتاله السفياني والروم وغيرهم ..

وفي رواية تشير إلى الأمور المعقدَّة والظروف المضطربة التي تصيب هذه المنطقة ، يقول يوسف بن ذي قربات : [يكون خليفةٌ بالشام (حاكم) يغزو المدينة ، فإذا بلغ أهل المدينة خروجُ الجيش إليهم خرجَ سبعةُ نفر منهم إلى مكة فاستخفُّوا بها ، فكتب صاحبُ المدينة إلى صاحب مكة : إذا قدم عليك فلان وفلان ، يسمِّيهم بأسمائهم ، فاقتلهم ، فيعظم ذلك صاحب مكة ، ثم يتوامرون (يتآمرون) بينهم ، فيأتونه ليلاً ، ويستجيرون به ، فيقول : أخرجوا آمنين فيخرجون ، ثم يبعث إلى رجلين منهم فيُقتَل أحدهما والآخر ينظر ، ثم يرجع إلى أصحابه ، فيخرجون حتى ينزلوا جبلاً من جبال الطائف ، فيقيمون فيه ، ويبعثون إلى الناس فينساب إليهم ناسٌ ، فإذا كان ذلك غزاهم أهل مكة فيهزمونهم ، ويدخلون مكة فيقتلون أميرها ويكونون بها ، حتى إذا خسف بالجيش استعد أمره وخرج][2] .

---

[1] صـ ٩٧ بنفس السند ،

[2] صـ ٨٩

أقول إذا صحَّت هذهِ الرواية تكون حلقة الوصل بين سلسلة حوادث لا بدَّ لها من رابطٍ . وهي - بصورةٍ عامّة - تشير إلى نفوذ السفياني في ارض الحجاز وإصرارهِ على قتل المهدي (عليه السلام) ، وتزيد على مكَّة والمدينة بالطائف في مواقع تنقُّله (عليه السلام) ..

نعم يظهر من رواية إبن حماد أنَّ جند السفياني يدخل مكَّة ، وهذا غير صحيح وتردُّه الروايات الكثيرة ، إلا أن يُراد منه بعض الجند يدخلونها قبل ظهوره (عليه السلام) . فقد ورد في روايته : [يبعث السفياني جيشاً إلى مكَّة ، فيأمر بقتل مَن كان فيها مِن بني هاشم ، فيقتلون ويتفرَّقُون هاربين إلى البراري والجبال حتى يظهر أمر المهدي (عليه السلام) بمكة فإذا ظهر اجتمع كلُّ مَن شذَّ منهم إليه بمكة][1] . ومع ضعف السند يمكن ردّ متنه بأنَّ ما ورد بلفظهِ هنا وارد في دخول جيش السفياني إلى المدينة وفعله هناك .

والمتفق عليه نَصَّاً أنَّ مكَّة لا يدخلها السفياني ، ويقع الخسف بجندهِ الذي يتوجَّه من المدينة لغزو مكّة بهدف قتل المهدي (عليه السلام) ..

وفي الخلاصة : يكون للسفياني حضور كبير في الحجاز في ظلِّ اضطراب وانقسام وضعف واضح في سلطة الحجاز .

ومع الخسف بجيش السفياني تبدأ أولى معالم جبهة الإمام المهدي (عليه السلام) التي تتوجَّه نحو الخارج والتي تصل إلى الشام وتصطدم بجيش السفياني وتهزمُهُ وتقتل السفياني نفسه ..

---

[1] لوائح السفاريني : ج ٢ صـ ١١ عن رواية ابن حماد الاولى بتفاوت

أبدال الشام

الأبدال مِن أصحاب المهدي عليه السلام ، وهم فئة خاصَّة من رفيعي الإيمان واليقين . لهم حضور خاص زمن الغيبة في الشام ، بمنطقة لبنان ، تعبِّر النصوص عنهم بأبدال الشام . وفي رواية معاذ بن جبل قال : [ثلاث من كُنَّ فيه فهو من الابدال الذين بهم قوام الدنيا وأهلها : الرضا بالقضاء ، والصبر عن محارم الله ، والغضب في ذات الله عزَّ وجل][1] . وفي رواية عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وآله قال : [الابدال .. مثل إبراهيم خليل الرحمن عزَّ وجل . كلما مات رجل أبدل اللهُ تبارك وتعالى مكانه رجلاً][2] . أي أنَّ الله تعالى يحافظ على عددِهم إلى قيام يوم القائم عليه السلام . كلما مات أحدهم حلَّ غيرهُ محلَّه . وفي النصوص أنَّ المهدي عليه السلام يبايعُهُ أبدال الشام ونجباء مصر وعصائب العراق .

ولدينا طائفة أكثر عدداً ومرويَّة عند الطرفين تؤكِّد أنَّ عدد الأبدال يكون أربعين . وتحديد عدد الأبدال بأربعين رجلاً يكاد يكون موضع اتفاق روايات الفريقين . ما خلا روايات قليلة أشارت إلى أنَّ عددهم ثلاثون . وسنتحدّث عن الأبدال والعصائب والنجباء بفصلٍ مستقل إن شاء الله تعالى .

---

[1] الفردوس : ج ٢ ص ٨٤ ح ٢٤٥٧

[2] أحمد : ج ٥ ص ٣٢٢

النفس الزكية وأحداث ما قبل الإعلان العام عن الظهور

النَّفسُ الزكيّة صفةٌ لشخصٍ عظيم الشأن زمن ظهور المهدي (عليه السلام) ، اسمه على إسم المهدي (عليه السلام) ، يكون رسولَ المهدي (عليه السلام) إلى أهل مكّة ، فيذبحونه بين الركن والمقام . ويكون صاحب النَّفسُ الزكيّة بصبحة المهدي (عليه السلام) في الظهور الخاص ، ويُقتَلُ رضوان اللهِ عليه قبل الإعلان العام عن ظهور المهدي (عليه السلام) .

وفي رواية عمار بن ياسر قال : [إنَّ المهدي لا يخرج حتى تُقتَل النفس الزكية ، فإذا قُتلت النفسُ الزكيَّة غضب عليهم مَن في السماء ومَن في الارض ، فأتى الناسُ المهديَّ (عليه السلام) فزفُّوه كما تُزفُّ العروسُ إلى زوجها ليلةَ عرسها ، وهو يملأ الارضَ قسطاً وعدلاً ، وتخرِجُ الارض نباتها ، وتمطر المساءُ مطرها ، وتنعم أمتي في ولايته نعمة لم تنعمها قط][1] ..

ويبدو واضحاً أنَّ الناس تغضب لقتل النفس الزكيّة ، وهذا يعني تحوُّلاً سريعاً في الرأي العام في تلك اللحظة التاريخيّة . فإذا ظهر المهدي (عليه السلام) بايعه الناسُ في مكّة بهدوءٍ وسلامٍ دون أن يهرق محجبة دمٍ أبداً .

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٣

وفي رواية ابن حماد الأخرى عن عمار بن ياسر قال : [إذا قُتل النفس الزكية وأخوه يقتل بمكة ضيعة ، نادى منادٍ من السماء : إن أميركم فلان ، وذلك المهدي الذي يملأ الارض حقاً وعدلا][1] .. إشارة إلى الظهور العلني للمهدي عليه السلام .

ويكون مقتل النفس الزكيّة ضمن سلسلة الأحداث الدامية والفتن العارمة التي تجتاح الحجاز والتي يكون آخرها ملحمة المدينة على يد السفياني . وفي رواية كعب قال : [تُستباح المدينة حينئذ ، وتُقتل النفس الزكية][2] .

وكذا ورد في رواية ابن مسعود قال : [يبعث جيش إلى المدينة .. وتُقتل النفس الزكية ..][3] .

ولا بدَّ من حمل الذيل على حدث مكَّة لا المدينة لكثرة النصوص الدالَّة عليه ، أي يكون قتل النفس الزكيَّة في مكَّة لا المدينة ، وأنّه يكون قبل ظهور المهدي عليه السلام الظهور العام بأيّام . وعليه : النص في مقام بيان الأحداث وتعاقبها . على أنّه ورد وصف النفس الزكيّة على أكثر من شخصيّة مهمّة ، لكنَّ النفس الزكيّة التي تحتل المقام العظيم هي للمذبوح بين الركن والمقام مبعوثاً من المهدي عليه السلام إلى أهل مكّة قبل أيام من إعلان ظهوره العام .. مع ملاحظة أنَّ جيش السفياني الذي يعيثُ فساداً في المدينة يعجز عن دخول مكَّة فيُخسف به .

---

[1] : صـ ٩٣

[2] ابن حماد : صـ ٨٨

[3] ابن حماد : صـ ٨٨

على أنّ التطوُّرات في كلٍّ من العراق والشام والحجاز تشكِّل جزءاً رئيسيّاً من أحداث الظهور وما يؤول إليه الأمر من ذبح النفس الزكيّة ثم إعلان الظهور العام . بل إنّ أصل بعثة الجيش السفياني إلى المدينة إنّما هو لقتل المهدي عليه السلام الذي يُعلم ظهوره الخاص فيها .

وفي سياق تلك العمليّة التي تبدو معها منطقة العراق - الشام والحجاز مضطربةً ، وتحت وطأة الغزو والحرب عصر الظهور روى حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله - وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب - فقال : [.. فبينما هم كذلك ، إذ خرج عليهم السفياني مِن الوادي اليابس[1] في فوره ذلك ، حتى ينزل دمشق ، فيبعث جيشين : جيشاً إلى المشرق ، وجيشاً إلى المدينة ، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة ، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف (إشارة للتقريب) ويبقرون بها أكثر من مائة إمرأة (إشارة أخرى) ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس .

ثم ينحدرون إلى الكوفة ، فيخرِّبون ما حولها ، ثم يخرجون متوجِّهين إلى الشام ، فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين ، فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم . ويحلُّ جيشه التالي (أي جيش السفياني) بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها ، ثم يخرجون متوجِّهين إلى مكة ، حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرئيل فيقول : يا جبرئيل اذهب فأبدهم ، فيضربها برجله ضربةً يخسف اللهُ بهم ، فذلك قوله في سورة سبأ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ

---

[1] على الحدود السوريّة الأردنية ، منطقة الدرعا .

فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ، وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ولا ينفلت منهم إلا رجلان ، أحدهما بشير والآخر نذير ، وهما من جهينة ، فلذلك جاء القول : وعند جهينة الخبر اليقين][1] .

يركِّز النص على وطأة جيش السفياني على العراق والحجاز في ظل هشاشة كبيرة محكمة على الحجاز ، وأزمة متفاقمة في العراق . والغاية الرئيسيّة في لائحة السفياني تكمن في قتل المهدي عليه السلام الذي يأمر جيشه الذي أنهك المدينة قتلاً أن يتبعه نحو مكّة .

على انَّ أحداث الشرق تكون أكثر التهاباً وتأثيراً على السفياني الذي يذوق الويلات في معركة اصطخر الإيرانيّة ، ففي رواية الداني عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله - في حديث طويل - : [.. خرج السفياني في ستين وثلاث مائة راكب ، حتى يأتي دمشق ، فلا يأتي عليه شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً (إشارة رمزيَّة تدلُّ على الكثرة الخاصة) فيبعث جيشاً إلى العراق ، فيقتل بالزوراء (بغداد) مائة ألف (إشارة إلى هول المذابح التي يقترفها جيش السفياني) وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها ، فعند ذلك يخرج دابة (أي ما يدبُّ على الأرض) من المشرق ، يقودها رجلٌ من بني تميم ، يُقال له شعيب بن صالح ، فيستنقذ ما في أيديهم من سبي أهل الكوفة ويقتلهم . ويخرج جيشٌ آخر من جيوش السفياني إلى المدينة ، فينهبونها ثلاثة أيام ، ثم يسيرون إلى مكة ، فيقول : يا جبرئيل عذبهم ، فيضربهم برجله . فلا يبقى منهم إلا رجلان ، فيقدمان على السفياني

---

[1] تفسير الطبري : ج ٢٢ صـ ٧٢ - تذكرة القرطبي : ج ٢ صـ ٦٩٣ عن حذيفة .. عقد الدرر : صـ ٧٤ بـ ٤ فـ ٢

فيخبرانه خسف الجيش ..][1] . وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ، وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ قال ابن عباس : [نزلت في خسف البيداء ، وذلك أنَّ ثمانين ألفاً يغزون الكعبة ليخرِّبوها ، فإذا دخلوا البيداء خسف بهم][2] .

وفي حديث حذيفة يذكر نزول جيش السفياني بابل (بغداد) وما يصير إليه أمر جيش الكوفة وجيش المدينة .. وهذا يدلُّ على نفوذ متزايد للسفياني ، في حين يشير بطرفه الآخر إلى قدرة أهل المشرق على التأثير بهذه الجبهة رغم خروجهم من بيت المقدس وخوضهم معارك جبارة مع بعض العرب والروم والترك بالإضافة إلى السفياني ، وتشكِّل معركتهم مع السفياني في اصطخر ضربةً هائلة لجيش السفياني الذين يتبعون قول جيشه إلى العراق .

وقبل هذا الحدث تقع المنطقة في فخ التصادم والحرب والفتن المتطايرة ، وربّما يختصر هذا المعنى قول المنادي على سور دمشق : ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب . إشارةً إلى فوضى العنف والحروب في هذه المنطقة ، وهو خلاف يكون على نحوٍ معولم ، وحضور رئيسي للدول الكبرى التي توظِّف أتباعها لخوض صراعٍ يكون بإسمها ودعمها وصولاً إلى دخولها على خطّ الصدام مباشرةً .. وفي رواية كعب الاحبار - غير المسندة إلى النبي ﷺ - : [لا بدَّ من نزول عيسى عليه السلام إلى الارض ، ولا بد أن يظهر بين يديه علامات وفتن . فأوَّل ما يخرج ويغلب على البلاد

---

[1] تفسير الطبري : ج ٢٢ صـ ٧٢ - تذكرة القرطبي : ج ٢ صـ ٦٩٣ عن حذيفة .. عقد الدرر : صـ ٧٤ بـ ٤ فـ ٢

[2] الكشاف : ج ٣ صـ ٤٦٨ ٤٦٧

الأصهب ، يخرج مِن بلاد الجزيرة ، ثم يخرج مِن بعده الجرهمي من الشام ، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن .. وإذ قد خرج السفياني من دمشق ، وقيل : إنه يخرج من وادٍ بأرض الشام (ومعه أخواله من بني كلب) واسمه معاوية بن عتبة (إشارة لتأكيد نسبه إلى أبي سفيان الأموي) .. يحسبه من يراه يقول أعور ، ويُظهِر الزهد (على نحوٍ خادِعٍ) فإذا اشتدت شكوته محا الله الايمان من قلبه (أي أظهر الكفر الذي في قلبِهِ) وسفك الدماء ، ويعطِّل الجمعة والجماعة ، ويكثُر في زمانه الكفر والفسق في كلِّ البلاد ، حتى يفجر الفساق ، ويكثر القتل في الدنيا ، فعند ذلك يجتمعون أهل مكة إلى السفياني ، يخوفونّه عقوبة الله عزَّ وجل ، فيأمر بقتلهم وقتل العلماء والزهّاد في جميع الآفاق ، عند ذلك يجتمعون إلى رجل مِن قريش له اتصال برسول الله ﷺ لهلاك السفياني ، ويتَّصِل بمكة ويكونون على عدد أهل بدر ، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، ثم تجتمع إليه المؤمنون ، وينكسف القمر ثلاث ليالي متواليات ، ثم يظهر المهدي عليه السلام بمكة فيبلغ خبره إلى السفياني فيجيِّش إليه ثلاثين ألفاً وينزلون بالبيداء ، فإذا استقروا خسف اللهُ بهم ، وتأخذهم الارض إلى أعناقهم ، حتى لا يفلت منهم إلا رجلان يمران .. فذلك قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾][1]

والمحصَّل من هذا النص أمور هي التالية :

- إضطراب زاحف بين الكيانات يعبِّر عنه خروج الأصهب (عسكريَّاً) الذي يغلب على البلاد وهو الذي يخرج من بلاد الجزيرة (العراق) ،

---

[1] قصص الانبياء : محمد بن عبيد الكسائي : على ما في عقد الدرر . * : عقد الدرر : صـ ٧٩ بـ ٤ فـ ٢ * فقط أحب أن الفت إلى أنَّ كعب الأحبار يحب أن يتستّر شيئاً ما على ذكر المهدي عليه السلام ، وأخبار كعب الأخبار عندنا نأخذها بحذر ، وضمن معايير القبول والرفض للمتن كلِّه أو بعضه .

ثم خروج الجرهمي (عسكرياً) بعده مِن الشام ، ثم خروج القحطاني من بلاد اليمن .. وهذا يعني أنَّ الجزيرة والشام واليمن ضمن دائرة التطورات الكبيرة ، في هذهِ المناطق بالإضافة إلى الحجاز ومصر والشرق ..

- فإذا خرج السفياني غلب الأصهب والأبقع ، الأبقع يأتي من مصر ..!
- وإذا أضفنا إلى ذلك الخلل والإنقسام الهائل في الحجاز . وتجهُّز الجيوش العالميَّة ، خاصّة جيوش الترك والروم ، فإنَّ هذا يعني أزمةً على نحوٍ واسعٍ من العالم ، لكنَّها منصبّة بشكلٍ رئيسيٍّ في هذهِ المنطقة ، خاصّةً إذا أخذنا بعين الإعتبار انَّ خلافاً مركزياً يقع بسبب مال ينكشف عنه الفرات تتقاتل عليهِ الرايات بما فيها راية الترك والروم والسفياني ..

وبسبب هذهِ الإنتصارات يحاول السفياني بسط سيطرته على الحجاز ، وهذا أمر يبدو من أولويّات السفياني الذي يبعث جيشه إلى الحجاز بمجرَّد سماعهِ بظهور المهدي عليه السلام الظهور الخاص في المدينة ، وفعلاً يدخل جيشُهُ المدينة فيرتكب فيها مذبحة هائلة بحقّ أتباع آل البيت عليهم السلام والهاشميين ولا ينجو منهم إلا من شرد في البوادي أو الجبال أو قصد مكّة ..

وفي رواية عبيد الله بن القبطية قال : دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان على أم سلمة وأنا معها فسألاها عن الجيش الذي يُخسف به (جيش السفياني الذي يهاجم مكَّة) وذلك في زمان ابن الزبير فقالت : [قال رسول الله صلى الله عليه وآله : .. ويعوذ عائذٌ بالبيت فيبعث إليه بعث ، فإذا كان ببيداء من الأرض يُخسف بهم ، فقلنا : يا رسول الله ، كيف بمن كان

كارهاً ؟ (أي المجبور من الجندِ ..؟) قال ﷺ : يُخسف به معهم ، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته][1] .

وكذا في رواية جامع الأصول[2] ثم قال : وفي رواية عبد العزيز بن رفيع قال : فلقيت أبا جعفر .. إنها إنما قالت : ببيداء من الارض ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : كلا والله ، إنها لبيداء المدينة .

وفي رواية أبي زرعة عن محمد بن علي قال : [سيكون عائذ بمكة يُبعث إليه سبعون ألفاً عليهم رجل من قيس ، حتى إذا بلغوا الثنية دخل آخرهم ولم يخرج منهم أولهم نادى جبرئيل : بيداء يا بيداء يا بيداء ، يسمع مشارقها ومغاربها ، خذيهم فلا خير فيهم ، فلا يظهر على هلاكهم إلا راعي غنم في الجبل ينظر إليهم حين ساخوا فيخبر بهم فإذا سمع العائذ بهم خرج][3] .

هذه النصوص تركِّز على حدث تاريخي يكون قبل الإعلان العام عن الظهور المبارك . أعني بذلك حدث الخسف في البيداء .

ويبدو من طرف النصوصِ أنَّ جيش السفياني يُبعثُ إلى الحجاز وليس مع المهدي عليه السلام إلا القليل ، وهذا ما يفسِّر دخول السفياني المدنية وارتكاب المذابح فيها دون نكير ، ومحاولتِهِ دخول مكَّة ، إلى أن يقع الخسف ، كما هذا يفسِّر ما ورد في النصوص من أنَّ المهدي عليه السلام منصور بالرعب وغير ذلك ، أي تُطوَّع له قوانين الكون . ففي رواية عبد الله بن

---

[1] ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ٤٤ ٤٣ ح ١٩٠٦٦

[2] [جامع الاصول : ج ١٠ صـ ١٧٨ بـ ٨ حـ ٦٨٧٤ عن مسلم ، والترمذي] .

[3] ابن حماد : صـ ٩٠

صفوان عن أم المؤمنين أنَّ رسول الله ﷺ قال : [سيعوذ بهذا البيت - يعني الكعبة - قومٌ ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة (إشارة إلى المهدي وأصحابه) يُبعث إليهم جيشٌ ، حتى إذا كانوا ببيداء من الارض خسف بهم][1] .

والملفت للنظر أنَّ أكثر من نص أشار إلى أنَّ الجيش الذي يشكِّله السفياني ويبعثه إلى الحجاز يكون فيهِ الشريد والغريب والمُجبر وشبه ذلك وهذا يعني إعلان حالة طوارئ ، وتعبئة عامّة وسطو وقهر ، مع طبول الحرب ، وإلزام المواطنين في كُوَر السفياني على الإلتحاق بجيش السفياني ، وإلا ما كان مِن مناسبة للإشارةِ إلى المُجبر والمُكرَه وغير ذلك . ففي رواية عائشة قالت : فقال ﷺ : [.. العجب أنَّ أناساً من أمتي يؤمُّون بالبيت برجلٍ مِن قريش قد لجأ بالبيت (المهدي) حتى إذا كانوا بالبيداء خُسِفَ بهم . فقلنا : يا رسول الله ، إنَّ الطريق قد يجمع الناس ، قال ﷺ : نعم ، فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل ، يهلكون مهلكاً واحداً ، ويصدرون مصادِرَ شتَّى ، يبعثهم اللهُ على نياتهم][2] . وفي رواية أخرى قال ﷺ : . [فيهم المنتفر (أي المختار بنفسه النفر) والمجبور والمُكرَهُ][3] . وهذا يعني ذروة الصراع العسكري الذي يلجأ إليه السفياني في هذهِ الفترة إلى التجنيد ، وإعداد القوّة ، خاصةً انّه يبعث بجيشين : واحد إلى العراق ، والثاني إلى الحجاز ، في حين يبقى بين يديهِ جيشٌ في الشام ، وقبله يخوض حرباً في الشام ، وواحدة في مصر ، وواحدة في فلسطين ،

---

[1] مسلم : ج ٤ صـ ٢٢١٠ بـ ٥٢ حـ ٧

[2] مسلم : ج ٤ صـ ٢٢١٠ بـ ٥٢ حـ ٢٨٨٤

[3] مسلم : ج ٤ صـ ٢٢١٠ بـ ٥٢ حـ ٢٨٨٤

وأُخَر هنا وهناك ..! ومع قتل جيشه في منطقة اصطخر الإيرانيّة على يد شعيب بن صالح وما يتبعه في العراق على يد أهل المشرق الذين ينصرون أتباع آل محمَّد في الكوفة ، والخسف بجيشه في الحجاز تنزل بالسفياني الضربة الأعنف . فيكون هذا من باب الخلل الكبير في ميزان قوّة السفياني الشاميّة .

نعم رواية حفصة بنت عمر بن الخطاب تصف الجيش الذي يُخسف بهِ ، بأنَّه يأتي من المغرب[1] ، في حين المرويَّات الأخرى تصفُهُ بأنَّه يأتي مِن المشرق[2] ، ولعلَّ ما ورد في لسان حفصة ناظر إلى السفياني ومساعدة أهل المغرب . ومعلوم بشكلٍ مطلق أنَّ الجيش الذي يُخسفُ به هو جيش السفياني الذي يظهر في الشام ، أما مِن أين يبعث جيشه إلى الحجاز ؟ مِن الشام أم مِن العراق ، يبدو من طائفة أنّه يبعثه مِن العراق ، ومِن لحن طائفة أخرى أنّه يبعثه من الشام ، والجمع ممكن ، والأوَّل أظهر ، على أن يضمّ إليه جنداً من الشام . وبالإجمال : لا يهمّ هل يبعثه مباشرةً من الشام أم من العراق كما في روايةٍ لأمِّ سلمة تشير إلى انّه يبعثه من العراق[3] .

النصوص مطبقة على أنّ السفياني هو الذي يبعث جيشه إلى المدينة ، ثم يأمره بالمسير نحو مكَّة فيقع به الخسف . وفي رواية سعيد بن الاسود عن ذي قربات قال : [.. فإذا بلغ السفياني الذي بمصر بعث جيشاً

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٠ أحمد : جـ ٦ صـ ٢٨٧

[2] الطبراني ، الاوسط : على ما في مجمع الزوائد ، وعرف السيوطي . مجمع الزوائد : جـ ٧ صـ ٣١٥ كما في أحمد بتفاوت ، عن الطبراني في الاوسط .

[3] البزار : على ما في كشف الهيثمي ، وعرف السيوطي . * : أبو يعلى : على ما في مجمع الزوائد . * : كشف الهيثمي : جـ ٤ صـ ١١٥ حـ ٣٣٢٨ مجمع الزوائد : جـ ٧ صـ ٣١٦

إلى الذي بمكة ، فيخربون المدينة أشد من الحرة ، حتى إذا بلغوا البيداء خسف بهم][1] .

وهذا بدورِهِ يدلُّ على انتشارٍ كبير للسفياني . ويكون للسفياني وجود عسكري في كلٍّ من الشام والعراق والحجاز وغيرها .

والثابت أنَّ السفياني هو صاحب البعث إلى الحجاز ، لكنّه لا يقودُهُ ، بل يبعث على رأسِهِ رجلاً يسمِّيه ، في حين هو يتابع التنسيق بين جيوشِهِ في الشام والحجاز والعراق ويعمل على توطيد قوّتِهِ في هذهِ المنطقة .

ولقد كانت أحاديث الخسفِ بالجيش الذي يقصد مكَّة عصر الظهور من الأحاديث المعروفة المشهورة على لسان المسلمين ، ورواها البعض علامةً على ظهور المهدي عليه السلام ، ففي رواية عبد الله بن عمرو قال : [علامة خروج المهدي خسفٌ يكون بالبيداء بجيش ، هو علامة خروجه][2] .

وفي رواية بقيرة - امرأة القعقاع بن أبي حدرد الاسلمي - قالت : إني لجالسة في صفّة النساء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر يقول : [يا هؤلاء ، إذا سمعتم بجيشٍ قد خسف به قريباً ، فقد أظلت الساعة (أي ساعة الظهور وما يتبعه وصولاً إلى القيامة)][3] .

وفي تعبيرٍ يكشف هويَّة الصراع ، وتخالط الجيوش ، وإصرار السفياني على إجهاض حركة المهدي عليه السلام تقول أم سلمة : قال رسول

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٠

[2] ابن حماد : صـ ٨٩

[3] الحميدي : جـ ١ صـ ١٧٠ حـ ٣٥١

الله ﷺ : [يسير ملكُ المغرب إلى ملك المشرق فيقتله ، فيبعث جيشاً إلى المدينة فيُخسَفُ بهم ، ثم يبعث جيشاً فيسبي ناساً من أهل المدينة ، فيعوذ عائذٌ في الحرم ، فيجتمع الناس إليه كالطير الواردة المتفرِّقة حتى يجتمع إليه ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً (قالت النصوص ٣١٣ والترداد هذا قد يكون من الراوي والوسائط) فيهم نسوة ، فيظهر على كل جبار وابن جبار ، ويظهر من العدل ما يتمنى له الاحياء أمواتهم ..][1] .

وفي نصٍّ أكثر تفصيلاً ، يشيرُ إلى ما قبل مرحلة الخسف بالجيش ، فيؤكِّد على رجوع زعامات المناطق إلى السفياني ، وهذا دليل إضافيٌّ على زوال الحكومة المركزيَّة للحجاز ، وتفاقم الخلاف وانقسام القوم إلى معسكرين ، وبروز مَن يدعو إلى آل محمَّد . ففي رواية ابن عباس قال : [سيكون خليفةٌ من بني هاشم بالمدينة ، فيخرج ناسٌ منهم إلى مكة ، فإذا قدموها أرسل إليهم صاحبُ مكة ما جاء بكم ؟ أعندنا تظنوا (كذا) أن تجدوا الفرجَ ! (واضح انَّ هؤلاء كانوا يسألون عن المهديِّ عليه السلام وظهورِه في مكّة إستناداً إلى العلامات الدالّة عليه ، من هنا جاء تعبير « تظنون أن تجدوا الفرج » كما هو مناسب لبروز دور هاشمي في هذه الفترة الحساسة قبل ظهورِه عليه السلام) ، فيراجعه (أي يراجع حاكم مكَّة) رجلٌ من بني هاشم فيغلظ عليه ، فيغضب صاحب مكَّة فيأمر به فيُقتل . فإذا كان من الغد جاءه رجلٌ منهم قد اشتمل بثوبه على سيفه فيقول : مَن حملك على قتل صاحبنا ؟ فيقول (حاكم مكَّة) : أغضبني ، فيقول : إشهدوا يا معشر

---

[1] الطبراني ، الاوسط : على ما في مجمع الزوائد . * : مجمع الزوائد : ج ٧ صـ ٣١٥ عرف السيوطي ، الحاوي : ج ٢ صـ ٦١ كما في مجمع الزوائد ، عن الطبراني في الاوسط ، وفيه " يسير ملك المشرق إلى ملك المغرب .

المسلمين أنه إنما قتله لأنه أغضبه فيخترط سيفه فيضربه به . ثم ينحازون نحو الطائف ، فيقول أهلُ مكة : واللهِ لـئِن تركنـا هـؤلاءِ حتـى يبلـغ خبـرهم الخليفة (إشارة إلى السفياني) لَيُهلكنا ، قال : فيسيرون إلـيهم ، فيناشـدهم الهاشميون : اللهَ اللهَ في دمائنا ودمائكم . قد علمتم أنه قُتِلَ صاحِبُنَا ظلماً . فلا يرجعون عنهم حتى يقاتلونهم (كـذا) فيهزمـوهم ، ويسـتولون علـى مكـة (إشارة إلى نفوذٍ مؤيِّد للهاشميين على منطقة الطائف ومكَّة بعد هذا القتال) ويبلغ صاحب المدينة أمرهم ، فيقولون : واللهِ لَئِن تركنا لَنَلقينَّ مِـن الخليفـة (السفياني) بلاءً ، فيبعث إليهم صـاحب المدينـة جيشـاً فيهزمـونهم ، فـإذا بعث الخليفة (السفياني) إليهم بعثاً فهم الـذين يُبَـاد بهـم][1] . أي هـو ذلـك الجيش الذي يُخشفُ بهِ في البيداء ..

وكما ترى : هذا المتن يشكِّل حلقة ربط بين سلسلة حوادث ، ويضع بين أيدينا تفسيراً متتابعاً وصورة أوضح لما يجري وكيف تتمُّ الأمور ولـو على نحوٍ إجمالي ..

وفي لفظٍ آخر لإبـن عبـاس قـال : [.. يبعـث صـاحبُ المدينـة إلـى الهاشميين بمكة جيشاً ، فيهزموهم (كذا) - أي ينتصر الهاشميُّون عليهم - فيسمع بذلك الخليفة (السفياني) بالشام ، فيقطع إليهم بعثـاً فـيهم سـتمائة عريف ، فإذا أتوا البيداء فنزلوها في ليلة مقمرة أقبل راعٍ ينظر إليهم يتعجَّب ويقول : يا ويحَ أهل مكة ما أصابهم (إشارة إلى ما سيفعله هذا الجيش في مكَّة بعد ارتكابه المذبحة الفظيعة في المدينة) فينصرف (الراعي) إلى غنمه ثم يرجع فلا يرى أحـداً ، فـإذا هُـم قـد خُسِـفَ بهـم فيقـول : سـبحان الله ،

---

[1] ابن حماد : صـ ٨٩ عقد الدرر : صـ ٥٤ بـ ٤ فـ ١

ارتحلوا في ساعة واحدة ، فيأتي منزلهم فيجد قطيفة قد خُسِفَ ببعضها ، وبعضها على ظهر الارض ! فيعالجها فلا يطيقها ، فيعرف أنه قد خُسِفَ بهم ، فينطلق إلى صاحب مكة (يقصد المهدي عليه السلام) فيبشِّره ، فيقول صاحب مكة : الحمد الله هذه العلامة التي كنتم تُخبَرُون . فيسيرون إلى الشام][1] ..

أقول : مع هذه المتون بدت الصورة على نحوٍ أوضح لِمَا يجري في الحجاز : فراغ في سدّة الحكم ، خلاف واحتدام ، وملحة ، وقتلٌ كثيرٌ في ذي الحجّة في منى ، إنقسام واضح في معسكرين ، إضطراب أمني ، بروز لدورٍ هاشمي ، خروج أناس من المدينة يطلبون المهدي عليه السلام الذي دلّت العلامات على ظهورِهِ ، فما يكون من حاكم مكّة إلا أن يقتل واحداً منهم ، فيأتيهِ في اليوم الثاني من يقتُلُهُ منهم ، ثمَّ ينحازون إلى الطائف ، فينتصرون على بعث أهلِ مكّة إليهم ، فيُجهِّز حاكم المدينة إليهم جيشاً فينتصرون عليهِ أيضاً ، عندها يبعث إليهم السفياني بجيشٍ يدخل المدينة فيرتكب فيها المذابح ، ويقتل الهاشميين وأتباع أهل البيت عليهم السلام إلا مَن فرَّ منهم إلى البادية والجبال ومكّة ، ثمَّ يأمر السفياني جيشهُ بمتابعة مسيرِهِ إلى مكّة ، عندها يُخسفُ بهم في البيداء فلا ينجو منهم إلا مَن يُخبِرُ بذلك ، فإذا وقع الخسف في البيداء وعلم أهلُ مكّة بدأت مرحة مِن أهم مراحل التحوُّل ، التي يتلوها أمرُ المهدي عليه السلام بالمسيرِ نحو الشام بعد عناوين محدّدة ، فيسيرون بجيشٍ يسير الرعب بين يديه . ولا بدَّ من هنا لفت الإنتباه إلى الأمر التالي : طائفة من النصوص تؤكِّد أنَّ المهدي عليه السلام أوّلاً يهبط إلى العراق ، بل جملة مِن النصوص تؤكِّد أنَّ المهدي عليه السلام ينزل في أرض خراسان ، أي جنوبي

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٠

إيران ، كمحطّة يلاقي فيها أهل المشرق الذين يزحفون إليه للبيعة والتبرّك ، ومنها ينتقل إلى العراق . ثمَّ يزحف إلى الشام ..

أمام الزحف يتراجع جيشُ السفياني إلى أن يُعطي السفياني البيعة للمهدي (عليه السلام) ، على ما تقوله طائفة من النصوص ، فيتحوَّل جيشُ المهدي نحو القدس ، ثمَّ ينقلب السفياني على المهدي (عليه السلام) ، وهناك تقع بينهم معركة طبريّة الهائلة التي تتّفق النصوص عليها والتي ينهزم فيها جيش السفياني أعظم انهزام ويُقتل السفياني على أثرها .

وبذلك تبدأ أولى معالم تحوُّل موازين القوى العالميِّ بشكلٍ جبّار . وفي رواية حنش بن عبد الله عن ابن عباس قال : [إذا خُسِفَ بجيشِ السفياني قال صاحب مكة (المهدي (عليه السلام)) : هذه العلامة التي كنتم تُخبَرُون بها ، فيسيرون إلى الشام ، فيبلغ صاحب دمشق فيُرسِل إليه ببيعته ويبايعه ، ثم تأتيه (قبيلة) كلب بعد ذلك ، فيقولون : ما صنعت ؟ إنطلقتَ إلى بيعتنا فخلعتها وجعلتها له ! فيقول : ما أصنع ؟ أسلمني الناس ، فيقولون : فإنَّا معك ، فاستَقلَّ بيعتك ، فيُرسِل إلى الهاشميِّ (أي المهدي (عليه السلام)) فيستقيله البيعة ، ثم يقاتلونه ، فيهزمهم الهاشمي ، فيكون يومئذ من ركز رمحه على حي مِن كلب كانوا له ، فالخائب من خاب يوم نهب كلب][1] .

إشارة إلى الهزيمة العنيفة التي تقع في جيش السفياني وخصوصاً في صفِّ مؤيِّديهِ الأوَّل . ويجب الإلتفات جداً إلى قول قبيلة كلب له : ما صنعت ! إنطلقتَ إلى بيعتنا فخلعتها وجعلتها له ! فيقول : ما أصنع ؟ أسلمني الناس . إنّها إشارة إلى تزايد المدّ الشعبي في الشام لتأييد

---

[1] م . س .

المهدي ﷺ ، بل في طائفة من النصوص صراحة مطلقة بالضغط مِن قبل الناس على السفياني ليبايع المهدي ﷺ . طائفة تأتيه محتجّة تقول له : هذا المهديُّ قُم فبايعه .. على أثر هذا الضغط يبايع السفياني المهديَّ ﷺ ثم ينقلب عليه بعد أن يتأكَّد من دعم قبيلة كلب له ..

ومع فتح منطقة السفياني يصبح لجبهة المهديِّ ﷺ نفوذ في هذهِ المنطقة الواسعة .

وقبل ذلك يكون ﷺ قد دخل العراق ، ومعلوم أنّه يجعل الكوفة عاصمة دولتِهِ ، ويقيم فيها مسجداً له ألف باب إشارة إلى ضخامتِهِ ، ويأتيهِ الحسني والحسيني من أهل المشرق فيدخلان المسجد والمهدي يخطب وبكاء الناس يحجب صوتَهُ فيقدِّمانِ البيعة المقدَّسة بين يديه ﷺ ..

وفي وصفٍ إضافي له قيمة كشفيّة لما يجري في المدينة جرَّاء فعل السفياني ، وما يصل إليهِ أمرُ الجبهات روى صاحب البدء والتاريخ عن النبيِّ ﷺ قال :

[لَتُتركنَّ المدينة أحسن ما كانت حتى يجيئ الكلب فيشغر على سارية المسجد ، قالوا : فَلِمَن تكون الثمار يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لعوافي السباع والطير . قالوا في الخبر : ثم تسير خيلُ السفياني تريدُ مكَّة ، تنتهي إلى موضعٍ يُقَالُ له « بيداء » ، فينادي منادٍ مِن السماء : يا بيداء بيدي بهم ، فيُخسَفُ بهم ، فلا ينجو منهم إلا رجلانِ مِن كلب ، يقلب وجوههما في أقفيتهما ، يمشيانِ القهقري على أعقابهما ، حتى يأتيا السفياني فيخبرانِهِ ، ويأتي البشيرُ المهديَّ وهو بمكَّة ، فيخرج معه إثنا عشر ألفاً ، فيهم الابدال والأعلام حتى يأتي المياه ، ويأسر السفياني (في الشام) فالخائب يومئذ

مَن خاب عن غنائم كلب][1] . إشارة إلى معركةٍ وقتالٍ وانتصارٍ لجيش المهدي عليه السلام على أنَّ السفياني يُذبح في تلك المعركة بعد أن يُلقى القبضُ عليه ..

النصوص مطبقة على خسف البيداء ، وأنّه يشكِّل حدثاً كبيراً .

وفي رواية أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [يخرج رجلٌ يقال له السفياني في عمق دمشق ، وعامة مَن يتبعه مِن كلب (قبيلة كلب) ، فيقتل حتى يبقر بطون النساء ، ويقتل الصبيان ، فتجمع لهم قيس فيقتلها ، « حتى لا يمنع ذنب تلعة »[2] ويخرج رجلٌ من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفياني فيبعث إليه جنداً من جنده ، فيهزمهم فيسير إليه السفياني بمن معه ، حتى إذا صار ببيداء من الأرض خسف بهم ، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم][3] . في النص تشويش بسيط في سرد الأحداث وضوابطها ، لكنّه يتضمَّن أنّ المهدي يكون أوَّل ظهوره الخاص في المدينة ، فإذا بعث السفياني إليه الجيشَ ليقتله سار إلى مكّة متخفِّياً ، وإذا سار جيش السفياني إلى مكَّة في بيداء المدينة وقع الخسف ..

ومع خروج المهدي إلى الشام تبدو جبهتُهُ عليه السلام على نحوٍ من قدرةٍ عاليةٍ ، ونفوذٍ واسعٍ . وفي رواية حذيفة قال : « إن المهدي يُبايع بين الركن والمقام ، ويخرج متوجِّهَاً إلى الشام ، وجبرئيل على مقدمته ، وميكائيل على ساقته ، يفرح به أهل السماء وأهل الارض والطير والوحش والحيتان في

---

[1] البدء والتاريخ : ج ٢ صـ ١٧٩ ١٧٨

[2] هذا مثل للسيل إذا زاد فلا تمتنع منه الارض العالية . والتلعة مسيل الماء من أعلاه

[3] الحاكم : ج ٤ صـ ٥٢٠

البحر][1] . فإذا كان جبرائيل على مقدِّمة الجيش وميكائيل على المؤخِّرة ، فإنَّ هذا يعني المدد السماوي بلا شكّ . لكن مدى اعتماد المهدي عليه السلام على هذا المدد يأخذ بعين الإعتبار الإحتجاج على الأمم بما في ذلك البلاء والإمتحان الذي يتجلَّى بمعارك هائلة وتمحيص كبير ، وقد قال تعالى : ﴿ لئلاَّ يَكُونَ للنَّاسِ عَلَى اللّه حُجَّةٌ ﴾ * وقال : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ من قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّه أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّه قَرِيبٌ ﴾ ما يعني إدارة ملفّ الجبهات على قاعدة : « حبلٌ من الله وحبلٌ من الناس » والله أعلم بحقائق الأمور وما وضع بين يدي المهدي عليه السلام من تطويع للناموس وحقائق الكون ..

وتشيرُ بعضُ النصوصِ إلى أولى معالم خطّ معركة المهدي عليه السلام بعد الخسف بجيش السفياني وتضع أولى علاماتِه إيلياء (بيت المقدس) ، ففي رواية أبي زرعة عن محمد بن علي قال : [إذا سمع العائذ (المهدي) الذي بمكَّة بالخسف (بجيش السفياني) خرج مع إثني عشر ألفاً فيهم الأبدال حتى ينزلوا إيليا (أي يتابع خط الجبهات وصولاً إلى بيت المقدس) ، فيقول الذي بعث الجيش حين يبلغه الخبر بإيليا (أي نزول المهدي عليه السلام بإيلياء) : لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة ، بعثتُ إليه ما بعثتُ فساخوا في الارض ، إنَّ هذا لعبرة وبصيرة ، (إشارة إلى ذهولِه ممَّا رأى في فناءِ جيشِه المخسوفِ به) ويؤدي إليه السفياني الطاعة ، ثم يخرج حتى يلقى كلباً وهم أخواله فيُعيِّرونَهُ بما صنع ويقولون : كساكَ اللهُ قميصاً فخلعته ! فيقول : ما ترون ؟ أستقيلُهُ البيعةَ ؟ فيقولون نعم ، فيأتيه

---

[1] م . س .

إلى إيليا ، فيقول : أقلني ، فيقول : إني غير فاعل ، فيقول : بلى ، فيقول له : أتحبُّ أن أقيلك ؟ فيقول : نعم . فيُقيله ثم يقول : هذا رجل قد خلع طاعتي ، فيأمر به عند ذلك فيذبح على بلاطة إيليا ، ثم يسير إلى كلب فينهبهم ، فالخائب من خاب يوم نهب كلب][1] ..

النص هنا يشير إلى أنَّ ذبح السفياني يتمُّ في إيلياء ، وهذا لا تأييد مطلق له دون خلاف من النصوص . في حين هذا النص غير مسند إلى النبيِّ أو الإمام . النصوص واضحة أنّه يُقتل على أثر معركته مع الإمام المهدي عليه السلام ناحية طبريّة . وفي رواية مقاتل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يا علي ، عشر خصال قبل يوم القيامة ، ألَا تسألني عنها ؟ قلتُ : بلى يا رسول الله ، قال صلى الله عليه وآله :

- اختلافٌ ،
- وقتل أهل الحرمين ،
- والرايات السود ،
- وخروج السفياني ،
- وافتتاح الكوفة ،
- وخسف بالبيداء ،
- ورجل منَّا أهل البيت يُبايع له بين زمزم والمقام ، يركب إليه عصائب أهل العراق ، وأبدال الشام ، ونجباء أهل مصر ، وتصير أهل اليمن ، عدّتهم عدة أهل بدر (٣١٣) فيتبعه بنو كلب يوم الاعماق ، قلت : يا رسول الله ما بنو كلب ؟ قال : هم أنصار السفياني ، يُريد (السفياني) قتلَ الرجل (المهدي) الذي يُبايع له بين زمزم

---

[1] ابن حماد : صـ ٩٥

والمقام ، ويسير بهم فيقتلون .. والغائب من غاب عن غنيمة كلب ولو بعقال][1] ..

إشارة إلى المعركة الفصل التي تحصل بين المهدي عليه السلام والسفياني والتي تنتهي بتمزيق جيش السفياني وذبحه . ويبدو من النصوصِ أنَّ السفياني الذي يكون متعاوناً مع الروم بداية الأمر ، ثم ينقلب عليهم إثناء وقعة قرقيسيا ، يعود للإتفاق معهم بسبب تقاطع المصالح بين الجبهتين بضغط الحاجة المشتركة . فيلعب دور حارس مصالح وداعم موازين مرّة لمساعدة اليهود ، ومرّة لحفظ نفوذ الروم وشبه ذلك .

وتظهر قيمة انتصار المهدي عليه السلام فيما إذا وقفنا على فعلة السفياني ، فالسفياني وليد الروم التي تقود النظام العالمي على نحوٍ مثيرٍ من التشوُّه الأخلاقي الهائل ، وتفتح الأقطار بالحرب والدمار والنار ، وتحتكر الأسواق ، وتسلِّع كلَّ شيئ ، وتحوِّل العالم إلى مائدة خمر وتعرّي وإشباع غريزي ، وتقيم دنيا البشر على بساط السباع الهائمة والأنياب القاضمة ..

بعض النصوص تصف حكم السفياني المتهتِّك المحترف سفك الدم والقتل بحكم الجبارين . ففي رواية حذيفة بن اليمان - في حديثٍ يذكرُ فيهِ السفياني وخروجه وقصصه يقول - : [.. فيضرب أعناق مَن فرَّ إلى بلدِ الروم بباب دمشق ، فإذا كان ذلك نادى منادٍ مِن السماء : ألا أيها الناس ، إنَّ الله قطع عنكم مدة الجبارين والمنافقين وأشياعهم ، ووُليُّكُم خيرُ أمَّةِ محمد صلى الله عليه وآله فألحقوا بمكة ، فإنه المهدي عليه السلام[2] . ثم ذكر أنهم يجتمعون

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٤٩ ٢٤٨

[2] فتن السليلي : على ما في ملاحم ابن طاووس . * : ملاحم ابن طاووس : صـ ١٤٥ بـ ٧٨ عن فتن السليلي

بالسفياني إلى جانب بحيرة طبرية ، وذكر نحو ثلاث قوائم في فتوحه عليه السلام][1] .

ورغم انَّ الحديثِ تعرَّض لدسٍّ في ذيله فحذفتُهُ ، وهو دسٌّ فعلي باتّفاق علماء المسلمين جميعاً ، لأنَّ من دسَّ يحاول أن يخفي حقيقة صلة المهدي مباشرةً برسولِ الله صلى الله عليه وآله من جهة ، ويحاول أن يضرب حقيقة إسمهِ الفعلي من جهةٍ ثانية . ومع ذلك أقرَّ في صدر النصِّ أنَّ المهدي هو الذي يُباع بين الركن والمقام ، وهو الذي يفتح جبهة السفياني ، ويقضي على حكم الجبارين ..

والمحصَّل من النصوصِ أنَّ السفياني قبل القضاء عليهِ يكون له انتشار عسكريٌّ في أكثر من منطقة : في بلاد الشام ، العراق ، الحجاز .. ويبدو واضحاً من النصوص التي تحدَّثت عن حاكم المدينة المنوّرة أنّه يبعث جيشهُ لقتال الهاشميين في مكَّة والطائف خشيةً من نقمة الخليفة السفياني ، وهو إشارة إلى مبايعتهِ والنزول عند حكمهِ وتحت طاعتهِ ..

والذي يبدو مِن النصوصِ أنَّ السفياني يعلم بظهور المهدي عليه السلام الظهور الخاص في حين يكون جيشُهُ في العراق وتقع بينه وبين أهل المشرق معركة هائلة في منطقة اصطخر تتمزَّقُ فيها فرقُ السفياني على يدِ الإيرانيين الموالين للمهدي عليه السلام . وإذا جمعنا هذه النصوص مع ما أشرنا إليهِ من دخول السفياني الجزيرة (العراق) ولو بعض مناطقهِ ، ومقاتلة الروم والترك على كنزٍ هائل يدفع ثلاث راياتٍ للقتالِ عليه ، ثمَّ انتصارُهُ عليهم ، ثمَّ نزول الراية المغربيّة الجزيرة عند السفياني ، كلُّ هذا يعني

---

[1] فتن السليلي : على ما في ملاحم ابن طاووس . * : ملاحم ابن طاووس : صـ ١٤٥ بـ ٧٨ عن فتن السليلي

وجوداً قويَّاً للسفياني في الجزيرة (العراق) حتى وإنْ لم يكن العراق كلُّه تحت يديه .

بعض الطوائف واضحة في أنَّ الجيش الذي يبعثُهُ إلى الحجاز يكون من العراق .

وفي رواية أرطاة قال : [يدخل الصخري الكوفة (نسبةً إلى صخر جد بني أمية) ثم يبلغه ظهور المهدي عليه السلام بمكة ، فيبعث إليه من الكوفة بعثاً فيخسف به ، فلا ينجو منهم إلا بشيرٌ إلى المهدي ، ونذيرٌ يُنذِرُ الصخري ، فيقبل المهدي عليه السلام مِن مكة ، والصخري من الكوفة نحو الشام ، كأنَّهما فرسا رهان (يتسابقانِ إليها) فيسبقه الصخري (السفياني) ، فيقطع بعثاً آخر (جيشاً) من الشام إلى المهدي ، فيلقوْن المهدي بأرض الحجاز ، فيبايعونه بيعة الهدى (ينقلبون على السفياني لما يرون من آيات الله تعالى) ويقبلون معه حتى ينتهوا إلى حد الشام ، الذي بين الشام والحجاز فيُقيم بها ، ويقال له : أنفذ ، فيكره المجاز ويقول أكتب إلى ابن عمي (السفياني وهذه أعتقد إشارة من الراوي للتعريف بقرابةٍ بين الهاشميين والأمويين في الأصل) فإنْ يخلع طاعته فأنا صاحبكم (تعريفاً به أنّه المهدي عليه السلام) .

فإذا وصل الكتابُ إلى الصخريِّ سَلَّمَ له وبايع . وسار المهديُّ عليه السلام حتى ينزل بيت المقدس (لفتة مهمَّة في هذا النص ، تشير إلى حلقةٍ ضروريَّة في عمليّة فهمنا للحوادث وربطها وهي على النحو التالي : تقديم الطاعة من السفياني إلى المهدي ، عندها يغيِّر المهديُّ عليه السلام وجهة جبهتِهِ لفتح بيت المقدس فيفتحها) ..

ويتابع النص قائلاً : وردَّ المسلمينَ جميعاً إلى الجهاد . فيمكث في ذلك ثلاث سنين[1] ، ثم يخرج رجلٌ من كلب يُقال له كنانة ، بعينه كوكب ، في رهط مِن قومه حتى يأتي الصخري فيقول : بايعناك ونصرناك حتى إذا ملكت بايعتَ عدوَّنَا لتخرجن فلتقاتلن ، فيقول : فيمن أخرج ، فيقول : لا تبقى عامرية أمّها أكبر منك إلا لحقتك ، لا تتخلف عنك ذات خفّ ولا ظلف ، فيرحل وترحل معه عامر بأسرها حتى ينزل بيسان ، ويوجِّه إليهم المهدي راية .. فينزلون على فاثور إبراهيم ، فتصف كلب خيلها ورجلها وإبلها وغنمها (إشارة تاريخية يراد منها التعبير بأدوات محدَّدة لعصرٍ مختلفٍ من بابِ الإستعارة والمجاز) فإذا تصافَّت الخيلان للحرب ولَّت كلب أدبارها وأُخِذَ الصخري فيُذبَح على الصفا المعترضة على وجه الارض عند الكنيسة التي في بطن الوادي على طرف درج طور زيتا القنطرة .. عليها يذبح كما تذبح الشاة ، فالخائب من خاب يوم كلب ..][2] .

واضح أنَّ النصَّ يشتمل على خلاصة من الحوادث المعتبرة ، لكن فيه تشويش وبعض التشويه ..! وهو بالتالي غير مسند إلى النبي أو الإمام ولا سلسلة سنديّة فيه . لذلك أوردته بعنوانٍ تاريخيٍّ أكثر منه روائيّاً ، ولم أجد ما أثبِّت بهِ ما ورد في النصِّ من أنَّ المهدي عليه السلام يترك السفياني ٣ سنوات . بل كل المتون خلافه . السفياني يحكم فقط ٩ أشهر يُذبح على أثرها . هذا ممّا تتفق عليه نصوص المسلمين جميعاً . نعم ورد في غيره من النصوصِ أنَّ السفياني يعطي البيعة للمهدي بعدما يزحف جيشُ المهدي إلى

---

[1] (فقرة غير معتبرة تخالف الصحيح من النصوص . النصوصو صريحة في أنّ حروب المهدي الأولى ٨ أشهر . يفتح الفتوحات فيها بما في ذلك قتل السفياني وإنهاء أمره .

[2] ابن حماد : صـ ٩٧

الشام ، لكنه ينكل فيقاتل المهدي (عليه السلام) فيُقتل ويهزم جيشُهُ . ثمَّ من الثابت في مرويَّاتِنا أنَّ المهدي (عليه السلام) يفتح بيت المقدس ، دون تفصيل هل يحوِّل جبهته من الشام إلى غيرها . نعم النصوص التي تشير إلى دخول الجيش الخراساني إلى بيت المقدس تؤكِّد أنَّ الروم والترك وأكثر من رايةٍ في الجوار تتضامن لهزيمتِهِ .. وهذا معنى إضافي لإشتراك الجبهات وتحالفها آنذاك لإنقاذ اليهود .. بل ربّما يكون مفتاحاً لبعض المرويات التي وردت وهي تتضمَّن أنَّ المهدي والسفياني يقتتلون في بيت المقدس . ففي رواية الوليد : [إنَّ المهدي والسفياني وكلباً يقتتلون في بيت المقدس حين يستقيله البيعة ، فيؤتى بالسفياني أسيراً فيأمر به فيذبح على باب الرحبة][1] . وفي الحقيقة هذا يُفسِّر نكول السفياني مباشرةً وتراجعه بالإضافة إلى توسُّع جبهة القتال إلى هذهِ المنطقة وهذا ممكن جدّاً وفق منطق الأحداثِ ومفتوح على مدلول النصوصِ أيضاً ..

ويجب أن نتذكَّر أنّ دولة السفياني وحكمه لا يدوم أكثر من حمل إمرأة ، أي أكثر من تسعة أشهر ، هذا ورد في العديد من النصوصِ التي أجمعت عليها كتب الفريقين ..

وفي رواية أرطأة بن المنذر غير المسندة إلى النبيِّ (صلى الله عليه وآله) نصٌّ مضطرب في بعضِ متنِهِ ، واضح من بعض فقراتِهِ الوهن ، لكن فيهِ شيئٌ من الإشارةِ إلى اضطرابِ هذهِ المنطقة خلال فترة السفياني الأولى ، أشير إليهِ بمعناه التاريخي لا الروائي وفيه قال : [.. يجيئ البربر حتى ينزلوا بين فلسطين والاردن ، فتسير إليهم جموعُ المشرق والشام حتى ينزلوا الجابية ،

---

[1] ابن حماد : صـ٩٦

ويخرج رجل من وُلد صخر في ضعف ، فيلقى جيوش المغرب على ثنية بيسان ، فيردعهم عنها ، ثم يلقاهم من الغد فيردعهم عنها ، فينحازون وراها ، ثم يلقاهم في اليوم الثالث فيردعهم إلى عين الريح ، فيأتيهم موت رئيسهم فيفترقون ثلاث فرق ، فرقة ترتّد على أعقابها ، وفرقة تلحق بالحجاز ، وفرقة تلحق بالصخري ، فيسير إلى بقية جموعهم - ثمّ يشير إلى صِدامٍ بينهم وبين أهل المشرق فينتصر على أهل المشرق في هذهِ الواقعة وهذا غير ثابت بأيٍّ من النصوص المعتبرة - ويقتل أهل الشام رئيسهم ، وينحازون إلى الصخري (السفياني) فيدخل دمشق فيمثّل بها . وتخرج رايات مِن المشرق مسودة فتنزل الكوفة (وذلك بعد دخول السفياني بجيشهِ إلى الكوفة وارتكاب مذبحة فظيعة بحقٍّ أتباع آل محمَّد ، فيتوارى رئيسهم فيها ، فلا يُدرَى موضعه ، فيتحيَّر ذلك الجيش ثم يخرج رجلٌ كان مختفياً في بطن الوادي ، فيلي أمر ذلك الجيش السفياني ، لِمَا فعل بحقٍّ أتباع آل محمّد ..][1] .

المشكلة بهذه الرواية كثرة الإضطراب فيها ، إلى درجة إستبدال أطراف معركة قرقيسيا ..! نعم لا بأس بالإشارة إلى بعض فقرات يبدو منها بيان الظرف الإضطرابي الكبير .. والقدر المتيقَّن انهزام تضعضع السفياني على أثر الخسف الذي يطال جيشهِ في البيداء ، وجيشه الآخر الذي يبيدهُ أهلُ المشرقِ الموالين للمهدي عليه السلام في منطقة اصطخر والعراق .. وأنّه حين يبلغ الخبر إلى المهدي عليه السلام بخسفِ البيداء يأمر بتحريك جبهتِهِ نحو الشام ..

---

[1] ابن حماد : صـ ٧٣

ومنذ تلك اللحظة تتبلور في العالم جبهة مهدويَّة تتابع مسيرها لفتح بيت المقدس ، ولا تتوقَّف عند هذا الحدّ ، بل تفتح عاصمة القرار الرومي فيما بعد ، وتنتصر على الدجّال والأمّة الضخمة المتعددة « يأجوج ومأجوج » إلى أن ينشر اللهُ الإسلامَ ويُقيم القسط والعدل العالمي على يدِ الإمام المهدي المنتظر[1] عليه السلام ..

[1] هناك فرق بين أحداث الشرق الأولى وأحداث الغرب الأخيرة وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل إن شاء الله تعالى فيما بعد .

نزول النبي عيسى بن مريم ﷺ

من الثابت أنَّ النبي عيسى بن مريم ﷺ ينزل في آخر الزمان بعد تحقّق ظهور المهدي ﷺ فيكون وزيراً لجبهتِه ﷺ وذلك زمن طغيان الدجَّال اليهودي . لكن ما أحبُّ أن ألفت إليه انَّ مجموعة من النصوص غير المعتبرة عند بعض الفرقاء حاولت جاهدةً أن تركِّز الإنتصارات وقيادة الجبهات بيد المسيح ، بل حاول بعضها إعطاء المسيح دور الريادة والقيادة والأمر والنهي وكل شيئ ..! ثم الإشارة إلى وجود المهدي ﷺ ..! وكأنَّ الراوي الذي لا يستطيع أن يلغي دور المهدي ﷺ عوَّض عن ذلك بمجرَّد الإشارة له ، لكنَّ الأدوار كلّها تُعطى للمسيح ﷺ ..! هذا تزوير وإخفاء لحقيقة الوحي . لكنّه عملٌ مفضوح .

النصوص المتواترة في كتب الفريقين حصرت القيادة والأمر والنهي ونشر القسط والعدل بالمهدي ﷺ وهي أكثر من أن تُحصى ، وبذلك اعترف أكابر علماء الطرفين .. يكفي فيها الطائفة المتواترة التي تقول بأنَّ المهديَّ اسمه إسمي .. يخرج في آخر الزمان فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً .

ثمَّ هناك بعض المرويَّات التي تتحدَّث عن المسيح ﷺ بلسان قائد الجبهة أو وزير الدفاع كما في تعابير هذا العصر ، أو هذا ما يُستفادُ منها ،

وهذا منطقيٌّ جداً ، وفي المنقول عن النبي عيسى عليه السلام يقول : بعضُكم أميرٌ على بعض . إشارة إلى إمرةِ المهديِّ عليه السلام على هذهِ الأمّة .. وقد أشرتُ إلى ذلك وقلت بأنَّ ما قد يُستفاد من سلطنة عيسى بن مريم عليه السلام إنّما هو موكول إليهِ لجهةِ انّه وزير جبهة آلِ محمّد عليهم السلام ، فلا حاجة إلى التعارضِ سوى في بعض النصوص التي يبدو منها التزوير والتكذيب ، وهذهِ مهمّتها ضرب حقيقة المهدي عليه السلام وما يؤول إليه أمر آل محمّد عليهم السلام ، وقد اتّفق السنة والشيعة على تضعيف هذهِ النصوص الضعيفة . والتي لا قيمة لها ووصفوها بالواهنة ..

وفي الحديث : إذا نزل عيسى عليه السلام لم ينسخ شيئاً ممَّا أتى به رسولُ الله صلى الله عليه وآله ولم يتقدَّم عيسى عليه السلام على الامام عليه السلام من أمَّتِه بل يقدِّمُهُ ويصلِّي خلفه[1] .. إشارة إلى الإمارة التي فرضها اللهُ للمهدي عليه السلام آخر الزمان ..

وفي إشارةٍ رمزيَّة قالَهَا رسولُ الله صلى الله عليه وآله ركَّز فيها على مُنحَنى مسيرة الأمَّة الإسلاميّة قال صلى الله عليه وآله - كما في رواية عروة بن رويم - : [خيارُ أمتي أوَّلها وآخرها ، وبين ذلك ثبجٌ (وسط) أعوج ، ليس منك ولست منه][2] . وفي تعبيرٍ آخر قال صلى الله عليه وآله : [خير هذه الامة أوَّلُهَا وآخرها ، أوَّلُهَا فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله ، وآخِرُهَا فيهم عيسى بن مريم عليه السلام ، وبين ذلك ثبج (وسط) أعوج ، ليس منك ولست منهم][3] . إشارة إلى النبوَّتين ونزول عيسى بن مريم آخر الزمن في عصر ظهور المهدي عليه السلام .

---

[1] الطيالسي : صـ ٢٧٠ حـ ٢٠٢٣

[2] تأويل مختلف الحديث : صـ ١١٤ الاوزاعي

[3] تأويل مختلف الحديث : صـ ١١٤ الاوزاعي

النص في مقام المدح لفترة النبوّة الأولى وما يكون عليه المسلمون ، ثمَّ مدح لزمن المهديِّ وما يؤول إليه أمر الدِّين والإسلام والأتباع . أمّا ما بينهما فهم وسط أعوج ..! وهذا يأتي متكاملاً مع قوله ﷺ : « يملأها قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً » . حتى يعم السلم والسلام والأمن والأمان في ظلِّه الشريف .

وفي غيبة الطوسي - عن عبد الله بن عمرو بن العاص - قال : قال رسول الله ﷺ - في حديث طويل - : [.. فعند ذلك خروج المهدي عليه السلام وهو رجلٌ مِن وُلْدِ هذا - وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام - به يمحق اللهُ الكذب ، ويذهب الزمان الكلب ، به يخرج ذلّ الرق من أعناقكم . ثم قال : أنا أول هذه الأمّة ، والمهدي أوسطها ، وعيسى آخرها وبين ذلك شيخ أعوج][1] .

إشارة إلى النبوَّتين ، وولاية المهدي عليه السلام وعظمة الأمَّة الإسلاميّة زمن النبيِّ ثمَّ تهاويها شيئاً فشيئاً ، وصولاً إلى الوسط حيث الإعوجاج يبدو متعاظماً وقد أنكرهُ رسولُ الله ﷺ وتبرَّأ منه ، وهو إشارة إلى التهاوي والضعف والذلّ والخروج على أمرِ الله ومعقل ولايته والإنكباب على الدنيا والهزيمة التي تصيب المسلمين الذين يتركون دينهم ويركنون إلى الدنيا ، ثمَّ إلى آخر عهد هذهِ الأمّة التي يُعظِّم اللهُ أمرها بالمهديِّ عليه السلام ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وذلك يكون آخر الزمن ..

ويبدو مِن نصوصٍ أخرى أنَّ هذهِ الأمّة التي عظّمها اللهُ بنبيِّهِ ﷺ تدخل في مرحلةٍ من الحضيض ، وهي التي تقتل أهل بيتِهِ وتشرّدهم

---

[1] : صـ ١١٤

وتطغى في تعذيبهم ، إلى أن يبعث اللهُ العزَّة في هذه الأمّة مِن جديد على يدِ قومٍ مُوالين ، يُوطِّئون للمهدي سلطانه . ويكون خطُّ الصعود إلى العظمة مرتبطاً بآخر الزمان ، قبل ظهور المهدي ، حيث تبقى امّة مؤمنة موالية ، لديها مِن القوّة والمنعة ما يُعطيها صفة دخول الحرب لإنقاذ حقٍّ تطالب بهِ ، وتظلّ شاهرةً قوّتَها حتى خروج المهدي عليه السلام الذي تسلِّمه الراية وتنزل تحت طاعتِه عليه السلام ..

وفي رواية عبد الرحمن بن سمرة قال : عندما سمع النبيُّ صلى الله عليه وآله بكاءَ المسلمين على مَن استشهد في تبوك ، فسألهم ما يبكيكم ؟ فقالوا : وما لنا لا نبكي ، وقد قُتِلَ خيارنا وأشرافنا وأهلُ الفضل منَّا . قال صلى الله عليه وآله : لا تبكوا ، فإنما مثل أُمَّتي مثل حديقة قام عليها صاحبها ، فاجتثَّ رواكبها (ما يُركب مِن الأشجار) وهيَّأ مساكنها ، وحلق سعفها (قصَّهُ ونظَّمه) فأطعمت عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً ، ولعلَّ آخرها طعماً يكون أجودها قنواناً (الأعذاق والقطوف) وأطولها شمراخاً (غصون الأعذاق) . والذي بعثني بالحقِّ نبيّاً ، لَيَجِدَنَّ ابنُ مريم في أُمَّتِي خلفاً مِن حواريه][1] .

والحواريُّون هم الأصحاب من درجةٍ رفيعة . والنص بشكلٍ عام إشارة إلى ما تكون عليهِ عظمة هذهِ الأمَّة في آخر الزمان وهو زمنُ المهديِّ عليه السلام ، الزمن الذي ينزل فيهِ عيسى بن مريم عليه السلام يوم فتنة الدجَّال اليهودي .

وفي رواية كعب - ولم يسنده إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله - قال : [يهبط المسيح عيسى بن مريم عليه السلام عند القنطرة البيضاء على باب دمشق

---

[1] نوادر الاصول : صـ١٥٦ الاصل ١٢٢ .

الشرقي .. تحمله غمامة ، واضع يديه على منكب ملكين ، عليه ريطتان ، مؤتزِر بإحداهما مرتدٍ بالاخرى .. فيأتيه اليهود فيقولون نحن أصحابك ، فيقول كذبتم ، ثم يأتيه النصارى فيقولون نحن أصحابك ، فيقول كذبتم ، بل أصحابي المهاجرون بقيَّةُ أصحاب الملحمة ، فيأتي مجمعَ المسلمين حيث هم ، فيجد خليفتهم (المهدي) يُصلِّي بهم ، فيتأخَّر المسيح حين يراه ، فيقول يا مسيحَ اللهِ صلِّ لنا ، فيقول : بل أنتَ فصلِّ لأصحابك ، فقد رضي اللهُ عنك ، فإنما « بُعثتُ وزيراً ولم أُبعث أميراً » فيُصلِّي لهم خليفة المهاجرين (المهدي)][1] .

أوَّل شيئ ألفت إليه أنَّ مكان نزول المسيح عليه السلام متراوح بين الشام والقدس في لسان طائفة من النصوص ، على أنَّ تحصيل كامل السند الذي نطمئن له كليّاً بخصوص المكان يحتاجُ إلى كلفة .

وما يهمّني هنا أنَّ فقرة المسيح بقولهِ للمهدي : « فإنّما بُعثتُ وزيراً ولم أُبعث أميراً » تعدَّدَت في المتون ، للدلالة إلى إمرة المهدي عليه السلام ووزارة المسيح عليه السلام في هذه الأمّة . ولا بدَّ من الإلتفات إليها في كلِّ حديثٍ يَرِد في هذا المجالِ لفهم روح النص وما يُقصَدُ منه ..

على أنَّ من كرامة هذه الأمّة في آخر الزمن أنّ المسيح يكون فيها في جبهة آل محمَّد عليهم السلام التي تقود دنيا البشر نحو العدل الإلهي العظيم . وفي رواية أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [منَّا الذي يُصلِّي

---

[1] ابن حماد : صـ ١٦٠ - تاريخ البخاري : ج ٧ صـ ٢٣٤ ٢٣٣ ح ١٠٠٢ - مسلم : ج ٤ صـ ٢٢٥٣ ب ٢٠ ح ٢١٣٧

عيسى بن مريم عليه السلام خلفه][1] . تأكيداً على مقامِ المهدي - روحي فداه - مِن جهة ، ومقام النبيِّ المسيح مِن جهةٍ ثانية . وفي رواية حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [.. فيلتفت المهديُّ وقد نزل عيسى عليه السلام كأنما يقطر مِن شعره الماء ، فيقول المهديُّ : تقدَّم صلِّ بالناس ، فيقول عيسى : إنَّما أُقيمت الصلاةُ لك ، فيُصلِّي عيسى خلف رجلٍ مِن وُلدِي (أي المهدي) ، فإذا صُلِّيَت قام عيسى عليه السلام حتى جلس في المقام فيبايعه ، فيمكث أربعين سنة][2] ..

وفي بيان الشافعي قال : [وممَّا نقلته الشيعة وبعضُ محدِّثي العامة أنَّ المهديَّ صلى الله عليه إذا ظهر أنزل اللهُ تعالى المسيحَ عليه السلام ، فإنهما يجتمعان ، فإذا حضرت صلاةُ الفرض قال المهديُّ عليه السلام للمسيح عليه السلام : تقدَّم يا روحَ اللهِ - يريد تقدَّم للامامة - فيقول المسيح : أنتم أهلُ بيتٍ لا يتقدّمُكُم أحد ، فيتقدَّم المهديُّ عليه السلام ثم يصلِّي المسيحُ خلفه ، صلَّى الله عليهما][3] .

وقد وردت متون عديدة تشير إلى وزارة النبي عيسى عليه السلام وقيادتِهِ بعض الجبهات بإمرة المهدي عليه السلام ، منها ما رواهُ الفاضل عمر بن إبراهيم الاوسي في كتابه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : [ينزلُ عيسى بن مريم عليه السلام عند انفجار الصبح ما بين مهرودين - وهما ثوبان أصفران من الزعفران - ، أبيض الجسم ، أصهب الرأس .. بيده حربة (دلالة على الجهاد) يكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويهلك الدجَّال ، ويقبض أموال القائم عليه السلام ،

---

[1] ابن حماد : على ما في إثبات الهداة ، عن تحفة الابرار ، بيان الشافعي : صـ ٥٠٠ بـ ٧

[2] ابن حبان : على ما في صواعق ابن حجر ، والمغربي .

[3] بيان الشافعي : صـ ٤٩٧ بـ ٧ التفضيل ، للكراجكي : صـ ٢٤

ويمشي خلفه أهل الكهف ، وهو الوزير الايمن للقائم عليه السلام وحاجبه ونائبه ، ويبسط في المغرب والمشرق الأمنَ مِن كرامة الحجة بن الحسن صلوات الله عليهما حتى يرتع الاسدُ مع الغنم ، والنمر مع البقر ، والذئب والغنم ، وتلعب الصبيان بالحيات ..][1] .

فهو تأكيد على عظمة مقام الإمامة وما تعنيه في ذلك الزمن الذي يشهد أعظم محطّات الوجود في الفترة الأخيرة من حياة البشر . ثم معاني نشر السلم والأمن والطمأنينة والبركة والهدى بين الكائنات وردت فيها نصوص عديدة . وهي تشير إلى عصر المهدي وعظمةِ إشراقِهِ وقيمومتِهِ في نشر العدل والسلامة بالأرض بفضل اللهِ تعالى ..

وعليه : مما اتَّفقت النصوص عليهِ نزول عيسى بن مريم ومعاونة المهدي في نشر القسط والعدل بأرجاء الدنيا . وفي رواية يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال : [نجد في التوراة أنَّ عيسى بن مريم يُدفنُ مع محمد صلى الله عليه وآله][2] . إشارة إلى نزولِهِ عليه السلام زمن المهدي ، ثمّ موتِهِ ودفنِهِ مع النبيِّ صلى الله عليه وآله ..

وينزل عيسى بن مريم عليه السلام بعد خروج الدجال لعنه الله ، وفي رواية حذيفة قال : قلت يا رسول الله ، الدجال قبل أو عيسى بن مريم ؟ قال صلى الله عليه وآله : [الدجال ثم عيسى][3] . وتشيرُ طائفة من النصوص أنَّ المسيح عليه السلام يقتل الدجَّال في حين طائفة أخرى تقول بأنَّ المهدي عليه السلام هو الذي يقتله ، ولا

---

[1] كتاب لعمر بن إبراهيم الاوس : على ما في غاية المرام . * : حلية الابرار : جـ ٢ صـ ٦٢٠ بـ ٣٤

[2] ابن حماد : صـ ١٦٤ ١٦٣

[3] ابن حماد : صـ ١٢٩

تعارض بينهما على اعتبار أنَّ المسيح وزير دفاع جبهة المهدي (عليه السلام) . ففي رواية مجمع بن جارية : أنَّ رسول الله قال : [يقتل ابنُ مريم الدجالَ بباب لد][1] .. واللد مدينة بفلسطين[2] ..

ويكون خروج الدجالِ بعد انتصار المسلمين على الروم ودخول عاصمتِهم بعد ملحمةٍ عظيمة ، فيأتيهم النبأ أنَّ الدجال قد خرج ، فيرجعون فلا يجدونه قد خرج وسرعان ما يخرج .. وكأنَّ ما ورد في ذيل النصوص من إخبار عن خروج الدجَّال يعني أنَّ تكوين جبهتِهِ يكون له ظهور أو معالم يوم هزيمة الروم .

وتعتبر فتنة الدجال من الفتن الصعبة التي أشار إليها النبيُّ (صلى الله عليه وآله) . ويظهر انَّ للدجال في أوَّل فتنتِهِ أيّاماً نافذةً قويّةً ، وهو الذي يمثِّل جبهة اليهود ويقودها ، ويكون بين يديهِ من النفوذ ما يسمح له بالتأثير النسبي على المسلمين أو على قسمٍ منهم .

ويبدو انَّ جبهة المسلمين أو المنطقة التي يخرج بها الدجال تتحسّس نوعاً من مجاعةٍ واحتكارٍ في المال والغذاء والماء وشبه ذلك ، فيستغلّ الدجَّال هذا الظرف الصعب .. لكن في نهاية المطاف يُحشر الدجال في باب لدّ ، وتقضي عليهِ جبهة المهدي في تلك المنقطة ..

ولا بدَّ أن أقدِّم هذه الملاحظة بين يدي معالجة نصوص الدجَّال وهي التالية : أغلب نصوص الدجَّال التي تشيرُ إلى سيطرتِهِ وبطشه

---

[1] الطيالسي : صـ ١٧٠ حـ ١٢٢٧

[2] أمّا جبل فيق وفيق أو أفيق بكسر الفاء فهو عقبة بفلسطين قرب نابلس .

الأسطوري بلا أسانيد معتبرة . كما انّ نصوص الدجّال التي وردت على لسان أهل البيت ﷺ جاءت شديدة التوازن والإنضباط بخلاف ما ورد على لسان كعب وغيرهِ ممّا أعطاه حضوراً أسطورياً . وسأروي المتون لأنتهي إلى خلاصةٍ عامّة ، ضمن سياق خطّة هذا الكتاب مع الملاحظة والبيان .

فإذا خرج الدجّال ، ونفذ في ظهوره ، توجّه نحو فلسطين ، يريد أن يحتلّها لليهود الذي أُخرجوا منها بعد تحريرها منهم . لكنّه لا يستطيع ذلك .

ويبدو من خطٍّ انتشارِهِ الوارد في قسمٍ من الروايات أنّه يزحف من مناطق ناحية الإتّحاد السوفياتي ، ثمَّ يتّجه نحو بعض أراضي أهل المشرق ، نحو الخليج ، ثمَّ يقسِّم جيشه قسمين واحد نحو الحجاز ، والثاني نحو الشام ، ثم يلتف يريد فلسطين .

في أكثر من نص يبدو واضحاً أنّه يريد فلسطين . وفي بعض المتون أنَّ سطوتهُ يكون لها أثر بالغ ومستمر . إلى أن يحاول فتح فلسطين فيُقضى عليهِ هناك . ففي رواية الحرث عن عبد الله عن النبي ﷺ قال : [إذا بلغ الدجال عقبة أفيق (عقبة بفلسطين قرب نابلس) وقع ظلُّه على المسلمين ، فيُوترون قسيهم لقتاله ، فيسمعون نداء : أيها الناس قد أتاكم الغوث ، وقد ضعفوا من الجوع (إشارة إلى حصار غذائي مضروب عليهم في تلك الفترة) فيقولون : هذا كلام رجل شبعان ، يسمعون ذلك النداء ثلاثاً . وتشرق الارض بنورها ، ينزل عيسى بن مريم – ورب الكعبة – وينادي : يا معشر المسلمين إحمدوا ربكم وسبِّحوه وهلِّلوه وكبِّروه ،

فيفعلون ، فيستبقون (أي جند الدجّال) يريدون الفرار ، ويبادرون فيضيِّق الله عليهم الارض إذا أتوا باب لد في نصف ساعة ، فيوافقون عيسى بن مريم عليه السلام قد نزل بباب لد ، فإذا نظر إلى عيسى .. يا عدو الله زعمت أنك رب العالمين ..! فيضربه بمقرعة معه فيقتله ، فلا يبقى من أنصاره أحد تحت شيئ أو خلفه إلا نادى : يا مؤمن هذا دجاليٌّ فاقتله][1] . وفي الرويات أيضاً : هذا يهودي فاقتله . وبذلك تنتهي جبهة الدجّال عند مهاد فلسطين .. ومعها يتخلَّص العالم من أسوأ جبهتين هما : الروم واليهود .

ولكن : ماذا عن باقي جبهة الإمام المهدي عليه السلام ؟

أقول : يُهزم السفياني أوّلاً ، تُهزم الترك قبل هزيمة الروم ، وتُهزم الرومُ بعد هزيمة التُرك ، ويخرج الدجّالُ بعد فتح عاصمة القرار الرومي ، أي بعد انتصارٍ كبيرٍ للمسلمين ، لكنّ هذا لا يعني سيطرة للمسلمين على الأرض ، فهناك الأمّة الضخمة التي عبّرت عنها النصوص بيأجوج ومأجوج ، الذين يتقاتلون بعد خروجِهم من سورهم مع أمةٍ قويَّة ، ويوجِّهون سهامهم إلى السماء فترتد إليهم مخضَّبة بالدماء (وكأنها إشارة إلى حرب فضاء أو حرب بالصواريخ والطيران) فيقولون : إنتصرنا على أهل الأرض ، ثمّ يتوجّهون إلى جبهة المسلمين لقتالِهم ، ويكون ذلك بعد فراغ جبهة الإمام المهدي من الدجال ..

وما أريد أن اشير له هنا انَّ العالم حتى خروج الدجّال يكون ما زالَ منقسماً على أكثر من جبهة ، بل بعضُ تلك الجبهات كيأجوج ومأجوج

---

[1] ابن حماد : صـ ١٦٢ ١٦١

تكون على نحوٍ ضخمٍ من القوّة ، من هنا تستفيد حركة الدجال من هذا الإنقسام والتعدُّد السلطوي في العالم .

نعم تكون فتنة الدجال مؤثِّرة وقادرة خاصّة بمنطقة فلسطين وجوارها الكياني .

وفي رواية عثمان بن أبي العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : [يكون للمسلمين ثلاثة أمصار : مصر بملتقى البحرين ، ومصر بالجزيرة (العراق) ومصر بالشام ، فيفزع الناسُ ثلاث فزعات .. فأوَّل مصر يردُه المصر الذي بملتقي البحرين ، فيصير أهله ثلاث فرق : فرقة تقيم وتقول نشامه ، وننظر ما هو ؟ وفرقة تلحق بالاعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ، ومعه سبعون ألفاً عليهم التيجان ، فأكثر أتباعه اليهود والنساء ..

ثم يأتي الشام فينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق يبعثون سرحاً لهم فيصاب سرحهم ، ويشتد ذلك عليهم ، وتصيبهم مجاعة شديدة وجهدٌ ، حتى أنَّ أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله (إشارة رمزيّة للدلالة على أكل ما لا يُعهد من الأكلِ لشدّة المجاعة في هذا القُطر) فبينما هم كذلك إذ نادى منادٍ مِن السحر : يا أيها الناس أتاكم الغوث ، ثلاث مرات ، فيقول بعضهم لبعض : إنَّ هذا الصوت لرجل شبعان فينزل عيسى بن مريم عند صلاة الفجر ، فيقول له أميرُ الناس (المهدي عليه السلام) : تقدَّم يا روح الله فصلِّ بنا ، فيقول : إنَّكُم معشر الامَّة أمراء بعضهم على بعض ، تقدَّم أنت فصلِّ بنا ، فيتقدم الامير فيصلِّي بهم ، فإذا انصرف أخذ عيسى حربته فيذهب نحو الدجال ، فإذا رآه ذاب كما يذوب الرصاص ، ويضع حربته بين ثندوته

فيقتله ، ثم ينهزم أصحابه][1] .. أقول : رغم الإضطراب الوارد في بعضِ متنِه ، إلا أنّه يختزن إشارة إلى حركةٍ خارجيَّة للدجال ، يكون على أثرها جهد ومجاعة ، وكأنّه إشارة إلى طوقٍ وحصارٍ يُضرب على هذهِ البقعة من المسلمين حتى يصيبها الجهد ..

وهذا الخط الخارجي الذي يسلكه يبدو أنّه يكون من مناطق الإتّحاد السوفياتي كما تشهد له رواية - فيها بعض الوهن في السند - يدخل منه إلى بعض أراضي إيران مستغلاً وجود قسم كبير من الجيش الخراساني في مناطق الروم التي فتحها المهدي عليه السلام والتي يشارك فيها جيش الخراساني بحجمٍ كبير بدءاً من معركة الأعماق وصولاً إلى روما . النصوص واضحة جداً في ذلك . ثمَّ يجتاز الدجَّال نحو العراق والخليج فيطلب فتح مكّة والمدينة بقسمٍ من جيشه ، وفلسطين بقسمٍ آخر ، على أن ينضم الجميع إلى جيش فتح فلسطين ..

فقرات النصوص تشيرُ إلى جُهدٍ يصيب المسلمين ، وإلى فتنة عظيمةٍ يقوم بها الدجال ، خاصّة بأولى أيّامه ، ثم تكون ايّامه عاديّة ، دلالةً على تقلّص نفوذِه وتقهقر سلطانِه وزوالِ أمرِه شيئاً فشيئاً إلى ان يُهزم ويُقتل .. على انّ طائفة من النصوص صريحة في أنّ المهدي عليه السلام يكون في القدس آنذاك .. لا نعرف الأسباب وليس لدينا معطيات تفصيليّة .

وفي بعض الروايات : [ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند المنارة التي عند باب دمشق الشرقي .. معه ملكان قد لزم مناكبهما ، لا يجد نَفَسَهُ ولا

---

[1] أحمد : ج ٤ صـ ٢١٦ كما في ابن أبي شيبة بتفاوت ، الطبراني ، الكبير : ج ٩ صـ ٥٢ ٥١ حـ ٨٣٩٢ كما في رواية أحمد بتفاوت يسير

ريحه كافر إلا مات ، وذلك أن نفسه يبلغ مد بصره ، فيدرك نفسه الدجال فيذوب ذوبان الشمع فيموت ، ويسير ابن مريم إلى مَن في بيت المقدس من المسلمين فيخبرهم بقتله ، ويصلي وراء أميرهم صلاة واحدة .. وهي الملحمة ويسلم بقية النصارى ..][1] . ولم توضِّح النصوص ما هو المقصود بنَفَسِه ، هل هو إعجاز محدَّد أم تطويع للناموس ، أم تقنيّة محدّدة .. النصُّ مفتوح على أكثر من احتمال وإن كان الأقرب هو تطويع الناموس ..

ومع هذا لا بدَّ لي من التذكير مرّةً أخرى ، بأنَّ التركيز على عيسى بن مريم عليه السلام في هذهِ النصوص دون المهدي عليه السلام فيهِ شيءٍ من الوهن ، خاصّةً لو قرأنا العديد من النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام وهي تركِّز على أنَّ المهدي هو الذي يقتل الدجّال ، وهذا امر منطقي جداً في زمنٍ اعدّهُ اللهُ للمهدي عليه السلام ، وقد يكون ذلك عبر عيسى بن مريم وزير جبهة آلِ محمّد ، لكنَّ الذي يدهش هو تركيز بعض رواة العامّة بل اعتماد بعضهم على روايات غير المسلمين وإسناده إلى أهلِ الكتاب ، ما يؤكِّد بعض الوهن في تلك الإشارة ، ومحاولة لسلب دور المهدي أو قطع الفقرات التي تختصُّ بالمهدي عليه السلام في حين النصوص والمبادئ والرويات تشير إلى أنَّ العصر هو عصر المهدي عليه السلام وهو خليفة اللهِ في أرضِهِ ، وهو الذي يقود الجبهات ، وهو منصورٌ بالرعب وتطويع الناموس ضمن المشيئة التي أعطاهُ اللهُ إيّاها في تطويع الناموس بل في بعض الروايات المكرّرة : جبرائيل على مقدّمةِ جيشِهِ ، وميكائيل على مؤخّرة جيشهِ .. ما يشير إلى التعزيز الذي تحظى بهِ جبهة المهدي عليه السلام .. نعم نحن لا ننكر فتنة الدجّال وأمرها الصعب ، لكنَّنا نشير إلى التقطيع الذي أصاب بعض النصوص لمحاولة إعطاء دور أقل

---

[1] الطيالسي : صـ ٣٢٧ حـ ٢٥٠٤

للمهدي ﷺ في حين المتواتر بالنصوص عند الفريقين هو العكس .. وعلى كلٍّ حال ، في تلك الفترة تكون الأمور على نحوٍ واضحٍ من الإضطراب ، والجبهات مفتوحة ، في ظلّ عصرٍ تتصادم فيهِ الجبهات بشكلٍ شرس ..

فإذا ظهر الدجال اشارت النصوص إلى نزول عيسى بن مريم ﷺ . وفي رواية صفوان بن عمرو ، عمَّن حدَّثه ، عن النبي ﷺ قال : [يغزو قومٌ مِن أُمَّتي الهند ، يفتح اللهُ عليهم ، حتى يأتوا بملوك الهند مغلولين في السلاسل ، فيغفر اللهُ لهم ذنوبهم ، فينصرفون إلى الشام ، فيجدون عيسى بن مريم ﷺ بالشام][1] .

حتى لو اعتبرنا أنّ قيمة هذا النص تاريخيّة على الأقلّ إلا انّه يساهم في فهمنا لمجرى الحوادث أو بعضِها للزمن الأخير أو كيفيّة التعامل معها مِن قبل على لسان الرواة ..

وكذا في رواية ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال : [عصابتان من أمتي أحرزهم اللهُ من النار : عصابة تغزو الهند ، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم ﷺ][2] . ومع انَّ النصّ قاصر عن المعنى الأعمّ الذي لا بدَّ منه ، لكنّه يساهم في تكوين الخريطة العامّة للحوادث الممكنة ..

---

[1] ابن حماد : صـ ١١٣

[2] ابن حماد : صـ ١١٣

تحذير النبي ﷺ أمّته من الدجال

يظهر من بعض النصوص تحذير النبي ﷺ من فتنة الدجال ، بحيث أُعطيت هذه الفتنة سعةً من الإهتمام يدلُّ على حجم الأزمة التي يسببها خروج الدجال[1] .. ففي رواية أبي أمامة الباهلي قال : خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجال يحذِّرنَاهُ ، وكان من قوله : [يا أيُّها الناس ، إنها لم تكن فتنةٌ في الأرض أعظم من فتنة الدجال ، وإنَّ الله تعالى لم يبعث نبيًّاً إلا حذَّره أمته ، وأنا آخر الانبياء وأنتم آخر الامم ، وهو خارج فيكم لا محالة .. »[2]

أقول : التحذير منها هنا لرفع مستوى القلق وإعادة التركيز على قيمة الإسلام ، خاصّةً إذا أخذنا بعين الإعتبار ما أشار إليه النبيُّ على المسلمين من انَّ فتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال . وفي طائفة

---

[1] مع تحفّظي على ما ورد من تصوير يُراد منه نقل واقع الدجّال إلى اسطورة . وألفت إلى أن نصوص أهل البيت ﷺ جاءت خالية من هذا التصوير ، فيما نصوص العامّة احتوته . ويبدو أنّها تأثّرت بروايات كعب . من هنا مع إيرادي لطائفة واسعة من نصوص الدجّال أتحفّظ عبر البيان والملاحظة ..

[2] ابن حماد : صـ ١٤٥ وفي الرواية عن عن شعيب بن غزوان ، عن رجل عن أبي جعفر ﷺ قال : دخل عليه رجل من أهل بلخ ، فقال له : (يا خراساني ! تعرف وادي كذا وكذا ؟ قال نعم . قال له : تعرف صدعا في الوادي من صفته كذا كذا ؟ قال نعم . (قال :) من ذلك يخرج الدجال . .)] * ٨٧٢ - المصادر : * : بصائر الدرجات : صـ ١٤١ ، ب ١١ ، ح ٧

أخرى فتنة الدرهم والدينار أصعب من فتنة الدجَّال .. ولا نسلِّم ببعض الروايات المقطوعة أو غير المسندة أو الواضحة الوهن أو المردودة المتن أو المضطربة أو التي تعطي صفات أكبر من حقائق الحال بدليل طائفة معتبرة واردة من النصوص . على أنَّ أصل فتنة الدجَّال صحيح ، وأنَّ للدجَّال حظّاً من ظهورٍ ونفوذٍ وهيمنة وبلاء على المسلمين .

على انَّ سطوة الدجَّال في أوَّلها كبيرة ، ثمّ تتناقص شيئاً فشيئاً إلى أن يتقهقر ويُقتَل . ففي رواية عبد الرزاق عن أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله ﷺ : [أيام الدجال أربعون يوماً ، فيوم كالسنة . ويوم دون ذلك ، ويوم كالشهر ويوم دون ذلك ، ويوم كالجمعة ويوم دون ذلك ، ويوم كالايام ويوم دون ذلك ، وآخر أيامه كالشررة في الجريدة ، فيصبح الرجل بباب المدينة فلا يبلغ بابها الاخر حتى تغيب الشمس . قالوا : يا رسول الله فكيف نصلي في تلك الايام القصار ، قال : تقدِّرون كما تقدِّرون في هذه الايام الطوال ثم تصلون][1] . إشارة إلى أيّامٍ نافذةٍ تكون للدجال وسطوةٍ كبيرةٍ ، ثمّ تضمحل شيئاً فشيئاً ، وقطعاً ليس المُراد من اليوم اليوم الزمني بل الفترة الزمنيّة ، وفيها إشارة إلى فترةٍ نافذةٍ للدجال وأيّام سطوة وقوّة تضمحلُّ شيئاً فشيئاً ..

وفي رواية أسماء بنت يزيد قالت : قال النبي ﷺ : [يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة ، السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، واليوم كاضطرام السعفة في النار][2] . تأكيداً لوصفٍ يكون قائماً في الزمن وليس لأصل الزمن ووصفِهِ بما هو .

---

[1] صـ ١٥٠ – ١٥٥ عن عبد الرزاق

[2] عبد الرزاق : جـ ١١ صـ ٣٩٢ حـ ٢٠٨٢٢

ومهما يكن من أمر فإنَّ فتنة الدجَّال ظاهرة ولها أثر ضارب ، وفي نصوص العامة تعتبر فتنة الدجَّال الفتنة التي ليس بعدها فتنة . وهذا لم يثبت عن طريق أهل البيت عليهم السلام بهكذا توصيف رغم تأكيدهم عليهم السلام على حتميّة الدجال وفتنته .

وفي سياق النصوص التي تُؤكِّد خطورة فتنة الدجَّال وأنَّها الأعظم روى هشام بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : [ما بين خلق آدم والقيامة فتنة أعظم من الدجال][1] . إشارة إلى خطورة فتنة الدجال وأثرها لضرورة التركيز عليها .

لكنَّ يجب أن لا يُؤخذ هذا المتن حرفيَّاً على ما هو عليه ، لأنَّ ما ورد من النصوص يشير إلى فتنة الدجال ويضعها في صفٍّ متأخِّرٍ عن فتنة المسلمين ، أي أنّ فتنة المسلمين ببعضهم البعض أخطر من فتنة الدجال ، أمّا سياق النصِّ هنا فهو للتأكيد على أمرين : الأوّل : تركيز الإهتمام بالدجال وخطورته والإحتراز منه . الثاني : تركيز الإهتمام على الأسوأ منه ، وهو ترك الإسلام ، فأيّ تركٍ للإسلام يعني أزمةً أسوأ وأخطر من فتنة الدجال كما أشارت إلى ذلك النصوص .. والدجال من المحتوم ، أي لا بدَّ أن يظهر آخر الزمان ، وفي رواية جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [مَن أنكر خروج المهديِّ عليه السلام فقد كفر بما أُنزل على محمَّد ، ومَن أنكر نزول عيسى عليه السلام فقد كفر ، ومَن أنكر خروج الدجال فقد كفر][2] ..

---

[1] ابن حماد : صـ ١٤٦

[2] فرائد السمطين : جـ ٢ صـ ٣٣٤ حـ ٥٨٥ – فوائد الاخبار ، أبو بكر الاسكاف : على ما في عقد الدرر ، وعرف السيوطي ، الحاوى ، والفتاوى الحديثية ، ولوائح الانوار ، والاذاعة ، والعطر الوردي . * : الروض الآنف : جـ ٢ صـ ٤٣١ على ما في هامش عقد الدرر .

وللتذكير ، فإنَّ النبيَّ ﷺ مع كلِّ ذلك كان يُؤكِّد للمسلمين أنَّ فتنة بعضِهم أعظم من فتنة الدجال ، رغم خطورة فتنة الدجال ، وفي ذلك نصوص عديدة . ففي رواية حذيفة قال : ذُكر الدجال عند رسول الله ﷺ فقال : [لَفتنَةُ بعضكم أخوف عندي مِن فتنةِ الدجَّال ، ولن ينجو أحدٌ ممَّا قبلها إلا نجا منها ، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيراً ولا كبيراً إلا لفتنة الدجال][1] .

وفي لفظ آخر لحذيفة قال : كنَّا عند رسول الله ﷺ فذُكر الدجالُ فقال ﷺ : [لَفتنةُ بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال ، ليس من فتنة صغيرةٌ ولا كبيرةٌ إلا تصنع لفتنة الدجال ، فمن نجا مِن فتنة ما قبلها نجا منها . والله لا يضرُّ مسلماً ، مكتوب بين عينيه كافر][2] . إشارة إلى هوانِ أمرِه على الله ، وعظمة الدِّين وقيام الحجَّة ، وقدرة الإيمان والإسلام على مقارعتِه رغم التدليس الذي يقوم بهِ والباطل الذي يعتمد عليه ..

ويجب الإلتفات إلى بعض المتون خاصّة الروايات غير المعتبرة بعد أن دخلت على بعضِ عناوينِها معانٍ أسطوريّة في هذا الخصوص ، وإلا فإنَّ الدجال أهون على الله تعالى من أن يضع بين يديهِ الأكل والشرب والخدعة وما يصل بهِ إلى قطع الحججِ وإبطالِها ، والنصوص التي تشير إلى انَّ كلَّ واحدٍ يقرأ بين عينيهِ أنّه كافر دليل على العجز الذي يصاحب الدجال في عمليّة ادّعاء الربوبيّة وغير ذلك . وفي رواية المغيرة بن شعبة قال : ما سأل أحدٌ رسولَ الله ﷺ عن الدجال أكثر ما سألتُهُ عنه ، فقال : لِمَ تسأل عنه ؟

---

[1] أحمد : ج ٥ صـ ٣٨٩

[2] كشف الهيثمي : ج ٤ صـ ١٤٠ حـ ٣٣٩١

فقلت : إنَّ الناس يزعمون أنَّ معه الطعام والشراب ، قال : ﷺ : [هو أهون على الله تعالى من ذلك][1] . يجب أن نلتفت جداً إلى هذا الجواب ..!

وفي روايةٍ أخرى له قال : « .. فقال لي : .. إنه لن يضرّك . قلت : يا رسول الله إنهم يزعمون أنَّ معه جبال الخبز وأنهار الماء][2] ..

أقول هذا الحديث وغيرهُ يدعونا إلى التدقيق والتأنِّي في قبول بعض روايات تنفيخ وأسطرة الدجَّال للحؤول دون تأثُّرِها بأساطير الناس وما نُقِل عن لسانِهم في هذا المجال ممَّا لا اعتبار له ..

بل في بعض النصوص إشارة إلى ثباتٍ يقيني للمؤمن في وجه الدجال ، ففي رواية حذيفة قال : [لا يخرج الدجال حتى لا يكون غائب أحبّ إلى المؤمن خروجاً منه . وما خروجه بأضرّ للمؤمن من حصاة يرفعها من الارض ، وما علم أدناهم وأقصاهم إلا سواء][3] . تأكيداً على أنَّ خدعة الدجال أو تدليسه أعجز من التأثير على إيمانٍ مؤمنٍ أو إسلامِ مسلم ..

نعم يبدو من أكثر من نص تحذير جدّي من فتنة الدجال وأنَّ المؤمنين يُزلزلون زلزالاً شديداً ، لكنَّ النصوص المعتبرة لا ترفع الدجال إلى نفوذٍ وقوّةٍ وتدليسٍ أسطوريٍّ كما رفعه إليهِ أكثر من نصٍّ عاميٍّ وارد عن كعب أو غيرِهِ .. ومع ذلك ، فالدجال حقيقة لا بدَّ من خروجِهِ . وأنّه يكون على رأس جبهة اليهود ، كما يكون له نفوذٌ وبطش ، وأنّه يخرج بالتدليس والشعوذة والوهم والدعوة إلى جحود اللهِ تعالى وبين يديه أدوات

---

[1] ابن حماد : صـ ١٥٥

[2] صـ ٢٤٨ بتفاوت ، بسند آخر ، عن المغيرة بن شعبة

[3] ابن أبي شيبة : جـ ١٥ صـ ١٤٨ حـ ١٩٣٥٣

حرب وطغيان ، وفي رواية هشام بن عامر عن النبيِّ ﷺ - في الدجال - قال : [.. إنَّهُ سيقول : أنا ربكم ، فمَن قال أنت ربي أفتتَن ، ومن قال كذبت ، ربِّي اللهُ وعليه توكَّلت وإليه أُنيب ، فلا يضرُّه - أو قال فلا فتنة عليه -][1] .

واضح أنَّ للدجَّال مشروع كفر هائل فضلاً عن مطامعه السياسيّة ومشروعِهِ الغرائزي الذي تؤكِّده النصوص ..

وفي رواية أبي قلابة قال : [رأيت رجلاً بالمدينة ، وقد طاف الناسُ به وهو يقول : قال رسول الله ﷺ ، فإذا رجلٌ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ قال : فسمعته وهو يقول : إنَّ من بعدكم الكذَّاب المُضِلَّ ، وإن رأسه من بعده حبك حبك حبك ثلاث مرات (المجعد الذي فيه طرائف) وإنه سيقول : أنا ربكم ، فمن قال : لستَ ربَّنا ، لكن ربنا الله عليه توكلنا وإليه أنبنا نعوذ بالله من شرك ، لم يكن له عليه سلطان][2] ..

وممَّا تجدرُ الإشارةُ له أنَّ الدجال لا يدخل مكّة ولا المدينة ، بمعنى أنَّ هاتين المدينتين تُعصمانِ منه . وفي حديث عائشة الذي أورده أحمد قالت : إنَّ النبي ﷺ قال : [لا يدخل الدجَّال مكة ولا المدينة][3] .. وفي بعض نصوص العامّة كما في رواية عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيهِ أنَّ الدجال : [تنام عينُهُ ولا ينام قلبُهُ][4] . وهو كناية أكثر ممّا هو تصريح ..! وظاهرهُ غير تام ، فضلاً عن الوهن في سنده . كما وردت نصوص تذكر أنَّ الدجال هو عبد الله بن صياد أو صائد الذي وُلِدَ في المدينة زمنَ النبيِّ ﷺ

---

[1] عبد الرزاق : جـ ١١ صـ ٣٩٥ حـ ٢٠٨٢٨

[2] عبد الرزاق : جـ ١١ صـ ٣٩٥ حـ ٢٠٨٢٨

[3] عبد الرزاق : جـ ١١ صـ ٣٩٥ حـ ٢٠٨٢٨

[4] الطيالسي : صـ ١١٦ حـ ٨٦٥

وأنه حيٌّ يرزقُ . وقد ورد في متن إبن الصياد وحديث الجساسة كما ورد بعضها تحت عناوين أخرى ، إلا أنَّ النصوص أيضاً لم تتوافق ومعايير التوثيق الضروريّة لقبول الخبر ، فلا يُركن إليها ولا يعتمد عليها كنصٍّ له أثر أو قبول لجهةِ الصدور عن مقام المعصوم عليه السلام ..

كما وردت نصوص تُعيِّنُ أوصافاً محدَّدة للدجَّال ، ويكفينا أن نركِّز على أنَّ الدجَّال أعور ، وهذهِ صفة وردت في العديد مِن النصوص ، أمّا غيرها من النصوصِ فقد ورد فيها المزيد من الوصف إلا أنَّ ببعضِ سندها وهن ، ومنها ما رواهُ عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [إنِّي قد حدّثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا ، إنَّ مسيح الدجال رجل قصير أفحج (متباعد ما بين الرجلين) جعد ، أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء ، فإنْ التبس عليكم فأعلموا أنَّ ربكم ليس بأعور][1] ، ومع انَّ تماميّة هذهِ النصوص فيها شكٌّ عندي لجهة بعض السند مرَّة ولجهة بعض المتنِ مرَّةً أخرى ، لكنَّها تضع بين أيدينا على الأقل شهادة تاريخيّة محددة من شأنِها أن تساعدنا في معالجة بعض الأمور ..

والخلاصة : أنَّ فتنة الدجَّال تكون بعد ملحمة الروم . ولهذه الفتنة أثر خاصَّة في منطقة الشام والحجاز والنواحي .

---

[1] ابن حماد : صـ١٤٦

الكذابون قبل الدجال

تشير نصوص عدّة انَّه قبل خروج الدجّال يخرج العديد من الكذّابين الذين يدَّعون النبوّة أو ما هو في مقامِها ، ومنهـا مـا وراه ثعلبـة بـن عبـاد العبدي (من أهل البصرة) أنه شهد يوماً خطبةً لسمرة بن جندب ، فذكر في خطبته حديثاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : [والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الدجال ، ممسوح العين اليسـرى (كأنهـا عـين أبي يحيى شيخ من الانصار – إشارة تشبيهيّة –) وإنـه متـى يخـرج فإنـه يزعم أنَّهُ الله .. وإنه سيظهر على الأرض كلِّها إلا الحرم وبيت المقدس (..!) وإنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس ، قال : فيهزمُهُ الله وجنوده حتـى أن جذم الحائط (ما بقي منه) وأصل الشجرة ينادي : يا مؤمن هذا كافر يستتر بي تعالَ اقتله ، قال : ولن يكون ذاك كذاك حتى ترون أموراً يتفـاج شـأنها في أنفسكم ، تساءلون بينكم : هل كان نبيكم ذكر لكم منهـا ذكـراً ؟ وحتـى تزول جبال عن مراتبها ، ثم على أثر ذلك القبض وأشار بيده][1] .

ومع انَّ النصَّ مطعون ببعضِ متنِه إلا انّه يؤيِّد ما ورد في غيرِهِ من النصوصِ من خروج الكذابين .. وما احبُّ أن أشـيرَ إليـهِ هنـا أنّ الروايـات المعتبـرة لا تؤكِّـد أبـداً أنَّ الـدجال يسـيطر علـى الأرض إلا الحـرم وبيـت

[1] ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ١٥١ حـ ١٩٣٥٩ .. أحمد : ج ٥ صـ ١٦

المقدس .. لا يمكننا التسليم بهذه الإطلاقات المحمولة بنصوص غير تامّة الإسناد فضلاً عن اضطراب بعض متونها . بل في النصوص الثابتة ما يخالفها حضوراً ، مثل جبهة يأجوج ومأجوج التي يبدو أنّها على نحوٍ من قوّةٍ جبّارة . هذه لا يسيطر عليها الدجّال .. إذن في نصوص الدجّال شيئ من الوهم والدس الذي لا بدَّ من التنبّه له .

نعم ورد عندنا انَّ الدجّال يحاصر فئة من المؤمنين في بيت المقدس ، وينتهي الأمر أخيراً للمؤمنين ، وتركِّز بعض النصوصِ على شدّة فعل الدجّال ..

كما يمكن التسليم بحضور وزحف للدجّال من منطقة الإتِّحاد السوفياتي ومحاولتِه فتح بيت المقدس مع ما يعني من ضغط وحرب وحصار في الشام والحجاز وغيرها كما في بعض المتون .

المهم أنّ آخر الزمن تتزاحمُ فيه البلايا والرزايا ، حتى أنَّ الكذابين يُساقون في العلن ويُفاخَرُ بهم ، ويبدو عالم التسليع والوهن متفسِّخاً إلى حدّ توليد نماذج خطرة من الكذابين الذين يدَّعون النبوات وغيرها . ففي رواية عبيد بن عمير الليثي قال : قال رسول الله ﷺ :

[لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً ، كلهم يزعم أنه نبي قبل يوم القيامة][1] . وفي رواية المختار قال : قال ابن عمر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : [إنَّ بين يدي الساعة ثلاثين دجالا كذَّاباً][2] .. وفي روايةٍ

---

[1] عبد الرزاق : على ما في سند أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ١٧٠ حـ ١٩٤١١ -

[2] عبد الرزاق : على ما في سند أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ١٧٠ حـ ١٩٤١١ -

أخرى : « لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله »[1] ..

ولقد كانت هذه النصوص متداولة ، وكان يعمدُ بعضُهُم إلى الإنتصار الثقافي على خصمِهِ بتشبيهِهِ له بأنّه الدجَّال الذي يخرج قبل ظهور المهدي عليه السلام ، وفي رواية ابن جابر قال : دخل القاسم بن مخيمرة على أبي إدريس الخولاني وهو يومئذ على القضاء بدمشق في زمن عبد الملك (بن مروان بن الحكم الأموي) فقال : إنَّ حارثاً لقيني فأخذ عهدي لأسمعنَّ منه ، فإنْ قبلته قبلت ، وإن سخطته كتمته عليه ، ثم قال له : إنه رسول الله ، فقلت له : أنت أحد الدجَّالين الكذَّابين الذين أخبر رسولُ الله صلى الله عليه وآله أنَّ الساعة لا تقوم حتى يخرج ثلاثون دجالاً كلُّهم يزعم أنه نبي . وأنت أحدهم . قال العلاء بن زياد : ما غبطت عبد الملك بشيئ من ولايته إلا بقتله حارثاً[2] .

وفي رواية أبي بكرة قال : أكثَرَ الناسُ في مسيلمة (الكذَّاب الذي ادّعى النبوة زمن النبيِّ صلى الله عليه وآله) قبل أن يقول رسولُ الله صلى الله عليه وآله فيه شيئاً ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وآله خطيباً فقال : [أمَّا بعد ، ففي شأن هذا الدجال الذي قد أكثرتم فيه ، وإنه كذَّاب مِن ثلاثين كذاباً .. وإنه ليس مِن بلدٍ إلا يبلغه رعب (الدجَّال) إلا المدينة ، على كلِّ نقب (مدخل) من أنقابها ملكان يذبَّان عنها رعب (الدجدَّال)][3] ..

---

[1] عبد الرزاق : على ما في سند أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ١٧٠ حـ ١٩٤١١ -

[2] ابن عساكر ، على ما في تهذيب تاريخ دمشق : ج ٣ صـ ٤٤٥

[3] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٩٢ حـ ٢٠٨٢٣

ومهما قيل فقد وردت نصوص مختلفة في معنى الكذّابين الذين يكون لهم صيت واتباع وظهور في زمن الفساد والطغيان ، منها ما ركّز على عدد ٣٠ كذّاب ، ومنها ما أشار إلى أكثر من ذلك ، ومقتضى القاعدة حمل الأقل على البيان وليس على الحصر ، بمعنى انّ لسان النصوص كان في مقام الإشارةِ إلى كثرةٍ كاثرةٍ من الكذابين الذين يخرجون قبل الإمام المهدي عليه السلام فيدّعون النبوة أو الإمامة كذباً وبهتاناً ..

وفي رواية أنس بن مالك قال : قال رسول الله : [يكون قبل خروج الدجال نيف (زائد) على سبعين دجالا][1] .

وفي رواية الطبراني قال : [لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذّاباً][2] ..

وكما ترى : النصوص تشير إلى أناسٍ يدّعون النبوّة بعد النبيِّ صلى الله عليه وآله ، إلا أنّ لسان العديد من النصوصِ يشير إلى كثرة ادّعاءِهم هذا الأمر قبيل ظهور المهدي أو على مسافةٍ قريبةٍ من عصرِهِ عليه السلام ، رغم أنّ النصوص لا تمنع من تطبيق ما ورد في المتون على ايّام غيرِهِ من الأئمّة عليهم السلام ، لكنّها في عصر الظهور أظهر ..

على أنّ الدجّال أعظمهم كذباً وكفراً . وفي رواية الطيالسي عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله قبل موته بشهر : [إنّ بين يدي الساعة كذابين ، منهم صاحب اليمامة ، ومنهم صاحب صنعاء العنسي ، ومنهم صاحب

---

[1] ابن حماد : صـ١٤٦

[2] ابن حماد : صـ١٤٦

حمير ، ومنهم الدجال والدجال اعظمهم فتنة][1] .. ما يعني أنَّ سلسلة الفتن تنتهي عند الدجَّال ، وهذه الطائفة تعطي الدجَّال خصوصيّة حمله مشروع طغيانٍ جحودي ، حيث يعمل بكلِّ ما اوتي من قوّة لتثبيت الإنحراق العقائدي في الأرض ..

[1] الطيالسي : صـ ١٠٣ جـ ٧٥٥ ابن حماد : صـ ١٤٦

الفتَن قبل الدجال

من الأمور التي أشارت إليها النصوص تعدُّد الفتن قبل خروج الدجَّال ، وهل هي على سبيل الحصر أم المثال والإبراز ؟ يبدو الثاني هو الأرجح لمجموع معطيات . وفي رواية عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : [تكون أربع فتن ، الأولى يُستحَلُّ فيها الدم ، والثانية يُستحلُّ الدم والمال ، والثالثة يُستحلُّ فيها الدم والمال والفرج ، والرابعة الدجال][1] .

وفي لفظٍ آخر لحذيفة قال - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - : [يخرج الدجال في الفتنة الرابعة ، بقاؤه أربعون سنة ، يحفظها الله على المؤمنين ..][2] ..

لسان النصوص يشيرُ إلى فتنة حرب وقتل وفتنة جوع ومال وفتنة قتل وجوع واغتصاب مع ما يعنيه هذا من عنفٍ وتنكيل ودمار ونار وأهوالٍ وفظائع ، وصولاً إلى الفتنة الأكثر خطورة وهي فتنة الدجَّال .

وفي رواية معاذ بن جبل إشارة أوليَّة إلى نموذج من الفتن فيقول : قال رسول الله ﷺ : [عمرانُ بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب

---

[1] ابن حماد : صـ ٨

[2] ابن حماد : صـ ٨

خروجُ الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال ..][1] .

النص يشيرُ إلى بيت المقدس ويثرب والملحمة . أي منطقة الشام والحجاز والنواحي بما يعنيه شريط الأحداث وما يليها من ملحمةٍ مشهورة في لسان النصوص وهي التي تقع بين المسلمين والروم . وتبدأ من الشام وتنتهي في الغرب المسيحي .

النص يعرض بين يدينا مشهدين متتابعين : عمرانُ بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروجُ الملحمة . وهنا لا بدَّ من التأكيد على أنَّ يهود فلسطين يهزمون أمام جيش الخراساني ، ثم تكون لهم كرَّة أخرى مع الدجَّال أو قبله وتتابعاً معه .

وتُفتَحُ فلسطين على يدِ المهديِّ ﷺ مطلقاً . من هنا نجد أنَّ خرجة اليهود تكون من خارج بيت المقدس . تتَّجِه مع الدجَّال نحو يثرب لكنّه لا يستطيع دخولها ، فيحوِّل نظرهُ نحو فلسطين ، وهناك يُقتل .

يبقى سؤال : هل تخرب يثرب (المدينة) غير خراب السفياني ؟ لم أقع مِن النصوص على ما يرجِّح هذا الأمر . النصوص سجَّلت جملةً من الأحداث لا كلّها ، ركزت على المفاصل ، سردت نتائج . من هنا فإنَّ التصوُّر الكلِّي لذلك الزمن كثير الأحداث والوقائع . وقد ورد عندنا في النصوص أنَّ الذي يدخل المدينة ويعيث فيها فساداً وقتلاً وسفكاً للدماء إنَّما هو السفياني ، فيلفت النصُّ إلى أنَّ خراب يثرب يوافق الفترة التي تكون فيها

---

[1] ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ١٣٥ حـ ١٩٣٢٣

بيت المقدسِ عامرةً أو مستقرّة . هذا إذا كان المقصود فيها فترة السفياني . النص أعم من ذلك .

ثمّ إنَّ التركيز على فتح القسطنطينيّة يُرادُ منه الإشارة إلى رمز تاريخيٍّ يؤكِّد فتح عاصمة القرار الرومي زمن المهدي عليه السلام وذلك قبل خروج الدجَّال ، فإذا فُتِحت عاصمة القرار الرومي فإنَّ الدجال يخرج بعد ذلك ..

وما يلفت النظر هو شياع استعمال هذهِ النصوص بين المسلمين ، من انّه بعد فتح عاصمة القرار الرومي يخرج الدجَّال ، ما يزيد من القيمة التوثيقيّة لهذهِ النصوص أو إجمالها العام ، وإلا لما كان هناك حاجة في إضافة خروج الدجّال إلى فتح تلك العاصمة لو أُريد منها نفس القسطنطينيّة التي استعصت عليهم بعد عاصمة كسرى ، وظلَّت عدواً عنيداً طيلة قرون عديدة ..

وعليه : إنَّ حديث فتح عاصمة الروم وخروج الدجَّال على أثره صحيح . وقد صدر فيه عن النبيِّ صلى الله عليه وآله نصوص مشهورة على لسان الرواة[1] .

---

[1] نعم الذي حصل في روايته أنَّ بعض الرواة والتابعين طبَّقوه على عاصمته في عصورهم التي كانت القسطنطينية أو كانوا في مقامة الإشارة التقريبيّة . وكانوا صريحين في أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله ركَّز على فتح عاصمة الروم الأضخم ثمَّ على ظهور الدجال في آخر العصور أي في عصر المهدي عليه السلام ، من هنا المقصود هو عاصمة الروم في زمن المهدي عليه السلام ، وأن حركة الدجال تكون ردة فعل يهودية رومية على الانتصار الكاسح الذي يحققه المهدي عليه السلام . وتعبير القسطينطينية في أصل الحديث إنّما هو وفق الإستعمالات التاريخيّة التي يُراد منها التعبير عن فتح عاصمة تكون في زمن المهدي تكون لها قيادة وصناعة القرار الرومي آنذاك ، ولا يضرّ في ذلك مكانُها . المهمّ الإشارة إلى مركزِ الحكم والقرار الذي يشكّل قيادة الجبهة الروميّة المسيحيّة ، فلا ينافيه تحوّل القسطنطينيّة من تركيا إلى أوروبا أو غيرها ، وقد

وبسبب شياع مثل هذهِ المعاني من فتح عاصمة الروم الكبرى ، حاول بعض الرواة تطبيقها على القسطنطينيّة ، في حين هو مجرَّد اجتهاد تطبيقي ليس أكثر ، والدليلُ على ذلك أنَّهم رووا باقي حديث النبيِّ من ضرورة خروج الدجَّال ، ما يؤكِّد صدور مثل هذهِ الأحاديث عن النبيِّ ﷺ ، لأنَّ الدجّال هو الفتنة الكبرى التي تكون في عصر المهدي عليه السلام . وكمثالٍ توضيحيٍّ لهذا التطبيق روى بشير بن عبد الله بن يسار قال : أخذ عبد الله بن بسر المازني صاحب رسول الله ﷺ بأذني فقال : [يا ابن أخي ، لعلَّك تُدرك فتح قسطنطينية ، فإيَّاك إنْ أدركتَ فتحها أن تترك غنيمتك منها ، فإنَّ بين فتحها وبين « خروج الدجال » سبع سنين][1] .

ففي هذا الحديث تأكيد على أنَّ خروج الدجّال يكون على أثر فتح ضخم يحقّقه المسلمون ضدّ عاصمة روميّة ضخمة ، يكون لها شأنُها وأثرُها في العالم ، في حين نفس الرواة يؤكِّدون أنَّ الدجال يكون في زمن المهدي ، أي في آخر الزمن ، وأنَّ الدجَّال جبهةٌ يهوديّة ، يخرج في وجه المهدي عليه السلام ..

وما إيراد لفظ قسطنطينيّة إلا إشارة إلى عاصمةٍ ضخمة تكون في عصر الظهور .. أي زمن خروج الدجَّال ، وفي رواية كعب : [لا يخرج الدجال حتى تفتح القسطنطينية] إشارة إلى عاصمة روميّة يكون على أثرها

ورث الروم الغربيّون الرومَ الشرقيين . وفي أحاديث الروم واليهود وأحاديث نزول عيسى عليه السلام أدلّة وشواهد على ذلك . بل هو تأكيد متناهي الدقّة على عظمة الإخبار الذي قاله النبيّ ﷺ منذ القرن السابع ميلادي ..

[1] ابن حماد : صـ ١٣٠

خروج الدجال .. وهذا المعروف في قانون الإستعمال بألفاظ التقريب . وفي لفظٍ آخر لكعب قال : [الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية ، ومصر آمنةٌ من الخراب حتى تخرب الجزيرة ، والكوفة آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ، ولا تكون الملحمة حتى تخرب الكوفة ، ولا تفتح مدينة الكفر حتى تكون الملحمة ، ولا يخرج الدجال حتى تفتح مدينة الكفر][1] .

تعبير « مدينة الكفر » الوارد في ذيل النص يوافق جداً المعنى الكلّي المُراد في بطن النصوص . إنه يشيرُ إلى فتح عاصمة الروم التي تشكّل عاصمة كبرى وذات نفوذ ضخم في العالم .

والمعنى العام من حركة الدجّال أنَّ حركة الفتن والجبهات تظلُّ مستمرّةً ، وأنَّ العالم لا يدخل في الأمن والأمان بالمعنى الإستقراري ، خاصّةً منطقة « الشرق الأوسط » قبل نهاية مطاف الصراع الذي لا ينتهي بخروج الدجال ، بل يظلُّ مستمرّاً حتى القضاء على جبهة يأجوج ومأجوج .

نعم جبهة الدجّال كما يبدو من النصوصِ تكون على نحوٍ خطيرٍ ، تمتلك بعض أوراق التأثير والنفوذ في هذهِ المنطقة .. ويأتي خروج الدجال على أثر فتح عاصمة روميّة ضخمة ، لها وزن عالمي لافت ، وفي تعبير كعب قال : [بينما هم (المسلمون) يقتسمون غنائم القسطنطينية (عاصمة قرار رومي) إذ يأتيهم خبر الدجال ، فيرفضون ما في ايديهم ثم يقبلون فيلحقون بيت المقدس .. ثم يوحي الله تعالى إلى عيسى بن مريم عليه السلام أن يسير إلى يأجوج ومأجوج ، ثم يرجع إلى بيت المقدس ، ثم إنَّ الارض

---

[1] الحاكم : ج ٤ صـ ٤٦٢

تخرج زكاتها على ما كانت في أول الدنيا .. ثم يبعث الله ريحا فيقبض أرواح المؤمنين][1] ..

مع الإلتفات إلى أنَّ النص هنا يسجِّل نتائج وأحداث ببعد النظر عن عنصر الزمن . وعليه : بيَّنت طائفة أنَّ هذا الخبر من خروج الدجَّال أوَّل مرّة يكون كذباً ، أي لا يخرج الدجَّال ، لكنّه يكون في مرحلة تهيئة جبهته .

لا بدَّ من قراءة مترابطة . مجموع نصوص تسرد نتائج . تنتقل مِن حديث الملحمة مع الروم نحو حصار المسلمين في القدس . ففي لفظ عبد الله بن عمرو بن العاص قال : [يبلغ الذين فتحوا القسطنطينية خروج الدجال ، فيقبلون حتى يلقوه ببيت المقدس ، قد حصر هنالك ثمانية آلاف امرأة وإثنا عشر ألف مقاتل هم خير من بقي ، وكصالح من مضى ، فبينما هم تحت ضبابة من غمام إذ تكشف عنهم الضبابة مع الصبح ، فإذا بعيسى بن مريم بين ظهرانيهم ، فينكب إمامهم عنه ليصلي بهم ، فيأتي عيسى بن مريم حتى يصلِّي إمامُهُم (أي يأتمّ بالمهدي) تكرمةً لتلك العصابة ، ثم يمشي إلى الدجال وهو في آخر رمق فيضربه فيقتله ، فعند ذاك صاحت الارض فلم يبق حجر ولا شجر ولا شيئ إلا قال : يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله ، إلا الغرقدة فإنها شجرة يهودية ، فينزل حكماً عادلاً فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويبتز قريش الامارة ، وتضع الحرب أوزارها ، وتكون الارض كفادورة الفضة ، وترفع العداوة والشحناء والبغضاء وحمة كل ذات حمة ، وتملأ الارض سلماً كما يملأ الاناء من الماء . فيندفق من نواحيه حتى تطأ الجارية على رأس الاسد ويدخل الاسد

---

[1] ابن حماد : صـ ١٦١

في البقر والذئب في الغنم ، ويباع الفرس بعشرين درهما ، ويبلغ الثور الثمن الكبير ، ويكون الناس صالحين ، فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت حتى تكون على عهدها حين نزلها آدم (عليه السلام) ، حتى يأكل من الرمانة واحدة الناسُ الكثير ، ويأكل العنقود النفر الكثير ، وحتى يقول الناس : لو أن آباءنا أدركوا هذا العيش][1] ..

لَاحِظ : النص شديد الإختصار ، يسجِّل نتائج . لا نعرف تفاصيل عن طبيعة نزول المسيح (عليه السلام) ، لا نعرف تفاصيل عن عمليّة انتشار المسلمين ، عن انتشار اليهود وحلفاءهم ، أين وما هي الحدود الفاصلة ؟ ما هي قوى المعسكرين ..؟ ماذا عن الجوانب الأخرى الكبرى من مساحة دولة المهدي (عليه السلام) . النصوص شديدة الإختصار . النصوص تسجِّل حصاراً ومحنة ، ثم نزول المسيح ، ثم قتل الدجَّال وجنده وكفى .

مع تسجيل تحفُّظي جدّاً على روايات العامَّة التي حاول أغلبُها إعطاء دور رئيسي للمسيح (عليه السلام) على حساب دور المهدي (عليه السلام) ..! خاصَّةً نصوص كعب ومَن هو في صفتِه أو يشترك معه في هدف تشحيل النص من حضور المهدي (عليه السلام) .! ما أريد تأكيدهُ هنا أنَّ العصر هو عصر المهديِّ (عليه السلام) .. والإمارةُ فيهِ للمهديِّ . كما ورد في تواتر النصوص عند الفريقين . بل ورد ذلك بلسانِ عيسى بن مريم وباتّفاق العامّة والخاصة . وإنّما الوزارة تكون لنبينا عيسى (عليه السلام) .

وعليهِ : العدل والقسط ورحمة اللهِ وبركاته إنّما تكون في هذا الزمن الذي أعدَّ اللهُ له المهدي (عليه السلام) . وانّي مستغرب من بعض نصوص كعب

---

[1] نفس المصدر ..

وغيرِهِ في تركيزِهم على النبيِّ عيسى ﷺ في نفس الوقت الذي ينقلون فيهِ أنَّ العصر هو عصر المهدي ..! وأنَّ الإمرة له ..! وأنَّ النبي عيسى ﷺ يُصلِّي خلفه ويُقِرُّ بإمرتِهِ على أمَّتِهِ ..! ومع ذلك يتناسون في بعض النصوص التي يركِّزون فيها على النبي عيسى ﷺ أنَّ الزمن هو زمنُ المهدي روحي فداه ..!

وما يهمّني في موضوع الدجَّال أنَّ حركته تكون على وئامٍ تام مع الروم ، بل هم الذين ينصرون جبهته قبل خروجِهِ أكثر من مرّة . وقد أشرنا إلى مجموعة عديدة من النصوص تشير إلى ذلك .. وبصورةٍ عامّة : تشكِّل روما الحاضِنَ الأكبر لليهود ، حتى بعد هزيمة الروم تتبع فلولُ الروم الدجَّال وتسير في ركبه .

ويظهر انَّ الدجال يكون منتظراً ما يؤول إليهِ أمر الحرب التي تقع بين المسلمين والروم ، فإذا فتح المسلمون عاصمة الروم خرج في وجهِهِم بعد حين ..

وفي رواية أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال : [لا تقوم الساعة (أي زمن المهدي وما يتبعه من الساعة) حتى ينزل الروم بالاعماق (في سوريا) أو بدابق ، فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة من خيار أهل الارض يومئذ (جيش المهدي ﷺ) ، فإذا تصافُّوا قالت الروم : خلُّوا بيننا وبين الذين سبقوا منَّا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله لا نخلِّي بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم ، فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً فيفتحون قسطنطينية (عاصمة روميّة تكون في آخر الزمن ببعد النظر عن الإسم والمكان) ، فبينما هم

يقتسمون الغنائم قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان أنَّ المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام خرج حينما هم يعدّون للقتال يسوون الصفوف ، إذ أُقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم عليه السلام .. فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده ، فيريهم دمه في حربته][1] ..

هذا النص وغيره يشير إلى أنَّ حركة الدجال تكون بعد حركة الروم وحربها مع المسلمين ، وأنَّ الروم يكون لها وجود إنتشاري في أكثر من منطقةٍ بالعالم ، منها منطقة الأعماق ، وحسب النص ، فإنّهم ينزلون بهِ ، للحرب ، ومعلوم من النصوصِ أنَّ الروم تتكبَّد خسارة في حربِها ضدَّ السفياني الذي دعمته ، فإذا انتصب له الأمر وحانت له الفرصة انقضَّ عليها في هذهِ المنطقة وهزمَها .. ثمّ تكون لهم عودة إلى هذهِ المنطقة ، وأنّ الذي يلي قتالهم هو جيش المهديِّ ، وتكون بينهم وقعة ضارية ، ينهزمون على أثرها إلى عاصمتِهم ، فيتبعهم جيش المهديِّ حتى يفتحَها ..

بعض النصوص صريحة في أنَّ بعض العرب وغيرهم يأخذهم الخوف ويتراجعون من زحف الروم . فيطلب المهديُّ عليه السلام المدد من اليماني وأهل المشرق . النص صريح في أنَّ أهل المشرق يقدِّمون بين يدي المهدي عليه السلام في تلك الملحمة تضحياتٍ مذهلة . بعض النصوص قالت : تسعمائة وتسع وتسعون الف . إشارة إلى كثرة الشهداء التي يقدِّمُها أهل المشرق بين يدي المهدي عليه السلام ..!

---

[1] نفس المصدر ..

بحيث يبدو حضور أهل المشرق الخراسانيين في أعظم المعارك على نحوٍ مذهل ، ولهم قيمة رئيسيّة جداً في جيش الإمام ﷺ بل القائد العام لجيش المهدي ﷺ يكون منهم (شعيب بن صالح) .

وفي رواية – لو صحَّت – فإنَّ أوَّل مَن يذوق حرارة الحديد من سيف الدجَّال هم أهلُ المشرق الممدوحون بلسان أهل البيت ﷺ ، حيث يجتاح الدجّال مِن مناطق جهة الإتِّحاد السوفياتي إلى قسم مِن أراضي إيران ، مستغلّاً وجود القسم الكبير من جيش خراسان في بلاد روما التي فتحها جيشُ المهدي ﷺ . فيجتاز ذلك القسم بالدم والنار نحو الشام والحجاز ، ومنها نحو فلسطين . وتؤكِّد الرواية أنَّ أهل المشرق يبلون بلاءاً عظيماً في وجه الدجَّال في تلك المعركة الهائلة .

وإذا جمعنا طوائف النصوص نجد أنّ للخراسانيين حضوراً وتضحياتٍ ورتبةً مدهشة في دولة الإمام المهدي ﷺ .

يكفي فيها أنَّ البلاء العظيم الذي يمتازُ فيهِ جيش المهدي ﷺ في ملحمة الأعماق يكون رأسُ التضحيات فيهِ من قِبَل أهل المشرق بعد هناتٍ وهناتٍ من بعض العرب ..!

ومن قراءة خريطة الأحداث يبدو انَّ قوى العالم تُعيد تكوين مقدّراتِها لمقاتلة المهدي ﷺ ما أمكنها ذلك .

فبمجرَّد هزيمة الروم يجد الدجَّال مهداً يحتضنه وقوىً تساعدهُ وزحفاً من الناس إليه ، وتحريضاً للخروج على المهدي ﷺ . وفجأةً يخرج بعد أن تلوح علامات خروجِهِ بعد هزيمة الروم التي تهزُّ الدنيا ..

وقد تعدَّدت أصول الروايات التي تشير إلى ذلك ، ففي رواية كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ :

[لا تقوم الساعة (أي ظهور المهدي وما يتبعه من زمن الساعة) حتى تكون أدنى مسالح المسلمين ببولاء ، ثم قال ﷺ : يا علي ، يا علي يا علي ، قال عليه السلام : بأبي وأمي . قال ﷺ : إنكم ستقاتلون بني الاصفر (الروم) ويقاتلهم الذين من بعدكم ، حتى تخرج إليهم روقة الاسلام أهل الحجاز (جيش المهديِّ عليه السلام) الذين لا يخافون في الله لومة لائم ، فيفتتحون القسطنطينية بالتسبيح والتكبير (عاصمة رومية ضخمة تكون في آخر الزمان ببعد النظر عن الإسم) فيصيبون غنائم لم يصيبوا مثلها .. ويأتي آتٍ فيقول : إنَّ المسيح (الدجَّال) قد خرج في بلادكم ، ألَا وهي كذبة ، فالآخذ نادم ، والتارك نادم (ثمَّ يخرج بعد ذلك)][1] ..

وفي تعبيرٍ آخر لنفس الراوي قال : [.. ثم يصرخ صارخٌ : يا أهل الاسلام ، قد خرج المسيح الدجَّال وذراريكم ، فينتفض الناسُ عن المال ، فمنهم الآخذ ومنهم التارك .. فيقولون : إبعثوا طليعةً إلى لد ، فإن يكن المسيح (الدجَّال) قد خرج فيأتونكم بعلمه ، فيأتون فينظرون فلا يرون شيئاً ويرون الناس شاكين فيقولون : ما صرخ الصارخ إلا لنبأ ، فاعتزموا ثم أرشدوا ، فيعتزمون أن نخرج بأجمعنا إلى لد ، فإن يكن بها المسيح الدجال نقاتله حتى يحكم الله بيننا وبينه وهو خير الحاكمين ، وإن يكن الاخرى فإنها بلادكم وعشائركم وعساكركم رجعتم إليها][2] ..

---

[1] البزار : على ما في كشف الهيثمي . * : ابن ماجة : جـ ٢ صـ ١٣٧١ ١٣٧٠ حـ ٤٠٩٤

[2] البزار : على ما في كشف الهيثمي . * : ابن ماجة : جـ ٢ صـ ١٣٧١ ١٣٧٠ حـ ٤٠٩٤

وسرعان ما يخرج عليهم وتبدأ فتنته ويكون له في أوَّل أمـرِهِ نفـوذ وقوَّة . وفي رواية مجمع الزوائد قال : [لا تذهب الدنيا حتـى تكـون رابطـة مِن المسلمين ، بموضع يقال له بولان حتى يقاتلوا ببني الاصفر ، يجاهدون في سبيل الله ، فلا يعلمون مَن هو ، فيبعثون طليعة ينظـر هـل هـو المسـيح (الدجَّال) ، فيرجعون إليهم فيقولون : لم نرَ شيئاً ولم نسـمعه ، فيقولـون : والله إنه ، والله ما صرخ الصارخ إلا من السماء أو مِن الارض ، تعالوا نخرج بأجمعنا ، فإن يكن المسيح بها نقاتله][1] ..

وكذا في رواية عبد الله بن عمرو قال : [.. تجـيش الـروم ، فيسـتمد أهلُ الشام ويستغيثون ، فلا يتخلف عـنهم مـؤمن . قـال : فيهزمـون الـروم حتى ينتهوا بهم إلى اسطوانة .. فبيناهم عندها إذ جاءهم الصريخ أنَّ الدجال قد خلفكم في عيالكم ، فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون نحوه][2] .

يشير النص هنا إلى ملحمة الروم ، وأوَّلها يكون في الشام ، وتنتهي بفتح عاصمة الروم . ثم ظهور الدجّال . النص يسـجِّل حـوادث ونتـائج بـلا تفاصيل . وكذلك ورد في ملاحم ابن المنادي : [.. تجيش الروم فيُخرِجُون أهل الشام مِـن منـازلهم حتـى يسـتغيثوكم فتغيثـوهم ، ولا يتخلَّـف عـنهم مؤمن ، فيقتتلون فيكون بينهم قتلى كثيـرة ثـم يهزمـونهم إلـى أسـطوانة .. فيغنمون غنيمة عظيمة .. فبينما هـم كـذلك إذ جـاءهم بريـد أنَّ الـدجال قـد خرج ، وأنه يحوش ذراريكم ، قال : فيلقون ما في أيديهم ثم يأتونه][3] . فـلا يكون الدجال قد خرج ، ثمَّ سرعان ما يخرج ..

---

[1] مجمع الزوائد : جـ ٧ صـ ٣٤٨

[2] ابن حماد : صـ ١٤١

[3] : صـ ٥٣ بسند آخر ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ولم يسنده أيضا

نعم بعض النصوص تتحدَّث عن جدبٍ وقحطٍ يكون قبل ظهور الدجَّال . ففي رواية أرطأة قال : [.. تفتح القسطنطينية ثم يأتيهم الخبر بخروج الدجال فيكون باطلاً ، ثم يقيمون ثلث سبع سابوعاً (كذا ورد في المصدر) فتمسك السماء في تلك السنة ثلث قطرها ، وفي السنة الثانية ثلثيها ، وفي الثالثة تمسك قطرها أجمع ، فلا يبقى ذو ظفر ولا ناب إلا هلك ، ويقع الجوع فيموتون (أي يشتدُّ بهم الأمر) حتى لا يبقى مِن كلِّ سبعين عشرة ، ويهرب الناس إلى جبال الجوف إلى انطاكية . ومن علامات خروج الدجال ريحٌ شرقية ليست بحارة ولا باردة ، تهدم صنم اسكندرية ، وتقطع زيتون المغرب والشام عن أصولها ، وتيبس الفرات والعيون والانهار ، وينشأ لها مواقيت الايام والشهور ومواقيت الاهلة][1] .

أهميَّةُ هذا المتن – ولو كشهادةٍ تاريخيَّة – انّه يشيرُ إلى الظرف الذي يخرجُ فيهِ الدجّال . إلا انَّ الرواية بلا سندٍ . نعم يمكن ربطها مع المتون التي أشارت إلى أنّ الدجال يخرج بالماء والأكل وشبه ذلك ، ما يشير إلى مشقةٍ واضحة زمن خروجِهِ . لكنَّ نصوصاً أخرى هوَّنت من أمرِ الدجَّال في هذا المجال ، دون ان تنفي المشقَّة عن المسلمين .. فلاحِظ .

وفي رواية ضعيفة لأبي إمامة الباهلي يخرج الدجال من خلة بين الشام والعراق .. وفي الحقيقة لا توجد رواية معتبرة تشير إلى الموضع النهائي الذي يخرج منه الدجَّال . هناك اضطراب في الروايات ومصادرها . ولا يبعد أن يكون خروجه من منطقة الإتِّحاد السوفياتي كما تشير إلى ذلك رواية يستفاد منها أنَّ خروجه يكون في آسيا الوسطى (أو ربَّما أوروبا

---

[1] نفس المصدر ..

الشرقيّة) ، خاصّة أن ناحية مرو تقع في تركمنستان ، أو يكون من ناحية الإتّحاد السوفياتي بصورةٍ عامّة ، ولا يبعد نهائيّاً أن يكون مدعوماً من أوروبا الشرقيّة حسب التسمية الحاليّة او من مقار روسيا وشبه ذلك . النصوص واضحة في انّ الدجّال يُدعم مِن فلول الروم وحلفاءها .. وفي تلك الرواية أنّه أوّل مَن يهاجم : كرمان ، أي قسم من الأراضي الإيرانيّة . إذن هناك وجهة ومسار ..!

وعلى كلٍّ حال : الدجّال هو القائد الأكبر لجبهة اليهود ، وأنّه يكون على جبهتِهِ ٧٠ ألف من اليهود الذين يلبسون التيجان . تركيزاً على قيادتِهِم لهذهِ الجبهة التي تشير النصوص إلى تعاونٍ ضخم بينها وبين بني الأصفر (الروم) ، وإلى التحاق فلول الروم بها . وفي بعض النصوص : عليهم السيجان ، أي الثياب الشتويَّة . إشارة إلى خروجهم مِن مناطق باردة ، كأوروبا الشرقيَّة مثلاً ..!

وقد بدا واضحاً في أحاديث اليهود بعصر الظهور أنَّ اليهود والمنحرفين أخلاقيّاً والمشعوذين وأصحاب الحكرة والخمرة والإباحيّة والتسليع هم أكثر أتباع الدجال ، كما يكون فيهم من غيرِهِم وهم الذي يُعبَّر عنهم بيهود هذه الامة كما ذكرت الأحاديث الواردة عن لسان أهلِ البيتِ عليهم السلام ..

أتباع الدجال

أشارت النصوص إلى أنَّ جبهة الدجال هي جبهة اليهود ، وأنَّ الدجال هو القائد الأكبر فيها ، وأنَّ القيادة والحكم فيها لليهود الذين يلبسون التيجان ويقودنها في وجه جبهة المهدي عليه السلام .. إلا أنَّ هذه الجبهة الفتنة تستفيد من أعوانٍ آخرين ، من فلول الروم ، من دعم القوى الأخرى ، من بعض المسلمين وهم يهود أمَّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله كما في النصوص .

يعملون للفتنة وسفك الدم والإباحيّة وحكرة المال والموارد . وفي رواية الفردوس عن علي بن أبي طالب قال : [يخرج الدجال ومعه سبعون ألفاً من الحاكة (سفلة الناس) على مقدمته أسعر (أي أكثرهم تسعيراً للفتنة) من فيهم ..][1] ..

وفي رواية كعب قال : [.. كأني بمقدمة الأعور الدجال ستمائة ألف (ترميز للعدد) مِن العرب ..][2] . إشارة إلى الذين ينخرطون من العرب وسفلة الناس في جبهة الدجال اليهوديَّة .. على أنَّ شطحات كعب لا بدَّ من التنبُّه لها ..!

---

[1] الفردوس : ج ٥ صـ ٥١٣ حـ ٨٩٢٧

[2] ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ١٨٢ حـ ١٩٤٥٨

وفي بعض النصوص إشارة إلى مشقّةٍ تصيبُ النَّاس ، فيعمل الدجَّال على استغلالِها فيتبعه بعضُهُم . ففي روايةٍ عبيد بن عمير قال قال رسولُ اللهِ ﷺ : [يخرج الدجَّال فيتبعه ناسٌ يقولون : نحن شهداء أنه كافر ، وإنما نتبعه لنأكل مِن طعامه ونرعى مِن الشجر . فإذا نزل غضب الله نزل عليهم جميعاً][1] .

النص واضح في أنَّ الدجَّال مشعوذ ، ساحر ، لديه أدوات حرب ونفوذ ، ويبدو أنَّ له راحةً في المال والغذاء في ظل جدبٍ وقحط . يدعي الربوبيّة . يعلم الناسُ انّه كافر . ومع ذلك يتبعه بعض الذين لا يقين لهم ولا يهمّهم أمرُ دينِهم . وفي تعبير النصوص : يتبعه السفلة من الناس . وهم مع ذلك يعترفون بانّه كافر لكنّهم يؤثرون النفع والمال ..

في حين يتمنَّاهُ آخرون من الإباحيين والغرائزيين والساخطين على أمر الله تعالى . وفي رواية ربعي بن حراش قال : سمعت حذيفة يقول : [لو خرج الدجال لآمن به قومٌ في قبورهم][2] .

على أنَّ قيادة هذه الجبهة لليهود الذين يشكّلون أسوأ نخبة انحراف وكفر . يكون على رأس هذهِ الجبهة ٧٠ ألف من قادة اليهود تحت الدجال ، وهو تعبير يُراد منه الإشارة إلى كثرة اليهود واستغلالِهم للناس في حربِهِم ضدَّ المهدي عليه السلام ..

---

[1] ابن حماد : صـ ١٥٤

[2] ابن أبي شيبة : جـ ١٥ صـ ١٤٣ حـ ١٩٣٣٨

توسّع الدجال

الذي يُستفاد من مجمل النصوص أنَّ للدجالِ فتنة ، وأنَّ أيّامهُ الأولى تكون نافذة ، ويكون له فيها سطوة ، وأنَّ فتنة مُؤثِّرة ، وأنَّ يومَهُ كالسنة والشهر وشبه ذلك ، إشارة إلى سطوتِه ونفوذِه النسبي . ثمَّ تكون ايامُهُ كأيَّامِكم ، تتهاوى معها قوَّتُهُ وسطوتُهُ ، وأنَّ لديه من وسائل القتال والقوّة ما يدعم هذا النفوذ لأمدٍ محدّد ..

مُحصَّل الروايات بالإجمال يشير إلى سطوةٍ ونفوذٍ متصاعدٍ للدجَّال أوَّل الأمر ، وهذا لن يتمَّ بيومين ، بل سيأخذ مجاله . وتعبير محاصرة المؤمنين في بيت المقدس ، بالإضافة إلى غيرها من النصوص التي أشارت إلى مشقّة تصيب المسلمين تؤكِّد المعنى المأخوذ من تصاعديّة القوّة الأولى التي يستفيد منها أوَّل الأمر ..

كما يبدو من النصوصِ انَّ للدجال مرحلة إنتشار يحاول عبرها فتح ما أمكن من المناطق ، يهاجم جبهة الإمام المهدي عليه السلام .. لكن كيف يخرج ؟ وما هي الأسباب المباشرة ، وماذا عن جبهتِه وأعوانِه قبل خروجِه ؟ النصوص مجملة في هذا المجال ، تشير إلى أنَّ خروج الدجال يكون بعد انتصار جيش المهدي عليه السلام على الروم ودخول عاصمتهم الكبرى . ولا تشير النصوص إلى تفاصيل كثيرة في هذا المجال ، لكن المؤكَّد أنّ جبهة المهدي عليه السلام التي تفتح جبهاتٍ مختلفة ، وتنتصر على السفياني والروم

والترك وغيرها وتتجذَّر في بقاعٍ مختلفةٍ من الأرض شرقاً وغرباً ، لن تكون مهزمةً أمام جبهة الدجال ، بل يكون لها سطوة ونفوذ وقوّة وهيبة في العالم . لكنَّ بعضاً مِن البقاع التي يسيطر عليها جيش المهدي عليه السلام تتعرّض لمحاصرةٍ كتلك التي تتمُّ لبيت المقدس من قِبَل الدجال مع خروجِهِ المشؤوم ..

ويحتمل قويَّاً أن تتحالف قوىً مع الدجَّال ، خاصّةً انَّ فلول الروم وحلفاءها تعلن ولاءها الواضح للدجَّال .

أمّا النصوص التي تشير إلى أنَّ المدينة ممنوعة على الدجال فهي تعني واحد من إثنين : إمَّا أنَّ الدجَّال ينجح في مهاجمتِها لكنَّه يفشل في دخولها . وهذا يعني أنَّ له وجوداً متقدِّماً . أو أنَّ مرحلة الإنتشار الأولى التي قام بها الدجال تكاد تصل بذروتِها إلى المدينة . وكلا المعنيين يجد له ما يشير إليهِ في النصوص .

ففي رواية سعد بن مالك قال : [.. إنَّ المدينة مشبَّكَة بالملائكة ، على كلِّ نقبٍ (مدخل) منها ملكان يحرسونها ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال (إشارة إلى منعتِها من المرض والغزو) ، مَن أرادها بسوء أذابَهُ الله كما يذوبُ الملح في الماء][1] .

إشارة إلى الدجال الذي يذوب ، ولا أدري ما هو المقصود من هذا التعبير . لكنَّه مرويٌّ بكثرة في النصوص ، مِن أنَّ آخر حياة الدجال (حال الهزيمة) يذوب على يدي عيسى أم المهدي عليه السلام . ولا خلاف في الأمر ما دام

---

[1] ابن أبي شيبة : على ما في سند مسلم ، أحمد : ج ١ صـ ١٨٣

انَّ عيسى عليه السلام وزير جبهة آل محمَّد عليهم السلام . وفي تعبيرٍ آخر يشهد للقسم الثاني الذي اشرنا إليه ، أي مهاجمة الدجال للمدينة المنوّرة ، ما يؤكِّد الطابع الإنتشاري للدجال . ففي رواية أنس عن النبي صلى الله عليه وآله قال : [.. المدينة يأتيها الدجال ، فيجد الملائكة يحرسونها (إشارة إلى منعتِها وعصيانِها عليه) ، فلا يدخلها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله تعالى][1] .

وفي رواية قتادة عن أنس بن مالك : انَّ قائلاً من الناس قال : يا نبيَّ الله أمَا يَرِدُ الدجالُ المدينة ؟ قال : [أما إنَّه لَيعمَد إليها ، لكنه يجد الملائكة صافَّة بنقابها وأبوابها ، يحرسونها من الدجال][2] ..

لكن من اين يزحف إليها ..؟ الجواب : إنَّ القدس تكون بيد المسلمين ، فهل الخلّة تكون بيد اليهود ..!

ثم هناك ما أشرتُ إليه من الرواية التي تتحدَّث عن زحفِه من ناحية الإتِّحاد السوفياتي ، يهاجم قسماً من أراضي إيران ، ثمَّ يزحف نحو العراق ، يريد الحجاز ثم يحشد بجيشه نحو فلسطين .

ثمّ لا يمكننا التسليم مطلقاً بانتشارِه الهائل في الأرض كما ورد في ببعض الروايات الضعيفة سنداً ومتناً . ففي رواية أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [الدجال لا يُبقي من الارض شيئ إلا وطئه وغلب عليه إلا مكة والمدينة ..][3] .

---

[1] أحمد : ج ٣ صـ ١٢٣ و ٢٠٢ و ٢٧٧

[2] أحمد : ج ٣ صـ ١٢٣ و ٢٠٢ و ٢٧٧

[3] ابن حماد : صـ ١٥٨ ابن أبي شيبة : ج ١٢ صـ ١٨١ حـ ١٢٤٧٤

السؤال : أين جبهة يأجوج ومأجوج الجبارة التي لم تَرَ الأرضُ مثيلاً لأعدادها ، وهي التي لا تخرج قبل القضاء على أمَّةٍ من أهل الأرض ذات قوّةٍ وشوكةٍ هائلة تقول معها : لقد انتصرنا على أهل الأرض ..!

وعليه : لا بدَّ من التعامل مع النصوص الواردة في هذا المعنى - وهي قليلة وضعيفة - على أنَّها ناظرة إلى وطأتِهِ على تلك المنطقة التي يحتلّها ، وجاءت بلسان « التغليب » من هذا الباب ، وهذا أمر مستعمل بالعربيَّة . وهنا لا يمكنني إلا أن ألفت إلى ضرورة الحذر من الإسرائيليّات ..!

ثم يتابع النص فيقول : [.. فإنه لا يأتيها (أي المدينة) من نقبٍ من نقابها (مدخل من مداخلها) إلا لقيه ملكٌ مصلِّتاً بسيفه حتى ينزل عند الظريب الاحمر (الجبل الصغير) عند منقطع السبخة عند مجتمع السيول ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، لا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه . (إشارة إلى أعوان يخرجون إليه ويحاولون نصرتَهُ) وذلك اليوم الذي يُدعى يوم الخلاص . فقالت أم شريك : فأين المسلمون يومئذ ؟ قال : ببيت المقدس ، يخرج فيحاصرهم حتى يبلغه نزول عيسى فيهرب][1] . مع تحفُّظي على بعض ما ورد فيه ، فهو يصلح كشهادة تاريخيَّة وبعض القيمة الروائيّة ، يمكن الإستفادة منه الأمور التالية :

- تكوُّن قوَّة الدجّال خارج القدس .
- ثمَّ توسُّع يقوم به . دلالة على سطوةٍ أولى وانتشارٍ أكبر من مقرِّ جبهتِهِ .

---

[1] ابن حماد : صـ ١٥٨ ابن أبي شيبة : جـ ١٢ صـ ١٨١ حـ ١٢٤٧٤

- ضرب حصار على بعض معاقل المسلمين . إشارة إلى مشقّة واضحة يبلغها المسلمون الذين يكونون في بيت المقدس .
- تأكيد على منعة المدينة ومكّة في وجه الدجال الذي يهاجمُها .
- تأكيد على انحصار دور الدجَّال في شريط محدَّد من الشرق ، بالأخص مِن منطقتنا ، يريد الشام ، يحاول فتح الحجاز . يفشل ، يزجُّ بجيشه نحو القدس وفلسطين .
- هل له وجود في الخلَّة أو بطنها ، هل الخلّة تعني منطقة تشكِّل قسماً مِن فلسطين والأردن . قسماً لا كلّ ، أم قسماً تقوم عليه دولة لليهود ..! يزحف إليها مِن الخارج أو تتكوَّن مع خروجه واحتلالِه ..؟ لا بدَّ مِن الإلتفات إلى هذا الموضوع .
- التأكيد على نزول عيسى بن مريم عليه السلام الذي يصلِّي خلف المهدي ويكون وزير جبهتِه عليه السلام ..
- التأكيد على انهيار جبهة الدجال بعد مدَّةٍ من النفوذ والإنتشار تنتهي بذوبانِه ..
- يخرج الدجال بعد هزيمة السفياني ، وهزيمة الترك ، وهزيمة الروم .. وكلُّ تلك المناطق تكون بيدِ المهدي عليه السلام ..
- النصوص تكتفي بالإشارة إلى ضيقٍ يصيب المسلمين في بيت المقدسِ ونواحيهِ بالإضافة إلى مهاجمة الدجَّال للمدينة ، ما يعني المزيد من النفوذ الذي يسطِّرهُ في هذهِ المناطق بالخصوص في حين يفشل في فتح المدينة لمنعتِها ..

أمَّا بعض الروايات القليلة جداً والتي فيها وهن صريح سنداً ومتناً والتي اشارت إلى انّ الدجال يطوي الأرض كلَّها ، فهذهِ عارية عن الصحّة

على هذا النحو لما ثبت عندنا من نصوصٍ معتبرة تخالفها في هذا المعنى ، نعم إن كان المراد منها سطوة وانتشار لافت للنظر يقوم به الدجال فلا بأس بها ، وإلا فإنَّ بقاع الأرض التي يفتتحها الإمام المهدي عليه السلام تبقى تحت سلطتِهِ سوى بعض البقاع التي تتعرَّض لسطوٍ من جانب الدجال كما في الحصار الذي يضربه الدجال على بيت المقدس . وكما في مهاجمة المدينة وبعض النواحي .. من هنا فإنَّ ما رواه أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : [إنَّ الدجال يطوي الارض كلها إلا مكة والمدينة[1]][2] ، مثل هذهِ المتون النادرة لا بدَّ من تأويلها على نحوٍ يشيرُ إلى قوَّة هذهِ الجبهة وانتشارِها ، لكن ليس على نحوٍ تسيطرُ معه على بقاع الأرض أو تلك الجبهات التي فتحها المهدي عليه السلام والتي منها عاصمة الروم وشبه ذلك ، أو تلك التي تسيطر عليها يأجوج ومأجوج وغيرها من القوى ، منها قوة جبّارة تقضي عليها جبهة يأجوج ومأجوج قبل خروجها بحربٍ هائلة .

نعم سيكون للدجال سطوة ومدّة ، وستكون بينه وبين المسلمين جبهة وقتال في شريطٍ واضح من النصوص ضمن منطقتنا هذه . ويبدو أنّه يفكِّر بالإنتشار المختلف في أكثر من منطقة ، ويكون له بعض الغلبة ببعض الشريط الموجود في الشام مثلاً . وهذا يتلاءم – استعمالاً حسب القوانين – مع حوادث الضغط والإحتلال التي تقع في منطقة زحفِهِ وحصاره المحدودة .

---

[1] قال : فيأتي المدينة فيجد بكل نقب من أنقابها صفوفاً من الملائكة ، فيأتي سبخة الجرف ، فيضرب رواقه ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات ، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة . وفي رواية أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، ليس له مِن نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ، ثم ترجف المدينة بأهلها . فيخرج الله كل كافر ومنافق] ن . م .

[2] البخاري : ج ٣ صـ ٢٨

ابداً لا يجوز تفسير بعض هذه النصوص الضعيفة على نحوٍ من الشمولِ والإستغراق لبقاع الأرض . وهذا أمر لا شكَّ فيه . فجبهة المهدي عليه السلام تكون على نحوٍ واسعٍ من الإنتشار في العالم ، خاصَّة بعد غلبتِها على الروم[1] .

أمَّا تخصيص المدينة بالذكر في النصوص ، فهذا من باب لفت النظر إلى حدث غزو الدجّال لها ومحاولته فتحها . وفشلُهُ بدخولها يعني الوهن الذي بدأ يصيبُهُ في جبهتِهِ ، رغم الرعب الذي يبثّهُ الدجال . وفي رواية أبي بكرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ، لها يومئذ سبعة أبواب ، لكل باب ملكان][2] .

كما يظهر أنَّ محاصرة بيت المقدس ومحاولتِهِ دخولها يكون بعد فشلِهِ في دخول المدينة . وهذا يكون في الفترة الأخيرة لظهور الدجال وفتنتِهِ الشهيرة .

وفي رواية سعد بن مالك وأبي هريرة كانا يقولان : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [أللهم بارك لأهل المدينة في مدينتهم ، وبارك لهم في صاعهم ، وبارك لهم في مدّهم . أللهم إنَّ إبراهيم عبدك وخليلك ، وإني عبدك ورسولك ، وإنَّ إبراهيم سألك لأهل مكة ، وإني أسألك لأهل المدينة كما سألك إبراهيم عليه السلام لأهل مكة ومثله معه . إنَّ المدينة مشبَّكة بالملائكة ، على

---

[1] كما هذا لا يعني تقاسم الأرض بين جبهة الإمام المهدي عليه السلام وجبهة الدجال ، فهناك جبهة ضخمة ليأجوج ومأجوج ، ولها سطوة وسعة وبقاع واسعة كما سنرى ذلك .. وهذه الجبهة قبل أن تتحرّك نحو قتال المسلمين تخوض معركة جبّارة تنتصر فيها على خصمٍ كبيرٍ تظنّ معه أنَّها غلبت أهل الأرض ، ما يؤكّد وجود أكثر من جبهةٍ حتى زمن خروج الدجال ، ويأجوج ومأجوج يخرجون بعد ظهور الدجال ..

[2] ابن أبي شيبة : ج ١٢ صـ ١٨٠ حـ ١٢٤٧١

كل نقب[1] منها ملكانِ يحرسونها ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال ، من أرادها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء][2] ..

النص يُخبرُ عن خطَّة الدجَّال التي يريد عبرها فتح الحجاز فيفشل . عندها يزجُّ بكلِّ قطعات جيشِهِ في حرب فتح القدس وناحية فلسطين . لا تحدِّثنا النصوص عن جيش الإمام المهدي (عليه السلام) الكبير ، وجيش الدجَّال ونفوذه ، فضلاً عن حروبهما بشكلٍ تفصيلي . هناك إعطاء نتائج مختصرة جداً . وهذا هو أسلوب البشارة وبيان المستقبل . إذن النصوص لا تعطينا تفاصيل .

كما لا تعطينا تفاصيل عن وصف بيئة العالم والقوى التعدديَّة ، وطبيعة النظام الدولي ، ومفهوم الهيمنة أو غيره .. النصوص غير مُلتَفِتَة إلى هذا المعنى عن عمد . هذا هو قانون بيان المستقبل .. نعم الدجَّال في فتنتِهِ المشهور يلجأ إلى كلِّ حيلةٍ وقوَّةٍ ممكنة من أجل تشتيت الجبهات ومحاولة السيطرة على البقاع ما أمكن .

اللافت أنَّ بعض النصوص تشيرُ إلى فتنة النساء ، أي إلى استغلالِهِ النساء على نحوٍ يتوافق والمنطق الغريزي الإباحي الذي يُعرفُ به الدجَّال ويكون امتداداً لمفاهيم روما الإنحلاليّة . وهذا يتضامن مع المعنى الذي أشار إلى أنَّ السفة من الناس هم الذين يتبعونَهُ . وفي رواية مجمع الزوائد قال : [..[3] فأول من يتبعه النساء .. فعند ذلك ينزل عيسى بن مريم][1] .

---

[1] النقب : المدخل من بين الجبال .

[2] ابن أبي شيبة : على ما في سند مسلم ، أحمد : ج ١ صـ ١٨٣

[3] أوّل النص هكذا : .. لا ينزل الدجال المدينة ولكنه بين الخندق ، وعلى كلِّ نقبٍ منها ملائكةٌ يحرسونها (إشارة إلى منعتِها) .

وبضميمة النساء والمال وموارد الماء والغذاء ونفوذ في أداة الحرب يخوض الدجَّالُ - في الأقطار التي يتمكّن منها - فسداً . وتصيب بعضُ المشقّة المسلمين .

كما يعمد إلى الشعوذة والتدليس بهدف جذب ما أمكن إلى جبهتِهِ ، فيتبعه سفلة الناس ، ويستغلُّ النساء بشكلٍ اساسي في الإطار الإباحي الغرائزي . ويعمد إلى محاولات إنتشار مختلفة ..

بعض النصوص صريحة في أنَّ أزمةً طبيعيّة تجتاح - على الأقل - مناطق حركة الدجَّال وأهدافه ، بل يبدو مِن اللحن العام أنَّ الأزمة الطبيعيّة والعجز عن تلبية حاجات البشر مِن الغذاء والماء والمنتوجات تكون ذات شمولٍ واستغراق ، لكن متفاوت من مكان إلى آخر ، وعليه : مناطق الماء والأنهار تكون أقل خطورة من غيرها . ومَن يسيطر على منابع الماء يكون في وضعٍ أفضل .

من هنا فإنَّ وضعيّة بعض الأقطار الإسلاميَّة تكون محرجة بسبب أزمة في الماء والغذاء . أقول : أزمة وليست كارثة مطلقة .

في حين تكون منطقة الدجَّال بوضعٍ فيه ماء وغذاء أكبر من حاجة أتباعه .

وفي رواية أسماء بنت يزيد الانصارية قالت : كان رسول الله ﷺ في بيتي ، فذكر الدجال فقال : [إنَّ بين يديه ثلاث سنين ، سنة تمسك السماء ثلث قطرها ، والارض ثلث نباتها ، والثانية تمسك السماء ثلثي

---

[1] مجمع الزوائد : ج ٧ صـ ٣٤٩ عن الطبراني في الاوسط

قطرها ، والارض ثلثى نباتها ، والثالثة تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كله ، فلا تبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلكت (إشارة إلى المشقَّة) ، وإن من أشد الناس فتنة أنه يأتي الاعرابي فيقول : أرأيت إنْ أحييت لك إبلك ؟ ألست تعلم أنني ربك ؟ قال فيقول : بلى ، فيتمثل له الشيطان نحو إبله ، كأحسن ما تكون ضروعاً ، وأعظمه أسنمة (إشارة إلى شعوذة مختلطة بالعلم) قال : ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول : أرأيت إن أحييت لك أباك وأحييتُ لك أخاك أليس تعلم أني ربك ؟ فيقول : بلى ، فيتمثَّل له الشيطان نحو أبيه ونحو أخيه (إشارة صريحة على شذوذٍ كبير يكون بين يدي الدجال)][1] .

أهميَّة النصوص أنّها تؤكِّد على خلط الدجَّال للأدوات ، بين ماءٍ وغذاءٍ وإباحيّة وأدوات حرب وشعوذة وتجيير العلم في سبيل إلغاء الحقائق وشبهها .

بعض النصوص تشيرُ إلى الأدوات التقنيّة التي تكون بين يديه ، كما في رواية الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : [.. الدجال يخوض البحار إلى ركبتيه ، ويتناول السحاب ، ويسبق الشمس إلى مغربها ..][2] . ورغم ضعف السند فإنّها تصلح شهادةً تاريخيّةً للإشارة إلى أدوات بريَّة بحريّة وجويّة تكون بين يديه . وتعابير اليوم ودلالاتُها خيرُ مثالٍ على ذلك ..

وبهذا المعنى يُفسَّر ما أوردهُ عبد الله عن النبي ﷺ قال : بين أذني حمار الدجال أربعون ذراعاً (إشارة إلى تقنيّة حربيَّة بحريّة أو غيرها ،

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٩١ حـ ٢٠٨٢١

[2] ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ١٥٣ ١٥٢ حـ ١٩٣٦١

مثالها اليوم حاملة الطائرة) ، وخطوة حماره مسيرة ثلاثة أيام (سرعتُها تختصر الزمن بشكلٍ نسبيٍّ كأيِّ مركبٍ تقنيٍّ آخر ، وهي تختلف من وسيلة الجوِّ إلى وسيلة البرِّ إلى وسيلة البحر) ، يخوض البحر على حماره (أي على مركبِهِ) كما يخوض أحدكم الساقية على فرسه[1] ..

بيان بلغة الإستعارة والكنايات .. وهذا قانون استشراف المستقبل .

ولا بدَّ من الحذر في تفسير بعض النصوص ، فقد وردت عبارات قطعاً لا يُراد منها المعنى الحرفي ، بل يُراد منها الإشارة والكناية عن أمورٍ مستقبليّة ذات صلة بأصل المسير أو الطير أو السرعة والنفوذ وغير ذلك ، أو أمور معنويَّة ، كما في حديث حذيفة قال : رسول الله ﷺ : [.. لَأنا أعلم بما مع الدجال مِن الدجال ، معه نهران يجريانِ ، أحدهما رأي العين ماء أبيض ، والاخر رأي العين نارٌ تأجَّج ، فإمَّا أدرك أحدٌ ذلك فليأتِ النهر الذي يراهُ ناراً .. فإنه ماءٌ بارد .. مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤهُ كلُّ مؤمن كاتب وغير كاتب][2] .. أي يعرفه كلُّ مؤمن أنّه كافر .

وكما هو واضح : هذا الحديث يشيرُ إلى خطَّي إبليس (النهجين) ، وقد ورد معنا نصوص أوضح تشير إلى ذلك . ومعناها أنّ ما دعا إليه وقال هذا طريق الجنّة لا تقربوهُ فإنَّه يخدعكم ، وهو في الحقيقة طريق النار ، والعكس صحيح أيضاً .. وفي رواية جنادة بن أبي أمية قال : .. قام فينا رسولُ الله ﷺ فأنذرنا الدجال ثم قال : [إنَّ معه جنةً وناراً ، فنارُهُ جنَّة ، وجنّتُه نار ، وإنَّ معه جبلاً مِن خبزٍ ونهر من ماء ، وإنه يُمطِرُ المطر ،

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٩١ حـ ٢٠٨٢١

[2] ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ١٣٣ حـ ١٩٣١٨

ويُنبِتُ الارض (إشارة إلى استحواذِهِ على تقنيّة فاعلة) ..][1] . بحيث يؤكِّد على خلط العلم بالتدليس والشعوذة ، وإلغاء الحقائق وتشويه المعارف .

ومع سطوة الدجال في فتراتِهِ الأولى ، تفرُّ منه فئة من الذين تبلغ بهم المشقَّة مبلغها نحو الجبال أو غيرها هرباً من كفره . فحسب رواية جابر قال حدثتني أم شريك أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : [يفرُّ الناس منه في الجبال ، فقلت : أو قيل : يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال : هم قليل][2] ..

وكأنَّ النص يريد أن يضعنا أمام مشهد من سطوة الدجَّال في منطقةٍ ما ، فغيرُ القادر عليه ، يهرب من فتنتِهِ أو يتبعه . والمؤمن لا يتبعه .

أمَّا ذيل النصِّ كأنَّه يشير إلى انَّ مَن يثبت في وجههِ من العرب قليل . أو ملتفت إلى أمرٍ آخر .

ويبدو انَّ لفتنة الدجال خطراً داهماً - في منطقة الأحداث التي أشرنا إليها فيما سبق - حتى ورد عن عبد الله بن عباس أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يعلِّمُهُم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول : [اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، واعوذ بك من فتنة المحيا والممات][3] . إشارة إلى فتنة الدجال وخطورتِها حيث يخلط العلم بالشعوذة ..

---

[1] ابن حماد : صـ ١٥٥ ابن أبي شيبة : جـ ١٥ صـ ١٤٠ حـ ١٩٣٢٨

[2] طبقات ابن سعد : جـ ٨ صـ ١٥٧

[3] موطأ مالك : جـ ١ صـ ٢١٥ حـ ٣٣

لكنَّ قسماً كبيراً من النصوص الواردة عن أهل البيت ﷺ والعامّة أيضاً صرَّحت بأنَّ فتنة الدجَّال مكشوفة ، وأنّه مشهور بالكفر والجحود ، وانّ كلَّ مؤمنٍ يقرأ بين عينهِ أنّه كافر . أي شديد الوضوح بكفرِهِ .. فلا تخفى الحجّة أبداً . لكنَّ البلاء يكون في المشقَّة التي تُصيب قسماً من المسلمين ..

مدة بقاء الدجال

لا يوجد بين أيدينا نص درجة أولى في القبول يحدِّد مدَّةً صريحةً كاملةً واضحةً للدجّال . وعليه : هناك طائفة تقول بأنه يبقى أربعين سنة . لكنّها تحتوي على الرموز . وهذا مضوع الكلام . طائفة تقول : [.. يمكث الدجال في الارض أربعين سنة ، السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، واليوم كاضطرام السعفة في النار][1] .

نزولاً على هذه المتون ماذا تعني الأربعون .. ؟ ماذا يعني : السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ..؟ هل هذا اختلاف في معايير قياس الزمن ..؟ هل النص ناظر إلى الزمن بما هو هو ، ثمَّ يحمِّله وصفاً آخر فيكون المكثُ أربعين سنة تماماً لكن فيها مِن القوّة والضعف للدجّال ..؟ أم النص ناظر إلى الزمن الموصوف ، فلا ظهور للزمن بما هو هو إلا بمقدار الوصف فيكون العدد أقل من اربعين سنة ، أي يكون العدد بمقدار الوصف وليس العكس ..؟

بوضع أيدينا على طائفة أخرى نجد أنَّها تؤكِّد صفة الظهور والنفوذ للدجَّال أوّلاً ، ثم الضعف والتقهقر والزوال أخيراً . نعم يبدو من مجموع متون أنَّ زوال جبهة الدجال ليس بسرعةِ يومٍ أو شهرٍ أو سنة .. وبهذا نفهم أنَّ زوال دولة الدجَّال وجبهته إنّما يكون بعد الوهن الذي يصيبُها ، في

---

[1] مسلم : ج ٤ صـ ٢٢٥٠ بـ ٢٠ حـ ٢٩٣٧

حين تكون جبهة المهدي على نحوٍ من تزايدٍ إضافيٍّ في عناصر القوَّة ، مع انَّ بعض جبهاتِها تتأثّر من انتشار الدجّال . ففي بيت المقدس يُحاصرون ، كما تتعرّض المدينة لهجومٍ من قبل الدجّال ، وهذا يعني انَّ خريطة الإنتشار العسكري للدجّال تكون في أولى معالم جبهتِهِ على نحوٍ نَشِط ..

وحسب النصوص فإنَّ الأيَّام الأولى لجبهة الدجّال تكون على نحوٍ من سطوةٍ ونفوذ ، إلا أنّ الوهن يتسلّل إليها ، فتضعف شيئاً فشيئاً إلى أن تزول ، إلى درجة أنَّ اليهوديَّ يُفتِّشُ عن مكانٍ يختبئُ وراءهُ فلا يجد شيئاً من ذلك ، إشارة إلى الإنهيار الذي يصيب جبهتهم .

وهنا لا بدَّ من لفت النظر إلى بعض النصوص في عرضها لزمن الدجّال . ففي رواية أسماء بنت يزيد قالت : قال النبي ﷺ [.. يمكث الدجال في الارض أربعين سنة : السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، واليوم كاضطرام السعفة في النار][1] . وكأنّه بيان للعدد الموصوف .

بالمقابل بعض الروايات فيها إشارة إلى « رموز زمنيّة » ، كما في رواية عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : [.. يخرج الدجال في أمتي ، فيلبث فيهم أربعين ، لا أدري أربعين يوماً أو أربعين سنة أو أربعين ليلة أو أربعين شهراً ، فيبعث اللهُ عزَّ وجلَّ عيسى بن مريم عليه السلام فيظهر فيهلكه][2] .

---

[1] [عبد الرزاق : ج ١١ ص ٣٩٢ ح ٢٠٨٢٢]

[2] أحمد : ج ٢ ص ١٦٦ وإن كانت تصيب هذا المعنى على نحوٍ من الأنحاء إلا أنَّ الرواية فيها وهن بسندها من جهة ، كما انَّ في بعضِ متنِها وهن واضح ، عملتُ على حذفِهِ . بل بدو من متن هذا النص الإضطراب الواضح .

وعليه : هل يُراد مِن الأربعين سنة الزمن المحدّد أم الإشارة إلى مدَّةٍ تمثيليَّة ذات وصفٍ محدِّدٍ أم محمول ..؟ الخياران ممكنان ..

وعن مجرى أحداثِه ..؟ روى أبو الزعرا فقال : ذُكِرَ الدجَّال عند عبد الله بن مسعود فقال : [تفترقون أيها الناس لخروجه ثلاث فرق : فرقة تتَّبعه ، وفرقة تلحق بأرض آبائها بمنابت الشيح ، وفرقه تأخذ شطَّ الفرات يقاتلهم ويقاتلونه ، حتى يجتمع المؤمنون بغربِ الشام ، فيبعثون إليه طليعة منهم ..][1] .

ومع وهن الرواية إلا أنَّ فيها محاولةً لبيان مجرى الأحداث ولو من نظرةٍ تاريخيّة .. نعم الثابتُ عندنا أنّ بعضاً من يهود أمَّة محمَّد ﷺ يتبعه ، لكنَّ جبهة المهدي عليه السلام ككلٍّ لا تلاقي ما تمَّ وصفُهُ في حصار بيت المقدس ، حيث تتعرَّض بعض الجهات لمشقّة ، منها بيت المقدسِ ومحاولة إحتلال المدينة . لكنَّ جبهة المهدي أوسع من ذلك بكثير وأكبر ، خاصّةً انّها تكون قد سيطرت على جبهة الروم واحتلَّت عاصمة القرار فيها ، بالإضافة إلى احتلال جبهة السفياني من قبل ، وزوال الترك .. وهذهِ كما ترى من الجبهات المبرَّزة في عصر الظهور ..

نعم في رواية واضحة أنَّ الذي يثبت له أهل المشرق بالإضافة إلى غيرهم . وانّه يجتاح قسماً من أراضي إيران مستغلّاً وجود القسم الكبير من جيش أهل المشرق في بلاد الروم التي فُتِحت حديثاً .. والمحصَّل العام انَّ للدجَّال سطوةً في شريطٍ محدَّد من زحفِهِ نحو محاصرة القدس .

---

[1] م . س .

وقد أوردت بعض الأحاديث عند السنّة في الدجال كما في حديث ابن صياد الذي وُلِد في المدينة وحديث تميم الداري أو الجساسة تؤكِّد أنَّ الدجال لعنه الله قد ولد منذ عصر النبي ﷺ ، وأنه يبقى حيَّاً يُرزَق إلى أن يخرج في آخر الزمان . وقد اختصَّت بروايتها مصادرُ العامّة . في حين لم نجد مثلها في مصادر الشيعة ..

ولا بدَّ من الإشارةِ إلى أنَّ النصوص الواردة عن لسان أهل البيتِ عليهم السلام تخلو مِن أكثر العناصر التصويرية التي وردت في كثيرٍ من نصوصِ السنة . كما أنَّ حركة الدجال أو جبهته ليست حادثاً ابتدائيَّاً ، بل هي حركة مضادة لثورة الامام المهدي الشاملة ، وأنّ لجبهة الدجَّال وجوداً قبل ظهورِهِ (جبهة يهوديّة) ، وأنَّ هذهِ الجبهة يكون على رأسِ القيادةِ فيها اليهود ، يسوقون اليهود وبعض السفلة في جبهتِهِم ، ويسيرون على خطى القيم التي يتبنّاها الدجَّال حين يخرج من استغلال النساء والمنافقين والفسقة والتدليس والوهم والدعوة إلى الكفر ومحاربة قيم السماء وغير ذلك ..

وعليه : يكون اليهود والمنافقون والسفلة وأعداء أهل البيت مِن يهود أمّة محمّد ﷺ قِوَامَ هذه الحركة المضادة لثورة المهدي عليه السلام .

يضافُ إلى ذلك أنَّ نصوص أهل البيت عليهم السلام أكّدت أنَّ الذي يقتل الدجّال هو الإمام المهدي عليه السلام . ما يؤكِّد ضرورة الحذر من روايات كعب وتميم الداري وعبد الله بن سلام .

وفي الرواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال : [إن الله تعالى أعطانا الحلم والعلم والشجاعة والسخاوة والمحبة في قلوب المؤمنين ،

ومنّا رسول الله ، ووصيه ، وسيده الشهداء ، وجعفر الطيار في الجنة ، وسبطا هذه الامة ، والمهدي الذي يقتل الدجال][1] .. ذيل النص شديد الوضوح في أنَّ المهدي عليه السلام هو الذي يقتل الدجَّال .

ثمَّ من يقرأ نصوص أهل البيت عليهم السلام في الدجَّال الكذّاب يدرك انّه أمام منهج خالٍ من وهنٍ أو وهمٍ أو تصوير تعتيمي أو اسطوري وشبه ذلك .

ولا تنتقص نصوص أهل البيت عليهم السلام من فتنة الدجَّال ، لكنّها تضعها موضعها . وفي رواية أبي الغفاري حين كان آخذاً بباب الكعبة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركب فيها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، ومن قاتلنا في آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال »[2] . إشارة إلى شدّة وُضُوحِ كفر الدجّال وظهور أمره على هذا النحو من الكفر الذي لا يؤثِّر فيهِ على حجّةِ مؤمن ..

والأهم من ذلك أنَّ في متن النص إشارة إلى انَّ الذين يقاتلون المهدي عليه السلام يكونون على نحوٍ من عداءٍ لأهلِ البيتِ عليهم السلام ، وهم بطبيعة الحال خليط من قيادة وجبهة يهوديّة وكفرة وزنادقة ، فيها من المنافقين الذين يشكّلون يهود امّة محمّد صلى الله عليه وآله .

وفي رواية حذيفة بن أسيد قال : سمعت أبا ذر يقول - وهو متعلِّق بحلقة باب الكعبة - : أنا جندب بن جنادة لمن عرفني ، وأنا أبو ذر لمن لم

---

[1] منتخب الاثر : صـ ١٧٢ ف ٢ ب ١ ح ٩٦

[2] البزار : على ما في كشف الهيثمي ، ومجمع الزوائد . * : الطبراني ، الصغير : ج ١ صـ ١٣٩ ح ١٤٠

يعرفني : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قاتلني في الاولى ، وفي الثانية ، فهو في الثالثة مِن شيعة الدجَّال ، إنما مثل أهل بيتي في هذه الامة مثل سفينة نوح في لجة البحر من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق . ألَا هل بلَّغت ؟ »[1]

وفي متنٍ أوضح يشيرُ النبيُّ ﷺ إلى انَّ بعضاً من هذهِ الأمّة ينضوي تحت راية اليهود ، ويعمل عملهم ، ويكون في مواجهة راية أهل البيتِ عليهم السلام ، فقد روى محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : « من أبغضنا أهل البيت بعثه اللهُ يهوديَّاً . قيل : يا رسول الله وإنْ شهد الشهادتين ! قال ﷺ : نعم ، إنَّما احتجب بهاتين الكلمتين عن سفك دمهِ ، أو يؤدِّي الجزية وهو صاغر . ثم قال : مَن أبغضنا أهل البيت بعثه اللهُ يهوديَّاً . قيل : وكيف يا رسول الله ؟ قال ﷺ : إنْ أدرك الدجَّال آمَنَ به »[2] . إشارة إلى أنَّ قسماً من هذهِ الأمّة يقاتلُ مع الدجَّال ، وقد ورد معنا انَّ قسماً من يهود أمّة محمَّد قوامهم الفسقة والسفلة ومبغضي أهل البيت عليهم السلام يقاتلون مع الدجَّال ..

والدجّال بنصوصِ أهلِ البيتِ عليهم السلام من المحتوم ، أي لا بدَّ من خروجِهِ .. وفي رواية عامر بن واثلة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : « عشر قبل الساعة لا بد منها :

- السفياني ،
- والدجال ،
- والدخان ،

---

[1] رجال الكشي : صـ ٢٩ – امالي الطوسي : جـ ١ صـ ٥٩

[2] المحاسن : صـ ٩٠ بـ ١٦ حـ ٣٩

- والدابة ،
- وخروج القائم ،
- وطلوع الشمس من مغربها ،
- ونزول عيسى عليه السلام ،
- وخسف بالمشرق ،
- وخسف بجزيرة العرب ،
- ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر »[1]

وتشير نصوص أهل البيتِ عليهم السلام إلى ظهور الدجّال ومشقّة في زمنِهِ تطال بعض البقاع .. وفي خطبة الإمام علي عليه السلام بالبصرة بعدما فتحها ، رُوِي أنَّه لمَّا فرغ من حرب أهل الجمل أمر منادياً ينادي في أهل البصرة : أن الصلاة جامعة لثلاثة أيام من غدٍ إنشاء الله ، ولا عذر لمن تخلَّفَ إلا من حجة أو علّة ، فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً . فلمَّا كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج عليه السلام فصلَّى في الناس الغداة (الصبح) في المسجد الجامع ، فلمَّا قضى صلاته قام .. فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلَّى على النبي صلى الله عليه وآله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، ثم قال :

[.. يا أهل المؤتفكة ، ائتكفت بأهلها ثلاثاً ، وعلى الله تمام الرابعة ، يا جند المرأة وأعوان البهيمة (المرأةُ والجمل) رغا فأجبتم ، وعقر فهربتم ! أخلاقكم دقاق (إشارة إلى قيم مخالفة لما عليه رسالة السماء) وماؤكم زعاق (إشارة إلى بيئة وثقافة ، وليس إلى ناموس كوني أو عنصر

---

[1] غيبة الطوسي : صـ٢٦٧

طبيعي) ، بلادكم أنتن بلاد الله تربةً (أي أنتن من جهة ما فيها من قيم مخالفة لما عليهِ تعاليم السماء) وأبعدها مِن السماء (إشارة إلى خروجِها على مرضاة اللهِ تعالى) ، بها تسعة أعشار الشرّ (إشارة إلى آثامٍ تقع فيها كثيرة وكثيرة) المُحتَبَس فيها بذنبه ، والخارج منها بعفو الله .

كأنِّي أنظر إلى قريتكم هذه (البصرة أو هي مع نواحيها) وقد طبقها الماء ، حتى ما يُرَى منها إلا شرف المسجد ، كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر (كصدر السفينة) . فقام إليه الاحنف بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ومتى يكون ذلك ؟

قال عليه السلام : يا أبا بحر ، إنك لن تدرك ذلك الزمان ، وإنَّ بينك وبينه لقروناً ، ولكن لِيُبَلِّغ الشاهدُ منكم الغائبَ عنكم ، لكي يبلِّغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصرة قد تحوَّلت أخصاصُهَا دوراً ، وآجامُهَا قصوراً (إشارة إلى تطوُّر في المدنيّة والبناءات والعمارات ..!) فالهرب الهرب (إشارة إلى أمورٍ تقع) فإنه لا بصيرة لكم يومئذ .

ثم التفت عن يمينه فقال : كم بينكم وبين الابلة ؟ فقال له المنذر بن الجارود : فداك أبي وأمي أربعة فراسخ ، قال عليه السلام : صدقت ، فوالذي بعث محمداً وأكرمه بالنبوة ، وخصَّهُ بالرسالة ، وعجَّل بروحه إلى الجنة ، لقد سمعت منه صلى الله عليه وآله كما تسمعون منِّي أن قال صلى الله عليه وآله : يا علي ، هل علمتَ أنَّ بين التي تسمَّى البصرة والتي تُسمَّى الابلة أربعة فراسخ ، وقد يكون في التي تسمَّى الابلة موضع أصحاب العشور ، يُقتَلُ في ذلك الموضع مِن أُمَّتي سبعونُ ألفاً (إشارة إلى مذبحةٍ ضخمة تقع في حقّ قومٍ موالين لأهلِ البيتِ عليهم السلام) شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر .

فقال له المنذر : يا أمير المؤمنين ، ومَن يقتُلُهُم فداك أبي وأمي ؟ قال عليه السلام : يقتلهم إخوانُ الجن (إشارة إلى قومٍ فسقةٍ فجرةٍ دمويين) وهم جيلٌ كأنهم الشياطين ، سودٌ ألوانهم ، مُنتِنَةٌ أرواحهم ، شديدٌ كَلَبُهُم ، قليلٌ سلبهم ، طُوبى لِمَن قَتَلَهُم وطوبى لمَن قتلُوهُ ، ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قومٌ هم أذلَّة عند المتكبِّرين من أهل ذلك الزمان (إشارة إلى قومٍ في الظاهرِ لا قيمة عالميَّة لهم) ، مجهولون في الارض ، معروفون في السماء ، تبكي السماء عليهم وسكَّانُها والارض وسكانها . ثم هملت عيناهُ بالبكاء ثم قال عليه السلام : ويحكِ يا بصرة من جيشٍ لا رهج له ولا حسّ (يأتي فجأة) ،

قال له المنذر : يا أمير المؤمنين ، وما الذي يُصيبهم مِن قبل الغرق ممَّا ذكرت ، وما الويح ، وما الويل ؟ فقال عليه السلام : هما بابان ، فالويحُ باب الرحمة ، والويلُ بابُ العذاب . يا ابن الجارود ، نعم ، ثاراتٌ عظيمة ، منها عصبةٌ يقتل بعضها بعضاً ، ومنها فتنة تكون بها خراب منازل ، وخراب ديار ، وانتهاكُ أموال ، وقتلُ رجال ، وسبيُ نساء ، يُذبحن ذبحاً ، يا ويل أمرهنّ ، حديث عجب ، منها أن يستحل بها « الدجَّالُ الاكبر الاعور » ، الممسوح العين اليمنى ، والاخرى كأنها ممزوجة بالدم ، لكأنها في الحمرة علقة ، ناتئ الحدقة كهيئة حبَّة العنب الطافية على الماء ، فيتبعه من أهلها عدةٌ مَن قُتِل بالابلة من الشهداء ، أناجيلهم في صدورهم (إشارة إلى قومٍ من غير أهلِ الإسلام ، وكانت كلمة أنجيل تطلق على ما في يدِ اليهود والنصارى) يقتل من يقتل ، ويهرب من يهرب . ثم رجف (زلزلة) ثم قذف ، ثم خسف ، ثم مسخ ، ثم الجوع الاغبر (مشقّة صعبة شديدة مصدرها ندرة المواد الغذائيّة) ، ثم الموت الاحمر وهو الغرق .

يا منذر ، إنَّ للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزُّبُر الأوَّل لا يعلمها إلا العلماء ، منها الخريبة ، ومنها تدمر ، ومنها المؤتفكة .

يا منذر ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أشاء لأخبرتكم بخراب العرصات ، عرصةً عرصةً ، ومتى تخرب ، ومتى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة ، وإنَّ عندي مِن ذلك علماً جمَّاً ، وإن تسألوني تجدوني به عالما لا أخطئ منه علماً][1] .

القسم الاول من هذه الخطبة مشهور رواه المحدثون والمؤرخون مثل ابن أبي الحديد وابن منظور وقد ورد في نهج البلاغة . والمهم في هذهِ الخطبة الإشارة إلى أزمةٍ تطأ البصرة ونواحيها ، وتأكيد على انَّ هذهِ المنطقة تتعرَّض لحكمِ قومٍ تلعنهم السماء ، يبغضون قيم الشريعة ، ويعادون أهل البيت عليهم السلام ، فيُعمِلُون القتلَ في الموالين وشبه ذلك . ثمَّ إشارة إلى أمورٍ شديدة تحدث فيها بآخر الزمان .. ثمَّ تأكيد على ظهور الدجَّال الأكبر ، أي الدجَّال الأخير الذي يخرج على زمنِ المهدي عليه السلام . والذي يبدو من الحديثِ انَّ له سطوةً ونفوذاً ، وأنَّ نفوذهُ ينتشر في أولى قوّتهِ وظهورهِ . فينشر القتل والسبي والتعذيب في منطقة نفوذه واحتلاله . يقتل من يقتل ، ويهرب من يهرب . ثم رجف (زلزلة) ثم قذف ، ثم خسف ، ثم مسخ ، في ظلِّ مشقّةٍ تتعلّق بالجوع الأغبر والموت الأحمر ..

وفي تعبيرٍ يشيرُ إلى وجود « أنصار للدجال » قبل ظهورهِ روى زكريا النقاض عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول : [.. وأنه ليس مِن أحد يدعو إلى أن يخرج الدجال إلا سيجد مَن يبايعه ، ومن رفع راية ضلالة

---

[1] شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم البحراني : ج ١ صـ : ٢٨٩ - ٢٩٠

فصاحبها طاغوت][1] . وهذا يعني وجود مَن يدعو إلى الدجَّال وينتصر به حتى مِن هذهِ الأمّة ، وهؤلاء هم الذين عبَّر عنهم النبيُّ ﷺ بيهود أمّة محمّد ..

وفي غيرها تأكيدٌ على أنَّ المهديَّ عليه السلام هو الذي يقتل الدجَّال ، وهو الذي يملأ الرض قسطاً وعدلاً ، وهو الذي يبني دولة السلام والإسلام ، ففي رواية المفضل بن عمر قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : [إنَّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام ، فهي أرواحنا . فقيل له : يا بن رسول الله ، ومَن الأربعة عشر ؟ فقال عليه السلام : محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة مِن وُلدِ الحسين ، آخرهم القائم عليه السلام الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال ، ويطهِّر الارضَ مِن كلِّ جور وظلم][2] .

وفي نصوص الأئمّة عليهم السلام تأكيد على ضرورة إلتزام مواثيق الشريعة من باب موالاة أولياء الله ومعاداة أعداءهِ ، وإلا اختلط الأمر ، وبدا النفاق ، وكان أشدَّ من الدجَّال لما عليهِ هذا الإختلاط ، حيث يتظاهر بالإيمان ويسلِّم لأعداء الشيطان ، وقد ورد في رواية الحسن بن علي الخزاز قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : [.. إنَّ ممَّن يتَّخِذ مودتنا أهل البيت لَمَن هو أشد فتنةً على شيعتنا من الدجَّال . فقلت : يا بن رسول الله بماذا ؟ قال عليه السلام : بموالاة أعدائنا ، ومعاداة أوليائنا ، إنَّه إذا كان كذلك اختلطَ الحقُّ بالباطل واشتبه الامر ، فلم يعرف مؤمن من منافق][3] .

---

[1] الكافي : جـ ٨ صـ ٢٩٦ حـ ٤٥٦

[2] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٣٣٥ ـ ٣٣ حـ ٧

[3] صفات الشيعة ، الصدوق : صـ ١٤

وقد ورد عن أهل البيتِ ﷺ نصوص تشير إلى منعة المدينة ومكَّة وتحريمهما على الدجّال . ما يؤكِّد انَّ للدجّال انتشاراً في أوَّل ظهورِهِ ، على أن يكون ضمن محور وشريط أحداث محدَّد .

وفي رواية الصدوق قال : روي أنَّ الصادق ﷺ ذكر الدجال فقال : « لا يبقى منها سهلٌ إلا وطئه إلا مكة والمدينة ، فإنَّ على كلِّ نقبٍ من أنقابها ملكاً يحفظهما مِن الطاعون والدجال ، والله الموفق][1] إشارة إلى انتشارٍ ونفوذٍ متوسِّع يقوم بهِ الدجَّال ضمن منطقة الشرق الخاص ، وهذا ما أشرنا إليه سابقاً بشريط الأحداث وضمن حدوده .. ويبدو من النصوصِ أنَّ الدجال في آخر ايّامِ جبهتِهِ يُحشر عند بيت المقدس فيُقتل هناك ، من دون توضيح كيفيَّة القتل .. وعندها تتمزَّق جبهتُهُ وتزول دولتُهُ . ويلجأ ما بقي من اليهود متفرِّقين فلا يجدون ملجأ يمنعهم ، حيث كلُّ شيئٍ مكشوف ويشهد عليهم .

وتبسيط دولة المهدي نفوذها في الأرض التي كان أو سيطر عليها الدجّال ، ثمَّ يكون خروج الجبهة الضخمة بالعددِ والأدوات وهي جبهة يأجوج ومأجوج ..

---

[1] في كتاب من لا يحضره الفقيه : ج ٢ صـ ٥٦٤ ح ٣١٥٦

يأجوج ومأجوج

تعتبر جبهة يأجوج ومأجوج مِن الجبهات الضاربة في الوجود كما يُستفاد من النصوصِ ، وهي عبارة عن جبهةٍ ضخمة ذات عددٍ وأدوات حربية فاعلة . وفي النصوص إشارة إلى نوعٍ من القوّة والمنعة التي تحتاجُ إلى جُهدٍ كبيرٍ للإنتصارِ عليهم ، بل يُستفاد من النصوصِ انَّ هذهِ الجبهة تكون منذ زمنٍ طويلٍ في طور الإعداد لقوّتها ، منطويةً على نفسها ، تعمل على إعداد قوَّتها وسطوتها ، فإذا انتهت من بناء السدّ - وهو إشارة إلى منعتِها وقوَّتها - خرجت ، وخاضت حرباً عنيفة ، مع جبهةٍ قويَّة ، فتنتصرُ عليها ، فتظنُّ أنَّ بانتصارِها هذا انتصرت على أهلِ الأرض ، عندها تحوِّل أنظارها نحو بلاد الإسلام وجبهة الإمام عليه السلام ، تريد خلالها أن تخوض حرباً معها ، لتقضي عليها وتسيطر على أرجاء الأرض فيكون زوالها على يدِ الإمام عليه السلام ..

ويبدو من النصوصِ أنَّ ليأجوج ومأجوج أثراً على بلاد المسلمين والعرب ، ففي رواية زينب بنت جحش ، قالت : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول : [.. ويلٌ للعرب ، من شرٍّ قد اقترب ، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا - وحلق إبهامه بالتي تليها - (إشارة إلى علمٍ أتحفه اللهُ بهِ عن آخر الزمان ، بحيث بيَّن له من أمر الأمَّة التي تمثِّل جبهة يأجوج

ومأجوج وتخوض غمار تلك المعركة الضخمة آنذاك) قالت فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ! قال ﷺ : نعم إذا كثر الخبيث][1] . إشارة إلى أنَّ العرب يتأثَّرون بهذهِ الجبهة ، وهي التي تكون موجودةً قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام .

وفي تعبيرِهِ « ويلٌ للعرب » إشارة إلى خطرٍ داهمٍ وكوارث تقع عليهم من هذا الباب . وفي الذيل إشارة إلى أنَّ العرب - قبل الظهور - يصلون إلى هذا المستوى مِن السقوط والإنهيار ونزول الشرِّ بسبب خروجهم عن قيم السماء ومعالم الشريعة ، فإذا كان ذلك كذلك طالهم الشرُّ والويل ..

وفي لفتةٍ إلى انشغالهم ببناء قوَّةِ جبروتِهم تلك روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ يأجوج ومأجوج ليحفرن السدَّ كل يوم (إشارة إلى تواصلهم في بناء قوَّتِهم) حتى إذا كان شعاع الشمس قال الذي عليهم : إرجعوا فستحفرون غداً (بناء القوَّة المتتابع) ، فيعودون إليه كأشدّ ما كان ، حتى إذا بلغت مدّتهم (أي وصلوا إلى مستوى صناعة القوَّة التي يُؤثِّرون بها على العالم) وأراد اللهُ عزَّ وجل أن يبعثهم على الناس (أي لم يمنع مسيرتهم الطبيعيَّة في إعداد القوّة واختيارهم الذي سيُسألون عنه لما هم عليهِ من اختيار) حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس (إشارة إلى رؤيتِهم نوعاً مهماً مِن تصاعديّة ما لديهم من قوَّة) قال الذي عليهم : إرجعوا فستحفرونه غداً (للمزيد من بناء القوّة التي يفتحون بها المزيد من بقاع العالم ، إشارة إلى فتح السدّ وتجاوز العقبات) .. فيعودون إليه ، وهو

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٦٣ حـ ٢٠٧٤٩

كهيئتِه حين تركوه ، فيحفرونه (أي يفتحون ثغرات في سور الأمم) ، ويخرجون على الناس (مُعلنين الحرب بأشكالٍ مختلفة) فينشِّفون المياه (إشارة إلى احتكارِهم وسيطرتِهم على المزيد من المياه ومنابعها التي يحتاجها الناس) ويتحصَّن الناسُ منهم في حصونهم (إشارة إلى إعلانِهم الحرب على النَّاس والكيانات) ، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئةِ الدمِ فيقولون : قهرنا أهل الارض ، وعلونا أهل السماء (إشارة إلى حربٍ عنيفةٍ يخوضونها مع امّةٍ أو أممٍ تُستَعمَلُ فيها أدوات الحرب التي منها أدوات الجوُّ والفضاء ، ويبدو أنَّ مثل هذا التدمير لمناعة الكيانات يحتاج إلى زمنٍ) ، فيبعث اللهُ عليهم نغفاً (قطعة الجلد التي تُتَّخذُ حزاماً ، شبَّهَ بها الدود الذي يُبعث على يأجوج ومأجوج) في أقفائهم ، فيقتلهم بها (إشارة إلى نهاية هؤلاءِ ، وكأنَّ النصَّ يقول بشكلٍ واضحٍ انَّ نهايتَهم تكون بواسطة تدخُّل السماء وتطويع مرض محدَّد أو كائنات محدَّدة تقضي عليهم كما هي الحالُ في تدخُّل السماء عبر طير أبابيل التي رمت أبرهة وقومه بحجارةٍ من سجِّيل فجعلتهم كعصفٍ مأكول) . فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسُ محمَّدٍ بيده ، إنَّ دواب الارض لتسمن شكراً (أي تسمن ويكثر لبنُها) من لحومهم ودمائهم][1] ..

وفي لفظ الطبري - يصف قوَّتهم مع تنبيه الأمم لما هم عليهِ من هذهِ القوَّة التي يعمدون عبرها إلى فتح سدود العالم في وجهِهم - قال : قال كعب : [.. حتى يسمع الذين يلونهم قرع فُؤُسِهم (إشارة إلى تعاظُم قوَّتِهم التسلُّحيَّة التي يخوضون بها غمار فتح الحدود ومهاجمة الدول) ، فإذا كان الليل قالوا : نجيئ غداً فنخرج ، فيعيدها اللهُ كما كانت (إشارة إلى عقباتٍ

---

[1] عبد الرزاق : على ما في الدر المنثور . * : أحمد : ج ٢ صـ ٥١٠ جامع البيان

تحول دون خروجِهم على العالم) فيجيئون مِن الغد فيجدونه قد أعادهُ اللهُ كما كان (تأكيد على عقباتٍ غير منتظرة أمام هذا المدّ الهائل من جند وأدوات يأجوج ومأجوج) فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرعَ فؤوسهم ، فإذا كان الليل ألقى اللهُ على لسان رجل منهم أن يقول نجيئ غداً فنخرج إن شاء الله (هذا التعبير له أكثر من تأويل ، وربَّما يُراد منه الإعتماد على حِيَلٍ تعتمد ظاهراً على الدِّين أو شبه ذلك للخروج من السدِّ المضروب عليهم ،

وتعبير « ألقى الله عليه » أي فلان تفكَّر في الأمر ووصل إلى نتيجةٍ مفادها التوفيق على هذا النحو ، وإلا ، لا يوفِّقُ الله الذين كفروا ولا يسدّد خطاهم)[1] ، فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه ، فيحفرون ثم يخرجون (إشارة إلى غزوهم العالم وخروجِهم عليه) ، فتمر الزمرة الاولى بالبحيرة فيشربون ماءها (إشارة إلى كثرةٍ ضخمة يتشكَّلون منها ، فضلاً عن التأكيد على سيطرتِهم على الموارد المائيّة أي نسبةٍ مُلفتةٍ منها ، وهذه التعابير يُرادُ منها لفت النظر إلى كثرتِهم وقدرتِهم وتخريبهم) ، ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها (إشارة إلى أثر التخريب وتبديد الموارد كوسيلة مِن وسائل حربِهم تلك) ، ثم تمرُّ الزمرة الثالثة فيقولون : قد كان ههنا مرَّة ماء (تأكيداً على قوَّتِهم وتعبئة لنفوسِهم في مواجهة العالم ، وسيطرة منهم على زمام الأمور حتى الآن) ، وتفرُّ الناسُ منهم ، فلا يقوم لهم شيئ (إشارة إلى انتصاراتٍ متتالية يحقِّقونَها منذ لحظة خروجِهم من رواء السدّ ، فلا يقوى الناسُ على الصمودِ بوجهِهِم) ، فيدعو عليهم عيسى

---

[1] مع التأكيد على انّ سند الحديث ضعيف . ومع هذا حاولت التأويل ما أمكن ، كعرض تاريخي أكثر منه روائي .

بن مريم ﷺ (إشارة ختاميَّة ، ببعد النظر عن التفاصيل وما يجري في العالم آنذاك . النصُّ هنا ينقلنا مِن طور قوّتِهم إلى طورِ نهايتِهم) فيقول ﷺ : اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم ، فاكفناهم بما شئتَ ، فيُسلِّطُ اللهُ عليهم دوداً يُقَالُ له النغف ، فتفرس رقابهم ، ويبعثُ اللهُ عليهم طيراً فتأخذهم بمناقرها فتلقيهم في البحر ، ويبعثُ الله عيناً يُقال لها الحياة تطهِّر الارض منهم ، وتنبتُهَا ، حتى أنَّ الرمانة ليشبع منها السكن ..][1] .

ففي هذا النص إشارة إلى قوم يُعدَّون بالكثير جداً في نسلِهم وتعداد سكَّانِهم ، يَفِدُون على العالم بفرقٍ ثلاث ، يخرِّبون الموارد ، ويتعمَّدون ذلك ، فلا تصمد بين أيديهم القوى وتنهار أمامهم الحصون ، وتتساقط السدود ، إلى أن يبعث اللهُ عليهم سلطاناً من السماء ، أي قوى قاتلة تقتلهم فيطهِّر اللهُ الأرض منهم ..

ولقد لفت نظري في متن النص إشارة إلى انَّ هؤلاءِ اليأجوجيين المأجوجيين على عددهم الضخم وعدّتهم المتطوِّرة لا يقدر أحدٌ عليهم ، ولا قِبَل لأحدٍ بهم ، ولو صح النصُّ يعني أنَّ هؤلاءِ يكونون على نحوٍ من قوّةٍ قادرة على فتح العالم ..

ولا بدَّ في النهاية مِن الإشارة إلى انَّ هذا النص غير مكتمل السند ، وهو غير مسند إلى النبيِّ أصلاً ومقطوع عند كعب ، لكنَّهُ يعطي صورةً تفسيريّة ذات نفس خاص .

---

[1] الطبري : جـ ١٧ صـ ٧١ بسند آخر ، عن أبي الصيف

جنس يأجوج ومأجوج

كما هي هويَّة السفياني والترك والروم والدجَّال من نوع الهويّة البشريّة ، كذلك هي هويّة يأجوج ومأجوج من البشر ، قوم من البشر ، يحتضنهم كيانٌ كبير ، يمهِّدون طوال مدَّة واسعة لبناء قوّة لهم تخوّلهم التدفّق الحربي نحو العالم بشكلٍ لا يصمد أمامهم أحد ، إلى أن تحين نهايتُهُم .

وفي نصوص أهل البيت أنّ الذي يقضي عليهم هو الإمام المهدي عليه السلام ، ولا بأس سواء كان المهديُّ عليه السلام أم عيسى بن مريم عليه السلام ما دام أنَّ عيسى بن مريم وزير جبهة آل محمَّد .. مع تحفُّظي على بعض التصوير الوارد في نصوص العامَّة ، وهو تصوير يساوق تصوير فتنة الدجَّال وأكثر ..

وتتّفق النصوص على انَّ اليأجوجيين المأجوجيين بشر . وفي رواية عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، ولو أنَّهم أُرسلوا على الناس لأفسدوا عليهم معايشهم ، ولن يموت منهم أحد إلا ترك ألفاً فصاعداً (إشارة إلى كثرة نسلِهِم) ، وإنَّ من ورائهم ثلاث أُمم تأويل وتارليس ، ومنسك »[1] . إشارة إلى فرقِهم الثلاث السابقة

---

[1] الطيالسي : صـ ٣٠١ حـ ٢٢٨٢

الذكر ، التي تخرج نحو العالم في عمليَّة توسّعيّةٍ تخريبيّة ضخمة . وفي رواية إبن مسعود عن النبيِّ ﷺ : « .. وإن من ورائهم أُمم ثلاثة .. لا يعلم عددهم إلا الله »[1] .

وفي رواية الفردوس عن أبي هريرة - من غير إسناد - قال : « ولد نوح ثلاثة : سام وحام ويافث ، فولد سام : العرب وفارس ، والروم والخير فيهم ، وولد يافث : يأجوج ومأجوج والترك ، والصقالية ولا خير فيهم ، وأما ولد حام : القبط والبربر والسودان »[2] .. أقول الرواية هنا فقط للشهادة التاريخيّة وفي متنها بعض الكلام أو ضرورة تأويل ، وهي غير تامّة لجهة الإسناد ..

وفي النصوص تصريح بكفر هؤلاءِ ، وأنّهم لن يدخلوا الإسلام بل يُصِرُّون الكفرَ بهِ ومحاربته . ففي رواية ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « بعثني اللهُ تعالى حين أُسري بي إلى يأجوج ومأجوج ، فدعوتهم إلى دين الله ، وإلى عبادته ، فأبوا أن يجيبوني ، فهم في النار مع مَن عصى مِن وُلدِ آدم ووُلدِ إبليس »[3] . إشارة إخباريّة على كفرِهِم ، وأنّهم أمّة تكون آخر الزمان معلنةً الكفر ومحاربة له .

وما يلفت النظر أنَّ النصَّ يتضمّن الإشارة إلى أنَّ هؤلاءِ القوم كان لهم حظٌّ مِن الوجود زمنَ النبيِّ ﷺ ، أي هم امّة ضخمة لها وجود قديم ، تعمل على بناء قوّتِها التي تُعطيها زخم اجتياح السدود وغزو الأمم ..

---

[1] الطيالسي : صـ ٣٠١ حـ ٢٢٨٢

[2] الفردوس : جـ ٤ صـ ٣٨٦ حـ ٧١٢٤

[3] ابن حماد : صـ ١٦٧ -

وفي رواية الداني عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ – في حديث طويل – : « .. فعند ذلك خروج يأجوج ومأجوج . قال : فيوحي الله عزَّ وجلَّ إلى عيسى عليه السلام : أحرز عبادي بالطور ، طور سينين . قال حذيفة : قلت : يا رسول الله ، وما يأجوج ومأجوج ؟ قال ﷺ : يأجوج أمة ، ومأجوج أمة ، كلُّ أمة أربعمائة ألف أمة (إشارة إلى كثرتِهم الضخمة) لا يموت الرجلُ منهم حتى ينظر إلى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه (إشارة إلى تضخُّم سكاني كبير وملفت على مستوى العالم) ، قلت : يا رسول الله ، صف لنا يأجوج ومأجوج ، قال ﷺ : هم ثلاثة أصناف ، صنف منهم أمثال الارز الطوال (تمايز بين فرقٍ ثلاثٍ تتكوّن منهم جبهة يأجوج ومأجوج الضخمة سترى مِن النصِّ أن هذا التمايز مأخوذٌ فيه القدرة أكثر من الشكل) ، وصنف آخر منهم عرضه وطوله سواء ، عشرون ومائة ذراع في مائة وعشرين ذراعاً (لفظ تشبيهي وكناية) ، وهم الذين لا يقوم لهم الحديد ، (إشارة إلى قوّتِهم ومنعتِهم والعبارات هنا من بابِ الإستعارة) ، وصنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالاخرى (إشارة إلى نفوذهِم وانتشارِهم وقدرتِهم على الإحاطة بما لديهم من قوّة وسطوة) .

قال حذيفة : قال رسول الله ﷺ : يكون جمعٌ منهم بالشام ، وساقتهم بخراسان (إشارة إلى كثرتِهم الكاثرة) ، يشربون أنهار المشرق حتى تيبس (إشارة الى تدمير الموارد المائيّة وتخريبها والسيطرة عليها) ، فيحلُّون بيتَ المقدس ، وعيسى والمسلمون بالطور (مصر) ، فيبعث عيسى عليه السلام طليعةً يُشرفون على بيت المقدس ، فيرجعون إليه فيخبرونه أنه ليس تُرَى الارض من كثرتهم . قال : ثم إنَّ عيسى يرفع يديه إلى السماء فيرفع المؤمنونَ معه ، فيدعو الله عزَّ وجلَّ ويؤمِّنُ المؤمنون ، فيبعث تعالى

عليهم دوداً يقال له : النغف ، فيدخل في مناخرهم ، حتى يدخل في الدماغ ، فيصبحون أمواتاً . قال : فيبعث الله عزّ وجل عليهم مطراً وابلاً أربعين صباحاً فيغرقهم في البحر ويرجع عيسى إلى بيت المقدس ، والمؤمنون معه »[1] ..

أوّلُ شيءٍ هذا النص فيه وهن بالسند ، كما فيهِ اضطراب واضح بمتنِه ، وإنّما سقتُهُ كشهادةٍ تاريخيّةٍ وليس كدليلٍ روائيٍّ ، وإنّما سقتُهُ لفائدتِه التوضحيّة في بعضِ فقراتِه .. نعم هو يتقاطع الإشارة مع النصوصِ الأخرى إلى قوّة هذهِ الجبهة الضخمة ، وإلى تكاثرِها البشريِّ الضخم ، وإلى بناء هرمِ قوّتِها ، وإلى خروجِها لقتال جبهة الإمام المهديِّ عليه السلام في سلسلة حروبها التي تخوضها لفتح العالم .

والذي استغربه جداً إصرار صنف خاص من الرواة ، ووصف خاص من بعض الكُتب على تبديل الأسماء وإعطاء دور الريادة والقيادة لنبينا عيسى عليه السلام دون الإمام المهدي عليه السلام ..! مع تواتر النصوص على أنّ الذي يقتل الظالمين ، ويحارب المفسدين ، ويُسقط جبروت الأباطرة ، ويملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً إنّما هو المهدي عليه السلام . المهدي بتواتر النصوص .. هذه ملاحظة تدبَّرها جيِّداً .

وكما ترى اعتمد الطائفتين ، لكنّني أجمع بينهما على نحوٍ يوافق الحقيقة التامَّة من إمرة المهدي عليه السلام ووزارة النبي عيسى عليه السلام . وتؤكِّد النصوص صفة التخريب والزحف لهؤلاءِ الياجوجيين . ففي رواية عبد الله بن مسعود قال - ولم ينسده إلى النبي صلى الله عليه وآله - : « .. فيرجع الناسُ إلى

---

[1] الداني : صـ ١١١ / ١٠٤

بلادهم ، فيستقبلهم يأجوج ومأجوج ، وهم من كلِّ حدبٍ ينسلون ، لا يمرون بماء إلا شربوه ، ولا شيئ إلا أفسدوه .. وفي قول الله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦/٢١﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ .. ﴾ »[1] .

النصوص شديدة الإختصار ، لا تصف لنا البيئة الدوليَّة ، لا تُبيِّن له أشخاص النظام الدولي آنذاك ، تنتقل بنا بشريطٍ نتائجيٍّ سريع إلى خروج اليأجوجيين . وعليه : لا نعرف تفاصيل عن ذلك العالم سوى الخروج .. لكن متى بالخصوص .. ؟ وكيف .. ؟ ولِمَ ..؟ واين موقعهم ..؟ ولماذا بقوا دون حربٍ طيلة هذه الفترة رغم الملاحم ..؟ لا تفاصيل .. هذا قانون بيان المستقبل .

ثمَّ تأكيد على نهايتِها بين يدي الإمام المهدي عليه السلام كما في نصوص أهل البيت عليهم السلام ، أو بين يدي عيسى بن مريم عليه السلام كما في نصوص العامّة . في حين أجمعت الأمّة كلّها على انَّ عيسى بن مريم عليه السلام إنّما هو وزير هذهِ الأمة وليس أميرها ، وانَّ أميرها هو المهدي عليه السلام باتفاق السنة والشيعة ..

وتشير نصوص السنة - وليس نصوص أهل البيت عليهم السلام - إلى أنَّه مع الإنتصار على يأجوج ومأجوج يمكث المسلمون سنواتٍ عدّة ، ثمَّ يبعثُ اللهُ ريحاً لقبض أرواح المؤمنين ، فيبقى الناس بعدهم مائة عامٍ لا يعرفون ديناً ولا سُنَّة ، فتقوم الساعة عليهم وهم شرارُ الخلق[2] .

---

[1] إبن أبي شيبة : ج ١٥ ص ١٥٨ ١٥٧ ح ١٩٣٧١ - أحمد : ج ١ ص ٣٧٥

[2] من تلك الرويات ما رواهُ إبن حماد (ص ١٦٨) عن تبيع لم يذكر كعباً قال : ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله : (إذا انصرف عيسى بن مريم والمؤمنون من يأجوج ومأجوج إلى بيت المقدس فلبثوا سنوات ببيت

لكنَّ هذهِ النصوص غير معتبرة من وجهة نظرنا وفي نصوصِ أهلِ البيتِ ﷺ ما يخالِفُها ، بل في نصوص أهل البيتِ إشارة إلى أنَّ الزمان يطول ، ويعمُّ الأمن والسلام ، وينتشر الدِّين إلى ما شاء اللهُ ، ويبقى الأمر كذلك . وتكون الرجعة أيضاً ، ثمَّ يأتي أمرُ اللهِ تعالى بزوال الدنيا وقيام الساعة ..

مع التأكيد على أنَّ قسماً من الروايات التي تشير إلى قيام الساعة على شرارِ الخلقِ ، إنّما يُراد من بعضِها ظهور علامات العصر الأخير من الفتن والسفياني والروم والدجَّال في عصر الظهور . ومن يقرأ العديد من النصوص الواردة عند العامّة يجد هذا المعنى متجلّياً بشكلٍ واضح ..

المقدس ، رأوا كهيئة الهرج والغبار من الجوف ، فيبعثون بعضهم في ذلك لينظر ما هو ؟ فإذا هي ريح قد بعثها الله لقبض أرواح المؤمنين فتلك آخر عصابة تقبض من المؤمنين . ويبقى الناس بعدهم مائة عام لا يعرفون دينا ولا سنة يتهارجون تهارج الحمير ، عليهم تقوم الساعة وهم في أسواقهم يبيعون ويتبايعون وينتحون ويلحقون (فلا يستطيعون توصية ، ولا إلى أهلهم يرجعون) ..

هلاك يأجوج ومأجوج وبقاء المسلمين بعدهم

تكون جبهة يأجوج ومأجوج آخر « أكبر الجبهات » في وجه الإمام المهدي عليه السلام في حين تؤكِّد النصوص على وجود أممٍ أخرى تجتاحهم جيوش يأجوج ومأجوج في عمليَّة فتح الأرض والسيطرة عليها ، وذلك عبر حروبٍ ضارية كما تصوّرها لنا الروايات ، بعضها يكون في الأرض ، والآخر يكون في السماء . إشارة إلى حروب تجري في الفضاء الجوِّي للأرض على الأقل . بما في ذلك أدوات الجوِّ من طيران وصواريخ وقذائف وغير ذلك . وفي النصوص المزيد من الألفاظ شديدة الوضوح حول الشُّهب التي يتقاذف البشر بها ..

فإذا انتهى اليأجوجيُّون مِن بعض الأممِ المهمَّة ، توجَّهوا إلى جبهة المهدي عليه السلام بجيوشهم الجرارة . وفي خلدهم أنَّ القضاء على جبهة المهدي عليه السلام يعني حكمهم المطلق للأرض . إلا أنَّ النصوص تشير إلى هلاكهم على يد المهدي عليه السلام ، لكن عن طريقِ مرضٍ ما . ولا أدري هل ذلك تدمير جرثومي أم هو إعجاز ربَّاني . الروايات صريحة في فناءهم بمرضٍ ما يتفشَّى فيهم فيبيدهم عن آخرهم ..

ففي رواية زيد بن أسلم عن أبيه قال : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « يفتح يأجوج ومأجوج ، يخرجون على الناس كما قال الله عزَّ وجل : ﴿ مِّن

كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ فيغشون الارض (إشارة إلى انتشارهم الكبير في بقاعٍ كثيرة مِن الأرض وفتحهم لها) ، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم (إشارة إلى استعدادهم القتالي في وجه جيش ضخم جرَّار) ، ويضمُّون إليهم مواشيهم (إشارة إلى مشقَّةٍ ما ، تدلُّ عليها هذهِ العبارات ، خشيةً من الجيش اليأجوجي الضخم الذي لم تصمد أمامهُ كثيرٌ من الأمم ، فيجمعون زادهم وموادهم) ، ويشربون (أي جيوش يأجوج ومأجوج) مياهَ الارض (إشارة إلى احتكارهم لها والسيطرة عليها والتخريب والتدمير الذي يُعمِلُونه بها) حتى أنَّ بعضهم لَيَمُرُّ بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً (إشارة إلى التخريب من جهة والكثرة الكاثرة من جهةٍ أخرى وما يعنيه هذا مِن حاجة) حتى أنَّ مَن بعدهم ليمرُّ بذلك النهر فيقول قد كان ههنا ماء مرة (أي كان هنا ماء ذات مرّة ، هذا تعبير واضح عن النهب والخريب ، وكأنَّ هذهِ النصوص تشير إلى ضرورات السيطرة على الماء ونهبها ، أو حروب يكون من ضمن دواعيها الفتح والماء والثروات المختلفة) ، حتى إذا لم يبقَ من الناس أحدٌ إلا في حصنٍ أو مدينة (إشارة إلى تحصُّن الناس منهم) قال قائلهم : هؤلاءِ أهلُ الارض قد فرغنا منهم ، بقي أهل السماء (تعبير يُراد منه لفت النظر إلى انَّ هذهِ الحرب التي يخوضها جيش يأجوج ومأجوج تتوسَّع إلى أبعد الممكن ، وتُستعمل فيها كلُّ القدرات ، التي منها أدواتُ البرِّ والبحر والفضاء ، نعم في التعبير إشارة إلى اهل السماء .! وكأنَّ هناك مركبات أو محطّات موجودة في الفضاء الخارجي أو شبه ذلك من شأنِها أن تؤثِّر عليهم ، فكان لا بدَّ من خوض « حرب فضاء » لضمان أمن الأرض مِن هؤلاءِ ..!) ، قال : ثم يهزُّ أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء (إشارة إلى بدء حرب الفضاء في تلك المرحلة من الصراع بين هذهِ الأمة الضخمة وتلك الأمم الأخرى) ، فترجع

مختضَّبةً دماً ، للبلاءِ والفتنة (إشارة واضحة إلى انتصارِهم في تلك الحرب) ، فبيناهم على ذلك (من الإنتصار والقوَّة والزحف نحو جبهة المهدي (عليه السلام)) ، إذ بعثَ اللهُ دوداً في أعناقهم ، كنغف الجرار الذي يخرج في أعناقهم ، فيُصبِحُون موتى ، لا يسمع لهم حسَّاً (أي يموتون بطريقةٍ غير منظورة) فيقول المسلمون ألَا رجلٌ يشري نفسَهُ فينظر ما فعل هذا العدو ؟ قال فيتجرَّد رجلٌ منهم لذلك محتسباً لنفسه ، قد وطَّنَهَا على أنه مقتول ، فينزل فيجدهم موتى ، بعضهم على بعض ، فينادي : يا معشر المسلمين ، ألَا أبشروا ، فإنَّ اللهَ قد كفاكم عدوَّكُم ، فيخرجون مِن مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها رعي إلا لحومهم ، (إشارة إلى الوهن الأكيد والنهائي الذي يصيب جسم هذا الجيش الجرار ، ويبدو أنَّ السماء تتدخَّل للقضاء عليه)][1] .

وفي لفظٍ آخر لعبد الله بن مسعود قال : [.. ثم يخرج يأجوج ومأجوج ، فيموجون في الارض فيفسدوا فيها ، ثم قرأ ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾][2] . إشارة إلى الفساد الذي يرتكبونه حين خروجِهم لفتح سدود العالم وكيانات الدول ..

وفي نصٍّ يُرادُ منه إضفاء نوع من مميزات توضيحيّة على سمات جيش يأجوج ومأجوج وخصائصِهم الجسمانيّة روى ابن حرملة عن خالته قالت : خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو عاصبٌ إصبعه من لدغة عقرب فقال : [.. إنكم تقولون : لا عدو ، وإنَّكُم لا تزالون تُقاتلون عدواً ، حتى يأتي يأجوج

---

[1] ابن حماد : صـ ١٦٤

[2] ابن حماد : صـ ١٦٤

ومـأجوج عـراض الوجـوه ، صـغار العيـون ، صـهب الشـعاف (صـفر الشعور) ، مِن كلِّ حدبٍ ينسلون ، كأنَّ وجـوهم المجـان المطرقـة (صـفة وردت في احاديث غزو التتار لبلاد المسلمين)][1] . والمجان تعني التـروس الغليظة . وكأنها تشير إلى الأقنعة الواقية من الغازات السامَّة أو غيرهـا . إلا أنّ فيها دلالة علـى تتـرُّس قـوّات اليـاجوجيين بنوعيّـة متقدّمـة مـن أدوات الحرب ..

ما ورد في متن هذه الرواية - رغم السند - إشـارة تاريخيَّـة علـى الأقل ولسان توضيحي ومتن مستقبلي ممكن ..

فإذا قُضِي على يأجوج ومـأجوج ، عـمَّ الأمـن والسـلام فـي ربـوع الأرض ، وانتشر حكم المهدي عليه السلام . وفي تعبيرٍ يُرادُ منه هـذا المعنـى روى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال : [.. لَيُحَجَنَّ البيتُ ، ولَيُعتمرنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج][2] .

هذا يؤكِّد ما اشرنا إليهِ مـن حكومـة الإمـام المهـديِّ عليه السلام وانتشـار القسط والعدل فيها حتى زوال الدنيا وقيام الساعة ..

لكن ما يُخرِجُ يأجوج ومأجوج ؟ بالإجمال الثابت أنّهم يخرجون بعد قتلِ الدجَّال . كما مِن حيث المدّة الزمنيّة متى ؟ لا تفصـيل فـي الأمـر . نعـم هناك روايات يمكن سياقها على نحوٍ من شهادةٍ تاريخيّة تشير إلى ثلاثـين أو أربعـين سـنة بعـد مقتـل الـدجّال ، علـى أثرهـا يخـرج جـيش يـأجوج

---

[1] أحمد : جـ ٥ صـ ٢٧١ - الزمخشري ، الفائق : جـ ٢ صـ ٢٤٨ كما في أحمد

[2] ابن أبي شيبة : جـ ١٥ صـ ١٦٣ حـ ١٩٣٨٩ - الحاكم : جـ ٤ صـ ٤٥٣

ومأجوج .. فقد روى ابن عباس الحضرمي - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - قال : [.. يخرج عيسى بن مريم عليه السلام عند المنارة عند الباب الشرقي (النصوص في روايات أهل البيت وهي موثوقة جداً ومتّزنة جداً تعطي الأدوار للمهدي عليه السلام في حين بعض الروايات العامية تعطي بعض الأدوار لعيسى بن مريم ، ولا بأس في ذلك ما دام أنّ عيسى بن مريم عليه السلام وزير جبهة المهدي فيكون من بابِ الإشارة إلى الأمير الذي يأمر والقائد الذي يقود) ، ثم يأتي مسجد دمشق حتى يقعد على المنبر ، ويدخل المسلمون المسجد ، والنصارى واليهود كلّهم يرجوه ، حتى لو ألقيتَ شيئاً لم يُصب إلا رأسَ إنسانٍ من كثرتهم . ويأتي مُؤذِّن المسلمين فيقوم ، ويأتي صاحبُ بوق اليهود ، ويأتي صاحبُ ناقوس النصارى ، فيقول صاحب اليهود : أقرع فيكتب سهم المسلمين وسهم النصارى وسهم اليهود ، ثم يقرع عيسى عليه السلام فيخرج سهم المسلمين ، فيقول صاحب اليهود : إنَّ القرعة ثلاث ، فيقرع فيخرج سهم المسلمين ، ثم يقرع الثالثة فيخرج سهم المسلمين ، فيُؤذِّن المؤذِّن ، ويخرج اليهود والنصارى من المسجد . ثم يخرج عليه السلام ، فيتبع الدجَّال بِمَن معه مِن أهل دمشق ، ثم يأتي بيت المقدس وهي مغلقة ، قد حصرها الدجال (إشارة إلى خريطة صراع محدَّدة وردت في أكثر من نص وإنْ اختلف العنوان) فيأمر بفتح الابواب ، ويتبعه (أي يتبع الدجال وهو في آخر دولتِهِ التي بدا عليها الإنهيار بعد سطوةٍ ونفوذٍ وانتشار) حتى يدركه بباب لد ، فيذوب كما يذوب الشمع (التعبير هنا يُراد منه إمّا الإشارة إلى أداةٍ تقتلُهُ ، أو تطويع للناموس يقتله ، أو إشارة إلى سيطرةٍ كاملة على الدجَّال الذي لا يجد فرصةً للهرب أو التفلُّت) ، ويقول عيسى عليه السلام : إنَّ لي فيكَ ضربةً ، فيضربه فيقتله اللهُ عزَّ وجل على يديه . فيمكث في المسلمين ثلاثين سنةً أو أربعين سنةً ، أللهُ أعلم أيّ العددين ، فيخرج على أثره يأجوج

ومأجوج ، فيهلكهم اللهُ على يديه ولا يبقى منهم عينٌ تطرف . وتُرَدُّ إلى الارضِ بركتُهَا حتى أنَّ العصابة لَيجتمعون على العنقود وعلى الرمانة . وينزع مِن كل ذات حمة حمتها (يعني سمّها) ، حتى أن الحيّة تكون مع الصبي ، والاسد والبقرة ، فلا تضر شيئاً (إشارة إلى تغيُّرٍ في طبيعة الأشياء يصل إلى درجة الأمن والأمان والسلم والسلام المستديم) ..][1] ..

أُؤكِّد : أنَّ قانون المستقبل أورد النصوص باختصار ، وعليه : التفاصيل ضئيلة ، وروايات السند الضعيف تصلح كشهادة للتوضيح ..

فإذا تمَّ النصرُ على اليأجوجيين أنزلت السماء نِعَمَهَا وأخرجت الأرض بركاتِها . ففي رواية « تبيع » التي تصفُ حال النِّعَم بعد هلاك يأجوج ومأجوج يقول - دون إسناد إلى النبيِّ ﷺ - : [.. ينصرف عيسى عليه السلام ومَن معه بعد يأجوج ومأجوج إلى بيت المقدس ، فيقولون : ألآن وضعت الحربُ أوزارها ، ثم إنَّ الارض تُخرِجُ زكاتها بإذن الله تعالى على ما كانت في أول الدنيا ..][2] . تأكيداً على النِّعَم التي تهبط مِن السماء وتخرج من الأرض ، ودلالةً على معاني الرحمة الكبرى في عصر المهدي عليه السلام ..

وفي أكثر من نص إشارة إلى أنَّ جيش يأجوج ومأجوج لا يخرج مباشرةً بعد قتل الدجّال ، بل هناك مكثٌ للمسلمينَ ثمَّ خروجٌ لليأجوجيين .. وفي رواية عبد الله عن النبي ﷺ قال : [.. إذا قتل عيسى الدجَّالَ ومن معه (أُؤكِّد : عيسى بن مريم عليه السلام هو وزير جبهة آل محمَّد . روايات أهل

---

[1] تهذيب ابن عساكر : جـ ١ صـ ٤٩

[2] ابن حماد : صـ ١٦٣

البيت ﷺ تؤكّد بما لا يقبل الشكّ أنَّ المهدي ﷺ هو الذي يقتل الدجال واليأجوجيين أيضاً) ، فإذا قتل الدجَّال مكث الناسُ حتى يكسر سدّ يأجوج ومأجوج (إشارة إلى قدرةٍ ضخمةٍ وذات ميزةٍ عالميّةٍ تدفعهم للزحف اتّجاه العالم آنذاك فيخترقون السدود والحدود ويفتحون الجبهات) ، فيموجون في الارض ويفسدون .! لا يمرُّون بشيئ إلا افسدوه وأهلكوه (إشارة - لا تقبل الشكّ - إلى قوَّة التخريب والإفساد) ، ولا يمرون بماء ولا عين ولا نهر إلا نزفوه (إشارة إلى نهب واستنزاف الموارد المائيّة) ، ويمرُّون بالدجلة والفرات ، فمَن كان منهم أسفل الدجلة أو أسفل الفرات قال : قد كان ها هنا مرةً ماء (تأكيد واضح على نهب الثروات المائيّة واستنزافِها) ،

فمن بلغه هذا الحديث فلا يهدمنَّ حصناً ولا مدينة بالشام ولا بالجزيرة (العراق) ، فإنّه حصنٌ للمسلمين مِن يأجوج ومأجوج .. فيدعون ربَّهُم ، فيبعث اللهُ لهم دابة .. فيُصبحوا موتى أجمعين ، فتُنتِنُ الارضُ منهم ، فيؤذي الناس نتنُهُم أشدّ عليهم منه إذ كانوا أحياء ، فيستغيثون باللهِ فيبعث اللهُ ريحاً ثمانية غبراً ، فتصير على الناس عما ودخان شديد وتقع على المؤمنين الزكمة . فيستغيثون بربِّهم ، ويدعوا أهل طور سينا ، فيكشف اللهُ ما بهم بعد ثلاثة أيام ، وقد قذفت يأجوج ومأجوج في البحر][1] .

على الأقل الثابت من هذا النص أنَّ يأجوج ومأجوج يخرجون بعد قتل الدجّال . وتتضمَّن الروايات إشارة واضحة بمكثٍ زمني بين قتل الدجّال وخروج اليأجوجيين .. ولا بدَّ من خروج يأجوج ومأجوج . وفي رواية سمعت حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : [أول الآيات :

---

[1] ابن حماد : صـ ١٦٧

الدجال ، ونزول عيسى ، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر ، تقيل معهم إذا قالوا ، والدخان ، والدابة ويأجوج ومأجوج . قال حذيفة : قلت : يا رسول الله ، وما يأجوج ومأجوج ؟ قال : يأجوج ومأجوج أمم ، كلُّ امة أربعمائة ألف ، لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه (إشارة إلى كثرتِهم) ، وهم وُلدُ آدم ، فيسيرون إلى خراب الدنيا ، يكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق (إشارة إلى جيشهم الجرّار) ، فيمرُّون بأنهار الدنيا ، فيشربون الفرات ودجلة وبحيرة طبرية (إشارة إلى نهبهم واستنزافهم وحكرتهم المياه ، وتعبير يشربون إشارة إلى استغلالِهم لهذهِ المياه في تلك البقاع المحدَّدة في لسان النص) ، حتى يأتوا بيت المقدس فيقولون : قد قتَلْنَا أهل الدنيا ، فقاتلوا مَن في السماء فيرمون بالنشاب إلى السماء فترجع نشابهم مخضبةً بالدم ، فيقولون : قد قتلنا مَن في السماء (إشارة إلى حربٍ تقع في السماء أو الفضاء بعد الإنتهاء مِن قتالِ جبهاتٍ متعدِّدة على الأرض ينتصرون عليها ويفتحون حصونها أي دولها) ،

وعيسى والمسلمون بجبلِ طور سينين (مصر) ، فيوحي اللهُ جلَّ جلاله إلى عيسى عليه السلام أن أحرز عبادي بالطور وما يلي أيلة (ايلات الواقعة على الساحل بين الاردن وفلسطين) ، ثم أنَّ عيسى عليه السلام يرفع رأسه إلى السماء ويؤمِّنُ المسلمون ، فيبعث اللهُ عليهم دابةً يُقالُ لها النغف ، تدخل مِن مناخرهم ، فيصبحون موتى من حاق الشام إلى حاق العراق (أي أحاطت بهم) ، حتى تنتن الارضُ من جيفهم . ويأمر الله السماء فتمطر كأفواهِ القرب ، فتغسل الارض من جيفهم ونتنهم ..][1] .

---

[1] ابن جرير ، جامع البيان : ج ١٧ صـ ٦٩

قال إبن عساكر : وفي روايةٍ - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - : « أريت ابن مريم يخرج من يمنة المغارة البيضاء شرقي دمشق ، واضع يده على أجنحة الملكين بين ريطتين ممشقتين ، إذا ادنى رأسه قطر ، وإذا رفع رأسه تحادر منه جمان كاللؤلؤ ، يمشي ، وعليه السكينة ، والارض تقبض له ، ما أدرك نفسه من كافر مات ويدرك نفسه حينما أدرك بصره حتى يدرك بصره في حصونهم وقرياتهم ، حتى يدرك الدجال عند باب لد فيموت . (كذا) . ثم يعمد إلى عصابة من المسلمين عصمهم الله بالاسلام فيترك الكفَّار ينتفون لحاهم وجلودهم ، فتقول النصارى : هذا الدجال الذي أنذرناه ، وهذه الآخرة ، ومن مس عيسى بن مريم كان من أرفع الناس قدراً ويعظم مبيته (كذا) ، ويمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم من الجنة . فبينما هم فرحون بما هم فيه إذ خرجت يأجوج ومأجوج فيوحي (اللهُ) إلى المسيح : إني قد أخرجت عباداً لي لا يستطيع قتلهم إلا أنا ، فأحرز عبادي إلى الطور ، فيمرُّ صدر يأجوج ومأجوج على بحيرة طبرية فيشربونها ، ثم يقبل آخرهم فيركزون رماحهم ، فيقولون لقد كان ههنا مرَّة ماء ، حتى إذا كانوا حيال بيت المقدس قالوا : قد قتلنا مَن في الارض فهلمَّ نقتل مَن في السماء . فيرمون بنبلهم إلى السماء فيردها اللهُ مخضوبةً بالدم فيقولون : قد قتلنا مَن في السماء . ويتحصَّن ابنُ مريم وأصحابه حتى يكون رأسُ الثور ورأس الجمل خير من مائة دينار اليوم][1] ..

ويبدو من النصِّ أنّ عيسى بن مريم عليه السلام يكون له دور في هذهِ الفترة من زمن الأحداث الضخمة ، لكن الذي أحبُّ أن اشير إليهِ هنا ، أنَّه لم نقع على روايةٍ ثابتة تامّة تحدّد مكان نزول المسيح بشكلٍ نهائي ، نعم

---

[1] تهذيب ابن عساكر : ج ١ صـ ٤٩

يكون لنزول المسيح (عليه السلام) أثر كبير ، خاصَّةً على النصارى الذين يُؤمِنُ قسمٌ منهم ، بخلاف اليهود أو أغلبهم الأعظم ، وذلك بعد أن يظهر المسيح (عليه السلام) .

والمعلوم من نصوصٍ كثيرة أنَّ جبهة المهدي (عليه السلام) في هذهِ الفترة تكون قد حقّقت انتصاراتٍ كبيرة وامتداداً ضخماً ، فماذا تعني فقرة « عصابة من المسلمين عصمهم اللهُ بالاسلام » الذين يلجؤون إلى المسيح ..؟ يبدو من النص وغيرهِ أنّهم فئة يتمُّ حصارهم أو حشرهم ، في حين تكون جبهة المهدي (عليه السلام) متمدَّدة في بقاعٍ كثيرة ، خاصّةً أنّ جبهة الإمام (عليه السلام) تخوضُ حرباً ضارية في عقر الغرب المسيحي (الرومي) .

هذهِ الطائفة من النصوص تشير بالضمن إلى أنَّ منطقة الشرق (مقابل الغرب) أو منطقة ما من دنيا الإنسان ، لم تنفتح كلَّها أمام جيش المهدي (عليه السلام) ، أو أنّ قسماً منها طرأ عليهِ تغيُّرات فتحته أمام جحافل يأجوج ومأجوج . والأوّل أقرب لمضامنين ونَفَس النصوص ..

ولا بدَّ من الإلتفات إلى أنَّ النص يشير إلى بقاع محدّدة ، مثل إحراز تلك العصابة المؤمنة في الطور ، فيمر صدر يأجوج ومأجوج على بحيرة طبرية فيشربونها ثم يقبل آخرهم فيركزون رماحهم ، إشارة إلى فتحهم تلك البقاع من الأرض ، وتمركزهم بها . وفي النصوص السابقة يقول النبيّ (صلى الله عليه وآله) : [.. وهم ولد آدم فيسيرون إلى خراب الدنيا] . إشارة إلى أنّهم يخوضون حروباً مختلفة ، ذات تدميرٍ واسع ، وخرابٍ كبير .

ولا يبدو من النصوص أنَّ حروبهم السابقة حين خروجِهم من السدّ تكون مع المسلمين ، نعم المحطّة التالية مِن حروبهم تكون باتّجاه المسلمين ، وأنَّ خطّ مسيرهم باتّجاه المسلمين يكون فيما يكون ضمن

منطقة الشام والعراق . وكما في النص : [يكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق ، فيمرون بأنهار الدنيا ، فيشربون الفرات ودجلة وبحيرة طبرية ، حتى يأتوا بيت المقدس فيقولون قد قتلنا أهل الدنيا] . إشارة إلى انتصارٍ مهيبٍ وسلسلة من النجاحات العسكريّة والفتوحات الواسعة تصل بهم إلى بيت المقدس الذي يعلنون منه إنتصارهم على أهل الأرض ، تأكيداً على انتصاراتِهم العظمى .

ولأنَّ انتصاراتِهم في تلك البقاع تكلّلت بنوعٍ واسعٍ من النجاح والتمركز يوجّهون عنان حربهم إلى نوعٍ آخر من معالم الحرب فيقولون : قاتلوا مَن في السماء . إشارة إلى جبهة حرب أخرى .

وبتعبيرٍ آخر : إشارة إلى وجود عدوٍّ آخر . فيرمون بالنشاب إلى السماء (بأسلحتهم المخصصة لحرب الفضاء أو الجو) ، فترجع نشابهم مخضبةً بالدم . أي يحققون انتصاراً في تلك الحرب الجويَّة ، دون أن تأتي النصوص على تحديد مَن هو العدو في هذهِ الفترة ..

وهل يعني ذلك حرب طائرات وصواريخ عابرة أم غير ذلك ، أم حالة حرب مختلفة يمكن أن يكون من مصاديقها الإفتراضيَّة تمركز صاروخي خارج حدود الأرض ، مثل نظام صاروخي يكون على القمر أو غيرِهِ من الكواكب ..؟ على كل حال النص غير واضح في هذهِ المعاني ، لكنّه واسع وشامل ويحتمل هذه المعاني وغيرها ..

ثم واضح أنَّ حرباً يخوضونها عبر الجو ينتصرون فيها ، وترجع إليهم النشاب مخضّبةً بالدماء أي بقتلهم العدو .

لكن هل هذا الإنتصار يكون في وقعة حرب ، أي في معركة ، أم في مجموع معارك ..؟ النص أيضاً غير واضح . لكنّ يكون لهم الإنتصار في تلك الحرب الجويّة . وعلى أثرها يقولون : قتلنا مَن في السماء ..

في حين يكون عيسى بن مريم (وزير دفاع جبهة الإمام المهدي عليه السلام) والمسلمون بجبل طور سينين . وحين يدبُّ المرض الذي يحيط بهم عبر دابّة النغف ، تتساقط جثث موتاهم من حاق الشام إلى حاق العراق ، مِن محيط الشام إلى محيط العراق . إي ضمن جزء من منطقة الشرق الأوسط كما في تعبيرنا الحاضر ، بحيث يكون لهم امتداد كبير كما هو واضح من النصوص ..

خروج دابة الأرض

ورد في القرآن بخصوص الدابَّة قولُهُ تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ ، ففي هذه الآية تثبيت نهائي لضرورة خروج الدابّة في آخر الزمان ، وبظرفٍ ومشهدٍ إعجازي كما يبدو واضحاً من الآية .. وفي النصوص معانٍ توسيعيّة تفصيليّة في هذا المجال[1] .

---

[1] الروايات تشير إلى أكثر من عنوانٍ وناحية ، وهي تختلف بالتفصيل في هذه النواحي بين مرويات العامّة والإماميّة .. إلا أنّ الغالب فيها أنّها تخرج بعد الدجّال .. أمّا عن طبيعتها .. ؟ فلا شكّ أنّها مظهر إعجازي دقيق ، له وظيفة دقيقة في أهمّ مفصل من مسيرة البشر .. يقول اللهُ تعالى : (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ(٨٢) - يظهر من هذه الآية أنّ الدابّة مظهر من المظاهر الإعجازيّة التي يبعثها اللهُ تعالى ، ولها دور ووظيفة إحتجاجيّة في غاية الأهميّة .. أمّا عن معاني واستعمالات كلمة " دابّة " في القرآن ، فقد وردت في القرآن الكريم في ١٤ موضع على الشكل التالي : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) - (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) - (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(٦) - (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦) - (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(٤٩) - (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ(٦١) - (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ

وفي الحقيقة هناك طوائف عدَّة يبدو أنّها ناظرة بنمطٍ جهَتي إلى موعد وظروف ومحيط خروج دابّة الأرض . ففي رواية عبد الله بن عمرو قال : قال النبي ﷺ : [.. إذا طلعت الشمس من مغربها يخرُّ إبليسُ ساجداً ، ينادي : إلهي مُرني أن أسجد لِمَن شئتَ ، فتجتمع إليه زبانيتُهُ فيقولون : يا سيِّد ، ما هذا التضرُّع ! فيقول : إنَّما سألتُ ربِّي أن ينظرني إلى الوقت

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٤٥) - (وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٦٠) - (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) - (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) - (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا(٤٥) - (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ، وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ(٢٩) - (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ(٤) .. أقول : من يتصفّح هذه الآيات القرآنيّة في استعمالات كلمة دابّة ، يجد أنّها مأخوذة على نحوٍ لغوي استعمالي متّصل بالخلق والمنّ والإحتجاج من الله وشبه ذلك .. أمّا الآية الواردة في سورة الشورى حيث يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ يدرك أنّها ورادة في مقامٍ ووصف محدّد ومختلف في عالم الإحتجاج ، مقصود فيها أنّ الله سيبعثُ دابّة عليهم ، كواحدة ومظهر من معاني الإعجاز سواء بمعناهُ العام أو بخصوصٍ معيّن ، وهي أوسع من الإشارة إلى إنسانٍ أو غير إنسان ، وقد ثبت في القرآنِ استعمالُها فيما هو بشريّ وغير بشريّ ممّا يدبّ على الأرض .. وسواء كان المقصود الأوّل أم الثاني فإنّ الوظيفة هي احتجاجيّة تصنيفيّة ذات بُعد دقيق يتناسب وآخر الزمان وختام عالم الأرض وبداية مرحلة وجوديّة جديدة ، خاصّة انّ النصوص ثابتة في بيانِ أنّ النبي بُعث والقيامة كهاتين ، إشارة إلى قصر الزمن وختامِ عالم الوجود الأرضيّ وشبه ذلك .. أمّا ماذا عن المُدد ؟ فهي بطبيعة الحال نسبية متّصلة بخطّي معرفة هما بيد الله تعالى ، من هنا عبّرنا بقصرِ الزمان بالمعنى النسبي .. نعم لا خلاف على أنَّ هذه الدابة لها من القدرة على الوسمِ والتصنيف للبشرِ ما لا يفوتها أحد ، وتكون بمثابة اطمئنانٍ للمؤمن ، ومدخل خوف وذعر بالنسبة إلى الكافر ، في زمنٍ تكون فيه الأرض طيّعة ، وتنتهي جبهاتُ أهلِ الباطلِ كعنوانٍ حاكمٍ وجبروتٍ مسيطرٍ .. ليشهد العالمُ بعد تلك المرحلة مجموعة من عناوين تتخطّاها الأرض إلى أن يأذن اللهُ للمسيرة الوجوديّة بالإنفلاقِ عن مرحلة أكثر تطوّراً في عوالمِ الله تعالى .. جعلنا اللهُ من أنصارِ إمامنا ومولانا المهديّ القائم محمّد بن الحسن ﷺ ومن المستشهدين بين يديه وشفّعه وآباءهُ بنا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم وعرّف اللهُ بيننا وبينهم بحقّ محمدٍ وآلِ محمّد عليهم السلام ..

المعلوم . وهذا الوقت المعلوم . ثم تخرج دابة الارض مِن صدعٍ في الصفا ، فأول خطوة تضعها بأنطاكية ، ثم تأتي إبليس فتلطمه][1] .

يتضمَّن هذا النص إشارة إلى أنَّ خروج دابّة الأرض يكون بعد طلوع الشمس مِن مغربها - ببعد النظر عن المدَّة الزمنيّة بين طلوع الشمس وخروج الدابّة - ، وطلوع الشمس من مغربها تعبير يُراد منه الإشارة إلى علامة خروج المهدي عليه السلام ، دون تحقيق خروج دابة الأرض بخروج المهدي مباشرةً . النصوص تشير إلى فتراتٍ من الزمن تكون بين الخروجين . ثم طلوع الشمس مِن مغربها يعني بداية تبدُّل العالم ، ودخولهِ مرحلة الحقبة الأخيرة والقرب من الوقت المعلوم . هذا يعني بداية نهاية فترة إبليس وتسلّطه على البشر ..

النص يشير إلى أنَّ لدابة الأرض حركةً ، هذه المرّة يُراد منها الإشارة إلى وجهة محدَّدة وهي قمع إبليس ، على أنَّ خروجها يكون من الصفا ، وخطوتها الأولى تكون في أنطاكية .

هناك رواية لأبي هريرة يروي فيها عن النبيِّ صلى الله عليه وآله : [.. ثلاثٌ إذا خرجنَ لا ينفع نفساً إيمانُهَا لم تكن آمنت من قبل : طلوع الشمس من مغربها والدجال ، والدابة][2] . لكن الثابت بالنصوص أنَّ التوبة تظلُّ مقبولة

---

[1] ابن مردويه : على ما في الدر المنثور . الطبراني ، الاوسط : ج ١ صـ ٩٨ حـ ٩٤

[2] ابن أبي شيبة : ج ١٥ صـ ١٧٨ حـ ١٩٤٤٢ - الطبراني ، الكبير : ج ٩ صـ ٢١٤ حـ ٨٩٣٧ عن القاسم ، قال : قال عبد الله " التوبة معروضة على ابن آدم ، ان قبلها ما لم يخرج احدى ثلاث ، ما لم تطلع الشمس من مغربها ، أو يخرج الدابة أو يخرج يأجوج ومأجوج " . أقول بموضع دابّة الأرض وردت نصوص تشير إلى انّ المقصود بها الإمام علي عليه السلام ، فيما وردت نصوص تشيرُ إلى أنها ليست من جنس البشر . نعم إمكانيّة الجمع بين النصوص يمكن أن تنطبق عبر التفسير المصداقي وأي يكون لسانُها ناظراً إلى

مصاديق متنوّعة ، فيكون الإمام واحداً من مظاهرها المصداقيّة أو صاحب الأمر بصفة ما ، نعم ممّا لا شكّ فيه أنّ الإمام علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام هم مصاديق بارزين من عناوين الرجعة التي لا بدّ أن تقع ، والقرآن شديد الوضوح في الرجعة . وإليك طائفة من النصوص تشير إلى موضوع دابة الأرض ، وطائفة تشير إلى موضوع الرجعة الذي لا بدّ منه . فقد قال أبو عبد الله عليه السلام ، قال رجل لعمار بن ياسر : يا أبا اليقظان آية في كتاب الله قد أفسدت قلبي ، وشككتني ، قال عمار : [وأيّ آية هي ؟ ، قال : قول الله : ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض .. ﴾ فأيّ دابة هي ؟ قال عمار : والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أريكها ، فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل تمراً وزبداً ، فقال له : يا أبا اليقظان هلّم ، فجلس عمار وأقبل يأكل معه ، فتعجّب الرجل منه ، فلما قام عمار قال له الرجل : سبحان الله يا أبا اليقظان ، حلفتَ أنّك لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتى ترينيها ! قال عمار : قد أريتكها إنْ كنتَ تعقل] . [العياشي : على ما في مجمع البيان . * : القمي : ج ٢ ص ١٣١ -] . وعن الاصبغ بن نباتة قال : [دخلتُ على أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو يأكل خبزاً وخلّاً وزيتاً ، فقلت : يا أمير المؤمنين قال الله عزوجل : ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ ، فما هذه الدابة ؟ قال عليه السلام : هي دابة تأكل خبزاً وخلاً وزيتاً] . [تأويل ما نزل من القرآن في النبي وآله صلى الله عليه وآله - على ما في مختصر بصائر الدرجات . * : مختصر بصائر الدرجات : ص ٢٠٨] . * وعن موضوع الرجعة وحتمها روى إسماعيل بن جابر قال : سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول - في حديث طويل - : عن أنواع آيات القرآن يبلغ نحو ١٢٨ صفحة روى فيه الامام الصادق عليه السلام مجموعة أسئلة لامير المؤمنين عليه السلام ، عن آيات القرآن وأحكامه ، جاء فيها : [وأما الرد على من أنكر الرجعة فقول الله عزوجل :﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ﴾ أي إلى الدنيا وأما معنى حشر الآخرة فقوله عزوجل : ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون ﴾ في الرجعة ، فأما في القيامة فإنهم يرجعون . ومثل قوله تعالى ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ﴾ وهذا لا يكون إلا في الرجعة . ومثله ما خاطب الله به الائمة ، ووعدهم من النصر والانتقام من أعدائهم فقال سبحانه : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾ وهذا إنما يكون إذا رجعوا إلى الدنيا . ومثل قوله تعالى ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ أي رجعة الدنيا . ومثله قوله : ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ﴾ وقوله عزوجل : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ﴾ فردهم الله تعالى بعد الموت إلى الدنيا] . [تفسير النعماني : على ما في المحكم والمتشابه . * : المحكم والمتشابه : ص ٣ والمتن في ص ١١٢ - ١١٣] . وفي رواية أبي محمد ، يعني أبا بصير قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : [ينكر أهل العراق الرجعة ، قلت : نعم ، قال : أما يقرؤن القرآن ﴿ ويوم نحشر من كل

بعد طلوع الشمس وظهور الدجّال . ما يعني إيراد الألفاظ من بابِ الإنذار قبل فوات الأوان .

وبخصوص الدابّة ومسألة مَن يتوبون ؟ المحقّق عندنا أنَّ المهدي إذا خرج ملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً خاصّةً بعد سيطرة المهدي على أنحاء الدنيا . إلا أن تكون متّجهة لمعنى مِن معاني عدم إيمان باطني لفئةٍ ما في هذا العالم أو لخاصّة أهل الكفر الذين يرجعون وشبه ذلك . خاصةً أنَّ طائفة من النصوص تشير إلى أنّ خروجها يكون بعد انتهاء الإمام المهدي عليه السلام من تطهير الأرض وبناء العدل فيها . إلا أن تكون هذهِ النصوص موجَّهة لصفةٍ ما غير عامّة ..

وربَّما يساعد على هذا المعنى ما رواه ابن شوذب قال : قال عمر - ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله - : [.. لا تخرج الدابة حتى لا يبقى في الارض مؤمن ، فاقرؤا إنْ شئتم : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ

أمة فوجا .. ﴾] . [مختصر بصائر الدرجات : صـ ٢٥] . وروى حماد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [يقول الناس في هذه الآية : ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ﴾ ؟ قلت : يقولون إنها في القيامة ، قال عليه السلام : ليس كما يقولون ، إن ذلك في الرجعة ، أيحشر الله في القيامة من كل أمة فوجاً ويدع الباقين . إنما آية القيامة قوله : ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ﴾] . القمي : جـ ١ صـ ٢٤] . * وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : ﴿ إن الله قادر على أن ينزل آية ﴾ ، وقوله ﴿ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ ؟ قال عليه السلام : [وسيريكم في آخر الزمان آيات ، منها دابة في الارض ، والدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها] . [القمي : جـ ١ صـ ١٩٨] * . وروى الشيباني عن الباقر والصادق عليهما السلام : [إنَّ فرعون وهامان هنا هما شخصان من جبابرة قريش ، يحييهما الله تعالى عند قيام القائم من آل محمد عليه السلام في آخر الزمان ، فينتقم منهما بما أسلفا] . الشيباني في كشف البيان : - على ما في البرهان ، والمحجة . * : البرهان : جـ ٣ ، صـ ٢٢٠ ، حـ ١ - وفي القمي [جـ ٢ صـ ١٣٢] قال : [الآيات أمير المؤمنين والائمة عليهم السلام إذا رجعوا يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم ، والدليل على أنَّ الآيات هم الائمة قول أمير المؤمنين عليه السلام والله ما لله آية أكبر منّي ، فإذا رجعوا إلى الدنيا يعرفهم أعداؤهم في الدنيا] * [الصافي : جـ ٤ صـ ٧٩ - عن القمي . البرهان : جـ ٣ صـ ٢١٤ حـ ١] .

تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[1] . مع تأكيدنا أنَّ الثابت في الأثر أنَّ الأرض تقوم بخيرِ الإمام عليه السلام وعدلِه ، فلا يعمُّها الكفر بعد ان يُطهِّرها الإمامُ عليه السلام ، فينشر فيها العدل . من هنا لا بدَّ من تأويل هذه المتون وغيرها بما يناسب ما ثبت بالتواتر الأكيد ، فضلاً عن النصوص المستفيضة في هذهِ المعاني ..

وبما ورد من طائفةٍ تتحدَّث عن تمييز المؤمن عن الكافر بوظيفة دابَّة الأرض يعني أنَّ الكفر يكون صفة الباطن المستور لفئةٍ ما من الناس آنذاك . وتؤكّد النصوص قدرة الدابة على الإحاطة بالناس . ففي رواية حلس بن المعتمر عن سلمان مرفوعاً قال : [.. مثل أُمَّتي ومثل الدابة التي تخرج كمثل حيز بُنِيَ ورُفِعَت حيطانُهُ وسُدَّت أبوابُهُ ، وطُرِحَ فيه من الوحوش كلِّها ، ثم جيئ بالاسد فطُرح وسطها ، فانذعرت وأقبلت إلى النفق تلمسه من كل جانب . كذلك أمتي عند خروج الدابة لا يفر منها أحد إلا مثلت بين عينيه ، ولها سلطان من ربنا عظيم][2] . فأمّا ما يشير إلى سلطانها فهذا قد أثبتته النصوص ، وهي لا تضرُّ المؤمن كما في النصوص ، لكنَّها تعقل الكافر ..

وفي لفظ رجل من آل عبد الله بن مسعود ، وحديث طلحة وهو أتمهما قال : ذكر رسولُ الله صلى الله عليه وآله الدابَّة فقال : [.. لها ثلاث خرجات من الدهر ، فتخرج في أقصى البادية ، ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ، ثم تكمن زماناً طويلاً ، ثم تخرج خرجةً أخرى دون ذلك ، فيعلو ذكرها أهل

---

[1] ابن حماد : صـ ١٨٧ عن ابن عمر في قوله " وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض " قال : " هو حين لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر " .

[2] أبو نعيم : على ما في زهر الفردوس . * : الفردوس : جـ ٤ صـ ١٣٠ حـ ٦٤٠٤

البادية ، ويدخل ذكرها القرية ، يعني مكة . قال رسول الله ﷺ : ثم بينما الناسُ في أعظم المساجد على الله حرمةً وخيرها وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب ، فارفض الناس (معها) شتىً ومعاً ، وثبت عصابة مِن المؤمنين وعرفوا أنهم لن يعجزوا اللهَ ، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى تجعلها كأنها الكوكب الدري ، وولَّت في الارض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب ، حتى أنَّ الرجل ليتعوَّذ منها بالصلاة ، فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان ، يا فلان الآن تصلِّي ؟ فيُقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق . ويشترك الناسُ في الاموال ويصطحبون في الامصار ، يعرف المؤمن مِن الكافر ، حتى أنَّ المؤمن يقول : يا كافر إقضني حقِّي ، وحتى أنَّ الكافر يقول : يا مؤمن إقضني حقي][1] .

النصوص متنوِّعة ، وعند العامَّة فيها تصوير كثير ، وغالبها غير مسند أو معتبر من جهة السند .

نعم في طائفة من النصوص تركيز على خرجات لها . ففي رواية ابن حماد عن أبي سريحة قال : قال رسولُ الله ﷺ : [.. تخرج (الدابة) خرجةً في أقصى اليمن ، فيفشو ذكرها في أهل البادية . ثم تخرج خرجةً أخرى قريباً مِن مكة ، فيفشو ذكرها بالبادية ، ثم تمكث زماناً طويلاً ، ثم بينما الناس ذات يوم (في أعظم المساجد) حرمةً وخيرها وأكرمها على الله مسجداً مسجد الحرام ، لم يرعهم إلا ناحية المسجد . ما بين الركن الاسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج إلى المسجد فارفض الناسُ لها ثبيتاً

---

[1] الطيالسي : صـ ١٤٤ حـ ١٠٦٩

ومعاً ، وثبت ... خرجت عليهم تنفض عن رأسها التراب فبدأت بهم . حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية . ثم تذهب فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الاموال . حتى أن الكافر ليقول للمؤمن .. (كما في النص الوارد أعلاه)][1]..

بحيث يكون خروجها تدريجيّاً ، على أن تكون الخرجة الأخيرة نهائيّة وتامّة في اداء وظيفتها ، وهي التمييز والطبع على كلٍّ واحدٍ بما يُضمِر من كفرٍ وإيمان . ويبدو واضحاً من وظيفتِها أنّها مُوصِّفة للمؤمن والكافر ، مفرِّقة مميِّزة إعلانيّاً بين الإثنين ..

لكنَّ الكلام في العنوان التالي : مَن هم هؤلاءِ الكفَّار ..؟ هل هم كُفَّارُ القلبِ ، مظهرو الإسلام زمن المهدي عليه السلام ..؟ أم أنّهم كفّار الرجعة ..؟ النص يحتمل الإثنين معاً ، وإن كان الأظهر الإحتمال الأوّل لا الثاني ..

وفي رواية أخرى لحذيفة - غير تامّة السند - قال : « إنَّ للدابَّةِ ثلاث خرجات ، تخرج في بعض البوادي ثم تنكمي - يعني تكمن - وخرجة في بعض القرى حتى تدكر ، فيهريق الامراءُ فيها الدماء ، ثم تنكمي فبينما الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها حتى ظننا أن يسمي المسجد الحرام وما سماه ، إذ رفعت لهم الارض فانطلق الناسُ هراباً ، وتبقى عصابة من المسلمين ، فيقولون أنه لن ينجينا مِن أمر اللهِ شيئ ، فتخرج عليهم الدابة فتجلو وجوههم مثل الكواكب الدرى ، ثم تنطلق . والله ما كنت من أهل الصلاة فيلتفت إليها فتخطمه ، قال : وتجلو وجه المؤمن ، وتخطم الكافر . قال : فقيل له : ما الناس يومئذ يا حذيفة ؟ قال : جيران في الرباع ،

---

[1] : ص ١٨٦

شركاء في الاموال أصحاب في الاسفار »[1] .. ذيل النص ومعناه سبق أنْ اشارت له أكثر من رواية . فحذيفة يُجيبُهُم أنَّ الناس يومئذ يكونون : جيران في الرباع ، شركاء في الاموال ، أصحاب في الاسفار . وفي النص السباق يقول : ثم تذهب فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الاموال[2] .

---

[1] : صـ ١٨٦

[2] وفي جامع البيان : جـ ٢٠ صـ ١٠ عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : ولم يسنده إلى النبي ﷺ : " إن الدابة حين تخرج يراها بعض الناس فيقولون : والله لقد رأينا الدابة .. قال ثم تخرج فيراها الناس فيقولون : والله لقد رأيناها ، فيبلغ ذلك الامام فيطلب فلا يرى شيئاً .. قال : فتخرج ، فإذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون ، فتجئ إليهم فتقول : الآن تصلون ! فتخطم الكافر ، وتمسح على جبين المسلم غرة ، قال : فيعيش الناس زمانا يقول هذا يا مؤمن وهذا يا كافر " . وروى ابن مردويه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (تخرج الدابة يوم تخرج وهي ذات عصب وريش ، تكلم الناس فتنقط في وجه المؤمن نقطة بيضاء فيبيض وجهه ، وتنقط في وجه الكافر نقطة سوداء فيسود وجهه ، فيتبايعون في الاسواق بعد ذلك ، بم تبيع هذا يا مؤمن ؟ وبم تبيع هذا يا كافر ؟ ثم يخرج الدجال وهو أعور على عينه ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن وكافر) أيضاً عن ابن مردويه : على ما في الدر المنثور : جـ ٥ صـ ١١٦ ١١٥ وقال : " قيل إنها تكتب على جبين الكافر أنه كافر ، وعلى جبين المؤمن أنه مؤمن ، وروي ذلك عن النبي ﷺ . ويُلاحظ أنَّ هذا الحديث ينفرد بأنَّ خروج دابة الارض قبل الدجال .. وفي رواية ابن عباس في قوله تعالى : أخرجنا لهم دابة من الارض : ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله : (هي ذات زغب وريش ، لها أربع قوائم تخرج في بعض أودية تهامة) : عبد الرزاق : على ما في ابن حماد ، وابن كثير ، ابن حماد : صـ ١٨٧ عن عامر الشعبي قال " دابة الارض ذات وبر ، تنال رأسها السماء " . الدر المنثور : جـ ٥ صـ ١١٥ وقال " وأخرج عبد بن حميد ، عن ابن عباس قال : الدابة ذات وبر وريش مؤلفة ، فيها من كل لون ، لها أربع قوائم تخرج بعقب من الحاج " . وفيها : وأخرج عبد بن حميد عن الشعبي قال : إن دابة الارض ذات وبر تناغي السماء " . وفيها : وأخرج عبد بن حميد ، عن عبد الله بن عمرو قال : الدابة زغباء ، ذات وبر وريش " . وفي : صـ ١١٦ كما في ابن حماد في البعث عن ابن عباس : وفيه " إن دابة الارض . فتنكت بين عيني المؤمن نكتة يبيض لها وجهه ، وتنكت بين عيني الكافر نكتة يسود بها وجهه " . وفي : صـ ١١٧ عن ابن المنذر ، عن ابن عباس " الدابة مؤلفة ، ذات زغب وريش فيها من ألوان الدواب كلها ، وفيها من كل أمة سيما وسيماها من هذه الامة أنها تتكلم بلسان عربي مبين تكلمهم بكلامها " . عن ابن عمر : " إنها تخرج حتى يبلغ رأسها الغيم ، فيراها جميع الخلق " . عن ابن عباس " إنها دابة من دواب الارض لها زغب وريش ولها أربع قوائم " . وقال ابن جريج عن أبي الزبير أنه وصف الدابة فقال : ..

أي أنّها حين تنتهي من أداء وظيفتها تذهب ، فيتجاور الناس ويتابعون حياتهم بشكلٍ اعتيادي ، لكن في ظلِّ حكمٍ عادلٍ يُرسيه سلطانُ الإمام عليه السلام لما أكّدته النصوص من هذهِ الجهة ..

مع تأكيدي أنَّ متون هذهِ النصوص بلا سندٍ ضامن . من هنا فإنَّ إشارتي لهذهِ النصوص إنّما من باب التاريخيَّة التوضيحيَّة ، وليس من بابِ الإثباتيّة ..

وأحبُّ في هذا المجال التأكيد على أمرٍ واضحٍ من الخلط ، وهو أنَّ الإسرائيليَّات لعبت بعض الشيئ في بعض المتون التي وردت عن طريق العامّة .. والغريب في هذهِ الإسرائيليّات أنّها ركَّزت - فيما ركّزت عليه - على تبديل اسم المسيح عليه السلام بإسم المهدي عليه السلام ..! بحيث تسند مجموعة من الأدوار للمسيح عليه السلام في حين هي واردة بشكلٍ مطلق في المهدي عليه السلام ..

تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان ، فلا يبقى مؤمن إلا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ، ولا يبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان ، فتفشو تلك النكتة حتى يسود بها وجهه . حتى أن الناس يتبايعون في الاسواق بكم ذا يا مؤمن ؟ بكم ذا يا كافر ؟ وحتى أن أهل البيت يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ، ثم تقول لهم الدابة يا فلان أبشر أنت من أهل الجنة ، ويا فلان أنت من أهل النار ، فذلك قول الله تعالى : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)] المصادر : ابن مردويه : على ما في الدر المثنور . تفسير ابن كثير : ج ٣ صـ ٣٨٨ - وعن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (ذات وبر وريش .. ليس يدركها طالب ولا يفوتها هارب ، تسم الناس مؤمنا وكافرا فأما المؤمن فتترك في وجهه كالكوكب الدري وتكتب بين عينيه مؤمن ، وأما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سوداء ، وتكتب بين عينيه كافر] المصادر : الداني : صـ ١٠٤ . وايضاً عن حذيفة : (دابة الارض طولها ستون ذراعا ، لا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، فتسم المؤمن وتكتب بين عينيه مؤمن ، وتسم الكافر وتكتب بين عينيه كافر ، معها عصا موسى وخاتم سليمان] المصادر : * : الفردوس : ج ٢ صـ ٢١٩ ح ٣٠٦٦ أهم ملاحظة أنّ روايات العامّة كما ترى تصويريّة مضطربة . وهذا ما خلت منه نصوص أهل البيت عليهم السلام التي جاءت على نحوٍ راكزٍ ومتين .

وواضح انَّ ما ورد في جامع البيان هو وارد في المهدي (عليه السلام) لا في المسيح . ففيه عن حذيفة قال : قلت : يا رسول الله ، مِن أين تخرج ؟ قال : [مِن أعظم المساجد حرمةً على الله ، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطربُ الارض مِن تحتهم تحرّك القنديل ، وينشق الصفا ممَّا يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا ، أوّل ما يبدو رأسها ملمّعة ذات وبر وريش ، لم يدركها طالب ولن يفوتها هارب ، تسمُ الناسَ : مؤمن وكافر ، أمَّا المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن ، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء : كافر[1]][2]. ولو تنزَّلنا عن ذلك ، فإنَّ طائفةً واسعةً مِن النصوص أكَّدت أنَّ المسيح إنّما هو وزير جبهة الإمام المهدي (عليه السلام) وهذا لا خلاف فيه[3] ..

ويبدو من بعض نصوص العامَّة تصويرٌ مشوّش لا يمكننا قبوله دون إثبات ودليل تام ، أعني بذلك التصوير التفصيلي والتشبيه وشبه ذلك ممَّا يوحي بشيءٍ من الإضطراب في المتن خاصَّة مع مشكلة اسانيد[4] ..

---

[1] : جـ ٢ صـ ١٠

[2] عن حذيفة قال : ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله : (تخرج الدابة مرتين قبل يوم القيامة ، حتى يضرب فيها رجال . ثم تخرج الثالثة عند أعظم مساجدكم فتأتي القوم وهم مجتمعون عند رجل فتقول : ما يجمعكم عند عدو الله فيبتدرون ، فتسم الكافر ، حتى أن الرجلين ليتبايعان فيقول هذا : خذ يا مؤمن ، ويقول هذا : خذ يا كافر) ابن أبي شيبة : جـ ١٥ صـ ٦٦ حـ ١٩١٣٢

[3] لكنّ بعض النصوص كانت واضحة في إعادة تبديل الأسماء من المهدي (عليه السلام) إلى المسيح (عليه السلام) .. فلا بدَّ من التنبّه إلى هذا الأمر ..

[4] منها ما ورد في الدر المنثور : جـ ٥ صـ ١١٦ وقال " أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " تخرج دابة الارض ولها ثلاث خرجات ، فأول خرجة منها بأرض البادية ، والثانية في أعظم المساجد وأشرفها وأكرمها ، ولها عنق مشرف يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب .. معها عصا موسى وخاتم سليمان بن داود ، تنادي بأعلى صوتها " إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون " ثم بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) (قيل) يا رسول الله وما بعد ؟ قال : هنات وهنات ، ثم خصب وريف حتى الساعة " . وفيها : قال :

وفي بعض المتون إشارة إلى صرخات محدَّدة تطلقها هذه الدابّة . ففي رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ : « تخرج الدابة فتصرخ ثلاث صرخات »[1] . وفي لفظٍ آخر قال : « تستقبل المشرق فتصرخ صرخةً تنفذها ، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذها ، ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذها »[2] .

وعلى كلٍّ هذا المتن يجد تأييداً له في خرجات الدابّة الثلاث لكنَّ الطائفتين بلا إسنادٍ تام[3] ..

أمَّا الروايات التي أشارت إلى خروج الدابّة معها عصى موسى وخاتم سليمان هي ممكنة بنفسها ، لكنّها أيضاً غير تامّة الإسناد . ففي رواية أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (في الدابّة) :

[.. انها تسم المؤمن والكافر والمنافق : تخرج دابة الارض معها عصى موسى وخاتم سليمان ، تخطم أنف الكافر بالعصا وتجلي (تجلو) وجه المؤمن بالخاتم ، حتى يجتمع الناس على الحق يعرف المؤمن من

وأخرج ابن مردويه ، عن حذيفة بن أسيد أراه رفعه قال : " تخرج الدابة من أعظم المساجد حرمة ، فبينما هم قعود بربو الارض ، فبينما هم كذلك ، إذ تصدعت . قال ابن عيينة : تخرج حين يسري الامام من جمع .. " .

[1] تاريخ البخاري : ج ٣ ص ٣١٦ ح ١٠٧٥ الاشاعة : ص ١٧٦ بعضه ، مرسلا ،

[2] تاريخ البخاري : ج ٣ ص ٣١٦ ح ١٠٧٥ الاشاعة : ص ١٧٦ بعضه ، مرسلا ،

[3] وفي بعض الروايات الغير تامّة سنداً إشارة إلى منظرٍ مرعبٍ للدابة فعن هشام قال : زعم الحسن - ولم يسنده إلى النبي ﷺ : أنَّ نبي الله موسى سأل ربه أن يريه الدابة ، قال فخرجت ثلاثة أيام لا يرى واحد من طرفيها ، قال فقال : رب ردها ، فردت . (ابن أبي شيبة : ج ١٥ ص ٦٦ ح ١٩١٣١) وأيضاً عن عن الحسن : فخرجت ثلاثة أيام ولياليهن تذهب في السماء ، لا يرى واحد من طرفيها ، قال : فرأى منظرا فظيعا فقال : رب ردها ، فردها . إلا انّ الرواية ضعيفة ..

الكافر ..][1] . وفي غيرها : مِن صفات هذه الدابة أنّها تتكلَّم مع الناس . وفي تفسيرٍ روائي لمثلِ هذا المعنى قال : .. تسم . أي تُميِّز وتبيِّن . فقد روى أنس بن مالك - قال في دابة الارض[2] - : إنَّ فيها مِن كلِّ أمّة سيماء ، وإنَّ سيماها من هذه الامة أنها تتكلم بلسان عربي مبين[3] .

ويبدو من بعض المسموعات أنّها تخرجُ في ليلة جَمْعٍ . أي الناسُ في جمعٍ بالحجِّ . هذا ما رواهُ ابن عمر قال : [.. تخرج الدابةُ ليلة جمع ، يسيرون إلى جمع ، فتخرج الدابة وعنقها ذكر مِن طوله فلا تدع منافقاً إلا خطمته][4] .

وعند ابن حماد عن ابن عمر قال : [.. تخرج الدابّة ليلة جمع ، والناس يسيرون إلى منى ، فتحملهم بين عجزها وذبنها ، فلا يبقى منافق إلا خطمته ، قال : وتمسح المؤمن ، قال : فيصبحون وهم أشر مِن الدجَّال][5] .. ذيل النصِّ فيه كلام ، خاصّةً انَّ الرواية ضعيفة السند .

يبقى أنَّ تعبير « حمل » وشبه ذلك ، هو مِن المجازات والكناية أم أنّه أصل حقيقي في الإشارة إلى ذلك بما يوافق الدابّة ..؟ كلا الإثنين ممكن ومرشَّح إلا أن يكون المقصود في هذا التعبير تسوقهم . كل هذا على شرط

---

[1] الطيالسي : صـ ٣٣٤ حـ ٢٥٦٤ عن أبي هريرة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ' يخرج دابة الارض ومعها عصى موسى وخاتم سليمان عليهما السلام ، تجلو وجه المؤمن بعصا موسى عليه السلام ، وتسم وجه الكافر بخاتم سليمان ' .

[2] ولم يسنده إلى النبي ﷺ

[3] الداني : صـ ١٤٥

[4] ولم يسنده إلى النبي ﷺ

[5] : صـ ١٨٧

صحَّة الرواية ، وهذا غير محقَّق .. ولا بدَّ من الإلتفات إلى أنّ بعض النصوص غير التامّة باسنادِها تشير إلى خروج الدابّة قبل خروج الدجّال ، منها ما رواهُ ابن عمر - ولم يسنده إلى النبيِّ ﷺ - قال : [.. يبيت الناسُ يسيرون إلى جمع ، وتبيت دابة الارض تسايرهم ، فيصبحون وقد خطمتهم من رأسها وذنبها فما من مؤمن إلا مسحته ، ولا من كافر ولا منافق إلا تخبطه][1] .. الإشكال واضح على هذا المتن ..

وفي لفظٍ آخر : تسري إليهم ، فيصبحونَ وقد جعلتهم بين رأسها وذنبها ، فما مؤمن إلا تمسحه ، ولا منافق ولا كافر إلا تخطمه ، وإنَّ التوبة لمفتوحةٌ ، ثم يخرج الدجال ، فيأخذ المؤمن منه كهيئة الزكمة ، وتدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالشيئ الحنيذ ، وإنَّ التوبة لَمفتوحة ، ثم تطلع الشمس من مغربها »[2] .. أقول : هذا النص واضح الإضطراب فضلاً عن أنّه غير مسند إلى النبيِّ ﷺ ..

نعم المستفاد من النصوص أنَّ الدابّةَ تخرج فتخطم الناس ، أي تسمهم ، فتطبع صفة الناس كما هي ، المؤمن مؤمن ، والكافر كافر .. ويبدو من طائفة - وليس من كلِّ النصوص - أنَّ الناس بعدها يظلّون على حالهم من البيع والشراء والحياة وشبه ذلك . ففي حديث أبي أمامة رفعه إلى النبيِّ ﷺ قال : [.. تخرج الدابة ، فتسم الناس على خراطيمهم ، ثم يعمرون فيكم حتى يشتري الرجل البعير ، فيقول ممن اشتريته ؟ فيقول : اشتريته من أحد المخطمين][3] .

---

[1] جامع البيان ، للطبري : ج ٢٠ ص ١٠ ثم ذكر سند الطبري .

[2] جامع البيان ، للطبري : ج ٢٠ ص ١٠ ثم ذكر سند الطبري .

[3] أحمد : ج ٥ ص ٢٦٨

ويلاحظ من أكثر أحاديث الدابة في مصادر السنة أنَّ خطمها شاملٌ لكلِّ الكفار والمنافقين ، ووسمها شامل لكل المؤمنين ، ما عدا هذا الحديث الذي يفهم منه أن ذلك مخصوص بأشخاص معينين أو فئة من الناس .

وبهذا يتحصَّل أنَّ وظيفة الدابّة أنّها تسم الناس . وبطبيعة الحال أنها تسم المؤمن مؤمناً والكافر كافراً ، وأنها تشمل المنافق أيضاً حسبما يستفاد من إطلاقات النصوص . وأنَّ وظيفتها تكون علنيّة ، ونتائجها كذلك ، حتى يعرف الناس بعضهم بعضاً على حقيقة الحال . ففي رواية عبد الله بن عمرو قال[1] : [.. لا تقوم الساعة حتى يجتمع أهل البيت على الاناء الواحد فيعرفوا مؤمنيهم من كافريهم ، قالوا : كيف ذلك ؟ قال : إنَّ الدابة تخرج حين تخرج وهي دابة الارض فتمسح كل إنسان على مسجده ، فأما المؤمن فتكون نكتة بيضاء فتفشوا في وجهه حتى يبيض لها وجهه ، وأما الكافر فتكون نكتة سوداء فتفشوا في وجهه حتى يسود لها وجهه ، حتى أنهم يتبايعون في أسواقهم ، يقول هذا : كيف تبيع هذا يا مؤمن ؟ ويقول هذا : كيف تأخذ هذا يا كافر ؟ فما يرد بعضهم على بعض][2] .

كما يستفاد من بعض النصوص أنّها تخرج بعد الحج من مكة أو قربها . ففي رواية سماك عن إبراهيم قال[3] : [دابة الارض تخرج من مكة][4] . وفي رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : ذهب بي رسولُ الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريباً مِن مكة ، فإذا أرضٌ يابسةٌ حولها رمل ،

---

[1] ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله

[2] الداني : صـ ١٤٥ عن عبد الله بن عمرو بن العاص " قال : وفيه " . ذامة للناس . فيقولون كيف تبيع هذا "

[3] ولم يسنده إلى النبي ﷺ .

[4] عبد الرزاق : على ما في الدر المنثور . وأيضاً رواه : ابن أبي شيبة : جـ ١٥ صـ ١٨١ حـ ١٩٤٥٢

فقال رسولُ اللهِ ﷺ : [.. تخرج الدابة من هذا الموضع ، فإذا فتر في شبر][1] .

وهناك لسانان (مضمونان) في الرواية حول زمن ومكان خروج الدابّة : لسانٌ يشيرُ إلى خروجها من مكّة . وآخر يشير إلى زمن الخروج الذي يصاحب ركب الحجّاج ..

ففي رواية عبد الله بن عمرو قال[2] : [.. لو شئت لانتعلتُ بنعلي هاتين فلم أمس الارض قاعداً حتى أقف على الأحجار التي تخرج الدابةُ مِن بينها ، ولكأنّي بها قد خرجَتْ في عقب ركبٍ مِن الحاج . قال فما حججتُ قط إلا خفتُ أن تخرج بعقبنا][3] ..

أقول : هذا النص تاريخي أكثر من روائي ، أم أنّه رواية متقطّعة ، أو أنّه كان في مقام بيان مكان وزمان الخروج ولو بضميمة عامل الترهيب إلى المستمعين ، لأنّ المعلوم روائيّاً - منذ ذلك الزمن - أنَّ الدابة لا تخرج قبل ظهور المهدي عليه السلام . والمهدي في ذهن ودراية اصحاب النبيِّ ﷺ والتابعين وتابعي التابعين هو الثاني عشر من الأئمّة الذين قال بحقّهم النبيُّ ﷺ : « الأئمّة من قريش إثنا عشر » دون اختلاف على الإطلاق بين مجاميع السنّة والشيعة . ما يعني أنَّ طبيعة المتن المنقول فيه نوع ترهيبي وتأكيدي لطابع الخروج الحتمي ، فإن كان هذا المقصود فلا بأس بهِ وهو موافق لمضامين تامّة من هذهِ الجهة ..

---

[1] أحمد : ج ٥ صـ ٣٥٧

[2] ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله

[3] جامع البيان : ج ٢٠ صـ ١١ ١٠

وعن تفصيلٍ آخر حول مكان الخروج تشير طائفة من النصوص انّها تخرج من الصفا أو المروة ، وهما مكانٌ واحد ، أي بعقة واحدة ، وكلٌّ من ذهب إلى الحجّ يشوط في الصف ذهاباً ويرجع في المروة إياباً .. ففي رواية إبن عمر عن النبي ﷺ قال : [.. تخرج الدابة من صدع في الصفا ، حضر الفرس ، ثلاثة أيام ، لا يخرج ثلثها][1] .

وفي لفظ آخر عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [إذا كان الوعدُ الذي قال الله تعالى : ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ قال : ليس ذلك بحديث ولا كلام ، ولكنه سمة تسم من أمرها الله تعالى به ، يكون خروجها من الصفا ليلة منى ، فيصبحون بين رأسها وذنبها لا يدخل داخل ولا يخرج خارج ، حتى إذا فرغت ممَّا أمرها الله تعالى به ، فهلك مَن هلك ، ونجا مَن نجا ، كانت أول خطوة تضعها بأنطاكية][2] .

أقول : هذا النص ناظر إلى زمان ومكان الخروج ، ومؤكِّد على أنَّ الدابّة تنطق أي تسم وتكتب وتميِّز ، فتفرِّق بين المؤمن والكافر .. وأنّها إذا خرجت ، فإنّها تخرج والناس في ركب الحاج ، فتحيط بهم ، تسمهم ، لكنّ اللافت في هذا النص أنّه يهلك بعض وينجو آخرون . وليس في أصل النصوص ما يشير إلى انّها تقتل . بل واضح منها غير ذلك ، إلا أن يكون المقصود أنَّ بعضهم يموت فزعاً وخوفاً[3] ..

---

[1] ابن حماد : صـ ١٨٧

[2] وفي رواية أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « بئس الشعب شعب جياد - مرتين أو ثلاثا - قالوا : ولِمَ ذاك يا رسول الله ؟ قال : [تخرج منه الدابة ، فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من بين الخافقين » . (أبو يعلى : على ما في سند ابن عدي . الكامل ، ابن عدي ، جـ ٣ صـ ١٠٣٣) ..

[3] نعم بعض النصوص يبدو منه رائحة الإسرائيليات التي خالطته فيما بعد ، كما في رواية ابن عمر قال : ألا أريكم المكان الذي قال رسول الله ﷺ : « إن دابة الارض تخرج منه » ، فضرب بعصاه الشق الذي في

وفي رواية أبي الطفيل سُئِل : مِن أين تخرج الدابة ؟ قال : « مِن الصفا ، أو من المروة »[1]

وفي بعضها الآخر تفصيل أكثر ، وإشارة إلى تغيُّر الطبائع إذا خرجت الدابّة . وكأنَّ هذهِ الطائفة تريد أن تكون واسطة جمع بين الطائفة التي تقول بهذا المعنى والطائفة التي تقول بأنَّ القيامة إذا قامت تقوم على شرار الناس .. في حين تشير طائفة من النصوص إلى أنّ الأرض بعد ظهور المهدي عليه السلام تظلُّ ممهورة بالإيمان والعدل والسلام والطمأنينة إلى ختامها . وهذهِ الأخيرة تُقدَّم على غيرها حال التعارض لصحَّتها وثوبتِها ، إلا أن يقال انّ الذين تقوم عليهم القيامة من شرار الناس فئة خاصَّة ، ربّما هم قومٌ قلوبهم كافرة بالإسلام ..

وكمثالٍ على الطائفة الأولى روى عبدُ اللهِ عن النبي صلى الله عليه وآله قال : [.. خروج الدابة بعد طلوع الشمس ، فإذا خرجت قتلت الدابة إبليس وهو ساجد ، ويتمتَّع المؤمنون في الارض بعد ذلك أربعين سنة لا يتمنون شيئاً إلا أعطوه ووجدوه ، فلا جور ولا ظلم ، وقد أسلم (أسلمت) الاشياءُ لربِّ العالمين طوعاً وكرهاً ، المؤمنونَ طوعاً ، والكفار كرهاً ، والسبع والطير كرهاً ، حتى أنَّ السبع لا يؤذي دابةً ولا طيراً ، ويلد المؤمنُ فلا يموت حتى يتم أربعين سنة بعد خروج دابة الارض ، ثم يعود فيهم الموت ، فيمكثونَ

الصفا فقال وإنها ذات ريش وزغب ، وإنه ليخرج ثلثها حضر الفرس الجواد ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وإنها لتمر عليهم ، وإنهم ليفرون منها إلى المساجد ، فتقول لهم : أترون المساجد تنجيكم مني ؟ فتخطمهم ، يساقون في الاسواق وتقول : يا كافر ، يا مؤمن . (ابن مردويه : على ما في الدر المنثور . * : أبو يعلى : جـ ١٠ صـ ٦٧ حـ ٥٧٠٣) . أقول : أصل النص « أنّ دابة الأرض تخرج » ، لا شكّ فيهِ ولا شبهة .. لكن بعض التفصيل يشتمّ منه رائحة الإسرائيليات خاصة انَّ النص غير مسند ..

[1] البعث والنشور للبيهقي : على ما في عقد الدرر . * : عقد الدرر : صـ ٣١٥ بـ ١٢ فـ ٦

بذلك ما شاء الله ، ثم يسرع الموت في المؤمنين فلا يبقى مؤمن ، فيقول الكافر : قد كُنَّا مرعوبينَ مِن المؤمنين ، فلم يبق منهم أحد ، وليس تقبل منَّا توبة ، فما لنا لا نتهارج ، فيتهارجونَ في الطرق تهارج البهائم ، يقول أحدهم بأمه وأخته وابنته فينكح وسط الطريق ، يقوم عليها واحد وينزل عليها آخر ، لا ينكر ولا يغيِّر (أحد) ، فأفضلهم يومئذ مَن يقول : لو تنحيتم عن الطريق كان أحسن . فيكونوا بذلك حتى لا يبقى أحد من أولاد النكاح ، ويكون جميع أهل الارض أولاد السفاح ، فيمكثون بذلك ما شاء الله ، ثم يعقم الله أرحام النساء ثلاثين سنة ، فلا تلد امرأة ، ولا يكون في الارض طفل ، ويكونوا كلهم أولاد الزنا شرار الناس ، وعليهم تقوم الساعة][1] ..

ففي هذه إشارة إلى طواعية اختيارية في جانب المؤمنين ، ونظاميَّة مفروضة على غيرهم . فإذا جاء أجلُ المؤمنين بقي الكفَّار ويرجع إليهم اختيارهم ، فيُفسِدُون في الأرض فتقوم عليهم القيامة . هذا متن الرواية ، وهي مشكوكة السند ..

وعلى سبيل التنازل : هل يكون ذلك شموليّاً ..؟ قد يبدو ذلك من النص . إلا أنّ فيه وهناً - من حيث الشمول - لما ثبت في الطائفة المستفيضة من نهاية الأرض على نحوٍ من عدلٍ وإيمانٍ ينشره المهدي عليه السلام ..

وفي الحديث عن الإمام علي عليه السلام قال : [.. ألا وينشر الصفا ، وتخرج منه الدابَّة أوَّلُ رأسها ، ذات وبر وريش ، فيها من كلِّ الألوان ، معها

---

[1] ابن حماد : صـ ١٨٦

عصا موسى (عليه السلام) ، وخاتم سليمان (عليه السلام) ، تسم المؤمنَ مؤمناً ، وتسم الكافرَ كافراً ، تنكت (وجه المؤمن) بالعصا فتتركه أبيض ، وتنكت وجه الكافر بالخاتم ، فتتركه أسود ، فلا يبقى أحدٌ في سوقٍ ولا بريةٍ إلا وسمت وجهه][1] ..

إذن صفتُها : توصيفيّة إعلانيَّة ذات شمول واضح ..

أمَّا أحاديثُ الشيعة في الدابّة ، فقد جاءت خالية من التصوير التفصيلي ، ومن الإضطراب والهشاشة التي تدور حولها شبهة الإسرائيليات التي اشرت إليها في بعض النصوص السابقة ، وأنَّ قوله تعالى ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ إنّما يكون ذلك بعد المهديِّ (عليه السلام) في الرجعة ، أي رجعةِ النبيِّ (صلى الله عليه وآله) وعددٍ من الانبياء والائمة (عليهم السلام) إلى الدنيا ، وحكم عددٍ منهم فيها إلى ما شاء الله .

وأنه يوجد ارتباط من جهة بين رجعة علي (عليه السلام) كمثالٍ بارزٍ وصفةٍ كبرى في عالم الإحتجاج على هذهِ الأمّة في آخر الأزمان ، وبين خروج الدابة . وتذكر بعض الروايات أنَّ الدابة الموعودة في الآية هي علي (عليه السلام) ، وأنه يخرجُ بأحسن صورة وأعظمِها ، خلافاً للروايات التي وردت عن طريق السنّة . في حين بعض الروايات تنفي أن يكون علي (عليه السلام) هو الدابة الموعودة ، وبعضها تقول إنه (عليه السلام) صاحبُ الدابة وليس الدابّة .

ففي بعضها ورد أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) انتهى إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو نائم في المسجد ، قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه ، فحرَّكَهُ ثم قال :

---

[1] عقد الدرر : صـ ٢١٧ ب ١٢ ف ٦

[.. قم يا دابة الله . فقال رجل من أصحابه : يا رسول الله ، أيُسمِّي بعضُنَا بعضاً بهذا الاسم ؟ فقال ﷺ : لا والله ما هو إلا له خاصة ، وهو الدابة التي ذكر الله في كتابه : ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ ثم قال ﷺ : يا علي ، إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ومعك ميسم تسم به أعداءك][1] . وفي نور الثقلين قال عليه السلام : [.. أنا قسيم الجنة والنار ، لا يدخلها داخل إلا على أحد قسمين ، ولقد أُعطيت الست : علم المنايا والبلايا ، والوصايا ، والانساب ، وفصل الخطاب . وإني لصاحب الكرات ودولة الدول ، وإني لصاحب العصا والميسم ، والدابة التي تكلِّم الناس][2] .

وفي المقابل رُوِي عن الإمام علي عليه السلام أنه نفى أن يكون المقصود بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ ، فقد قال السيوطي في الدر المنثور : أخرج بن أبي حاتم عن النخال بن سبرة قال : قيل لعلي بن أبي طالب : « إنَّ ناساً يزعمون أنك دابة الارض ، فقال : والله إنَّ لدابة الارض ريشاً وزغباً وما لي ريش ولا زغب ، وإنَّ لها لحافر وما لي من حافر ، وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثاً وما خرج ثلثاها »[3] . لكن متن هذه الرواية كما ترى مشوَّش . وعليه : النصوص مختلفة في وصفها ، مع اتّفاقها على أصلها . كلُّ المسلمين متّفقون على أن دابّة الأرض خارجة لا محالة ، لكن هناك

---

[1] القمي : ج ٢ ص ١٣٠ تأويل الآيات : ج ١ ص ٤٠٦ ح ١١ عن القمي ، مرسلا ، وفيه " . وهو راقد في المسجد . يا دابة الارض . " ثم قال " فليس هذا الاسم إلا لعلي عليه السلام " ..

[2] : ج ٤ ص ٩٨ ح ١٠٤ عن القمي

[3] ج ٥ ص ١١٧ "

اختلاف بينهم في وصفِها . والنصوص عندنا على نحوين : منها ما يشيرُ إلى أنَّ عليّاً عليه السلام هو دابَّةُ الأرض ، ومنها ما يشيرُ إلى انّه هو صاحبها ، وربَّما يتم الجمع بين الطائفتين بما ورد من انّه هو صاحبها .

وفي الرواية عن أبي عبد الله الجدلي قال : دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : [.. ألَا أحدّثك ثلاثاً ، قبل أن يدخل عليَّ وعليك داخل ، أنا عبد الله ، أنا دابة الارض ، صدقها وعدلها ، وأخو نبيها ، أنا عبد الله . ألا أخبرك بأنف المهدي وعينه ؟ قلت : نعم . فضرب بيده إلى صدره فقال : أنا][1] . أي المهدي مِن وُلدي . أمّا تعبيرهُ : أنا دابَّة الأرض ؟ فهذا اللفظ لا يأبى الجمع فيما ورد عنه عليه السلام أنا صاحب الدابّة ، أي أنا آمِرُها وأنهاها ، على نحوٍ من سلطنةٍ أعدَّها اللهُ له عليه السلام . وهذهِ السلطنة لا تسلب سلطنة النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله ، ولا غيره من الأنبياء العظام الذين يبعثهم اللهُ تعالى ..

وقد يكون أصل القول بأنَّ عليّاً عليه السلام دابة الارض المذكورة في الآية قوله عليه السلام : [.. وإني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلِّم الناس][2] ، فيكون المعنى أنَّ الدابة تخرج بعد رجعته عليه السلام إلى الدنيا ، ولعلَّ الشبهة جاءت من قراءة الدّابة بالضم لا بالكسر عطفاً على الميسم والعصا . وفي الرواية عن الاصبغ بن نباتة قال : [قال لي معاوية : يا معشر الشيعة ، تزعمون أنَّ عليّاً دابة الارض ؟ فقلت : نحن نقول اليهود تقوله . قال :

---

[1] تأويل ما نزل من القرآن في النبي وآله ، لابن الحجام : على ما في مختصر بصائر الدرجات ، وتأويل الايات . وفي مختصر بصائر الدرجات (: ص ٢٠٦ – ٢٠٧) عن أبي عبد الله الجدلي قال : دخلت على علي عليه السلام فقال : [أحدثك بسبعة أحاديث : إلا أن يدخل علينا داخل ، قال قلت : إفعل جعلت فداك ، قال : أتعرف أنف المهدي وعينه ؟ قال قلت : أنت يا أمير المؤمنين . . فقال : الدابة وما الدابة ، عدلها وصدقها وموقع بعثها ، والله مهلك من ظلمها] وذكر الحديث .

[2] م . س .

فأرسل إلى رأس الجالوت ، فقال : ويحك تجدون دابة الارض عندكم ؟ فقال : نعم . فقال : وما هي ؟ فقال : رجل . فقال : أتدري ما اسمه ؟ قال : نعم ، إسمه إيليا ، قال : فالتفت إليَّ ، فقال : ويحك يا أصبغ ، ما أقرب إيليا من (عليا)][1] .

وفي مختصر بصائر الدرجات عن مالك بن حمزة الرواسي قال : سمعت أبا ذر يقول : [علي عليه السلام دابة الارض][2] . وهذا يعني على الأقل – نزولاً على مبنى الجمع بين النصوص – أنَّ لعليٍّ عليه السلام سلطنةً على دابّة الأرض ، وأنّها تخرج في زمن رجعتِه عليه السلام مع النبيِّ والآل عليهم السلام . والدابّة لها وظيفة التفريق بين المؤمنين والكافرين والمنافقين حيث تطبع كلَّ واحدٍ بما هو عليهِ في قرارةِ صدره ..

أكرر : هناك ما يشيرُ إلى نفي الإمام علي عليه السلام أنّه دابَّةُ الأرض لكنّه لا ينفي أن يكون صاحبها . ففي الرواية عن النزال بن سبرة قال : قيل لعلي بن أبي طالب : إنَّ ناساً يزعمون أنك دابة الارض ، فقال عليه السلام : [والله إنَّ لِدابة الارض ريشاً وزغباً ، وما لي ريشٌ ولا زغب ، وإنَّ لها لحافراً ، وما لي مِن حافر ، وإنَّها لَتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثاً ، وما خرج ثلثاها][3] .. وعليه : يمكن الجمع على أنَّ علياً عليه السلام هو صاحبها ، وعلى أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله أيضاً هو صاحبها أي له سلطنةٌ عليها . وأصل السلطنة في الأصل هو لله تعالى الذي أعطا النبيَّ والأئمّة هذه السلطنة .. نعم من المقطوع بهِ أنَّ عليَّاً عليه السلام هو أبرز الحُجَج على هذهِ الأمّة ، وهو قسيم الجنَّة والنار بدليل

---

[1] م . س .

[2] : صـ ٢٠٨

[3] ابن أبي حاتم : على ما في الدر المنثور : الدر المنثور : جـ ٥ صـ ١١٧

النصِّ الوارد عن النبيِّ ﷺ . وهو بذلك يسم هذا وذاك ضمن حدّ الحجّة وشرطِها .

ومعه : يستفاد أنَّ الإمام علي عليه السلام الذي يخرج في الرجعة يكون على نحوٍ من احتجاجٍ عظيمٍ على هذهِ الأمّة ، كما هي حالُ رسولِ اللهِ ﷺ أيضاً . وهو قسيم الجنّة والنار ، بما تعنيهِ حجّة الإمام ومقامُهُ الذي بيّنهُ اللهُ ورسوله . وبطبيعة الحال سيكون هذا من موارد وظيفة الدابّة بلا إشكال . كما يكون من مواردها كل ما هو دخيل في توصيف الإيمان . نعم الولاية تعتبر من العناوين الرئيسيَّة في هذا المجال . وقد قال أبي جعفر عليه السلام : « بُنِي الاسلام على خمسٍ : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية . ولم يُنادَ بشيئ كما نُودِي بالولاية »[1] .

---

[1] والنصوص في هذا المعنى كثيرة ، منها : روى عجلان أبي صالح قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام : أوقفني على حدود الايمان ، فقال : شهادة أن لا إلة إلا الله وأن محمدا رسول الله والاقرار بما جاء به من عند الله وصلاة الخمس وأداء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت وولاية ولينا وعداوة عدونا والدخول مع الصادقين . وروى عن فضيل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بني الاسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينادَ بشيئ كما نودي بالولاية ، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعني الولاية - . وقال الصادق عليه السلام : أثافي الاسلام ثلاثة : الصلاة والزكاة والولاية ، لا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها . وقال زرارة ، قال أبو جعفر عليه السلام : بُني الاسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية ، قال زرارة : فقلت : وأي شئ من ذلك أفضل ؟ فقال : الولاية أفضل ، لانها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن ، قلت : ثم الذي يلي ذلك في الفضل ؟ فقال : الصلاة إنَّ رسول الله ﷺ قال : الصلاة عمود دينكم ، قال : قلت : ثم الذي يليها في الفضل ؟ قال : الزكاة لانه قرنها بها وبدأ بالصلاة قبلها وقال رسول الله ﷺ : الزكاة تذهب الذنوب . قلت : والذي يليها في الفضل ؟ قال : الحج قال الله عز وجل : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ وقال رسول الله ﷺ : لحجة مقبولة خير من عشرين صلاة نافلة ومن طاف بهذا البيت طوافا أحصى فيه الاسبوع وأحسن ركعتيه غفر الله له وقال في يوم عرفة ويوم المزدلفة ما قال : قلت : فماذا يتبعه ؟ قال : الصوم قلت : وما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : الصوم جنة من النار ، قال : ثم قال : إن أفضل الاشياء ما إذا فاتك لم تكن منه توبة دون أن ترجع إليه فتؤديه بعينه ، إن الصلاة

وتعتبر « الرجعة » من الأمور الثابتة بشكلٍ تام ، والنصوص عليها أكثر من أن تحصى ، وهي معتبرة سنداً ومتناً ، وأدلّتُها من الكتاب والسنّة كثيرة ، وهذا ما سنشيرُ إليهِ فيما بعد إن شاءَ اللهُ تعالى[1] .

والزكاة والحج والولاية ليس يقع شيئ مكانها دون أدائها وإنَّ الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت فيه أديت مكانه أياما غيرها وجزيت ذلك الذنب بصدقة ولا قضاء عليك وليس من تلك الاربعة شئ يجزيك مكانه غيره ، قال : ثم قال ذروة الامر وسنامه ومفتاحه وباب الاشياء ورضا الرحمن الطاعة للامام بعد معرفته ، إن الله عز وجل يقول : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ أما لو أنَّ رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ، ما كان له على الله عز وجل حق في ثوابه ولا كان من أهل الايمان ، ثم قال : اولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته .

[1] وفي هذهِ العجالة أشير إلى أنّ الإعتقاد بالرجعة فضلاً عن انّه من صلب القرآن كان وما زال من معتقدات الشيعة وأتباع الأئمة ﷺ ، ويظهر من القصة التالية في صدر الاسلام أنَّ الاعتقاد بالرجعة كان معروفاً من عقائد الشيعة ، وكان يُشنَّع عليهم به ، فقد روى في الفصول المختارة[1] عن محمد بن أحمد بن أبان النخعي قال : « حدثني معاذ بن سعيد الحميري قال : شهد السيد إسماعيل بن محمد الحميري رحمه الله عند سوار القاضي بشهادة ، فقال له : ألستَ إسماعيل بن محمد الذي يُعرف بالسيِّد ؟ فقال : نعم ، فقال له : كيف أقدمت على الشهادة عندي وأنا أعرفُ عداوتك للسلف ؟ فقال السيِّد : قد أعاذني اللهُ من عداوة أولياءِ اللهِ وإنما هو شيئ لزمني ، ثم نهض ، فقال له : قم يا رافضي فوالله ما شهدت بحق ، فخرج السيد رحمه الله وهو يقول : أبوك ابن سارق عنز النبي * * * وأنت ابن بنت أبي جحدر ونحن على رغمك الرافضون * لاهل الضلالة والمنكر * ثم عمل شعراً وكتبه في رقعة وأمر مَن ألقاها في الرقاع بين يدي سوار ، قال : فأخذ الرقعة سوار فلما وقف عليها خرج إلى أبي جعفر المنصور ، وكان قد نزل الجسر الاكبر ، ليستعدي على السيد فسبقه السيد إلى المنصور فأنشأ قصيدته التي يقول فيها : يا أمينَ الله يا منصور يا خير الولاتِ * * * إنَّ سوار بن عبد الله من شر القضاة * نعثلي جملي لكم غير موات * * * جده سارق عنز فجرة من فجرات * والذي كان ينادي من وراء الحجرات * * * يا هنات اخرج إلينا إننا أهل هنات * فاكفنيه لا كفاهُ اللهُ شر الطارقات * * * سنَّ فينا سننا كانت مواريث الطغاة * قال : فضحك أبو جعفر المنصور ، وقال : نصَّبتُك قاضياً فامدحه كما هجوته ، فأنشد السيد ﷺ يقول : إنني امرؤٌ من حمير أسرتي * * * بحيث تحوي سروها حمير * آليت لا أمدح ذا نائل * * * له سناء وله مفخر * إلا من الغر بني هاشم * * * إنَّ لهم عندي يدا تشكر * إن لهم عندي يدا شكرها * * * حق وإن أنكرها منكر * يا أحمد الخير الذي إنما * * * كان علينا رحمة تنشر * حمزة والطيار في جنة * * * فحيث ما شاء دعا جعفر * منهم وهادينا الذي نحن من * * * بعد عمانا فيه نستبصر * لما دجا الدين ورق الهدى

* * * وجار أهل الارض واستكبروا * ذاك علي بن أبي طالب * * * ذاك الذي دانت له خيبر * دانت وما دانت له عنوة * * * حتى تدهدا عرشها الاكبر * ويوم سلع إذا أتى عاتيا * * * عمرو بن عبد مصلتا يخطر * يخطر بالسيف مدلا كما * * * يخطر فحل الصرمة الدوسر * إذ جلل السيف على رأسه * * * أبيض عضبا حده مبتر * فخر كالجذع وأوداجه * * * ينصب منها حلب أحمر * وكان أيضا مما جرى له من سوار ما حدث به الحرث بن عبيد الله الربعي قال : كنت جالسا في مجلس المنصور وهو بالجسر الاكبر وسوار عنده والسيد ينشده : إن الاله الذي لا شئ يشبهه * * * آتاكم الملك للدنيا وللدين آتاكم الله ملكا لا زوال له * * * حتى يقاد إليكم صاحب الصين وصاحب الهند مأخوذ برمته * * * وصاحب الترك محبوس على هون حتى أتى على القصيدة والمنصور مسرور ، فقال سوار : هذا والله يا أمير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه ، والله أن القوم الذين يدين بحبهم لغيركم ، وإنه لينطوي في عداوتكم ، فقال السيد : والله إنه لكاذب وإنني في مديحك لصادق ، ولكنه حمله الحسد ، إذ رآك على هذه الحال ، وإن انقطاعي ومودتي لكم أهل البيت لمعرق لي فيها عن أبوي ، وإن هذا وقومه لاعداؤكم في الجاهلية والاسلام ، وقد أنزل الله عزوجل على نبيه عليه وآله السلام في أهل بيت هذا (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) فقال المنصور : صدقت . فقال سوار : يا أمير المؤمنين إنه يقول بالرجعة ، ويتناول الشيخين بالسب والوقيعة فيهما ، فقال السيد : أما قوله بأني أقول بالرجعة فإن قولي في ذلك على ما قال الله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) وقد قال في موضع آخر (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) فعلمت أن ها هنا حشرين أحدهما عام والآخر خاص ، وقال سبحانه (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) وقال الله تعالى (فأماته الله مأة عام ثم بعثه) وقال الله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) فهذا كتاب الله عزوجل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله " يحشر المتكبرون في صور الذر يوم القيامة " وقال صلى الله عليه وآله " لم يجر في بني إسرائيل شئ إلا ويكون في أمتي مثله حتى المسخ والخسف والقذف " وقال حذيفة " والله ما أبعد أن يمسخ الله كثيرا من هذه الامة قردة وخنازير " فالرجعة التي نذهب إليها هي ما نطق به القرآن وجاءت به السنة ، وإنني لاعتقد أن الله تعالى يرد هذا يعني سوارا إلى الدنيا كلبا ، أو قردا ، أو خنزيرا ، أو ذرة ، فإنه والله متجبر [*] متكبر كافر ، قال : فضحك المنصور وأنشأ السيد يقول : جاثيت سوارا أبا شملة * * * عند الامام الحاكم العادل فقال قولا خطأ كله * * * عند الورى الحافي والناعل ما ذب عما قلت من وصمة * * * في أهله بل لج في الباطل وبان للمنصور صدقي كما * * * قد بان كذب الانوك الجاهل يبغض ذا العرش ومن يصطفي * * * من رسله بالنير الفاضل ويشنأ الحبر الجواد الذي * * * فضل بالفضل على الفاضل ويعتدي بالحكم في معشر * * * أدوا حقوق الرسل للراسل فبين الله تزاويقه * * * فصار مثل الهائم الهائل قال فقال المنصور : كف عنه ، فقال السيد : يا أمير المؤمنين ، البادي أظلم يكف عني حتى أكف عنه ، فقال المنصور لسوار : تكلم بكلام فيه نصفة كف عنه حتى لا يهجوك " .

قرب قيام الساعة من بعثة النبي ﷺ

وردت نصوص كثيرة تؤكّدُ أنَّ موعد النبيِّ محمَّد والقيامة مقترنان بالقرب . من تلك النصوص روى أنس أنَّ النبيَّ ﷺ قال : [بُعثت أنا والساعة كهاتين][1] . إشارة إلى قرب ما بينهما . وعلامة على أنَّ بعثة النبيِّ محمّد ﷺ تكون قبل الساعة بقليل . دون تحديد زمن .

والثابت بشكلٍ مطلق بين المسلمين جميعاً أنَّ النبيَّ محمَّد ﷺ هو آخر الأنبياء ، وأنّه تاركٌ في المسلمين إثني عشر وصيَّاً خيلفة . هذا ما يتّفق معنا فيهِ أهلُ السنّة . فحديث : الأئمّة من بعدي إثنا عشر . أو الخلفاء من بعدي إثنا عشر . وما هو في معناه تماماً متواتر وموضع اتفاق كامل من جميع المسلمين ، سنّةً وشيعة ، وأنَّ خلفاء النبيِّ ﷺ هم إثنى عشر . بل الإمام إبن حنبل دوَّنَ كتاباً كاملاً في هذا الحديث[2] .

---

[1] موطأ مالك : على ما في كنز العمال * : الطيالسي : صـ ٢٦٦ حـ ١٩٨٠

[2] وقد قال صاحب كتاب الصراط المستقيم قال الفراء صاحب كتاب المصابيح قال النبيّ (ص) : الائمة اثنى عشر كلهم من قريش .. وقد أسند البخاري في الجزء الاول بصحيحه عن جابر ابن سمرة وفي موضع آخر عن عينية عن ابن عمر ايضا واسنده مسلم في صحيحه في مواضع بطرق مختلفة واو داود في سننه والثعلبي في تفسيره والحميدي في مواضع من الجمع بين الصحيحين وفي الجمع بين الصحاح الست في موضعين وفي تفسير السدي امر الله خليله (ع) بالنزول باسماعيل وامه في بيته التهامي وقال

اني ناشر ذريته وجاعل منه نبيا عظيما ومن ذريته اثنى عشر عظيما . وقد صنف محمود ابن عبد الله ابن عباس كتاباً سماه مقتضب الاثر في امامة الاثنى عشر .. كلّها تثبت أنّ الإمامة نصّ النبيّ (ص) ووصيّتُهُ وأنّها على طبقِ ما اشارَ إليهِ في حديثِ الثقلين وأهلِ الكساء وغيرهما ، وقد أورد اورد العلامة الحلي في كتابه كشف الحق من صحيح مسلم والبخاري في موضعين بطريقين عن جابر وابن عينية قال رسول الله ﷺ لا يزال امر الناس ماضيا ما وليهم اثنى عشر خليفة كلهم من قريش .. وفي الجميع بين الصحاح الست في موضعين قال رسول الله ﷺ هذا الامر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنى عشر خليفة كلهم من قريش ، وكذلك في صحيح ابي داود ، وفي الجمع بين الصحيحين ، وذكر عن السدى صاحب التفسير ما قد نقله عنه صاحب الصراط المستقيم ثم قال : وقد دلت هذه الاخبار على امامة اثنى عشر اماما من ذرية محمد ﷺ ولا قائل بالحصر الا الامامية في المعصومين والاخبار في ذلك كثيرة .. وأورد السيد هاشم في كتابه غاية المرام حديث اثنى عشر من ست وستين طريقا باسانيدها من طرق اهل السنة ، أيضاً من طرق سبعة من كتاب مناقب امير المؤمنين عليه السلام للفقيه ابي الحسن علي ابن محمد الخطيب المعروف بابن المغازلي الشافعي واخرجه من مسند ابن حنبل وعن اخطب خطباء خوارزم ابي المؤيد موفق ابن احمد صدر الائمة عند اهل السنة من اثنى عشر طريقا واخرجه عن ابي نعيم الحافظ وعن الخطيب في تاريخه مسندا وعن ابراهيم ابن محمد الحموييني من ثلاثة وعشرين طريقا ، ومن الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ومن شرح لهنج لإبن ابي الحديد من طريقين واخرج البقية من مناقب الشيخ الفقيه ابي الحسن محمد ابن احمد ابن علي ابن الحسين عن شاذان من طرق العامة وقال موفق ابن احمد حدثني فخر القضاة نجم الدين ابن ابي منصور محمد ابن الحسين ابن محمد البغدادي فيما كتب الى من همدان في سلسلة سند قال : عن سلامة عن ابي سليمان راعي رسول الله ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ليلة اسري بي إلى السماء قال الجليل جل جلاله آمن الرسول بما انزل إليه من ربه فقلت والمؤمنون قال صدقت قال من خلقت من امنك قال خيرها قال علي ابن ابي طالب ، قلت نعم يا رب قال يا محمد اني اطلعت الى الارض اطلاعة فاخترتك منها فشققت لك اسما من اسمائي فلا اذكر في موضع الا وذكرت فانا المحمود وانت محمد ثم اطلعت الثانية فاخترت منها عليا وشققت له اسما من اسمائي فانا الاعلى وهو على يا محمد اني خلقتك وخلقت عليا وفاطمة والحسن والحسين والائمة من ولده من نوري وعرضت ولايتكم على اهل السموات والارض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدها كان عندي من الكافرين يا محمد لو ان عبدا من عبيدي عبدني حق ينقطع أو يصير كالشن البالي ثم اتاني جاحدا لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم يا محمد اتحب ان تراهم قلت نعم يا رب فقال النقت عن يمين العرش فالتفت فإذا بعلى وفاطمة والحسن والحسين وعلي ابن الحسين ومحمد ابن علي وجعفر ابن محمد وموسى ابن جعفر وعلي ابن موسى ومحمد ابن علي وعلي ابن محمد والحسن ابن علي ومحمد المهدي في ضحضاح من نور قيام يصلون والمهدي في وسطهم كانه كوكب درى وقال يا محمد هؤلاء الحجج وهذا الثائر عن عترتك وعزتي وجلالي انه الحجة الواجبة لاوليائي والمنتقم من اعدائي اقول وقال الشيخ سليمان البلخي في كتابه ينابيع المودة في الباب السادس والسبعين في احوال

الائمة الاثنى عشر قال وفي فرائد السبطين بسنده عن مجاهد عن ابن عباس قال قدم يهودي يقال له نسئل فقال يا محمد اسالك عن اشياء تحتاج في صدري منذحين فان أجبتني عنها اسلمت على يديك فقال ﷺ سل يا ابا عمارة فقال يا محمد صف لي ربك فقال ﷺ لا يوصف الا بما وصف به نفسه وكيف يوصف الخالق الذي تعجز العقول ان تدركه والاوهام ان تناله والخطوات ان تحده والابصار ان تحيط به جل وعلا عما يصفه به الواصفون ناء في قربة قريب في تايه وهو كيف الكيف واين الاين فلا يقال اين هو فهو الاحد الصمد كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعته لم يلد ويولد ولم يكن له كفوا احد قال صدقت يا محمد فاخبرني عن قوله انه واحد لاشبيه له اليس الله واحد والانسان واحد فقال ﷺ الله عزو وعلا واحد حقيقي واحد المعنى اي لا جزء ولا تركيب له والانسان واحد ثنائي المعنى مركتب من روح وبدن قال صدقت فاخبرني عن وصيك من هوفما من بني الا وله وصي ونبينا موسى ابن عمران اوصى يوشع ابن نون فقال صلى الله عليه وآله : ان وصيي علي ابن ابي طالب عليه السلام ، وبعده سبطاي الحسين والحسين (ع) تتلوه تسعة ائمة من صلب الحسين عليه السلام قال يا محمد فسمتهم لي قال ﷺ إذا مضي الحسين فابنه على فإذا مضي علي فابنه محمد فإذا مضي محمد فابنه جعفر وإذا مضي جعفر فابنه موسى وإذا مضى موسى فابنه على فإذا مضى على فابنه محمد فإذا مضى محمد فابنه علي فإذا مضى علي فابنه الحسن فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي فهؤلاء اثنى عشر قال اخبرني كيف موت علي والحسن والحسين قال يقتل على بضربة على قرنه والحسن يقتل بالسم والحسين بالذبح قال فاين مكانهم قال في الجنة ودرجتي فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله وانهم الاوصياء بعدك لقد وجدت في كتب الانبياء المتقدمة وفيها عهد نبينا موسى ابن عمران انه إذا ان آخر الزمان يخرج نبي يقال له احمد ومحمد وهو خاتم الانبياء لا نبي بعده فيكون اوصيائه بعده اثنى عشر اولهم ابن عمه وختنه والثاني والثالث كانا اخوين من ولده وتقتل امة النبي ﷺ الاول بالصيف والثاني بالسم والثالث مع جماعة من اهل بيته بالسيف وبالعطش في موضع الغربة وهو يصير على القتل لرفع درجاته ودرجات اهل بيته وذريته ولاخراج مجيه واتباعه من النار وتسعة الاوصياء منهم من الاود الثالث منهم فهؤلاء الاثنى عشر عدد الاسباط قال ﷺ اتعرف الاسباط قال نعم كانوا اثنى عشر اولهم لاوى ابن برخيا وهو الذي غاب من بني اسرائيل غيبة ثم عاد فاظهر الله شريعته بعد اندراسها وقاتل قرسطيا الملك حتى قتل الملك قال ﷺ كائن في امتي ما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وان الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى وياتي على امتي زمن لا يبقى من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه فحينئذ باذن الله تبارك وتعالى له بالخروج فيظهر الله الاسلام به ويجدده طوبى لمن اجهم وتبعهم والويل لمن ابغضهم وخالفهم وطوبى لمن تمسك بهداهم .. وفي المناقب عن واثلة ابن الاسفع عن جابر ابن عبد الله الانصاري قال دخل جدل ابن جنادة ابن جبير اليهودي على رسول الله ﷺ فقال يا محمد اخبر عما ليس لله وعما ليس عند الله ومما لا يعلمه الله فقال ﷺ اما ليس لله ، فليس لله شريك ، واما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد وأما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم عزيز ابن الله والله لا يعلم ان له ولد بل يعلم أنه مخلوقه وعبده فقال اشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقا وصدقا ثم قال اني رايت البارحة موسى

ابن عمران في المنام فقال يا جندل اسلم على يد محمد خاتم الانبياء واستمسك بارضيائه من بعده فقلت اسلم وله لحمد اسلمت وهداني بك ثم قال اخبرني يا رسول الله عن اوصيائك عن بعدك لا تمسك بهم قال ﷺ اوصيائي اثنا عشر قال جندل هكذا وجدناهم في التوراة وقال يا رسول الله سمهم لي فقال ﷺ اولهم سيد الاصياء وابو الائمة علي عليه السلام ثم ابناه الحسن والحسين فاستمسك بهم ولا يعزنك جهل الجاهلين فإذا ولد علي ابن الحسين يقتضي الله عليك ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه فقال جندل وجدنا في التوراة في كتب الانبياء ايليا وشبر وشبير فهذا اسم علي والحسن والحسين فمن بعد الحسين وما اسمائهم قال ﷺ : فإذا انقضت مدة الحسين فالامام ابنه علي ويلقب بزين العابدين فبعده ابنه يلقب بالباقر فبعده ابنه جعفر يلقب بالصادق فبعده ابنه موسى يدعي بالكاظم فبعده ابنه على وبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري وبعده ابنه محمد يدعي بالمهدي والقائم والحجة ويغيب ثم يخرج فإذا خرج يملا الله به الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا طوبى للصابرين في غيبته طوبى للمتقين على محبتهم اولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال (هدى المتقين الذين يؤمنون بالغيب) ثم قال تعالى (اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم الغالبون) فقال جندل الحمد الله الذي وفقني لمعرفتهم ثم عاش الى ان كانت ولادة علي ابن الحسين عليه السلام فخرج الى الطائف ومرض وشرب لبنا وقال اخبرني رسول الله ﷺ ان يكون آخر زادي من الدنيا شربة لبن ، ومات ودفن بالطائف ، بالموضع المعروف بالكرزارة ... ثم قال البلخي في ينابيعه الباب السابع والسبعون في تحقيق حديث " بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش " للشيخين والترمذي وابي داود وذكر يحيى ابن الحسن في كتاب العمدة من عشرين طريقا هي ان الخلفاء بعد النبي ﷺ انثا عشر خليفة ، كلهم من قريش ، والبخاري من ثلاثة طرق ومسلم من تسعة طرق وابو داود من ثلاثة طرق وفي الحميدي من ثلاثة وفي الترمذي واحد وفي المودة العاشرة من كتاب مودة القربى للسيد على الهمداني عن عبد الملك ابن عمير ، وعن جابر ابن سمرة ، قال كنت مع ابي عند النبي ﷺ فسمعته يقول بعدي اثنا عشر خليفة ، ثم اخفى صوته فقلت لابي ما الذي اخفى صوته قال قال : كلهم من بني هاشم . وعن سماك ابن حرب مثل ذلك وعن عبابة ابن ربعي عن جابر قال قال رسول الله ﷺ انا سيد النبين وعلي سيد الوصيين وان اوصيائي بعدي اثنا عشر اولهم على وآخرهم القائم المهدي . قال بعض المحققين ان الاحاديث الدالة على كون الخلفاء بعد النبي ﷺ اثنا عشر خليفة قد اشتهرت من طرق كثيرة .. واورد العلامة السيد حسن صدر الدين في كتابه الدرر الموسوية في شرح العقائد الجعفرية حديث اثنى عشر خليفة من طرق احمد بن حنبل من اربعة وثلاثين طريقا وذكر طرق مسلم ورواية الثعلبي ورواية ابي سعيد الخدري وابي تردة وابن عمر وعبد الرحمن ابن سمرة وجابر وانس وابي هريرة وابن عباس وعمر ابن عمرو عبد الرحمن ابن سمرة وجابر وانس وابي هريرة وابن عباس وعمر ابن الخطاب وعائشة ورواية واثلة وابي سليمان الراعي فاما رواية عمر ابن الخطاب فقد اسند علي ابن الميب الى عمر قول النبي ﷺ الائمة بعدي الحديث منها مهدي هذه الامة من تمسك بهم بعدي فقد تمسك بحبل الله واسند الدروسي ابن المثنى سال عائشة كم خليفة لرسول الله (ص) فقالت اخبرتي انه يكون بعده اثنى عشر خليفة فقال قلت من هم فقالت اسماؤهم مكتوبة عندي باملاء رسول

الله ﷻ فقلت لها ما هي اسماؤهم فأبت ان تعرفنيها ، ثم ان السيد بعد ذكر طرق الحديث عدّ جملة من كتب اهل السنة التي ذكرت حديث اثنى عشر خليفة ، منها مناقب احمد ابن حنبل والنسائي وتنزيل القرآن في مناقب اهل البيت لابي نعيم الحافظ الاصفاني وفرائد السمطين في فضائل المرتضى والزهراء والسبطين لمحمد ابن ابراهيم الحموينى الشافعي ومطالب السول لمحمد ابن طلحة الشافعي وكفاية الطالب وكتاب البيان لمحمد ابن يوسف ابن محمد الكنجي الشافعي ومسند فاطمة لعلى ابن عمر الدارقطني وكتاب فضائل اهل البيت لموفق ابن احمد اخطب خطباء خوارزم الحنفي والمناقب لابن المغازلي الفقيه الشافعي والفصول المهمة لعلي ابن احمد المالكي ، المعروف بابن الصباغ ، وجواهر العقدين للعلامة الشريف السهودي المصري وذخائر العقبى لمحب الدين احمد ابن عبيدالله الطبري وكتاب مودة القربى لعلي ابن شهاب الهمداني بل والصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي والاصابة لابن حجر العسقلاني وجامع الاصول ومسند احمد ابن حنبل ومسند ابي يعلي الموصلي ومسند ابي بكر البزاز ومعاجم الطبراني وجامع الصغير للسيوطي وكنز الدقائق المناوي ... وقد قال القاضي ابن رزوبهان في رده على العلامة الحلي واما حمله اي حديث اثنى عشر خليفة كلهم من قريش واما حمله على الائمة الاثنى عشر فان اريد بالخلافة ووراثة العلم والمعرفة وايضاح الحجة والقيام باتمام منصب النبوة فلا مانع من الصحة ، ويجوز هذا الحمل بل يحسن .. وقال صاحب كتاب الغدير العلامة الشيخ عبد الحسين الاميني في المجلد ٧ ص ١٣١ الذي نرتئيه في الخلافة انها امرة الهية كالنبوة وان كان الرسول خص بالتشريع والوحي الالمعي وشان الخليفة التبليغ والبيان وتفصيل المجمل وتفسير المعضل وتطبيق الكلمات بمصاديقها والقتال دون التأويل كما يقاتل النبي دون التنزيل وبهذا عرف النبي ﷺ مولانا امير المؤمنين ﷺ ان فيكم من يقاتل على تأويل القرآن قاتلت على تنزيله قال أبو بكر انا هو يا رسول الله قال لاقال عرم انا هو يارسول الله لا ولكن خاصف النعل وكان قد اعطى عليا نعله يخصفها . اخرجه جمع من الحفاظ وصححه الحاكم في المستدرك والذهبي والهيثمي .. الى ان قال الاميني في النبي وعليّ وكلّ منهما داخل في اللطف الالهي ، الواجب عليه ، بمعنى تقريب العباد الى الطاعة وتبعيدهم عن المعصية . ولذلك خلقهم واستعبدهم وعلمهم ما لم يعلموا ، فلم يدع البشر كالبهائم ليأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل ، ولكن خلفهم ليعرفوه وليحكنهم من الحصول على مرضاته وسهل لهم الطريق الى ذلك ببعث الرسل وانزال الكتب وتواصل الوحي في الفينة بعد الفينة وبما ان اي نبي لم ينق عمره بمنصرم الدنيا ولا قدر له البقاء مع الابد وللشرايع ظروف مديدة كما انّ للشريعة الخاتمة امد لا منتهى له فإذا من الرسول والشريعة احدى المدتين وكل منهما نفوس لم تكمل بعد واحكام لم تبلغ وان كان مشرعة واخرى لم تأت ظروفها ومواليد قدّر تأخير تكوينها ليس من المعقول بعد ان تترك الامة عدى الحالة هذه والناس كلهم ي شمول ذلك اللطف الواجب عليه سبحانه شرع سواه فيجب عليه جلت عظمته ان يقبض لهم من يكمل الشريعة ببيانه ويزيل شبه الملحدين ببرهانه ويجلوا ظلم الجهل بعرفانه ويبدفع عن الدين عادية اعداهم بسيفه وسنانه ويقيم الامت والعوج بيده ولسانه ومهما كان للمولى حلت منته عناية بعيدة وقد الزم نفسه باسداء البر إليهم وان لا يوليهم الا الخطير والسعادة فعليه ان يختار لهم من لا ينوء بذلك العبئ الثقيل ويمثل

وعلى كلِّ حال : المسلمون كلُّهم متّفقون على أنَّ النبيَّ ﷺ استودع عليهم إثني عشر إماماً أو خليفة كلُّهم من قريش .

لكنَّ السنّة اختلفوا في بعض الأسماء التفصيليّة رغم وجود نصوص عندهم واضحة في تعداد هذهِ الأسماء وبيان شخصياتِها .

فقد ورد من النصوصِ الكثير الذي يدلُّ بشكلٍ نهائيٍّ على وجوه وهويّة واسماء الأئمّة الإثني عشر .

وأخرج الجوني الشافعي في فرائد السمطين أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال :

[أنا سيّدُ النبيين ، وعليٌّ بن أبي طالب سيِّد الوصيين ، وإنَّ أوصيائي بعدي إثنا عشر ، أوَّلُهُم علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي][1] .

مخلفه الرسول في الوظائف كلها فينص عليه بلسان ذلك النبي المبعوث لا يجوز ان يخلي سربهم ويتركهم سدى . أقول : كلّ ما ورد في النصوصِ يثبت أنّ الأئمّة سمّاهم اللهُ ورسولُهُ ، دون أيّ شبهةٍ على الإطلاق ، وحديث الثقلين وأهلِ الكساء والغدير والمنزلة ، بل كلّ الأحاديث المتواترة والمستفيضة التي هي في نفس معنى الثقلين والكساء تثبت أنّ الأئمّة من قريش ، من بني هاشم أوّلهم عليّ وآخرهم المهديّ ، بل في الروايات الخاصّة بزمنِ المهديّ كلّ شيءٍ يثبّت انّ الخليفة الأوّل عليّ والثاني عشر هو المهديّ ، وما أشرتُ إليهِ من النصوصِ حول المهديّ في كتبِ العامّة خيرُ دليلٍ على ذلك ، وكل النصوصِ تثبت أنّه من ولدِ عليٍّ وفاطمة ، فضلاً عن النصوصِ التي رواها أهلُ السنّة في الأئمّة إماماً إماماً بالإسم والصفة ، حتى لا يكون للناسِ على الله حجّة .. ويكفي أن أشير إلى أنَّ مجموعة من نصوصِ صاحب الزمان القائم المهديّ ارتبطت بشكلٍ وثيقٍ بالإشارةِ إلى الأئمّة الإثنى عشر .. بل في كفاية الأثر روى عن الحسن بن عليّ عليهِ السلام أنّه قال : الائمة عدد نقباء بني إسرائيل ، ومنا مهدي هذه الامة ..

[1] فرائد السمطين للجوني الشافعي ج ٢ ص ٣١٣ كما رواه القندوزي الحنفي في كتابِه ينابيع المودّة ص ٤٤٥ .

وفي ينابيع المودّة أخرج سليمان القندوزي الحنفي عن إبـن عبَّـاس أنَّ النبيَّ ﷺ قال :

[إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج اللهِ على الخلق بعـدي لإثنـا عشـر ، أوَّلهم علي ، وآخـرهم ولـدي المهـدي . فينـزل روح الله عيسـى بـن مـريم فيصلِّي خلف المهديِّ ، وتُشرِقُ الأرض بنورِ ربِّها ويبلـغ سـلطانه المشـرق والمغرب][1] .

وروى أيضاً عن إبن عبّاس أنَّ يهوديّاً قدم إلى النبيِّ ﷺ يُقـال لـه « نعثل » فقال : يا محمَّد أسألك عن اشياء تلجلج في صدري منذ حين .. إلى أن قال : فأخبرني عن وصيِّكَ ، مَن هو ؟ فما مِن نبيٍّ إلا لـه وصـي.. ؟ وإنَّ نبيَّنا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون ..؟ فقال ﷺ :

إنَّ وصيّي علي بـن أبـي طالـب ، وبعـدهُ سـبطاي الحسـن والحسين تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسين ..

فقال يا محمد فسمِّهم لي : فقـال ﷺ : إذا مضـى الحسـين فإبنه عليٌّ ، فإذا مضى عليٌّ فإبنُهُ محمَّد ، فإذا مضـى محمَّـد فإبنـهُ جعفر ، فإذا مضى جعفر فإبنهُ موسى ، فـإذا مضـى موسـى فإبنـهُ عليٌّ ، فإذا مضى عليٌّ فإبنه محمَّد ، فإذا مضى محمَّـد فإبنـهُ علـيٌّ ، فإذا مضى عليٌّ فإبنهُ الحسـن ، فـإذا مضـى الحسـنُ فإبنـه الحجّـة محمَّد المهدي ، فهؤلاءِ إثنا عشر][2] .

---

[1] ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص ٤٤٧

[2] ينابيع المودة ص ٤٤١

ولقد ثبت بالنصِّ النبويِّ المتواتر الجلي منذ زمنِ النبيِّ الأعظمِ ﷺ أنَّ المهديَّ عليه السلام (الثاني عشر من خلفاء النبي[1]) هو محمد بن الحسن العسكري ، إبن الإمام علي الهادي ، إبن الإمام محمّد الجواد ، إبن الإمام علي الرضا ، إبن الإمام موسى الكاظم ، إبن الإمام جعفر الصادق ، إبن الإمام محمّد الباقر ، إبن الإمام علي بن الحسين زين العابدين ، إبن الإمام الحسين بن علي ، إبن الإمام عليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسولِ الله .. وهو هو الذي قال بهِ النبيُّ ﷺ : « المهديّ من وُلدي ، إسمهُ إسمي ، يخرج في آخرِ الزمان ، فيملئ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما مُلِئت ظلماً وجوراً »[2] ..

---

[1] وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ أهلَ السنّة لم يجدوا ما يتمّموا بهِ هذا العدد من الأئمّة ، سوى محاولة ترتيب أربعة هم الخلفاء ، وزادوا عليهم خامساً هو عمر بن عبد العزيز .. ! كلّ ذلك في نفس الوقت الذي يقولُ فيهِ عمر بن الخطّاب مقالتَه المشهورة : إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها .. (وفي أكثر من روايةٍ زاد فيها : ومن عاد إلى مثلها فاقتلوهُ ..) كما في تاريخ شرح النهج والصحاح والطبري وغيرهِ .. كلّ الرواة أثبتوا في تأريخِهم أنَّ أبا بكر لم يستطع أن يمنع الأنصار في سقيفة بني ساعدة من المطالبة بالخلافةِ إلا حين استشهد عليهم بقولِ النبيّ : إنّ الأئمة من قريش إثنى عشر .. وحين قصد أبو بكر وعمر بن الخطّاب عمَّ النبيّ العبّاس في دارهِ لإقناعهِ ببيعةِ أبي بكر على أن يكون لعقبهِ من الأمرِ ما لهم ، وذلك بعدما جرى في السقيفة من بيعةِ أبي بكر ، فما كان من العباس (عمّ النبيّ) إلا أن احتجّ عليهم بنفسِ هذا الحديث ، وبالكثير من أحاديث النبيّ ﷺ في حقِ عليٍّ وأهلِ بيتهِ ، فما كان منهم إلا أن عرضوا عليهِ نصيباً في الأمرِ ، فرفض ، فخرجوا من عندهِ مذعورين .. هكذا وردت القصّة بتفصيلٍ دقيقٍ في التواريخ والروايات عند أهلِ السنّة والشيعة ..

[2] أمّا النصوص المفردة في حقّ كلّ واحدٍ منهم فهي كثيرة ، وعلى رأسها النصوص الواردة في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وصولاً إلى الإمام المهديّ عليه السلام .. وببعد النظرِ عن النصّ عليهم ، فقد اتّفقت كلمةُ المسلمين ، وعلى رأسهم علماءُ أهلِ السنّة أنّ هؤلاء الأئمّة في كلّ جيلٍ وزمانٍ كانوا أعلم أهلِ المصرِ على الإطلاق ، وأنّهم رغم كلّ المحاولات السلطانيّة للحطّ من مقامهم العلمي أو تجاهلهم ، كانوا على قدرٍ من العلمِ لا يُقاوم على الإطلاق وفي كل وقعةٍ تاريخيّة للنيلِ العلميّ منهم كان يخرجُ أهمّ علماءِ أزمانهم وهم يقولون (الله أعلم حيث يجعل رسالتَهُ ..) ومن أراد معرفة ذلك ما عليهِ إلا أن يراجع تاريخ هؤلاءِ الأئمّة في كتبِ أهلِ السنّةِ وتواريخِهم ، بل يراجع حياة الإمام الصادق عليه السلام وما يعنيهِ مقامُهُ في عصر

كما ثبت بطائفة متواترة مطلقة أنَّ المهدي (عليه السلام) يخرج في آخر الزمان ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ..

وهذا معنى دقيق من معاني بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) والقيامة على قربٍ مُقتَرِن . أي أنّ الزمن بعد النبيِّ (صلى الله عليه وآله) مرهون بتحقُّق ظهور الأئمّة (عليهم السلام) ، على أن يظهر آخرهم المهدي فيقيم في الأرض حكم الله المتجلِّي بالإسلام ، ثم تكون سلسلة محتومة ، منها الرجعة ، والدابة ، ثم بعد ذلك - دون أن نعرف مدَّة الزمن - يأذن اللهُ تعالى للكون بالإنصياع إلى ما بعد الحياة الدنيا .. أمَّا من حيث مقادير الزمن فالأمر بيد اللهِ تعالى ..

بروز أئمّة اهلِ السنّة ، من الإمام أبي حنيفة وغيرِه ، ليقرأ أنّه لولا السنتانِ لهلك النعمان .. ليقرأ تلمَذَةَ رموزِهم على يديهِ مباشرةً وغير مباشرة ..

الآيات الكبرى قبل قيام الساعة

من الثابت أنَّ المهدي ﷺ يمثِّل الآية الكبرى من آيات ما قبل الساعة . بل كثير من النصوص حينما كانت تتحدَّث عن الساعة كانت تعني علامتها الكبرى ، أي خروج المهدي ﷺ .. من هنا نجد في بعض النصوص إشارة إلى علامات لا يُذكر فيها المهدي ﷺ على اعتبار أنَّ المهدي هو العلامة الأكبر من تلك العلامات بل سببها ومركزها ، فمجموع علامات هو بالأصل مرتبط بهِ . وهذا يقين متواتر بالنصِّ دون أي إشكال بين المسلمين جميعاً[1] ..

لكن الذي أحبُّ أن أشير له هنا أنَّ أهل الإسلام منذ الزمن الأوَّل كانوا شديدي الشغف لمعرفة علامات آخر الزمان ، وهو أمر أخذ مِن ذهن المسلم آنذاك مساحةً واسعة . ففي رواية حذيفة بن أسيد الغفاري – وهو من أهل الصُفَّة – قال : [.. اطلَّع علينا رسولُ الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال : إنَّ الساعةَ لا تقوم حتى يكون عشر آيات : الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ، وثلاث خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف

---

[1] مع تأكيدي على أنّ بعض النصوص حاولت بشكلٍ وآخر أن تستبدل المهدي بالنبي عيسى ﷺ ، وهي بطبيعة الحال قليلة جداً أمام النصوص المتواترة في المهدي ﷺ ، لكنَّها ربما تشير بعض الأحيان إلى غرضٍ في صدر الرواي .. بالأخص رُوّاة الإسرائيليات ، مع انّه ثابت بشكلٍ مطلق أنّ عيسى بن مريم ﷺ هو وزير جبهة آل محمّد ، وهو الذي يصلّي خلف المهدي ﷺ .

بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونزول عيسى بن مريم ، وفتح يـأجوج ومأجوج ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر][1] .

وفي نصٍّ آخر عن أبي الطفيل حدَّث انَّهُ سمع أبا سـريحة الغفـاري يقول أشرف علينا رسول الله ﷺ من علية له ، ونحن نذكر السـاعة فقـال : ما كنتم تذكرون ؟ قلنا : الساعة ، فقـال ﷺ : [لا تكـون حتـى يكـون فيهـا عشر : الدجال والدخان والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونـزول عيسـى بن مريم ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسـوف : خسـف بالمشـرق وخسـف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من عـدن أو قـال : من قعر عدن تسوق الناس إلى محشرهم][2] .

وفي رواية عامر بن واثلة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسـول الله ﷺ : عشر قبل الساعة لا بـد منهـا : السـفياني ، والـدجال ، والـدخان ، والدابة ، وخروج القائم عليه السلام ، وطلوع الشمس من مغربهـا ، ونـزول عيسـى عليه السلام ، وخسف بالمشرق ، وخسف بجزيرة العرب ، ونـار تخـرج مـن قعـر عدن تسوق الناس إلى المحشر][3] .

وعلـى كـلٍّ حـال : تكـاثرت النصـوص التـي تشـيرُ إلـى علامـات المهدي عليه السلام كمرحلة شديدة القرب من زمـن القيامـة . بـل مِـن شـدة خبـر المهدي عليه السلام كان النبيُّ ﷺ في العديد من الأحيان يشيرُ إلـى علاماتـهِ عليه السلام كعنوانٍ من عناوين قرب يـوم القيامـة . فيكتفـي بـذكر علامتـهِ عليه السلام لشـدّة

---

[1] الطيالسي : صـ ١٤٣ ب ١٠٦٧

[2] ابن أبي شيبة : جـ ١٥ صـ ١٣٠ حـ ١٩٣١٠

[3] ابن أبي شيبة : جـ ١٥ صـ ١٣٠ حـ ١٩٣١٠

وضوح خبرهِ بعد أن تواتر في المسلمين وأصبح حديثهم الأعظم .. وفي الرواية عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [.. بادروا بالاعمال ستّاً : طلوعُ الشمس مِن مغربها (إشارة إلى العلامة الشديدة القرب من ظهور المهدي) ، والدجال ، والدخان ، ودابة الارض ، وخويصة أحدكم ، وأمر العامة][1] .

على أنَّ بعض النصوص جاءت على نحوٍ من علاماتٍ منقوصة ، وذلك يعود إلى الراوي في نقلِهِ التبعيضي لبعض العلامات دون غيرها في شاهد حديثٍ أو إشارة وشبه ذلك . على أنّ مجموع العلامات ورد في النصوص بشكلٍ وثيقٍ ودقيق ..

بل يبدو أنَّ المسلمين لشدَّة اهتمامهم بأمر آخر الخلفاء الأئمّة (المهدي) كانوا يتحدّثون حتى بعلامات ظهوره ، وقرنائها وشبه ذلك . منها ما رواه أبو زرعة بن عمرو بن جرير قال : كُنَّا عند عبد الله بن عمرو فجاء رجلانِ فقالا : آتيناك مِن عند مروان ، فسمعناه يقول : إنَّ أول الآيات خروجاً خروج الدجال ؟ فقال : عبد الله بن عمرو : كذب مروان ، لقد سمعتُ مِن رسولِ الله ﷺ يقول : [إنَّ أوَّل الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، أو خروج الدابة على الناس ضحى ، فأيتها كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا][2] ..

وكما ترى : يشير إلى علامة الظهور ، أيُّهما قبل ؟ خروج الدجَّال أم طلوع الشمس من مغربها ؟ والواضح من النصوص الكثيرة انَّ طلوع

---

[1] الطيالسي : صـ ٢٣٢ حـ ٢٥٤٩

[2] الطيالسي : جـ ٩ صـ ٢٩٧ حـ ٢٢٤٨

الشمس يكون علامةً قريبة جداً على ظهور المهدي (عليه السلام) ، فيما الدجال يخرج في فترةٍ متأخِّرة عن ذلك[1] ..

بل في بعض النصوص تحذير من التمادي في التوبة وتسويفها قبل طلوع الشمس ، على اعتبار أنَّ طلوع الشمس واحد من المعاني الكبرى المفروض أن تكون النفس مهيّئة لحضورها . ففي رواية أبي موسى الاشعري قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : [إنَّ الله عزَّ وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار ، وبالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها][2] .

---

[1] ابن أبي شيبة : جـ ١٥ صـ ٦٧ حـ ١٩١٣٥ حدثنا محمد بن بشر قال : حدثني أبو حيان عن أبي زرعة قال : جلس ثلاثة نفر من المسلمين إلى مروان بن الحكم ، فسمعوه يحدث عن الآيات ، أن أولها خروج الدجال ، فانصرف النفر إلى عبد الله بن عمرو فحدثوه بالذي سمعوه من مروان بن الحكم في الآيات أن أولها خروج الدجال ، فقال عبد الله : لم يقل مروان شيئا ، قد حفظت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) حديثا لم أنسه بعد [ما] سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، أو خروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما ما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا . ثم قال عبد الله (وكان) يقرأ الكتب : وأظن أولهما خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وذاك أنها كلما غربت أتت تحت العرش [فسجدت] فاستأذنت في الرجوع فأذن لها في الرجوع ، حتى إذا شاء الله أن تطلع من مغربها أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فلم يرد عليها بشئ ثم تعود فتستأذن في الرجوع فلا يرد عليها بشئ ، ثم تعود فتستأذن في الرجوع فلا يرد عليها بشئ حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب وعرفت أنها لو أذن لها لم تدرك المشرق ، قالت : رب ما أبعد المشرق ! قالت من لي بالناس ، حتى إذا أضاء الافق كأنه طوق ، استأذنت في الرجوع قيل لها : مكانك فاطلعي ، فطلعت على الناس من مغربها . ثم تلا عبد الله هذه الآية : ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيرا ﴾ . ملاحظة : قول الراوي عن عبد الله بن عمرو . وكان يقرأ الكتب . يقصد مدح عبد الله بأنه مطَّلع على كتب اليهود والنصارى فهو يعرف أحاديثهم حول أشراط الساعة وغيرها . وقد قال ابن كثير لاحد أحاديث عبد الله بن عمرو : بأنه ربما كان من الزاملتين أو العدلين اللذين أصابهما يوم اليرموك . أي من حملي الدابة من الكتب . لذا ينبغي جداً التثبت والتحقيق في الروايات التي يحتمل أن تكون تسرَّبت من مصادر اليهود والنصارى .

[2] الطيالسي : ص ٦٦ حـ ٤٩٠

ربَّما يُقال بأنَّ هذا النص يشير إلى انَّ حدَّ التوبة المقبولة يظلُّ إلى ما قبل طلوع الشمس ، إلا انَّ كثرة النصوص تشير إلى أنَّ التوبة تُظل حتى بعد خروج المهدي (عليه السلام) ، بل الثابت أنَّ شعوباً تؤمنُ بهِ بعد ظهوره المبارك .. ثمّ سرْدُ العلاماتِ بلسان النصوص جاء بنحو الشرط مرَّة ، والبيئة مرّةً أخرى . وكلاهما بالمعنى العام شرطُ الظهور . وبتعبيرٍ آخر : النصوص تشيرُ إلى زمن ظهور الإمام (عليه السلام) فتصفه على حاله . في حين هناك نصوص تشير إلى علامات قربِهِ (عليه السلام) ..

ففي رواية قتادة قال : قال لنا أنس بن مالك : لَأُحدثنَّكُم حديثاً لا تجدون أحداً يحدثكموه بعدي . سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : [إنَّ مِن أشراط الساعة أن يُرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويُشرب الخمر ، ويظهر الزنا ، ويقلُّ الرجال ويكثر النساء ، حتى يكون في خمسين امرأة القيم الواحد][1] .

فهذا مِن نوع النص الناظر إلى وصف بيئة العالم - بنحوٍ من الأنحاء - قبل ظهور المهدي (عليه السلام) ..

وعليه سنشير بشيءٍ من الإختصار إلى بعض الشهادات الواردة في النصِّ عن صفات ذلك العالم ، أي تحديد بعض مِن القيم التي تكون في ذلك الزمان .

---

[1] الطيالسي : صـ ٢٦٦ حـ ١٩٨٤ وفي لفظٍ آخر قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن أنس قال : حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكموه أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدي ، سمعته يقول : * : عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٨١ حـ ٢٠٨٠١

قيم زمن وبيئة ظهور المهدي عليه السلام

من الثابت القطعي أنَّ المهدي عليه السلام يخرج في آخر الزمان ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً . هذا المضمون ورد بشكلٍ كثيفٍ في النصوص الكثيرة التي لا تُحصى .. وهو بطبيعة الحال يؤكِّد أنَّ العالم يكون غارقاً بنحوٍ من الأنحاء بقيم وصِيَغ سياسيّة واجتماعيّة وأخلاقيَّة ومفاهيم وقيم فاسدة ، ليست أبداً في صالح الإنسان أو الطبيعة ، كما سنستفيد ذلك من نصوصٍ مختلفة . ففي رواية عبد الله بن عباس قال : حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حجَّة الوداع ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : ألَا أُخبركم بأشراط الساعة ؟ وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان رضي الله عنه ، فقال : بلى يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وآله :

[إنَّ مِن أشراط القيامة : إضاعة الصلوات ، واتباع الشهوات ، والميل إلى الاهواء ، وتعظيم أصحاب المال ، وبيع الدِّين بالدنيا . فعندها يذوب قلبُ المؤمن في جوفه كما يُذاب الملح في الماء ممَّا يُرى من المنكر ، فلا يستطيع أن يغيِّرَهُ ،

قال سلمان : وإنَّ هذا لكائن يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وآله : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، إنَّ عندها يليهم أمراء جورة ، ووزراء

فسقة ، وعرفاء ظلمة ، وأمناء خونة . فقال سلمان : وإنَّ هـذا لكـائن يا رسول الله ؟ قال ﷺ : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ،

إنَّ عندها يكون المنكر معروفاً والمعروفُ منكراً ، ويُـؤتَمَنُ الخائن ويخُوَّن الامين ، ويُصدَّقُ الكاذب ، ويُكذَّبُ الصادق .

قال سلمان : وإنَّ هذا لكائن يا رسـول الله ؟ قـال ﷺ : إي والـذي نفسـي بيـده يـا سـلمان ، فعنـدها تكـون إمـارةُ النسـاء ، ومشاورة الاماء ، وقعود الصبيان على المنابر ، ويكون الكذبُ ظرفاً والزكاة مغرماً والفيءُ مغنماً ، ويجفو الرجلُ والديـهِ ويبـر صـديقه ، ويطلع الكوكبُ المذنَّب ،

قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسـول الله ؟ قـال ﷺ : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها تشـارك المـرأةُ زوجهـا فـي التجارة ، ويكون المطرُ قيظاً ، ويغيظ الكرامُ غيظاً ، ويُحتَقَـرُ الرجـلُ المعسر ، فعندها تقارُبُ الاسواق إذا قال هذا لم أبع شيئاً وقال هـذا لم أربح شيئاً ، فلا ترى إلا ذاماً لله ،

قال سلمان : وإنَّ هذا لكائن يا رسـول الله ؟ قـال ﷺ : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، فعندها يليهم أقوامٌ إنْ تكلَّمُوا قتلوهم ، وإنْ سكتوا استباحوا حقَّهُم ، ليستأثرون أنفسهم بفيئهم ، وليطـؤن حرمتهم ، وليسفكنَّ دماءهم ، وليملـؤنَّ قلـوبهم دغـلاً ورعبـاً ، فـلا تراهم إلا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين ،

قال سلمان : وإنَّ هذا لكائن يا رسـول الله ؟ قـال ﷺ : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، إنَّ عندها يُؤتى بشـيئ مِـن المشـرق وشيئ مِن المغرب يلُون أمتي ، فالويل لضعفاء أمَّتي مـنهم والويـل

لهم مِن الله ، لا يرحمون صغيراً ، ولا يُوقِّرُونَ كبيراً ، ولا يتجاوزونَ عن مسيئ ، جُثثهم جثّة الآدميين ، وقلوبهم قلوب الشياطين ،

قال سلمان : وإنَّ هذا لكائن يا رسول الله ؟ قال : إي والـذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها يكتفـي الرجـالُ بالرجـال ، والنسـاءُ بالنساء ، ويُغَارُ على الغلمان كما يُغَارُ على الجارية في بيت أهلهـا ، وتشبَّه الرجال بالنساء والنساء بالرجـال ، ولَيـركَبْنَ ذواتُ الفـروجِ السروجَ ، فعليهنَّ مِن أمتي لعنةُ الله ،

قال سلمان : وإنَّ هذا لكائنٌ يا رسـول الله ؟ قـال ﷺ : إي والذي نفسي بيده يـا سـلمان ، إن عنـدها تُزخـرف المسـاجد كمـا تزخرف البيع والكنـائس وتحلَّـى المصـاحف ، وتطـول المنـارات ، وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة وألسن مختلفة .

قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسـول الله ؟ قـال ﷺ : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها تحلّى ذكـور أمَّتِـي بالـذهب ، ويلبسون الحرير والديباج ، ويتَّخِذون جلود النمور صفاقاً ،

قال سلمان : وإنَّ هذا لكائن يا رسـول الله ؟ قـال ﷺ : إي والذي نفسي بيـده يـا سـلمان ، وعنـدها يظهـر الربـا ، ويتعـاملون بالعينة والرشى ، ويُوضَعُ الدِّينُ ، وتُرفَعُ الدنيا ،

قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسـول الله ؟ قـال ﷺ : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها يكثر الطلاق ، فلا يقام لله حـدٌّ ولن يضرُّوا اللهَ شيئا ،

قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسـول الله ؟ قـال ﷺ : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعنـدها تظهـر القينـات والمعـازف ، ويليهم أشرارُ أمَّتِي ،

قال سلمان : وإن هذا لكائن يارسول الله ؟ قال ﷺ : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها تحجُّ أغنياء أمَّتي للنزهة ، وتحج أوساطها للتجارة ، وتحجُّ فقراؤهم للرياء والسمعة ، فعندها يكون أقوامٌ يتعلمون القرآن لغير اللهِ ويتخذونه مزامير ، ويكونُ أقوام يتفقَّهُون لغيرِ اللهِ ، وتكثرُ أولادُ الزنا ، ويتغنّون بالقرآن ، ويتهافتونَ بالدنيا .

قال سلمان : وإنَّ هذا لكائن يا رسول الله ؟ قال ﷺ : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، ذاك إذا انتُهِكَت المحارم ، واكتُسِبَت المآثم ، وتسلَّطَ الاشرارُ على الاخيار ، ويفشو الكذب ، وتظهر اللجاجة ، وتفشو الفاقة (الفقر) ، ويتباهون في اللباس ، ويمطرون في غير أوان المطر ، ويستحسنون الكوبة والمعازف ، وينكرون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذلَّ مِن الامة ، ويُظهِرُ قرَّاؤُهُم وعبَّادُهُم فيما بينهم التلاوم ، فأولئك يُدعَونَ في ملكوت السماوات الارجاس والانجاس ،

قال سلمان : وإنَّ هذا لكائن يا رسول الله ؟ قال ﷺ : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، فعندها لا يحض الغني على الفقير حتى أنَّ السائل يسأل فيما بين الجمعتين لا يصيب أحداً يضع في كفِّهِ شيئاً ،

قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟ قال ﷺ : إي والذي نفسي بيده يا سلمان ، عندها يتكلَّم الرويبضة ، فقال : وما الرويبضة يا رسول الله – فداك أبي وأمي – ؟ قال ﷺ : يتكلَّم في أمر العامة مَن لم يكن يتكلّم (أي ما لا صلاح فيه ولا قيمة) ، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى تخور الارض خورةً فلا يظنُّ كلُّ قومٍ إلا أنها

خارت في ناحيتهم (أي تكون ذات علامة شاملة للناس) فيمكثون ما شاء الله ، ثم ينكتون (كذا) في مكثهم ، فتُلقِي لهم الارض أفلاذ كبدها ذهباً وفضة (إشارة إلى الثروات الباطنيَّة في الأرض والتحويليّة أيضاً) ، ثم أومأ ﷺ بيده إلى الاساطين فقال مثل هذا ، فيومئذ لا ينفع ذهب ولا فضة ، فهذا معنى قوله : فقد جاء أشراطها[1] .

وكما ترى في النص تركيز على أمورٍ خطيرة كثيرة ، منها : إضاعة الصلاة ، واتّباع الشهوات المحرَّمة ، والميل إلى الأهواء مقابل الدِّين ، وتعظيم الناس على المال ، أي اعتبار المال قيمة التعظيم وميزان قيمة أشخاصِها ، فإذا كان ذلك كذلك باع الناسُ دينهم بدنياهم ، وبذلك يصبح المؤمن غريباً ، غربة دينِهِ وقيمِهِ ومفاهيم الشريعة ، فيذوب قلبه بجوفهِ إشارة إلى عدم قدرتِهِ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل تستِّره بإنكار المنكر ،

وأنَّ ذلك الزمان يكون بقيادة سياسيّة وأهل حكم يُروِّجون لمفاهيم وأهواء وغرائز تهتزّ لها السموات والأرض ، بحيث تكون بعيدةً كلَّ البعد عن قيم الإنسان والطبيعة والكون وضرورات الخلق . وصفة أهل الحكم آنذاك أنّهم أمراء جورة ، ووزراء فسقة ، وعرفاء ظلمة ، وأمناء خونة ، بدءاً من السلطة التشريعيّة ، وصولاً إلى السلطة التنفيذيّة ، وانتهاءاً بالسلطة الإداريّة والجهاز الحكومي العام ، ونزولاً إلى الأعراف والتقاليد .. على أنَّ بيئة ذلك الزمان ، من الناس وأشخاص القانون الخاص تكون على نحوٍ

---

[1] تفسير علي بن إبراهيم : جـ ٢ صـ ٣٠٧ /٣٠٢

منصرعٍ أمام الشهوات وقيم الأهواء والفعل الإباحي ، بحيث تنقلب القيم في ذلك العالم ، فيصبح المعروف في قيم الشريعة فاسداً منكراً بنظر الناس ، ويصبح المنكر بحكم الشريعة والكون والطبيعة معروفاً مطاعاً ، معمولاً بهِ ، مستأنساً إليه ..!

بهذا وغيره تنقلب القيم ، فيُؤتم الخائن ، في المقاعد النيابيّة والكراسي الوزارية ، والمؤسسات الدستوريّة ، وفي هياكل المجتمع المختلفة ، في حين يُخوَّن الأمين الصادق بدينِهِ وناموسه ، فينظر إليهِ بخسّةٍ وحقارة . ويُصدَّق الكاذب الذي يتبوّأ أعلى مقامات المجتمع بشتَّى معاني مؤسسات المجتمع من عامّة أو مؤسسات أهليّة ومدنيّة ، وعليه : يمكننا أن نقرأ في اليابان انّ جماعات تقوم بالإنتحار الجماعي والفردي عبر توصيات بالإنترنت كما حصل في تشرين أوّل ٢٠٠٤ ، حيث تمَّ الإعلان عن انتحار العشرات لغاياتٍ تتعلّق بجنون الحضارة ، وكبت الحقائق ..!

ثم يشير إلى معلمٍ آخر من صفات ذلك الزمن ، مؤكِّداً أنَّ من صفات ذلك الزمان أن تكون إمارة النساء ، ومشاورة الاماء ، وقعود الصبيان على المنابر ..

وبتعبيرٍ آخر : ذلك الزمان تنقلبُ فيه القيم وتتدمَّر مفاهيم الوظيفة ، وتتبدَّل أوصاف الحسن والقبيح ، وتتغيَّر معاني الإحسان والمعروف ، وتنهار صِيَغ الأخلاق ومعانيها . فيشيع اللواط والسحاق ، وتتعرَّى المرأة ، وتجد رزقها بفرجها والرجل في عورتِهِ ، يلازمُهُ ظهور المرأة ، المرأة من هذا الصنف التابع للأهواء ، فتكون لها الإمارة ، والظهور السياسي ، فتتابع

إصرارها على تحويل نُظُم الفرد والجماعة إلى ما تطمح إليهِ هياكل قيم تلك الجماعة البشريّة من إباحيّة وظلمٍ وفسادٍ وانحرافٍ وباطلٍ وترهُّلٍ وإنكار للشريعة ، وإصرار على تأكيد معالم الهوى وربوبيّة الدافع الغريزي كميزان للأشياء ونواحيها ..

ويؤكِّد انَّ الكذب يكون واحداً من عناوين وصفات زعامات وأفراد ذلك العالم ، في حين تكون الصدقة خسارة بنظرهم ، في عالمٍ يبدو عليه ميل هائل نحو التوحُّش بأشكالٍ متنوِّعة ، ومن أمثلة التنوُّع هذا أنَّ رجلاً ألمانيّاً[1] مصاب بمرض الأيدز أوضاعه الماليَّة جيّدة ، مارس الجنس مع ما يقرب من ٥٠٠ فتاة بين عمر ١٥ و١٧ سنة في تايلاند وأصابهم بفيروس الأيدز ..! كطريقة تعبير حضاري ..!

أمَّا عن توحُّش الأمم ..؟ يكفي فيها أنّ ٤٥ مليون إنسان يموتون كلَّ عام لأسبابٍ تتعلّق بالجوع والوجع ، بل في شهر تشرين أوّل ٢٠٠٤ تمَّ الإعلان عن انتحار الآلاف من الهنود بسبب الفقر الهائل الذي يصيبهم ، والذي زاد الأمور إلى نحوٍ كارثي عبر مرابين أوقعوهم في بحرٍ من الفوائد ، في عملية استيلاء على الأرض وغيرها .. والذي أثارني أنّ أكثرهم انتحر وعليه دين يصل إلى ١٩٠ دولار ..! على اعتبار أنّ هذهِ القيمة مهمّة في نظرهم لما هم عليهِ من فقرٍ مدقع ..

ثم يشير ﷺ إلى علامة تبدو – حسب لفتة النظر – جليّة ، حيث يطلع كوكب المذنَّب ، فيكون واحداً من علامات الكون عن تلك الفترة الخطيرة من مسيرة الإنسان ، وأنَّ ذلك يكون في زمنٍ تخرج فيه المرأةُ

---

[1] تمّ الإعلان عن ذلك في شهر تشرين أوّل ٢٠٠٤

المتعرية ، السافرة ، التي تجد تجارتها في فرجها ، فتشارك زوجها في الأسواق والإتّجار بالفرج والغريزة وغير ذلك ، في وقتٍ تتغيَّرُ فيهِ معالم الطبيعة ، فتمطر الأرض على قومٍ في غير وقتها ، وتتصحّر عليهم في أوقاتٍ من الضروري أن تُمطِرَهُم ،

في ذلك الزمن تتقارب الأسواق ، أي تتكاثر السلع من أنحاء الأرض ، فإذا دخلتَ سوقاً وجدت فيها سلعاً من أنحاءٍ مختلفةٍ من العالم ، وتقاربها يكون بطبيعة الحال عبر وسائل النقل السريعة التي تستطيع أن تحوِّل الأرض إلى قرية كونيّة صغيرة بفضل التكنولوجيا ، ويمكن ان يكون هذا المعنى ناظراً إلى أمرٍ آخر أيضاً وهو أنّه زيادة على ذلك تكون السلعة بلا حدود ، أي لا جمرك ، بين الدول أو هو جمرك رمزي أو استثماري ، هذا كلُّهُ ممكن أن يكون ضمن مورد النص ومعناه . فإذا كان ذلك كذلك ، تمَّ الإحتكار عبر قلَّة قليلة متوحّشة ، مثل الشركات الكبرى ، والمؤسسات العابرة التي تحتكر ثروة العالم ، فتبيع هذه الفئة القليلة سلعها ، فيما تكسد سلع الذي لا يحتكرون الثروة ولا يمتلكون المال ، سواء كانت سلعة وطنيّة أم أجنبيّة ، فلا تجد في ذلك الزمان إلا قائلاً : لم أبع شيئاً ، وآخر يقول : لم أربح شئياً ، فلا ترى إلا ذامّاً لله ..! منكراً لقيم الكون وضرورات الوجود ، ساخطاً على الله ..!

على أنَّ سمة الحكم آنذاك تكون على نحوٍ من جبرٍ سلطاني ، أي على القوم أن يطيعوا هذهِ القيم في السلوك والمفاهيم وإلا طالهم العقاب الجزائي عبر مؤسسات الحكم والمجتمع التي يليهم فيها أقوام إنْ تكلموا قتلوهم ، وإن سكتوا استباحوا حقهم .. ومع ذلك يستأثرون بفيئهم ويطؤون حرمتهم ، ويسفكون دماءهم ، ويملؤن قلوبهم دغلاً ورعباً .

فلا ترى الناس يؤمئذٍ إلا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين ..!

ثم يكون أمر آخر ، حيث تتحرَّك جحافل الأمم ، أمّة أو أمم مِن المغرب ، وأمّة أو أمم مِن المشرق ، يلون أمتي ، أي ينزلون بقوَّتِهم دار وبلاد المسلمين ، ويكون ويلهم الأعظم خاصّةً على ضعفاء أمَّة النبي (أهل الإسلام) ، فلا يرحمون صغيراً ، ولا يوقِّرون كبيراً ، ولا يتجاوزون عن مُسيئ . وحوش بجسم بشر : جثثهم جثة آدميين ، وقلوبهم قلوب شياطين . لا يشبعهم إلا الحقد والظلم والنهب والإضطهاد والدكتاتوريّة والإستعمار والقتل ..

ثم من علامات ذلك شياع جنس المثلين ، من ولاطٍ وسحاقٍ ، حيث يكتفي الرجالُ بالرجال والنساء بالنساء ، ويكثر الجنس مع الأطفال والصغار ، بحيث يُغار على الغلمان كما يُغار على الجارية في بيت أهلها .

ويكون البارز في ذلك العالم التعرّي والجنس والدعارة التي تُغرقُ الدنيا وتحوِّل العالم إلى نحوٍ من إباحية الجسد بأشكالٍ مختلفةٍ وهائلة . وها نحن اليوم في زمن عولمة الشاشة عبر الفضائيَّات نرى ما لا عين رأت بحيث تحوّلت الفتاة إلى مجرَّد قطعة من احتراف التعرِّي والإثارة في كل شيئ . بدءاً من كليبات كرستينا وبرتني سبيرز وبيونسي نولز ، وشاكيرا ، ومادونا ، وجينفير لوبيز ، اللواتي يمتهنَّ الرقص والغناء الإباحي بشكلٍ لا سابق له ، حتى انَّ مادونا لم تجد ما يعيد إليها شهرتها أمام أعين الرجال الغائرة إلا أن تقبِّل برتني سبيرز مباشرةً أمام ملايين المشاهدين تقبيلةً سحاقيّةً طويلة ..! في حين لم تجد جانيت جاكسون إلا تعرية ثدييها أمام أعين العالم ، فضلاً عن أدوار الإغواء الجسدي الهائل الذي يعتمد على

البصر والسمع والإخراج الفنّي الذي اخترق كلَّ حدود الأمن النفسي الجنسي . والمدهش أنَّ الغرب يؤكِّد انَّ أكثر المشاكل الأسريَّة وانحلال الأسرة يتأثّر بشكلٍ مباشر بنجمات الإغراء والغانيات المومسات ، وملكات الدعارة ، وفنانات الإثارة الجنسيّة ..! حتى أنَّ ملاعب التانس في انكلترا - وأيضاً يُناقش الأمر في اسبانيا - قرَّرت أن تستبدل الفتيات والفتيان التقليديين بعارضات أزياء متعرِّيات ، لا يرتدين إلا خيطاً ..!

والأكثر عجباً أنَّ شركات غربيَّة واسعة بدأت تضرب في الأسواق تعمد على تأجير فتيات للترفيه عند الجنائز ..! عبر فتيات جميلات لا يرتدين إلا خيطاً ، يقمنَ قرب الجنازة بالرقص والإثارة للترفيه وإبادة شبح الخوف والحزن ..!

وحين لم تجد الممثلة الأمريكيَّة الشهيرة اندرسون ما تربح عبره ملايين الدولارات قرَّرت أن تفتح موقعاً لها عبر الإنترنت للدعارة ، تمارس عبر الدعارة بشكلٍ احترافي ، على ان يكون ثمن بطاقة الدخول من السعر المميَّز جدَّاً ، وقد نجحت بشكلٍ باهرٍ في حصد الأموال عن هذا الطريق ..!

والأهم أنَّ في ذلك الزمن يتشبّه الرجالُ بالنساء والنساءُ بالرجال ، ليس في اللبس فحسب ، بل في السلوك والوظائف والخصائص المختلفة وصولاً إلى التحوُّل الجنسي . ويركبن ذوات الفروج السروج ، كناية عن خروج المرأة ورميها قوانين الضبط الأخلاقي وراء ظهرها وتحوُّلها إلى سلعة ترفيه وإباحة .. بل الإتّجار بالفرج والدعارة ، وركوب كلّ ما من شأنهِ أن يساهم في هذا المجال ، ما يعني خروجها السافر وسط عالم قائم على نحوٍ من إباحيّة الأشياء بميزان غريزي .. بحقٍّ هؤلاءِ قال ﷺ : عليهنَّ مِن

أمَّتِي لعنة الله . ويكون في ذلك العالم زخرفة المساجد ، وعمارتها من أجل السياحة والتراث ليس أكثر ، كما تُحلّى المصاحف لتصبح تراثاً زِيْنِيّاً ليس أكثر ، على انّ المنارات تكون طويلة ، والناس في المساجد كثر ، لكن بقلوبٍ متباغضةٍ وألسن مختلفة ، ونفوس فارغة من الدِّين ، عندها يكون لبس الزينة من ديباجٍ وحرير وذهب وغيره ، في عالمٍ يفشو فيهِ الربا ، ويكثر الحرام ، ويعوم على المعازف وحفلات التعرِّي وشرب الخمر ، وضرب القينات ، وآلات اللهو الباطلة ، في عالمٍ يحكم فيهِ شرارُ الخلق من امَّتي النبي ﷺ وغيرهم ، على انّ أمّة النبي تكون تحت وطأة أمّةٍ من الغرب وأمّةٍ من الشرق ،

وبذلك تنقلب العبادة إلى تجارة مع الأغنياء ، ورياء مع الفقراء ، يتباهون باللباس ، يتعرّون ، يُمطرون في غير أوان المطر ، يبخلون أشدَّ البخل في البذل والصدقة ، حتى أنّ الفقير يسأل من مال الله بين الجمعتين فلا يُعطى أبداً ..! على أنّ خلافاً بنشب بين القراء والفقهاء ، فيُظهرون بينهم التلاوم ، فمن خرج عن حقِّ اللهِ تعالى وأقام الأمر رياءً أو سمعةً أو خرج عن الشريعة فهم في السموات يُدعَون بالأرجاس ، وعندها يتكلم الرويبضة ، أي يحكم من ليس بأهل في الحكم ولا قيمة له في ذلك ، أي السفيه التافه ، الذي ليس من شأنِهِ أن يكون في مركز قيادة الجماعة والإجتماع .. وتخور الأرض ، تهتزّ ، تتضعضع ، في كلِّ ناحية ، ويحسب كلُّ قومٍ أنّها خارت عندهم ، فلا يرتدعون ، فيمكثون ما شاء الله ، ثم تلقي الأرض لهم بثرواتها الباطنيّة ، وبمعادنها الثمينة كما يستفاد من النصوص ، فيجيِّرونَها في سبيل شهواتِهم ونزواتهم دون أن يقول قائلٌ منهم : ربي الله ، فإذا كان ذلك كذلك ، فقد جاء أشراطُها ، وأذن اللهُ تعالى لبداية الختام

أن تظهر ، فيخرج المهديُّ عليه السلام وهو المُعَدُّ لإقامة العدل الإلهي في الأرض ، فيخوض غمرات الحروب ويطوي المسافات في طولها وعرضها حتى يعلن الأرض مهداً طيِّعاً بأهلهِ في كهنوت الأرض وملكوت السموات ..

مع التأكيد من جديد على أنَّ كثيراً من النصوص عبَّرت عن ساعة ما قبل ظهور المهدي عليه السلام بالساعة ، إشارة إلى قربِها أو سياق أمرِ المهدي عليه السلام كعلامة أبرز على قربِها .

وعليه : هناك أوصاف مساقة لتلك اللحظات أو ما قبلها من معالم تاريخ البشريّة المستقبلي ، لكن لما قبل نهاية التاريخ العام من اشواط البشريّة .

نعم لا بدَّ للخبير أن يفرِّق بين المعنى الإستعمالي والمعنى الوضعي في لسان النصوص بخصوص معنى الساعة ، فمرَّة ترد وهي تعني ما قبل ظهور الإمام عليه السلام تغليباً لعلامتِه على قربها ، ومرّةً يُراد منها الساعة الموعودة بتمام حقيقتها بلسان القرآن والنص .

ففي رواية أنس قال : قال رسول الله : « لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله الله »[1] .

ومعنى ذلك بضميمة الطوائف المتعدِّدة التي أشارت إلى أن أمّة ، أو طائفة ، أو جماعة يبقون على الحقِّ ظاهرين ، يدعون على سبيل اللهِ تعالى ، أنَّ أهل الإيمان قبيل ظهور المهدي عليه السلام يكونون قلّة ، في ظلِّ بحرٍ متطاول من أهل الفسق والفجور والباطل والعصيان الذين يشكِّلون الوجهَ

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ ص ٤٠٢ ح ٢٠٨٤٧

العـالم للعـالم ، ويحتلُّـون مراكـز الجماعـة والمجتمـع الـدولي : السياسـيّة والإقتصاديّة والنقديّة والأمنيّة والإجتماعيّة والأخلاقيَّة ، كمـا يُسـتفاد ذلـك من طيات النصوص الواضحة في هذه المعاني .

وفي حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : [لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجُّ البيت][1] . إشارة إلى قلّة أهل الإيمان . وهـل يُـراد مـن هـذا الـنص أنَّ الحج يُمنع أو يبطل وُفَّادهُ ؟ أقول : يستفاد من طائفة أنَّ الناس يبقـون علـى حجٍّ بيت الله تعالى ، مـنهم مَـن يحـجّ للتجـارة ، ومـنهم مـن يحـجّ للريـاء .. وقانون الجمع بين اللسانين أنَّ الحجَّ على ملّة إبـراهيم ومقاصـده يضـعف بشدّة ، بل يظهر الضعف في تعداد مَن يحجُّون . كلا النصين فيه إشارة إلى جهةٍ ما ، لكنَّ ما ورد في هذا المتن أبلغ في الدلالة على الانخفـاض الشـديد في عدد الوافدين إلى الحجّ ..

---

[1] أحمد : كما في سند الحاكم . * : البخاري : جـ ٢ صـ ١٨٣

تقارب الزمان وتكلّم الجماد قبل الساعة

وردت جملة من النصوص تشيرُ إلى مثل هذهِ المعاني ، وهو كما يدلّنا عليه ظاهرُ جملة من النصوص بفعل تطويع الأنظمة واستغلال نواميسها . على أنَّ التفسير الحرفي للمتن يعني بلوغ مرحلة من المفهوم الإعجازي الذي يُنطق الأشياء ، في حين حقيقة النصوص تتضمَّن الإشارة إلى معاني من تطويع الإنسان للأرض ونواميسها بطريقة استغلاليّة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ .. حَتَّىَ إِذَا أَخَذَت الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، يستفاد من هذه الآية – بضميمة طائفة من النصوص – أنَّ الإنسان هو صاحب المبادرة في التفتيش عن نواميس الأرض وكشفها وتطويعها واستغلالها . وتعبير : ﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾ ظاهر بشدَّة في هذا المعنى ..

وعليه : يبلغ الإنسان قبل ظهور الإمام عليه السلام وبعده مرحلةً من التقدُّم العلمي المدهش ، وكما في بعض أمثلة النصوص : يرى أهلُ المشرق أهلَ المغرب ويسمعون أصواتهم ، والعكس ، وتُطوى الأرض ، أي يصل الإنسان إلى مكتشفات (وسائل نقل) تطوي الأرض ، أي تسير بشكلٍ سريعٍ عليها ، ويسير فوق الغيم ، ويجلس في قبابٍ من نور . إشارة

واضحة إلى تطويع المادّة ورفعها في الجو ، بل في النصوص أنَّ جيش يأجوج ومأجوج يخوضون حرباً في الفضاء ، ينتصرون فيها على أمّة قويّة .. إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي وردت في النصوص وهي تشير إلى التطوُّر الكبير غير المنظور في ذهن الإنسان الماضي زمن صدور النص ، وهي دليلٌ إعجازيٌّ عظيم على قول النبيِّ والمعصوم ﷺ وبيان ما يستره عامل الزمان والمكان .

بل في النصوص ما يشير إلى اختزال عامل الزمان والمكان ، فما كان بحاجةٍ إلى سنة يمكن قطعة بالأدوات الحديثة بشهر . وما كان بحاجةٍ إلى شهر يمكن قطعه بجمعة . وفي هذا ورد أكثر من متن ، منها ما رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ، فتكون السنة كالشهر ، ويكون الشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كاليوم ، ويكون اليوم كالساعة ، وتكون الساعة كاحتراق السعفة الخوصة . زعم سهيل][1] .

ويمكنني أن أشير هنا إلى التطوُّر المهمّ على مستوى المواصلات الذي تمَّ عبر تطويع سفينة الفضاء - كما اطلقت عليها التسمية - من أجل رحلات سياحيَّة إلى الفضاء ، وفيما بعد بين قارات العالم ، وهي استطاعت أن تقطع المجال الجوي - الغلاف الجوي - وتخرج إلى الفضاء . المجال الجوي هو عبارة عن بعد عامودي في الفضاء مقدار ١٠٠ كيلو ، وقد وصلت السفينة إلى ١١٤ كيلو . ومعلوم انّ وسائل المواصلات في الجو اليوم تعتبر من أكبر الثورات التقنيّة ..

---

[1] أحمد : ج ٢ صـ ٥٣٨ /٥٣٧

وفي بعضها إشارة إلى تغيُّراتٍ تطرأ على الطبيعة ، ليس في الأرض بحسب ، بل في الأهلّة مثلاً ، كالإنتفاخ مثلاً ، وهل يُراد منه شيخوخة ما في هذهِ الأهلّة ، أو تطوُّر أدوات الإنسان في عمليّة اكتشافيّة تكون نحو الكون ..؟ يبدو المعنى الأوَّل أقرب إلى مفهوم النص . لكنّنا لسنا قادرين على تحديد كيف ومعنى الشيخوخة في تلك الأهلَّة . وبطبيعة الحال إنّما شيخوخة كلِّ شيءٍ بحسبِهِ ، وضمن نطاق طبيعتِهِ وكُنهِهِ .

فقد ورد عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : [من اقتراب الساعة انتفاخ الاهلة][1] .

وفي لفظٍ آخر عن أنس بن مالك رفعه إلى النبي ﷺ قال : [من اقتراب الساعة أن يُرَى الهلالُ قبلاً فيُقال : لليلتين ، وأن تُتَّخذ المساجد طرقاً ، وأن يظهر موت الفجأة][2] .

أمَّا موت الفجأة فتقريبُ معناه اليوم سهلٌ يسير حتى أنّ ١١ مليون يموتون كلَّ عام بشكلٍ مفاجئ فقط عبر أمراض القلب والشرايين ، فضلاً عن فجأة سبب الموت عبر الإيدز وغيره الذي يحصد كلَّ عام ما يقرب من ٥ مليون ضحيّة بسبب جريمة الصداقة والإباحيَّة الجنسيّة . اليوم ضحايا الأيدز يزيدون على ٩٠ مليون نسمة ..!

أمَّا اتّخاذ المساجد طُرُقاً ، فهو برأيي استعارة لغويّة للإشارة إلى واحد من إثنين أو لكليهما معاً : إمّا أن يستغلّها أهل الباطل والسلطان

---

[1] ابن أبي شيبة : على ما في الدر المنثور . * : الطبراني ، الكبير : ج ١٠ صـ ٢٤٤ حـ ١٠٤٥١ -

[2] الطبراني ، الصغير : ج ٢ صـ ١٢٩

والإنحراف لتكريس سلطانِهم ، وهذا دليل إضافي موجود في طائفة من النصوص تشير إلى استغلال الحكّام بمعونة بعض العلماء الذين ينحرفون ويتبعون الهوى للمساجد والقيم الدينيّة من اجل تكريس سلطنة القمع والإنحراف والهوى والباطل في ظلٍّ منفعتين : الأولى للحكام ، والثانية لوعّاظ السلاطين .. والمعنى الثاني الذي لا يتعارض مع المعنى الأوَّل بل هو مصداق من مصاديق المفهوم الكلّي للعبارة المستعارة ، هو أن يتحوّل المسجد طريقاً من طرقِ أهل الهوى في مجالاتٍ مختلفة سواء في السلطان أو المال والإتّجار والمنفعة . أو بتعبيرٍ آخر : استغلال المساجد للتقرُّب من الدنيا والإستفادة من تطويع مركز العبادة من أجل هذه المطالب والغايات . وقد ورد عندنا طائفة تشير إلى هذهِ المعاني .

وعليه : فالأقرب في هذا اللفظ حمله على نحوٍ من الإستعارة الإستعماليّة بلسان النص للإشارة إلى تلك الواردة في غيره من النصوص ..

ثم هناك طائفة تشير إلى تكلُّم الجماد وشبه ذلك قبيل ظهور المهدي عليه السلام ، وهي قطعاً ناظرة إلى تطويع الإنسان للأنظمة ، وأمثلتها في زمننا واضحة - ليست على سبيل الحصر بل على سبيل الإيضاح والتسهيل - مثل نطق هاتف الخليوي أو السيارة المبرمجة على الكومبيوتر أو الروبوتات والأقمار الصناعيّة وغيرها كثير ، وما يخفيه الزمن أكثر ممَّا يُظهره ، بل يبدو من عالمنا أنّه يقفز نحو هذا المجال من « تكنولوجيا الأشياء » التي تحاول أن تحاكي الإنسان والطبيعة . وعليه : أفاد تقرير للأمم المتّحدة (تقرير اللجنة الإقتصاديّة) تاريخ ٢٢ تشرين أوَّل ٢٠٠٤ أنَّ الروبوتات المستخدمة لاستكشاف كوكب المريخ ولحم أجزاء السيارات أو

لإزالة الألغام وغيرها ستصبح في المستقبل القريب ضروريّة في المنـازل . وجاء في التقرير الإقتصادي الخاص بأوروبا أنَّ نحو ١٠٣ مليـون روبـوت للأغراض الشخصيَّة أو المنزليّـة كانـت مسـتخدة فـي العـالم نهايـة ٢٠٠٣ ويتوقّع أن يرتفع هذا العدد إلـى ٨ ملايـين بحلـول ٢٠٠٧ . وتسـتخدم ٦٠٧ آلاف من هذهِ الروبوتـات للأعمـال المنزليّـة و٦٩١ ألفـاً للترفيـه . ويـراهن خبراء اللجنة الإقتصاديّة التابعة للأمم المتّحدة الخاصة بأوروبا على انتشار سريع للمكانس الكهربائيّة الآلية القادرة على التجوّل بحرية بين قطع الأثاث وتنظيف الأرضية بصورةٍ معمّقة دون ان يشـغلها إنسـان ، بالإضـافة إلـى غيرها في مجالاتٍ مختلفةٍ من التنظيم والطبخ وتسلق المباني ، والحراسة .. وهناك الروبوتات الدقيقة التي ارسلت إلى المريخ من قبل أمريكا وأوروبا ، بـل هنـاك طـائرات بـلا طيـار ، وأجهـزة كشـف وإنـذار ، أكثـر دقّـة فـي هذه المجالات ، واليوم الجديد من السيارات الجديدة مبرمج على النطق فـي مجالاتٍ مختلفة .. وما إشارتي هذه إلا مثال تقريبي ليس أكثر ..

وفي رواية عن أبي هريرة يذكر فيها كلام ذئبٍ .. ؟ وفي غيرها قـال النبي ﷺ : [إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة ، قد أوشك الرجـل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده][1] . إشـارة إلى تطور غير عادي وتقنيَّـة رفيعـة ، والمثـال التقريبـي اليـوم الكومبيـوتر

---

[1] عبد الرزاق : جـ ١١ صـ ٣٨٣ حـ ٢٠٨٠٨ - وأصل الرواية – التي تعاني من مشكلة في السند ، لكـن هنـاك ما يؤيدّ أصل أنّ الجمادات تتكلّم ما بين يدي الساعة - : عن أبي هريرة قال " جـاء ذئـب إلـى راعـي غـنم فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه ، قال صعد الذئب على تل ، فأقعى واستقر وقـال : عمـدت إلى رزق رزقنيه اللهُ أخذته ثم انتزعته مني . قال الرجل : تالله لئن رأيت كاليوم ذئباً يتكلم .. ثـم قـال النبـي صلى الله عليه وسلم : (إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة ، قد أوشـك الرجـل أن يخـرج فـلا يرجـع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده)

والكاميرات التسجيليّة والهواتف المحمولة والمنازل الذكيَّة التي بلغت اليوم مرحلة شديدة التطوُّر ، والأمثلة التقريبيّة اليوم أكثر من أن تُحصى عن تصوير الأشياء وإخبارها بحقيقة ما يجري وشبه ذلك ..

على كلٍّ حال : مِن القطعيات عندنا أنَّ عالم ما قبل ظهور مولانا المهدي عليه السلام يكون عصر متطوِّر ، في الأداة والتقنيّة ، التي تختزل عالم الزمان والمكان ، وتطوّع المادّة لتطير فوق الغيم ، وهناك الكثير الكثير ممّا ورد في مضامين النصوص والذي يشير إلى معالم تطويع الأنظمة آخر الزمان ، وما اسهل هذه المعاني في هذه الأيام ، وما ندري إلى أي مدى يتطوَّر مفهوم استغلال الأنظمة عند الإنسان ..

لكن من القطعي أنَّ ختام الأرض يكون عند مرحلةٍ شديدة التطوُّر ، يظن معها الإنسان أنّه قادرٌ على الأرض ، وذلك بسبب ما توصَّل إليه من تطويع واستغلال الأنظمة .. وقد قال تعالى : ﴿ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَت الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ..

عقوبة بعض المجرمين بالمسخ والخسف والقذف

ورد في النصوص ما يشير إلى هذه المعاني ، في حين ورد في القرآن أنَّ قوماً طغوا وتجبَّروا فمسخهم اللهُ تعالى قردةً وخنازير . وثبت بالنصِّ أنَّ هؤلاء عاشوا بعد مسخهم ثلاثة أيام ثم ماتوا لم يبقَ منهم أحد . وقد الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ ، فَقُلْنَا لَهُمْ : كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥/٢﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .. وقال تعالى : ﴿ قُلْ : هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ ؟ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ، أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ ﴾ .

وفي نصوص آخر الزمان ما يشير إلى هذا المعنى من المسخِ في طائفةٍ من الروايات . ففي رواية محمد بن عمر بن علي عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : [إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة ، حلَّ بها البلاء ، فقيل : وما هُنَّ يا رسول الله ؟ قال ﷺ : إذا كان المغنم دولاً ، والامانة مغنماً ، والزكاة مغرماً ، وأطاع الرجلُ زوجته وعقَّ أمَّه ، وبَرَّ صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الاصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم أرذَلَهُم ، وأُكرِمَ الرجلُ مخافة شرِّه ، وشُرِبَت الخمور ، ولُبِسَ الحرير ، واتُّخِذَت القينات والمعازف ، ولعنَ آخرُ هذه الامة أوَّلَهَا ، فليرتقبوا

عند ذلك ريحا حمراء أو خسفاً ومسخا][1] . وبسند آخر عن سهل بن سعد قال : [إنَّ في أمتي خسفاً ومسخاً وقذفاً][2] .

وفي رواية أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ وفيه : [.. وتعلَّم لِغيرِ الدِّين . وأدنى صديقَهُ وأقصى أباه ، وظهرت الاصوات ، وساد القبيلة فاسقُهُم . وظهرت القينات . وآيات تتابع كنظامٍ بالٍ قُطِعَ سلكُهُ فتتابع][3] .

وفي رواية قبيصة بن ذويب قال : قال رسول الله ﷺ : [.. ليكوننَّ مِن هذه الأمَّة قومٌ قردةٌ وقوم خنازير ، ولَيُصبِحُنَّ ، فيُقَالُ خُسِفَ بدارِ بني فلان ودارِ بني فلان ، وبينما الرجلانِ يمشيانِ يُخسَفُ بأحدهما . قالوا : يا رسول الله ، وبِمَ ذلك ؟ قال ﷺ : بشرب الخمور ، ولباس الحرير ، والضرب بالمعازف والزمارة][4] .

---

[1] الترمذي : جـ ٤ صـ ٤٩٤ بـ ٣٨ حـ ٢٢١٠

[2] ابن أبي شيبة : جـ ١٥ صـ ٤٢ حـ ١٩٠٦٠ - وعن أحمد : جـ ٢ صـ ١٦٣ بسند آخر عن نافع ، أن رجلاً أتى ابن عمر فقال : إن فلانا يقرؤك السلام ، قال : إنه بلغني أنه قد أحدث ، فإن كان قد أحدث فلا تقرأه مني السلام ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : وفيه " يكون في أمتي أو في هذه الامة ، وذلك في أهل القدر " .

[3] قال : قال أبو عيسى : وفي الباب عن علي ، وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . أمالي الشجري : جـ ٢ صـ ٢٥٥ ٢٥٤ كما في رواية الترمذي الاولى ، بسند آخر ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : وفيه : " والديباج . فلترقبوا . وخسفا ومسخا " . - وفيه أيضاً : حدثنا عبد الله بن نمير ، عن الحسن بن عمرو ، عن أبي الزبير عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ..

[4] قال أبو بكر : وحدثني عروة بن رديم قال : قال رسول الله إن الله تعالى يقول : أنا أرجف الارض بعبادي في خير ليالي ، فمن قبضت فيها من المؤمنين كانت له رحمة وكانت آجالهم التي كتبت عليهم ، ومن قبضت من الكفار كانت عذابا لهم وكانت آجالهم التي كتبت عليهم) . أيضاً : الحاكم : جـ ٤ صـ ٥١٥ بسند آخر عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : وفيه " . قوم . هذه الامة على طعام وشراب . فيصبحون قد مُسِخُوا . وليسخفن بقبائل فيها وفي دور فيها حتى يصبحوا فيقولوا : خسف الليلة ببني فلان ، خسف الليلة بدار بني فلان ، وأرسلت عليهم حصباء حجارة ، كما أرسلت على قوم لوط ، وأرسلت عليهم الريح

ورغم أنَّ هذا المتن لم يُحدِّد آخر الزمان ، لكن بضميمة ما ورد في طائفةٍ يُفهم من لحنها آخر الزمان . وفي بعض آخر صراحة كاملة أنَّ ذلك يكون في آخر الزمان ما قبل قيام الساعة . ما يعني انصراف هذه المعاني إليه ..

وفي رواية ثنا عن جعفر قال : أتيتُ فرقداً يوماً فوجدته خالياً فقلت : يا ابن أم فرقد ، لأسألنَّكَ اليوم عن هذا الحديث ؟ فقلتُ : أخبرني عن قولك في الخسف والقذف ؟ أشيئٌ تقوله أنت أو تأثره عن رسول الله ﷺ ؟ قال : لا بل آثره عن رسول الله ﷺ ، قلت : ومَن حدَّثَك ؟ قال حدثني عاصم بن عمرو البجلي ، عن أبي أمامة عن النبي ﷺ ، وحدثني قتادة عن سعيد بن المسيب ، وحدثني به إبراهيم النخعي أنَّ رسول الله ﷺ قال : [تبيتُ طائفة من أمتي على أكل وشرب ولهو ولعب ، ثم يصبحون قردة وخنازير ، فيبعث على أحياء من أحيائهم ريح ، فتنسفهم كما نسفت من كان قبلهم باستحلالهم الخمور وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات][1] .

وفي رواية أبي مالك الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ : [.. ليشربنَّ ناسٌ مِن أمتي الخمر ، يُسمُّونَهَا بغير اسمها ، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات (والقينات) ، يخسف اللهُ بهم الارض ويجعل منهم القردة والخنازير][2] .

العقيم . بشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير ، وقطيعتهم الرحم » . وقال " هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم لجعفر ، فأما فرقد فإنهما لم يخرجاه " .

[1] ابن حماد : صـ ١٧٢ -

[2] ابن ماجة : جـ ٢ صـ ١٣٣٣ بـ ٢٢ حـ ٤٠٢٠

وعليه : النصوص تقرُّ بهذهِ المضامين ، من الخسف والمسخ والقذف بالحجارة وجملة من العذابات الأخرى .. بل في النصِّ عن أبي سعيد الخدري قال : انَّ رسول الله ﷺ قال : [تكثر الصواعقُ عند اقتراب الساعة ، حتى يأتي الرجلُ القومَ فيقول : مَن صعقَ تلكم الغداة ؟ فيقولون : صعق فلان وفلان][1]

لكن ما المقصود هنا بالصواعق ؟ هل البرق والرعد أم أمر آخر هو القصف والقنابل والصواريخ وشبه ذلك ؟ كلا المعنيين وارد . في الأوّل الأمر يكون مردوداً إلى تغيُّرات بالطبيعة ، وهذا ما يقرُّ بهِ الخبراء اليوم من تغيُّراتٍ هالة ، بل تطوُّر في مفهوم الصواعق التي تضرب الأرض ، وأنَّ هناك تغيُّرات غير عاديّة أبداً في مجال المفهوم الطبيعي للماء والشتاء والصيف والدورة المائيّة الطبيعيّة بصورةٍ عامّة ..

في حين نقرأ - بمكان آخر من النصوص - أنَّ الترك يهلكون بالصواعق ، ويبدو - على الأغلب - هم شعبٌ من شعوب جمهوريات الإتِّحاد السوفياتي ، في حين هذا الإسم ينطبق على الترك المسلمين أيضاً ، لكنَّ أكثر النصوص منصرفة إلى الترك الكفّار ، وهم يتشكَّلون الآن من أكثر من دولة من جمهوريات الإتّحاد السوفياتي السابق .

فهل الصواعق التي يهلكون بها طبيعيَّة أم من فعل إنسان ..؟ وإذا كانت من فعل إنسان وهذا ممكن اليوم حسب التقنيَّة ، فهل هو توليد صواعق طبيعيّة أم يُراد بلسان النصِّ صواعق مدمِّرة . الأخير هو الأقرب في النصوص التي سنتوقّف عليها ، والتي تشير إلى الحرب والقتل وتُورِد

---

[1] أحمد : ج ٣ ص ٦٤

مثل هذهِ المعاني ، فيكون هذا من بابِ الإشارة بالكناية عن مدمِّرات آخر الزمان وأدواتِها ..

نعم يمكن الجمع بين الصواعق وبين ما ورد في القذف ، فإنّه ممكن ، كما يمكن حمله على غيرهِ من المعاني الناظرة إلى الأدوات المدمِّرة ، لكن مثل هذه الصيغ والعبارات الأقرب انّها محمولة على أمرٍ غير مردود إلى الإنسان .

وفي رواية أبي هريرة عن النبي قال ﷺ : [والذي بعثني بالحقِّ لا تنقضي هذه الدنيا حتى يقع بهم الخسف والمسخ والقذف . قالوا : ومتى ذاك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؟ قال ﷺ : إذا رأيت النساء ركبن السروج ، وكثرت القينات (المعازف) ، وشهدت الشهادات الزور ، وشرب المصلين (كذا) بآنية اهل الشرك الذهب والفضة ، واستغنى الرجالُ بالرجالِ والنساء بالنساء ، فاستنفروا أو استعدوا ، وقال بيده هكذا - فوضعها على جبهته يستر وجهه - (إشارة إلى قسوة المنظر ، من العذابات الجديدة) : خسفاً وقذفاً ومسخاً][1] ..

---

[1] ابن أبي الدنيا : على ما في الدر المنثور . ابن عدي ، الكامل : ج ٣ صـ ١١٢٥

النار التي تسوق الناس إلى المحشر

لقد ورد مثل هذا المعنى ، من دون تحديد تفاصيل لخريطة الإنسان والمراحل ، والإجراءات التي تتمُّ بها هذهِ الحالة .. وكلمة تسوقهم مقصود فيها بداية مراحل العالم الأخير الذي ينقسم إلى حقباتٍ كلّها تحت مفهوم أواخر الساعة . أقول : ذلك ورد ويشهد له أكثر من معنى . ومعنى جملة من النصوص انَّ فئة من اهل الشرِّ لا من أهلِ الخير يحشرون بتلك النار . امّا أهل الخير الذين يكونون في آخر دهر الدنيا يتوفّاهم اللهُ تعالى بأسهل وسائل الموت ، وان الله يكون راضياً عنهم ، فيُلقِّيهم الخير والرضوان ويمنع عنهم الخوف والويل وما هو في معناه ..

لكن يبقى بين أيدينا أمر رئيسي وهو أنّ طائفة واسعة من النصوص تحدَّثت عن زمن المهدي (عليه السلام) وأنَّه إذا خرج أقام الدنيا على خيرِ مقامٍ ، حيث ينشر العدل فيها ويمنع الظلم ، ويقيم سلوك الناس أفراداً وجماعاتٍ على نسق الدِّين ومعاني الإيمان . بل الثابت في النصوص أنَّ المهدي (عليه السلام) إذا خرج ملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ، وتمَّ حكمُ اللهِ على الأرض كلِّها ، فأين تلك الفئة من اهل الباطل والفساد التي تحشرها النار مذعورةً على المحشر ..؟

الجواب : ثبت أنَّ المهدي عليه السلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، فيكون النظام والإنتظام والحكم والإدارات والصيغة العامّة ومفاصل السلوك على الإسلام والإيمان ، لكن هل كلُّ الناس يعتقدون في قلوبهم ..؟ يبدو إذا أردنا أن نجمع بين هاتين الطائفتين أنَّ قسماً من الناس يبقون على باطن الكفر رغم تظاهرهم بالإسلام ، فهؤلاء الذين يُحشرون بالنار . ويؤكِّد هذا ما ورد في نصوص الدابّة التي تخرج في آخر الزمان قبل القيامة ، فتطبع على المؤمن بختم الإيمان وتسم الكافر بطابع الكفر ..

وعلى هذا يمكن الجمع بين هذهِ الطوائف من جهاتِها المختلفة ، وتكوين صورة ذات ترابط أفضل بين لسان النصوص .. ففي رواية أنس عن النبي صلى الله عليه وآله قال : [أوَّلُ شيئ يحشر الناس نارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب][1] . وكلمة « ناس » ليست مستغرقة للناس جميعاً آنذاك بضميمة مجموعة من النصوص فرَّقت بين الذين آمنوا والذين كفروا ، بل في نصوصٍ واضحة ان الذين يُحشَرون بالنار هم شرُّ خلق اللهِ تعالى .

على انّ النار وردت في النصوص بأكثر من صيغة ، وبعضها يشيرُ إلى معنى وزمن آخر . فبسند آخر عن كعب - لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله - قال : [.. يُوشك نارٌ تخرج باليمنِ ، تسوقُ الناسَ إلى الشام ، تغدوا إذا غدوا ، وتقيل إذا قالوا ، وتروح إذا راحوا ، تضيئ منها أعناق الابل ببصرى ، فإذا سمعت ذلك فاخرجوا إلى الشام][2] . أقول : هذا النص وما هو في معناه من المشكلات في ضميمة النصوص إلى بعضها ، إلا أن يُقال

---

[1] الطيالسي : صـ ٢٧٣ حـ ٢٠٥٠ -

[2] ابن حماد : صـ ١٧٧

هناك ناران . واحدة تكون زمن الأحداث والملاحم ، والثانية تكون زمن الحشر .. وهذا الكلام صحيح تشهد له النصوص .

وإذا أمكن هذا التفريق والترتيب - وهو ممكن ولازم - بين هذه الطوائف ، فيكون هذا النصُّ من العلامات المحدَّدة لأحداثٍ تاريخيّة تشيرُ إلى الفتن ومظاهرها .. خاصّةً أنَّ لحن النصِّ في الذيل يتبطّن مثل هذا المعنى ، وإلا ليس لهذا الأمر معنى في حقِّ الذين آمنوا الذين يتوفّاهم اللهُ تعالى بأعظم كرامة وتقدير بخلاف الكفَّار الذين يُحشرون بالنار خوفاً ورعباً ..

ولا أخفي أنّ بعض النصوص فيها تشويش ، كما في رواية أبي هريرة - ولم يسنده قال - : [.. تخرج نارٌ مِن المشرق ، وأخرى من قبل المغرب ، تحشرانِ بين أيديهم (القردة) تسيرانِ بالنهار ويكمنان بالليل حتى تجتمعا بجسر منبج][1] .

هذا النص فيه نوع تشويشي واضح . إلا أن يقال بأنَّ هذا المتن ناظر إلى فتن وعلامات تشير إلى الحروب والصدامات المختلفة بين جبهتين أو أكثر . ومع ذلك أقول : في المتن عجز واضح ..

وبسند آخر عن أنس عن النبي ﷺ قال : [.. أوَّلُ أشراط الساعة نارٌ تحشر الناسَ مِن المشرق إلى المغرب][2] . أكرِّر السؤال : هل هذه النار نتيجة فعل إلهي ، يكون آخر الزمان أم أنها نتيجة فعل بشري ناتج عن

---

[1] م . س .

[2] ابن أبي شيبة : جـ ١٤ حـ ١٧٨٣٦

حروب وصدامات ، فيكون من باب علامات آخر الزمان ووصف ما يجري فيه .. الإحتمال مفتوح على المعنيين رغم أني استظهر أنَّ مجموع نصوص وردت في هذا المعنى هي إشارة إلى فعلٍ بشري ، على صدام وحروب أو آية من الآيات في خضم أحداث آخر الزمن ، على انّ طائفة أخرى أشارت إلى نار المحشر الواردة في بعض النصوص خاصّة عند العامّة ..

وما ورد عن أبي ذر ربما يكون في هذا المعنى الذي أشرت إليه ، فقد قال : أقبل رسولُ الله ﷺ من سفرٍ ، فلما دنا مِن المدينة تعجَّل قومٌ على راياتهم ، فأرسل فجيئ بهم ، فقال : ما أعجلكم ؟ قالوا : أو ليس قد اذِنتَ لنا ؟ قال ﷺ : لا ، ولا شهت ، ولكنَّكُم تعجَّلتم إلى النساء بالمدينة . ثم قال : ألَا ليت شعري متى تخرج نارٌ مِن قِبَل جبل الوراق تضيئ لها أعناق الابل بروكاً إلى برك الغماد من عدن أبين كضوء النهار][1] . إشارة إلى زمن تاريخي واحداث وجبهات ، أو آية من الآيات في خضمّ تطوُّرات وأفعال حربيّة بين جبهات البشر في آخر الزمان ..

كما لا أستبعد أن يكون ما رواه أنس في هذا المعنى فقد قال : انَّ عبد الله بن سلام سأل النبيَّ ﷺ : ما أوَّلُ أشراط الساعة ؟ فقال ﷺ : [أخبرني جبرئيل عليه السلام آنفاً أن ناراً تحشرهم مِن قبل المشرق][2] . ومن له دراية في استعمالات أشراط الساعة بنصوص آخر الزمان يستقرب معنى أن يكون ذلك نظراً إلى خضم الأحداث في آخر الزمن ..

---

[1] م . س .

[2] م . س .

وما يؤكِّد ذلك ما رواه مكحول قال : قال عمر : أيُّها الناس ، هاجروا قبل الحبشة ، تخرج مِن أودية بني علي نار تُقبِلُ مِن قِبَلِ اليمن تحشرُ الناس ، تسير إذا ساروا ، وتقيم إذا قاموا ، حتى أنها لتحشر الجعلان حتى تنتهي بهم إلى بصرى ، وحتى أنَّ الرجل لَيَقَع فيقف حتى تأخذه][1] . هذا ناظر إلى حشرٍ محدَّد ، وكأنه في زاويةٍ من الأرض ، يطال فئةً ببقعةٍ ما من الأرض ، غير ما قد يُستفاد من غيرهِ أنَّه لسان شامل للناس كلِّهم من البقاع كلّها التي يكون فيها كَفَرة مثلاً .. وهذا يؤكِّد لي طابع هذا الصنف من النصوص واشاراتِهِ إلى مورد محدَّد من خضم الحروب أو آية من الآيات في تلك اللحظة التي تتصادم فيها الجبهات آخر الزمان .. وإلا ما معنى أن يوصّيهم بالتنحّي من تلك المنطقة بالذات .!

وفي المرسل عن عمر قال : [لا تقوم الساعة حتى يسيل وادٍ مِن أودية الحجاز بالنار يضيئ أعناق الابل ببصرى][2] .

نعم يشهد للمعنى الأوّل : أي النار التي تحشر الناس – الكفرة فقط – ما رواه الضحاك في قوله : ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ﴾ قال : [نارٌ تخرج من قبل المغرب تحشر الناس حتى أنها لتحشر القردة والخنازير تبيت حيث باتوا وتقيل حيث قالوا][3] .

لكن ربَّما يخالفهُ ما رواه ابنُ عمر : وفيه : [ستخرج نارٌ قبل يوم القيامة من بحر حضرموت ، تحشر الناس ، قالوا : يا رسول الله فما

---

[1] م . س .

[2] الفردوس : ج ٥ ص ٨٩ ح ٧٥٥١

[3] م . س .

تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام][1] . فإنّه يشيرُ إلى لحظة عذابٍ محدَّدة ، ربّما لا تطاوعها العبارة للإشارة إلى الحشر بالمعنى المعروف لدينا من قبل قيام يوم الساعة ، لكنَّ ذلك لا يأبى أن نحمّل هذا المعنى عبر مفهوم الكناية والإستعارة ..

أكرِّر : ألفاظُ النصِّ في مجال الإستعمال والإستعارة لا تأبى شمول المعنى الآخر ، وهو معنى الحشر بالصيغة المعهودة بحشر الناس إلى يوم القيامة ، ويشهد لها طائفة من النصوص ، فقد ورد عن عبد الله بن سلام نص فيه : .. [أمَّا أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب][2] .

وأورد الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : [تبعث نار على أهل المشرق ، فتحشرهم إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ، يكون لها ما سقط منهم وتخلف ، تسوقهم سوق الجمل الكسير][3] . وقال : « هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه » .

وفي الدر المنثور قال : وأخرج ابن أبي شيبة ، والبخاري ، وابن مردويه عن أنس أنَّ عبد الله بن سلام قال : يا رسول الله ، ما أوَّلُ أشراطِ الساعة ؟ قال ﷺ : [نارٌ تحشر الناسَ مِن المشرق إلى المغرب][4] .

---

[1] م . س .

[2] م . س .

[3] : ج ٤ صـ ٥٤٨ بسند آخر ،

[4] ج ٦ صـ ٦٢

والمعتمد الأقرب لديَّ أنَّ بين النصوص بيان من جهاتٍ محدَّدة عالجها النصُّ ، بعضها يشيرُ إلى أحداثٍ تجري آخر الزمان ، من بينها علامة النار التي تحشر الناس بصيغة تكون سبب في هروبهم ، وبعضها وارد بلسان ما يحشر الكفرة يوم القيامة إلى المحشر ، بضميمة ما ورد بخصوص الكفرة في طائفةٍ أخرى سنراها فيما بعد إن شاء اللهُ تعالى ..

وهنا أحبُّ أن أشير إلى انَّ نصوص حشر الكفرة ورد أحياناً ببعض النصوص على شكل أنَّ الله يبعث أوّلاً بريحٍ طيّبة ، تأخذ المؤمنين ، فيبقى الكفرة ، فيبعث عيلهم ناراً تسوقهم إلى المحشر ..

أقول خصوص هذا المعنى لا يأبى الجمع مع النصوص . لكنَّ بعض المتون من تلك النصوص فيها تشويش في مقام الدلالة والإستيعاب .. من هنا كان لا بدّ من إيراد هذهِ الجهات المختلفة بجهاتِها المتعدّدة ، في محاولة جمع بين النصوص ..

الريح الطيبة بين يدي الساعة

من معالم آخر الزمان أنَّ اللهَ تعالى يبعث ريحاً طيّبة تسوق الذين آمنوا إلى الموت . أي إلى المحشر . وهي نصوص واردة إلى آخر الزمان ، وبعضها وارد بالخصوص إلى آخر حلقات ذلك الزمان .. إلا أنّ مشكلة هذه النصوص أنّها لا تخلو من عيبٍ في أسانيدها . إلا على قول الذين قالوا بالموثّقيَّة النوعيّة لقبول الأخبار ..

ولو تنزَّلنا عن ذلك ، فإنَّ في متنها شائبة الإضطراب بعض الأحيان ، رغم أنَّ في بعضها فقراتٍ يؤيِّدها علامات وصفات آخر الزمان ، مثل عبادة العزّى وانحراف الأمم وشبه ذلك ، لكنّه وارد في خضم زمان الفساد وطغيان البلاد ، لا زمن المهدي عليه السلام .. فقد ورد في رواية أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبدُ اللاتُ والعزَّى . فقلت : يا رسولَ الله إنْ كنتُ لأظنُّ حين أنزل الله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ أنَّ ذلك تاماً . قال صلى الله عليه وآله : إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يبعث الله ريحاً طيِّبة فتوفِّي كلَّ مَن في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم][1] .

---

[1] مسلم : ج ١ ص ١٠٩ ب ٥٠ ح ١٨٥

أقول : مِن المقطوع فيهِ إستناداً إلى جملة من النصوص أنَّ اللهَ تعالى يتوفَّى الذين آمنوا زمن المهدي ﷺ بعد عالميّة الحكم بالإسلام في ختام هذه الأرض بعد مدّة طويلةٍ من عيش الأنام في رغد الإسلام . يتوفّاهم بطريقةٍ مباركةٍ في ظلِّ نعمٍ مباركة لا خوف فيها ولا وجل ، بخلاف الذين ظلموا ، هذا على نحو انَّ في هؤلاءِ ظالمين يخفون الأمر في نفوسهم ، وهذا ما تشهد له طائفة ، منها ما ورد في دابّة الأرض التي تظهر ذلك وتطبع بهِ وجوههم ..

وهل هذا التتابع في مرحلةٍ واحدة ، أي يبعث اللهُ الريح الطيبة للذين آمنوا فيتوفَّاهم ، ثم يبعثُ اللهُ ناراً من المشرق تحشر الناس إلى المغرب وهم شرارُ الخلق ..؟

يبدو من السياق : التتابع ، ووحدة المرحلة ، إلا أن يُقال كما في بعض المتون أنَّ هؤلاءِ يعيثون في الأرض فساداً فيكون الأمر من باب مرحلةٍ أخرى لا نفس المرحلة ، فيبعث اللهُ عليهم النار لتسوقهم إلى المحشر ..

وفي نصٍّ آخر أيضاً عن أبي هريرة قال : قال رسولُ الله ﷺ : إنَّ اللهَ يبعثُ ريحاً مِن اليمن ، ألينُ مِن الحرير ، فلا تدع أحداً في قلبه - قال علقمة - مثقال حبَّة . وقال عبد العزيز : مثقال ذرَّة مِن إيمان إلا قبضته . وفي لفظٍ آخر : « تجيئ ريحٌ بين يدي الساعة فيقبض فيها روحُ كلِّ مؤمن »[1] . إشارة إلى ختام شوط أهل الإيمان . ببعد النظر عن ختام أهل

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٨١ حـ ٢٠٨٠٢ - أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن نافع ، عن عياش بن أبي ربيعة قال : سمعت النبي ﷺ : * : ابن حماد : صـ ١٦١ ..

الفساد الذين حدّدت نصوص أخرى بيان خصوصيّة موتِهم واندحارهم وحشرهم بنارٍ جبّارة تحشرهم من المشرق إلى المغرب ..

وفي رواية كعب قال - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - : [بينما هم يقتسمون غنائم القسطنطينية ، إذا يأتيهم خبر الدجال ، فيرفضون ما في أيديهم ثم يقتلون فيلحقون ببيت المقدس فيصلّي خلف مَن يلي أمر المسلمين . ثم يوحي اللهُ تعالى إلى عيسى بن مريم عليه السلام أن يسير إلى يأجوج ومأجوج ، ثم يرجع إلى بيت المقدس . ثم إنَّ الارض تُخرِجُ زكاتها على ما كانت في أوّل الدنيا ، ثم يلبث سبعاً ، ثم يبعث الله ريحاً فيقبض أرواح المومنين][1] .

وفي لفظ آخر يضيف كعب - ولم يسنده أيضاً إلى النبي ﷺ - : [يبعث عيسى عليه السلام طليعة إلى الحبشة الذين يريدون البيت حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله ريحاً يمانية طيبة ، فيقبض فيها روح كل مؤمن ، ثم يتسافد الناسُ في الطرق . فمثل الساعة كمثل رجل يطوف على فرسه ينتظر متى تضع ، فمن تكلف بعد علمي هذا شيئا فهو متكلف][2] .

أوّل ما يلفت نظري في هذين المتنين أنّهما حديثان في سياق متتابع ، وكأنَّ الثاني يتابع ما توقّف عنه الأوّل ، لكنَّ اللافت فيهما محاولة التركيز على النبي عيسى عليه السلام دون ذكر للمهدي ، وهذا ما لاحظناه في الإسرائيليات ، التي رواها قومٌ من اليهود الذين أظهروا الإسلام وأرادوا الدس والتشويه عبر طريقتهم هذه ، أو عبر مَن تأثَّر بكعب وجماعتِهِ

---

[1] ابن حماد : صـ ١٦١ أبو أيوب ، عن أرطأة ، عمن حدثه ،

[2] صـ ١٦٩ عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن أبي الضيف ،

ولازمهم مدّة وروى عنهم .. فلا بدَّ من هذهِ الملاحظة ، فقد وجدنا هؤلاءِ يُبدِّلون ذكر المهدي عليه السلام أو يخفون إسمه ، رغم أنّهم يعترفون بهِ وباسمه وأنّه صاحب آخر الزمان ، لكنّهم يحاولون تغليب ذكر عيسى بن مريم عليه ..!

وإنّما أوردت هذهِ الملاحظة حتى يكون القارئ على بصيرةٍ من بعض المتون ، لأنه ليس كلّ قارئ خبير بالحديث والرواية ومتونها وما يجري فيها ومن ينقلها وأنماط النقل والتأثيرات العامّة ..

وفي هذا المجال أشير إلى أنَّ الذي يصلّي خلفه عيسى بن مريم عليه السلام وثبت بالنصوص الكثيرة هو المهدي عليه السلام ، وقد حاول النصَّان إخفاء إسمه واكتفى بالقول انّه فيصلي خلف مَن يلي أمرَ المسلمين ، دون ان يذكر المهدي عليه السلام ، فيما تذكره النصوص الأخرى بكثرةٍ وافرة ..!

وعن آخر لحظات المؤمنين في هذهِ الأرض يشير نص لكعب رواه - دون أن يسنده إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله - فقال :

[إذا قتل اللهُ يأجوج ومأجوج ، فبينما الناس كذلك إذ جاءهم الصراخُ أنَّ ذا السويقتين قد غزا البيت يريده ، فيبعث عيسى بن مريم عليه السلام طليعة سبع مائة أو بين السبعمائة والثمانمائة ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله ريحاً يمانية طيِّبة ، فتقبض روحَ كلِّ مؤمن . ثم تبقى عجاج من الناس ، يتسافدون كما يتسافد البهايم ، فمثل الساعة مثل رجل يطيف حول فرسه ينتظر حتى تضع][1] .

---

[1] الطبراني : على ما في الدر المنثور .

أقول : هذا النصُّ غير مسند أوّلاً ، وثانياً لو صحَّ فهو أكثر تفصيلاً من غيرهِ ، فالطوائف الأولى تشير إلى أنَّ اللهَ يبعثُ ريحاً يقبض بها أرواح المؤمنين ، في حين هذا النص يُبيِّن الظرفَ الذي يقبض اللهُ به أرواح المؤمنين .. لكن تبقى فيهِ شائبة وهي أنّ النصوص الكثيرة التي تكفّلت بيان مرحلة ما بعد يأجوج ومأجوج لم تشر إلى الحدث المتجدِّد بعد مقتلهم . ثم السند غير سليم ..

ومهما يكن من أمر ، فقد وردت نصوص تشيرُ إلى أنَّ الله يقبض روح المؤمنين بريحٍ طيّبةٍ يكرمهم اللهُ بها ، فقد ورى حذيفة بن أسيد الغفاري قال : قال رسول الله ﷺ : [تجيئ الريحُ التي يقبض اللهُ فيها نفس كل مؤمن ، ثم طلوع الشمس من مغربها ، وهي الآية التي ذكرها الله عزَّ وجل في كتابه][1] . لكنَّ مشكلة هذا المتن أنَّهُ يقلب الآيتين ، فطلوع الشمس من مغربها يكون بين يدي ظهور المهدي عليه السلام . وفي النصوص الكثيرة أنّه من العلامات القريبة من ظهورِ المهدي . إلا أن يُقال أنّ هناك طلوعين وغروبين ، وهذا لم يثبت ، فيكون الراوي قد خلط ، وهذا من عيوب الرواية ..

نعم ورد عن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : [إنَّ للهِ ريحاً يبعثها على رأس مائة سنة تقبض روحَ كلِّ مؤمن][2] . وقال : « هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه » . لكنّه مجمل في بعض نواحيه ، وغير مفهوم أيُّ مائة .. وهو بطبيعة الحال كغيرهِ من النصوص الواردة أعلاه ، فيه

---

[1] الحاكم : ج ٣ صـ ٥٩٤ بسند آخر ،

[2] وفي : ج ٤ صـ ٤٥٧

إجمال إلى حدّ التشويش في بعض الأحيان . لكنَّ الرواية لـو صـحَّ سـندها تعني تأكيد الأصل الذي مفاده بعث الريح الطيّبة ببعد النظر عن التفاصيل ..

ما بعد المهدي عليه السلام

الثابت عند المسلمين جميعاً أنَّ المهدي عليه السلام الذي يخرج في آخر الزمن - وهو من ذرية رسولِ اللهِ وولده عليٍّ وفاطمة - يخرج في زمنٍ يملأه الظلم والفساد ، فيملأ اللهُ تعالى على يديه الأرض قسطاً وعدلاً ، هذا ما يتّفق عليه الفريقان .. ويختلف السنّة والشيعة في مدّة حكم الإمام المهدي عليه السلام ، فالمشهور عند السنّة عبر أحاديثهم أنَّ مدة حكمه عليه السلام تكون قليلة ، وأنه يخرج في زمنه أو بعده الدجَّالُ فيقتله عيسى بن مريم عليه السلام ، وكأنَّ قيادة المسلمين تكون بيد عيسى بعد المهدي عليه السلام ، أو يكون هو معه .

ثم يكون خروج يأجوج ومأجوج الذين يشكّلون جيشاً ضخماً ويخوضون معارك مختلفة مع غير المسلمين وينتصرون عليهم ، فإذا أرادوا قتال المسلمين وتوجّهوا نحوهم ، نصر اللهُ المسلمين عليهم بآيةٍ من آياتِهِ الإعجازيّة . ثم تظهر دابة الارض وبقية أشراط الساعة ، ويكون آخرها نار تسوق الناس إلى المحشر وريح طيبة تقبض أرواح المؤمنين . ويوجد في روايات المصادر الشيعية ما يشبه ذلك لكنّه قليل .

امَّا المتحصِّل من الأحاديث المشهورة عند الشيعة أنَّ عصور دولة الإمام المهدي عليه السلام التي يكون على رأسها الإمام عجل الله فرجه تطول ، ثم يتحقَّق الأمر الآخر ، وهو الرجعة ، فيحكم النبي والائمة عليهم السلام الذين يرجعون إلى

الحياة الدنيا زمن المهدي (عليه السلام) أو بعده (عليه السلام) ، يحكمون مدداً طويلة على رأس الدولة العالميّة التي يرسيها الإمام (عليه السلام) .

كما ثابت في نصوصهم (عليهم السلام) أنَّ نزول عيسى بن مريم يكون في زمن المهدي (عليه السلام) . وهو يكون بمثابة وزير دفاع جبهة المهدي (عليه السلام) ، وإنه يبقى مدة غير طويلة ويتوفَّى - بعض النصوص تقدِّره بأربعين سنة - وأنَّ الدجَّال يخرج في زمن المهدي (عليه السلام) فيقتله المهدي (عليه السلام) . ثم تكون بقية الاحداث الواردة في مصادر السنة مع تفاوت في تسلسلها وتفاصيلها .

وقد روى ابن حماد أربع روايات غير مسندة إلى النبيِّ (صلى الله عليه وآله) فيما يكون بعد المهدي (عليه السلام) ، يبدو عليها الإضطراب ، مضافاً إلى أنها مقطوعة غير مسندة فهي تخالف المشهور من روايات الفريقين . وهي تشير إلى أنّه إذا توفِّي المهدي (عليه السلام) ساد الفساد في الأرض ، وعمَّ الهرج والمرج . في حين نصوص أهل البيت (عليهم السلام) تشير إلى أنَّ دولة الإمام (عليه السلام) تطول ، ويحكم بعدهُ أهل الرجعة من النبيِّ والأئمّة الأطهار (عليهم السلام) . وما أورده ابن حماد هو التالي :

عن دينار قال : بلغني : - ولم يسنده إلى النبي (صلى الله عليه وآله) - [انَّ المهدي (عليه السلام) إذا مات ، صار الامر هرجاً بين الناس ، ويقتل بعضُهُم بعضاً ، وظهرت الأعاجم ، واتَّصلت الملاحم ، فلا نظام ولا جماعة ، حتى يخرج الدجال][1] . وعن كعب قال : - ولم يسنده إلى النبيِّ (صلى الله عليه وآله) - [يموتُ المهدي (عليه السلام) موتاً ، ثم يلي الناس بعده رجلٌ مِن أهل بيته ، فيه خيرٌ وشرٌّ ، وشرُّهُ أكثر مِن خيره ، يُغضِبُ الناسَ ، يدعوهم إلى الفرقة بعد الجماعة ،

---

[1] ابن حماد : صـ ١٠٤

بقاؤُهُ قليلٌ يثور به رجلٌ من أهل بيته فيقتله ، فيقتتل الناسُ بعده قتالاً شديداً ، وبقاءُ الذي قتله بعده قليل ، ثم يموت موتاً ، ثم يليهم رجلٌ من مضر من الشرق ، يكفِّرُ الناسَ ويُخرِجُهُم من دينهم ، يقاتل أهلَ اليمن قتالاً شديداً فيما بين النهرين ، فيهزمُه اللهُ ومن معه] . وقال أيضاً : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص - ولم يسنده إلى النبي - [بعد الجبابرة الجابر ، ثم المهدي ، ثم المنصور ، ثم السلم ، ثم أمير الغضب ، فمن قدر أن يموت بعد ذلك ، فليمت] .

وعن عبد الله بن عمرو قال : - ولم يسنده أيضاً - [ثلاثة خلفاء كلُّهم صالح ، عليهم تفتح الارضين (كذا) أوَّلُهُم جابر ، والثاني المفرج ، والثالث ذو العصب ، يمكثون أربعين سنة ، لا خير في الدنيا بعدهم] .

وعنه أيضاً دون إسناد إلى النبيِّ ﷺ - قال : [يكون بعد الجبارين الجابر ، يجبر الله به أمة محمَّد ﷺ ، ثم المهدي ، ثم المنصور ، ثم السلام ، ثم أمير العصب][1] .

والمُحَصَّل من هذه النصوص الضعيفة والمردودة أنّه بعد المهدي عليه السلام يحكم رجلٌ يفسد ويضطَهِد ، ويعيث في الأرض فساداً .. إلا انَّ هذه الطائفة غير المسندة إلى النبيِّ تخالف المشهور المعتبر عند الفريقين من السنّة والشيعة ، وبالتالي غير معتبرة أبداً .

---

[1] وفي : صـ١٦٦ حـ٨ عن عرف السيوطي بتفاوت يسير ، وفيه " . أمراء . الارض كلها . صالح الجبابرة " .

ضرورة وجود الامام في كلّ عصر[1].

من الثابت عند الفريقين من السنّة والشيعة أنّ المهدي هو الإمام الأخير ، الثاني عشر من الأئمة الذين قال بهم النبيُّ ﷺ : الأئمّةُ من قريش إثنى عشر . على هذا أجمع علماء الإسلام كلّهم . بل في طائفةٍ واسعةٍ من النصوص أنَّ الأرض لا تخلو من الحجّة ، وأنّ لكلّ زمانٍ إمام .. وقد روى زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية ، ومن نزع يداً مِن طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له][2].

فهذا النص يقرِّر بالإضافة إلى غيرهِ انّه لا بدَّ من إمام ، وأنَّ الإمامة تجري مجرى الأنام ، فكلّما كان بشر كانت إمامة ، وإمَّا هي ظاهرةٌ مشهورة ، أو مغيّبة مستورة . وفي رواية عبد الله بن عامر ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : [من مات ولا طاعة عليه مات ميتة جاهلية ، ومن خلعها بعد عقده إياها فلا حجة له][3]. إشارة إلى وجوب البيعة والطاعة ، وهي موكولة بضميمة ما ثبت من نصوص إلى أئمّة إثني عشر نصَّ عليهم النبيُّ ﷺ وبيَّنهم ، وآخرهم المهدي عليه السلام الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ

---

[1] وهي عبارة عن الاحاديث الدالة على ضرورة وجود الامام في كل عصر من مصادر الفريقين ، لانّها على علاقة مباشرة وغير مباشرة بموضوع الامام المهدي عليه السلام .

[2] الطيالسي : صـ ١٢٥٩ حـ ١٩١٣

[3] ابن أبي شيبة : جـ ١٥ صـ ٣٨ حـ ١٩٠٤٧

الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً .. وفي رواية ابن ربيعة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : [مَن مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية ، فإنْ خلعها مِن بعد عقدها في عنقه لقي الله تبارك وتعالى وليست له حجة][1] . وقال : قال الحسن : بعد عقده إياها في عنقه .

وعلى كلٍّ حال : ثبت بنصوص النبيِّ ﷺ أنَّ على كلِّ مسلمٍ بيعةً لا يجوز أن ينكل عنها ، وانّها خاصّة بالإمام من أهل الحق ، أي في واحدٍ من الأئمّة الذين نصَّ عليهم النبيُّ ﷺ بعده ، وعدَدُهم مثل عدد أسباط بني إسرائيل (١٢) وحواريي عيسى بن مريم عليه السلام إثنا عشر . وأنَّ المهدي آخرهم .

وبسندٍ عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ : [من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية][2] . وقال : [قال أبو حاتم : قوله ﷺ : « مات ميتة الجاهلية » معناه : مَن مات ولم يعتقد أنَّ له إماماً يدعو الناسَ إلى طاعةِ اللهِ حتى يكون قوامُ الاسلامِ به عند الحوادثِ والنوازلِ مقتنعاً في الانقيادِ على مَن ليس نعته ما وصفنا مات ميتة جاهلية][3] .

أي لله تعالى على كلِّ إنسانٍ مهما كان واين كان ومن أي زمن نزل عليه أن يكون مبايعاً لإمام ، إمام نصَّ عليه النبيُّ وحدَّده ، وخلفاءه ﷺ بعده بإثني عشر إماماً آخرهم المهدي عليه السلام .. نعم حاول بعضهم أن يطبِّقَهُ على أي حاكمٍ كان ، فكان يُعطي البيعة لأيّهم ..! وهذا خلاف النصوص

---

[1] أحمد : ج ٣ ص ٤٤٦

[2] ابن حبان : ج ٧ ص ٤٩ ح ٤٥٥٤

[3] ابن حبان : ج ٧ ص ٤٩ ح ٤٥٥٤

الثابتة والقطعيَّة . بل ورد في بعضهم أنَّ عبد الله بن عمر وبعدما طلبه الحجَّاج بن يوسف الثقفي وخشي على نفسه الموت إنْ لم يبايع جاء ليبايع ، فوجد الحجّاج وهو يأكل ، فقال له امدد يدك أبايعك ، فقال له الحجّاج لماذا تريد أن تبايعني ؟ قال ابن عمر : اني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : [من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية] . فمدَّ الحجّاج قدمه وقال بايعها ، ثم نظر إلى ابن عمر وقال له : أين كنت من علي بن أبي طالب ، لم تبايعه ، وهو إمام . وأضاف : إنّما جئت تبايع خوفاً من الموت .. وعلى كلٍّ حال : نقرأ في حقبات التاريخ مَن حاول أن يطبِّق الأمر بشكلٍ غير دقيق خشيةً من موتٍ أو طمعاً في دنيا ، في حين النصوص حدّدت الأئمّة وعيَّنتهم كما أشرنا إلى ذلك سابقاً ، ونصوص تحديدهم رواها الفريقان من السنّة والشيعة ، وهم الأئمّة من اهل البيت الذين يبدءون بعلي بن ابي طالب وينتهون بالمهدي عليه السلام ..

وفي رواية أمية بن محمد بن عبد الله بن مطيع أنَّ عبد الله بن مطيع أراد أن يفرَّ مِن المدينة ليالي « فتنة يزيد بن معاوية » ، فسمع بذلك عبد الله بن عمر ، فخرج إليه حتى جاءه قال : أين تريد يا بن عمِّ ؟ فقال : لا أُعطيهم طاعةً أبداً ، فقال : يا بن عم ، لا تفعل فإني أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : [مَن مات ولا بيعة عليه مات ميتة جاهلية][1] ..!

أقول الواضح من النص أنَّ عبد الله بن مطيع الأنصاري يدرك جيّداً أنَّ فئةً خاصّةً هي التي يكون لها حقُّ الطاعة والبيعة ، لذلك رفض أن يبايع ليزيد ، في حين تطبيق إبن عمر واضح الخلل والتشويش ، وقد مرَّ عليك ما

---

[1] ابن سعد : ج ٥ صـ ١٤٤

حصل بينه وبين الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ندّد به لأنّه لم يبايع الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام ..! مشيراً انّما جاء ليبايع عنده خشيةً من السيف ..

وكان أهل المدينة قد أمَّرُوا « عبد الله بن مطيع الانصاري » عليهم في ثورتهم على يزيد بن معاوية بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ، وكانت بينهم وبين جيش يزيد « وقعة الحرة المشهورة » التي استشهد فيها مئات من وجوه الانصار والمهاجرين ، ودخلها جيش يزيد بن معاوية فأفسد فيها ، وخرَّب وقتل ، وأباحها لجيشه مدّة ثلاثة أيام يغتصبون النساء والفتيات ، وينهبون البيوت ، حتى قيل - على الأقل - انَّ ألف بكر افتُضَّت تلك الأيام القليلة . ثم أخذ البيعة على أهل المدينة بأنهم عبيد أقنان ليزيد بن معاوية لعنه اللهُ تعالى[1] .

---

[1] الحدث الثاني الخطير في حكم يزيد هو « وقعة الحرّة » .. فبعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام تضعضع العالم الإسلامي بشكلٍ مثيرٍ ، حتى أنَّ وفداً من علماء المدينة المنوّرة ذهبوا إلى الشام للإحتجاج على يزيد فوجدوه سكراناً ، وقربهم القردة ..! فخرجوا من عنده وهم يخشون أن تمطرهم السماءُ عذاباً .. وتنادوا لمصاب الحسين ، وما اصابه وندموا لسكوتهم على مقتله وعدم الخروج معه ..! إلى أن خرج أهلُ المدينة على حكم يزيد ، بعد نقاشٍ طويلٍ بين علماءها الذين رأوا فيه الحاكم الظالم الفاسد المفسد السكّير الذي لا يهمّه من حكم الإسلام سوى نزواته وشوته وقرده وخمره ..! وقد حاول يزيد أن يتدارك الأمر فعزل والي المدينة الفاسق الظالم على شاكلة بني أميّة « الوليد بن عتبة » وولّى مكانه أمويّاً آخر هو عثمان بن محمّد بن أبي سفيان ، وأمرهُ بمحاولة استقطاب أهل المدينة وعلماءها ريثما يهدء الأمر .. ورغم انّ وفداً من أهل المدينة ذهب مرّةً ثانية على يزيد لمحاولة العودة على كتاب الله ، فما إن عادوا على المدينة حتى خلعوا الطاعة ، والمفاجئ أنَّ عبد الله بن عمر حذّرهم من الخروج على طاعة الحاكم وإن كان فاسقاً فاجراً مثل يزيد ..! لكنّهم خرجوا على طاعته وطلبوا بشرعيّة حكم الكتاب وندموا على عدم الخروج مع الحسين وذمّوا أنفسهم .. فواجههم الخليفة عثمان بن محمّد بعنف لمحاولة صدّهم عن الطعن ببني أميّة .. فانتهى الأمر بخلع يزيد بن معاوية ومبايعة عبد الله بن حنظلة الأنصاري لتنظيم أمرهم ، واختبئ الأمويّون في دار مروان ابن الحكم الذي عاد هو ليحتمي بدار الإمام زين العابدين ويعصم الدماء للنساء والأطفال والشيوخ

وغير ذلك وقد استجاب أهلُ المدينةِ للإمام زين العابدين ونزلوا تحت طاعتهِ فيما أمر .. فما كان من يزيد إلا أن ارسل النعمان بن بشير الأنصاري إلى المدينة ليعيد الناس إلى حكم بني أميّة فامتنعوا ، فجهّز جيشاً كبيراً بقيادة « مسلم بن عقبة المُرّي » يرافقه الحصين بن نمير السكوني ، وأمر قائدة بالفتك بأهل المدينة وقتلهم إن هم امتنعوا .. وقد وصل مسلم بن عقبة إلى المدينة في ٢٧ من شهر ذي الحجّة عام ٦٣ هجريّة .. فضرب عليها حصاراً من جهة الحرّة ثمّ هاجمهم بشكلٍ ضارٍ فقاموه بشدّة ، فما كان من مروان ابن الحكم إلا أن احتال فدخلها بشكلٍ تسللي مع الجند من ناحية الطورين واقتحموا المدينة وقتلوا اهلا شرَّ قتلة ، ولم يفرّقوا بين شيخٍ أو طفلٍ أو امرأة ولم يرعوا حرمة قطّ ، وقد اسرف مسلم بن عقبة في ضرب ألأعناق في وقعة الحرّة التي اعتبرت مفصلاً إضافيّاً في تاريخ الفسق والفجور الأمويّ الذي ركّزت معالمه سقيفة بني ساعدة وساقته على حيث هو من الذبح والقتل والنهب والفسق والفجور والبغي .. وحين انتصر مسلم بن عقبة بعد مجازر رهيبة بحقّ أهلِ المدينة ، جلس على عرشهِ مبايعاً ليزيد من بقي من أهل المدينة الذي ولغ في دمائهم ودخل البيوت فضرب اعناقهم وسبى نساءهم وافتضّ فتياتهم وحملت الآلاف من فتيات المدينة في ذلك العام من الزنا والإغتصاب ، في حين غزا القوم نساء الملمين واغتصبوهم بطريقةٍ تدلّ على الفسق والفجور والعناد ضدّ اللهِ ورسولهِ .. وقد باع مسلم بن عقبة ما بقي من المدينة على انّهم عبيد ليزيد بن معاوية ، ومن أبى من المسلمين هذه البيعة ضرب عنقه .. إلا الإمام زين العابدين الذي أحيط بكرامةٍ كبرى ، خشيةً من يزيد أن يتكرّر الإضطراب الضخم بعد مقتل الإمام الحسين ﷺ .. وكان مسلم بن عقبة يمدّ قدمه ليبايعه أهل المدينة ليزيد على انّهم عبيد له يصنع بهم ما يشاء .. فكان عام ٦٣ متمّماً لما جرى في العام ٦١ في وقعة كربلاء التي سترى أنّها وراء الإنهيار الأضخم الذي طال الحكم الأموي .. فما هي إلا فترى وجيزة حتى أعلن عبد الله إبن الزبير الخروج على يزيد في مكّة ، فاجتمع عليهِ الناس للخروج على طاعة يزيد خاصة بعد مقتل الإمام الحسين باعتراف كلّ المؤرخين التي هيّأت لخلع يزيد في المدينة ، والتي جرى فيها ما جرى ، ثمّ التفاف النّاس حول الزبير الذي لم يكونوا يرغبوا بهِ ، سوى انّهم يريدون التخلّص من الحكم الأمويّ . بل حين كان الحسين في مكّة قبل خروجهِ نحو الكوفة لم يكن حتى واحد من أهل الحجاز ينظر إلى إبن الزبير حتى كتب المؤرّخون : انّ إبن الزبير لم يكن يجد أثقل على قلبهِ من وجود الحسين في الحجاز . لأنّه إن بقي الحسين فيه لم يلتفت إليهِ أحد .. وكان ابن الزبير يدخل على الحسين في مكّة مثل كلّ الداخلين .. لكن بعد وقعة المدينة وما جرى فيها من فظائع تهيّأت مكّة للخروج عن طاعة يزيد فاستغلّ الأمر عبد الله إبن الزبير الذي طالما حاول أن يعلن مظلوميّة أهل البيت وما جرى في كربلاء ، وحاول تكراراً أن يستغلّ دم الحسين فلم يأخذه الناس على محمل الجدّ إلى أن جرى ما جرى في مدينة رسولِ الله ﷺ .. وعلى الفور دعا إبن الزبير أعيان تهامة والحجاز إلى بيعتهِ فبايعوه على عهدهِ من الإنتصار لآل رسولِ الله ، للحسين ، فبايعه الكثير من الحجازيين إلا عبد الله ابن عبّاس ومحمّد بن الحنفيّة الذي كان يدرك جدّاً مغزا إبن الزبير ، وفعلاً حين قبض على الحكم هناك أنكر أهل البيت ، إلى درجة إمتنع فيها ٤٠ جمعة من الصلاة على رسولِ الله ﷺ قرب الكعبة لأنّه مضطرّ إلى الصلاة على آلهِ بأمرِ النبيّ بالصلاة على آلهِ وهو مشهورٌ محقّق وكاملٌ بين

وعلى كلٍّ حال : النصوص واضحة جداً ، وشديدة التخصُّص بفئةٍ خاصّة ، لكنَّ النصوص كانت تُلقى مرّةً على لسان الرواة بشكلٍ عمومي ، ومرةً بشكلٍ بياني تام ، فإبن عباس الذي يروي النصوص في الأئمّة الإثني عشر ، يقول - كما في رواية سعيد بن المسيب عن ابن عباس - : قال رسول الله ﷺ : [مَن فارق جماعة المسلمين قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ، ومن مات ليس عليه إمام فميتته جاهلية ، ومن مات تحت راية عمية يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتلته جاهلية][1] . فهو في مقام الإشارة إلى أصل أنَّ على كلٍّ مسلم بيعةً في عنقه ، باعتمادهِ على المشهور المعروف عند المسلمين من انَّ البيعة إنّما هي لأهل الحقِّ الذين نصبهم اللهُ ورسوله ، وربَّما كانت التقية تمنع إبن عباس في بعض المواقف من بيان الأسماء بالتفصيل ، وهذا أمرٌ معروف في التاريخ ..

وفي رواية بشير الدهان قال : قال أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام : قال رسول الله ﷺ : [.. مَن مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية .. - ثم قال عليه السلام - فعليكم بالطاعة ، قد رأيتم أصحابَ عليٍّ ، وأنتم تأتمُّونَ بمَن لا يُعذَرُ الناسُ بجهالته ، لنا كرائمُ القرآن ، ونحن أقوامٌ افترض اللهُ طاعتنا ، ولنا الانفال ولنا صفو المال ..][2] . تأكيداً على أنَّ الإمامة إنَّما هي المنصوبة من قبلِ اللهِ ورسوله ، الواردة في أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب اللهُ عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

المسلمين .. وبدت عليه شدّة العداء لأهل البيت عليهم السلام إلى درجة طرد معها إبن عباس إلى الطائف حتى توفّي هناك ..

[1] البزار : على ما في مجمع الزوائد ، وكشف الهيثمي . * : الطبراني ، الكبير : ج ١٠ صـ ٣٥٠ حـ ١٠٦٨٧

[2] سليم بن قيس : على ما في سند كمال الدين .

وفي رواية يحيى بن السري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أخبرني عن دعائم الاسلام التي بُني عليها الدِّينُ لا يسع أحد التقصير في شيئ منها ، التي مَن قصَّرَ عن معرفة شيئ منها فسد عليه دينُهُ ولم يُقبل منه عمله ، ومَن عرفها وعمل بها صلح له دينُهُ وقُبِلَ منه عملُهُ ، ولم يضرُّه ما هو يجهل شيئ مِن الامور إنْ جهله ؟ فقال عليه السلام : نعم ، شهادة أن لا إله إلا الله ، والايمان برسوله صلى الله عليه وآله والاقرار بما جاء من عند الله ، وحق من الاموال الزكاة ، والولاية التي أمر الله بها ولاية محمد . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : مَن مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية[1] .

هذا النص يقرِّر العظمة التي امتازت بها الإمامة ، وهي الشرط الذي يُدعى اللهُ بهِ ، والباب الذي منه يُؤتى ، فلا يجوز التقصير فيها ، تماماً كما لا يجوز التقصير في النبوّة ..

وفي نصٍّ بياني رواه عمار الساباطي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [لا تُترَكُ الارضُ بغير إمام يُحِلُّ حلالَ الله ، ويُحرِّمُ حرامه ، وهو قول الله : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مَن مات بغير إمامٍ مات ميتة جاهلية . فمدُّوا أعناقهم ، وفتحوا أعينهم ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : ليست الجاهلية الجهلاء][2] . إشارة بيِّنة إلى ضرورة التماس الإمامة من محلِّها وبابها الذي أرادهُ اللهُ تعالى .. وقد ورد عن الصادق عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله : [مَن أنكر القائم من وُلدِي في زمانِ غيبتهِ فمات ، فقد مات ميتة جاهلية][3] .

---

[1] المحاسن : ج ١ ص ١٥٣ ب ٢٢ ح ٧٨ العياشي : ج ١ ص ٢٥٢ ح ١٧٥

[2] وفي : ج ٢ ص ٣٠٣ ح ١١٩ مرسلا ،

[3] كمال الدين : ج ٢ ص ٤١٣ ٤١٢ ب ٣٩ ح ١٢

وفي نصٍّ آخر له عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [مَن أنكر القائم عليه السلام من وُلدِي فقد أنكرني][1] .

إذن الإمامة تشكِّل العمدة الرئيسيَّة بعد النبوَّة في الإسلام ..

[1] نفس المصدر .

الأئمة إثنا عشر

لا بدَّ من الإشارة إلى نصوص : « الإئمّة إثنا عشر » ، لأنّها مرتبطة في بحثنا هذا ، ولأنّها تبيِّن الأئمّة عليهم السلام الواجبي الطاعة على العباد ، وسأوردها من مصادر الفريقين ما أمكن .. ففي رواية جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : [إنَّ الاسلام لا يزال عزيزاً إلى اثني عشر خليفة . ثم قال كلمةً لم أفهمها ، فقلت لأبي ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : قال : كُلُّهُم مِن قريش][1] .

وفي رواية ثنا عاصم بن محمد قال : سمعت أبي يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : [لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان . قال وحرك إصبعيه يلويهما هكذا][2] . مراد النصِّ هنا أنَّ أمر الخلافة بعد النبيِّ هو في الإثني عشر من قريش الذين سمّاهم في نصوصٍ كثيرةٍ وردت في كتب الفريقين بدءاً من الإمام علي عليه السلام وانتهاءاً بالإمام المهدي عجل الله فرجه ..

وفي سند آخر عن جابر بن سمرة قال : [لا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفةً مِن قريش ، ثم يخرج كذّابون بين يدي الساعة ، ثم تخرج عصابة من المسلمين فيستخرجون كنز الابيض كسرى وآل

---

[1] الطيالسي : صـ ١٠٥ و ١٨٠ حـ ٧٦٧ و ١٢٧٨

[2] أحمد : جـ ٢ صـ ٢٩ حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، ثنا معاذ ،

كسرى ، وإذا أعطى الله تبارك وتعالى أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهله ، وأنا فرطكم على الحوض][1] .

وكما ترى : نص شديد الوضوح في أنَّ أمر الدِّين رهنُ اثني عشر من الخلفاء الذين أوصى بهم النبيُّ ﷺ . حتى انَّ أبا بكر لم يستطع ان يحسم أمر الأنصار في سقيفة بني ساعدة ويمنعهم مِن تولِّي الإمارة بعد رسولِ الله ﷺ إلا بعدما استشهد عليهم بما هو معروفٌ مشهورٌ بين المسلمين مِن أنَّ الأمر لا يزال قائماً في إثني عشر خليفة كلُّهم من قريش ..!

وبسند آخر عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : [يكون بعدي اثنا عشر أميراً . قال : ثم تكلَّم بشيئ لم أفهمه . فسألت الذي يليني فقال قال : كُلُّهُم من قريش][2] . وقال : قال أبو عيسى : هذا حديثٌ حسنٌ صحيح .

وفي غيرها إشارة إلى أنَّ الأرض مرهونة بالإثني عشر خليفة أو إمام أو أمير - حسبما ورد في النصوص - ففي رواية أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : [لن يزال الدِّين قائماً إلى اثني عشر خليفة من قريش ، فإذا هلكوا ماجت الارض بأهلها][3] .

وعن سلمان قال : قال رسول الله ﷺ : [الائمةُ بعدي اثنا عشر . ثم قال : كلُّهم من قريش ، ثم يخرج قائمنا فيشفي صدور قوم مؤمنين . ألَا

---

[1] وفي : ج ٥ صـ ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ بسند آخر ،

[2] الترمذي : ج ٤ صـ ٥٠١ بـ ٤٦ حـ ٢٢٢٣ بسند آخر ،

[3] مقتضب الاثر : صـ ٣

إنَّهم أعلم منكم فلا تُعلِّموهم ، ألَا أنَّهم عترتي ولحمي ودمي . ما بال أقوام يؤذونني فيهم .! لا أنالهم الله شفاعتي .![1] .

وفي حديث مسروق قال : كُنَّا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يُقرؤُنَا القرآن ، فقال له الرجل : يا أبا عبد الرحمن ، هل سألتم رسولَ الله ﷺ كم يملك هذه الامَّة من خليفة ؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما سألني عنها أحدٌ منذ قَدِمتُ العراق قبلك ، ثم قال : نعم ، ولقد سألنا رسولَ الله ﷺ فقال : [إثنا عشر ، كعدَّةِ نقباء بني إسرائيل][2] .

فهل نريد أعظم من ذلك لبيان أنَّ أمر الإمامة بيد الله تعالى ، وأنَّ الأوصياء معدودون محدَّدون ..!

وعن هويَّة هؤلاء وممَّن يخرُجُون ؟ روى - بنفس المصدر - عن أبي ذر قال سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : [مَن أحبَّني وأهل بيتي كُنَّا نحن وهو كهاتين - وأشار بالسبابة والوسطى - ثم قال ﷺ : أخي خيرُ

---

[1] في : صـ ٤٤ بسند آخر . - وفي : صـ ٤٥ حدثنا عبد العزيز بن خضير قال : سمعت عبد الله بن أوفى يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يكون بعدي إثنا عشر خليفة من قريش ثم تكون فتنة داورة . قال قلت : أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : نعم سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله قاله ، وإن على عبد الله بن أبي أوفى يومئذ برنس خز " . كما في الطبراني والطيالسي وأحمد ، بعضها بتفاوت يسير ، وفي الخامسة " لا يزال هذا الامر قائما إلى اثني عشر قيما من قريش " .

[2] أحمد : جـ ١ صـ ٣٩٨ عن الشعبي عن مسروق قال : كنا مع عبد الله جلوسا في المسجد يقرؤنا ، فأتاه رجل فقال : يا ابن مسعود هل حدثكم نبيكم كم يكون من بعده خليفة ؟ قال : نعم ، كعدة نقباء بني إسرائيل " . عن عمه قيس بن عبد قال : جاء أعرابي فأتى عبد الله بن مسعود ، وأصحابه عنده ، فقال : فيكم عبد الله بن مسعود ؟ فأشاروا إليه ، قال له عبد الله : قد وجدته فما حاجتك ؟ قال : إني أريد أن أسألك عن شئ إن كنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فنبّئنا به ، أحدثكم نبيكم كم يكون بعده من خليفة ؟ قال : وما سألني عن هذا أحد منذ قدمت العراق . نعم قال : الخلفاء (بعدي) إثنا عشر خليفة كعدة نقباء بني إسرائيل " .

الاوصياء ، وسبطيَّ خيرُ الاسباط ، وسوف يُخرِجُ اللهُ تبارك وتعالى مِن صُلبِ الحسينِ أئمةً أبراراً ، ومنَّا مهديُّ هذه الامة . قال : قلت : يا رسول الله ، وكم الائمة بعدك ؟ قال ﷺ : عدد نقباء بني إسرائيل][1] .

وبسند آخر عن سلمان الفارسي - فيه - : [. . وكانوا إثني عشر ، ثم وضع يده على ظهر الحسين عليه السلام وقال : تسعة مِن صلبه ، والتاسع مهديُّهُم . يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً . فالويل لمبغضيهم][2] .

وعن واثلة بن الاسقع عن النبيِّ ﷺ - وفيه - : [.. فقيل : يا رسول الله فكم الائمة بعدك ؟ قال ﷺ : عدد نقباء بني إسرائيل][3] .

وعن أيوب الانصاري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : [أنا سيد الانبياء ، (وعليٌّ سيِّدُ الاوصياء) ، وسبطاي خيرُ الاسباط ، ومنَّا الائمة المعصومون من صلب الحسين عليه السلام ، ومنَّا مهديُّ هذه الامة . فقام إليه أعرابي فقال : يا رسول الله ، كم الائمة بعدك ؟ قال ﷺ : عدد الاسباط ، وحواري عيسى ، ونقباء بني إسرائيل][4] . أي إثنا عشر . وعن حذيفة بن أسيد أيضاً : وفيه : [.. الائمة بعدي عدد نقباء بني إسرائيل ، تسعة من

---

[1] وفي لفظ آخر عن أبي ذر ، عن النبي ﷺ - في حديث طويل - فيه : وبعلها سيد الوصيين وابنيها (وإبناها) الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وإنهما إمامان إن قاما وإن قعدا (أو قعدا) وأبوهما خير منهما ، وسوف يخرج من صلب الحسين تسعة من الائمة معصومون قوامون بالقسط ، ومنا مهدي هذه الامة ، قال قلت : يا رسول الله فكم الائمة بعدك ؟ قال : عدد نقباء بني إسرائيل .

[2] وفي : صـ ٤٧ بسند آخر ..

[3] وفي : صـ ٤٧ بسند آخر ..

[4] وفي : صـ ٤٧ بسند آخر ..

صلب الحسين ، ومنا مهدي هذه الامة ، ألَـا إنهـم مـع الحـق والحـق معهـم فانظروا كيف تخلفوني فيهم][1] .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبيِّ صلى الله عليه وآله : وفيه : [.. وان الائمـة مـن بعدي كعدد نقباء بني إسرائيل أعطاهم الله علمي وفهمي][2] .

وعن الحسن عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله : - وفيه - : [.. الائمة بعدي عـدد نقباء بني إسرائيل وحواري عيسى ، من أحبَّهم فهو مؤمن ، ومن أبغضـهم فهو منافق ، وهم حجج الله في خلقه ، وأعلامه في بريته][3] .

وعن أبي هريرة قال : خطبنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله فقال : [معاشر الناس مَن أراد أن يحيى حياتي ويموت ميتتي فليتولَّ علي بن أبي طالـب ، وليقتـد بالائمة مِن بعده . فقيل : فكم الائمـة بعـدك ؟ فقـال صلى الله عليه وآله : عـدد الاسـباط ، وانفجرت لموسى اثنتا عشرة عيناً][4] .

والنصوص في هذا المجال كثيرة ، وهي شديدة الوضوح بهم عليهم السلام ..

وفي النصِّ عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمـد بـن علـي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن ابيه الحسين بن علي عليهم السلام قال : [سُـئِل أميـر المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله إنِّي مخلِّفٌ فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي ، مَن العترة ؟ فقال عليه السلام : أنا والحسن والحسين والائمة التسعة مِن وُلدِ الحسين ، تاسعهم مهديُّهُم ، لا يفارقون كتابَ اللهِ ولا يفارقهم حتـى

---

[1] م . س .

[2] م . س .

[3] م . س .

[4] كل ما ورد أعلاه في نفس المصدر من نفس الباب ..

يردوا على رسول الله ﷺ حوضه][1] . وعن أبان عن سليم قال : قلت يا أمير المؤمنين إنّي سمعت مِن سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً مِن تفسير القرآن ، ومن الرواية عن النبي ﷺ ثم سمعتُ منك تصديق ما سمعت منهم ، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الاحاديث عن النبي ﷺ تخالف الذي سمعته منكم ، وأنتم تزعمون أنَّ ذلك باطل ، أفَتَرَى يكذبون على رسول الله ﷺ معتدين ؟ ويُفسِّرُون القرآن برأيهم .! قال : فأقبل علي عليه السلام ، فقال لي :

[يا سليم ، قد سألتَ فافهم الجواب . إنَّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً ، وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وخاصّاً وعامّاً ، ومُحكماً ومُتشابَهاً ، وحفظاً ووهماً . وقد كُذِّبَ على رسول الله ﷺ على عهده حتى قام خطيباً فقال : أيها الناس قد كثُرَت عليَّ الكذّابة ، فمَن كذَّبَ عليَّ متعمِّداً فليتبوّأ مقعده من النار . ثم كُذِّبَ عليه مِن بعده حين توفي رحمة الله على نبيِّ الرحمة وصلَّى الله عليه وآله . وإنَّما يأتيك بالحديث أربعةُ نفر ليس لهم خامس : رجلٌ منافق مُظهِرٌ للايمان متصنِّعٌ بالاسلام ، لا يتأثَّم ولا يتحرَّج أن يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً ، فلو علم المسلمونَ أنه منافق كَذَّاب لم يقبلوا منه ولم يصدِّقُوه ، ولكنَّهُم قالوا : هذا صاحبُ رسولِ الله ﷺ رآهُ وسمع منه ، وهو لا يكذب ولا يستحلُّ الكذبَ على رسول الله . وقد أخبر اللهُ عن المنافقين بما أخبر ووصفهم بما وصفهم فقال عزوجل : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ ، ثم بقوا بعده وتقرَّبُوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان ، فولُّوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس ، وأكلوا بهم الدنيا . وإنَّما الناسُ مع الملوك

---

[1] مختصر إثبات الرجعة ، للفضل بن شاذان : صـ ٤٤٨ عدد ١٥

والدنيا إلا مَن عصم اللهُ . فهذا أوَّلُ الاربعة . ورجلٌ سمعَ مِن رسولِ الله ﷺ فلم يحفظه على وجهِهِ ، ووهم فيه ، ولم يعتمَّد كذباً ، وهو في يده يرويه ويعمل به ويقول : أنا سمعتُهُ مِن رسولِ الله ﷺ ، فلو علم المسلمون أنه وهمٌ لم يقبلوا ، ولو علم هو أنَّه وهم لرفضه . ورجلٌ ثالثٌ سمعَ مِن رسولِ الله ﷺ شيئاً أمر به ، ثم نهى عنه وهو لا يعلم ، أو سمعه نهى عن شيئ ثم أمرَ به وهو لا يعلم ، حفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ ، فلو علم أنه منسوخٌ لرفضه ، ولو علم المسلمونَ أنه منسوخٌ لرفضوه . ورجلٌ رابع لم يكذب على اللهِ ولا على رسول الله ﷺ بغضاً للكذب وتخوُّفاً مِن الله وتعظيماً لرسوله ﷺ ولم يوهم ، بل حفظ ما سمع على وجهه ، فجاء به كما سمعه ، ولم يزد فيه ولم ينقص ، وحفظ الناسخ من المنسوخ ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ . وإنَّ أمر رسولِ اللهِ ﷺ ونهيه مثل القرآن ، ناسخ ومنسوخ ، وعام وخاص ، ومُحكَم ومتشابه ، وقد كان يكون مِن رسول الله ﷺ الكلام له وجهان ، كلامٌ خاص وكلامٌ عام مثل القرآن ، يسمعه مَن لا يعرف ما عنى اللهُ وما عنى به رسولُ الله . وليس كلُّ أصحابِ رسول الله ﷺ كان يسأله فيفهم ، وكان منهم مَن يسأله ولا يستفهم ، حتى أن كانوا يُحبِّونَ أن يجيئ الطارئ والأعرابي فيسأل رسولَ الله ﷺ حتى يسمعوا منه ، وكنتُ أدخل على رسول الله ﷺ كلَّ يومٍ دخلةً وكلَّ ليلةٍ دخلةً ، فيخلِّيني فيها أدور معه حيث دار ، وقد علم أصحابُ رسولِ الله ﷺ أنه لم يكن يصنع ذلك بأحدٍ غيري ، وربما كان ذلك في منزلي ، فإذا دخلتُ عليه في بعضِ منازله خلا بي وأقام نساءه ، فلم يبقَ غيري وغيره ، وإذا أتاني للخلوة في بيتي لم تقم مِن عندنا فاطمة ولا أحدٌ مِن ابني ، إذا أسأله أجابني ﷺ ، وإذا سكتُّ أو نَفَدَت مسائلي ابتدأني ، فما نزلت عليه آيةٌ مِن القرآنِ إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتها بخطِّي ، ودعا اللهَ أن يفهِّمَني ايَّاهَا

ويحفظني . فما نسيت آيةً من كتابِ اللهِ منذ حفظتها ، وعلَّمني تأويلها فحفظتُهُ وأملاهُ عليَّ فكتبتُهُ ، وما تركَ شيئاً علَّمَهُ اللهُ من حلالٍ وحرامٍ ، أو أمرٍ ونهيٍ ، أو طاعةٍ ومعصية كان أو يكون إلى يوم القيامة إلا وقد علَّمنيه وحفظتُهُ ، ولم أنسَ منه حرفاً واحداً . ثم وضع يده على صدري ودعا اللهَ أن يملأ قلبي علماً وفهماً وفقهاً وحكماً ونوراً ، وأن يعلِّمني فلا أجهل ، وأن يحفِّظني فلا أنسى . فقلتُ له ذات يوم : يا نبي اللهِ إنَّك منذ يوم دعوتَ اللهَ لي بما دعوتَ لم أنسَ شيئاً ممَّا علمتني ، فَلِمَ تُمليه عليَّ وتأمرني بكتابته ؟ أتتخوَّف عليَّ النسيان ؟ فقال ﷺ : يا أخي لستُ أتخوَّفُ عليك النسيان ولا الجهل ، وقد أخبرني اللهُ أنه قد استجاب لي فيك ، وفي شركائك الذين يكونون من بعدك ، قلت يا نبيَّ اللهِ ومَن شركائي ؟ قال ﷺ : الذين قرنهم اللهُ بنفسه وبي معه ، الذين قال في حقهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ أَطيعُواْ اللّهَ وَأَطيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ، فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ، قلت : يا نبي الله ومَن هم .. قال ﷺ : (هنا سقط) .. الاوصياءُ إلى أن يردوا عليَّ حوضي ، كلُّهم هادٍ مُهتد ، لا يضرُّهُم كيدُ مَن كادهم ، ولا خذلانُ مَن خذلهم ، هم مع القرآن ، والقرآن معهم ، لا يفارقونه ولا يفارقهم . بهم ينصرُ اللهُ أمَّتي ، وبهم يُمطَرُون ، ويُدفع عنهم بمستجاب دعوتهم . فقلت يا رسول الله ، سمِّهم لي ، فقال ابني هذا – ووضع يده على رأس الحسن – ، ثم ابني هذا – ووضع يده على رأس الحسين – ، ثم ابن ابني هذا – ووضع يده على رأس الحسين – ، ثم ابنٌ له على إسمي اسمه محمد ، باقر علمي وخازن وحي الله ، وسيولد عليٌّ في حياتك يا أخي ، فاقرأه منِّي السلام ، ثم أقبل على الحسين عليه السلام فقال ﷺ : سيُولد لك محمَّد بن علي في حياتك فاقرأه مني السلام ، ثم تكملة الاثني عشر إماماً من

ولدك يا أخي . فقلتُ يا نبيَّ الله : سمِّهم لي ، فسماهم لي رجلاً رجلاً منهم والله - يا أخا بني هلال - مهديُّ هذه الأمة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً . والله إني لأعرف جميعَ مَن يبايعه بين الركنِ والمقامِ وأعرف أسماءَ الجميع وقبائلهم[1] .

نصٌّ كامل وصريح وتام ، وشديد الوثوق في المنصوبين الإثني عشر .

وعن أبي عبد الله عليه السلام - في قصة محاورة أبيه عليه السلام مع ابن عباس - إلى أن قال : قال لك علي بن أبي طالب عليه السلام : [إنَّ ليلة القدر في كل سنة ، وإنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة ، وإنَّ لذلك الأمر ولاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت : مَن هم ؟ فقال عليه السلام : أنا وأحد عشر مِن صلبي ، أئمة محدَّثون][2] .

---

[1] سليم بن قيس : صـ ١٠٣ - ١٠٨. قال سليم : ثم لقيتُ الحسنَ والحسينَ صلوات الله عليهما بالمدينة بعدما قُتِلَ أميرُ المؤمنين صلوات الله عليه ، فحدّثتهما بهذا الحديث عن أبيهما فقالا : صدقتَ قد حدَّثَك أبونا علي عليه السلام بهذا الحديث ونحن جلوسٌ ، وقد حفظنا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما حدَّثَكَ أبونا سواء لم يزد ولم ينقص . قال سليم : ثم لقيتُ عليَّ بن الحسين عليه السلام وعنده ابنه محمَّد بن علي عليه السلام فحدَّثته بما سمعتُ مِن أبيه وعمِّه وما سمعتُ مِن علي عليه السلام فقال علي بن الحسين عليه السلام : قد أقرأني أميرُ المؤمنين عليه السلام عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله السلامَ وهو مريضٌ وأنا صبي ، ثم قال محمَّد : وقد أقرأني جدِّي الحسينُ عليه السلام من رسولِ الله صلى الله عليه وآله وهو مريضٌ السلامَ . قال أبان : فحدَّثتُ عليَّ بن الحسين بهذا كلِّه عن سليم ، فقال : صدق سليم ، وقد جاء جابر بن عبد الله الأنصاري إلى ابني وهو غلام يختلف إلى الكتاب فقبَّله وأقرأهُ مِن رسولِ الله السلامَ . قال أبان : حججتُ فلقيتُ أبا جعفر - محمد بن علي - فحدَّثتُهُ بهذا الحديث كلِّه لم أترك منه حرفاً ، فاغرورقت عيناهُ ثم قال : صدق سليم ، قد أتاني بعد قتل جدي الحسين عليه السلام وأنا قاعدٌ عند أبي فحدَّثني بهذا الحديث بعينه . فقال له أبي : صدقتَ ، قد حدَّثَكَ أبي بهذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ونحو شهود . ثم حدَّثَاهُ ما هما سمعا مِن رسول الله صلى الله عليه وآله

[2] الكافي : جـ ١ صـ ٢٤٧ - ٢٤٨ حـ ٢ -

وعن معروف بن خربوذ المكي قال : سمعت أبا الطفيل عامر بن واثلة الكناني يقول : سمعت علياً عليه السلام يقول : [ليلة القدر . . ينزل فيها على الوصاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما ينزل . قيل له : ومَن الوصاة يا أمير المؤمنين ؟ قال : أنا وأحد عشر مِن صلبي ، هم الائمة المحدثون][1] . قال معروف : فلقيت أبا عبد الله مولى ابن عباس في مكة ، فحدَّثته بهذا الحديث فقال : سمعتُ ابن عباس يحدِّثُ بذلك ويقرأ : وما أرسلنا مِن قبلك مِن نبي ولا رسول ولا محدث . قال : هم واللهِ المحدثون .

وعن أبي الطفيل قال : شهدتُ جنازة أبي بكر يوم مات ، وشهدتُ عمر حين بُوِيعَ وعلي عليه السلام جالسٌ ناحيةً ، فأقبل غلامٌ يهودي جميل الوجه بهي ، عليه ثياب حِسَان ، وهو مِن وُلدِ هارون ، حتى قام على رأس عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم هذه الامة بكتابهم وأمرِ نبيهم ؟ قال : فطأطأ عمر رأسه ، فقال : ايَّاك أعني . وأعاد عليه القول ، فقال له عمر : لِمَ ذاك ؟ قال : إنِّي جئتُكَ مرتاداً لنفسي ، شاكّاً في ديني . فقال : دونك هذا الشاب . قال : ومَن هذا الشاب ؟ قال عمر : هذا علي بن أبي طالب ابن عم رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، وهذا أبو الحسن والحسين ابني رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذا زوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

فأقبل اليهودي على علي عليه السلام فقال : أكذاك أنت ؟ قال عليه السلام : نعم . قال : إنِّي أريدُ أن أسألك عن ثلاث وثلاث وواحدة . قال : فتبسَّم أمير المؤمنين عليه السلام مِن غير تبسُّم ، وقال : يا هاروني ما منعك أن تقول سبعاً ؟ قال : [أسألك عن ثلاثٍ ، فإن أجبتني سألتُ عمَّا بعدهنَّ ، وإنْ لم تعلمهنَّ

---

[1] م . س .

علمتُ أنَّه ليس فيكم عالم . قال علي (عليه السلام) : فإني أسألك بالإله الذي تعبدُهُ لئن أنا أجبتك في كلِّ ما تُريد لَتَدَعَنَّ دينك ولَتدخُلَنَّ في ديني ؟ قال : ما جئتُ إلا لذاك ، قال (عليه السلام) : فسل .

قال اليهودي : أخبرني عن أول قطرةِ دمٍ قطرت على وجه الارض ، أيُّ قطرةٍ هي ؟ وأوَّل عينٍ فاضت على وجه الارض ، أيُّ عين هي ؟ وأوّلُ شيئ اهتزَّ على وجه الارض ، أيُّ شيئ هو ؟ فأجابه أمير المؤمنين (عليه السلام) .. فقال اليهودي : أخبرني عن الثلاث الأُخر ، أخبرني عن محمَّد كم له مِن إمام عدل ؟ وفي أي جنَّة يكون ؟ ومن ساكنه (مُسَاكِنُهُ) معه في جنته ؟ فقال (عليه السلام) : يا هاروني إنَّ لمحمد اثني عشر إمام عدل ، لا يضرهم خذلانُ مَن خذلهم ، ولا يستوحشون بخلاف مَن خالفهم ، وإنهم في الدِّين أرسى مِن الجبال الرواسي في الارض ، ومسكنُ محمَّد في جنَّتِهِ معه أولئك الاثنا عشر الامام العدل . فقال اليهودي : صدقت واللهِ الذي لا إله إلا هو ، إني لأجدها في كتب أبي هارون ، كتبه بيده ، وإملاء موسى عمِّي (عليه السلام) [1] . ثم أعلن إسلامه .

أيضاً عن أبي سعيد الخدري قال : كنتُ حاضراً لمَّا هلك أبو بكر واستخلف عمر ، فأقبل يهودي مِن عظماء يهود يثرب ، وتزعم يهود المدينة أنه أعلم أهل زمانه ، حتى رُفِعَ إلى عمر فقال له : يا عمر إنِّي جئتُكَ أريدُ الاسلام ، فإنْ أخبرتني عمَّا أسألك عنه فأنت أعلمُ أصحاب محمد بالكتاب والسنة وجميع ما أريد أن أسأل عنه . قال : فقال له عمر : إنِّي لستُ هناك ، لكني أرشدك إلى مَن هو أعلم أمَّتِنَا بالكتاب والسنة وجميع ما قد تسأل عنه

---

[1] الكافي : ج ١ ص ٥٢٩ - ٥٣٠ ح ٥ -

وهو ذاك - فأومأ إلى علي عليه السلام ، قال : أخبرني عن ثلاث وثلاث وواحدة ، فقال له علي عليه السلام : يا يهودي ولِمَ لم تقل : أخبرني عن سبع ، فقال له اليهودي : إنَّك إنْ أخبرتني بالثلاث ، سألتك عن البقية وإلا كففتُ ، فإنْ أنت أجبتني في هذه السبع فأنت أعلمُ أهل الارض وأفضلهم وأولى الناس بالناس ، فقال له عليه السلام : سل عمَّا بدا لك يا يهودي . قال : أخبرني عن أول حجر وُضِعَ على وجه الارض ؟ وأول شجرة غُرِست على وجه الارض ؟ وأول عين نبعت على وجه الارض ؟ فأخبره أمير المؤمنين عليه السلام . ثم قال له اليهودي : أخبرني عن هذه الامة كم لها من إمام هدى ؟ وأخبرني عن نبيكم محمد أين منزله في الجنة ؟ وأخبرني مَن معه في الجنة ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : إنَّ لهذه الامة اثني عشر إمام هدى من ذرية نبيِّها ، وهم منِّي ، وأما منزل نبيِّنا في الجنة ففي أفضلها وأشرفها جنة عدن ، وأما مَن معه في منزله فيها فهؤلاء الاثنا عشر من ذريته ، وأمهم وجدتهم وأم أمهم وذراريهم ، لا يشركهم فيها أحد[1] .

فأعلن اليهوديُّ إسلامه ، مقرّاً أن هذا في كتب اليهود وأخبارهم .

وعن سليم بن قيس الهلالي قال : [أقبلنا مِن صفين مع أمير المؤمنين صلوات الله عليه فنزل العسكر قريباً مِن دير نصراني ، إذ خرج علينا مِن الدير شيخٌ كبير جميل حسن الوجه ، حسن الهيئة والسمت ، ومعه كتاب في يده ، حتى أتي أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، فسلَّم عليه بالخلافة ، فقال له علي عليه السلام : مرحباً يا أخي شمعون بن حمون ، كيف حالك رحمك الله . فقال : بخير يا أمير المؤمنين وسيد المسلمين ووصي

---

[1] م . س .

رسول رب العالمين ، إنِّي مِن نسل حواري أخيك عيسى بن مريم عليه السلام - وفي رواية أخرى أنا من نسل حواري أخيك عيسى بن مريم صلوات الله عليه - مِن نسل شمعون بن يوحنا ، وكان أفضل حواري عيسى بن مريم الاثني عشر وأحبهم إليه وآثرهم عنده ، وإليه أوصى عيسى وإليه دفع كتبه وعلمه وحكمته ، فلم يزل أهل بيته على دينه متمسِّكين بملَّتِهِ لم يكفروا ولم يبدِّلُوا ولم يغيِّروا . وتلك الكُتُب عندي إملاءُ عيسى بن مريم ، وخط أبينا بيده ، وفيه كلُّ شيئ يفعل الناس مِن بعده ملك ملك وما يملك ، وما يكون في زمان كلِّ ملك منهم ، حتى يبعث اللهُ رجلاً من العرب مِن وُلدِ إسماعيل بن إبراهيم خليل الله مِن أرض تُدعى تهامة ، مِن قريةٍ يُقال لها مكة ، يُقال له أحمد ، الانجل العينين المقرون الحاجبين ، صاحب الناقة والحمار والقضيب والتاج - يعني العمامة - له إثنا عشر إسماً ، ثم ذكر مبعثه ومولده وهجرته ، ومَن يقاتله ومَن ينصره ومَن يعاديه ، وكم يعيش ، وما تلقى أمته بعده إلى أن يُنزِّل اللهُ عيسى بن مريم من السماء ، فذكر الأئمّة الإثنى عشر مِن وُلد إسماعيل بن إبراهيم خليل الله صلى الله عليهم ، هم خير مَن خلق الله ، وأحب من خلق الله إلى الله ، وأنَّ اللهَ وليُّ مَن والَاهم وعدو مَن عاداهم ، مِن أطاعهم اهتدى ومَن عصاهم ضل ، طاعتهم لله طاعة ومعصيتهم لله معصية . مكتوبة فيه أسماؤهم وأنسابهم ونعتهم ، وكم يعيش كل رجل منهم ، واحدا بعد واحد ، وكم رجل منهم يستتر بدينه ويكتمه من قومه ، ومن يظهر حتى ينزل الله عيسى صلى الله عليه على آخرهم ، فيصلي عيسى خلفه ويقول إنكم أئمة لا ينبغي لاحد أن يتقدمكم ، فيتقدم فيصلِّي بالناس وعيسى خلفه إلى الصف الاول ، أولهم وأفضلهم وخيرهم ، له مثل أجورهم وأجور من أطاعهم واهتدى بهداهم . وفي النسخة الاولى (وتسعة من ولد أصغرهما وهو الحسين واحداً بعد

واحد ، آخرهم الذي يصلّي عيسى بن مريم خلفه ، فيه تسمية كل من يملك منهم ومن يستتر بدينه ومن يظهر . فأول من يظهر منهم يملأ جميع بلاد الله قسطاً وعدلاً ويملك ما بين المشرق والمغرب حتى يظهره الله على الاديان كلها][1] .

انّها شديدة الوضوح والتمام في الأئمّة الإثنى عشر ، ومذكورة في كُتب الفريقين من السنة والشيعة ، بل الأسماء بالتفصيل مذكروة في مصادر الفريقين ، وأصل نصٍّ الأئمّة إثنى عشر ممَّا تواتر واتفق عليهِ العلماء والفقهاء وأهل الأخبار دون متوقِّف ..

والإثنى عشر علامةٌ مكرَّرة عن الأسباط الإثني عشر ، والحواريين الإثني عشر أيضاً .. هكذا هي مشيئة الله ..

وفي الزمن الأخير بعد الإمام العسكري عليه السلام يظهر المهدي عليه السلام ، وهو إمام الحقّ ، الثاني عشر من أهل البيت عليهم السلام ، وقد وردت نصوصٌ كثيرة في هذا المعنى ، منها ما ورواه أبو عبيدة قال : أتيتُ الحسن بن علي عليه السلام حين بايع معاوية ، فوجدته بفناءِ داره وعنده رهطٌ فقلت : السلامُ عليك يا مُذِلَّ المؤمنين فقال : [عليك السلام يا سفيان ، انزل ، فنزلت ، فعقلتُ راحلتي ثم أتيته فجلست إليه ، فقال : كيف قلتَ يا سفيان ؟ فقلت : السلام عليك يا مذلَّ رقابِ المؤمنين . فقال : ما جرى هذا منك إلينا ؟ فقلت : أنت والله - بأبي أنت وأمي - أذللتَ رقابنا حين أعطيتَ هذا الطاغية البيعةَ وسلَّمتَ الامر إلى اللعين بن اللعين بن آكلة الاكباد ، ومعك مائة ألف كلُّهم يموت دونك ، وقد جمع اللهُ لك أمرَ الناس . فقال : يا سفيان ، إنَّا أهلُ بيتٍ

---

[1] سليم بن قيس : ص ١٥٢ - ١٥٤

إذا علمنا الحقَّ تمسَّكنَا به ، وإنِّي سمعتُ عليَّاً يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : لا تذهب الليالي والايام حتى يجتمع أمرُ هذه الأمة على رجلٍ واسع السرم ، ضخم البلعوم ، يأكل ولا يشبع ، لا ينظر اللهُ إليه ، ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر ، ولا في الارض ناصر ، وإنه لمعاوية ، وإني عرفتُ أنَّ اللهَ بالغٌ أمره . ثم أذَّنَ المؤذِّنُ فقمنا على حالب يحلب ناقة ، فتناول الاناءَ فشرب قائماً ثم سقاني ، فخرجنا نمشي إلى المسجد فقال لي : ما جاءنا بك يا سفيان ؟ قلت : حبُّكُم والذي بعثَ محمَّداً بالهدى ودينِ الحقِّ ، قال : فأبشر يا سفيان ، فإنِّي سمعتُ عليَّاً يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : يردُ عليَّ الحوضَ أهلُ بيتي ومَن أحبَّهُم مِن أمتي كهاتين ، يعني السبابتين ، ولو شئتُ لقلت هاتين يعني السبابة والوسطى احداهما تفضل على الاخرى ، أبشر يا سفيان فإنَّ الدنيا تسعُ البرَّ والفاجر حتى يبعث اللهُ إمامَ الحقِّ من آل محمَّد ﷺ][1] ..

ونصوص البشارة بالقائم عليه السلام كثيرة جداً منها :

- عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال : [إذا توالت ثلاثة أسماء محمد وعلي والحسن ، كان رابعهم قائمهم][2] .

---

[1] فتن السليلي : على ما في ملاحم ابن طاووس . كما في مقاتل الطالبين بتفاوت وفيه (. . إنزل يا سفيان ولا تعجل . . كيف قلت يا سفيان ، قال : قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ، قال وما ذكرك لهذا ؟ فذكرت الذي كان من تركه للقتال ورجوعه إلى المدينة ، قال يا سفيان حملني عليه أني سمعت عليا عليه السلام يقول لا تذهب الليالي . . تجمع هذه . . واسع السرب . . في الارض عاذر ولا في السماء ناصر . . فنودي بالصلاة ، فقال : هل لك يا سفيان في المسجد ؟ ، قال : قلت : نعم فخرجنا نمشي حتى مررنا على حالب له يحلب ناقة له . . وسقاني وقال : ما جاء بك يا سفيان . . الحوض من أهل بيتي . . من أمتي وسوى بين إصبعيه كهاتين ولو . . كهاتين ما لاحدهما فضل على الآخر أبشر) .

[2] النعماني : صـ ١٧٩ - ١٨٠ بـ ١٠ حـ ٢٦

- قال أبو عبد الله عليه السلام - في حديث طويل - : [يظهر صاحبنا ، وهو من صلب هذا - وأومأ بيده إلى موسى بن جعفر عليه السلام - فيملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً ، وتصفو له الدنيا][1] .

- المفضل بن عمر قال : دخلت على سيدي جعفر بن محمد عليه السلام ، فقلت : يا سيدي لو عهدت إلينا في الخلف من بعدك ؟ فقال لي عليه السلام : [يا مفضل : الامام من بعدي ابني موسى ، والخلف المأمول المنتظر « م ح م د » ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى][2] .

- عن وهب بن منبه قال : إنَّ موسى نظر ليلةَ الخطاب إلى كلِّ شجرةٍ في الطُّور وكلِّ حجرٍ ونبات تنطقُ بذكر محمَّد صلى الله عليه وآله وإثني عشر وصيًّاً له من بعده ، فقال موسى : إلهي لا أرى شيئاً خلقتَهُ إلا وهو ناطق بذكر محمد صلى الله عليه وآله وأوصيائه الاثني عشر ، فما منزلةُ هؤلاءِ عندك ؟ قال عزَّ وجل : يا ابن عمران ، إني خلقتُهُم قبل خلقِ الأنوار ، وجعلتُهُم في خزانة قدسي ، يرتعون في رياض مشيَّتي ، ويتنسَّمُون روحَ جبروتي ، ويشاهدونَ أقطار ملكوتي ، حتى إذا شئتُ مشيَّتِي أنفذتُ قضائي وقدري . يا ابن عمران ، إنِّي سبقتُ بهم السباق حتى أزخرف بهم جناني . يا ابن عمران : تمسَّك بذكرهم ، فإنهم خزنةُ علمي ، وعيبةُ حكمتي ، ومعدنُ نوري . قال حسين بن علوان : فذكرت ذلك لجعفر بن محمد عليه السلام فقال : « حقٌّ ذلك ، هم إثنا عشر من آل محمد صلى الله عليه وآله : علي ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، ومن شاء الله ،

---

[1] غيبة الطوسي : صـ ٢٨

[2] كمال الدين : جـ ٢ صـ ٣٣٤ بـ ٣٣ حـ ٤

قلت : جعلت فداك ، إنما أسألك لتفتيني بالحق ، قال عليه السلام : أنا ، وابني هذا - وأشار إلى ابنه موسى عليه السلام - ، والخامس من وُلدِهِ (أي المهدي) يغيبُ شخصهُ ، ولا يحل ذكره باسمه][1] ..

- أبو حمزة قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له : [أنت صاحب هذا الامر (أي القائم) ؟ فقال : لا ، فقلت : فَوَلَدُكَ ؟ فقال : لا ، فقلت : فولَدُ ولدك هو ؟ قال : لا ، فقلت : فولد ولد ولدك ؟ فقال : لا ، قلت : مَن هو ؟ قال : الذي يملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، على فترة مِن الائمة ، كما أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله بُعِثَ على فترة مِن الرسل][2]

- علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [يزعمون أنِّي أنا المهدي ، وإني إلى أجلي أدنى منِّي إلى ما يدَّعُون][3] . أي المهدي غيري من آل محمّد . وهو الثاني عشر .

كل هذهِ النصوص واردة لتأكيد أنَّ أمر الأئمّة عليهم السلام إنّما هو عن أمرِ الله تعالى ، وانّه ما مِن شيءٍ يقومون بهِ إلا هو مرسوم . ويكفي من النصوص ما أثبت أنّهم مُحدَّثون عليهم السلام ، وبالتالي ليس من فعلٍ إلا وهم

---

[1] مقتضب الاثر : صـ ٤١ - وكان بعض أهل البيت عليهم السلام يمنع ذكر إسم المهدي بإسمه على الكراهة مرّة والإحتراز مرّة أخرى . حيطةً منهم لولادتهِ فيما بعد ، ومع ذلك ورد ذكر إسمه كثيراً على لسانهم عليهم السلام ، فحمله كثيرٌ من الفقهاء على الكراهة ، وبعضهم حمله على الإحتراز ..

[2] الكافي : جـ ١ صـ ٣٤١ حـ ٢١ - أي تتحقّق فيه الغيبة ، حتى يقول القائل من المشكّكين بـه : هلك ، أو في أي وادٍ سلك .

[3] المحاملي في أماليه : على ما في برهان المتقي . * : برهان المتقي : صـ ١٧٤ بـ ١٢ حـ ١٢ وقال (وأخرج المحاملي في أماليه عن جعفر بن محمد بن علي بن حسين قال) : ..

يقومون بهِ على علمٍ وأثر ، ووصيّة وبيان .. والبارز في هذا النص لفت الإمام الحسن عليه السلام نظر الشيعةِ آنذاك إلى انَّ دولة آل محمّد التي تعمّ الدنيا إنّما تكون على يدِ إمام الحقِّ من آل محمّد ، يعني المهدي عليه السلام ..

وهذهِ النصوص شديدة النقل في جميع الطبقات عند الخاصَّة والعامّة ، وقد شهد بها الفقهاءُ والعلماءُ في طبقاتِهم المختلفة ، أمّا لأئمّة ، فقد ذكروها في جميع طبقاتِهم عليهم السلام .. وإليك نموذج ممّا ورد زمن الحسن عليه السلام :

- قال الاصبغ : سمعتُ الحسن بن علي عليه السلام يقول : [الائمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر ، تسعةٌ مِن صلب أخي الحسين ، ومنهم مهديُّ هذه الامة][1] .

- علي بن الحسين زين العابدين قال : قال الحسن بن علي عليه السلام : [الائمة عدد نقباء بني إسرائيل ، ومنَّا مهدي هذه الامة][2] .

- جنادة بن أبي أمية قال : دخلت على الحسن بن علي عليه السلام في مرضه الذي توفي فيه ، وبين يديه طست يقذف عليه (فيه) الدم ، ويخرج كبده قطعة قطعة مِن السمِّ الذي أسقاه معاوية ، فقلت : يا مولاي ، ما لك لا تعالِج نفسك ! فقال : يا عبد الله ، بماذا أعالجُ الموتَ ؟ قلت : إنَّا للهِ وإنا إليه راجعون . ثم التفت إليَّ وقال : [واللهِ إنه لَعهدٌ عهدَهُ إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله أنَّ هذا الامر يملكه اثنا عشر إماماً ، مِن وُلدِ علي وفاطمة عليهما السلام ، ما منَّا إلا مسموم أو مقتول][3] . أقول : في

---

[1] كفاية الاثر : صـ ٢٢٣

[2] كفاية الاثر : صـ ٢٢٤

[3] كفاية الاثر : صـ ٢٢٦

النصِّ سقطٌ ، وهو إثنا عشر إماماً ، إحدى عشر منهم مِن وُلدِ عليٍّ وفاطمة . والثاني عشر هو أبوهم الإمام علي (عليه السلام) . وقد تكاثرت النصوص المعتبرة التي تشير إلى هذا المعنى ..

- أبو هاشم الجعفري - رفع الحديث - قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : دخل أمير المؤمنين صلوات الله عليه المسجد ، ومعه الحسن (عليه السلام) ، فدخل رجلٌ فسلَّم عليه ، فردَّ عليه شبيهاً بسلامه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، جئتُ أسألك ، فقال (عليه السلام) : سَل ، قال : أخبرني عِن الرجل إذا نام أين تكون روحه ؟ وعن المولود الذي يشبه أباهُ كيف يكون ؟ وعن الذكر والنسيان كيف يكونان ؟ قال : فنظر أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الحسن (عليه السلام) فقال : أجبه ، فقال الحسن : [إنَّ الرجل إذا نام فإنَّ روحه متعلِّقة بالريح ، والريح متعلقة بالهواء ، فإذا أرادَ اللهُ أن يقبض روحه جذب الهواء الريح ، وجذبت الريحُ الروحَ ، وإذا أرادَ اللهُ أن يردَّهَا في مكانها جذبت الروح الريح ، وجذبت الريح الهواء ، فعادت إلى مكانها ، وأما المولود الذي يشبهُ أباه ، فإنَّ الرجل إذا واقع أهله بقلب ساكن وبدن غير مضطرب وقعت النطفة في الرحم ، فيشبه الولد أباه ، وإذا واقعها بقلب شاغل وبدن مضطرب ، فوقعت النطفة في الرحم ، فإن وقعت على عرق من عروق أعمامه يشبه الولد أعمامه ، وإن وقعت على عرق من عروق أخواله يشبه الولد أخواله . وأما الذكر والنسيان ، فإنَّ القلب في حق والحق مطبق عليه ، فإذا أراد الله أن يذكر القلب سقط الطبق فذكر . فقال الرجل : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وأشهد أن أباك أمير المؤمنين وصي محمد حقّاً حقّاً ، ولم أزل أقوله ، وأشهد أنك وصيه ، وأشهد أن الحسين وصيك ، حتى أتى على آخرهم ؟ فقال : قلت لأبي عبد الله : فمن كان الرجل ؟ قال : الخضر (عليه السلام)][1] .

---

[1] المحاسن : صـ ٣٣٢ حـ ٩٩ - عن أبي جعفر الثاني قال : أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه الحسن بن علي عليه السلام وهو متكئ على يد سلمان ، فدخل المسجد الحرام فجلس إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس ، فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام فرد عليه السلام فجلس ثم قال : يا أمير المؤمنين : أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهن علمت أن القوم ركبوا من أمرك ما قضى عليهم وأن ليسوا بمأمونين في دنياهم وآخرتهم ، وإن تكن الاخرى علمت أنك وهم شرع سواء ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : سلني عما بدا لك ، قال : أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه ؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى ؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الاعمام والاخوال ؟ فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن فقال : يا أبا محمد أجبه ، قال فأجابه الحسن عليه السلام .. فقال الرجل : أشهد أن لا إله إلا الله ولم أزل أشهد بها ، وأشهد أن محمدا رسول الله ولم أزل أشهد بذلك ، وأشهد أنك وصي رسول الله صلى الله عليه وآله والقائم بحجته - وأشار إلى أمير المؤمنين - ولم أزل أشهد بها ، وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته - وأشار إلى الحسن عليه السلام - وأشهد أن الحسين بن علي وصي أخيه والقائم بحجته بعده ، وأشهد على علي بن الحسين أنه القائم بأمر الحسين بعده ، وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن الحسين ، وأشهد على جعفر بن محمد بأنه القائم بأمر محمد ، وأشهد على موسى أنه القائم بأمر جعفر بن محمد ، وأشهد على علي بن موسى أنه القائم بأمر موسى بن جعفر ، وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن موسى ، وأشهد على علي بن محمد بأنه القائم بأمر محمد بن علي ، وأشهد على الحسن بن علي بأنه القائم بأمر علي بن محمد ، وأشهد على رجل من ولد الحسن لا يكنى ولا يسمى حتى يظهر أمره فيملاها عدلا كما ملئت جورا ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . ثم قام فمضى ، فقال أمير المؤمنين : يا أبا محمد اتبعه فانظر أين يقصد ، فخرج الحسن بن علي عليهما السلام فقال : ما كان إلا أن وضع رجله خارجا من المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله ، فرجعت إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فأعلمته فقال : يا أبا محمد أتعرفه ؟ قلت : الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم ، قال : هو الخضر عليه السلام . [النعماني : صـ ٥٨ - ٦٠ ب ٤ حـ ٢ - كما في المحاسن ، بتفاوت وزيادة] .

- عبد الله بن شريك عن رجلٍ مِن همدان قال : سمعت الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : [قائم هذه الامة هو التاسع مِن وُلدِي ، وهو صاحب الغيبة ، وهو الذي يقسم ميراثه وهو حي][1] .

وقد شاع وذاع أمرُ هذهِ النصوص زمن النبيِّ والأئمّة عليهم السلام ، واتفق السنَّة على نقلِه ، مقرِّين أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قال متواتراً أنَّ الأئمّة إثنى عشر ، كلهم من قريش . ونقل العديدُ منهم أسماء الأئمّة عليهم السلام بالتمام ، بدءاً من علي بن أبي طالب عليه السلام وصولاً إلى مولانا القائم المهدي عجل الله فرجه .. وكثيراً ما كان الأئمّة عليهم السلام يحتجُّون بهِ ، ويردِّدونَهُ ، وقد سمعتَ ما اشارَ إليهِ الإمام الحسنُ عليه السلام في كثيرٍ من مقاماتِهِ ، والنصوص في هذا الأمر عندنا أكثر من أن تُحصى ..

ولا بدَّ من التذكير بأنَّ كثيراً من النصوص التي ذكرت الأئمة الإثنى عشر أشارت إلى المهدي ، قائم آل محمّد ، الثاني عشر ، الذي يخرج آخر الزمان فيملأ ألأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً ..

وفي الرواية عن الحسن بن زيد بن علي قال : سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن سن جدنا علي بن الحسين عليه السلام ؟ فقال : أخبرني أبي ، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام قال : [كنت أمشي خلف عمِّي الحسن وأبي الحسين عليهما السلام في بعض طرقات المدينة في العام الذي قُبِضَ فيه عمِّي الحسن عليه السلام وأنا يومئذ غلام لم أراهق أو كدت ، فلقيهما جابر بن عبد الله وأنس بن مالك الانصاريان في جماعة من قريش والانصار ، فما

---

[1] كمال الدين : ج ١ صـ ٣١٧ بـ ٣٠ حـ ٢ عن كمال الدين وفيه (هو قائم هذه الامة التاسع من ولدي صاحب الامر وهو الذي يقسم) .

تمالك جابر بن عبد الله حتى أكبَّ على أيديهما وأرجلهما يقبّلهما ، فقال رجلٌ مِن قريش كان نسيباً لمروان : أتصنع هذا يا أبا عبد الله وأنت في سنِّك هذا ، وموضعك مِن صحبةِ رسولِ الله .! وكان جابرٌ قد شهد بدراً ؟ فقال له : إليك عنِّي ، فلو عَلِمْتَ يا أخا قريش مِن فضلهما ومكانهما ما أعلم لقبَّلتَ ما تحت أقدامهما مِن التراب .

ثم أقبل جابرٌ على أنس بن مالك فقال : يا أبا حمزة أخبرني رسولُ الله ﷺ فيهما بأمرٍ ما ظننتُهُ أنه يكون في بشر . قال : له أنس : وبماذا أخبرك يا أبا عبد الله ؟ قال علي بن الحسين : فانطلق الحسنُ والحسينُ عليهما السلام ، ووقفتُ أنا أسمعُ محاورة القومِ ، فأنشأ جابر يحدِّثُ قال :

بينما رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ في المسجد وقد حفَّ من حوله إذ قال لي : يا جابر ادعُ لي حسناً وحسيناً ، وكان شديد الكلف بهما ، فانطلقتُ فدعوتهما وأقبلت أحملُ هذا مرَّةً وهذا أخرى ، حتى جئته بهما ، فقال لي - وأنا أعرفُ السرور في وجهه لِمَا رأى مِن محبَّتي لهما وتكريمي إياهما - : أتحبّهما يا جابر ؟ فقلت : وما يمنعني مِن ذلك - فداك أبي وأمي - وأنا أعرف مكانهما منك ؟ قال ﷺ : أفلا أخبرك عن فضلهما ؟ قلت : بلى ، بأبي أنت وأمي .

قال ﷺ : إنَّ الله تعالى لمَّا أحبَّ أن يخلقني خلقني نطفة بيضاء طيِّبة فأودعها صلبَ أبي آدم عليه السلام ، فلم يزل ينقلها مِن صلب طاهرٍ إلى رحمٍ طاهرٍ إلى نوح وإبراهيم عليهما السلام ، ثم كذلك إلى عبد المطلب ، فلم يصبني مِن دنس الجاهلية ، ثم افترقت تلك النطفة شطرين إلى عبد الله وأبي طالب ، فولدني أبي فختمَ اللهُ بي النبوة وولد أبو طالب عليَّاً فختمت به الوصية ،

ثم اجتمعت النطفتان منِّي ومِن علي فولدنا الجهر والجهير الحسنان فختم بهما أسباط النبوة وجعل ذريتي منهما ، وأمرني بفتح مدينة - أو قال مدائن - الكفر . ومن ذرية هذا - وأشار إلى الحسين عليه السلام - رجلٌ يخرجُ في آخر الزمان ، يملأ الارضَ عدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ، فهما طاهرانِ مطهَّرانِ ، وهما سيِّدا شبابِ أهل الجنة ، طوبي لمن أحبّهما وأباهما وأمهما ، وويل لمن حاربهم وأبغضهم][1] .

فأيُّ شيئٍ بعد هذا أعظم وأبلغ وأكثر بياناً واسطع برهاناً ..!

بل في الرواية عن الشعبي قال : إنَّ عبد الملك بن مروان دعاني فقال : يا أبا عمرو ، إنَّ موسى بن نصير العبدي كتب إليَّ - وكان عامله على المغرب - يقول : - ثم ذكر قصة طويلة حول مدينةٍ بناها سليمان بن داود عليه السلام وإنه لم يقدر أحدٌ على بلوغها فأمر عبد الملك موسى بن نصير بالاستعداد ، والخروج ، فلما وصل إلى سور المدينة ، رأى فيه كتاباً ، فيه شعر بالعربية ، وفي آخره -: حتى يقوم بأمر الله قائمهم * مِن السماء إذا ما بإسمِهِ نُودِيَ .

فلما قرأ عبد الملك الكتاب ، وأخبره طالب بن مدرك وكان رسوله إليه بما عاين مِن ذلك ، وعنده محمد بن شهاب الزهري قال :

[أخبرني علي بن الحسين أنَّ هذا المهدي مِن وُلدِ فاطمة بنت رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله][2] ،

---

[1] أمالي الطوسي : ج ٢ صـ ١١٣ - ١١٤

[2] مقتضب الاثر : صـ ٤٣

وهذا كما ترى من بابِ التاكيد المُدهِشِ على عظمةِ هذا البيت ، وتلك الثلّة ، والسلالة التي أناط اللهُ بها إتمام أمـرهِ ، فنصـبهم حجـةً علـى الخلـقِ أجمعين إلى قيام يوم الدِّين ، وإنّي مذهول من قارئ يقرأ هذهِ الحقـائق فـي كُتب الطرفين ، ولا يقيم أمرهُ على هذا النحوِ من ولايتِهم عليهم السلام ..

وفوق هذا وذاك اتّفق علماءُ المسلمين جميعاً على ضـرورة وجـود الحجَّة في الأرض على الناس . ويعتبر هذا العنوان مـن العنـاوين الرئيسـيّة جداً في هذا المجـال ، والنصـوص كثيـرة ، منهـا مـا ورد عـن طريـق أهـل البيت عليهم السلام :

- أبو حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال : [.. والله ما ترك الارض منذ قبض الله آدم إلا وفيها إمام يهتدى به إلى الله ، وهو حجة الله على عباده ، ولا تبقى الارض بغير إمام حجة الله على عباده][1] .

- سليمان بن خالد عن أبـي جعفـر عليه السلام قـال : [.. مـا كانـت الارض إلا وفيها عالم][2] . أي حجّة .

- محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : [لا تبقى الارض بغير إمـام ظاهر][3] .

- عمرو عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قـال سـمعته يقـول : [.. لـو بقيـت الارض يوماً بلا إمام منَّا لساخت بأهلها ، ولَعذَّبهم اللهُ بأشدّ عذابه ،

---

[1] بصائر الدرجات : صـ ٤٨٥ بـ ١٠ حـ ٤

[2] المحاسن : صـ ٢٣٤ بـ ٢١ حـ ١٩١

[3] بصائر الدرجات : صـ ٤٨٦ بـ ١٠ حـ ١٤ –

وذلك أنَّ الله جعلنا حجَّةً في أرضه ، وأماناً في الارض لأهل الارض ، لن يزالوا في أمان أن تسيخ بهم الارض ما دُمنَا بين أظهرهم ، فإذا أراد اللهُ أن يُهلِكَهُم ثم لا يمهلهم ولا ينظرهم ذهب بنا مِن بينهم ، ورفعنا إليه ، ثم يفعل الله بهم ما يشاء وأحب][1] .

- أبو حمزة الثمالي قال : قال الباقر عليه السلام : [.. ما خلت الدنيا - منذ خلق الله السماوات والارض - مِن إمام عدل إلى أن تقوم الساعة ، حجّة لله فيها على خلقه][2] .

- الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : [.. مَن مات وليس له إمام ، فموته ميتة جاهلية ، ولا يُعذَرُ الناسُ حتى يعرفوا إمامهم ، ومَن مات وهو عارف لِإمامِه لا يضره تقدُّم هذا الامر أو تأخّره . ومن مات عارفاً لامامِه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه][3] .

- أبو هراسة عن أبي جعفر عليه السلام قال : [.. لو أنَّ الامام رُفِعَ مِن الارض ساعةً لساخت بأهلها كما يموج البحر بأهله][4] .

- يزيد الكناسي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام : أكان عيسى بن مريم عليه السلام حين تكلَّم في المهد « حجةَ الله » على أهل زمانه ؟ فقال عليه السلام : [كان عليه السلام يومئذ نبيّاً حجَّة لله غير مُرسَل ، أمَا تسمع لقوله حين قال

---

[1] الاصول الستة عشر : صـ ١٦

[2] الامامة والتبصرة : صـ ٢٥ بـ ٢ حـ ٢

[3] المحاسن : صـ ١٥٥ - ١٥٦ بـ ٢٢ حـ ٨٥

[4] بصائر الدرجات : صـ ٤٨٨ بـ ١٢ حـ ٣

﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنتُ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حيَّاً ﴾ ؟ قلتُ : فكان يومئذ حجَّة له على زكريا في تلك الحال وهو في المهد ؟ فقال : كان عيسى عليه السلام في تلك الحال آيةً للناس ورحمة مِن الله لمريم حين تكلَّم فعبَّر عنها وكان نبيَّاً حجَّة على مَن سمع كلامه في تلك الحال ، ثم صمت عليه السلام فلم يتكلَّم حتى مضت له سنتان ، وكان زكريا الحجَّة لله عزَّوجلَّ على الناس بعد صمت عيسى بسنتين ، ثم مات زكريا فورثه ابنه يحيى (ورث) الكتاب والحكمة وهو صبي صغير ، أما تسمع لقوله عزوجل : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناهُ الحُكْمَ صبيًّا ﴾ ، فلما بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين تكلَّم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله تعالى إليه ، فكان عيسى الحجَّة على يحيى وعلى الناس أجمعين . وليس تبقى الارض يا أبا خالد يوماً واحداً بغير حجَّة لله على الناس منذ يوم خلق اللهُ آدمَ عليه السلام وأسكنه الارض . قلت : جعلت فداك أكان عليٌّ عليه السلام حجَّة مِن الله ورسوله على هذه الامة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : نعم يوم أقامه للناس ونصبهُ علماً ودعاهم إلى ولايته وأمرهم بطاعته . قلت : وكانت طاعة علي عليه السلام واجبةً على الناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته ؟ فقال عليه السلام : نعم ، ولكنه صمت - لم يتكلَّم مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكانت الطاعةُ لرسول الله صلى الله عليه وآله على أُمَّتِه وعلى علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكانت الطاعةُ مِن الله ومِن رسوله على النَّاس كلِّهم لعلي عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان علي عليه السلام حكيماً عالماً][1] ..

---

[1] الكافي : ج ١ صـ ٣٨٢ - ٣٨٣ حـ ١ . أيضاً في لفظ آخر عن يزيد الكناسي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : كان عيسى عليه السلام حين تكلَّم في المهد حجة لله جلَّت عظمتُهُ على أهل زمانه ؟ قال عليه السلام : [كان يومئذ نبيَّاً حجَّة على زكريا في تلك الحال وهو في المهد ، وقال : كان في تلك الحال آية للناس ورحمة من الله لمريم عليها السلام

تؤكِّد هذهِ النصوص أنَّ اللهَ خلف بعد النبيِّ الحُجَجَ ، بل في حياتِهِ ﷺ ، وانه لم يترك الناس دون هادٍ ومرشد منصوب مِن قِبَلِهِ تعالى ..

ثم هذه العناوين مِن الأمور الإتفاقيَّة بمضمونِها في فقه الرواية وألسنة الدراية .. والجميع اتفق على انّه الله تعالى لا يترك خلقه من دون حجّة يرجعون إليها ويستكشفون حقائق الحال ومقاصد المآل ..

وموضوع الأئمّة الإثنى عشر والبشارة بالمهدي عليه السلام من الأمور شديدة الترجمة لعناوين الإحتجاج الرباني ، بل هي هي : بيانُها ولسانُها ومفتاحُها وبنيتُها في مقام الإستدلال والإنطباق .. وأكثر من هذهِ وتلك النصوص في أصل مضمونِها سواء بالأئمّة عليهم السلام أو بالمهدي عليه السلام أو بأصل الإحتجاج من اللهِ على الخلق واردة في كتب الفريقين من السنّة والشيعة ..

حين تكلَّم وعبَّر عنها ونبياً وحجة على من سمع كلامه في تلك الحال ، ثم صمت فما تكلم حتى مضت له سنتان ، وكان زكريا عليه السلام الحجة على الناس بعد صمت عيسى سنتين . ثم مات زكريا ، فورثه يحيى عليه السلام الكتابَ والحكمةَ وهو صبي صغير ، فلما بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين تكلم بالنبوة حين أوحى الله تعالى إليه ، وكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين . وليس تبقى الارض يا أبا خالد يوما واحدا بغير حجة الله على الناس منذ خلق الله آدم عليه السلام . قلت : أو كان علي بن أبي طالب عليه السلام حجَّة من الله ورسوله إلى هذه الامة في حياة رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، وكانت طاعته واجبةً على الناس في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ، ولكنه صمت ولم يتكلم مع النبي ﷺ وكانت الطاعة لرسول الله ﷺ على أمته وعلى علي معهم في حال حياة رسول الله ، وكان علي حكيماً عالماً] (البحار : ج ١٤ صـ ٢٥٥ - ٢٥٦ ب ١٨ ح ٥١) .

فضل ليلة الخامس عشر من شعبان

ورد في فضل ليلة شعبان طائفة من النصوص التي تشير إلى عظمتِها وخيرها والفضل الذي عقده اللهُ بها ، وهي الليلة التي وُلِد فيها آخر الخلفاء المُنَصَّبين من قبل الله تعالى المهدي المنتظر عليه السلام .. ففي رواية ابن كردوس عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : [مَن أحيا ليلة العيد ، وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب][1] .

وفي رواية كثير بن مرة : - ولم يسنده إلى النبي ﷺ - قال : [إنَّ الله يطلع ليلة النصف من شعبان إلى العباد ، فيغفر لأهل الارض إلا رجل مشرك أو مشاحن][2] .

وقال عبد الرزاق : أخبرني مَن سمع البيلماني يحدِّثُ عن أبيه عن ابن عمر قال : [خمس ليالٍ لا ترد فيهن الدعاء : ليلة الجمعة ، وأول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلتي (كذا) العيدين][3] .

---

[1] ثواب الاعمال : صـ ١٠١ حـ ٢

[2] عبد الرزاق : جـ ٤ صـ ٣١٦ حـ ٧٩٢٣ عن كثير بن مرة ، يرفعه إلى النبي ، مثل حديث محمد بن راشد . المفردات : الشحناء : العداوة ، والمشاحن المعادي ، ولعل المقصود به من غلبت عليه حالة العداء وعدم قبول الحق .

[3] وفيها : حـ ٧٩٢٧ - وعن الإمام علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : [إذا كانت ليلة النصف من شعبان ، فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فإنَّ الله يقول : ألا من مستغفر لي فأغفر له ، ألا مسترزق فأرزقه ، ألا مبتلى فأعافيه ، ألا كذا ألا كذا ، حتى يطلع الفجر] . عبد الرزاق : على ما في سند ابن ماجة ، ابن ماجة :

وكان الإمام علي عليه السلام يقول : [يعجبني أن يفرغ الرجل نفسه في السنة أربع ليال : ليلة الفطر ، وليلة الأضحى ، وليلة النصف من شعبان ، وأول ليلة من رجب][1] .

وعن الإمام الرضا عليه السلام : كان أمير المؤمنين عليه السلام لا ينام ثلاث ليال : ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان ، وليلة الفطر ، وليلة النصف من شعبان ، وفيها تقسم الأرزاق والآجال وما يكون في السنة[2] .

وعنه صلى الله عليه وآله : يطَّلِعُ الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن[3] .

وفي لفظٍ آخر قال صلى الله عليه وآله : يطَّلِع اللهُ عزَّ وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين : مشاحن ، وقاتل نفس[4] .

أقول : ما ورد في فضل ليلة النصف من شعبان عن طريق أهل البيت عليهم السلام كثيرٌ ، وهو يشيرُ إلى عظيم فضلها وثواب قيامها ، وتجديد البيعة للقائم المهدي عجل الله فرجه .. .

ج ١ صـ ٤٤٤ بـ ١٩١ حـ ١٣٨٨ وفي : صـ ٤٦٧ حـ ٧٤٦٣ عن ابن زنجويه ، عن أبي موسى : وفيه " . في النصف من شعبان فيغفر لاهل الارض إلا مشركا أو مشاحنا " .

[1] ميزان الحكمة للعلامة محمدي ري شهري .

[2] م . س .

[3] م . س .

[4] ما ورد في هذه النصوص أخذته عن ميزان الحكمة للعلامة محمدي ري شهري .

الفتن قبل المهدي عليه السلام

الفتنُ قبل الظهور وحتى زمن الظهور كثيرة ، لكنَّ الفتن الضخمة محدّدة ، وهي ذات لطمٍ شديد ، وبؤسٍ عظيم ، وتمادٍ خطير ، كلَّما قيل انتهت تمادت . ويبدو من النصوص أنَّها تطال المسلمين بشكلٍ حادّ ، على أنَّ الفتن الواردة في المتون شاملة لغير المسلمين . وهي تشير إلى اصطدام الجبهات وافتراس الأمم ، وحروب متنوّعة ، وغبار كثيف يطال الشعوب ، وجوع وقتل ووجع وحيرة مذهلة تطال الناس .

ويبدو أنَّ الأخيرة من الفتن تكون أشدَّ خطورة وهولاً وذهولاً للناس . ويكون أثرها مطبقاً شاملاً ، وهي الفتنة الصماء العمياء التي تطال الناس بشكلٍ مخيف ..

وفي رواية عاصم بن ضمرة عن الإمام علي عليه السلام قال : [.. جُعِلت في هذه الامة خمسُ فتن : فتنة عامة ، ثم فتنة خاصة ، ثم فتنة عامة ، ثم فتنة خاصة . ثم تأتي الفتنة العمياء الصماء المُطبقة التي يصير الناس فيها كالانعام][1] .

---

[1] عبد الرزاق : جـ ١١ صـ ٣٥٦ - ٣٥٧ حـ ٢٠٧٣٣

وفي « عبد الرزاق » ورد بتفاوت يسير ، وفيه : [.. وضعَ اللهُ في هذه الامة .. ثم فتنة تموج كموج البحر ، يصبح الناس فيها كالبهائم][1] . إشارة إلى شدّة الإصطكاك ، وقسوة الصَّدم ، وهول الأحداث .. ويبدو منها أنَّ الأحداث في الفتن الخامسة ستكون نشطة ، وخطيرة ، وشاملة ، ومطبقةً ، وأهوالها ستكون شديدة العنف والقسوة ..

وسنرى فيما بعد أنَّ منشأ هذهِ الفتن حروب وخلافات بين الأمم واصطدام ، وعنف متبادل ، وغزو وفتح مدن ودول ، وقتل هائل ، بحيث يتمايل الغرب على الشرق ، وتتطاحن الأمم ، ويكون المسلمون في خضمّ تلك الحروب التي تطالهم بشكلٍ عنيف وتذلّهم ..

في رواية عبد الله بن زرير الغافقي قال : سمعت عليَّاً عليه السلام يقول : [.. ألفتن أربع : فتنة السراء ، وفتنة الضراء ، وفتنة كذا - فذكر معدن الذهب - ثم يخرج رجلٌ من عترة النبي صلى الله عليه وآله يصلح اللهُ على يديه أمرهم][2] ..

أقول : تعدادُ الفتنِ إلى أربع هو خطأ مِن الراوي ، وإلَّا هي خمس ، إلا أن يكون الراوي في مقام الإشارة إلى أربعٍ دون حصر . والملفت في هذا النصِّ أنّه يعطينا صورة أوسع عن تمادي الفتن ، فتلك الفتنة الأخيرة تتمادى حتى ظهور قائم آل محمّد عليهم السلام ..

---

[1] وبسند آخر عن أبي القاسم محمد بن علي بن الحنفية بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : [يكون خمس فتن ، فتنة عامة وفتنة خاصة وفتنة سوداء مظلمة يكون الناس فيها كالبهائم] . ما ذكر الرابعة ولا الخامسة . كما في عبد الرزاق بتفاوت بسند آخر عن علي عليه السلام : - وفيه (تكون في ... ثم تكون فتنة سوداء مظلمة يكون الناس فيها كالبهائم) ..

[2] ابن حماد : صـ ٩ - ١٠ -

كما يشير النصُّ إلى فِتَنٍ متنوِّعة ، فهناك فتن السرّاء وفتنة الضراء ، أي فتنة النعيم ، وفتنة الجحيم ، وقد ورد مضمون هذا النصّ في طائفةٍ أخرى تشير إلى فتن الرخاء والرزق الوفير الذي يحوِّل وجوهاً من البشر إلى وحوش مفترسة ، ويغيِّر من صدورهم حتى ينقلبوا شياطين في الفعل والسلوك والتوحُّش والإنتقام ..

بل نجد في نصوصٍ مختلفة أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُعلن على رؤوس الأشهاد أنَّه لا يخاف على أُمَّتِهِ من فتنةِ الدجَّال التي شغلت قسطاً واضحاً من ذهن السائلين آنذاك ، بل من فتنة الدرهم والدينار ، وقد حذّر النبيُّ من فتنة الرخاء والنعيم الوفير أشدَّ تحذير .

ويبدو من النصوص أنَّ هذهِ الفتنة تكون قبل فتنة الضرَّاء ، وبذلك تتقلَّب بلاد الإسلام كما غيرها بين فتنتي السراء والضراء . فلا حجة لهم على الله بعد أن تقلَّبوا بالنعيم فجحدوا وتقلَّبوا ..

وإلى هذا المعنى يشير ما ورد في النهج عن الإمام علي عليه السلام حيث قال : [.. ألَا بأبي وأمي ، هم مِن عدَّةٍ أسماؤهم في السماء معروفةٌ ، وفي الارض مجهولة . ألَا فتوقَّعُوا ما يكون مِن إدبار أموركم ، وانقطاع وصلكم ، واستعمال صغاركم . ذاك حيث تكون ضربةُ السيف على المؤمن أهونَ مِن الدرهم من حلِّهِ . ذاك حيث يكونُ المُعطَى أعظم أجراً مِن المُعطِي . ذاك حيث تسكرون من غير شراب ، بل مِن النعمة والنعيم ، وتحلفون مِن غير

اضطرار ، وتكذبون مِن غير إحراج . ذاك إذا عضَّكُم البلاء كما يعضُّ القتب غارب البعير . ما أطول هذا العناء ، وأبعد هذا الرجاء][1] .

وعليه : تمدُّ النعمة خرطومها بين الناس فلا تجد شاكراً ، في حين يبدو من المتن أنَّ تحصيل الحلال يكون في قلّةٍ وجهدٍ غير عادي ، وهذا يتضمّن أنَّ المجتمع العالمي يصل إلى مرحلة تشريعيّة وقيم اجتماعيّة ثبّتت صيغاً ومعاملاتٍ تقوم على الحرام لا على الحلال ، مثل نظام الربا أو غيرهِ من الأخلاقيّات والماليّات والنظم السياسيّة عبر القيم التشريعيّة التي تجافي الشريعة وتخالفها .

والأمثلة في هذا المجال أكثر من أن تحصى ، حتى أصبح تعليم الفتيات في أكثر من بلدٍ إسلامي ممنوعاً على المحجَّبات ، وبمواد قانونيَّة ، هذا فضلاً عن الغرب الذي تقودهُ اليوم فرنسا بعمل تشريعي يمنع على الفتيات الدخول بالحجاب إلى المدارس الرسميّة . وقد طُبّق هذا العام - ٢٠٠٤ -

وما الحجاب والربا إلا أمثلة بسيطة في عالم يتغيَّر بشكلٍ هيكلي فيُضمِّن هويَّتَه الإجتماعيّة الإقتصاديّة السياسيَّة الماليّة صيغاً شديدة الإختلاف مع الشريعة ..

ويكفي أنَّ تأصيل مبدأ الفصل بين الدِّين والسياسة - أي فلسفة الحكم العلماني - أصبح من العناوين التي يشتغل عليها أهل القانون

---

[1] نهج البلاغة ، صالح : صـ ٢٧٧ خطبة ١٨٧ عبده : جـ ٢ صـ ١٢٦ . * : ابن ميثم البحراني : جـ ٤ صـ ١٨٢ - ١٨٣ .

والسياسة في العالم لتأكيد فرز خلافي عنيد بين الدِّين والقانون .. ونتائج هذه المدرسة أصبحت أكثر صداميّة مع قيم الشريعة ومفاهيم الدِّين ..

ولفت نظري أنَّ الإتّحاد الأوروبي أصرَّ على منع تضمين الدستور الأوروبي ولو عبارة واحدة تشير إلى الله ..! والأكثر غرابة أنَّ محاكم رفيعة في الولايات المتَّحدة حكمت في أنَّ أي نشيد أو عبارة تشير إلى الله في أي مركز تربوي أو علمي أو حكومي هو أمر غير قانوني ، لأنَّ مصدر القانون هو الشعب وليس الله ..! ولأنَّ الدستور لا يقرُّ السلطة الدينيّة بل السلطة الوضعيَّة الزمنيّة ..!

وهذا أخطر ما في الأمر ، لأنَّ هيكلة المجتمع على هذا النحو تُدخل العالَم في نفقٍ من اللاشرعيّة في القيم والصِّيَغ ومفاصل حركة الجماعة والإجتماع ..

والمحصَّل أنَّ الصورة آنذاك تبدو على شكل فتنٍ مختلفة ، تبدأ بالسراء ، وتنتهي بالضراء ، وفي كلا الفتنتين يفشلُ الناس في تصحيح سلوكهم ، فتصدمهم الفتن وتتكاثرهم المِحَن . هذه الفتن التي تتشكَّل بما كسبت أيدي الناس ، وكما يقول الإمام علي عليه السلام : « كما تكونوا يُولَّى عليكم » ، الناس هم الذين يساهمون في إيصال زعامات إلى الحكم لا يراعون حدود الله ، هم المسؤولون عن ذلك ، الأم والأب اللذان يتركانِ ابنتهما على التعري والسفور والدعارة يساهمون في دعم الباطل واضعاف الحق ، بالإضافة إلى أمورٍ أخرى يتركها أهل الإسلام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى يصبح الإسلام غريباً بينهم كغربتِهِ اليوم أو أشدّ ، فيساهم ذلك في تكوين مفهوم إجتماعي سياسي أدبي أخلاقي اقتصادي

جاحد ، صِدَامي مع حقوق الفرد والجماعة والإجتماع ومسيرة الإنسان الكونيّة ، إلى أن يصل إلى حدِّ الإنفجار على شكل حربٍ أو جوعٍ أو استعبادٍ أو موت أحمر وجوع أغبر وغير ذلك ..

وكلُّ ذلك يكون في عالمٍ يملأهُ الفساد والإضطهاد ونفوذ الجور وأئمّة الباطل .. وفي رواية عاصم بن ضمرة عن علي ﷺ قال : [لَتُملأنَّ الارضُ ظُلماً وجوراً ، حتى لا يقول أحدٌ : الله الله ، يستعلن به ، ثم لَتُملأنَّ بعد ذلك قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً][1] . إشارة إلى تعاظم أمر الفسق والجور والباطل والإنحراف ، حتى يصبح إعلان الربوبيَّة شاذّاً غريباً ، أو يموت ذكر اللهُ في الصدور حتى تستهجن منه الأذان ، أو تنكرهُ النفوس فلا تذكره الألسن ..

والذي يستفاد من النص واحد من إثنين أو الإثنين معاً : إمّا يصبح ذكر اللهُ تهمة ، بحيث يُؤخذُ ذاكرُ الله فيُعاقب ، والأمثلة التقريبيَّة في زمننا كثيرة . وإمَّا أن يكون ذكرُ الله أمراً حرجاً ، يسخر منه أهل الجماعة والإجتماع ، بحيث يُمتَهَنُ صاحبُهُ ، وهذا أمر ممكنٌ أيضاً ، وأمثلتُه التقريبيَّة أكثر من أن تحصى ، خاصّةً إذا استفدنا من ذكر الله : القول أو التزام الشريعة ..

وقطعاً : لسان النصِّ وارد في لون من ألوان الإشارة والكناية ، وكأنَّه يريد التأكيد على انَّ الإلتزام بالشريعة في ذلك الزمن أمرٌ غريبٌ وصعب ، يبعث على الإستهجان ..

---

[1] عبد الرزاق : ج ١١ صـ ٣٧٣ حـ ٢٠٧٧٦

وفي رواية إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي عليه السلام قال : [.. يُنقَضُ الدِّينُ حتى لا يقول أحدٌ : لا إله إلا الله - وقال بعضهم - حتى لا يُقَال : الله الله ، ثم يضرب يعسوب الدِّين بذنبه ، ثم يبعث اللهُ قوماً قزع (كذا) كقزع الخريف ، إني لَأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم][1] .

تأكيداً على أنَّ الدِّينَ يعودُ غريباً كما بدأ ، ويكون القائلُ بهِ قليلاً جداً ، وميزةُ هؤلاءِ أنّهم مغمورون غير معروفين . بل هيكل المجتمع العالمي وقيمهُ وقوانينُهُ ومفاصلهُ لا تسمح لهم بالظهور أو الدعوة السليمة إلى الدِّين أو النشاط الديني الحقّاني . باستثناء أمّة تكون في ارض خراسان توطِّئ لظهور المهدي ، فيلاقيها من العناء ما يلاقيها فتثبت ، بالإضافة إلى طوائف قليلة متفرِّقة هنا وهناك ، منها طائفة تكون في برِّ الشام قريباً من أكناف بيت المقدس ، يكونون على مذهب آل محمَّد عليهم السلام ..

على أنَّ ذيل النصِّ يقرِّرُ أنَّ منتهى الفتنة تلك يبدأ بمشروع عالمي ضخم ، يكون عامودهِ الفقري بداية ظهور مولانا الإمام المهدي عليه السلام ، الذي يبدأ مسيرة تغييريّة ضخمة ، تنتهي بإعلان الإسلام منظومة حكم ووجود لكافّة أقطار الأرض ، وتحت سلطة مركزيّة واحدة ..

وعن ابن أبي الحديد أيضاً كما ورد عند ابن أبي شيبة بتفاوت يسير ، وفيه قال عليه السلام : [.. فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدِّين بذنبه ، فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف][2] . وقال : « .. هذا الخبر مِن أخبار الملاحم التي كان يُخبِرُ بها عليه السلام ، وهو يذكر فيه المهديَّ عليه السلام الذي يُوجد

---

[1] ابن حماد : صـ ١٠٨

[2] : جـ ١٩ صـ ١٠٤

عند أصحابنا في آخر الزمان .. فإنْ قلتَ : فهذا يشيِّدُ مذهب الامامية في أنَّ المهدي خائفٌ مستتر ، ينتقل في الارض ، وأنه يظهر آخر الزمان ، ويثبت ويقيم في دار ملكه ؟ قلتُ : لا يبعد على مذهبنا أن يكون الامام المهدي عليه السلام الذي يظهر في آخر الزمان ، مضطرب الأمر ، منتشر الملك في أول أمره لمصلحةٍ يعلمها الله تعالى ، ثم بعد ذلك يثبت ملكه وتنتظم أموره »[1] .

وهناك أكثر من نصٍّ يشير إلى نوعٍ بياني من قواصف الفتن وظروفها وناهقيها وبيئتِها ، من تلك النصوص حديث ينقله سلمان الفارسي ، يبدو انّه جليل المضامين لولا بعض العبارات الغامضة التي وردت فيه ، فعن سلمان الفارسي قال : خطبنا أميرُ المؤمنين عليه السلام بالمدينة . وقد ذكر الفتنة وقرَّبَهَا ، ثم ذكر قيام القائم عليه السلام من وُلدِه ، وأنَّهُ يملؤُهَا عدلاً كما مُلِئَت جوراً ، قال سلمان فأتيتُهُ خالياً فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، متى يظهرُ القائم مِن وُلدِك ؟ فتنفَّسَ الصعداء وقال عليه السلام :

[لا يظهر القائمُ حتى يكون أمورُ الصبيان ، وتضييعُ حقوقِ الرحمان ، ويُتغنَّى بالقرآن بالتطريب والالحان ، فإذا قَتَلَت ملوكُ بني العباس أولي الغمار والالتباس أصحابَ الرمي عن الأقواس بوجوهٍ كالتراس ، وخربت البصرة ، وظهرت العشرة ، قال سلمان قلتُ : وما العشرة يا أمير المؤمنين ؟

قال عليه السلام منها : خروجُ الزنج ، وظهور الفتنة ، ووقايع بالعراق ، وفتنُ الآفاق ، والزلازل العظيمة ، مُقعِدَةٌ مُقيمَة ، ويظهر الحندر والديلم بالعقيق والصيلم ، وولاية القصاح بعقب الفم الجناح ، وظهور آيات مفتريات

---

[1] م . س .

في النواحي والجنابات ، وعمران الفسطاط بعين القرب والاقباط ، ويخرج الحائك الطويل بأرض مصر والنيل ،

قال سلمان فقلت : وما الحائك الطويل ؟

قال ﷺ : رجلٌ صعلوك ، ليس مِن أبناء الملوك ، تظهر له معادنُ الذهب ، ويساعده العجم والعرب ، ويأتي له مِن كلِّ شيئ حتى يلي الحسن ، ويكون في زمانه العظائم والعجائب ، وإذا سار بالعرب إلى الشام ، وداس بالبرذون أرحامَ السيل بين جيشه ، ووصل جبل القاعوس في جيشه ، فيجري به بعض الأمور ، فيسرع الاسلاف ولا يهنيه طعامٌ ولا شرابٌ حتى يعاود بأيلون مصر ، وكثرة الآراء والظنون ولا تعجز العجوز ، وشيد القصور ، وعمر جبل الملعون ، وبرقت برقة فردت ، واتصل الاشرار بين عين الشمس وحلوان ، وسمع من الاشرار الاذان ، فصعقت صاعقة برقة وأخرى ببلخ والبرقة ، وقاتل الاعراب البوادي ، وجرت السفياني خيلُهُ وجنَّد الجنود ، وبنَّدَ البنود ، هناك يأتيه أمرُ اللهِ بغتةً لغلبة الاوباش وتعيش المعاش ، وتنتقص الاطراف ، ويكثر الاختلاف ، وتخالفه طليعة بعين طرطوس وبقاصية أفريقية ، هناك تقبل رايات مغربية أو مشرقية ، فأعلنوا الفتنة في البرية ، يا لها مِن وقعات طاحناتٍ مِن النبل والاكمات ، وقعات ذات رسون ومنابت اللون ، بعمران بني حام بالقمار الادغام ، وتأويل العين بالفسطاط من التربت من غير العرب والاقباط بأدبجة الديباج ونطحة النطاح بأحراث المقابر ودروس المعابر ، وتأديب المسكوب على السن المنصوب باقصاح رأس العلم والعمل في الحرب بغلبة بني الاصفر على الانعار وقع المقدار فما يغني الحذر .

هناك تضطرب الشام وتنتصب الاعلام وتنتقص التمام ، وسد غصن الشجرة الملعونة الطاغية ، فهنالك ذلٌّ شامل وعقل ذاهل ، وختل قابل ، ونبل ناصل ، حتى تغلب الظلمةُ على النور ، وتبقى الامور من أكثر الشرور ، هنالك يقوم المهدي عليه السلام من وُلْدِ الحسين لا ابن مثله لا ابن ، فيزيل الردى ، ويميت الفتن ، وتتدارس الركبتين (كذا) هناك يقضي لأهل الدِّين بالدِّين .

قال سلمان ثم انضجع ووضع يده تحت رأسه يقول : شعار الرهبانية القناعة][1] .

ففي هذا النص إشارة إلى أمورٍ عدَّة أهمُّها : حكم الصبيان - وقد ورد هذا المعنى في أكثر من نص - وتضييع حقوق الرحمن ، وهو لفظٌ شاملٌ لأحكام الشريعة في مجالاتِها المتعددة من قيم فرديَّة وجماعيَّة : إجتماعيّة وسياسيّة واقتصاديّة ومعارف ومعالم وعقائد .. كما من معانيه التغنِّي بالقرآن بالتطريب والألحان ، وهو كناية عن هتك حرمة الدِّين ، وتحويل القرآن مِن رسالة مقدّسة إلى سلعة غنائيَّة للتسلية والطرب ..! وعلى كلٍّ حال النص يتضمَّن إشارة إلى إسقاط القرآن من رتبة القيادة والسلطنة والقيمومة على البشر إلى مقام عدم الإهتمام والإلتفات إليه ..

---

[1] دلائل الامامة : صـ ٢٥٣ - ٢٥٤ - العدد القوية : صـ ٧٥ ح ١٢٦ - مرسلا وقال (قال سلمان الفارسي رضي الله عنه : أتيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خاليا فقلت يا أمير المؤمنين متى القائم من ولدك ؟ فتنفس الصعداء وقال : - وفيه (. . ويُتغنَّى بالقرآن ، فإذا قتلت ملوك بني العباس أولي العمى والالتباس . . وخربت البصرة هناك يقوم القائم من ولد الحسين عليه السلام) . وبسبب اضطراب بعض فقرات النص التي لم يمكن اعراب عدد من كلماته ومثل هذا الاضطراب من الراوي أو الناسخ فإنها تضيع الفائدة المطلوبة من الحديث في عدّة جوانب منه ، في حين يبدو على هذا الحديث الجلالة وتضمين الأسرار ورسم صورة أكثر تفصيلاً وهولاً للأحداث ..

ثم ينتقل ﷺ إلى بيان معركة يقودها ملوك بني العباس ، وتعبير بني العباس إشارة إلى حكّام يحكمون العراق وهم من سلالة العباس . يبدو أنّهم ينتصرون في هذه المعركة ، ويقتلون صنفاً من المقاتلة ، هم اصحاب الرمي عن القواس ، وكأنّه إشارة إلى حربٍ تتقاذفها الحمم من بعيد ، بل هو وارد في حربٍ يتمُّ فيها التقاذف بوسائل الحرب ، والتترُّس كما في الفقرة الثانية .

ثم يشير إلى خراب البصرة ، وهل المقصود أنّ انتصار بني العباس على هؤلاءِ القوم المتترّسين يكون في البصرة ، أي يفتح بنو العباس البصرة ، وعلى الأثر يكون خرابُها ؟ النصُّ طيِّع في هذا المعنى مع أنّه متّسعٌ لغيرهِ من المعاني أيضاً .

ثم يشير ﷺ إلى علاماتٍ عشر : خروج الزنج ، وظهور الفتنة ، ووقايع بالعراق ، وفتن الآفاق ، والزلازل العظيمة ، مقعدة مقيمة ، ويظهر الحندر والديلم بالعقيق والصيلم ، وولاية القصاح بعقب الفم الجناح ، وظهور آيات مفتريات في النواحي والجنابات ، وعمران الفسطاط بعين القرب والاقباط ، ويخرج الحائك الطويل بأرض مصر والنيل .

ويبدو انّه على أثر خروج الزنج تقع فتنة شرسة ، في حين يشهد العراق وقائع صداميَّة تجسِّد حرباً على أثرها تنشب فتنٌ في الآفاق ، وقد لا تكون وقائع العراق سبباً كاملاً لها ، بل خطّة غزو أو حروب وشبه ذلك ، على أثرها تتمدَّد الفتن إلى الآفاق ، أي إلى النواحي .. وهذا يعني انتشار الفتن والحروب .. ثم تكون زلازل مستمرّة ، مقعدة مقيمة ، تكون على نحوٍ بارز ، وإشارة من إشارات معالم الزمن المتحوِّل ،

ثم ظهور للديلم ، وجنايات مفتريات في الآفاق ، وهذا يعني حروباً وفِتَناً واصطدامات مختلفة تتوسَّع وتنتشر ، ثم يكون ظهور رجل في أرض مصر والنيل ، هو عبارة عن رجلٍ صعلوك ، شارد ، ليس من أبناء الملوك ، تظهر له معادن الذهب أي يكون صاحب ثروة ، ويساعده العجم والعرب ، وكأنَّ النص يشير إلى انقلابٍ تقودهُ أنظمة عدّة من العرب والأجانب ، لأنّ تعبير العجمي عند العرب يعني كل ما ليس عربيّاً ، وتتسلسل الحوادث ، إلى أن تقع العظام من الحدثان ، التي تكشف عن العظائم من العجائب ، وذلك حين يلي الحسن ، ويسير بالعرب إلى الشام ، فيكون على أثرهِ الخراب ، وتعمير جبل المعلون ، وهو إشارة إلى فتنٍ وجورٍ وفسادٍ هائل ، يكون على أثرها اتصال الاشرار بين عين الشمس وحلوان ، الذين يعيثون في تلك الأمصار فساداً ، وقَاتَل الاعراب البوادي ، وكأنّه يشير إلى ما يجري من فتنة الشام ، وقتال الرايات ، وما يجري في مصر ، والسفياني الذي يتنصَّر ، فيعيده الروم متنصِّراً ويمدّونه بالسلاح والمال حتى ينظِّم انقلاباً فينتصر فيهِ على رايتي الأصهب والأبقع ، وبعدها يجري السفياني بخيله ، أي بقوافله ، وجنَّد الجنود وبنَّد البنود ، هناك يكثر الإختلاف ، وتتقاصف الناس أطراف الحرب ، وتتصادم الشعوب ، وتنفلش الفتن وتتوسَّع ، وتنتقص الاطراف ويكثر الاختلاف ، وتخالفه طليعة بعين طرطوس وبقاصية أفريقية ، وتقبل رايات مغربية أو مشرقية ،

فإذا كان ذلك كذلك أعلنوا الفتنة في البرية حيث تكون وقعات طاحنات من النبل والاكمات ، إشارة إلى الترامي في تلك الحرب ، وهو التقاذف ، وما أقرب هذا المعنى إلى حرب القذائف والصواريخ ، والتترّس منها ، التي يبدو منها أنّها تكون واسعة ، وعلى محاور مختلفة وجبهاتٍ

متعدّدة كما في مضمون النص ، فحيث تكون صادمةً ناطحةً مخرِّبةً ، تعيث فساداً ، تشمل العرب والقبط ، وغلبة بني الاصفر على الانعار ، ثم يقول عليه السلام : وقع المقدر فما يغني الحذر .

فإذا كان ذلك كذلك اضطربت الشام ، وانتصبت الاعلام ، إشارة إلى أثرٍ عنيفٍ يخلّفه انتصار الروم ، وهم بنو الأصفر ، يبدو أنّه يطاول الشام والمنطقة ، وهذا ما تشهد به طائفة أخرى من النصوص التي تتحدّث عمّا قبل ظهور القائم عليه السلام ، والتي على أثرها يخرج عليه السلام ..

فإذا تمّ للروم الغلبة ، انتقص التمام ، وسُدَّ غصن الشجرة الملعونة الطاغية ، فهنالك ذلٌّ شامل ، وعقل ذاهل ، وختل قابل ، ونبل ناصل ترى الناس مذهولين ، خائفين مرعوبين ، ممّا يرون من غلبة الروم ، وهجمتِها وقتلها ، في ظلِّ موتٍ أحمر وجوعٍ أغبر ، تلك تبكي دينها ، وتلك تبكي عرضها ، وآخر يتمنّى لو انّ الأرض تنشقّ فتبتلعه ، حيث تغلب الظلمة على النور ، وتبقى الامور من أكثر الشرور ، فإذا كان ذلك كذلك ، هنالك يقوم المهدي عليه السلام من ولد الحسين ، فيزيل الردى ، ويميت الفتن ، ويقضي لأهل الدِّين بالدِّين .

ويشهد لهذه المعاني غيرها ممَّا يشير إلى هجمة الروم والترك وغيرهم ، ونشوب الحروب وظهور الفتن ، واستعار المنطقة التي نطلق عليها اليوم إسم « الشرق الأوسط » ، على أن تكون العراق والشام مسرحاً لهذهِ الحروب ، بما فيها التغيُّرات المثيرة التي تحصل في الحجاز واليمن وطول هذه المنطقة .. وكما ترى : نصُّ الإمام عليه السلام ناظر إلى عناوين محدّدة ، وهو في نصوصٍ أخرى يشيرُ إلى بقاعٍ وعناوين وعلامات أخرى ،

ففي الحديث عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) قال : [.. إنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) حدَّثَ عن أشياء تكون بعدهُ إلى قيام القائم ، فقال الحسين (عليه السلام) : يا أمير المؤمنين ، متى يُطهِّرُ اللهُ الأرضَ من الظالمين ؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : لا يُطهِّرُ اللهُ الارضَ من الظالمين حتى يُسفَكَ الدمُ الحرام - ثم ذكر أمرَ بني أمية وبني العباس في حديث طويل - ،

ثم قال (عليه السلام) : إذا قام القائمُ بخراسان ، وغلب على أرض كوفان وملتان ، وجاز جزيرة بني كاوان ، وقام منَّا قائمٌ بجيلان ، وأجابته الآبر والديلمان ، وظهرت لِوَلَدِي راياتُ الترك متفرِّقات في الأقطار والجنبات ، وكانوا بين هنات وهنات . إذا خربت البصرة ، وقام أمير الامرة بمصر ،

- فحكى (عليه السلام) حكاية طويلة - ثم قال : إذا جُهِّزَت الألوف ، وصفَّت الصفوف ، وقُتِلَ الكبشُ الخروف ، هناك يقوم الآخر ، ويثور الثائر ، ويهلك الكافر ، ثم يقوم القائمُ المأمول ، والامام المجهول ، له الشرف والفضل ، وهو من وُلدِكَ يا حسين ، لا ابن مثله ، يظهر بين الركنين ، في دريسين باليين ، يظهر على الثقلين ، ولا يترك في الارض دمين ، طوبى لمَن أدرك زمانه ، ولحق أوانه ، وشهد أيامه][1] .

في هذا النص إشارة إلى سفك الدم الحرام ، وهل هو ناظر إلى النوع أي إلى دم رجلٍ عظيم ؟ أم الكثرة في سفك الدم عبر الحروب والفتن الذي عُبِّر عنه بالنصوص بالموت الأحمر ؟ يبدو أنّه ناظر إلى سفك الدماء

---

[1] النعماني : صـ ٢٧٤ - ٢٧٦ بـ ١٤ حـ ٥٥ - المفردات ملتان : فهي - بضم الميم وسكون اللام - بلد قرب غزنة ، كما في معجم البلدان ، وفي العجم : يوجد كاودان وكاوردان وهما قريتان في طبرستان من قرى آمل . أما ثوبين دريسين أي دارسين باليين .

عبر الحروب والفتن الكثيرة .. ثمَّ اشار إلى القائم الذي يقوم في خراسان ، والأظهر هو إشارة إلى الخراساني الذي يوطِّئ للمهدي عليه السلام دولةً تناصره ، وتعلن ولاءها له رغم العناء الذي يطال دولته في ذلك العالم المحكوم بهرم دولي جائر مُفسِد ، لأنَّ سياق النص في مقام الإشارة إلى معالم ما قبل ظهورهِ عليه السلام .

وعليه : لا يكون النص ناظراً إلى أبي مسلم الخراساني الذي ظهر أوَّل زمن العباسيين في خراسان فوطَّئ الأمر لهم ، ثم بعد ذلك قتلوه خشيةً على سلطانِهم بعد أن تمادى صيتُ أبي مسلم في الآفاق .. وفي بعض وثائق التاريخ انّ أبا مسلم أراد أن يبايع الإمام الصادق عليه السلام فقتلوه ..

ثم هذا الخراساني له نصرٌ وقفزة إلى أرض العراق ، حيث يغلب فيها على كوفان ونواحيها . وثبت عندنا في النصوص أنَّ جيش الخراساني الذي يدخل العراق لنصرة أتباع آل محمّد بعد ان يبعث السفياني جيشاً يقتلهم ، فيكمن له جيش الخراساني ثم ينقضُّ عليه ..

ثم يشير عليه السلام إلى رايات الترك المتفرِّقات ، وكانّه يشير إلى اكثر من قيادة ، ودولة من هذا الصنف ، وهذا الصنف (الترك) له أكثر من دولة اليوم ، وهناك العديد من الترك من جمهوريات الإتِّحاد السوفياتي السابق ، وكثرة واضحة كانت تتشكَّل في الإتّحاد السوفياتي الذي تفكَّك ، فانحلت إلى دولٍ ، بالإضافة إلى الترك المسلمين ، فأيُّه المقصود ؟ الترك المسلمون أم غيرهم ؟ يبدو من غالب النصوص الإشارة إلى غيرهم ، دون أن يمنع من شمول الترك المسلمين في هذا المعنى ببعض النصوص التي

قد يستفاد منها ذلك .. ثم تكون هناتٌ وهنات ، نكساتٌ ونكسات ، وتخرب البصرة ، وقام أمير الأمرة في مصر ، وأشرنا إلى بعض ما يطرأ على مصر في النصِّ الوارد أعلاه ، عندها تتجهَّز الجيوش ، في ظلِّ إعلانات حرب تطال منطقة العراق والشام وتتوسَّع إلى مصر ونواحي منطقة الشرق الأوسط ، وهذا ما عبَّرت عنه النصوص بتوسُّع الفتن إلى الآفاق بعد فتنة العراق .

على أن يكون أطرافٌ عديدون في هذا الحرب التي يبدو طابعها عالمي ، بحيث أشارت النصوص إلى اشتراك الروم والترك واطراف عدّة في هذه الحرب منهم السفياني والراية المغربيّة والأصهب والأبقع ، وحرب مع الخراساني ، وحرب على الثروة في قرقيسيا ، وحرب في إيلياء في فلسطين ، وظهور راية تدعو إلى المهدي في اليمن ، وخلاف عنيف على المُلك في الحجاز ، وانقلاب وحرب في الشام بين الرايات ، بحيث تتحوّل هذهِ المنطقة إلى حربٍ واسعة في القلب والأطراف ، وعلى أثرها يخرج المهدي عليه السلام ..

وفي الحديث عن إبن عباس عن الإمام علي عليه السلام قال : [.. إذا أراد اللهُ أن يُظهِرَ آلَ محمد ، بدأ الحربُ مِن صفر إلى صفر ، وذلك أوانُ خروج المهدي عليه السلام . قال ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، ما أقرب الحوادث الدالَّة على ظهوره ؟ فدمعت عيناه عليه السلام وقال : إذا فتق بثق في الفرات ، فبلغ أزقة الكوفة ، فليتهيأ شيعتنا للقاء القائم][1] .. وكما ترى : هو في وارد الإشارة إلى ما ساقته النصوص لكن اللافت فيهِ انّه يشير إلى حرب طويلة من صفر إلى صفر ، ببعد النظر عن الحروب الأخرى والفتن المنتشرة ..

---

[1] كتاب عبد الله بن بشار : على ما في الصراط المستقيم . * : الصراط المستقيم : ج ٢ صـ ٢٥٨ بـ ١١ فـ ١١

أمَّا من حيث صفات العالَم ، وقيم الجماعة البشريّة ، وعناوين معاملاتِهم ، وموضع الدِّين منها ، وصفة المؤمنين من مركزِها ، وموقع أهل التقى في هيكل ذلك المجتمع ومفاصل الحكم ، فضلاً عن أهل الجور ومواقعهم وقيمهم ومكوِّنات حكمهم ..؟ فيشير إليها الإمام علي عليه السلام في حديث رواه أبو الحسين زيد بن علي قال : قال علي بن أبي طالب عليه السلام :

[إذا كان زعيم القوم فاسقهم ، وأُكرم الرجلُ اتِّقاءَ شرِّه ، وعُظِّمَ أربابُ الدنيا ، واستُخِفَّ بحملة كتابِ الله ، وكانت تجارتُهُم الربا ، ومأكَلُهُم أموال اليتامى ، وعُطِّلَت المساجد ، وأكرم الرجلُ صديقَه وعقَّ أباه ، وتواصلوا على الباطل ، وعطَّلُوا الارحام ، واتَّخَذُوا كتابَ الله مزامير ، وتُفُقِّهَ لغير الدِّين ، وأكلَ الرجلُ أمانته ، واؤتُمِنَ الخائن ، وخُوِّنَ الأمناء ، واستُعمِلَت كلمةُ السفهاء ، وزُخرِفَت المساجد ، وزُخرِفَت الكنائس ، ورُفِعَت الاصواتُ في المساجد ، واتُّخِذَت طاعةُ الله بضاعةً ، وكَثُرَ القرَّاءُ ، وقلَّ الفقهاء ، واشتد سببُ الاتقياء ، فعند ذلك توقَّعُوا ريحاً حمراء ، وخسفاً ومسخاً وقذفاً وزلازل وأموراً عظاماً][1] . وقال : كان علي بن الحسين عليه السلام إذا ذكر هذا الحديث بكى بكاءً شديداً ويقول : قد رأيت أسباب ذلك والله المستعان .

حصيلة ما أشار إليه الإمام عليه السلام هو التالي : تزعّم الفاسق للمجتمع السياسي ، وهكذا على طول هياكل الكيانات الدوليّة المختلفة ، وتغيُّر المفاهيم ، من قيم الشريعة إلى غيرها ، حتى انَّ الرجل يُكرَم خشيةً منه لا لِحُسنِ فعاله ، وتعاظَمَ أمرُ أهلِ الدنيا ، وبطل أمرُ أهل الدِّين واستُخِفَّ بهم ،

---

[1] أمالي الشجري : ج ٢ صـ ٢٦٠

وسُخِر من حملة الكتاب ، أي من اصحاب الشريعة ، وقامت أُسس واصول التجارة على الربا ، وما أعظمها اليوم في أزماننا .! وتلاشت الحقوق ، وعُطِّلت المساجد ، ومن معاني تعطل المسجد ترك الوظيفة المنوطة بهِ من تعليم الحلال وتحريم الحرام وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بحيث تتحوّل المساجد إلى الزينة والديكور ، بصفوف كثيرةٍ وألسن قذرةٍ وقلوبٍ متباغضة ، وانهارت قيم الأسرة ، فعقّ الرجلُ أباه ، وانفرط الوصال بينهم ، وضعف الأب أمام ولده ، وانهارت نِعم الخير في حُسن الأخلاق وقيم الأرزاق ، وقام ميزان الباطل ، فتواصل الناسُ عليه فكان الصيغةَ والميزانَ والهيكل . وتقطّعت الصلة بين الأرحام ، وهي سلسلة إضافيّة مِن انهيارات الأسرة والخليّة الإجتماعيّة ، وتغنَّوا بالقرآن ، أي حوَّلوه من وظيفتِهِ بالهداية إلى ديكور يغنُّونه بالمزمار والإطراب .

وبتعبيرٍ آخر : عطَّلوا منطقه وأبطلوا حدوده ، ، وانحرف المتفقِّهة إلى غير الدِّين يطلبون بعلمهم الدنيا ، وشاعت المفسدة ، فخان الناسُ الأمانة ، ونُحِّي أهلُ الأمن والإيمان ، وقام على الوظيفة في الحكم السياسي الإداري مَن لا يُؤتَمَن ، واحتلَّ مناصب المجتمع في مؤسساتِهِ الأهليَّة والمدنيّة فضلاً عن المؤسسات العامّة مَن لا يراعي حقَّ اللهِ ولا حقَّ الناس ، ممّن لا يرون في الدِّين صيغة احترامٍ أو نصٍّ تعامل ، فانحرفوا عنه إلى غيرهِ وطبّقوا قانوناً يُبطِلُ الحقّ ويُحقُّ الباطل ، في صِيَغ متعددة في السياسة والإجتماع والمال والإقتصاد والنقديات والأخلاقيَّات وغيرها ..

واستُعمِلَت كلمةُ السفهاء ، أي حلَّ في منصب الحكم والقرار مَن هو سفيه ، لا يفقه حقيقة الوجود ، ولا يعرف ضرورات الجماعة والإجتماع ، سوى انّه يملك مِن الأدوات والنِّعم وشروط الوصول إلى سدّة القرار ما

يجعله الحاكم دون أن يكون فيهِ شرط العقلانيّة أو أصل الملاحظة والحفاظ على الحدِّ الأدنى من شروط تنظيم أمر الجماعة والإجتماع في المادّة والقانون والقرار والنظام ..

في هذا العالم الذي تتعطَّل فيه المساجد فتتحوَّل إلى شكل يزخرفه الناس ، كما الكنائس أيضاً . وهي واردة في النص . وتتحوَّل طاعةُ الله إلى بضاعة ، أي سلعة تباع وتشترى ، يعتمدها مَن يريد الدنيا للوصول إلى مقاماتٍ دنيويَّة ، وكما يقول الإمام علي عليه السلام : « لا يأخذون من الدِّين إلا ما يقرِّبُهم من الدُّنيا » .. في حين القُرَّاء الذين يطلبون الدنيا عبر صفتهم هذه يكثرون مع انّهم لا يفقهون ، فيقلّ القراء ، وتنحرف المتفقِّهة عن الأصل الذي يجب أن تكون عليه ، ويشيع سبّ الأتقياء والسخرية منهم ، والهوان بهم ، وانزال السخط عليهم ، والتهكّم بأحوالهم ، فإذا كان ذلك كذلك قال عليه السلام : توقَّعوا ريحاً حمراء ، وخسفاً ومسخاً وقذفاً وزلازل وأموراً عظاماً . إشارة إلى علاماتٍ كونيَّة عقابيّة ضخمة ، وبلاءاتٍ مختلفة ، وأمور عظام ، تتّسع لمعاني هائلة ، ومشاهد مهولة ..

ومعنى هذا أنَّ العالم يشهد مرحلةً من التحوُّل الجبَّار نحو الباطل والجور والإنحراف الذي تتعطَّل معه الشريعة وقيمها .

وقد اشار الإمام علي عليه السلام إلى معنى آخر ، فيه إشارة دقيقة إلى مطلوبنا ، فقال عليه السلام : [.. يأتي على الناسِ زمانٌ ، لا يُعزُّ فيه إلا الماحل ، ولا يُستظرَفُ إلا الفاجر ، ولا يُضعَّف إلا المنصف ، يتَّخِذُون الفيءَ مغنماً ، والصدقة مغرماً ، والعبادة استطالةً على الناس ، وصلةَ الرحم منَّاً ، والعلم متجراً ، فعند ذلك يكون سلطانُ النساء ومشورة الاماء ، وإمارة

الصبيان][1] . بحيث تكون العزَّةُ لِمُسوِّف الحقِّ وطاعنه ، المنحرف عن القيم الشريفة ، وتكون الفرحة بالفاجر ، والسخرية من الأتقياء ، ويُنبذ المُنصف الذي ينادي بموازين الحقِّ في التجارة أو السلوك والقيم والإجتماع ، وتنهب اموال الناس ، أو مكلَّفي الضريبة ، فيُتّخذ بيت المال أو الضريبة والرسوم موضعاً لنهب والفواتير الوهميّة ، والأرشيف الصوري ، والإختلاس المختلف عبر الهدر وتحوير الأصول وغير ذلك ..

في حين تصبح الصدقة وإعانة الفقير وإخراج حقوق الله والناس من المال خدعةً وسرقةً ونهباً بنظر الناس ، كما أنَّ العلم يتحوَّل من خدمة ووظيفة شريفة إلى وسيلة نهب واختلاس واسترزاق شرِّير . وما اكثر معاني هذه العبارة اليوم ، بدءاً من الأطبّاء وصولاً إلى كافّة ما يشمله هذا الإسم من أهل المهن الذين يمتهنون العلم بطريقةٍ تجاريّةٍ متوحّشة ..

فإذا كان العالم على هذا النحو من قيم الأنا وملذات الهوى ووحشيَّة الغريزة حكم سلطانُ النساء ، وظهرت مشورة الاماء ، وشاع العريُّ والزنا ، وتعالت إمارة الصبيان .. وهو تعبير جدير بالتوقُّف عنده ، فإشارته ﷺ إلى النساء ، إنّما لبيان الصنف المشاع عنهنّ ، وهو التبرُّج والتعرِّي ، والسحاق ، والزنا ، والإباحيّة ، وتحويل قطاع واسع من النساء للعمل ارتزاقاً من الفروج ، أي عن طريق الدعارة والمومسات وغير ذلك ، وهذا القطاع اليوم يُعتبر من أكبر قطاعات الربح السريع ذات الضخامة العالميّة .

---

[1] الكامل للمبرد : ج ١ صـ ١٧٧- وفي مطالب السؤول : ج ١ صـ ١٥٠ - مرسلا ، وفيه (.. لا يعرف فيه إلا الماحل ولا يظرف فيه إلا الفاجر ولا يؤتمن فيه إلا الخائن ، ولا يخون إلا المؤمن .. وصلة الرحم منا ، والعبادة استطالة على الناس وتعديا ، وذلك يكون) . تاريخ اليعقوبي : ج ٢ صـ ٢٠٩ - مرسلا عن أمير المؤمنين .

وعليه : ما ورد في النصِّ من سلطة النساء واسع وله معاني كبيرة وواسعة ، واليوم تعتبر المرأة الإباحيّة من دواعي ودوافع وبنى القرارات المجيَّرة وهذا أخطر ما في الأمر ، وما زالت قضيّة مونيكا لوينسكي وبيل كلنتون خير مثال ، والأمثلة - في الحقيقة - أكثر من أن تحصى على صعيد جنس أهل السلطة والحكم ..

واليوم سلطان المرأة يعني المغنّية الإباحيَّة التي تسلتهم الرجال ، والعارضة التي تحصد عبر بيع سلعتها الجنسيّة أرقاماً خياليّة ، والمرأة المتعرِّية التي تحيل تعاملها مع الأشياء أينما كانت إلى سلعة جنس ودعارة ، وصولاً إلى تحويل المرأة إلى قطعةٍ من نماذج الإباحة وصورها ..

أمَّا مشورة الإماء فالتاريخ له أحاديث مذهلة عنها ، حتى أنَّ يزيد بن معاوية كانت تستهويه جارية أراد أن يعطيها إمارة الدولة الأمويّة كلِّها ..! وتعبير الإماء بنوعٍ من الإستعارة اليوم يعني النساء الأجيرات اللواتي يعملن قرب أصحاب القرارات وفي مكاتبهنَّ وهؤلاءِ لهنَّ قصصٌ مذهلة ، جديرة بتأليف كتاب خاص بهنّ ..

أمّا إمارة الصبيان فما أكثرها .! تشير إلى أمرٍ أساسي هو انَّ القائم على الحكم عقله عقل صبي أو سفيه ، بعد أن تحوَّل الوصول للسلطة إلى معاقل المال . ويحضرني هنا مثال الأمبراطور المالي بوش الإبن الذي تحوَّل إلى أضحوكة على فمِ العالم بسبب تشوُّش ذهنه وخبطة لسانِه ، والإضطراب العنيف الذي يُصيب فكره ، إلى درجة انَّه لو لم يكن عنده مستشارون لأدخل الدنيا في دوامة من جون ونار .. فمّرة يتحدّث عن الإتِّحاد السوفياتي فيصف عملته بالدينار العراقي ..! ومرّة يتحدّث عن تنظيم

القاعدة فيقول انّهم يعدّون لمشروعٍ تخريبي في أمريكا ، ثـم يقـول : ونحـن الإدارة الأمريكية كذلك ..! والأمثلة كثيرة دعت الناطق بإسم البيـت الأبـيض أن يكون متأهّباً بشكلٍ دائم للإعتذار بعد وقتٍ قليل ، وسرد أعذار من مثل : فكر الرئيس مُشوَّش وغير ذلك ..

أمَّا المعنى الثاني مِن إمارة الصبيان ؟ فهو يشير إلى جيلٍ في مقتبل العمر يصل إلى الحكم بعقلٍ صبياني غريـزيٍّ لا توجـد فيـه صـفات قيـادة الجماعة والمجتمع . فكلُّ هؤلاءِ تنطبقُ عليهم صفة الصبيان ..

والمعنى المباشر ناظر إلى هذا التفسير ، لكنّـه يتّسـع للمعنـى الأوَّل أيضاً .. بل ورد عندنا في النصوص الكثيرُ الذي يشير إلى زعامة السفهاء ..!

وفي الكافي عن عبد الله بن سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام قـال : قـال أمير المؤمنين عليه السلام : [.. لَيأتينَّ على الناسِ زمانٌ يُظرفُ فيه الفاجر ، ويُقرَّبُ فيه الماجن ، ويُضعَّفُ فيه المُنصِفُ .

فقيل له : متى ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : إذا اتُّخِذَت الامانةُ مغنماً (سرقها) ، والزكاة مغرماً (خسارة) ، والعبادة اسـتطالة ، والصـلة منَّاً (صلة الرحم) ، فقيل : متى ذلـك يـا أميـر المـؤمنين ؟ فقـال عليه السلام : إذا تسلطنَ النساء ، وسُلطِنَ الاماء ، وأُمِّرَ الصبيان][1] .

وفي لفظٍ آخر قال عليه السلام : [.. لا يُقرَّبُ فيه إلا الماحل ، ولا يُظرَفُ فيه إلا الفاجر ، ولا يُضعَّفُ فيه إلا المُنصف .. يعدُّون الصدقة فيه غرماً ، وصلة

---

[1] : ج ٨ صـ ٦٩ حـ ٢٥ - عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عـن موسـى بـن عمـر الصـيقل ، عـن أبـي شعيب المحاملي ،

الرحم منّاً ، والعبادة استطالة على الناس .. فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء ، وإمارة الصبيان ، وتدبير الخصيان][1] .

أقول : عن هذه الصفات التي أوردها الإمام علي (عليه السلام) كثيرٌ مرَّ في التاريخ ، خاصّة عن تدبير الصبيان وإمارة الصبيان ومشورة النساء .. واليوم - وبشيئٍ من الإستعارة في التعبير والمعاني - الأمثلة أكثر من أن تُحصى .. والإستعارة جديرة بالإلتفات هنا ، حتى أنَّ جون كيري وجورج بوش خاضا حملةً انتخابيّة عنيفة في أمريكا على حقِّ اللواط والسحاق والتحوُّل الجنسي من ذكرٍ إلى أنثى ، أي « الخصيان الجدد » ..!

وهؤلاء يشكِّلون قطاعاً ضخماً في أمريكا والغرب ، وينتشرون في العالم بشكلٍ مدهش ..! بل لجنة المرأة في الأمم المتّحدة اليوم تسيطر عليها السحاقيات ..! واتفاقيّة المرأة التي تسوِّقها الأمم المتّحدة اليوم تعطي المرأة حقّ السحاق وممارسة الجنس حتى مع الكلاب بحريّة مطلقة وبحمايةٍ قانونيّة دوليّة ..!

ومن يقرأ أرشيف العالم اليوم يجد أنَّ السلطة والمال تحوّل إلى قطاعٍ جديدٍ إسمه « المرأة » ، هذهِ المرأة التي اصبحت اليوم ماركة جنس الرجل ، وتابع لذكورتهِ ، بحيث يكفي فتاة أن تتعرَّى وتقود جسدها إلى مشرحة السيلكون والتجميل ومجموع عمليات مختلفة حتى تصبح طريقة ضخمة للسيطرة على معاقل الحكم والقرار ، أو على خابية المال والثروة ، فتهبط عليها النعم لقاء بيع سلعتها الجنسيّة المتنوِّعة .. واليوم تجد رجال الحكم والسياسة والمال يُلقُون بشهواتِهم أمام أعينهم ، ويجيِّرون كلَّ شيئٍ

---

[1] نهج البلاغة . صالح : صـ ٤٨٥ خطبة ١٠٢ - مرسلا ،

من أجل عوراتِهم التي أحرقت عقولهم وحوّلتهم إلى وحوشٍ نزاةٍ أمام ما يرون وما يصنعون ..

عن ذلك الزمان الجائرِ وما فيهِ قال الإمام علي (عليه السلام) :

[.. أين تذهب بكم المذاهب ، وتَتيهُ بكم الغياهب ، وتخدعُكُم الكواذب ؟ ومِن أين تُؤتُون ، وأنَّى تُؤفَكُون ؟ فلِكُلِّ أجلٍ كتابٌ ، ولِكُلِّ غيبةٍ إيابٌ ، فاستمعوا مِن ربَّانيكم وأحْضِرُوهُ قلوبكم ، واستيقظوا إنْ هُتِفَ بكم ، ولْيَصدُق رائدٌ أهلَه ، وليَجْمَع شملَه ، وليُحضِر ذهنَه ،

فلقد فُلِقَ لكم الامرُ فلقَ الخرزة ، وقرفه قرفَ الصمغة ، فعند ذلك أخذَ الباطلُ مآخذه ، وركبَ الجهلُ مراكبه ، وعظُمت الطاغية ، وقلَّت الداعية ، وصالَ الدهرُ صيالَ السبعِ العقور ، وهدَرَ فنيقُ الباطلِ بعد كظوم ، وتواخى الناسُ على الفجور ، وتهاجروا على الدِّين ، وتحابُّوا على الكذب ، وتباغضوا على الصدق .

فإذا كان ذلك كان الولدُ غيظاً ، والمطرُ قيظاً ، وتفيضُ اللئام فيضاً ، وتغيضُ الكرام غيضاً ، وكان أهلُ ذلك الزمان ذئاباً ، وسلاطينُه سباعاً ، وأوساطُهُ أكَّالاً ، وفقراؤهُ أمواتاً ، وغارَ الصدقُ ، وفاض الكذبُ ، واستُعمِلَت المودةُ باللسان ، وتشاجر الناسُ بالقلوب ، وصارَ الفسوقُ نسباً ، والعفافُ عجباً ، ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوباً][1] .

يشير (عليه السلام) إلى وصيَّة مستقبليّة ليحفظها الناسُ ، فيُعدِّد قسماً مِن ظواهر الزمن الأخير الذي على أثرهِ يظهر قائم آل محمّد (عليه السلام) مِن وُلدِ

---

[1] نهج البلاغة ، صالح : صـ ١٥٧ خطبة ١٠٨ - عبده : جـ ١ صـ ٢٠٨ خطبة ١٠٤ .

الحسين (عليه السلام) ، فإذا أخذ الباطل مركبَهُ وقاد أمر الناس والجماعة بمذهبه ، وسيطر الجهل على معاقل المجتمع ومفاصل الإجتماع ، وعَظُمَ أمرُ الطاغية الذي يُفسد بلا رادع ، ويحرِفُ بلا مانع ، وقلَّت الداعيةُ من اصواتِ أهل الصلاح ، وصال الدهرُ بأهل الآثام والقوم اللئام ، فغدر وعقر ، وصاح زعيم أهل الباطل وتسلطن ، وتعارف الناس على قيم الباطل ، واستوثقوا بطباعِهم منها فلم يكن عندهم أمرُ الإنحراف شاذّاً في الأخلاق والسلوك وقيم الجماعة والإجتماع ، فتعرَّت الفتيات ، وانتشرت الغانيات ، ومرقت السافرات ، وأصبح الدِّين إسماً ، والقرآنُ رسماً ، وعُطِّلت الأحكام ، وسُخِر من قيم القرآن ، وتحجَّج الناسُ بضرورات الحال ، وتهاجروا على الدِّين ، فكانت قيمُ الشريعة عندهم محل تأمُّل واستهجان ، ترى الفتاة عاريةً مُطبَّعةً ، حين تفاتحها بالحجاب تستهجن .! وعمَّ الفساد ، عندها يكون الولدُ غيظاً على والديه ، والمطرُ قيظاً - ما أكثر هذه العلامات في زمننا - فيزيد اللئام ، وأصبح أهل الزمان ذئاباً ، طارت الرحمة من قلوبهم ، ومُزِّقت الشفقة ، واكتفى كلُّ واحدٍ بما يهمُّه من ضرورة شهوتِهِ ونِعم ملذّتِهِ ، فلا يُغار على أهل الحاجة والجماعة .! ،

وتحوَّل الحاكم إلى جبَّار مستبدٍّ ، والوزير إلى سلطان لصوص ، والموظّف إلى مختلس ، والراشي إلى بطل ماهر ، والأمين إلى مجنون بنظر الناس ، ففي ذلك الزمن يكون الناسُ ذئاباً ، والسلاطين سباعاً ، وطبقته الوسطى أُكَّالاً ، وفقراءهُ أمواتاً ، لا قيمة لهم ، ولا ناظر بأحوالهم ، جوعى يأكلهم الموت من كلِّ ناحية ، وتباغضت القلوب ، وتقاربت الأجساد ، وتباعدت النفوس ، وكثر الحسد ، وشاع الكذب والبروستيج ووهم الإعتبار ، وسار الفسوق نسباً وطريقةً للإطمئنان بين الأقران على

قاعدة « إنَّ الطيور على أشكالها تقعُ » ، وأصبح العفافُ عجباً ، وما أكثر عجبه اليوم ..! بل الناس منه تندهش والهول العظيم انَّ ذلك في بلاد الإسلام ..!

فإذا كان ذلك كذلك ، لُبسَ الإسلامُ مقلوباً ، حرَّفَهُ الناس ، غيّروا وبدّلوا فيهِ ما يعجبهم حتى أنَّ العارية العاهرة تحتجُّ على العالِمِ الفقيه بأنَّها مسلمةٌ ولها حريَّة أنْ تمارس الدعارة متى شاءت ، وأن تتعرّى ..! وأنّها تفهم الإسلام أكثر من العلماء والفقهاء ..! (هذه ظاهرة اليوم واسعة الإنتشار وخطيرة جداً) ..

هذه صورة مختصرة عن صفات ذلك العالَم الذي يبدو فيه الإسلام أشدَّ غربة ، وهي مرحلة شديدة الإنحراف ، بحيث تُشكّل مفصل العالم ، وتقيم هيكله العام على نحوٍ من فسادٍ مواثيقي دعائي مدعوم بالأعراف والتقاليد ، وبشكل تسويقي اجتماعي ، تقوده ثقافة الإشتراع القائم على موازين الهوى ..

هذا نوع من مفاهيم الفساد الذي يكون في آخر الزمان ..

الحرب والطاعون (الأمراض) قبل ظهور المهدي عليه السلام

تشير بعض النصوص إلى ظهور الأمراض قبل ظهور القائم عليه السلام ، ويبدو انّ لها شياعاً واتّساعاً ، فالسياق من النصوص يشيرُ إلى انّها من وقائع العلامات الظاهرة قبل الظهور الشريف ، وذلك بما كسبت أيدي الناس .. ففي رواية علي بن محمد بن الاعلم الازدي عن أبيه عن جدّه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : [بين يدي القائم موتٌ أحمر ، وموتٌ أبيض ، وجرادٌ في حينِه ، وجرادٌ في غير حينِه ، أحمرٌ كالدم . فأما الموتُ الاحمر فبالسيف ، وأما الموت الابيضُ فالطاعون][1] ..

النصُّ يشيرُ إلى دمٍ جرَّار من نوعٍ خاص ، ويسمّيه بالموت الأحمر ، ومعنى ذلك انّه يشيرُ إلى الحروب الطاحنة ، وقد ورد عندنا الكثير من النصوص التي تشيرُ إلى الحروب وسفك الدماء والدمار والنار وخراب العمران ..

ثم يشير إلى الموت الأبيض ، أي الموت الصامت ، دون قصفٍ ودمارٍ ونار ، موت الوجع والمرض ، وهل مقصود الإمام علي عليه السلام بالطاعون حرفيّتَهُ ..؟ أو هو من نوع الكنايات التي امتازت أحاديثُ أهل

---

[1] المصادر : الفضل بن شاذان : على ما في غيبة الطوسي . * : النعماني : صـ ٢٧٧ – ٢٧٨ بـ ١٤ حـ ٦١

البيت ﷺ بسياقها ؟ لا يبعد أبداً أن يكون مقصوده الكناية ، وهذا ديدنهم ﷺ في الإستعمالات من هذا النوع . أي يعني بذلك مرضاً فتّاكاً ينتشر بين الناس فيُهلِك العباد ..

ولا أخفي أنَّ بعض هذه النصوص كانت تحيِّرني وأنا العبد البسيط ، اقول في نفسي ، معقول أن يشهد العالم أمراضاً وهو الآن على قمَّة التطوُّر التقني ، وعلى متن أهم ركبِ التكنولوجيا الضخمة .. ؟ فجاءني الجواب من دراساتٍ عمليّةٍ مذهلة ، تشير إلى تكاثر الفيروس والميكروب الذي يُعجز العلماء زمناً بعد زمن ، حتى أنَّ فيروس السارس الذي ظهر في الصين حيَّر العالم ، أمّا فيروس الإيدز ومجموعة يعدِّدها العلماء اليوم فهي مدهشة لهم قبل العامّة ..! يرون فيها أنَّ التطوُّر واكبه نوعٌ من ولادة الفيروسات والبكتيريا التي تقدر على مقاومة النتائج الطبيّة شديدة التطوُّر ..!

ثمَّ تركيبة العالم الجديد القائمة على استغلال الهندسة الوراثية في المُركَّب الحيواني والنباتي والأعلاف والأسمدة والمواد الغذائيَّة وغيرها يشكِّل عالماً جديداً يمكن وصفُهُ بـ « عالم الكائن الجيني الجديد » الذي من شأنِهِ أن يهدِّد أعظم منجزات الحضارة ..

إنتهى بحمد الله تعالى الجزء الأوّل . يليه الجزء الثاني والثالث .

الفهرس :

* إهداء : ٣

- نصيحة لأهل الدنيا : ٥

** **تمهيد ضروري** : [معالم الأمم في آخر الزمن] نظرة في البشارات ١١

- المحور الثاني : (بين النبي محمّد والمهدي الموعود في الكتاب المقدَّس ومصادر الإسلام) : ٧١
- المهدي المنتظر ، في الكتاب المقدّس ومصادر الإسلام ٧٩
- معارك آخر الزمان ١٢٥

** الإمام المهدي عليه السلام : ١٧٨

- بعض ما ورد عن حكيمة عمّة الإمام العسكري عليه السلام في خبر ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ٢٠٧
- شياع حكومة الظلم والجور والإنحراف المفاهيمي والسلوكي زمن الغيبة ٢٢٧

- بعض معالم الظهور ٢٦٥
- بعض الفتن وما يقع على بلاد الإسلام في عصر الغيبة ٢٧٠

** بين اليهود والمسلمين ٢٨١

- أهل المشرق : ٣٦٠
- فتنة بلاد الشام : ٣٩٠
- طبيعة فتنة بلاد الشام وصفة خروج السفياني ٤١٨
- دخول جيش السفياني الحجاز ٤٢٣

** حديث الكنز والمعركة عليه ٤٣١

- النداء من السماء باسم المهدي ٤٤٤
- بيعة المهدي عليه السلام على أثر موت خليفة ٤٥٥
- الرجال الأوائل الذين يحثُّون الخطى لبيعة المهدي عليه السلام ٤٦٥
- أبدال الشام ٤٧٠

** النفس الزكية وأحداث ما قبل الإعلان العام عن الظهور ٤٧١

- نزول النبي عيسى بن مريم عليه السلام ٤٩٧

** تحذير النبي صلى الله عليه وآله أمَّته من الدجال ٥١١
- الكذَّابون قبل الدجال ٥١٨
- الفِتَن قبل الدجال ٥٢٣
- أتباع الدجال ٥٣٧

- توسّع الدجال ٥٣٩
- مدّة بقاء الدجال ٥٥٢

** يأجوج ومأجوج ٥٦٤
- جنس يأجوج ومأجوج ٥٦٩
- هلاك يأجوج ومأجوج وبقاء المسلمين بعدهم ٥٧٥

** خروج دابة الأرض ٥٨٧
- قرب قيام الساعة من بعثة النبي صلى الله عليه وآله ٦١٣
- الآيات الكبرى قبل قيام الساعة ٦٢٢

** قيم زمن وبيئة ظهور المهدي عليه السلام ٦٢٧
- تقارب الزمان وتكلّم الجماد قبل الساعة ٦٤٠
- عقوبة بعض المجرمين بالمسخ والخسف والقذف ٦٤٦
- النار التي تسوق الناس إلى المحشر ٦٥١
- الريح الطيبة بين يدي الساعة ٦٥٨
- ما بعد المهدي عليه السلام ٦٦٤

** ضرورة وجود الامام في كلِّ عصر ٦٦٧
- الأئمة إثنا عشر ٦٧٥
- فضل ليلة الخامس عشر من شعبان ٧٠٢

** الفتن قبل المهدي عليه السلام ٧٠٤
- الحرب والطاعون (الأمراض) قبل الظهور ٧٣٠

❊ مراجع الكتاب : ٧٣٣
❊ الفهرس : ٧٣٣